# فهـــــرس

## الجـــــزء الثـــانى والعشرين

## من تفســـير الامام ابن جرير الطـــبرى

## ﴿ فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾


| صحيفة | |
|---|---|
| ٢ | تأويل قوله ومن يقنت منكن وبيان أن الرزق الكريم الجنة |
| ٣ | بيان أن المراد بمرض القلوب الشهوات |
| ٤ | بيان معنى الجاهلية الأولى |
| ٥ | بيان أن أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم من هم |
| ٨ | تأويل قوله واذكرن ما يتلى فى بيوتكن وبيان المراد من الحكمة التى تتلى |
| ٩ | تأويل قوله وما كان لمؤمن الآية وذكر ما كان من زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله لمولاه زيد بن حارثة |
| ١٠ | ذكر زواج رسول الله صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين زينب بنت جحش |
| ١٢ | تأويل قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وبيان أنها نزلت فى زيد بن حارثة |
| ١٥ | بيان أن المرء اذا طلق امرأته قبل الدخول بانت منه ولا عدة عليها وعليه لها نصف المهر ان سمى والا فالمتعة |
| ١٥ | بيان ما أحل الله لنبيه من النساء |
| ١٨ | تأويل قوله ترجى من تشاء منهن وبيان أن القسم كان ليس بواجب عليه |
| ٢١ | تأويل قوله لا يحل لك النساء وبيان الخلاف فى أن تلك الآية نسخت أو استمرت معمولا بها |
| ٢٥ | تأويل قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى وبيان ما كان من بعضهم من التحدث طويلا فى بيت رسول الله |
| ٣٠ | تأويل قوله لا جناح عليهن وبيان أن ذلك فى أزواج رسول الله فيمن يجوز لهن اظهار الزينة عندهم |
| ٣١ | بيان كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم |
| ٣٢ | ذكر طعن المنافقين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زواجه صفية |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٣٣ | تأويل قوله يا أيها النبى قل لأزواجك الآية وبيان ما يجب على المرأة ستره عند الخروج |
| ٣٦ | بيان ما آذى به بنو اسرائيل موسى |
| ٣٨ | تأويل قوله انا عرضنا الأمانة وبيان المراد بالأمانة المعروضة وكيفية عرضها |
| ٤٢ | ﴿ تفسير سورة سبأ ﴾ |
| ٤٤ | تأويل ويرى الذين أوتوا العلم وبيان من هم |
| ٤٤ | بيان ما كان يستغربه المشركون من الاعادة حتى نسبوا الآتى بذلك الى الكذب أو الجنون |
| ٤٦ | بيان ما أوتيه داود من المعجزات وعمله الدروع السابغات |
| ٤٧ | تأويل قوله ولسليمان الريح وبيان ما أوتيه من تسخير الريح والشياطين له |
| ٥٠ | ذكر خبر موت سليمن عليه السلام وخفاء ذلك على الشياطين |
| ٥٢ | تأويل قوله لقد كان لسبا وذكر نسب سبا وخبر سدهم والسيل الذى أرسل عليهم |
| ٦٠ | تأويل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وبيان الظن الذى كان ظنه |
| ٦٢ | ذكر ما يحدث فى الملا الأعلى عند حدوث أمر الهى |
| ٦٤ | تأويل قوله قل من يرزقكم من السموات والأرض وبيان معنى أو والشواهد عليها |
| ٦٦ | ذكر كفر المشركين بالقرآن وبالذى بين يديه من الكتب |
| ٧٢ | تأويل قوله ولو ترى اذ فزعوا وبيان خروج السفيانى بجيشه آخر الزمان وخسف الارض بهم |
| ٧٥ | بيان أن المشركين يشتهون الايمان فيحال بينهم وبينه |
| ٧٦ | ﴿ تفسير سورة فاطر ﴾ |
| | وبيان أصناف الملائكة والشواهد على عدم صرف مثنى وما معه |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٧٧ | تأويل قوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك و بيان معنى الغرور |
| ٧٩ | بيان أن العزة لا تكون الا فى طاعة الله وكيفية رفع الكلم الطيب وبيان افساد الرياء للعمل |
| ٨٢ | تأويل قوله يولج الليل فى النهار الآية وبيان معنى القطمير |
| ٨٥ | تأويل قوله وما يستوى الأعمى والبصير و بيان أنها أمثال ضربت للمؤمن والكافر |
| ٨٧ | بيان أن الخوف من الله دأب العلماء العالمين به |
| ٨٨ | تأويل قوله ثم أورثنا الكتاب و بيان أن هؤلاء الأصناف من أهل الجنة جميعهم أم لا |
| ٩٢ | بيان أن أهل النار لا يخفف عنهم نوع العذاب |
| ٩٥ | تأويل قوله وأقسموا بالله جهد أيمانهم و بيان ما كان عليه المشركون من طلب رسول الله فلما جاءهم كفروا به |
| ٩٧ | ﴿ تفسير سورة يس ﴾ |
| ٩٨ | تأويل قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا و بيان أن فى الآية حذفا والشاهد عليه |
| ١٠٠ | بيان أن خطا الانسان الى الخير تكتب له حسنات |
| ١٠١ | ذكر خبر أصحاب القرية والرسل الذين أرسلوا اليها |


﴿ تم فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش تفسير ابن جرير ﴾


| صحيفة | |
|---|---|
| ٢ | تفسير قوله تعالى ومن يقنت الايات وبيان القراآت والوقوف فيها |
| ٦ | بيان غزوة بنى قريظة |
| ٧ | بيان أن التخيير هل كان واجبا على رسول الله أم لا |
| ٨ | بيان حكم التخيير والخلاف بين الأئمة فيه |
| ١٠ | بيان الجاهلية الأولى وما كانت المرأة تفعله بها |
| ١٢ | خطبة النبى صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه زيد ودفعه الصداق من عنده |
| ١٣ | بيان زواجه صلى الله عليه وسلم بزينب |
| ١٥ | تأويل تلك الآيات |
| ١٨ | تفسير قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا الآيات و بيان القراآت والوقوف فيها |
| ٢٤ | بيان أنه صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه دفع المهر مقدما |
| ٢٥ | بيان ما استدل به الامام أبو حنيفة من جواز النكاح بلفظ الهبة |
| ٢٦ | بيان أمر القسم له صلى الله عليه وسلم وتحريم استبداله أزواجا غير اللاتى كن معه |
| ٢٨ | بيان تحريم الله الدخول فى بيوت النبى الا مع الاذن لطعام وكان الطعام حاضرا |
| ٢٩ | بيان السبب فى نزول آية الحجاب |
| ٣٠ | بيان احترامه صلى الله عليه وسلم فى الملا الأعلى |
| ٣٢ | بيان ما كانت عليه النساء فى ابتداء الأمر وما أمرن به من الستر |
| ٣٣ | بيان ما أوذى به موسى صلى الله عليه وسلم |
| ٣٤ | بيان عرض الامانة على السموات والارض |
| ٣٦ | لطيفة |
| ٣٦ | تأويل تلك الآيات |
| ٣٨ | ﴿ تفسير سورة سبأ ﴾ |
| ٤١ | بيان أن السور المبدوأة بالحمد خمس وبيان المناسبة بينها و بين أحوال الانسان |
| ٤٥ | بيان ما أوتيه داود عليه السلام من الكرامات والسبب فى صنعه الدروع |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٤٦ | بيان ما أوتيه سليمن عليه السلام من الملك وذكر كيفية تسخير الريح والشياطين له |
| ٤٨ | بيان أن الشكر اللسانى غير كاف بل لابد من الفعلى وذكر ما فعله داود من تجزئة الليل والنهار |
| ٤٩ | ذكر ما صنعه سليمن من اخفاء موته عن الجن و بيان نسب سبأ ومساكنهم وستهم |
| ٥٣ | تأويل تلك الآيات |
| ٥٥ | تفسير قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دونه الآيات و بيان القرا آت والوقوف فيها |
| ٥٨ | ذكر مذاهب أهل الشرك الأربعة و بيان الرد عليها من الآيات |
| ٦٠ | بيان ما فى الآيات من الارشاد الى ما يجب فى المناظرات |
| ٦٢ | بيان أن المشرك وان كان مثبتا لله ظاهرا فانه نافه فى الحقيقة |
| ٦٤ | بيان ما راعته الملائكة من الانصاف فى حكمهم على عابديهم |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٦٦ | بيان كيفية التفكر فى أمر النبوة لرسول الله |
| ٦٧ | بيان أن البرهان العقلى الباهر قد تم على التوحيد والرسالة وأن الحشر لا برهان عليه إلا إخبار علام الغيوب |
| ٧٠ | تأويل تلك الآيات |
| ٧١ | ﴿تفسير سورة فاطر﴾ |
| ٧٣ | بيان المناسبة بين آخر السورة المتقدمة وأول هذه و بيان بعض أصناف الملائكة |
| ٧٦ | بيان أن المزين لهم عملهم هم أهل الأهواء والبدع الذين لا مستند لهم سوى التقليد |
| ٧٩ | بيان كيفية كتابة الأشياء فى اللوح المحفوظ |
| ٨٥ | تفسير قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء الآيات و بيان القرا آت والوقوف فيها |
| ٩١ | بيان المصطفين من هم |
| ٩٥ | بيان فضل لا إله إلا الله |
| ١٠٠ | بيان ما كانت قريش تقوله قبل بعث الرسول صلى الله عليه وسلم |


﴿تم فهرست الجزء الثانى والعشرين من تفسير النيسابورى﴾

# الجزء الثانى والعشرون

## من كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه




تنبيه

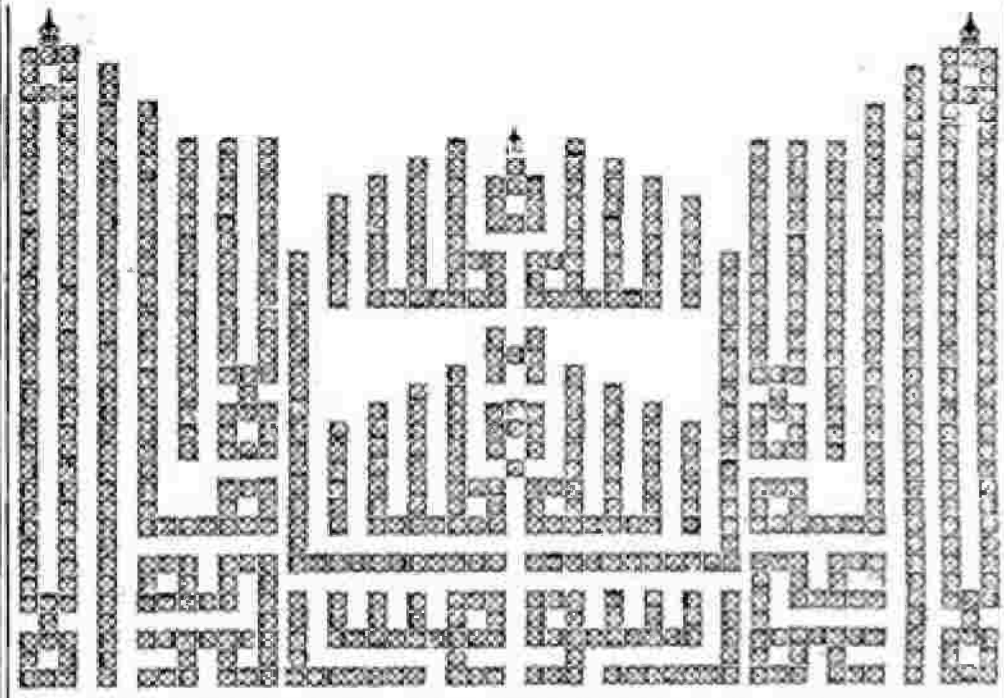
طبعت هذه النسخة بعد مقابلتها وتصحيحها بمعرفة حضرة الملتزم على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر وعلى النسخة الموجودة بالكتبخانة المحمودية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحية بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

( الطبعة الاولى )

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٩ هجريه



الجزء الثانى والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما﴾ يقول تعالى ذكره ومن يطع الله ورسوله منكن وتعمل بما أمر الله به نؤتها أجرها مرتين يقول يعطها الله ثواب عملها مثلى ثواب عمل غيرهن من سائر نساء الناس وأعتدنا لها رزقا كريما يقول وأعتدنا لها فى الآخرة عيشا هنيئا فى الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن يقنت منكن لله ورسوله الآية يعنى ٣ آخر الآية حدثنى سلم بن جنادة قال ثنا ابن ادريس عن ابن عون قال سألت عامرا عن القنوت قال وما هو قال قلت وقوموا لله قانتين قال مطيعين قال قلت ومن يقنت منكن لله ورسوله قال يطعن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن يقنت منكن لله ورسوله أى من يطع منكن الله ورسوله وأعتدنا لها رزقا كريما وهى الجنة واختلفت القراء فى قراءة قوله وتعمل صالحا فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وتعمل بالتاء ردا على تأويل من أذجاء بعد قوله منكن وحكى بعضهم عن العرب انها تقول كم بيع لك جارية وأنهم ان قدموا الجارية قالوا كم جارية بيعت لك فأنثوا الفعل بعد الجارية والفعل فى الوجهين لكم لا للجارية وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده

أيا أم عمرو من يكن عقر داره * جواء عدى يا كل الحشرات

ويسود من لفح السموم جبينه * ويعرو ان كانوا ذوى بكرات

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزى الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء أو يتوب عليهم ان الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضا لم تطؤها وكان الله على كل شئ قديرا يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن اجرا عظيما يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقا كريما يا نساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات فقال

والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما ﴿ القراآت أسوة بضم الهمزة حيث كان عاصم وعباس الآخرون بكسرها نضعف بالنون وكسر العين العذاب بالنصب ابن كثير وابن عامر وقرا أبو عمرو ويزيد ويعقوب بالياء المضمومة والعين مفتوح ويرفع العذاب الآخرون مثله ولكن بالالف من المضاعفة ويعمل صالحا يؤنثها على التذكير والغيبة حمزة وعلى وخلف وافق المفضل فى ويعمل الباقون بتأنيث الاول وبالنون فى الثانى وقرن بفتح القاف أبو جعفر ونافع وعاصم غير هبيرة الباقون بكسرها ولا تبرجن أن تبدل بتشديد التاءين البزى وابن فليح أن يكون على التذكير عاصم وحمزة وعلى وخلف وهشام وخاتم بفتح التاء بمعنى الطابع عاصم الباقون بكسرها ﴿ الوقوف

فقال وان كانوا ولم يقل وان كان وهو لمن فرده على المعنى وأما أهل الكوفة فقرأت ذلك عامة قرائها ويعمل بالياء عطفا على يقنت اذ كان الجميع على قراءة الياء * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان فى كلام العرب فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن العرب ترد خبر من أحيانا على لفظها فتوحد وتذكر وأحيانا على معناها كما قال جل ثناؤه ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك فجمع مرة للمعنى ووحد أخرى للفظ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى وأقمن الصلوة وآتين الزكوة وأطعن الله ورسوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يانساء النبى لستن كأحد من النساء من نساء هذه الامة ان اتقيتن الله فأطعتنه فيما أمركن ونهاكن كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يانساء النبى لستن كأحد من النساء يعنى من نساء هذه الامة وقوله فلا تخضعن بالقول يقول فلا تلنّ بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكن * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يانساء النبى لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول يقول لا ترخصن بالقول ولا تخضعن بالكلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلا تخضعن بالقول قال خضع القول ما يكره من قول النساء للرجال مما يدخل فى قلوب الرجال وقوله فيطمع الذى فى قلبه مرض يقول فيطمع الذى فى قلبه ضعف فهو لضعف ايمانه فى قلبه اما شاك فى الاسلام منافق فهو لذلك من أمره يستخف بحدود الله واما متهاون بإتيان الفواحش وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم انما وصفه بأن فى قلبه مرضا لأنه منافق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيطمع الذى فى قلبه مرض قال نفاق * وقال آخرون بل وصفه بذلك لأنهم يشتهون اتيان الفواحش ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيطمع الذى فى قلبه مرض قال قال عكرمة شهوة الزنا وقوله وقلن قولا معروفا يقول وقلن قولا قد أذن الله لكم به وأباحه كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقلن قولا معروفا قال قولا جميلا حسنا معروفا فى الخير * واختلفت القراء فى قراءة قوله وقرن فى بيوتكن فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين وقرن بفتح القاف بمعنى واقررن فى بيوتكن وكأن من قرأ ذلك كذلك حذف الراء الاولى من اقررن وهى مفتوحة ثم نقلها الى القاف كما قيل فظلتم تفكهون وهو يريد فظللتم فأسقطت اللام الاولى وهى مكسورة ثم نقلت كسرتها الى الظاء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وقرن بكسر القاف بمعنى كنّ أهل وقار وسكينة فى بيوتكنّ وهذه القراءة وهى الكسر فى القاف أولى عندنا بالصواب لأن ذلك ان كان من الوقار على ما اخترنا فلا شك أن القراءة بكسر القاف لانه يقال وقر فلان فى منزله فهو يقر وقورا فتكسر القاف فى تفعل فاذا أمر منه قيل قر كما يقال من وزن يزن زن ومن وعد يعد عد وان كثيرا ٥ لابتداء القصة الاحزاب لا لأن قالوا جواب لما رسوله الثانى ز لاحتمال الاستئناف والحال أوجه وتسليما ط عليه ج لابتداء التفصيل مع الفاء ينتظر لا لاحتمال الحال وجانب الابتداء بالنفى أرجح تبديلا ٥ لا الا عند أبى حاتم عليهم ط رحيما ٥ لا للآية

ولاحتمال الحال أى وقد ردخيرا ط القتال ط عزيزا ٥ ج للآية والعطف فريقا ٥ ج لاحتمال أن يكون ما بعده استئنافا أو حالا تطؤها ط
قديرا ٥ جميلا ٥ عظيما ٥ ضعفين ط (٤) يسيرا ٥ مرتين لا لان التقدير وقد أعتدنا كريما ٥ معروفا ج للعطف ورسوله ط
تطهيرا ٥ لوقوع العوارض بين المعطوفين والحكمة ط خبيرا ٥ عظيما ٥ من أمرهم ط مبينا ٥ الناس ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال تخشاه ط منهن وطرا ط مفعولا ٥ له ط من قبل لا مقدورا ٥ لابناء على أن الذين وصف أو بدل الا الله ط حسيبا ٥ النبيين ط عليما ٥ ﴿ التفسير لما فرغ من توبيخ المنافقين حث جمع المكلفين على مواساة الرسول وموازرته كما واساهم بنفسه فى الصبر على الجهاد والثبات فى مداحض الاقدام والاسوة القدوة وهو المؤتسى به أى المقتدى به فالمراد أنه فى نفسه قدوة كما تقول فى البيضة عشرون مناحديدا أى هى فى نفسها هذا المبلغ من الحديد والمراد أن فيه خصلة هى المواساة بنفسه فمن حقها أن يؤتسى بها وتتبع قال فى الكشاف قوله لمن كان بدل من قوله لكم وضعف بأن بدل الكل لا يقع من ضمير المخاطب فالأظهر انه صفة الاسوة والرجاء بمعنى الامل أو الخوف وقوله (يرجو الله واليوم الآخر) كقولك رجوت زيدا وفضله اى رجوت فضل زيد أو أريد يرجو ايام الله واليوم الآخر خصوصا وقوله (وذكر) معطوف على كان وفيه أن المقتدى برسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى واظب على ذكر الله وعمل ما يصلح لزاد المعاد ثم حكى أن ما ظهر من المؤمنين وقت لقاء الأحزاب خلاف حال المنافقين وقوله (هذا) اشارة الى الخطب أو البلاء عن ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا أو عشرا أى فى آخر تسع ليال قال
أو عشر فلما رأوهم قد أقبلوا لليعاد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وقد وقع (وصدق الله ورسوله) فى كل ما وعد (وما زادهم الا ايمانا) بمواعيده

كان من القرار فان الوجه أن يقال اقررن لان من قال من العرب ظلت أفعل كذا وأحست بكذا فأسقط عين الفعل وحول حركتها الى فائه فى فعل وفعلنا وفعلتم لم يفعل ذلك فى الامر والنهى فلا يقول ظل قائما ولا لا تظل قائما فليس الذى اعتل به من أعتل لصحة القراءة بفتح القاف فى ذلك بقول العرب فى ظللت وأحسست ظلت وأحست بعلة توجب صحته لما وصفت من العلة وقد حكى بعضهم عن بعض الأعراب سماعا منه ينحطن من الجبل وهو يريد ينحططن فان يكن ذلك صحيحا فهو أقرب الى أن يكون حجة لأهل هذه القراءة من الحجة الأخرى وقوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قيل ان التبرج فى هذا الموضع التبختر والتكسر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى أى اذا خرجتن من بيوتكن قال كانت لهن مشية وتكسر وتغنج يعنى بذلك الجاهلية الاولى فنهاهن الله عن ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى قال التبختر وقيل ان التبرج هو اظهار الزينة وابراز المرأة محاسنها للرجال وأما قوله تبرج الجاهلية الاولى فان أهل التأويل اختلفوا فى الجاهلية الأولى فقال بعضهم ذلك ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن زكريا عن عامر ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال الجاهلية الأولى ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام * وقال آخرون ذلك ما بين آدم ونوح ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن أبيه عن الحكم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال وكان بين آدم ونوح ثمانمائة سنة فكان نساؤهم من أقبح ما يكون من النساء ورجالهم حسان فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه فأنزلت هذه الآية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى * وقال آخرون بل ذلك بين نوح وادريس ذكر من قال ذلك حدثنى ابن زهير قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا داود يعنى ابن أبى الفرات قال ثنا علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس قال تلا هذه الآية ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى قال كان فيما بين نوح وادريس وكانت ألف سنة وان بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفى النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفى الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل فى صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل ذلك الذى يزمر فيه الرعاء فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله فبلغ ذلك من حولهم فانتابوهم يسمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه فى السنة فتبرج الرجال للنساء قال ويتزين النساء للرجال وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم فى عيدهم ذلك فرأى النساء فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهن فنزلوا معهن فظهرت الفاحشة فيهن فهو قول الله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره نهى نساء النبى أن يتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى فيكون معنى ذلك ولا تبرجن تبرج الجاهلية التى قبل الاسلام فان قال قائل أوفى الاسلام جاهلية حتى يقال عنى بقوله الجاهلية الأولى التى قبل الاسلام قيل فيه أخلاق من أخلاق الجاهلية كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى

(وتسليما) لقضائه وقيل هذا اشارة الى ما ايقنوا من أن عند الفزع الشديد يكون النصر والجنة كما قال ام حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا الى آخره كان رجال من الصحابة نذروا أنهم اذا لقوا حربا ثبتوا مع (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستشهدوا فمدحهم الله تعالى بأنهم صدقوا ما عاهدوا أى صدقوا الله فيما عاهدوه عليه ويجوز أن يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كأنهم قالوا للعاهد عليه سنفى بك فاذا وفوا به صدقوه (فمنهم من قضى نحبه) أى نذره فقاتل حتى قتل كحمزة ومصعب وقد يقع قضاء النحب عبارة عن الموت لأن كل حى لا بد له من أن يموت فكأنه نذر لازم فى رقبته (ومنهم من ينتظر) الشهادة كعثمان وطلحة (وما بدلوا تبديلا) ما غيروا كل من الفريقين عهده وفيه تعريض بمن بدلوا من أهل النفاق ومرض القلب فكأنه قال صدق المؤمنون ونكث المنافقون فكان عاقبة الصادقين الجزاء بالخير بواسطة صدقهم وعاقبة أصحاب النفاق التعذيب ان شاء الله إلا أن يتوبوا وانما استثنى لأنه آمن منهم بعد ذلك ناس والى هذا أشار بقوله (ان الله كان غفورا رحيما) حيث رحمهم ورزقهم الايمان ويجوز أن يراد يعذب المنافقين مع أنه كان غفورا رحيما لكثرة ذنبهم وقوة جرمهم ولو كان دون ذلك لغفرهم (ورد الله الذين كفروا) وهم الأحزاب ملتبسين (بغيظهم لم ينالوا خيرا) أى غير ظافرين بشئ من مطالبهم التى هى عندهم خير من كسر أو أسر أو غنيمة (وكفى الله المؤمنين القتال) بواسطة ريح الصبا وبارسال الملائكة كما قصصنا (وأنزل الذين) ظاهروا الاحزاب (من أهل الكتاب من صياصيهم) والصيصية ما تحصن به ومنه يقال لقرن الثور والظبى ولشوكة الديك التى فى ساقه صيصية لأن كلا منها سبب التحصن به روى أن جبرائيل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة الليلة التى انهزم فيها الاحزاب على فرسه الحيزوم والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ماهذا يا جبرائيل

قال يقول التى كانت قبل الاسلام قال وفى الاسلام جاهلية قال قال النبى صلى الله عليه وسلم لأبى الدرداء وقال لرجل وهو ينازعه يا ابن فلانة لأم كان يعيره بها فى الجاهلية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا الدرداء ان فيك جاهلية قال أجاهلية كفر أو اسلام قال بل جاهلية كفر قال فتمنيت أن لو كنت ابتدأت اسلامى يومئذ قال وقال النبى صلى الله عليه وسلم ثلاث من عمل أهل الجاهلية لا يدعهن الناس الطعن بالأنساب والاستمطار بالكواكب والنياحة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال أخبرنى سليمن بن بلال عن ثور عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب قال له أرأيت قول الله لأزواج النبى صلى الله عليه وسلم ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى هل كانت الا واحدة فقال ابن عباس وهل كانت من أولى الا ولها آخرة فقال عمر لله درك يا ابن عباس كيف قلت فقال يا أمير المؤمنين وهل كانت من أولى الا ولها آخرة قال فأت بتصديق ما تقول من كتاب الله قال نعم وجاهدوا فى الله حق جهاده كما جاهدتم أول مرة قال عمر فمن أمر بالجهاد قال قبيلتان من قريش مخزوم وبنو عبد شمس فقال عمر صدقت وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح وجائز أن يكون ما بين ادريس ونوح فتكون الجاهلية الآخرة ما بين عيسى ومحمد واذا كان كل ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل فالصواب أن يقال فى ذلك كما قال الله انه نهى عن تبرج الجاهلية الأولى وقوله وأقمن الصلاة وآتين الزكاة يقول وأقمن الصلاة المفروضة وآتين الزكاة الواجبة عليكن فى أموالكن وأطعن الله ورسوله فيما أمراكن ونهياكن انما يريد الله ان يذهب عنكم الرجس أهل البيت يقول انما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد ويطهركم من الدنس الذى يكون فى أهل معاصى الله تطهيرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال الرجس ههنا الشيطان وسوى ذلك من الرجس الشرك واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بقوله أهل البيت فقال بعضهم عنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن المثنى قال ثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزى قال ثنا مندل عن الأعمش عن عطية عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت هذه الآية فى خمسة فى وفى على رضى الله عنه وحسن رضى الله عنه وحسين رضى الله عنه وفاطمة رضى الله عنها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر عن زكريا عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة قالت قالت عائشة خرج النبى صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله معه ثم جاء على فأدخله معه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا محمد بن بكر عن حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر كلما خرج الى الصلاة فيقول الصلاة أهل

فقال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله يأمرك بالمسير الى بني قريظة (٦) وأنا عائد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم لكم طعمة فأذن في الناس

ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة فما صلى كثير من الناس العصر الا هناك بعد العشاء الآخرة فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا فقال على حكم سعد ابن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتسبي ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة ارقعة ثم نزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا فقدمهم وضرب أعناقهم وهم ثمانمائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير وانما قدم مفعول تقتلون لان القتل وقع على الرجال وكانوا مشهورين وكان الاعتناء بحالهم أشد ولم يكن في المأسورين هذا الاعتناء بل بقاؤهم هناك بالأسر أشد لانه لو قال وفريقا تأسرون فاذا سمع السامع قوله وفريقا ربما ظن أنه يقال بعده يطلقون اولا يقدرون على أسرهم ولمثل هذا قدم قوله وأنزل على قوله وقذف وان كان قذف الرعب قبل الانزال وذلك ان الاهتمام والفرح بذكر الانزال أكثر (وأورثكم أرضهم) التي استوليتم عليها ونزلتم فيها أولا (وديارهم) التي كانت في القلاع فسلموها اليكم (وأموالهم) التي كانت في تلك الديار (وأرضا لم تطؤها) قيل هي القلاع أنفسها وعن مقاتل هي خيبر وعن قتادة كانت أنها مكة وعن الحسن فارس والروم وعن عكرمة كل أرض تفتح الى يوم القيامة وعن بعضهم أراد نساءهم وهو غريب ثم أكد الوعد بفتح المناعة البلاد بقوله (وكان الله على كل شئ قديرا) قال أهل النظم ان مكارم الاخلاق ترجع أصولها الى أمرين التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله

البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا يحيى بن ابراهيم بن سويد النخعي عن هلال يعني ابن مقلاص عن زبيد عن شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم عندي وعلي وفاطمة والحسن والحسين فجعلت لهم خزيرة فأكلوا وناموا وغطى عليهم عباءة أو قطيفة ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبو نعيم قال ثنا يونس بن أبي اسحق قال أخبرني أبو داود عن أبي الحمراء قال رابطت المدينة سبعة اشهر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم اذا طلع الفجر جاء الى باب علي وفاطمة فقال الصلاة الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا يونس بن أبي اسحق باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا الفضل بن دكين قال ثنا عبد السلام بن حرب عن كلثوم المحاربي عن أبي عمار قال اني لجالس عند واثلة بن الأسقع اذ ذكروا عليا رضي الله عنه فشتموه فلما قاموا قال اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا اني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاءه علي وفاطمة وحسن وحسين فألقى عليهم كساءه ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قلت يا رسول الله وأنا قال وأنت قال فوالله انها لأوثق عملي عندي حدثني عبد الكريم بن أبي عمير قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو عمرو قال ثنى شداد أبو عمار قال سمعت واثلة بن الأسقع يحدث قال سألت عن علي بن أبي طالب في منزله فقالت فاطمة قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم اذ جاء فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه وعليا عن يساره وحسنا وحسينا بين يديه فلفع عليهم بثوبه وقال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا اللهم هؤلاء أهلي اللهم أهلي أحق قال واثلة فقلت من ناحية البيت وأنا يا رسول الله من أهلك قال وأنت من أهلي قال واثلة انها لمن أرجى ما أرتجي حدثني أبو كريب قال ثنا وكيع عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة قالت لما نزلت هذه الآية انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فجلل عليهم كساء خيبريا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا قالت أم سلمة ألست منهم قال أنت الى خير حدثنا أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا سعيد بن زربي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن أم سلمة قالت جاءت فاطمة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحملها على طبق فوضعته بين يديه فقال أين ابن عمك وابناك فقالت في البيت فقال ادعيهم فجاءت الى علي فقالت اجب النبي صلى الله عليه وسلم أنت وابناك قالت أم سلمة فلما رآهم مقبلين مد يده الى كساء كان على

واليها الاشارة بقوله عليه السلام الصلاة وما ملكت أيمانكم ولما ارشد نبيه الى القسم الاول بقوله اتق الله أرشده الى القسم الاخر وبدأ بالزوجات لأنهن أولى الناس بالشفقة ولهذا قدمهن فى النفقة ولبين تفسير الآية بنى مسائل (١) منها أن التخيير هل كان واجبا على النبى صلى

المنامة فمده وبسطه وأجلسهم عليه ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله فضمه فوق رؤسهم وأومأ بيده اليمنى الى ربه فقال هؤلاء أهل البيت فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن بن عطية قال ثنا فضيل بن مرزوق عن عطية عن أبى سعيد عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية نزلت فى بيتها انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت وأنا جالسة على باب البيت فقلت أنا يا رسول الله ألست من أهل البيت قال انك الى خير أنت من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم قالت وفى البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا موسى بن يعقوب قال ثنى هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبى وقاص عن عبد الله بن وهب بن زمعة قال أخبرتنى أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع عليا والحسنين ثم أدخلهم تحت ثوبه ثم جاء الى الله ثم قال هؤلاء أهل بيتى فقالت أم سلمة يا رسول الله أدخلنى معهم قال انك من أهلى حدثنى أحمد بن محمد الطوسى قال ثنا عبد الرحمن بن صالح قال ثنا محمد بن سليمن الأصبهانى عن يحيى بن عبيد المكى عن عطاء عن عمر بن أبى سلمة قال نزلت هذه الآية على النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت أم سلمة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فدعا حسنا وحسينا وفاطمة فأجلسهم بين يديه ودعا عليا فأجلسه خلفه فتجلل هو وهم بالكساء ثم قال هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا (١) قال أم سلمة أنا معهم مكانك وأنت على خير حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل بن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المزى عن السدى عن أبى الديلم قال قال على بن الحسين لرجل من أهل الشام أما قرأت فى الأحزاب انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال ولأنتم هم قال نعم حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا بكير بن مسمار قال سمعت عامر بن سعد قال قال سعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه الوحى فأخذ عليا وابنيه وفاطمة وأدخلهم تحت ثوبه ثم قال رب هؤلاء أهلى وأهل بيتى حدثنا ابن حميد قال ثنا عبد الله بن عبد القدوس عن الأعمش عن حكيم بن سعد قال ذكرنا على بن أبى طالب رضى الله عنه عند أم سلمة قالت فيه نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قالت أم سلمة جاء النبى صلى الله عليه وسلم الى بيتى فقال لا تأذنى لأحد فجاءت فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها ثم جاء الحسن فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه وجاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه فاجتمعوا حول النبى صلى الله عليه وسلم على بساط فألهمهم نبى الله بكساء كان عليه ثم قال هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت فقلت يا رسول الله وأنا قالت فوالله ما أنعم وقال انك الى خير * وقال آخرون بل عنى بذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الأصبغ عن علقمة قال كان عكرمة ينادى فى السوق انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا قال نزلت فى نساء النبى صلى الله عليه وسلم

(١) أى قالت أم سلمة انا معهم قال مكانك وأنت الخ وحركتبه مصححه

الله عليه وسلم أم لا فنقول التخيير قولا كان واجبا بالاتفاق لانه ابلاغ الرسالة وأما التخيير معنى فمبنى على أن الامر للوجوب أم لا ومنها أن واحدة منهن لو اختارت الفراق هل كان يعتبر اختيارها فراقا والظاهر أنه لا يعتبر فراقا وانما تبين المختارة نفسها بابانة من جهة النبى صلى الله عليه وسلم لقوله (فتعالين) وعلى هذا التقرير فهل كان يجب على النبى صلى الله عليه وسلم الطلاق أم لا الظاهر الوجوب لأن خلف الوعد منه غير جائز بخلاف الحال فيما فانه لا يلزمنا الوفاء بالوعد شرعا ومنها أن المختارة بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره الظاهر نعم (١) ليكون التخيير ممكنا لها من التمتع بزينة الدنيا ومنها أن المختارة لله ورسوله هل يحرم طلاقها الظاهر نعم بمعنى أنه لو أتى بالطلاق لعوتب وفى تقديم اختيار الدنيا اشارة الى أنه كان لا يلتفت اليهن كما ينبغى اشتغالا بعبادة ربه وكيفية المتعة وكميتها ذكرناهما فى سورة البقرة والسراح الجميل كقوله أو تسريح باحسان وفى ذكر الله والدار الآخرة مع ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وفى قوله للمحسنات اشارات الى أن اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم سبب مرضاة الله وواسطة حيازة سعادات الآخرة وأنه يوجب وصفهن بالاحسان والمراد بالاجر العظيم كبره بالذات وحسنه بالصفات ودوامه بحسب الاوقات فان العظيم لا يطلق الا على الجسم الطويل العريض العميق الذاهب فى الجهات فى الامتدادات الثلاثة وأجر الدنيا فى ذاته قليل وفى صفاته غير خال عن جهات القبح

(١) الذى فى الفخر الظاهر لا تحرم ليكون الخ فتنبه كتبه مصححه

كما فى مأكوله من الضرر والثقل وكذلك فى مشروبه وغيرهما من اللذات ومع ذلك فهو منغص بالانقطاع والزوال ويروى أنه حين نزلت الآية بدأ بعائشة وكانت أحبهن اليه فخيرها وقرأ عليها



القرآن فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اختار جميعهن اختيارها فشكر ذلك لهن الله فأنزل لا تحل لك النساء من بعد وروى أنه قال لعائشة انى ذاكر لك أمرا ولا عليك أن تعجلى فيه حتى تستأمرى أبويك ثم قرأ عليها القرآن فقالت أفى هذا أستأمر أبوى فانى أريد الله ورسوله والدار الآخرة ثم قالت لا تخبر أزواجك أنى اخترتك فقال انما بعثنى الله مبلغا ولم يبعثنى متعنتا أما حكم التخيير فى الطلاق فاذا قال لها اختارى فقالت اخترت نفسى أو قال اختارى نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس فى أحد الجانبين وقعت طلقة بائنة عند أبى حنيفة وأصحابه اذا كان فى المجلس أو لم يشتغل بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعى اختيارها على الفور وهى عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهرى أمرها بيدها فى ذلك المجلس وفى غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شئ بالاتفاق لأن عائشة اختارت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعد ذلك طلاقا وعن على رضى الله عنه مثله فى رواية وفى أخرى أنه عد ذلك واحدة رجعية اذا اختارته واذا اختارت نفسها فواحدة بائنة وحين خيرهن النبى صلى الله عليه وسلم واخترن الله ورسوله أدبهن الله وهددهن على الفاحشة التى هى أصعب على الزوج من كل ما تأتى به زوجته وأوعدهن بتضعيف العذاب لان الزنا فى نفسه قبيح ومن زوجة النبى أقبح ازدراء بمنصبه ولانها تكون قد اختارت حينئذ غير النبى فلا يكون النبى عندها أولى من الغير ولا من نفسها وفيه اشارة الى شرفهن ابن فان الحرة لشرفها كان عذابها ضعف عذاب الامة وأيضا نسبة النبى الى غيره من الرجال نسبة السادة الى العبيد لكونه أولى بهم من أنفسهم

خاصة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة ان الله كان لطيفا خبيرا ﴾ يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكرن نعمة الله عليكن بأن جعلكن فى بيوت تتلى فيها آيات الله والحكمة فاشكرن الله على ذلك واحمدنه عليه وعنى بقوله واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله واذكرن ما يقرأ فى بيوتكن من آيات كتاب الله والحكمة ويعنى بالحكمة ما أوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحكام دين الله ولم ينزل به قرآن وذلك السنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة أى السنة قال يمتن عليهم بذلك وقوله ان الله كان لطيفا خبيرا يقول تعالى ذكره ان الله كان ذا لطف بكن اذ جعلكن فى البيوت التى تتلى فيها آياته والحكمة خبيرا بكن اذ اختاركن لرسوله أزواجا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ يقول تعالى ذكره ان المتذللين لله بالطاعة والمتذللات والمصدقين والمصدقات رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أتاهم به من عند الله والقانتين والقانتات لله والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم والصادقين الله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه والصابرين لله فى البأساء والضراء على الثبات على دينه وحين البأس والصابرات والخاشعة قلوبهم لله وجلا منه ومن عقابه والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات وهم المؤدون حقوق الله من أموالهم والمؤديات والصائمين شهر رمضان الذى فرض الله صومه عليهم والصائمات ذلك والحافظين فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم والحافظات ذلك الا على أزواجهن ان كن حرائر أو من ملكهن ان كن اماء والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات كذلك أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما يعنى ثوابا فى الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيما وذلك الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال دخل نساء على نساء النبى صلى الله عليه وسلم فقلن قد ذكر كن الله فى القرآن ولم نذكر بشئ أما فينا ما يذكر فأنزل الله تبارك وتعالى ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات أى المطيعين والمطيعات والخاشعين والخاشعات أى الخائفين والخائفات أعد الله لهم مغفرة لذنوبهم وأجرا عظيما فى الجنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأجرا عظيما قال الجنة وفى قوله والقانتين والقانتات قال المطيعين والمطيعات حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن عامر قال القانتات المطيعات حدثنا ابن حميد قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة يا رسول الله يذكر الرجال ولا نذكر فنزلت ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن محمد بن عمرو عن أبى سلمة أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب حدثه عن أم سلمة قالت قلت يا رسول الله أيذكر الرجال فى كل شئ ولا نذكر فأنزل الله ان المسلمين والمسلمات الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا سيار بن مظاهر العنزى قال ثنا أبو كدينة يحيى بن مهلب عن قابوس

فكذلك زوجاته اللواتى هن أمهات المؤمنين وليس فى قوله (من يأت) دلالة على ان الاتيان بالفاحشة منهن ممكن الوقوع فان الله تعالى صان أزواج الانبياء من الفاحشة ولكنه فى قوة قوله لئن أشركت ليحبطن عملك  ولئن اتبعت أهواءهم وقوله (منكن) للبيان لا للتبعيض لدخول الكل تحت الارادة وقيل الفاحشة أريد بها كل الكبائر وقيل هى عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه ما يشق عليه وفى قوله (وكان ذلك على الله يسيرا) اشارة الى أن كونهن نساء النبى لا يغنى عنهن شيأ كيف وانه سبب مضاعفة العذاب وحين بين مضاعفة عقابهن ذكر زيادة ثوابهن فى مقابلة ذلك والقنوت الطاعة ووصف الرزق بالكرم لأن رزق الدنيا لا يأتى بنفسه فى العادة وانما هو مسخر للغير يمسكه ويرسله الى الأغيار ورزق الآخرة بخلاف ذلك ثم صرح بفضيلة نساء النبى بأنهن لسن كأحد من النساء كقولك ليس فلان كآحاد الناس أى ليس فيه مجرد كونه انسانا بل فيه وصف أخص يوجد فيه ولا يوجد فى أكثرهم كالعلم أو العقل أو النسب أو الحسب قال جار الله أحد فى الاصل بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع فى النفى العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما وراءه والمعنى اذا استقريت أمة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن فى الفضل وقوله (ان اتقيتن) احتمل أن يتعلق بما قبله وهو ظاهر واحتمل أن يتعلق بما بعده أى ان كنتن متقيات فلا تخضعن بقول لكن خاضعا لينا مثل كلام المريبات (فيطمع الذى فى قلبه مرض) أى ريبة وفجور وحين منعهن من الفاحشة ومن مقدماتها ومما يجر اليها أشار الى أن ذلك

ابن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس قال قال نساء النبى صلى الله عليه وسلم مال الله يذكر المؤمنين ولا يذكر المؤمنات فأنزل الله ان المسلمين والمسلمات الآية **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان المسلمين والمسلمات قال قالت أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ما للنساء لا يذكرن مع الرجال فى الصلاح فأنزل الله هذه الآية **حدثنى** محمد بن المعمر قال ثنا أبو هشام قال ثنا عبد الواحد قال ثنا عثمان بن حكيم قال ثنا عبد الرحمن ابن شيبة قال سمعت أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم تقول قلت للنبى صلى الله عليه وسلم يا رسول الله ما لنا لا نذكر فى القرآن كما يذكر الرجال قالت فلم يرعنى ذات يوم ظهرا الا نداؤه على المنبر وأنا أسرح رأسى فلففت شعرى ثم خرجت الى حجرة من حجرهن فجعلت سمعى عند الجريد فاذا هو يقول على المنبر يا أيها الناس ان الله يقول فى كتابه ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الى قوله أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾ يقول تعالى ذكره لم يكن لمؤمن بالله ورسوله ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله فى أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذى قضى فيهم ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا فقد ضل ضلالا مبينا يقول فقد جار عن قصد السبيل وسلك غير سبيل الهدى والرشاد وذكر أن هذه الآية نزلت فى زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتاه زيد بن حارثة فامتنعت من انكاحه نفسها ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الى آخر الآية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة فدخل على زينب بنت جحش الاسدية يخطبها فقالت لست بناكحته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانكحيه فقالت يا رسول الله أؤامر فى نفسى فبينما هما يتحدثان أنزل الله هذه الآية على رسوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة الى قوله ضلالا مبينا قالت قد رضيته لى يا رسول الله منكحا قال نعم قالت اذا لا أعصى رسول الله قد أنكحته نفسى **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أن تكون لهم الخيرة من أمرهم قال زينب بنت جحش وكراهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم قال نزلت هذه الآية فى زينب بنت جحش وكانت بنت عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضيت ورأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت فأنزل الله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم قال فتابعته بعد ذلك ورضيت **حدثنى** أبو عبيد الوصافى قال ثنا محمد بن حميد قال ثنا ابن لهيعة عن ابن أبى عمرة



ليس أمرا بالايذاء والتكبر على الناس بل القول المعروف عند الحاجة هو المأمور به لا غير ثم أمرهن بلزوم بيوتهن بقوله (وقرن) بفتح القاف أمر من القرار باسقاط أحد حرفى التضعيف كقوله فظلتم تفكهون

وأصله اقررن من قرا بكسرها فهو امر من قر يقر قرارا أو من قر يقر بكسر القاف وقيل المفتوح من قولك قار يقار اذا اجتمع والتبرج اظهار الزينة كما مر في قوله غير متبرجات (١٠) بزينة وذلك في سورة النور والجاهلية الاولى هي القديمة التي كانت في أول زمن ابراهيم عليه السلام أو ما بين آدم ونوح أو بين ادريس ونوح أو في زمن داود وسليمان والجاهلية الأخرى ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاولى جاهلية الكفر والاخرى الفسق والابتداع في الاسلام وقيل ان هذه أولى ليست لها أخرى بل معناه تبرج الجاهلية القديمة وكانت المرأة تلبس درعا من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال ثم أمرهن أمرا خاصا بالصلاة والزكاة ثم عاما في جميع الطاعات ثم علل جميع ذلك بقوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) فاستعار للذنوب الرجس وللتقوى الطهر وانما أكد ازالة الرجس بالتطهير لان الرجس قد يزول ولم يطهر المحل بعد و (أهل البيت) نصب على النداء أو على المدح وقدم في آية المباهلة أنهم أهل العباء النبي صلى الله عليه وسلم لانه أصل وفاطمة رضي الله عنها والحسن والحسين رضي الله عنهما بالاتفاق والصحيح أن عليا رضي الله عنه منهم لمعاشرته بنت النبي صلى الله عليه وسلم وملازمته اياه وورود الآية في شأن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يغلب على الظن دخولهن فيهن والتذكير للتغليب فان الرجال وهم النبي وعلي وأبناؤهم غلبوا على فاطمة وحدها أو مع أمهات المؤمنين ثم أكد التكاليف المذكورة بأن بيوتهن مهابط الوحي ومنازل الحكم والشرائع الصادرة من مشرع النبوة ومعدن الرسالة ثم ختم الآية بقوله (ان الله كان لطيفا خبيرا) ايذانا بأن تلك الأوامر والنواهي لطف منه في شأنهن وهو أعلم اريد بالمصطفين من عباده المخصوصين بتأييده يروى أن أم سلمة أو كل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن

عن عكرمة عن ابن عباس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد بن حارثة فاستنكفت منه وقالت أنا خير منه حسبا وكانت امرأة فيها حدة فأنزل الله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الآية كلها * وقيل نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وذلك أنها وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها زيد بن حارثة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا الى آخر الآية قال نزلت في أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وكانت من أول من هاجر من النساء فوهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها زيد بن حارثة فسخطت هي وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجنا عبده قال فنزل القرآن وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم الى آخر الآية قال وجاء أمر أجمع من هذا النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم قال فذاك خاص وهذا جماع ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم عتابا من الله له واذكر يا محمد اذ تقول للذي أنعم الله عليه بالهداية وأنعمت عليه بالعتق يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذكر لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعجبته وهي في حبال مولاه فألقى في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع فأراد فراقها فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم زيد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك وهو صلى الله عليه وسلم يحب أن تكون قد بانت منه لينكحها واتق الله وخف الله في الواجب له عليك في زوجتك وتخفي في نفسك ما الله مبديه يقول وتخفي في نفسك محبة فراقه اياها لتتزوجها ان هو فارقها والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه يقول تعالى ذكره وتخاف أن يقول الناس أمر رجلا بطلاق امرأته ونكحها حين طلقها والله أحق أن تخشاه من الناس وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ تقول للذي أنعم الله عليه وهو زيد أنعم الله عليه بالاسلام وأنعمت عليه أعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه قال وكان يخفي في نفسه وذا أنه طلقها قال الحسن ما أنزلت عليه آية كانت أشد عليه منها قوله وتخفي في نفسك ما الله مبديه ولو كان نبي الله صلى الله عليه وسلم كاتما شيأ من الوحي لكتمها وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه قال خشي نبي الله صلى الله عليه وسلم مقالة الناس حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ابنة عمته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما يريده وعلى الباب ستر من شعر فرفعت الريح الستر فانكشف وهي في حجرتها حاسرة فوقع اعجابها في قلب النبي صلى الله عليه وسلم فلما وقع ذلك كرهت الى الآخر فجاء فقال يا رسول الله اني

ولم يذكر النساء فنحن نخاف أن لا يقبل منا طاعة فنزلت ان المسلمين والمسلمات وذكرهن عشر مراتب الاولى التسليم والانقياد لامر الله والثانية الايمان بكل ما يجب أن يصدق به فان المكلف يقول أولا كل ما يقول الشارع  فأنا قبله فهذا اسلام فاذا قال له شيأ وقبله صدق مقالته وصحح اعتقاده ثم ان اعتقاده يدعوه الى الفعل الحسن والعمل الصالح فيقنت ويعبد وهو المرتبة الثالثة ثم اذا آمن وعمل صالحا كمل غيره ويأمر بالمعروف وينصح أخاه فيصدق فى كلامه عند النصيحة وهو المراد بقوله (والصادقين والصادقات) ثم ان الآمر بالمعروف والناهى عن المنكر يصيبه أذى فيصبر عليه كما قال فى قصة لقمان واصبر على ما أصابك أى بسببه ثم انه اذا كمل فى نفسه وكمل غيره قد يفتخر بنفسه ويعجب بعبادته فمنعه منه بقوله (والخاشعين والخاشعات) وفيه اشارة الى الصلاة لان الخشوع من لوازمها قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون فلذلك اردفها بالصدقة ثم بالصيام المانع من شهوة البطن فضم الى ذلك الحفظ من شهوة الفرج التى هى ممنوع منها فى الصوم مطلقا وفى غير الصوم مما وراء الازواج والسرارى ثم ختم الأوصاف بقوله (والذاكرين الله كثيرا) يعنى أنهم فى جميع الاحوال يذكرون الله يكون اسلامهم وايمانهم وقنوتهم وصدقهم وصبرهم وخشوعهم وصدقتهم وصومهم وحفظهم فروجهم لله وانما وصف الذكر بالكثرة فى أكثر المواضع فقال فى أوائل السورة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا وقال فى الآية والذاكرين الله كثيرا ويجىء بعد ذلك يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا لان الاكثار من الافعال البدنية متعسر يمنع الاشتغال ببعضها من الاشتغال بغيرها بحسب الاغلب ولكن لا مانع من أن يذكر الله وهو آكل أو شارب أو ماش أو نائم أو مشغول ببعض الصنائع والحرف على أن جميع الاعمال صحتها أو كمالها بذكر الله تعالى وهى النية قال علماء العربية

أريد أن أفارق صاحبتى قال مالك أراك منها شيئ قال لا والله ما رابنى منها شيئ يا رسول الله ولا رأيت الا خيرا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك واتق الله فذلك قول الله تعالى واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه تخفى فى نفسك ان فارقها تزوجتها حدثنى محمد بن موسى الجرشى قال ثنا حماد بن زيد عن ثابت عن أبى حمزة قال نزلت هذه الآية وتخفى فى نفسك ما الله مبديه فى زينب بنت جحش حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا سفيان بن عيينة عن على بن زيد بن جدعان عن على بن حسين قال كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه فلما أتاه زيد يشكوها قال اتق الله وأمسك عليك زوجك قال الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا داود عن عامر عن عائشة قالت لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحى اليه من كتاب الله لكتم وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه وقوله فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها يقول تعالى ذكره فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته وهى الوطر ومنه قول الشاعر

ودّعنى قبل أن أودّعه * لما قضى من شبابنا وطرا

زوجناكها يقول زوجناك زينب بعد ما طلقها زيد وبانت منه لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم يعنى فى نكاح نساء من تبنوا وليسوا ببنيهم ولا أولادهم على صحة اذا هم طلقوهن وبن منهم اذا قضوا منهن وطرا يقول اذا قضوا منهن حاجاتهم وآرابهم وفارقوهن وحللن لغيرهم ولم يكن ذلك نزولا منهم لهم عنهن وكان أمر الله مفعولا يقول وكان ما قضى الله من قضاء مفعولا أى كان كائنا لا محالة وانما يعنى بذلك أن قضاء الله فى زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ماضيا مفعولا كائنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا يقول اذا طلقوهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبنى زيد بن حارثة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلما قضى زيد منها وطرا الى قوله وكان أمر الله مفعولا اذا كان ذلك منه غير نازل لك فذلك قول الله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم حدثنى محمد بن عثمان الواسطى قال ثنا جعفر بن عون عن المعلى بن عرفان عن محمد بن عبد الله بن جحش قال تفاخرت عائشة وزينب قال فقالت زينب أنا التى نزل تزويجى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن الشعبى قال كانت زينب زوج النبى صلى الله عليه وسلم تقول للنبى صلى الله عليه وسلم انى لأدل عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهن ان جدى وجدك واحد وانى أنكحنيك الله من السماء وان السفير لجبرائيل عليه السلام ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدرا مقدورا﴾ يقول تعالى ذكره ما كان على النبى من حرج من اثم فيما أحل الله له من نكاح امرأة من تبناه بعد فراقه اياها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له أى أحل الله له وقوله سنة الله فى الذين خلوا من قبل

فى الاية عطفان احدهما عطف الاناث على الذكور والاخر عطف مجموع الذكور والاناث على مجموع ماقبله والاول يدل على اشتراك الصنفين فى الوصف المذكور وهو الاسلام فى الاول والايمان فى الثانى الى آخر الاوصاف والثانى من باب عطف الصفة على الصفة فيؤل معناه الى أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات أعد الله لهم وحين انجر الكلام من قصة زيد الى ههنا عاد الى حديثه قال الراوى خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فأبت وأبى أخوها عبد الله فنزلت (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) الآية فقالا رضينا يارسول الله فأنكحها اياه وساق عنه المهر ستين درهما وخمارا وملحفة ودرعا وازارا وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر وقيل نزلت فى أم كلثوم بنت عقبة ابن أبى معيط وهى أول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قد قبلت وزوجها زيدا فسخطت هى وأخوها وقالا انما أردنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فزوجها عبده وقال أهل النظم انه تعالى لما أمر نبيه أن يقول لزوجاته انهن مخيرات فهم منه أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يريد ضرر الغير فعليه أن يترك حق نفسه لحظ غيره فذكر فى هذه الآية أنه لا ينبغى أن يظن ظان أن هوى نفسه متبع وأن زمام الاختيار بيد الانسان كما فى حق زوجات النبى بل ليس لمؤمن ولا مؤمنة أن يكون له اختيار عند حكم الله ورسوله فأمر الله هو المتبع وقضاء الرسول هو الحق ومن خالف الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا لأن المقصد هو الله والهادى هو النبى فمن ترك المقصد وخالف الدليل ضل ضلالا لا يرعوى بعده ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أبصر زينب ذات يوم بعد ما أنكحها زيدا فوقعت فى نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لم يردها أولا

يقول لم يكن الله تعالى ليؤثم نبيه فيما أحل له مثال فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله فى أنه لم يؤثمهم بما احل لهم لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له ونصب قوله سنة الله على معنى حقا من الله كأنه قال فعلنا ذلك سنة منا وقوله وكان أمر الله قدرا مقدورا يقول وكان أمر الله قضاء مقضيا وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكان أمر الله قدرا مقدورا ان الله كان علمه معه قبل أن يخلق الاشياء كلها فأتمر فى علمه أن يخلق خلقا ويأمرهم وينهاهم ويجعل ثوابا لأهل طاعته وعقابا لأهل معصيته فلما أتمر ذلك الأمر قدره فلما قدره كتب وغاب عليه فسماه الغيب وأم الكتاب وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدة من الكتاب الذى كتبه أنه يصيبهم وقرأ أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا نفذ ذلك جاءتهم رسلنا يتوفونهم وأمر الله الذى ائتمر قدره حين قدره مقدرا فلا يكون الا ما فى ذلك وما فى ذلك الكتاب وفى ذلك التقدير ائتمر أمرا ثم قدره ثم خلق عليه فقال كان أمر الله الذى مضى وفرغ منه وخلق عليه الخلق قدرا مقدورا شاء أمرا ليمضى به أمره وقدره وشاء أمرا يرضاه من عباده فى طاعته فلما أن كان الذى شاء من طاعته لعباده رضيه لهم ولما أن كان الذى شاء أراد أن ينفذ فيه أمره وتدبيره وقدره وقرأ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس فشاء أن يكون هؤلاء من أهل النار وشاء أن تكون أعمالهم أعمال أهل النار فقال وكذلك زينا لكل أمة عملهم وقال وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم هذه أعمال أهل النار ولو شاء الله ما فعلوه قال وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الى قوله ولو شاء ربك ما فعلوه وقرأ وأقسموا بالله جهد أيمانهم الى كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله أن يؤمنوا بذلك قال فأخرجوه من اسمه الذى تسمى به قال هو الفعال لما يريد فزعموا أنه ما أراد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا الا الله وكفى بالله حسيبا ﴾ يقول تعالى ذكره سنة الله فى الذين خلوا من قبل محمد من الرسل الذين يبلغون رسالات الله الى من أرسلوا اليه ويخافون الله فى تركهم تبليغ ذلك اياهم ولا يخافون أحدا الا الله فانهم اياه يرهبون ان هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله الى من أرسلوا اليه يقول لنبيه محمد فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم فكن ولا تخش أحدا الا الله فان الله يمنعك من جميع خلقه ولا يمنعك أحد من خلقه منه ان أراد بك سوأ والذين من قوله الذين يبلغون رسالات الله خفض ردا على الذين التى فى قوله سنة الله فى الذين خلوا وقوله وكفى بالله حسيبا يقول تعالى ذكره وكفاك يا محمد بالله حافظا لأعمال خلقه ومحاسبا لهم عليها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما ﴾ يقول تعالى ذكره ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة ولا أبا أحد من رجالكم (١) الذين لم يلده محمد فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه اياها ولكنه رسول الله وخاتم النبيين الذى ختم النبوة فطبع عليها فلا تفتح لأحد بعده الى قيام الساعة وكان الله بكل شئ من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شئ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم

(١) لعله أى لم يلده الخ تأمل

ولو أرادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد فقطن وألقى الله فى نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لاجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انى أريد أن أفارق صاحبتى فقال مالك أرابك شئ منها قال لا  والله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تتكبر علىّ لشرفها فقال له أمسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أجد أحدا أوثق فى نفسى منك اخطب علىّ زينب قال زيد فانطلقت فاذا هى تخمر عجينها فلما رأيتها عظمت فى صدرى حتى ما أستطيع أن أنظر اليها حين علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهرى وقلت يا زينب أبشرى ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما أنا بصانعة شيأ حتى أؤامر ربى فقامت الى مسجدها ونزل القرآن فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل بها وما أولم على امرأة من نسائه ما أولم عليها ذبح شاة وأطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد النهار ولنرجع الى ما يتعلق بتفسير الالفاظ قوله (للذى) يعنى زيدا (أنعم الله عليه) بالايمان الذى هو أجل النعم وبتوفيق الاسباب حتى تبناه رسوله (وأنعمت عليه) أى بالاعتاق وبأنواع التربية والاختصاص وقوله (واتق الله) أى فى تطليقها فلا تفارقها نهى تنزيه لا تحريم أو أراد اتق فلا تذمها بالنسبة الى الكبر وايذاء الزوج والذى أخفى النبى صلى الله عليه وسلم فى نفسه هو تعلق قلبه بها أو مودة مفارقة زيد اياها أو علمه بأن زيدا سيطلقها وعن عائشة لو كتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ مما أوحى اليه لكتم هذه الآية وذلك أن فيه نوع تخالف الظاهر والباطن فى الظاهر وليس كذلك فى الحقيقة لان ميل النفس ليس يتعلق باختيار الآدمى فلا يلام عليه ولا هو مأمور بابدائه والذى أبداه كان مقتضى النصح والاشفاق والخشية والحياء من قالة الناس ان قلب النبى مال الى زوجة دعيه فبهذا التقدير عوتب بقوله (والله أحق أن تخشاه) فان حسنات

رجالكم قال نزلت فى زيد انه لم يكن ابنه ولعمرى ولقد ولد له ذكورا نه لأبو القاسم وابراهيم والطيب والمطهر ولكن رسول الله وخاتم النبيين أى آخرهم وكان الله بكل شئ عليما **حدثنى** محمد بن عمارة قال ثنا على بن قادم قال ثنا سفيان عن نسير بن ذعلوق عن على بن الحسين فى قوله ما كان محمد أبا أحد من رجالكم قال نزلت فى زيد بن حارثة والنصب فى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى تكرير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والرفع بمعنى الاستئناف ولكن هو رسول الله والقراءة النصب عندنا واختلفت القراء فى قراءة قوله وخاتم النبيين فقرأ ذلك قراء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين بمعنى أنه ختم النبيين ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ولكن نبيا ختم النبيين فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء بمعنى أنه الذى ختم الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم وقرأ ذلك فيما ذكر الحسن وعاصم خاتم النبيين بفتح التاء بمعنى أنه آخر النبيين كما قرأ مختوم خاتمه مسك بمعنى آخره مسك من قرأ ذلك كذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم ذكرا كثيرا فلا تخلوا أبدا نكم من ذكره فى حال من أحوال طاقتكم ذلك وسبحوه بكرة وأصيلا يقول صلوا له غدوة صلاة الصبح وعشيا صلاة العصر وقوله هو الذى يصلى عليكم وملائكته يقول تعالى ذكره ربكم الذى تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا اذا أنتم فعلتم ذلك الذى يرحمكم ويثنى عليكم هو ويدعو لكم ملائكته وقيل ان معنى قوله يصلى عليكم وملائكته يشيع عنكم الذكر الجميل فى عباد الله وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور يقول تدعو ملائكة الله لكم فيخرجكم الله من الضلالة الى الهدى ومن الكفر الى الاسلام * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله اذكروا الله ذكرا كثيرا يقول لا يفرض على عباده فريضة الا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها فى حال عذر غير الذكر فان الله لم يجعل له حدا ينتهى اليه ولم يعذر أحدا فى تركه الا مغلوبا على عقله قال اذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم بالليل والنهار فى البر والبحر وفى السفر والحضر والغنى والفقر والسقم والصحة والسر والعلانية وعلى كل حال وقال سبحوه بكرة وأصيلا فاذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله عز وجل هو الذى يصلى عليكم وملائكته **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسبحوه بكرة وأصيلا صلاة الغداة وصلاة العصر وقوله ليخرجكم من الظلمات الى النور أى من الضلالات الى الهدى **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور قال من الضلالة الى الهدى قال والضلالة الظلمات والنور الهدى وقوله وكان بالمؤمنين رحيما يقول تعالى ذكره وكان بالمؤمنين به ورسوله ذا رحمة أن يعذبهم وهم له مطيعون ولأمره متبعون تحيتهم يوم يلقونه سلام يقول جل ثناؤه تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة فى الجنة سلام يقول بعضهم لبعض منة لنا ولكم

بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذبنا بالنار أبدا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تحيتهم يوم يلقونه سلام قال تحية أهل الجنة السلام وقوله وأعد لهم أجرا كريما يقول وأعد لهؤلاء المؤمنين ثوابا لهم على طاعتهم اياه فى الدنيا كريما وذلك هو الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأعد لهم أجرا كريما أى الجنة

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا محمد انا أرسلناك شاهدا على أمتك بابلاغك اياهم ما أرسلناك به من الرسالة ومبشرهم بالجنة ان صدقوك وعملوا بما جئتهم به من عند ربك ونذيرا من النار أن يدخلوها فيعذبوا بها ان هم كذبوك وخالفوا ما جئتهم به من عند الله و بالذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا على أمتك بالبلاغ ومبشرا بالجنة ونذيرا بالنار وقوله وداعيا الى الله يقول وداعيا الى توحيد الله و إفراد الالوهة له واخلاص الطاعة لوجهه دون كل من سواه من الآلهة والأوثان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وداعيا الى الله الى شهادة أن لا اله الا الله وقوله باذنه يقول بأمره اياك بذلك وسراجا منيرا يقول وضياء لخلقه يستضىء بالنور الذى أتيتهم به من عند الله عباده منيرا يقول ضياء ينير لمن استضاء بضوئه وعمل بما أمره وانما يعنى بذلك أنه يهدى به من اتبعه من أمته وقوله و بشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا يقول تعالى ذكره و بشر أهل الايمان بالله يا محمد بأن لهم من الله فضلا كبيرا يقول بأن لهم من ثواب الله على طاعتهم اياه تضعيفا كثيرا وذلك هو الفضل الكبير من الله لهم وقوله ولا تطع الكافرين والمنافقين يقول ولا تطع لقول كافر ولا منافق فتسمع منه دعاءه اياك الى التقصير فى تبليغ رسالات الله الى من أرسلك بها اليه من خلقه ودع أذاهم يقول وأعرض عن أذاهم لك واصبر عليه ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله فى عباده والنفوذ لما كلفك

* و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ودع أذاهم قال أعرض عنهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ودع أذاهم أى اصبر على أذاهم وقوله وتوكل على الله يقول وفوض الى الله أمورك وثق به فانه كافيك جميع من دونه حتى يأتيك أمره وقضاؤه وكفى بالله وكيلا يقول وحسبك بالله قيما بأمورك وحافظا لك وكالئا

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن يعنى من قبل أن تجامعوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها يعنى من احصاء أقراء ولا أشهر تحصونها عليهن فمتعوهن يقول أعطوهن ما يستمتعن به من عرض أو عين مال وقوله وسرحوهن سراحا جميلا يقول وخلوا سبيلهن تخلية بالمعروف وهو التسريح

الابرار سيئات المقربين فلعل الاولى بالنبى ان يسكت عن امساكه حذرا من عقاب الله على ترك الاولى كما سكت عن تطليقه حياء من الناس قال جار الله الواوات فى قوله وتخفى واخفاء خلافه وخشية الناس والله احق أن تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك قوله (فلما قضى زيد منها) حاجته ولم يبق له فيها رغبة وطلقها وانقضت عدتها (زوجناكها) نفيا للحرج عن المؤمنين فى مثل هذه القضية فان الشرع كما يستفاد من قول النبى صلى الله عليه وسلم يستفاد من فعله أيضا بل الثانى يؤكد الاول ألا ترى أنه لما ذكر ما فهم منه حل الضب ثم لم يأكل يقى فى النفوس شىء وحيث أكل لحم الجمل طاب أكله مع أنه لا يؤكل فى بعض الملل وكذلك الأرنب وقوله (اذا قضوا منهن وطرا) يفهم منه نفى الحرج عند قضاء الوطر بالطريق الاولى عن الخليل قضاء الوطر بلوغ كل حاجة يكون فيها همة وأراد بها فى الآية الشهوة وقيل التطليق فلا اضمار على هذا (وكان أمر الله مفعولا) مكونا لا محالة ومن جملة أوامره ما جرى من قصة زينب ثم نزه جانب النبى صلى الله عليه وسلم عن قالة الناس بقوله (ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله) اى قسم وأوجب (له) و (سنة الله) مصدر مؤكد لما قبله أى سن الله نفى الحرج سنة فى الانبياء الذين خلوا فكان منهم من تحته أزواج كثيرة كداود وسليمن وسيجىء قصتهما فى سورة ص ومعنى قدرا مقدورا قضاء مقضيا هكذا قاله المفسرون ولعل قوله وكان أمر الله مفعولا اشارة الى القضاء وهذا الاخير اشارة الى القدر وقد عرفت الفرق بينهما مرارا وفى قوله ولا يخشون أحدا الا الله تعريض بما صرح به فى قوله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه والحسيب الكافى للخاوف أو المحاسب على الصغائر والكبائر فيجب أن لا يخشى الا هو ثم أكد مضمون الآى المتقدمة

الجميل

وهو أن زيدا لم يكن ابنا له فقال (ما كان محمد أبا أحد) فكان لقائل أن يقول أما كان أبا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم فلذلك قيل من رجالكم لخرجوا بهذا القدر من جهتين احداهما أن هؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال  وبهذا الوجه يخرج الحسن والحسين أيضا من النفي لانهما لم يكونا بالغين حينئذ والأخرى أنه أضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم وكذا الحسن والحسين أو أراد الأب الأقرب ومعنى الاستدراك في قوله (ولكن رسول الله) صلى الله عليه وسلم هو اثبات الابوة من هذه الجهة لان النبي كالأب لأمته من حيث الشفقة والنصيحة ورعاية حقوق التعظيم معه وأكد هذا المعنى بقوله (وخاتم النبيين) لأن النبي اذا علم أن بعده نبيا آخر فقد يترك بعض البيان والارشاد اليه بخلاف ما لو علم أن ختم النبوة عليه (وكان الله بكل شئ عليما) ومن جملة معلوماته أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ومجيء عيسى عليه السلام في آخر الزمان لا ينافي ذلك لأنه ممن نبئ قبله وهو يجيء على شريعة نبينا مصليا الى قبلته وكأنه بعض أمته ﴿التأويل﴾ لقد كان لكم في رسول الله أسوة أي كان في الاول مقدرا لكم متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فتعلقت قدرتنا باخراج أرواحكم من العدم الى الوجود عقيب اخراج روح الرسول من العدم الى الوجود أول ما خلق الله نورى أو روحي وبحسب القرب الى روح الرسول والبعد عنه يكون حال الاسوة وكل ما يجرى على الانسان من بداية عمره الى نهاية عمره من الافعال والاقوال والاخلاق والاحوال فمن كان يرجو الله كان عمله خالصا لوجه الله تعالى ومن كان يرجو اليوم الآخر يكون عمله للفوز بنعيم الجنان وكل هذه المقامات مشروط بالذكر وهو كلمة لا اله الا الله محمد رسول الله نفيا واثباتا وهما قدمان للسائرين الى الله وجناحان للطائرين بالله ولما رأى المؤمنون الاحزاب المجتمعين على اضلالهم واهلاكهم من النفس وصفاتها والدنيا وزينتها

الجميل * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فهذا في الرجل يتزوج المرأة ثم يطلقها من قبل أن يمسها فاذا طلقها واحدة بانت منه ولا عدة عليها تتزوج من شاءت ثم قرأ ومتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يقول ان كان سمى لها صداقا فليس لها الا النصف فان لم يكن سمى لها صداقا متعها على قدر عسره ويسره وهو السراح الجميل * وقال بعضهم المتعة في هذا الموضع منسوخة بقوله فنصف ما فرضتم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات الى قوله سراحا جميلا قال قال سعيد بن المسيب ثم نسخ هذا الحرف المتعة وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم حدثنا ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت قتادة يحدث عن سعيد بن المسيب قال نسخت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن قال نسخت هذه الآية التي في البقرة ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ (يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن يعني اللاتي تزوجتهن بصداق مسمى كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أزواجك اللاتي آتيت أجورهن قال صداقاتهن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن قال كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها الله له حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله خالصة لك من دون المؤمنين فما كان من هذه التسمية ما شاء كثيرا أو قليلا وقوله وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك يقول وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهن فملكتهن بالسباء وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك فأحل الله له صلى الله عليه وسلم من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته المهاجرات معه منهن دون من لم يهاجر منهن معه كما حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدي عن أبي صالح عن أم هانئ قالت خطبني النبي صلى الله عليه وسلم فاعتذرت له بعذري ثم أنزل الله عليه انا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله اللاتي هاجرن معك قالت فلم أحل له لم أهاجر معه كنت من الطلقاء وقد ذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود وبنات خالاتك

والشيطان واتباعه قالوا متوكلين على الله هذا ما وعدنا الله ورسوله ان البلاء موكل بالانبياء والاولياء ثم الامثل فالامثل من المؤمنين رجال يتصرفون فى الموجودات تصرف الذكور  فى الاناث صدقوا ما عاهدوا الله عليه أن لا يعبدوا غيره فى الدنيا والعقبى

والاتى هاجرن معك بواو وذلك وان كان كذلك فى قراءته محتمل أن يكون بمعنى قراءتنا بغير الواو وذلك أن العرب تدخل الواو وفى نعت من قد تقدم ذكره أحيانا كما قال الشاعر

فان رشيدا وابن مروان لم يكن * ليفعل حتى يصدر الامر مصدرا

ورشيد هو ابن مروان وكان الضحاك بن مزاحم يتأول قراءة عبد الله هذه أنهن نوع غير بنات خالاته وأنهن كل مهاجرة هاجرت مع النبى صلى الله عليه وسلم ذكر الخبر عنه بذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى حرف ابن مسعود والاتى هاجرن معك يعنى بذلك كل شئ هاجر معه ليس من بنات العم والعمة ولا من بنات الخال والخالة وقوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى يقول وأحللنا له امرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى بغير صداق كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى بغير صداق فلم يكن يفعل ذلك وأحل له خاصة من دون المؤمنين وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله وامرأة مؤمنة وهبت نفسها للنبى بغير إن ومعنى ذلك ومعنى قراءتنا وفيها ان واحد وذلك كقول القائل فى الكلام لا بأس أن يطأ جارية مملوكة ان ملكها وجارية مملوكة ملكها وقوله ان أراد النبى أن يستنكحها يقول ان أراد أن ينكحها فحلال له أن ينكحها اذا وهبت نفسها له بغير مهر خالصة لك يقول لا يحل لأحد من أمتك أن يقرب امرأة وهبت نفسها له وانما ذلك لك يا محمد خالصة أخلصت لك من دون سائر أمتك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة خالصة لك من دون المؤمنين يقول ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر ولى ولا مهر إلا للنبى كانت له خالصة من دون الناس ويزعمون أنها نزلت فى ميمونة بنت الحرث انها التى وهبت نفسها للنبى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك الى قوله خالصة لك من دون المؤمنين قال كان كل امرأة آتاها مهرا فقد أحلها الله له الى أن وهب هؤلاء أنفسهن له فأحلن له دون المؤمنين بغير مهر خالصة لك من دون المؤمنين الا امرأة لها زوج حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن صالح بن مسلم قال سألت الشعبى عن امرأة وهبت نفسها لرجل قال لا يكون لاتحل له انما كانت للنبى صلى الله عليه وسلم واختلفت القراء فى قراءة قوله ان وهبت نفسها فقرأ ذلك عامة قراء الامصار ان وهبت بكسر الألف على وجه الجزاء بمعنى ان تهب وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ أن وهبت بفتح الألف بمعنى وأحللنا له امرأة مؤمنة أن ينكحها لهبتها له نفسها والقراءة التى لا أستجيز خلافها فى كسر الألف لاجماع الحجة من القراء عليه وأما قوله خالصة لك من دون المؤمنين ليس ذلك للمؤمنين وذكر أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تنزل عليه هذه الآية أن يتزوج أى النساء شاء فقصره الله على هؤلاء فلم يعدهن وقصر سائر أمته على مثنى وثلاث ورباع ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر بن سليمن قال سمعت داود بن أبى هند عن محمد بن أبى موسى عن زياد رجل من الانصار عن أبى بن كعب أن التى أحل الله للنبى من النساء هؤلاء اللاتى ذكر الله يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن الى قوله فى أزواجهم

فمنهم من قضى نحبه فوصل الى مقصده ومنهم من ينتظر الوصول وهو فى السير وهذا حال المتوسطين وكفى الله المؤمنين القتال بريح القهر اذهبت على النفوس فأبطلت شهواتها وعلى الشيطان فردت كيده وعلى الدنيا فأزالت زينتها وأنزل الذين ظاهروهم أى أعانوا النفس والشيطان والهوى على القلوب من أهل الكتاب طالبى الرخص لارباب الطلب المنكرين أحوال اهل القلوب من صياصيهم هى حصون تكبرهم وتجبرهم وأنزل وقعهم من حصون اعتقاد أرباب الطلب كيلا يقتدوا بهم ولا يغتروا بأقوالهم وقذف بنور قلوبهم فى قلوب النفوس والشياطين الرعب فريقا تقتلون وهم النفس وصفاتها والشيطان وأتباعه وتأسرون فريقا وهم الدنيا وجاهها وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم لتنفقوا فى سبيل الله وتجعلوها بذر مزرعة الآخرة وأرضا لم تطؤها يشير الى مقامات وكمالات لم يبلغوها فيبلغوها باستعمال الدنيا فان ذلك بعد الوصول لا يضر لانه يتصرف بالخلق للحق قل لازواجك فيه اشارة الى أن حب الدنيا يمنعهن من صحبة النبى صلى الله عليه وسلم مع أنهن محال النطفة الانسانية فى عالم الصورة فكيف لا يضر حب الدنيا لاهل القلوب الذين قلوبهم أرحام النطفة الروحانية الربانية والأجر العظيم هو لقاء الله العظيم فمن أحب غير الله وان كان الجنة نقص من الاجر بقدر ذلك الا محبة النبى صلى الله عليه وسلم لان محبة الجنة بالحظ دون الحق فيها ما تشتهى الانفس ومحبة النبى صلى الله عليه وسلم بالحق لا الحظ قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ومضاعفة العذاب سقوطهن عن قرب الله وعن الجنة وانما

كما أن ايتاء الاجر مرتين عبارة عن هذين وكان من دعاء السرى السقطى اللهم ان كنت تعذبنى بشئ فلا تعذبنى بذل الحجاب وانرزق الكريم زرق المشاهدات الربانية يانساء النبى هم الذين أسلموا أرحام قلوبهم لتصرفات  ولاية الشيخ ليست احوالهم كأحوال غيرهم

وانما أحل الله للمؤمنين مثنى وثلاث ورباع حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك الى آخر الآية قال حرم الله عليه ما سوى ذلك من النساء وكان قبل ذلك ينكح فى أى النساء شاء لم يحرم ذلك عليه فكان نساؤه يجدن من ذلك وجدا شديدا أن ينكح فى أى الناس أحب فلما أنزل الله انى قد حرمت عليك من الناس سوى ما قصصت عليك أعجب ذلك نساءه واختلف أهل العلم فى التى وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنات وهل كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة كذلك فقال بعضهم لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين فأما بالهبة فلم يكن عنده منهن أحد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن عنبسة بن الازهر عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى قال ان تهب وأما الذين قالوا قد كان عنده منهن فان بعضهم قال كانت ميمونة بنت الحرث وقال بعضهم هى أم شريك وقال بعضهم زينب بنت خزيمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن ابن عباس قال وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى قال هى ميمونة بنت الحرث * وقال بعضهم زينب بنت خزيمة أم المساكين امرأة من الأنصار حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال ثنى الحكم قال كتب عبد الملك الى أهل المدينة يسألهم قال فكتب اليه على قال شعبة وهو ظنى على بن حسين قال وقد أخبرنى به أبان بن تغلب عن الحكم أنه على بن الحسين الذى كتب اليه قال هى امرأة من الأسد يقال لها أم شريك وهبت نفسها للنبى * قال ثنا شعبة قال ثنى عبد الله بن أبى السفر عن الشعبى أنها امرأة من الانصار وهبت نفسها للنبى وهى ممن أرجأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن خولة بنت حكيم بن الأوقص من بنى سليم كانت من اللاتى وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم * قال ثنى سعيد بن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه قال كنا نتحدث أن أم شريك كانت وهبت نفسها للنبى صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة صالحة وقوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم يقول تعالى ذكره قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين فى أزواجهم اذا أرادوا نكاحهن مما لم نفرضه عليك وما خصصناهم به من الحكم فى ذلك دونك وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحل لهم عقد نكاح على حرة مسلمة الا بولى عصبة وشهود عدول ولا يحل لهم منهن أكثر من أربع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه قال ثنا مطهر قال ثنا على بن الحسين قال ثنى أبى عن مطر عن قتادة فى قول الله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم قال ان مما فرض الله عليهم أن لا نكاح إلا بولى وشاهدين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم قال فى الاربع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن

من الخلق ان تثقين بالله من غيره فلا تخضعن بالقول لشئ من الدارين فان كثيرا من الصادقين خضعوا بالقول لأرباب الدنيا الذين فى قلوبهم مرض حب المال والجاه فاستجروهم ووقعوا فى ورطة الهلاك والحجاب فالقول المعروف وهو المتوسط الذى لا يكون فيه الميل الكلى الى أهل الدنيا أصوب والى الحق أقرب وقرن فى بيوتكن من عالم الملكوت ولا تبرجن فى عالم الحواس راغبين فى زينة الدنيا كعادة الجهلة وأقمن الصلاة التى هى معراج المؤمن يرفع يده من الدنيا ويكبر عليها ويقبل على الله بالاعراض عما سواه ويرجع من مقام تكبر الانسان الى خضوع ركوع الحيوان ومنه الى خشوع سجود النبات ثم الى قعود الجماد فانه بهذا الطريق أهبط الى أسفل القالب فيكون رجوعه بهذا الطريق الى أن يصل الى مقام الشهود الذى كان فيه فى البداية الروحانية ثم يتشهد بالتحية والثناء على الحضرة ثم يسلم عن يمينه على الآخرة ومافيها وعن شماله على الدنيا ومافيها وايتاء الزكاة بذل الوجود المجازى لنيل الوجود الحقيقى الرجس لوث الحدوث والبيت لأهل الوحدة بيت القلب يتلى فيه آيات الواردات والكشوف ان الذين استسلموا للاحكام الأزلية وآمنوا بوجود المعارف الحقيقية وفنوا أى أغرقوا الوجود فى الطاعة والعبودية وصدقوا فى عهدهم

 وصبروا على الخصال الحميدة وعن الأوصاف الذميمة وخشعوا أى أطرقت سرائرهم عند بوادهه الحقيقة وتصدقوا بأموالهم وأعراضهم حتى لم يبق لهم مع أحد خصومة وصاموا بالامساك عن الشهوات

قتادة قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم قال كان مما فرض الله عليهم أن لا تزوج امرأة الا بولى وصداق عند شاهدى عدل ولا يحل لهم من النساء الا أربع وما ملكت أيمانهم وقوله وما ملكت أيمانهم يقول تعالى ذكره قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين فى أزواجهم لأنه لا يحل لهم منهن أكثر من أربع وما ملكت أيمانهم فان جميعهن اذا كن مؤمنات أو كتابيات لهم حلال بالسباء والتسرى وغير ذلك من أسباب الملك وقوله لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما يقول تعالى ذكره انا أحللنا لك يا محمد أزواجك اللواتى ذكرنا فى هذه الآية وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى ان أراد النبى أن يستنكحها لكيلا يكون عليك إثم وضيق فى نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف التى أبحت لك نكاحهن من المسميات فى هذه الآية وكان الله غفورا لك ولأهل الايمان بك رحيما بك وبهم أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزنّ ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما فى قلوبكم وكان الله عليما حليما﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء فقال بعضهم عنى بقوله ترجى تؤخر وبقوله تؤوى تضم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ترجى من تشاء منهن يقول تؤخر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ترجى من تشاء منهن قال تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء وتؤوى اليك من تشاء قال ترد ها اليك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء قال فجعله الله فى حل من ذلك أن يدع من يشاء منهن ويأتى من يشاء منهن بغير قسم وكان نبى الله يقسم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن منصور عن أبى رزين ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء قال لما أشفقن أن يطلقهن قلن يا نبى الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت فكان ممن أرجأ منهن سودة بنت زمعة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة وكان ممن آوى اليه عائشة وأم سلمة وحفصة وزينب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء فما شاء صنع فى القسمة بين النساء أحل الله له ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى رزين فى قوله ترجى من تشاء منهن وتؤوى اليك من تشاء وكان ممن آوى عليه السلام عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة فكان قسمه من نفسه لهن سوى قسمه وكان ممن أرجى سودة وجويرية وصفية وأم حبيبة وميمونة فكان يقسم لهن ما شاء وكان أراد أن يفارقهن فقلن اقسم لنا من نفسك ما شئت ودعنا نكون على حالنا * وقال آخرون معنى ذلك تطلق وتخلى سبيل من شئت من نسائك وتمسك من شئت منهن فلا تطلق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ترجى من تشاء منهن أمهات المؤمنين وتؤوى اليك من تشاء يعنى نساء النبى صلى الله عليه وسلم

وعن رؤية الدرجات وحفظوا فروجهم فى الظاهر عن الحرام وفى الباطن عن زوائد الحلال وذكروا الله بجميع أجزاء وجودهم الجسمانية والروحانية وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا صدر أمر عن المكلف أو عليه فان كان مخالفا للشرع وجب عليه الاناية والاستغفار وان كان موافقا للشرع فان كان موافقا لطبعه وجب عليه الشكر وان كان مخالفا لطبعه وجب أن يستقبله بالصبر والرضا وفى قوله والله أحق أن تخشاه دلالة على أن المخلصين على خطر عظيم حتى انهم يؤاخذون بميل القلب وحديث النفس وذلك لقوة صفاء باطنهم فاللطيف أسرع تغيرا فلما قضى زيد منها وطرا قضاء شهوته بين الخلق الى قيام الساعة ما كان على النبى من حرج فيما فيه أمان هو نقصان فى نظر الخلق فانه كمال عند الحق الا اذا كان النظر للحق ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه أن نسبة المتابعين الى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم كنسبة الابن الى الأب الشفيق ولهذا قال كل حسب ونسب ينقطع الا حسبى ونسبى ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام واعد لهم أجرا كريما يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا يا أيها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا يا أيها النبى انا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى

ان أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان الله غفورا رحيما ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى

ويعني بالارجاء يقول من شئت خليت سبيله منهن ويعني بالايواء يقول من أحببت أمسكت منهن * وقال آخرون بل معنى ذلك تترك نكاح من شئت وتنكح من شئت من نساء أمتك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن في قوله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء قال كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوجها أو يتركها وقيل ان ذلك انما جعل الله لنبيه حين غار بعضهن على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن من النفقة زيادة على الذي كان يعطيها فأمره الله أن يخير هن بين الدار الدنيا والآخرة وأن يخلي سبيل من اختار الحياة الدنيا وزينتها ويمسك من اختار الله ورسوله فلما اخترن الله ورسوله قيل لهن اقررن الآن على الرضا بالله وبرسوله قسم لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو لم يقسم أو قسم لبعضكن ولم يقسم لبعضكن وفضل بعضكن على بعض في النفقة أو لم يفضل سوى بينكن أو لم يسو قال الأمر في ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لكم من ذلك شئ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم الا امرأة منهن أراد طلاقها فرضيت بترك القسم لها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن أبي رزين قال لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يطلق أزواجه قلن له افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت فأمره الله فآوى أربعا وأرجى خمسا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا عبيدة بن سليمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل حتى أنزل الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء فقلت ان ربك ليسارع في هواك حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن بشر يعني العبدي عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها كانت تغير النساء اللاتي وهبن أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت أما تستحي امرأة أن تعرض نفسها بغير صداق فنزلت أو فما نزل الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فقلت اني لأرى ربك يسارع لك في هواك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله ترجي من تشاء منهن وتؤوي اليك من تشاء الآية قال كان أزواجه قد تغايرن على النبي صلى الله عليه وسلم فهجرهن شهرا ثم نزل التخيير من الله له فيهن فقصر أحق بلغ ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى فخيرهن بين أن يخترن أن يخلي سبيلهن ويسرحهن وبين أن يقمن ان أردن الله ورسوله على أن هن أمهات المؤمنين لا ينكحن أبدا وعلى أنه يؤوي اليه من يشاء منهن ممن وهب نفسه له حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه اليها ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل فلا جناح عليه ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين اذا علمن أنه من قضائي عليهن ايثار بعضهن على بعض ذلك أدنى أن يرضين قال ومن ابتغيت ممن عزلت من ابتغى أصابه ومن عزل لم يصبه فخيرهن بين أن يرضين بهذا أو يفارقهن فاخترن الله ورسوله الا امرأة واحدة بدوية ذهبت وكان على ذلك صلوات الله عليه وقد شرط الله له هذا الشرط ما زال يعدل بينهن حتى لقي الله * وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره جعل لنبيه

أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن والله يعلم ما في قلوبكم وكان الله عليما حليما لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما ان تبدوا شيئا أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما

لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا يسألك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك

لعل الساعة تكون قريبا ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تقلب وجوههم في النار
يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا (٣٠) وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب

أن يرجى من النساء اللواتي أحللهن له من يشاء ويؤوي اليه منهن من يشاء وذلك أنه لم يحصر معنى الارجاء والايواء على المنكوحات اللواتي كن في حباله عند ما نزلت هذه الآية دون غيرهن ممن يستحدث ايواؤها أو ارجاؤها منهن واذ كان ذلك كذلك فمعنى الكلام تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك وأحللت لك نكاحها فلا تقبلها ولا تنكحها أو ممن هن في حبالك فلا تقربها وتضم اليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك أو أردت من النساء التي أحللت لك نكاحهن فتقبلها أو تنكحها وممن هي في حبالك فتجامعها اذا شئت وتتركها اذا شئت بغير قسم وقوله ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ومن نكحت من نسائك بشامعت ممن لم تنكح فعزلته عن الجماع فلا جناح عليك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك قال جميعا هذه في نسائه ان شاء أتى من شاء منهن ولا جناح عليه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن ابتغيت ممن عزلت قال ومن ابتغى أصابه ومن عزل لم يصبه * وقال آخرون معنى ذلك ومن استبدلت ممن أرجيت فخليت سبيله من نسائك أو ممن مات منهن ممن أحللت لك فلا جناح عليك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن يعني بذلك النساء اللاتي أحل الله له من بنات العم والعمة والخال والخالة واللاتي هاجرن معك يقول ان مات من نسائك اللاتي عندك أحد أو خليت سبيله فقد أحللت لك أن تستبدل من اللاتي أحللت لك مكان من مات من نسائك اللاتي هن عندك أو خليت سبيله منهن ولا يصلح لك أن تزداد على عدة نسائك اللاتي عندك شيأ * وأولى التأويلين بالصواب في ذلك تأويل من قال معنى ذلك ومن ابتغيت إصابته من نسائك ممن عزلت عن ذلك منهن فلا جناح عليك لدلالة قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن على صحة ذلك لأنه لا معنى لان تقر أعينهن اذا هو صلى الله عليه وسلم استبدل بالميتة أو المطلقة منهن الا أن يعني بذلك ذلك أدنى أن تقر أعين المنكوحة منهن وذلك مما يدل عليه ظاهر التنزيل بعيد وقوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن يقول هذا الذي جعلت لك يا محمد من اذني لك أن ترجي من تشاء من النساء اللواتي جعلت لك ارجاءهن وتؤوي من تشاء منهن ووضعي عنك الحرج في ابتغائك اصابة من ابتغيت اصابته من نسائك وعزلك عن ذلك من عزلت منهن أقرب لنسائك أن تقر أعينهن به ولا يحزن ويرضين كلهن بما آتيتهن كلهن من تفضيل من فضلت من قسم أو نفقة وايثار من آثرت منهن بذلك على غيره من نسائك اذا هن علمن أنه من رضاي منك بذلك واذني لك به واطلاقي مني لا من قبلك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اذا علمن أن هذا جاء من الله لرخصة كان أطيب لأنفسهن وأقل لحزنهن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ذلك نحوه * والصواب من القراءة في قوله بما آتيتهن كلهن الرفع غير جائز غيره عندنا وذلك أن كلهن ليس بنعت للهاء في قوله

والعنهم لعنا كبيرا يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ۞ القراآت ترجي بغير همز أبو جعفر ونافع وحمزة وعلي وحفص وخلف والأعشى والمفضل وعباس لا تحل بتاء التأنيث أبو عمرو ويعقوب اناه بالامالة وغيرها مثل الحوايا في الانعام وافق الخزاز عن هبيرة ههنا بالامالة ساداتنا بالألف وبكسر التاء ابن عامر وسهل ويعقوب وجبلة الباقون على التوحيد كبيرا بالباء الموحدة عاصم وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بالثاء المثلثة ۞ الوقوف كثيرا لا وأصيلا ه النور ط رحيما ه سلام ج لاحتمال الجملة حالا واستئنافا كريما ه ونذيرا لا منيرا ه كبيرا ه على الله ط وكيلا ه تعتدونها ج لانقطاع النظم مع الفاء جميلا ه معك ج لاحتمال ما بعده العطف والنصب على المدح مع أن طول الكلام يرجح جانب الوقف يستنكحها ق للعدول على تقدير جعلناها خالصة المؤمنين ه حرج ط رحيما ه اليك من تشاء ط آتيتهن لان ما بعده واو استئناف دخل على الشرط عليك ط كلهن ط قلوبكم ط حليما ه يمينك ط رقيبا ه اناه لا للعطف

مع الاستدراك لحديث ط منكم ط فصلا بين وصف الخلق وحال الحق مع اتفاق الجملتين من الحق ط لابتداء حكم آخر حجاب ط
وقلوبهن ط أبدا ط عظيما ٥ عليما ٥ أيمانهن لا والوقف أجوز لتكون الواو (٣١) للاستئناف واتقين الله ط شهيدا ٥

آتيتهن وانما معنى الكلام ويرضين كلهن فانما هو توكيد لما في يرضين من ذكر النساء واذا جعل توكيد اللهاء التي في آتيتهن لم يكن له معنى والقراءة بنصبه غير جائزة لذلك ولاجماع الحجة من القراء على تخطئة قارئه كذلك وقوله والله يعلم ما في قلوبكم يقول والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها الى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة يقول فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهن ممن عزلت تفضلا منه عليك بذلك وتكرمة وكان الله عليما يقول وكان الله ذا علم بأعمال عباده وغير ذلك من الأشياء كلها حليما يقول ذا حلم عن عباده أن يعاجل أهل الذنوب منهم بالعقوبة ولكنه ذو حلم وأناة عنهم ليتوب من تاب منهم وينيب من ذنوبه من أناب منهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شئ رقيبا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى لا يحل لك النساء من بعد فقال بعضهم معنى ذلك لا يحل لك أن تنساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا يحل لك النساء من بعد الآية الى رقيبا قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج بعد نسائه الأول شيأ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يحل لك النساء من بعد الى قوله الا ما ملكت يمينك قال لما خيرهن فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهن فقال لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج وهن التسع التي اخترن الله ورسوله * وقال آخرون انما معنى ذلك لا يحل لك النساء بعد التي أحللنا لك بقولنا يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك الى قوله اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي وكأن قائلي هذه المقالة وجهوا الكلام الى أن معناه لا يحل لك من النساء الا اللاتي أحللناهن لك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى عن زياد قال لأبي بن كعب هل كان للنبي صلى الله عليه وسلم لو مات أزواجه أن يتزوج قال ما كان يحرم عليه ذلك فقرأت عليه هذه الآية يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك قال فقال أحل له ضربا من النساء وحرم عليه ما سواهن أحل له كل امرأة آتى أجرها وما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته وكل امرأة وهبت نفسها له ان أراد أن يستنكحها خالصة له من دون المؤمنين حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبي موسى عن زياد الانصاري قال قلت لأبي بن كعب أرأيت لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال وما يحرم ذلك عليه قال قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد قال انما أحل الله له ضربا من النساء حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود بن أبي هند قال ثني محمد ابن أبي موسى عن زياد رجل من الانصار قال قلت لأبي بن كعب أرأيت لو أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم توفين أما كان له أن يتزوج فقال وما يمنعه من ذلك ورب ما قال داود وما يحرم عليه ذلك قلت قوله لا يحل لك النساء من بعد فقال انما أحل الله له ضربا من النساء فقال يا أيها النبي انا أحللنا لك أزواجك الى قوله ان وهبت نفسها للنبي ثم قيل له لا يحل لك النساء من بعد

النبي ط تسليما ٥ مهينا ٥ مبينا ٥ جلابيبهن ط يؤذين ط رحيما ٥ قليلا ٥ ج لأن قوله ملعونين يحتمل أن يكون حالا أو منصوبا على الشتم ملعونين ٥ ج لان الجملة الشرطية تصلح وصفا واستئنافا تقتيلا ٥ قبل ط تبديلا ٥ الساعة ط عند الله ط قريبا ٥ سعيرا لا أبدا ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف نصيرا ٥ ج لاحتمال تعلق الظرف بلا يجدون أو بيقولون أو باذكر الرسولا ٥ السبيلا ٥ كبيرا ٥ قالوا ط وجيها ٥ سديدا ٥ لا ذنوبكم ٥ عظيما ٥ الانسان ط جهولا ٥ لا والمؤمنات ط رحيما ٥ ﴿ التفسير اعلم أن مبنى هذه السورة على تأديب النبي صلى الله عليه وسلم وقدم أنه سبحانه بدأ بذكر ما ينبغي أن يكون عليه النبي مع الله وهو التقوى وذكر ما ينبغي أن يكون عليه مع أهله فأمر بعد ذلك عامة المؤمنين بما أمر به عباده المرسلين وبدأ بما يتعلق بجانب التعظيم لله وهو الذكر الكثير وفيه لطيفة وهي أن النبي لكونه من المقربين لم يكن ناسيا فلم يؤمر بالذكر بل أمر بالتقوى والمحافظة عليها فانها تكاد لا تتناهى والتسبيح بكرة وأصيلا عبارة عن الدوام لأن مريد العموم قد يذكر الطرفين ويفهم منهما الوسط كقوله صلى الله عليه وسلم واوان أولكم وآخركم قال جار الله خص التسبيح بالذكر من جملة الذكر لفضله على سائر الأذكار ففيه تنزيه ذاته عما لا يجوز عليه ولقائل أن يقول هذا لا يطابق قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الذكر لا اله الا الله وجوز أن يراد بالذكر الكثير الاقبال على العبادات كلها ويراد بالتسبيح الصلاة وبالوقتين العموم كما مر أو صلاة الفجر والعشاءين

لان أداءها أشق ومراعاتها أشد ثم حرض المؤمنين على ذكره بأنه أيضا يذكرهم والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار فلعله أراد باللفظ المشترك كلا مفهوميه  كما ذهب اليه الشافعي أو في الكلام حذف أي وملائكته تصلي أو المراد بصلاة الملائكة

حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام بن سلم عن عنبسة عمن ذكره عن أبي صالح لا يحل لك النساء من بعد قال أمر أن لا يتزوج أعرابية ولا غريبة ويتزوج بعد من نساءتها مة ومن شاء من بنات العم والعمة والخال والخالة ان شاء ثلثمائة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة لا يحل لك النساء من بعد هؤلاء التي سمى الله إلا بنات عمك الآية حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله لا يحل لك النساء من بعد يعني من بعد التسمية يقول لا يحل لك امرأة الا ابنة عم أو ابنة عمة أو ابنة خال أو ابنة خالة أو امرأة وهبت نفسها لك من كان منهن ها جرمع نبي الله صلى الله عليه وسلم وفي حرف ابن مسعود واللاتي ها جرن معك يعني بذلك كل شيء ها جرمعه ليس من بنات العم والعمة ولا من بنات الخال والخالة * وقال آخرون بل معنى ذلك لا يحل لك النساء من غير المسلمات فأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله لا يحل لك النساء من بعد لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة * وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال معنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي انا احللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن الى قوله وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي وانما قلت ذلك أولى بتأويل الآية لأن قوله لا يحل لك النساء عقيب قوله انا أحللنا لك أزواجك وغير جائز أن يقول قد أحللت لك هؤلاء ولا يحللن لك الا بنسخ أحدهما صاحبه وعلى أن يكون وقت فرض احدى الآيتين فعل الأخرى منهما فاذ كان ذلك كذلك ولا برهان ولا دلالة على نسخ حكم احدى الآيتين حكم الأخرى ولا تقدم تنزيل احداهما قبل صاحبتها وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة لم يجز أن يقال احداهما ناسخة الاخرى واذا كان ذلك كذلك ولم يكن لقول من قال معنى ذلك لا يحل من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة معنى مفهوم اذ كان قوله من بعد انما معناه من بعد المسميات المتقدم ذكرهن في الآية قبل هذه الآية ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر إباحة المسلمات كلهن بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفيء الله عليه وبنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته اللاتي ها جرن معه وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم صح ما قلنا في ذلك دون قول من خالف قولنا فيه واختلفت القراء في قراءة قوله لا يحل لك النساء فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة يحل بالياء بمعنى لا يحل لك شيء من النساء بعد وقرأ ذلك بعض قراء أهل البصرة لا تحل لك النساء بالتاء توجيها منه الى أنه فعل للنساء والنساء جمع للكثير منهن * وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأه بالياء للعلة التي ذكرت لهم ولاجماع الحجة من القراء على القراءة بها وشذوذ من خالفهم في ذلك وقوله ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد المسلمات لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من الكوافر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال

في قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا الاستجابة دعوتهم كأنهم فعلوا الرحمة أو المراد القدر المشترك وهو العناية بحال المرحوم والمستغفر له وأصل الصلاة التعطف وذلك أن المصلي يتعطف في ركوعه وسجوده فاستعير لمن يتعطف على غيره حنوا وترؤفا ثم بين غاية الصلاة وهي اخراج المكلف من ظلمات الضلال الى نور الهدى وفي قوله (وكان بالمؤمنين رحيما) بشارة لجميع المؤمنين واشارة الى أن تلك الرحمة لا تخص السامعين وقت الوحي ومعنى (تحيتهم يوم يلقونه سلام) مذكور في أول يونس وفي ابراهيم وأراد بيوم اللقاء يوم القيامة لان الخلق مقبلون على الله بكليتهم بخلاف الدنيا والأجر الكريم هو ما يأتيه عفوا صافوا من غير شوب نغص ثم أشار الى ما ينبغي أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم عليه مع عامة الخلق فقال (انا أرسلناك شاهدا) وهي حال مقدرة أي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل قول الشاهد العدل وفيه أن الله تعالى جعل النبي شاهدا على وجوده بل على وحدانيته لان المدعى هو الذي يذكر شيأ بخلاف الظاهر والوحدانية أظهر من الشمس فلا ينبغي أن يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم مدع لها بل يقال انه شاهد عليها كما قال على مثل الشمس فاشهد وانه قد جازاه بشهادته لله شهادته على نبوته كما قال والله يشهد انك لرسوله والحاصل أنه شاهد في الدنيا بأحوال الآخرة من الجنة والنار والميزان والصراط وشاهد في الآخرة بأحوال الدنيا من الطاعة والمعصية ثنا والصلاح والفساد وانما قال (وداعيا الى الله باذنه) لان الشهادة للمرء لا تفتقر الى اذنه وكذلك الانذار والتبشير اذا قال من يطع الملك افلح

ومن عصاه لم يربح أما اذا قال تعالوا الى سماطه واحضروا على خوانه احتاج الى رضاه ويمكن أن يكون قوله باذنه متعلقا بمجموع الاحوال
أى بتسهيله أو تيسيره ووصف النبى عليه السلام بالسراج بأن ظلمات الضلال  تنجلى به كما ينجلى ظلام الليل بالسراج

ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولا أن تبدّل بالمسلمات غيرهنّ من النصارى واليهود والمشركين ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما ملكت يمينك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن أبى رزين فى قوله لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ إلا ما ملكت يمينك قال لا يحلّ لك أن تتزوج من المشركات الا من سبيت فملكته يمينك منهن * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا أن تبدّل بأزواجك اللواتى هنّ فى حبالك أزواجا غيرهن بأن تطلقهنّ وتنكح غيرهن ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ يقول لا يصلح لك أن تطلق شيأ من أزواجك ليس يعجبك فلم يكن يصلح ذلك له * وقال آخرون بل معنى ذلك ولا أن تبادل من أزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ قال كانت العرب فى الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يعطى هذا امرأته هذا ويأخذ امرأته فقال لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت أن تبادل فأما الحرائر فلا قال وكان ذلك من أعمالهم فى الجاهلية * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك ولا أن تطلق أزواجك فتستبدل بهنّ غيرهن أزواجا وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لما قد بينا قبل من أن قول الذى قال معنى قوله لا يحلّ لك النساء من بعد لا يحل لك اليهودية والنصرانية والكافرة قول لا وجه له فاذ كان ذلك كذلك فكذلك قوله ولا أن تبدّل بهنّ كافرة لا معنى له اذ كان من المسلمات من قد حرم عليه بقوله لا يحل لك النساء من بعد بالذى دللنا عليه قبل وأما الذى قاله ابن زيد فى ذلك أيضا فقول لا معنى له لأنه لو كان بمعنى المبادلة لكانت القراءة والتنزيل ولا أن تبادل بهن من أزواج أو ولا أن تبدّل بهنّ بضم التاء ولكن القراءة المجمع عليها ولا أن تبدّل بهنّ بفتح التاء بمعنى ولا أن تستبدل بهن مع أن الذى ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف فى أمة نعلمه من الأمم أن يبادل الرجل آخر بامرأته الحرة فيقال كان ذلك من فعلهم فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فعل مثله فان قال قائل أفلم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج امرأة على نسائه اللواتى كنّ عنده فيكون موجها تأويل قوله ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج الى ما تأولت أو قال وأين ذكر أزواجه اللواتى كنّ عنده فى هذا الموضع فتكون الهاء من قوله ولا أن تبدّل بهنّ من ذكرهنّ وتوهم أن الهاء فى ذلك عائدة على النساء فى قوله لا يحلّ لك النساء من بعد قيل قد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوج من شاء من النساء اللواتى كان الله أحلهنّ له على نسائه اللاتى كنّ عنده يوم نزلت هذه الآية وانما نهى صلى الله عليه وسلم بهذه الآية أن يفارق من كان عنده بطلاق أراد به استبدال غيرها بها لاعجاب حسن المستبدلة له بها اياه اذ كان الله قد جعلهنّ أمهات المؤمنين وخيرهن بين الحياة الدنيا والدار الآخرة والرضا بالله ورسوله فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة فحرم على غيره بذلك ومنع من فراقهنّ بطلاق فأما نكاح غيرهنّ فلم يمنع

وقد أمدّ الله بنور نبوّته نور البصائر كما يمدّ بنور السراج نور الأبصار وانما لم يشبه بالشمس لان الشمس لا يؤخذ منه شئ ويؤخذ من السراج سرج كثيرة وهم الصحابة والتابعون فى المثال ولهذا قال أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ووصفهم بالنجم لان النجم لا يؤخذ منه شئ والتابعى لا يأخذ من الصحابى فى الحقيقة وانما يأخذ من النبىّ ووصف السراج بالانارة لان السراج قد يكون فاترا ومنه قولهم ثلاثة تضنى رسول بطىء وسراج لا يضىء ومائدة ينتظرها من يجىء ويجوز أن يكون سراجا معطوفا على الكاف ويراد به القرآن ويجوز أن يكون المعنى وذا سراج أو تاليا سراجا قوله (ودع أذاهم) أى خذ بظاهرهم وادفع عنهم الاسر والقتل وحسابهم على الله واضافة أذاهم يحتمل أن يكون الى الفاعل والى المفعول ثم أمر المؤمنين بما يتعلق بجانب الشفقة على الخلق واكتفى بذكر الزوجات المطلقات قبل المسيس لانه اذا لزم الاحسان اليهنّ بمجرد العقد وهو المراد بالنكاح ههنا فبالوطء يكون أولى وقد مر حكمهنّ فى سورة البقرة وقوله وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وذلك لأجل تشطير الصداق وانما أعاد ذكرهن ههنا لبيان عدم وجوب العدّة عليهن وتخصيص المؤمنات بالذكر دون الكتابيات ايذان بأنهن أولى بتخيرهن للنطفة وفى قوله (ثم طلقتموهن) تنبيه على أنه لا تفاوت فى هذا الحكم بين قريبة العهد من النكاح وبين بعيدة العهد منه فاذا لم تجب العدّة على البعيدة العهد فلأن لا تجب على القريبة العهد أولى وقد يستدل بكلمة ثم على أن تعليق الطلاق بالنكاح لا يصح لان المعية تنافى التراخى وفى قوله (فما لكم عليهن) دليل على أن العدة

حق واجب للرجال على النساء وان كان لا يسقط باسقاطه لما فيها من حق الله تعالى أيضا ومعنى تعتدونها تستوفون عددها تقول عددت الدراهم فاعتدها نحو كلته فاكتاله ثم عاد  الى تعليم النبي صلى الله عليه وسلم وفائدة قوله اللاتي آتيت أجورهن وقوله مما أفاء الله عليك وقوله اللاتي هاجرن معك هي أن الله تعالى اختار لرسوله الافضل الاولى وذلك أن سوق المهور اليها عاجلا أفضل من أن تسميه وتؤجله وكان التعجيل ديدن السلف ومن الناس من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجب عليه اعطاء المهر لان المرأة لها الامتناع الى أن تأخذ مهرها والنبي عليه السلام لم يكن يستوفي ما لا يجب له كيف وانه اذا طلب شيأ حرم الامتناع على المطلوب منه والظاهر أن طالب الوطء ولا سيما في المرة الاولى يكون هو الرجل لحياء المرأة ولو طلب النبي صلى الله عليه وسلم من المرأة التمكين قبل المهر لزم أن يجب وأن لا يجب ولا كذلك أحدنا ومما يؤكد هذا قوله (وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي) صلى الله عليه وسلم يعني حينئذ لا يبقى لها صداق فتصير كالمستوفية مهرها والجارية اذا كانت سبية مالكها ومخطوبة سيفه ورمحه فانها أحل وأطيب من المشتراة لكونها غير معلومة الحال قال جار الله السبي على ضربين سبي طيبة وهي ما سبي من أهل الحرب وسبي خبثة وهي ما سبي ممن له عهد فلا جرم قال سبحانه مما أفاء الله عليك لان في فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث وكذلك اللاتي هاجرن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أقاربه غير المحارم أفضل من غير المهاجرات معه وانما لم يجمع العم والخال اكتفاء بجنسيتهما مع أن لجمع البنات دلالة على ذلك لامتناع اجتماع أختين تحت واحد ولم يحسن هذا الاقتصار في العمة والخالة لامكان سبق الوهم الى أن التاء فيهما للوحدة وشرط في استحلال الواهبة نفسها ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم

منه بل أحل الله ذلك له على ما بين في كتابه وقد روى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يقبض حتى أحل الله له نساء أهل الارض حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء تعني أهل الأرض حدثني عبيد بن اسمعيل الهباري قال ثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء حدثني العباس بن أبي طالب قال ثنا معلى قال ثنا وهيب عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير الليثي عن عائشة قالت ما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له أن يتزوج من النساء ما شاء حدثني أبو زيد عمر بن شبة قال ثنا أبو عاصم عن ابن جريج عن عطاء قال أحسب عبيد بن عمير حدثني قال أبو زيد وقال أبو عاصم مرة عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل الله له النساء قال وقال أبو الزبير شهدت رجلا يحدثه عطاء حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا موسى بن اسمعيل قال ثنا همام عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة قالت ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى حل له النساء فان قال قائل فان كان الامر على ما وصفت من أن الله حرم على نبيه بهذه الآية طلاق نسائه اللواتي خيرهن فاخترنه فما وجه الخبر الذي روي عنه أنه طلق حفصة ثم راجعها وأنه أراد طلاق سودة حتى صالحته على ترك طلاقه اياها ووهبت يومها لعائشة قيل كان ذلك قبل نزول هذه الآية والدليل على صحة ما قلنا من أن ذلك كان قبل تحريم الله على نبيه طلاقهن الرواية الواردة أن عمر دخل على حفصة معاقبها حين اعتزل رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه كان من قيله لها قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طلقك فكلمته فراجعك فوالله لئن طلقك أولو كان طلقك لا كلمته فيك وذلك لا شك قبل نزول آية التخيير لأن آية التخيير انما نزلت حين انقضى وقت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم على اعتزالهن وأما أمر الدلالة على أن أمر سودة كان قبل نزول هذه الآية ان الله انما أمر نبيه بتخيير نسائه بين فراقه والمقام معه على الرضا بأن لا قسم لهن وأنه يرجى من يشاء منهن ويؤوى منهن من يشاء ويؤثر من شاء منهن على من شاء ولذلك قال له تعالى ذكره ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ومن المحال أن يكون الصلح بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم جرى على تركها يومها لعائشة في حال لا يوم لها منه وغير جائز أن يكون كان ذلك منها الا في حال كان لها منه يوم هو لها حق كان واجبا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أداؤه اليها ولم يكن ذلك لهن بعد التخيير لما قد وصفت قبل فيما مضى من كتابنا هذا فتأويل الكلام لا يحل لك يا محمد النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك في الآية قبل ولا أن تطلق نساءك اللواتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة فتبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسن من أردت أن تبدل به منهن إلا ما ملكت يمينك وأن في قوله أن تبدل بهن رفع لأن معناها لا يحل لك النساء من بعد ولا الاستبدال بأزواجك والا في قوله الا ما ملكت يمينك استثناء من النساء ومعنى ذلك لا يحل لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك الا ما ملكت يمينك من الاماء فان لك أن تملك من أي أجناس الناس شئت من الاماء وقوله وكان الله على كل شئ رقيبا يقول وكان الله على كل شئ

كأنه قال أحللناها لك ان وهبت لك نفسها وأنت تريد أن تستنكحها وفيه أنه لابد من قبول الهبة حتى يتم النكاح وبه استدل أبو حنيفة على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة وحملها الشافعي على خصائص النبي صلى الله عليه وسلم  وعن أبي الحسن الكرخي أن عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتي آتيت أجورهن قال أبو بكر الرازي لا يصح لأن الاجارة عقد مؤقت وعقد النكاح مؤبد والظاهر أن خالصة حال من امرأة وقال جار الله هي مصدر مؤكد كوعد الله أي خلص لك الاحلال خلوصا وفائدة هذا الحال على مذهب الشافعي ظاهرة وقال أبو حنيفة أراد بها أنها زوجته وهي من أمهات المؤمنين فأورد عليه أن أزواجه كلهن خالصات له فلا يبقى لتخصيص الواهبة فائدة وقوله (قد علمنا ما فرضنا عليهم) جملة اعتراضية معناها أن الله قد علم ما يجب على المؤمنين في حق الأزواج وفي الاماء على أي حد وصفة ينبغي أن يكون ثم بين غاية الاحلال بقوله (لكيلا يكون عليك حرج) أي لئلا يكون عليك ضيق في دينك ولا في دنياك حيث أحللنا لك أصناف المنكوحات (وكان الله غفورا) للذي وقع في الحرج (رحيما) بالتوسعة والتيسير على عباده ثم بين أنه أحل له وجوه المعاشرة بهن من غير ايجاب قسم بينهن لانه صلى الله عليه وسلم بالنسبة الى أمته كالسيد المطاع فزوجاته كالمملوكات فلا قسم لهن والارجاء التأخير والايواء الضم وهما خبران في معنى الامر (ومن ابتغيت ممن عزلت) يعني اذا طلبت من كنت تركتها (فلا جناح عليك) في شئ من ذلك وهذه قسمة جامعة للغرض لانه اما أن يطلق واما أن يمسك واذا أمسك ضاجع أو ترك واذا ضاجع قسم أو لم يقسم واذا طلق أو عزل فاما أن يترك المعزولة أو يبتغيها يروى أنه أرجأ منهن سودة وجويرية وصفية وميمونة وأم حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن آوى اليه

ما أحل لك وحرم عليك وغير ذلك من الاشياء كلها حفيظا لا يعزب عنه علم شئ من ذلك ولا يؤده حفظ ذلك كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكان الله على كل شئ رقيبا أي حفيظا في قول الحسن وقتادة ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين إناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله لا يستحيي من الحق واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تدخلوا بيوت نبي الله الا أن تدعوا الى طعام تطعمونه غير ناظرين إناه يعني غير منتظرين ادراكه وبلوغه وهو مصدر من قولهم قد أنى هذا الشئ يأني اني وأنيا واناء قال الحطيئة

وآنيت العشاء الى سهيل * أو الشعرى فطال بي الاناء

وفيه لغة أخرى يقال قد آن لك أي تبين لك أينا ونال لك وأنال لك ومنه قول رؤبة بن العجاج

هاجت ومثلي نوله أن يربعا * حمامة ناحت حماما سجعا

ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الى طعام غير ناظرين إناه قال متحينين نضجه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس غير ناظرين إناه يقول غير ناظرين الطعام أن يصنع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة غير ناظرين إناه قال غير متحينين طعامه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله ونصب غير في قوله غير ناظرين إناه على الحال من الكاف والميم في قوله الا أن يؤذن لكم لأن الكاف والميم معرفة وغير نكرة وهي من صفة الكاف والميم وكان بعض نحويي البصرة يقول لا يجوز في غير الجر على الطعام الا أن تقول أنتم ويقول ألا ترى أنك لو قلت أبدى لعبد الله على امرأة مبغضا لها لم يكن فيه الا النصب الا أن تقول مبغض لها هو لأنك اذا أجريت صفته عليها ولم تظهر الضمير الذي يدل على أن الصفة له لم يكن كلاما لو قلت هذا رجل مع امرأة ملازمها كان لحنا حتى ترفع فتقول ملازمها أو تقول ملازمها هو فتجر وكان بعض نحويي الكوفة يقول لو جعلت غير في قوله غير ناظرين إناه خفضا كان صوابا لأن قبلها الطعام وهو نكرة فيجعل فعلهم تابعا للطعام لرجوع ذكر الطعام في اناه كما تقول العرب رأيت زيدا مع امرأة محسنا اليها ومحسن اليها فمن قال محسنا جعله من صفة زيد ومن خفضه فكأنه قال رأيته مع التي يحسن اليها فاذا صارت الصلة للنكرة اتبعتها وان كانت فعلا لغير النكرة كما قال الأعشى

فقلت له هذه هاتها * الينا بأدماء مقتادها

فجعل المقتاد تابعا لاعراب بأدماء لانه بمنزلة قولك بأدماء تقتادها فخفضه لانه صلة لها قال وينشد * بأدماء مقتادها * بخفض الادماء لاضافتها الى المقتاد قال ومعناه هاتها

عائشة وحفصة وام سلمة و زينب وروى أنه كان يسوى مع ما خير فيه الاسودة فانها وهبت ليلتها لعائشة وقالت لا تطلقنى حتى أحشر فى زمرة نسائك وقيل أراد تترك تزوج  من شئت من نساء أمتك وتتزوج من شئت وعن الحسن وكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امرأة لم يكن لاحد أن يخطبها حتى يدعها ومن قال ان القسم كان واجبا مع أنه ضعيف بالنسبة الى مفهوم الآية قال المراد تؤخر من ان شئت اذ لا يجب القسم فى الاقل وللزوج أن لا ينام عند أحد منهن (ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) فى ذلك فابدأ بمن شئت وتمم الدور والاول أقوى ثم قال (ذلك) التفويض الى مشيئتك (أدنى) الى قرة عيونهن وقلة حزنهن والى رضاهن جميعا لانه اذا لم يجب عليه القسم ثم انه يقسم بينهن حملهن ذلك على تلطفه وتخلصه وفى قوله (والله يعلم ما فى قلوبكم) وعيد لمن لم يرض منهن بما دبر الله له (وكان الله عليما) بذات الصدور (حليما) مع ذلك لا يعاجل بالعقوبة فتحالباب التوبة وقوله (كلهن) بالرفع تأكيد لنون يرضين وقرئ بالنصب تأكيدا لضمير المفعول فى آتيتهن ثم انه سبحانه شكر لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم اختيارهن الله ورسوله فأنزل (لا يحل لك النساء من بعد) قال أكثر المفسرين أى من بعد التسع المذكورة فالتسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الازواج كما أن الاربع نصاب أمته منهن وانه تعالى زاد فى اكرامهن بقوله (ولا أن تبدل بهن) أى ولا يحل لك أن تستبدل بهؤلاء التسع أزواجا أخر بكلهن أو بعضهن وأكد النفى بقوله (من أزواج) وفائدته استغراق جنس جماعات الازواج بالتحريم وذهب بعضهم الى أن الآية ليس فيها تحريم غيرهن ولا المنع من طلاقهن والمعنى لا يحل لك النساء من بعد اللواتى البيت نص على احلالهن من الأجناس الاربعة وأما غيرهن من الكتابيات والاماء بالنكاح والأعرابيات والغرائب فلا يحل لك التزوج بهن

على يدى من اقتادها وأنشد أيضا

وان امرأ أهدى اليك ودونه * من الارض موماة و بيداء فيهق
لمحقوقة أن تستجيبى لصوته * وأن تعلمى أن المعان موفق

وحكى عن بعض العرب سماعا ينشد

أرأيت اذ أعطيتك الود كله * ولم يك عندى ان أبيت إباء
أمسلمتى للموت أنت فميت * وهل للنفوس المسلمات بقاء

ولم يقل فميت أنا وقال الكسائى سمعت العرب تقول يدك باسطها يريدون أنت وهو كثير فى الكلام قال فعلى هذا يجوز خفض غير * والصواب من القول فى ذلك عندنا القول باجازة جر غير فى غير ناظرين فى الكلام لا فى القراءة لما ذكرنا من الابيات التى حكيناها فأما فى القراءة فغير جائز فى غير غير النصب لاجماع الحجة من القراء على نصبها وقوله ولكن اذا دعيتم فادخلوا يقول ولكن اذا دعاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فادخلوا البيت الذى أذن لكم بدخوله فاذا طعمتم فانتشروا يقول فاذا أكلتم الطعام الذى دعيتم لأكله فانتشروا يعنى فتفرقوا واخرجوا من منزله ولا مستأنسين لحديث فقوله ولا مستأنسين لحديث فى موضع خفض عطفا به على ناظرين كما يقال فى الكلام أنت غير ساكت ولا ناطق وقد يحتمل أن يقال مستأنسين فى موضع نصب عطفا على معنى ناظرين لان معناه الا أن يؤذن لكم الى طعام لا ناظرين إناه فيكون قوله ولا مستأنسين نصبا حينئذ والعرب تفعل ذلك اذا حالت بين الاول والثانى فترد أحيانا على لفظ الاول وأحيانا على معناه وقد ذكر الفراء أن أبا القمقام أنشده

أحبك لست الدهر رأى رامد * ولا عاقل الا وأنت حبيب
ولا مصعد فى المصعدين لمنعج * ولا هابطا ما عشت هضب شطيب

فرد مصعد على أن رأى فيه باء خافضة اذ حال بينه وبين المصعد بما حال بينهما من الكلام ومعنى قوله ولا مستأنسين لحديث ولا متحدثين بعد فراغكم من أكل الطعام إيناسا من بعضكم لبعض به كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا مستأنسين لحديث بعد أن تأكلوا واختلف أهل العلم فى السبب الذى نزلت هذه الآية فيه فقال بعضهم نزلت بسبب قوم طعموا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وليمة زينب بنت جحش ثم جلسوا يتحدثون فى منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم و برسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حاجة فمنعه الحياء من أمرهم بالخروج من منزله ذكر من قال ذلك حدثنى عمران بن موسى القزاز قال ثنا عبد الوارث قال ثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش فبعثت داعيا الى الطعام فدعوت فيجىء القوم يأكلون ويخرجون ثم يجىء القوم يأكلون ويخرجون فقلت يا نبى الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه قال ارفعوا طعامكم وان زينب لجالسة فى ناحية البيت وكانت قد أعطيت جمالا وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فى البيت وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل

وقوله ولا أن تبدل بهن منع من فعل الجاهلية وهو قولهم بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فكان ينزل كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه يحكى أن عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عيينة أين الاستئذان فقال يا رسول الله ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ أدركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال هذه عائشة أم المؤمنين قال عيينة أفلا أنزل لك عن أحسن الخلق فقال عليه السلام ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال أحمق مطاع وانه على ما ترين لسيد قومه وقوله (ولو أعجبك حسنهن) في موضع الحال أي مفروضا اعجابك بهن قال جار الله والأظهر أن جوابه محذوف يدل عليه ما قبله وهو لا يحل وفائدة هذه الشرطية التأكيد والمبالغة واستثنى ممن حرم عليه الاماء وفي قوله (وكان الله على كل شيء رقيبا) تحذير من مجاوزة حدوده واعلم أن ظاهر هذه الآية ناسخ لما كان قد ثبت له صلى الله عليه وسلم من تحريم مرغوبته على زوجها وفيه حكمة خفية وذلك أن الانبياء يشتد عليهم برحاء الوحي في أول الامر ثم يستأنسون به فينزل عليهم وهم يتحدثون مع أصحابهم فكان الحاجة الى تفريغ بال النبي تكون في أول الامر أكثر لوهي القوة ولعدم إلفه بالوحي فاذا تكاملت قوته وحصل إلفه بتعاقب الوحي لم يبق له الالتفات الى غير الله فلم يحتج الى احلال التزوج بمن وقع بصره عليها وعن عائشة ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء تعني أن الآية نسخت ونسخها إما بالسنة عند من يجوز نسخ القرآن بخبر الواحد وإما بقوله انا احللنا لك وترتيب النزول ليس على ترتيب المصحف ثم عاد الى ارشاد الأمة وحالهم مع النبي إما حال الخلوة فالواجب هناك احترام أهله وأشار اليه بقوله لا تدخلوا وإما حال الملأ فالواجب وقتئذ التعظيم بكل ما أمكن وذلك قوله ان الله وملائكته

---

البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فأتى حجر نسائه فقالوا مثل ما قالت عائشة فرجع النبي صلى الله عليه وسلم فاذا الثلاثة يتحدثون في البيت وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء فخرج النبي صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة فلا أدري أخبرته أو خبر أن الرهط قد خرجوا فرجع حتى وضع رجله في أسكفة داخل البيت والاخرى خارجه اذ أرخى الستر بيني وبينه وأنزلت آية الحجاب حدثني أبو معاوية بشر بن دحية قال ثنا سفيان عن الزهري عن أنس بن مالك قال سألني أبي بن كعب عن الحجاب فقلت أنا أعلم الناس به نزلت في شأن زينب أولم النبي صلى الله عليه وسلم عليها بتمر وسويق فنزلت يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم الى قوله ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن حدثني أحمد بن عبد الرحمن ابن وهب قال ثني عمي قال أخبرني يونس عن الزهري قال أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل في مبتنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من الطعام حتى خرجوا وبقي منهم رهط عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيت معه حتى جاء عتبة حجرة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يقوموا فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فضرب بيني وبينه سترا وأنزل الحجاب حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس قال دعوت المسلمين الى وليمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صبيحة بنى بزينب بنت جحش فأوسعهم خبزا ولحما ثم رجع كما كان يصنع فأتى حجر نسائه فسلم عليهن فدعون له ورجع الى بيته وأنا معه فلما انتهينا الى الباب اذا رجلان قد جرى بهما الحديث في ناحية البيت فلما أبصرهما ولى راجعا فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم ولى عن بيته وليا مسرعين فلا أدري أنا أخبرته أو أخبر فرجع الى بيته فأرخى الستر بيني وبينه ونزلت آية الحجاب حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس بن مالك قال قال عمر بن الخطاب قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حجبت عن أمهات المؤمنين فانه يدخل عليك البر والفاجر فنزلت آية الحجاب حدثني القاسم بن بشر بن معروف قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا حماد ابن زيد عن أيوب عن أبي قلابة عن أنس بن مالك قال أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب لما أهديت زينب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاما ودعا القوم فجاؤا فدخلوا وزينب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت وجعلوا يتحدثون وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج ثم يدخل وهم قعود قال فنزلت هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الى فاسألوهن من وراء حجاب قال فقام القوم وضرب الحجاب حدثني عمر بن اسمعيل بن مجالد قال ثنا أبي عن بيان عن أنس بن مالك قال بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من نسائه فأرسلني فدعوت قوما الى الطعام فلما أكلوا وخرجوا قام رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا قبل بيت

كانوا يتحينون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه فقيل لاتدخلوا يا هؤلاء المتحينون للطعام الا وقت الاذن أى مأذونين والا غير ناظرين اناه وانى  الطعام ادراكه أنى الطعام انى نحو قلاه قلى وقيل اناه وقته فقد تلخص أن الاذن

عائشة فرأى رجلين جالسين فانصرف راجعا فأنزل الله يا أيها الذين آمنوا لاتدخلوا بيوت النبى الا أن يؤذن لكم حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو داود قال ثنا المسعودى قال ثنا ابن نهشل عن أبى وائل عن عبد الله قال أمر عمر نساء النبى صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحى ينزل فى بيوتنا فأنزل الله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب حدثنى محمد بن مرزوق قال ثنا أشهل بن حاتم قال ثنا ابن عون عن عمرو بن سعيد عن أنس قال كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وكان يمر على نسائه قال فأتى بامرأة عروس ثم جاء وعندها قوم فانطلق فقضى حاجته واحتبس وعاد وقد خرجوا قال فدخل فأرخى بينى وبينه سترا قال فحدثت أبا طلحة فقال ان كان كما تقول لينزلن فى هذا شئ قال ونزلت آية الحجاب * وقال آخرون كان ذلك فى بيت أم سلمة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث قال كان هذا فى بيت أم سلمة قال أكلوا ثم أطالوا الحديث فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يدخل ويخرج ويستحيى منهم والله لا يستحيى من الحق * قال ثنا سعيد عن قتادة واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب قال بلغنا أنهن أمرن بالحجاب عند ذلك وقوله ان ذلكم كان يؤذى النبى يقول ان دخولكم بيوت النبى من غير أن يؤذن لكم وجلوسكم فيها مستأنسين للحديث بعد فراغكم من أكل الطعام الذى دعيتم له كان يؤذى النبى فيستحيى منكم أن يخرجكم منها اذا قعدتم فيها للحديث بعد الفراغ من الطعام أو يمنعكم من الدخول اذا دخلتم بغير اذن مع كراهيته لذلك منكم والله لا يستحيى من الحق أن يتبين لكم وان استحيا نبيكم فلم يبين لكم كراهية ذلك حياء منكم واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب يقول واذا سألتم أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونساء المؤمنين اللواتى لسن لكم بأزواج متاعا فاسألوهن من وراء حجاب يقول من وراء ستر بينكم وبينهن ولا تدخلوا عليهن بيوتهن ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن يقول تعالى ذكره سؤالكم اياهن المتاع اذا سألتموهن ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهن من عوارض العين فيها التى تعرض فى صدور الرجال من أمر النساء وفى صدور النساء من أمر الرجال وأحرى من أن لا يكون للشيطان عليكم وعليهن سبيل * وقد قيل ان سبب أمر الله النساء بالحجاب انما كان من أجل أن رجلا كان يأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائشة معهما فأصابت يده يد الرجل فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن ليث عن مجاهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم ومعه بعض أصحابه فأصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت آية الحجاب * وقيل نزلت من أجل مسألة عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا ثنا هشيم قال ثنا حميد الطويل عن أنس قال قال عمر بن الخطاب قلت يا رسول الله ان نساءك يدخل عليهن البر والفاجر فلو أمرتهن أن يحتجبن قال فنزلت آية الحجاب حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا حميد عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنى أحمد بن عبد الرحمن قال ثنى عمرو بن عبد الله بن وهب قال ثنى

مشروط بكونه الى الطعام فلزم منه أن لا يجوز الدخول اذا لم يكن الاذن الى طعام كالدخول بالاذن لاستماع كلام مثلا فأجيب بأن الخطاب مع قوم كانوا موصوفين بالتحين للطعام فمنعوا من الدخول فى وقته من غير اذن وجوز بعضهم أن يكون فى الكلام تقديم وتأخير أى لا تدخلوا الى طعام الا أن يؤذن لكم فلا يكون منعا من الدخول فى غير وقت الطعام بغير الاذن والاول أولى ولا يشترط فى الاذن التصريح به اذا حصل العلم بالرضا جاز الدخول ولهذا قيل الا أن يؤذن على البناء للفعول ليشمل اذن الله واذن الرسول أو العقل المؤيد بالدليل وقوله (فانتشروا) للوجوب وليس كقوله فاذا قضيت الصلاة فانتشروا وذلك للدليل العقلى على أن بيوت الناس لا تصلح للمكث بعد الفراغ مما دعى لأجله وللدليل النقلى وذلك قوله (ولا مستأنسين لحديث) وهو مجرور معطوف على ناظرين أو منصوب على الحال أى لا تدخلوها هاجمين ولا مستأنسين يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولم على زينب بتمر وسويق وشاة وأمر أنسا أن يدعو بالناس فترادفوا أفواجا الى أن قال يا رسول الله دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس وبقى ثلاثة نفر يتحدثون فأطالوا فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام عليكم أهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت أهلك وطاف بالحجرات فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله



صلى الله عليه وسلم شديد الحياء وذلك قوله (ان ذلكم كان يؤذى النبى فيستحيى منكم) أى من اخراجكم فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع

فنزلت الآية ناهية للثقلاء أن يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لأجل حديث يحدثه به أو يستأنسون حديث أهل البيت واستماعه ومعنى لا يستحيي لا يمتنع ولا يترك كما مر في أول البقرة والضمير في سألتموهن  لنساء النبي بقرينة الحال قال الراوي ان عمر كان يحب ضرب الحجاب عليهن محبة شديدة وكان يقول يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فنزلت والمتاع الماعون وما يحتاج اليه وثاني مفعولي فاسألوهن محذوف وهو المتاع المدلول عليه بما قبله (ذلكم) الذي ذكر من السؤال من وراء الحجاب (أطهر) لاجل قلوبكم لأن العين روزنة القلب ومنها تنشأ الفتنة غالبا وروى أن بعضهم قال نهينا أن نكلم بنات عمنا الا من وراء حجاب لئن مات محمد لأتزوجن فلانة يعني عائشة فأعلم الله أن ذلك محرم بقوله (وما كان) أي وما صح (لكم أن تؤذوا رسول الله) بوجه من الوجوه (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم) الايذاء والنكاح (كان عند الله) ذنبا (عظيما) لأن حرمة الرسول ميتا كحرمته حيا ثم بين بقوله (ان تبدوا شيئا) الآية أنهم ان لم يؤذوه في الحال ولكن عزموا على ايذائه أو نكاح أزواجه بعده فالله عالم بكل شئ فيجازيهم بحسب ذلك ثم انه لما أنزل الحجاب استثنى المحارم بقوله لا جناح عليهن أي لا اثم عليهن في ترك الاحتجاب من هؤلاء قال في التفسير الكبير عند الحجاب لما امر الله الرجل بالسؤال من وراء الحجاب ففيهم كون المرأة محجوبة عن الرجل بالطريق الأولى وعند الاستثناء قال لا جناح عليهن فرفع الحجاب عنهن فالرجال أولى بذلك وقدم الآباء لان اطلاعهم على بناتهم أكثر فقد رأوهن في حالة الصغر ثم الابناء ثم الاخوة وقدم بني الاخوة لان بني الاخوات آباؤهم ليسوا بمحارم لهم أما هم أزواج خالات أبنائهم فقد يصف الابن خالته عند أبيه ففي ذلك نوع مفسدة فأوجبت التأخر عن رتبة المحرمية ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى الوالدين أولأنهما قد يصفان لابنائهما

يونس عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت ان أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر يقول يا رسول الله احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى قد عرفناك يا سودة حرصا أن ينزل الحجاب قال فأنزل الله الحجاب **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا ابن نمير عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت خرجت سودة لحاجتها بعد ما ضرب علينا الحجاب وكانت امرأة تفرع النساء طولا فأبصرها عمر فناداها يا سودة انك والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين أو كيف تصنعين فانكفأت فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه ليتعشى فأخبرته بما كان وما قال لها وان في يده لعرقا فأوحى اليه ثم رفع عنه وان العرق لفي يده فقال لقد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن **حدثني** أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنا همام قال ثنا عطاء بن السائب عن أبي وائل عن ابن مسعود قال أمر عمر نساء النبي صلى الله عليه وسلم بالحجاب فقالت زينب يا ابن الخطاب انك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فأنزل الله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب **حدثني** أبو أيوب النهراني سليمن بن عبد الحميد قال ثنا يزيد ابن عبد ربه قال ثنى ابن حرب عن الزبيدي عن الزهري عن عروة عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل اذا تبرزن الى المناصع وهو صعيد أفيح وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فناداها عمر بصوته الأعلى قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب قالت عائشة فأنزل الله الحجاب قال الله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا الآية وقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله يقول تعالى ذكره وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله وما يصلح ذلك لكم ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا يقول وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا لأنهن أمهاتكم • لا يحل للرجل أن يتزوج أمه وذكر أن ذلك نزل في رجل كان يدخل قبل الحجاب قال لئن مات محمد لأتزوجن امرأة من نسائه سماها فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ذكر من قال ذلك **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ان ذلكم كان عند الله عظيما قال ربما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أن الرجل يقول لو أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي تزوجت فلانة من بعده قال فكان ذلك يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فنزل القرآن وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله الآية **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم مات وقد ملك قيلة بنت الأشعث فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك فشق على أبي بكر مشقة شديدة فقال له عمر يا خليفة رسول الله انها ليست من نسائه انها لم يخيرها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يحجبها وقد برأها منه بالردة التي ارتدت مع قومها فاطمأن أبو بكر وسكن **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى

وأبناؤهما غير محارم وقد يستدل بقوله (ولا نسائهن) مضافة الى المؤمنات انه لا يجوز التكشف للكافرات في وجه واخرا ما ليك لان محرميتهم كالأمر الضروري والا فالمفسدة في التكشف لهم ظاهرة ولهذا عقبه بقوله (واتقين) فان التكشف لهم مشروط بشرط سلامة العاقبة والأمن من الفتنة ومنهم من قال المراد من كان منهم دون البلوغ قال جار الله في نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب في قوله واتقين فضل تشديد وبعث على سلوك طريقة التقوى فيما أمرن به من الاحتجاب كأنه قيل وليكن عملكن في الحجب أحسن مما كان وأتقن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن ثم أكد الكل بقوله (ان الله كان على كل شئ شهيدا) وفيه أنه لا يتفاوت في علمه ظاهر الحجاب وباطنه ثم كمل بيان حرمة النبي بأنه محترم في الملا الأعلى فليكن واجب الاحترام في الملا الأدنى وقد مر معنى الصلاة في السورة وانما قال هناك هو الذي يصلي عليكم وملائكته وقال ههنا (ان الله وملائكته يصلون) ليلزم منه تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم وذلك لأن افراد الواحد بالذكر وعطف الغير عليه يوجب تفضيلا للمذكور على المعطوف فكأنه سبحانه شرف الملائكة بضمهم مع نفسه بواسطة صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم استدل الشافعي بقوله (صلوا عليه وسلموا) وظاهر الامر للوجوب أن الصلاة في التشهد واجبة وكذا التسليم لانه لا يجب بالاتفاق في غير الصلاة فيجب فيها وذكر المصدر للتأكيد ليكمل السلام عليه وهو قول المصلي السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ولم يؤكد الصلاة هذا التأكيد لأنها كانت مؤكدة بقوله ان الله وملائكته يصلون وسئل النبي كيف نصلي عليك يا رسول الله فقال قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وعنه صلى الله عليه وسلم

---

قال ثنا داود عن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وقد ملك بنت الأشعث بن قيس ولم يجامعها فذكر نحوه وقوله ان ذلكم كان عند الله عظيما يقول ان أذاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الاثم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان تبدوا شيأ أو تخفوه فان الله كان بكل شئ عليما ﴾ يقول تعالى ذكره ان تظهروا بألسنتكم شيأ أيها الناس من مراقبة النساء أو غير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله صلى الله عليه وسلم بقول لأتزوجن زوجته بعد وفاته أو تخفوه يقول أو تخفوا ذلك في أنفسكم فان الله كان بكل شئ عليما يقول فان الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم عليم لا يخفى عليه شئ وهو يجازيكم على جميع ذلك ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله ان الله كان على كل شئ شهيدا ﴾ يقول تعالى ذكره لا حرج على أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم في آبائهن ولا ابنهن ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وضع عنهن الجناح في هؤلاء فقال بعضهم وضع عنهن الجناح في وضع جلابيبهن عندهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ابن أبي ليلى عن عبد الكريم عن مجاهد في قوله لا جناح عليهن في آبائهن الآية كلها قال أن تضع الجلباب حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله لا جناح عليهن في آبائهن ومن ذكر معه أن يروهن * وقال آخرون وضع عنهن الجناح فيهن في ترك الاحتجاب ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله لا جناح عليهن الى شهيدا فرخص لهؤلاء أن لا يحتجبن منهم * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال ذلك وضع الجناح عنهن في هؤلاء المسمين أن لا يحتجبن منهم وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب وبعد قول الله واذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب فلا أن يكون قوله لا جناح عليهن في آبائهن استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهن المتاع من وراء الحجاب اذا سألوهن ذلك أولى وأشبه من أن يكون خبرا مبتدأ عن غير ذلك المعنى فتأويل الكلام اذا لا اثم على نساء النبي صلى الله عليه وسلم وأمهات المؤمنين في اذنهن لآبائهن وترك الحجاب منهن ولا لأبنائهن ولا لاخوانهن ولا لأبناء اخوانهن وعنى باخوانهن وأبناء اخوانهن اخوتهن وأبناء اخوتهن وخرج معهم جمع ذلك مخرج جمع فتى اذا جمع فتيان فكذلك جمع أخ اذا جمع اخوان وأما اذا جمع اخوة فذلك نظير جمع فتى اذا جمع فتية ولا أبناء اخوانهن ولم يذكر في ذلك العم على ما قال الشعبي حذارا من أن يصفهن لأبنائه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن داود عن الشعبي وعكرمة في قوله لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا اخوانهن ولا أبناء اخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن قلت ما شأن العم والخال لم يذكرا قال لأنهما ينعتانها لأبنائهما وكرها أن تضع خمارها عند خالها وعمها حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو الوليد قال ثنا حماد عن داود عن عكرمة والشعبي نحوه غير أنه لم يذكر ينعتانها وقوله ولا نسائهن يقول ولا جناح عليهن أيضا في أن لا يحتجبن من نساء المؤمنين كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال

من صلى على مرة صلى الله عليه عشرا ومن العلماء من أوجب الصلاة كلما جرى ذكره لما روى فى الحديث من ذكرت عنده فلم يصل على فدخل النار فأبعده الله ومنهم من أوجبها فى كل مجلس مرة وان تكرر ذكره  كما قيل فى آية السجدة وتشميت العاطس وكذلك فى كل دعاء فى أوله وآخره ومنهم من أوجبها فى العمر مرة وكذا قال فى اظهار الشهادتين والأحوط هو الأول وهو الصلاة عليه عند كل ذكر وأما الصلاة على غيره فقد مر الخلاف فيها فى سورة التوبة فى قوله وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم ثم رتب الوعيد على ايذاء الله ورسوله فيجوز أن يكون ذكر الله توطئة وتشريفا واعلاما بأن ايذاء رسول الله هو ايذاء الله كقوله تعالى فاتبعونى يحببكم الله ويجوز أن يراد بايذاء الله الشرك به ونسبته الى ما لا يجوز عليه وعن عكرمة هو فعل أصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق كخلق الله وقيل أذى رسول الله قولهم انه ساحر أو شاعر أو كاهن أو مجنون وقيل طعنهم عليه فى نكاح صفية بنت حيى والأظهر التعميم وعن بعضهم أن اللعن فى الدارين هو جزاء من يؤذى الله واعداد العذاب المهين هو جزاء من يؤذى رسول الله ولعل الفرق لاغ ثم رتب وعيدا آخر على ايذاء المؤمنين والمؤمنات ولكن قيده بقوله بغير ما اكتسبوا لانه اذا صدر عن أحدهم ذنب جاز ايذاؤه على الوجه المحدود فى الشرع ولعل المراد هو الايذاء القولى لقوله (فقد احتملوا بهتانا) ويحتمل أن يقال احتمال البهتان سببه الايذاء القولى واحتمال الاثم المبين سببه الايذاء الفعلى ويحتمل أن يكون كلاهما وعيد الايذاء القولى وانما وقع الاكتفاء به لأنه أجرح للقلب ولامكان الاستدلال به على الفعلى ولأن ايذاء الله لا يكون الا بالقول الا اذا جعل السجود للصنم ايذاء قيل نزلت فى ناس من المنافقين كانوا يؤذون عليا رضى الله عنه وقيل فى إفك عائشة وقيل فى زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات ثم أراد أن يدفع عن أهل بيت نبيه

قال قال ابن زيد فى قوله ولا نسائهن قال نساء المؤمنات الحرائر ليس عليهن جناح أن يرين تلك الزينة قال وانما هذا كله فى الزينة قال ولا يجوز للمرأة أن تنظر الى شئ من عورة المرأة قال ولو نظر الرجل الى فخذ الرجل لم أر به بأسا قال ولا ما ملكت أيمانهن فليس ينبغى لها أن تكشف قرطها للرجل قال وأما الكحل والخاتم والخضاب فلا بأس به قال والزوج له فضل والآباء من وراء الرجل لهم فضل قال والآخرون يتفاضلون قال وهذا كله يجمعه ما ظهر من الزينة قال وكان أزواج النبى صلى الله عليه وسلم لا يحتجبن من المماليك وقوله ولا ما ملكت أيمانهن من الرجال والنساء وقال آخرون من النساء وقوله واتقين الله يقول وخفن الله أيها النساء أن تتعدين ما حد الله لكن فتبدين من زينتكن ما ليس لكن أن تبدينه أو تتركن الحجاب الذى أمركن الله بلزومه الا فيما أباح لكن تركه والزمن طاعته ان الله كان على كل شئ شهيدا يقول تعالى ذكره ان الله شاهد على ما تفعلنه من احتجابكن وتركككن الحجاب لمن أبحت لكن ترك ذلك له وغير ذلك من أموركن يقول فاتقين الله فى أنفسكن لا تلقين الله وهو شاهد عليكم بمعصيته وخلاف أمره ونهيه فتهلكن فانه شاهد على كل شئ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ يقول تعالى ذكره ان الله وملائكته يبركون على النبى محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه يقول يباركون على النبى وقد يحتمل أن يقال ان معنى ذلك أن الله يرحم النبى وتدعوله ملائكته ويستغفرون وذلك أن الصلاة فى كلام العرب من غير الله انما هو دعاء وقد بينا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه يقول تعالى ذكره يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبى الله محمد صلى الله عليه وسلم وسلموا عليه تسليما يقول وحيوه تحية الاسلام * وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون عن عنبسة عن عثمان بن موهب عن موسى بن طلحة عن أبيه قال أتى رجل النبى صلى الله عليه وسلم فقال سمعت الله يقول ان الله وملائكته يصلون على النبى الآية فكيف الصلاة عليك فقال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد حدثنى جعفر بن محمد الكوفى قال ثنا يعلى بن الأجلح عن الحكم بن عتيبة عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن كعب بن عجرة قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قمت اليه فقلت السلام عليك قد عرفناه فكيف الصلاة عليك يا رسول الله قال قل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا أبو اسرائيل عن يونس بن خباب قال خطبنا بفارس فقال ان الله وملائكته الآية فقال أنبأنى من سمع ابن عباس يقول هكذا أنزل فقلنا أو قالوا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك فقال اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن زياد

عن ابراهيم فى قوله ان الله وملائكته الآية قالوا يارسول الله هذا السلام قد عرفناه فكيف الصلاة عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وأهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد حدثنى يعقوب الدورقى قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد بن سيرين عن عبد الرحمن بن بشر بن مسعود الانصارى قال لما نزلت ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قالوا يارسول الله هذا السلام قد عرفناه فكيف الصلاة وقد غفر الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال قولوا اللهم صل على محمد كما صليت على آل ابراهيم اللهم بارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما قال لما نزلت هذه الآية قالوا يارسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك قال قولوا اللهم صل على محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على ابراهيم وقال الحسن اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على ابراهيم انك حميد مجيد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره ان الذين يؤذون الله ان الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم اياه وركوبهم ما حرم عليهم وقد قيل انه عنى بذلك أصحاب التصاوير وذلك أنهم يرومون تكوين خلق مثل خلق الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد القرشى قال ثنا يحيى بن سعيد عن سلمة بن الحجاج عن عكرمة قال الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا قال ياسبحان الله ما زال أناس من جهلة بنى آدم حتى تعاطوا أذى ربهم وأما أذاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو طعنهم عليه فى نكاحه صفية بنت حيى فيما ذكر حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا قال نزلت فى الذين طعنوا على النبى صلى الله عليه وسلم حين اتخذ صفية بنت حيى بن أخطب وقوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة يقول تعالى ذكره أبعدهم الله من رحمته فى الدنيا والآخرة وأعد لهم فى الآخرة عذابا يهينهم فيه بالخلود فيه وقوله والذين يؤذون المؤمنين كان مجاهد يوجه معنى قوله يؤذون الى يقفون ذكر الرواية بذلك عنه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والذين يؤذون قال يقفون فمعنى الكلام على ما قال مجاهد والذين يقفون المؤمنين والمؤمنات ويعيبونهم طلبا لشينهم بغير ما اكتسبوا يقول بغير ما عملوا كما حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله بغير ما اكتسبوا قال عملوا حدثنا نصر ابن على قال ثنا عثام بن على عن الأعمش عن مجاهد قال قرأ ابن عمر والذين يؤذون المؤمنين

وعن أمته المثالب التى هى مظان لصوق العار فقال (يا أيها النبى) الآية ومعنى (يدنين عليهن) يرخين عليهن يقال للمرأة اذا زل الثوب عن وجهها أدنى ثوبك على وجهك ومعنى التبعيض فى (من جلابيبهن) أن يكون للمرأة جلابيب فتقتصر على واحدة منها أو أريد طرف من الجلباب الذى لها وكانت النساء فى أول الاسلام على عادتهن فى الجاهلية متبذلات يبرزن فى درع وخمار من غير فصل بين الحرة والامة فأمرن بلبس الأردية والملاحف وستر الرأس والوجوه (ذلك) الادناء (أدنى) وأقرب الى (أن يعرفن) أنهن حرائر أو أنهن لسن بزانيات فان التى سترت وجهها أولى بأن تستر عورتها (فلا يؤذين) لاهن ولا رجالهن أقاربهن لان أكثر الايذاء والطعن انما يتفق من جهة نساء العشيرة اذا كن مرئيات فضلا عن كونهن مزينات (وكان الله غفورا) لما قد سلف (رحيما) حين أرشدكم الى هذا الأدب الجميل وناهيك أوعدهم بعذاب الآخرة خوفهم بعقاب الدنيا قائلا (لئن لم ينته المنافقون) عن الايذاء (والذين فى قلوبهم مرض) وهم الضعفة الايمان أو الزناة وأهل الفجور (والمرجفون) فى مدينة الرسول وهم الخائضون فى أخبار السوء من غير حقيقة سمى بذلك لكونه خبرا مترلزلا غير ثابت من الرجفة وهى الزلزلة روى أن ناسا كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله يوقعون فى الناس أنهم قتلوا أو هزموا وكانوا يقولون قد أتاكم العدو ونحو ذلك ومعنى (لنغرينك بهم) لنسلطنك عليهم وهو مجاز من قولهم أغريت الجارحة بالصيد والمراد لنأمرنك بأن تفعل ما يضطرهم الى الجلاء ثم لا يساكنونك فى المدينة الا زمانا قليلا ريثما يتأهبون فيرتحلون بأنفسهم وعيالهم ومعنى ثم تراخى الرتبة كأنه يفعل بهم أفاعيل تسوءهم الى أن يبلغ حد الاضطرار فيزعجهم والمؤمنات

ويجوز أن يكون قليلا منصوبا على الحال أيضا ومعناه لا يجاورونك الا أقلاء أذلاء ملعونين وفى قوله لا يجاورونك عطف على جواب

والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا قال فكيف إذا أوذي بالمعروف فذلك يضاعف له العذاب حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن علي عن الأعمش عن ثور عن ابن عمر والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا قال كيف بالذي يأتي إليهم المعروف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا فإياكم وأذى المؤمن فإن الله يحوطه ويغضب له وقوله فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا يقول فقد احتملوا زورا وكذبا وفرية شنيعة وبهتان أفحش الكذب وإثما مبينا يقول وإثما بينا لسامعه أنه إثم وزور ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفورا رحيما﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين لا تتشبهن بالإماء في لباسهن إذا هن خرجن من بيوتهن لحاجتهن فكشفن شعورهن ووجوههن ولكن ليدنين عليهن من جلابيبهن لئلا يعرض لهن فاسق إذا علم أنهن حرائر بأذى من قول ثم اختلف أهل التأويل في صفة الإدناء الذي أمرهن الله به فقال بعضهم هو أن يغطين وجوههن ورؤسهن ولا يبدين منهن إلا عينا واحدة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤسهن بالجلابيب ويبدين عينا واحدة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن محمد عن عبيدة في قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن فلبسها عندنا ابن عون قال ولبسها عندنا محمد قال محمد ولبسها عندي عبيدة قال ابن عون برداءه فتقنع به فغطى أنفه وعينه اليسرى وأخرج عينه اليمنى وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريبا من حاجبه أو على الحاجب حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين قال سألت عبيدة عن قوله قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن قال فقال بثوبه فغطى رأسه ووجهه وأبرز ثوبه عن أحدى عينيه * وقال آخرون بل أمرن أن يشددن جلابيبهن على جباههن ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن إلى قوله وكان الله غفورا رحيما قال كانت الحرة تلبس لباس الأمة فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جلابيبهن وإدناء الجلباب أن تقنع وتشد على جبينها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقنعن على الحواجب ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وقد كانت المملوكة إذا مرت تناولوها بالإيذاء فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يدنين عليهن من جلابيبهن يتجلببن فيعلم أنهن حرائر فلا يعرض لهن فاسق بأذى من قول ولا ريبة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة

القسم كأنه قيل إن لم ينتهوا لا يجاورونك (سنة الله) أي سنة الله في الذين ينافقون في الأنبياء أن يقتلوا حيثما ثقفوا وقال مقاتل أراد كما قتل وأسر أهل بدر (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أي ليست هذه السنة مثل الحكم الذي يتبدل ويفسخ فإن النسخ يكون في الأحكام لا في الأفعال والأخبار ثم إن المشركين واليهود كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استهزاء وامتحانا فأمر نبيه أن يقول إن ذلك العلم مما استأثر الله ولكنها قريبة الوقوع ومعنى قريبا شيأ قريبا أو يوما أو زمانا ثم أوعدهم بما أعد لهم من عذاب السعير ومعنى تقليب وجوههم تصريفها في الجهات كاللحم يدار على النار حين يشوى أو تغييرها عن أحوالها أو تحويلها عن هيآتها أو نكسها على رؤسها والوجه عبارة عن الجملة وخص بالذكر لأنه أشرف وأكرم وإذا كان الأشرف معرضا للعذاب فالأخس أولى ثم حكى أنهم يعترفون ويتمنون ولا ينفعهم شئ من ذلك ثم يطلبون بعض التشفي بالدعاء على من أضلهم قوله (ضعفين) أي ضعفا لضلالهم وضعفا لاضلالهم من قرأ (لعنا كبيرا) بالباء الموحدة فالمراد أشد اللعن وأفظعه ومن قرأ بالثاء المثلثة أراد تكثير عدد اللعن وقد علموا أن العذاب حاصل فطلبوا ما ليس بحاصل وهو زيادة العذاب وكثرة اللعن أو عظمه قوله (لا تكونوا كالذين آذوا موسى) قال المفسرون نزلت في شأن زيد وزينب وما سمع فيه من مقالة بعض الناس وإيذاء موسى هو حديث المومسة التي أرادها قارون على قذف موسى أو حديث الآدرة أو البرص الذي قرفوه بذلك ففر الحجر بثوبه حتى رأوه عريانا وقدم في البقرة وقيل اتهامهم إياه بقتل هرون وكان قد خرج معه إلى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به عليهم ميتا حتى أبصروه فعرفوا أنه غير مقتول أو أحياه الله عز وجل فأخبرهم ببراءة موسى

ومعنى (مما قالوا) من مؤذى قولهم أومن مضمون مقولهم (وكان عند الله وجيها) ذا جاه ومنزلة فلذلك كان يذب ويدفع عنه المثالب والمطاعن كما يفعل الملك بمن له عنده قربة  وروى عن شنبوذ وكان عبد الله ثم أشار الى ما ينبغى أن يكون المؤمن عليه فقال (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) والمعنى راقبوا الله فى حفظ ألسنتكم وتقويم أمركم بسداد قولكم فبتقوى الله يصلح العمل وبصلاح العمل تكفر السيئات وترفع الدرجات أمرهم أولا بالتخلية وهى ترك الايذاء وثانيا بالتحلية وهى التقوى الموجبة لتحصيل الاخلاق الفاضلة ثم علق الفوز العظيم بالطاعة المسماة بالأمانة فى قوله (انا عرضنا الأمانة) فقيل العرض حقيقة وقيل أراد المقابلة أى قابلنا الأمانة بالسموات فرجحت الأمانة والعرض أسهل من الفرض ولهذا كفر ابليس بالاباء ولم يكفر هؤلاء بالاباء لأن هناك استكبارا وههنا استصغارا بدليل قوله (وأشفقن منها) وقد يقال المضاف محذوف أى عرضناها على أهل السموات والأرض والجبال وانما صير الى هذا التكلف لاستبعاد طلب الطاعة من الجمادات ولم يستبعده أهل البيان لأن المراد تصوير عظم الامانة وثقل حملها فمثلت حال التكليف فى صعوبته وثقل محمله بحالة المتحملة المفروضة لو عرضت على هذه الاجرام العظام واعلم أن التكليف هو الأمر بخلاف ما فى الطبيعة فهذا النوع من التكليف ليس فى السموات والارض والجبال لان السماء لا يطلب منها الهبوط والارض لا يطلب منها الصعود ولا الحركة والجبال لا يطلب منها السير وكذا الملائكة ملهمون بالتسبيح والتقديس وسمى التكليف أمانة لان من قصر فيه فعليه الغرامة ومن أداه فله الكرامة فعرض الأمانة بهذا المعنى والاجل على هذه الاجرام وإباؤها من حملها هو عدم صلوحها لهذا الامر أو المراد هو التصوير المذكور وقد خص بعضهم التكليف بقول لا اله الا الله

عمن حدثه عن أبى صالح قال قدم النبى صلى الله عليه وسلم المدينة على غير منزل فكان نساء النبى صلى الله عليه وسلم وغيرهن اذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهن وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل فأنزل الله يا أيها النبى قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن يقنعن بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرة وقوله ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين يقول تعالى ذكره إدناؤهن جلابيبهن اذا أدنينها عليهن أقرب وأحرى أن يعرفن ممن مررن به ويعلموا أنهن لسن باماء فيتنكبوا عن أذاهن بقول مكروه أو تعرض ريبة وكان الله غفورا لما سلف منهن من تركهن إدناء هن الجلابيب عليهن رحيما بهن أن يعاقبهن بعد توبتهن بادناء الجلابيب عليهن ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا﴾ يقول تعالى ذكره لئن لم ينته أهل النفاق الذين يستسرون الكفر ويظهرون الايمان والذين فى قلوبهم مرض يعنى ريبة من شهوة الزنا وحب الفجور * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو بن على قال ثنا أبو عبد الصمد قال ثنا مالك بن دينار عن عكرمة فى قوله لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض قال هم الزناة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة والذين فى قلوبهم مرض قال شهوة الزنا * قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا أبو صالح التمار قال سمعت عكرمة فى قوله فى قلوبهم مرض قال شهوة الزنا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عمن حدثه عن أبى صالح والذين فى قلوبهم مرض قال الزناة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الآية قال هؤلاء صنف من المنافقين والذين فى قلوبهم مرض أصحاب الزنا قال أهل الزنا من أهل النفاق الذين يطلبون النساء فيبتغون الزنا وقرأ فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض قال والمنافقون أصناف عشرة فى براءة قال فالذين فى قلوبهم مرض صنف منهم مرض من أمر النساء وقوله والمرجفون فى المدينة يقول وأهل الارجاف فى المدينة بالكذب والباطل وكان ارجافهم فيما ذكر كالذى حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض والمرجفون فى المدينة الآية الارجاف الكذب الذى كان نافقه أهل النفاق وكانوا يقولون أتاكم عدد وعدة وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما فى قلوبهم من النفاق فأوعدهم الله بهذه الآية قوله لئن لم ينته المنافقون والذين فى قلوبهم مرض الآية فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسروه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والمرجفون فى المدينة هم أهل النفاق أيضا الذين يرجفون برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين وقوله لنغرينك بهم يقول لنسلطنك عليهم ولنحرشنك بهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لنغرينك بهم يقول لنسلطنك عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لنغرينك بهم أى لنحملنك عليهم لنحرشنك بهم قوله ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا يقول ثم لنضينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها الا قليلا من المدة

والاظهر عندى ان الامانة هى الاستعداد الذى جبل كل نوع من المخلوقات عليه وحمل الأمانة عبارة عن عدم اداء حقها كما يقال فلان ركب عليه الدين فكل من أخر ج ما فى قوته الى الفعل فهو مؤد للأمانة وقاض حقها (١٥) والا فهو حامل لها ولا ريب أن السموات

والأجل حتى ننفيهم عنها فنخرجهم منها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا أى بالمدينة وقوله ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا يقول تعالى ذكره مطرودين منفيين أينما ثقفوا يقول حيثما لقوا من الأرض أخذوا وقتلوا لكفرهم بالله تقتيلا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ملعونين على كل حال أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلا اذا هم أظهروا النفاق ونصب قوله ملعونين على الشتم وقد يجوز أن يكون القليل من صفة الملعونين فيكون قوله ملعونين مردودا على القليل فيكون معناه ثم لا يجاورونك فيها الا أقلاء ملعونين يقتلون حيث أصيبوا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ يقول تعالى ذكره سنة الله فى الذين خلوا من قبل هؤلاء المنافقين الذين فى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم معه من ضرباء هؤلاء المنافقين اذا هم أظهروا نفاقهم أن يقتلهم تقتيلا ويلعنهم لعنا كثيرا * وبنحو قولنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سنة الله فى الذين خلوا من قبل الآية يقول هكذا سنة الله فيهم اذا أظهروا النفاق وقوله ولن تجد لسنة الله تبديلا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولن تجد يا محمد لسنة الله التى سنها فى خلقه تغييرا فأيقن أنه غير مغير فى هؤلاء المنافقين سنته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يسئلك الناس عن الساعة قل انما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا ﴾ يقول تعالى ذكره يسألك الناس يا محمد عن الساعة متى هى قائمة قل لهم انما علم الساعة عند الله لا يعلم وقت قيامها غيره وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا يقول وما أشعرك يا محمد لعل قيام الساعة يكون منك قريبا قد قرب وقت قيامها ودنا حين مجيئها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله أبعد الكافرين به من كل خير وأقصاهم عنه وأعد لهم سعيرا يقول وأعد لهم فى الآخرة نارا تتقد وتتسعر ليصليهموها خالدين فيها أبدا يقول ماكثين فى السعير أبدا الى غير نهاية لا يجدون وليا يتولاهم فيستنقذهم من السعير التى أصلاهموها الله ولا نصيرا ينصرهم فينجيهم من عقاب الله اياهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا ﴾ يقول تعالى ذكره لا يجد هؤلاء الكافرون وليا ولا نصيرا فى يوم تقلب وجوههم فى النار حالا بعد حال يقولون وتلك حالهم فى النار يا ليتنا أطعنا الله فى الدنيا وأطعنا رسوله فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه فكنا مع أهل الجنة فى الجنة يا لها حسرة وندامة ما أعظمها وأجلها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الكافرون يوم القيامة فى جهنم ربنا انا أطعنا أئمتنا فى الضلالة وكبراءنا فى الشرك فأضلونا السبيل يقول فأزالونا عن محجة الحق وطريق الهدى والايمان بك والاقرار بوحدانيتك واخلاص طاعتك فى الدنيا ربنا آتهم ضعفين من العذاب يقول عذبهم من العذاب مثلى عذابنا الذى تعذبنا والعنهم لعنا كبيرا يقول واخزهم خزيا كبيرا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا أى رؤسنا فى الشر والشرك حدثنى

مسخرات بأمر الله كل يجرى لأجل مسمى والأرض ثابتة فى مستقرها والجبال راسخة فى أمكنتها وهكذا كل نوع من الأنواع مما يطول تعدادها واليه الاشارة بقوله سبحانه وما منا الا له مقام معلوم الا الانسان فان كثيرا من الأشخاص بل أكثرها مائلة الى أسفل السافلين الطبع فلاجرم لم يقض حق الأمانة وانحط الى رتبة الأنعام فوصف بالظلومية لانه صرف الاستعداد فى غير ما خلق لأجله وبالجهولية لأنه جهل خاصة عاقبة افساد الاستعداد أو علم ولم يعمل بعلمه فنفى عنه العلم لانتفاء ثمرته فاللام فى الانسان للجنس وحمل الشئ على بعض الجنس يكفى فى صدقه على الجنس وفيه لطيفة أخرى مذكورة فى تأويل آخر سورة البقرة وذكروا فى سبب الاشفاق أن الامانة لا تقبل اما لعزتها ونفاستها كالجواهر الثمينة أو لصعوبة حفظها كالزجاج مثلا وكلا المحذورين موجود فى التكليف وأيضا كان الزمان زمان نهب وغارة اذ العرض كان بعد خروج آدم من الجنة والشيطان وجنوده كانوا فى قصد المكلفين والعاقل لا يقبل الوديعة فى مثل ذلك الوقت وأيضا قد لا يقبل الأمانة لعسر مراعاتها ولاحتياجها الى تعهد ومؤنة كالحيوان المحتاج الى العلف والسقى والتكليف كذلك فانه يحتاج الى تربية وتنمية بخلاف متاع يوضع

فى صندوق أو بيت فهذه الاشياء علم من ما فى التكليف من التبعات وجهلها الانسان فقبله فكان جهولا وقد ظلم آدم نفسه بالمخالفة فكان ظلوما وكذا أولاده الذين ظلموا أنفسهم بالعصيان وجهلوا ما عليهم من العقاب واعتذر بعضهم عن الانسان أنه نظر الى جانب من كلفه وقال المودع

يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا أطعنا سادتنا وكبراءنا قال هم رؤس الأمم الذين أضلوهم قال سادتنا وكبراءنا واحد وقرأت عامة قراء الأمصار سادتنا وروى عن الحسن البصرى ساداتنا على الجماع والتوحيد فى ذلك هى القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء عليه واختلفوا فى قراءة قوله لعنا كبيرا فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار بالثاء كثيرا من الكثرة سوى عاصم فانه قرأه لعنا كبيرا من الكبر والقراءة فى ذلك عندنا بالثاء لاجماع الحجة من القراء عليها

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها﴾ يقول تعالى ذكره لأصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم ولا بفعل لا يحبه منكم ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبى الله فرموه بعيب كذبا وباطلا فبرأه الله مما قالوا فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم وكان عند الله وجيها يقول وكان موسى عند الله مشفعا فيما يسأل ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته اياه ثم اختلف أهل التأويل فى الأذى الذى أوذى به موسى الذى ذكره الله فى هذا الموضع فقال بعضهم رموه بأنه آدر وروى بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا ذكر الرواية التى رويت عنه ومن قال ذلك حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال عن سعيد بن جبير وعبد الله بن الحرث عن ابن عباس فى قوله لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال قال له قومه انك آدر قال فخرج ذات يوم يغتسل فوضع ثيابه على صخرة فخرجت الصخرة تشتد بثيابه وخرج يتبعها عريانا حتى انتهت به مجالس بنى اسرائيل قال فرأوه ليس بآدر قال فذلك قوله فبرأه الله مما قالوا حدثنى يحيى بن داود الواسطى قال ثنا اسحق بن يوسف الأزرق عن سفيان عن جابر عن عكرمة عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تكونوا كالذين آذوا موسى قال قالوا هو آدر قال فذهب موسى يغتسل فوضع ثيابه على حجر ففرّ الحجر بثيابه فتبع موسى قفاه فقال ثيابى حجر فمرّ بمجلس بنى اسرائيل فرأوه فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الى وجيها قال كان أذاهم موسى أنهم قالوا والله ما يمنع موسى أن يضع ثيابه عندنا إلا أنه آدر فآذى ذلك موسى فبينما هو ذات يوم يغتسل وثوبه على صخرة فلما قضى موسى غسله ذهب الى ثوبه ليأخذه انطلقت الصخرة تسعى بثوبه وانطلق يسعى فى أثرها حتى مرت على مجلس بنى اسرائيل وهو يطلبها فلما رأوا موسى صلى الله عليه وسلم متجردا لا ثوب عليه قالوا والله ما نرى بموسى بأسا وانه لبرىء مما كنا نقول له فقال الله فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال كان موسى رجلا شديد المحافظة على فرجه وثيابه قال فكانوا يقولون ما يحمله على ذلك إلا عيب فى فرجه يكره أن يرى فقام يوما يغتسل فى الصحراء فوضع ثيابه على صخرة فاشتدت بثيابه قال وجاء يطلبها عريانا حتى اطلع عليهم عريانا فرأوه بريئا مما قالوا وكان عند الله وجيها قال والوجيه فى كلام العرب المحب المقبول * وقال آخرون بل وصفوه بأنه أبرص ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر

عالم قادر لا يعرض الامانة الا على أهلها واذا أودع لا يتركها بل يحفظها بعينه وعونه فقبلها وقال اياك نعبد واياك نستعين وقيل انه كان ظلوما جهولا فى ظن الملائكة حيث قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها وقال الحكيم المخلوقات على قسمين مدرك وغير مدرك والمدرك منه من يدرك الجزئى فقط كالبهائم تدرك الشعير وتأكله ولا تتفكر فى عواقب الامور ولا تنظر فى الدلائل ومنه من يدرك الكلى دون الجزئى كالملك يدرك الكليات ولا يدرك لذة الجماع والأكل ولهذا قالوا سبحانك لا علم لنا فاعترفوا بعدم علمهم بتلك الجزئيات ومنه من يدرك الامرين وهو الانسان له لذات بأمور جزئية فمنع منها لتحصيل لذات حقيقية كلذة الملائكة بعبادة الله ومعرفته فغير الانسان ان كان مكلفا كان بمعنى كونه مخاطبا لا بمعنى الامر بما فيه كلفة ومشقة وفى قوله (وحملها الانسان) دون أن يقول وقبلها اشارة الى ما فى التكليف من الثقل والى ما يستحقه عليه من الاجر لو حمله كما أمر والى حيث أمروا لا غير وجرم * (لطيفة) * الامانة عرضت على آدم فقبلها وكان أمينا عليها والقول قول الامين فهو فائز وأما أولاده فأخذوا الامانة منه والآخذ من الامين ليس بمؤتمن بل ضامن ولهذا لا يكون وارث المودع مقبول القول فلم يكن له بد من تجديد عهد وايمان حتى يصير أمينا عند الله ويصير القول قوله فيكون له ما كان لآدم من الفوز ولهذا ذكر ما فيه عاقبة حمل الامانة قائلا (ليعذب) الى قوله ويتوب اشارة الى الفريقين ثم وصف نفسه بكونه غفورا رحيما بازاء كون الانسان ظلوما جهولا ولا يخفى ما فى هذه الاشارة من البشارة ﴿التأويل اذكروا الله ذكرا كثيرا فمن أحب شيأ أكثر ذكره وأهل المحبة هم الأحرار عن رق الكونين والحر يكفيه الاشارة هو الذى يصلى عن أى لولا صلاتى عليكم لما وفقتم لذكرى كما أنه لولا سابقة محبتى لما هديتم الى محبتى فكان فى الازل بالمؤمنين رحيما فلهذا أخرجهم فى الأبد

من ظلمة الوجود المجازى الى نور الوجود الحقيق انا أرسلناك شاهدا لنا بنعت المحبوبية ومبشرا للطالبين برؤية جمالنا ونذيرا للبطالين عن كمال حسننا وحسن كمالنا وداعيا الى الله باذنه لا بطبعك وهواك وسراجا منيرا  فى أوقات عدم الدعوة وذلك أن النظر الى وجه

عن سعيد قال قال بنو اسرائيل ان موسى آدر وقالت طائفة هو أبرص من شدة تستره وكان يأتى كل يوم عينا فيغتسل و يضع ثيابه على صخرة عندها فعدت الصخرة بثيابه حتى انتهت الى مجلس بنى اسرائيل وجاء موسى يطلبها فلما رأوه عريانا ليس به شئ مما قالوا لبس ثيابه ثم أقبل على الصخرة يضربها بعصاه فأثرت العصا فى الصخرة حدثنا بحر بن حبيب بن عربى قال ثنا روح بن عبادة قال ثنا عوف عن محمد عن أبى هريرة فى هذه الآية لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى كان رجلا حييا ستيرا لا يكاد يرى من جلده شئ استحياء منه فآذاه من آذاه من بنى اسرائيل وقالوا ما تستر هذا التستر الا من عيب فى جلده إما برص و إما أدرة واما آفة وان الله أراد أن يبرئه مما قالوا وان موسى خلا يوما وحده فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ من غسله أقبل على ثوبه ليأخذه وان الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبى حجر حتى انتهى الى ملا من بنى اسرائيل فرأوه عريانا كأحسن الناس خلقا و برأه الله مما قالوا وان الحجر قام فأخذ ثوبه ولبسه فطفق بالحجر ضربا بذلك فوالله ان فى الحجر لندبا من أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان موسى رجلا حييا ستيرا ثم ذكر نحوا منه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال حدث الحسن عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بنى اسرائيل كانوا يغتسلون وهم عراة وكان نبى الله موسى حييا فكان يتستر اذا اغتسل فطعنوا فيه بعورة قال فبينا نبى الله يغتسل يوما اذ وضع ثيابه على صخرة فانطلقت الصخرة واتبعها نبى الله ضربا بعصاه ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر حتى انتهت الى ملا من بنى اسرائيل أو توسطهم فقامت فأخذ نبى الله ثيابه فنظروا الى أحسن الناس خلقا وأعدله مروءة فقال الملا قاتل الله أفاكى بنى اسرائيل فكانت براءته التى برأه الله منها * وقال آخرون بل كان أذاهم اياه ادّعاءهم عليه قتل هرون أخيه ذكر من قال ذلك حدثنى على بن مسلم الطوسى قال ثنا عباد قال ثنا سفيان بن حبيب عن الحكم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قول الله لا تكونوا كالذين آذوا موسى الآية قال صعد موسى وهرون الجبل فمات هرون فقالت بنو اسرائيل أنت قتلته وكان أشد حبا لنا منك وألين لنا منك فآذوه بذلك فأمر الله الملائكة فحملته حتى مرّوا به على بنى اسرائيل وتكلمت الملائكة بموته حتى عرف بنو اسرائيل أنه قد مات فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله الا الرخم فجعله الله أصم أبكم * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان بنى اسرائيل آذوا نبى الله ببعض ما كان يكره أن يؤذى به فبرأه الله مما آذوه به وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم انه أبرص وجائز أن يكون كان ادعاءهم عليه قتل أخيه هرون وجائز أن يكون كل ذلك لانه قد ذكر كل ذلك أنهم قد آذوه به ولا قول فى ذلك أولى بالحق مما قال الله انهم آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم و يغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله

النبى صلى الله عليه وسلم كاف لمن كان له قلب مستنير فاذا انضمت الدعوة الى ذلك كان فى الهداية غاية وفضلا كبيرا هو القلب المستنير انا أحللنا لك أزواجك لما اتصفت نفسه بصفات القلب وزال عنها الهوى اتصفت دنياه بصفات الآخرة فحل له فى الدنيا ما يحل لغيره فى الآخرة ان الله وملائكته يصلون صلاة تليق بتلك الحضرة المقدّسة مناسبة لحضرة النبوّة بحيث لا يفهم معناها غيرهما منها الرحمة ومنها المغفرة الواردة ومنها الشواهد ومنها الكشوف ومنها المشاهدة ومنها الجذبة ومنها القربة ومنها الشرب ومنها الرى ومنها السكون ومنها التجلى ومنها الفناء فى الله ومنها البقاء به وهكذا لأمته بحسب مراتبهم كقوله أولئك عليهم صلوات من ربهم انا عرضنا الامانة هى قبول الفيض الالهى بلا واسطة ولهذا سمى أمانة لان الفيض من صفات الحق فلا يتملكه أحد وقد اختص الانسان به باصابة رشاش النور الالهى فكان عرض الفيض عاما على قلب المخلوقات ولكن كان حمله خاصا بالانسان لان نسبة الانسان الى سائر المخلوقات نسبة القلب الى الشخص فالروح يتعلق بالقلب ثم يصل فيضه بواسطة العروق والشرايين الى سائر البدن فيتحرك به وهذا سر الخلافة انه كان ظلوما لانه خلق ضعيفا وحمل قويا جهولا لأنه ظن أنه خلق للطعم والمشرب والمنكح ولم يعلم أن هذه الصورة قشر وله لب وللبه لب

هو محبوب الله فبقوّة الظلومية والجهولية حمل الامانة ثم بروحه المنوّر برشاش الله أدّى الامانة فصارت الصفتان فى حق حامل الامانة ومؤدّى حقها مدحا وفى حق الخائنين فيها ذما ولما لم يكن لروح الملائكة ولغيرهم من المخلوقات راحلة تحملها بالعزة أبين منها وأشفق

فالمحاطبون اذن على ثلاث طبقات طبقة يظهر فيها جمال صفة عدله وهم الملك والأجسام العلوية والسفلية سوى الثقلين لم يحملوا الأمانة وتركوا نفعها لضرها وطبقة يظهر فيها  جمال قهره وهم المشركون والمنافقون حملوها طمعا فى نفعها ثم لم يؤدوا حقها بأن باءوها بالأعراض الفانية والطبقة الثالثة المؤمنون وهم الذين حملوها طوعا ورغبة وشوقا ومحبة وأدوا حقها بقدر وسعهم ولكن الحكم لكل جواد كبوة يقع قدم صدقهم فى حجر بلاء وابتلاء فيتوب الله عليهم بجذبات العناية وهم مرآة جمال فضله ولطفه الله حسبى ونعم الوكيل وبالله التوفيق

* (سورة سبأ وهى مكية حروفها ثلاثة آلاف وخمسمائة واثنا عشر كلمها ثمانمائة وثلاث وثمانون آياتها أربع وخمسون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض ان نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب ولقد آتينا داود منا فضلا

اتقوا الله أن تعصوه فتستحقوا بذلك عقوبته وقولوا قولا سديدا يقول قولوا فى رسول الله والمؤمنين قولا قاصدا غير جائر حقا غير باطل كما حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقولوا قولا سديدا يقول سدادا حدثنا ابن حميد قال ثنا عنبسة عن الكلبى وقولوا قولا سديدا قال صدقا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اتقوا الله وقولوا قولا سديدا أى عدلا قال قتادة يعنى به فى منطقه وفى عمله كله والسديد الصدق حدثنى سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر عن الحكم ابن أبان عن عكرمة فى قول الله وقولوا قولا سديدا قولوا لا اله الا الله وقوله يصلح لكم أعمالكم يقول تعالى ذكره للمؤمنين اتقوا الله وقولوا السداد من القول يوفقكم لصالح الأعمال فيصلح أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم يقول ويعف لكم عن ذنوبكم فلا يعاقبكم عليها ومن يطع الله ورسوله فيعمل بما أمره به وينتهى عما نهاه ويقل السديد فقد فاز فوزا عظيما يقول فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا ﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه ان الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها ان أحسنت أثيبت وجوزيت وان ضيعت وعوقبت فأبت حملها شفقا منها أن لا تقوم بالواجب عليها وحملها آدم انه كان ظلوما لنفسه جهولا بالذى فيه الحظ له ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير فى قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها قال الأمانة الفرائض التى افترضها الله على العباد * قال ثنا هشيم عن العوام عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس فى قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها قال الأمانة الفرائض التى افترضها الله على عباده * قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب وجبير كلاهما عن الضحاك عن ابن عباس فى قوله انا عرضنا الأمانة الى قوله جهولا قال الأمانة الفرائض قال جويبر فى حديثه قال فلما عرضت على آدم قال أى رب وما الامانة قال قيل ان أديتها جزيت وان ضيعتها عوقبت قال أى رب حملتها بما فيها قال فما مكث فى الجنة الا قدر ما بين العصر الى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية فأخرج منها حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد عن ابن عباس أنه قال فى هذه الآية انا عرضنا الأمانة قال عرضت على آدم فقال خذها بما فيها فان أطعت غفرت لك وان عصيت عذبتك قال فقبلت فما كان الا قدر ما بين العصر الى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال ان أدوها أثابهم وان ضيعوها عذبهم فكرهوا ذلك وأشفقوا من غير معصية ولكن تعظيما لدين الله أن لا يقوموا بها ثم عرضها على آدم فقبلها بما فيها وهو قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا غر ابأمر الله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انا عرضنا الأمانة الطاعة عرضها

يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر في السرد واعملوا صالحا اني بما تعملون بصير ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادي الشكور فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالي وأياما آمنين فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شئ حفيظ ﴿ القراآت عالم الغيب بالرفع أبو جعفر ونافع وابن عامر ورويس علام بالجر وبناء المبالغة حمزة وعلي الباقون عالم بالجر وبدون المبالغة معاجزين بالألف وقد روى عن ابن كثير وأبي عمرو معجزين بالتشديد رجز أليم بالرفع صفة

عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم فلم تطقها فقال لآدم يا آدم اني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تطقها فهل أنت آخذ هن بما فيها قال يا رب وما فيها قال ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فأخذها آدم فتحملها فذلك قوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن رجل عن الضحاك بن مزاحم في قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قال آدم قيل له خذها بحقها قال وما حقها قيل ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فما لبث ما بين الظهر والعصر حتى أخرج منها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم يطقن حملها فهل أنت يا آدم آخذها بما فيها قال آدم وما فيها يا رب قال ان أحسنت جزيت وان أسأت عوقبت فقال تحملتها فقال الله تبارك وتعالى قد حملتكها فما مكث آدم الا مقدار ما بين الاولى الى العصر حتى أخرجه ابليس لعنه الله من الجنة والأمانة الطاعة حدثني سعيد بن عمرو السكوني قال ثنا بقية قال ثني عيسى بن ابراهيم عن موسى بن أبي حبيب عن الحكم بن عمرو وكان من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الأمانة والوفاء نزلا على ابن آدم مع الانبياء فأرسلوا به فمنهم رسول الله ومنهم نبي ومنهم نبي رسول نزل القرآن وهو كلام الله ونزلت العربية والعجمية فعلموا أمر القرآن وعلموا أمر السنن بألسنتهم ولم يدع الله شيأ من أمره مما يأتون ومما يجتنبون وهي الحجج عليهم الا بينه لهم فليس أهل لسان الا وهم يعرفون الحسن من القبيح ثم الأمانة أول شئ يرفع ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس ثم يرفع الوفاء والعهد والذمم وتبقى الكتب فعالم يعمل وجاهل يعرفها وينكرها حتى وصل الى وانى أمتي فلا يهلك على الله الا هالك ولا يغفله الا تارك والحذر أيها الناس واياكم والوسواس الخناس وانما يبلوكم أيكم أحسن عملا حدثني محمد بن خلف العسقلاني قال ثنا عبيد الله بن عبد المجيد الحنفي قال ثنا العوام العطار قال ثنا قتادة وأبان بن أبي عياش عن خليد العصري عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس من جاء بهن يوم القيامة مع ايمان دخل الجنة من حافظ على الصلوات الخمس على وضوئهن وركوعهن وسجودهن ومواقيتهن وأعطى الزكاة من ماله طيب النفس بها وكان يقول وأيم الله لا يفعل ذلك الا مؤمن وصام رمضان وحج البيت ان استطاع الى ذلك سبيلا وأدى الأمانة قالوا يا أبا الدرداء وما الأمانة قال الغسل من الجنابة فان الله لم يأمن ابن آدم على شئ من دينه غيره حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن أبي بن كعب قال من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها قال ان الله عرض عليهن الأمانة أن يفترض عليهن الدين ويجعل لهن ثوابا وعقابا ويستأمنهن على الدين فقلن لا نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضها الله على آدم فقال بين اذني وعاتق قال ابن زيد فقال الله له أما اذا تحملت

العذاب وكذلك في الحاشية ابن كثير وحفص ويعقوب وجبلة الآخرون بالجر ان يشأ يخسف أو يسقط على الغيبة فيهما حمزة وعلي وخلف الباقون بالنون نخسف بهم بادغام الفاء في الباء على كسفا بفتح السين حفص غير الخزاز والطير بالرفع حملا على لفظ المنادى يعقوب غير رويس

الآخرون بالنصب حملا على المحل أو لأنه مفعول معه أو معطوف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير الريح بالرفع أبو بكر وحماد والمفضل بتقدير ولسليمن الريح مسخرة أو سخرت الريح له الرياح بالرفع أيضا ولكن مجموعا يزيد الباقون موحدا منصوبا

كالجوابي بالياء في الحالين ابن كثير وسهل ويعقوب وافق أبو عمرو وورش في الوصل عبادي الشكور بسكون الياء حمزة والوقف بالياء لا غير منسأته بالألف أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وابن فليح وزيد عن يعقوب وقرأ ابن ذكوان ساكنة الهمزة الآخرون بفتح الهمزة تبينت الجن على البناء للمفعول يعقوب غير زيد سبأ غير مصروف أبو عمرو والبزي سبأ بهمزة ساكنة ابن مجاهد وأبو عون عن قنبل سبا بالالف ابن فليح وزمعة والقواس غير ابن مجاهد وأبي عون مسكنهم بفتح الكاف حمزة وحفص وبكسرها على وخلف الباقون مساكنهم مجموعة بجمعتيهم بضم الهاء سهل ويعقوب أكل خمط بضم الكاف والاضافة أبو عمرو وسهل ويعقوب الآخرون بالسكون والتنوين نجازي بضم النون وكسر الزاي الا الكفور بالنصب حمزة وعلي وخلف وحفص ويعقوب الآخرون بضم الياء وفتح الزاي وبرفع الكفور ربنا بالرفع باعد بلفظ الماضي من المفاعلة سهل الآخرون ربنا بالنصب على النداء باعد على الامر وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بعد أمرا من التبعيد صدق بالتشديد عاصم وعلي وخلف الباقون بالتخفيف أي صدق في ظنه أو صدق يظن ظنا نحو فعلته جهدك ۞ الوقوف في الآخرة ط الخبير ٥ فيها ط الغفور ٥ الساعة ط لتأتينكم ٥ لمن قرأ عالم بالرفع أي هو عالم ومن خفض جعله نعتا لربي فلم يقف بالغيب ج لأن قوله للسماء لا يعزب يصلح حالا واستئنافا مبين ٥ لا لتعلق اللام أبو حاتم يقف الصالحات ط كريم ٥ أليم ٥ الحق ج لأن قوله

هذا فسأعينك أجعل نبصرك حجابا فاذا خشيت أن تنظر الى ما لا يحل لك فأرخ عليه حجابه وأجعل للسانك بابا وغلقا فاذا خشيت فأغلق وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه الا على ما أحللت لك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال يعني به الدين والفرائض والحدود فأبين أن يحملنها وأشفقن منها قيل لهن احملنها تؤدين حقها فقلن لا نطيق ذلك وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا قيل له أتحملها قال نعم قيل أتؤدي حقها قال نعم قال الله انه كان ظلوما جهولا عن حقها * وقال آخرون بل عنى بالأمانة في هذا الموضع أمانات الناس ذكر من قال ذلك حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق عن شريك عن الأعمش عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال القتل في سبيل الله يكفر الذنوب كلها أو قال يكفر كل شيء الا الأمانة يؤتى بصاحب الأمانة فيقال له أد أمانتك فيقول أي رب وقد ذهبت الدنيا ثلاثا فيقال اذهبوا به الى الهاوية فيذهب به اليها فيهوي فيها حتى ينتهي الى قعرها فيجدها هناك كهيئتها فيحملها فيضعها على عاتقه فيصعد بها الى شفير جهنم حتى اذا رأى أنه قد خرج زلت فهوى في أثرها أبدا الآبدين قالوا والأمانة في الصلاة والأمانة في الصوم والأمانة في الحديث وأشد ذلك الودائع فلقيت البراء فقلت ألا تسمع الى ما يقول أخوك عبد الله فقال صدق * قال شريك وثنى عياش العامري عن زاذان عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يذكر الأمانة في الصلاة وفي كل شيء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرني عمرو بن الحرث عن ابن أبي هلال عن أبي حازم قال ان الله عرض الأمانة على سماء الدنيا فأبت ثم التي تليها حتى فرغ منها ثم الأرضين ثم الجبال ثم عرضها على آدم فقال نعم بين أذني وعاتق فثلاث آمرك بهن فانهن لك عون (١) اني جعلت لك لسانا بين لحيين فكفه عن كل شيء نهيتك عنه وجعلت لك فرجا ووارية فلا تكشفه الى ما حرمت عليك * وقال آخرون بل ذلك انما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه ذكر من قال ذلك حدثني موسى ابن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال كان لا يولد لآدم مولود الا ولد معه جارية فكان يزوج غلام هذا البطن جارية هذا البطن الآخر ويزوج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر حتى ولد له اثنان يقال لهما قابيل وهابيل وكان قابيل صاحب زرع وكان هابيل صاحب ضرع وكان قابيل أكبرهما وكان له أخت أحسن من أخت هابيل وان هابيل طلب أن ينكح أخت قابيل فأبى عليه وقال هي أختي ولدت معي وهي أحسن من أختك وأنا أحق أن أتزوجها فأمره أبوه أن يزوجها هابيل فأبى وانهما قربا قربانا الى الله أيهما أحق بالجارية وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما أي بمكة ينظر اليها قال الله لآدم يا آدم هل تعلم أن لي بيتا في الأرض قال اللهم لا قال ان لي بيتا بمكة فأته فقال آدم

(١) ترك الثالث والذي في الدر انى جعلت لك بصرا وجعلت لك شفرتين فغضهما عن كل شيء نهيتك عنه وجعلت لك لسانا الخ فتنبه كتبه مصححه

ويهدى عطف على المعنى أى يحق قبوله ويهدى الحميد ٥ ممزق ط لأن مابعده فى حكم المفعول لانه مفعول ثان لينبئكم وانما كسرت لدخول اللام فى خبرها جديد ٥ ج للآية ولاتحاد المقول جنة ط البعيد ٥ الارض ط السماء ط منيب ٥ فضلا ط والطير ج لأن مايتلوه يصلح حالا واستئنافا والحديد ٥ لا لتعلق أن صالحا ط بصير ٥ ورواحها شهر ط لأن قوله وأسلنا عطف على محذوف أى وسخرنا لسليمان الريح القطر ط ربه ط السعير ٥ راسيات ط شكرا ط الشكور ٥ منسأته ٥ المهين ٥ آية ج لاحتمال أن يكون التقدير هى جنتان وأن يكون بدلا من آية وشمال ط له ط أى لكم بلدة غفور ٥ قليل ٥ كفروا ط الكفور ٥ السير ط آمنين ٥ ممزق ط شكور ٥ المؤمنين ٥ شك ط حفيظ ٥

﴿ التفسير قال فى التفسير الكبير السور المفتتحة بالحمد خمس ثنتان فى النصف الاول الأنعام والكهف وثنتان فى النصف الاخير هذه والملائكة والخامسة وهى الفاتحة تقرأ مع النصف الاول ومع النصف الاخير وذلك لان المكلف له حالتان الابداء والاعادة وفى كل حالة لله علينا نعمتان نعمة الايجاد ونعمة الابقاء فأشار فى أول الانعام الى نعمة الايجاد الاول بدليل قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين وأشار فى أول الكهف الى انزال الكتاب الذى به يتم نظام العالم ويحصل قوام معاش بنى آدم وأشار فى أول هذه السورة الى نعمة الايجاد الثانى بدليل قوله تعالى وله الحمد فى الآخرة وأشار فى أول سورة الملائكة الى الابقاء الابدى بدليل قوله جاعل الملائكة رسلا

للسماء احفظى ولدى بالأمانة فأبت وقال للارض فأبت فقال للجبال فأبت فقال لقابيل فقال نعم تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك فلما انطلق آدم وقربا قربانا وكان قابيل يفخر عليه فيقول أنا أحق بها منك هى أختى وأنا أكبر منك وأنا وصى والدى فلما قربا قرب هابيل جذعة سمينة وقرب قابيل حزمة سنبل فوجد فيها سنبلة عظيمة ففركها فأكلها فنزلت النار فأكلت قربان هابيل وتركت قربان قابيل فغضب وقال لأقتلنك حتى لاتنكح أختى فقال هابيل انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لأقتلك انى أخاف الله رب العالمين الى قوله فطوعت له نفسه قتل أخيه فطلبه ليقتله فراغ الغلام منه فى رؤس الجبال وأتاه يوما من الأيام وهو يرعى غنمه فى جبل وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وتركه بالعراء ولا يعلم كيف يدفن فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه فحفر له ثم حثا عليه فلما رآه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخى فهو قول الله تبارك وتعالى فبعث الله غرابا يبحث فى الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه فذلك حين يقول انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال الى آخر الآية * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب ماقاله الذين قالوا انه عنى بالأمانة فى هذا الموضع جميع معانى الامانات فى الدين وأمانات الناس وذلك أن الله لم يخص بقوله عرضنا الأمانة بعض معانى الأمانات لما وصفنا * وبنحو قولنا قال أهل التأويل فى معنى قول الله انه كان ظلوما جهولا ذكر من قال ذلك

حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى انه كان ظلوما جهولا يعنى قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن رجل عن الضحاك فى قوله وحملها الانسان قال آدم انه كان ظلوما جهولا قال ظلوما لنفسه جهولا فيما احتمل فيما بينه وبين ربه حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس انه كان ظلوما جهولا غرا بأمر الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه كان ظلوما جهولا قال ظلوما لها يعنى للأمانة جهولا عن حقها

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات وكان الله غفورا رحيما ﴾ يقول تعالى ذكره وحمل الانسان الأمانة كيما يعذب الله المنافقين فيها الذين يظهرون أنهم يؤدون فرائض الله مؤمنين بها وهم مستسرون الكفر بها والمنافقات والمشركين بالله فى عبادتهم اياه الآلهة والأوثان والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات يرجع بهم الى طاعته وأداء الأمانات التى ألزمهم اياها حتى يؤدوها وكان الله غفورا لذنوب المؤمنين والمؤمنات بستره عليها وتركه عقابهم عليها رحيما أن يعذبهم عليها بعد توبتهم منها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سوار ابن عبد الله العنبرى قال ثنى أبى قال ثنا أبو الأشهب عن الحسن أنه كان يقرأ هذه الآية انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال حتى ينتهى ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات فيقول اللذان خانا هما اللذان ظلماها المنافق والمشرك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين



والملائكة بأجمعهم لايكونون رسلا الا يوم القيامة يرسلهم الله مسلمين على المسلمين كقوله وتتلقاهم الملائكة وقال تعالى فى تحيتهم سلام عليكم طبتم وفاتحة الكتاب حيث تشتمل على نعمة الدنيا

بقوله الحمد لله رب العالمين وعلى نعمة الآخرة بقوله مالك يوم الدين تقرأ في الافتتاح وفي الاختتام واعلم أنه تعالى وصف نفسه في أول هذه السورة بأن له ما في السموات وما في الارض  ايذانا بأن كونه مالكا لكل الاشياء يوجب كونه محمودا على كل لسان لأن الكل اذا كان له فكل من ينتفع بشئ من ذلك كان مستنفعا بنعمه ثم صرح بأن له الحمد في الآخرة تفضيلا لنعم الآخرة على نعم الدنيا وايذانا بأنها هي النعمة الحقيقية التي يحق أن يحمد عليها ويثنى عليه من أجلها مع افادة الاختصاص بتقديم الظرف (وهو الحكيم) في الابتداء (الخبير) بالانتهاء ثم أكد علمه بقوله (يعلم ما يلج في الارض) أي يدخل فيها من المياه والحبات والكنوز والاموات (وما يخرج منها) من الشجر والنبات ومياه الآبار والجواهر والمعدنيات (وما ينزل من السماء) من الامطار والارزاق وأنواع البركات والوحى (وما يعرج فيها) من الملائكة وأعمال العباد وقد أشار بقوله فيها دون أن يقول اليها الى أن الاعمال الصالحة مقبولة والنفوس الزكية واصلة فقد ينتهى الشئ الى الشئ ولا ينفذ فيه ولا يتصل به (وهو الرحيم) حين الانزال (الغفور) وقت عروج الاعمال للفرطين في الاقوال والافعال ثم بين أن نعمة الآخرة باتيان الساعة الآخرة قد ينكرها قوم ثم رد عليهم بقوله (بلى) وأكد ذلك بقوله (وربى) ثم برهن على ذلك بقوله (عالم الغيب) لأن العالم بجميع الاشياء عالم بأجزاء الاحياء قادر على جمعها كما بدأها وفي قوله (لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض) اشارة الى أن الانسان له جسم أرضي وروح سماوي فالعالم بما في العالمين القادر على تأليفهما قادر على اعادتهما على ما كانا عليه وانما ذكر الاكبر مع أن الاصغر هو اللائق بالمبالغة لئلا يتوهم منه أن الصغار قراء تثبت لكونها تنسى أما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته بل المراد أن الصغير والكبير مثبت في الكتاب وقد مر نظيره في يونس

والمشركات هذان اللذان خانا هما ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات هذان اللذان أديا هما وكان الله غفورا رحيما

آخر سورة الاحزاب ولله الحمد والمنة

## ﴿ تفسير سورة سبأ ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير ﴾ يقول تعالى ذكره الشكر الكامل والحمد التام كله للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السموات السبع وما في الارضين السبع دون كل ما يعبدونه ودون كل شئ سواه لا مالك لشئ من ذلك غيره فالمعنى الذي هو مالك جميعه وله الحمد في الآخرة يقول وله الشكر الكامل في الآخرة كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة لأن منه النعم كلها على كل من في السموات والارض في الدنيا ومنه يكون ذلك في الآخرة فالحمد لله خالصا دون ما سواه في عاجل الدنيا وآجل الآخرة لأن النعم كلها من قبله لا يشركه فيها أحد من دونه وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه اياهم في تقديره خبير بهم وبما يصلحهم وبما عملوا وما هم عاملون محيط بجميع ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهو الحكيم الخبير حكيم في أمره خبير بخلقه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ﴾ يقول تعالى ذكره يعلم ما يدخل الارض وما يغيب فيها من شئ من قولهم ولجت في كذا اذا دخلت فيه كما قال الشاعر

رأيت القوافي يتلجن مواليا * تضايق عنها أن تولجها الابر

يعني بقوله يتلجن مواليا يدخلن مداخل وما يخرج منها يقول وما يخرج من الارض وما ينزل من السماء وما يعرج فيها يعني وما يصعد في السماء وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شئ في السموات والارض مما ظهر فيها وما بطن وهو الرحيم الغفور وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذبهم بعد توبتهم الغفور لذنوبهم اذا تابوا منها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين ﴾ يقول تعالى ذكره ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قدرة الله على اعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة استهزاء بوعدك اياهم وتكذيبا لخبرك قل لهم بلى تأتينكم وربي قسما به لتأتينكم الساعة ثم عاد جل جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه وتمجيدها فقال عالم الغيب واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة عالم الغيب على مثال فاعل بالرفع على الاستئناف اذ دخل بين قوله وربي وبين قوله عالم الغيب كلام حائل بينه وبينه وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة عالم على مثال فاعل غير أنهم خفضوا عالما ردا منهم له على قوله وربي اذ كان من صفته وقرأ ذلك بقية عامة

وقدم السموات على الارض موافقة لقوله له ما فى السموات وما فى الارض بخلاف يونس فان المخاطبين فى الارض فقدمت ثم ذكر غاية الاعادة بقوله ليجزى الى قوله (من رجز أليم) ومعنى سعوا فى آياتنا أى  فى ابطال آياتنا معاجزين مريدين تعجيز النبى

قراء الكوفة علام الغيب على مثال فعال و بالخفض ردّا لاعرابه على اعراب قوله وربى اذ كان من نعته * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن كل هذه القراآت الثلاث قراآت مشهورات فى قراء الامصار متقاربات المعانى فبأيتهن قرأ القارئ فمصيب غير أن أعجب القراآت فى ذلك الىّ أن أقرأ بها علام الغيب على القراءة التى ذكرتها عن عامة قراء أهل الكوفة فأما اختيارى علام على عالم فلانها أبلغ فى المدح وأما الخفض فيها فلانها من نعت الرب وهو فى موضع الجر وعنى بقوله علام الغيب علام ما يغيب عن أبصار الخلق فلا يراه أحد إما لم يكونه مما سيكونه أو ما قد كونه فلم يطلع عليه أحدا غيره وانما وصف جل ثناؤه فى هذا الموضع نفسه بعلمه الغيب إعلاما منه خلقه أن الساعة لا يعلم وقت مجيئها أحد سواه وان كانت جائية فقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل للذين كفروا بربهم بلى وربكم لتأتينكم الساعة ولكنه لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب الذى لا يعزب عنه مثقال ذرّة يعنى جل ثناؤه بقوله لا يعزب عنه لا يغيب عنه ولكنه ظاهر له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله لا يعزب عنه يقول لا يغيب عنه حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله لا يعزب عنه قال لا يغيب عنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا يعزب عنه مثقال ذرة أى لا يغيب عنه وقد بينا ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله مثقال ذرّة يعنى زنة ذرّة فى السموات ولا فى الارض يقول تعالى ذكره لا يغيب عنه شئ من زنة ذرة فما فوقها فما دونها أين كان فى السموات ولا فى الارض ولا أصغر من ذلك يقول ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرة ولا أكبر منه الا فى كتاب مبين يقول هو مثبت فى كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه فلم يعزب عن علمه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم﴾ يقول تعالى ذكره أثبت ذلك فى الكتاب المبين كى يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم أولئك لهم مغفرة يقول جل ثناؤه لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات مغفرة من ربهم لذنوبهم ورزق كريم يقول وعيش هنى فى يوم القيامة فى الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولئك لهم مغفرة لذنوبهم ورزق كريم فى الجنة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين سعوا فى آياتنا معاجزين أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾ يقول تعالى ذكره أثبت ذلك فى الكتاب ليجزى المؤمنين ما وصف وليجزى الذين سعوا فى آياتنا معاجزين يقول وكى يثيب الذين عملوا فى ابطال أدلتنا وحججنا(١) معاوتين يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم أولئك لهم عذاب يقول هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم ويعنى بالأليم الموجع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سعوا فى آياتنا معاجزين أى لا يعجزون أولئك لهم عذاب من رجز أليم قال الرجز سوء العذاب الأليم الموجع حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله

(١) لعله معاندين أو مفاوتين تأمل كتبه مصححه

فى التقرير والتبليغ أو يعجزون من آمن بنا وقيل أى مسابقين يحسبون أنهم يفوتوننا وقال ابن زيد جاهدين وهو قولهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه وعن قتادة الرجز سوء العذاب وحين بين جزاء المؤمن الصالح عمله والمكذب الساعى المعجز علم منه حال غيرهما فالمؤمن الذى لم يعمل صالحا يكون له مغفرة من غير رزق كريم والكافر غير المعاند يكون له عذاب وان لم يكن من أسوأ أنواعه ثم بين أن الذين أوتوا العلم لا يغترون بشبهات أهل العناد ويرون ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق ليس الحق الا هو والنزاع غير لفظى حتى يمكن تصحيح قول المعاند بوجه وأولو العلم هم أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والتابعون لهم وقيل هم علماء أهل الكتابين الذين أسلموا ويرى من فعل القلب مفعولاه الذى مع صلته والحق وهو فصل وقيل ان يرى معطوف على ليجزى فلا وقف على أليم أى وليعلم أولوا العلم عند مجىء الساعة أنه الحق علما لا يزاد عليه فى الايقان ويحتجوا به على المعاند أو وليعلم من لم يؤمن من الاحبار أنه هو الحق فيزدادوا حسرة والعزيز اشارة الى كونه منتقما من الساعين فى التكذيب والحميد اشارة الى أنه يشكر سعى من يصدق ويعمل صالحا وقدم صفة الهيبة لان الكلام مع منكرى البعث ثم قص عناد أهل قريش وخصهم بالتعجيب من حالهم لانهم تجاهلوا حين قالوا على رجل مع أن النبى صلى الله عليه وسلم كان عندهم أظهر من الشمس قصدوا بذلك الطعن والسخرية فأخرجوا الكلام مخرج الحكاية ببعض الاضاحيك والاعاجيب كأنهم لم يكونوا قد عرفوا منه الا أنه رجل ما ومعنى (مزقتم كل ممزق) فرقت أوصالكم كل تفريق

وجوز جار الله أن يكون اسم مكان من الاموات ما حصل أجزاؤه فى بطون الطير والسباع ومنها ما مزقت به السيول فذهبت به كل مذهب أو سفته الرياح فطرحته كل مطرح والعامل  فى اذا ما دل عليه قوله انكم لفى خلق جديد وهو تبعثون أو تخلقون ثم ازدادوا فى التجاهل قائلين (أفترى على الله كذبا) ان كان يعتقد خلافه أم به جنة ان كان لا يعتقد خلافه وفيه أن الكافر لا يرضى بالكذب البحت فيردد كلامه بين الامرين ولكن أخطأ ابن أخت خالته حين ترك قسما ثالثا وهو أنه عاقل صادق فلذلك رد الله عليهم بقوله (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) جعل وقوعهم فى العذاب رسالا لوقوعهم فى الضلال اذ العذاب من لوازم الضلال وموجباته قابل قولهم أفترى بالعذاب وقولهم به جنة بالضلال البعيد لان نسبة الجنون الى العاقل أقل فى باب الايذاء من نسبة الافتراء اليه وقد أسقطت همزة الوصل فى قوله أفترى استثقالا لاجتماع همزتين همزة الاستفهام المفتوحة وهمزة الوصل المكسورة وهو على القياس وجوز بعضهم أن يكون هذا الاستفهام من كلام السامع المجيب لمن قال هل ندلكم وحين قرر دليل الحشر من جهة كونه علام الغيوب أراد أن يذكر دليلا آخر على ذلك من قبل كمال قدرته فقال (أفلم يروا) معناه أعموا فلم ينظروا خصت بالفاء وليس غيره فى القرآن تعجيلا للجواب وتعقيبا لحل الشبهة نظيره قوله أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم ثم هددهم بأنه قادر على أن يجعل عين النافع ضارا بالخسف واسقاط الكسف وقال جار الله أراد فلم ينظروا الى السماء والارض وأنهما حيثما كانوا وأينما ساروا أمامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون أن يخرجوا بما من أقطارهما فلم يخافوا أن يخسف الله بهم أو يسقط عليهم كسفا لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول كما فعل بقارون وأصحاب الايكة

والذين سعوا فى آياتنا معاجزين قال جاهدين ليبطلوها أو يبطلوها قال وهم المشركون وقرأ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد﴾ يقول تعالى ذكره أثبت ذلك فى كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا والذين سعوا فى آياتنا معاجزين لهم وليرى الذين أوتوا العلم فيرى فى موضع نصب عطفا به على قوله ليجزى فى قوله ليجزى الذين آمنوا وعنى بالذين أوتوا العلم مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام ونظرائه الذين قد قرؤا كتب الله التى أنزلت قبل الفرقان فقال تعالى ذكره وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذى هو التوراة الكتاب الذى أنزل اليك يا محمد من ربك هو الحق * وقيل عنى بالذين أوتوا العلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل اليك من ربك هو الحق قال أصحاب محمد وقوله ويهدى الى صراط العزيز الحميد يقول ويرشد من اتبعه وعمل بما فيه الى سبيل الله العزيز فى انتقامه من أعدائه الحميد عند خلقه فأياديه عندهم ونعمه لديهم وانما يعنى أن الكتاب الذى أنزل على محمد يهدى الى الاسلام ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد صلى الله عليه وسلم متعجبين من وعده اياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض هل ندلكم أيها الناس على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد يقول يخبركم أنكم بعد تقطعكم فى الارض بلاء وبعد مصيركم فى التراب رفاتا عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقا جديدا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق قال ذلك مشركو قريش والمشركون من الناس ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق اذا أكلتكم الارض وصرتم رفاتا وعظاما وقطعتكم السباع والطير انكم لفى خلق جديد ستحيون وتبعثون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هل ندلكم على رجل الى خلق جديد قال يقول اذا مزقتم واذا بليتم وكنتم عظاما وترابا ورفاتا ذلك كل ممزق انكم لفى خلق جديد قال ينبئكم أنكم فكسر ان ولم يعمل ينبئكم فيها ولكن ابتدأ بها ابتداء لأن النبأ خبر وقول فالكسر فى ان لمعنى الحكاية فى قوله ينبئكم دون لفظه كأنه قيل يقول لكم انكم لفى خلق جديد ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿أفترى على الله كذبا أم به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء الذين كفروا به وأنكروا البعث بعد الممات بعضهم لبعض معجبين من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وعده اياهم ذلك أفترى هذا الذى يعدنا أنا بعد أن نمزق كل ممزق فى خلق جديد على الله كذبا فتخلق عليه بذلك باطلا من القول وتخرص عليه قول الزور أم به جنة يقول أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة قال قالوا تكذيبا أفترى على الله كذبا قال قالوا اما أن يكون يكذب على الله أم به جنة واما أن يكون مجنونا بل الذين لا يؤمنون الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ثم قال بعضهم لبعض أفترى على الله كذبا أم به جنة الرجل مجنون فيتكلم

(ان فى ذلك) النظر والاعتبار (لآية لكل عبد منيب) لان الراجع الى ربه قلما يخلو من الاعتبار والاستبصار ثم ذكر من عباده المنيبين اليه داود وسليمان كما قال فى ص فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب وقال  فى سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وفى قوله منا تنويه بالفضل وشأنه ثم بين الفضل بقوله (يا جبال أوبى) لأن هذا القول نوع من ايتاء الفضل ويجوز أن يكون التقدير قلنا يا جبال أوبى أى رجعى معه التسبيح قيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تساعده على نوحه بأصدائها والطير بأصواتها وقدم تحقيقه فى سورة الانبياء والتأويب السير طول النهار والنزول ليلا فكأنه قال أوبى النهار كله بالتسبيح معه وفى خطاب الجماد اشعار بأنه ما من صامت ولا ناطق الا وهو منقاد لمشيئته وقد ألان الله له الحديد كالشمع أو لان الحديد فى يده لما أوتى من شدة القوة وأن فى قوله (أن اعمل) مفسرة لأن إلانة الحديد له فى معنى الامر بأن يستعمل سابغات أى دروعا واسعة وهى من الصفات التى غلبت عليها الاسمية حتى ترك ذكر موصوفها والسرد نسج الدروع ومعنى التقدير فيه أن لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم الحلق يروى أنه كان يخرج حين ملك بنى اسرائيل متنكرا فيسأل الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون فى داود فيثنون عليه فقيض الله تعالى ملكا فى صورة آدمى فسأله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فخاف داود فسأله فقال لولا أنه يطعم عياله من بيت المال فطلب عند ذلك من الله أن يغنيه عن أكل بيت المال فعلمه صنعة اللبوس وانما اختار له ذلك لانه وقاية للروح ويحفظ الآدمى المكرم عند الله من القتل فالزراد خير من القواس والسياف وقيل ان التقدير فى السرد اشارة الى أنه غير مأمور به أمر ايجاب انما هو اكتساب يكون بقدر الحاجة الى القوت وباقى اليوم والليلة للعبادة بدليل قوله (واعملوا صالحا)

بما لا يعقل فقال الله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد وقوله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد يقول تعالى ذكره ما الامر كما قال هؤلاء المشركون فى محمد صلى الله عليه وسلم وظنوا به من أنه افترى على الله كذبا أو أن به جنة لكن الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين فى عذاب الله فى الآخرة وفى الذهاب البعيد عن طريق الحق وقصد السبيل فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد قال الله بل الذين لا يؤمنون بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد وأمره أن يحلف لهم ليعتبروا وقرأ قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم الآية كلها وقرأ قل بلى وربى لتأتينكم وقطعت الألف من قوله أفترى على الله فى القطع والوصل ففتحت لأنها ألف استفهام فأما الالف التى بعدها التى هى ألف افتعل فانها ذهبت لانها خفيفة زائدة تسقط فى اتصال الكلام ونظيرها سواء عليهم أستغفرت لهم وبيدى أستكبرت وأصطفى البنات وما أشبه ذلك وأما ألف آلآن وآلذكرين فطولت هذه ولم تطول تلك لأن آلآن وآلذكرين كانت مفتوحة فلو أسقطت لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق فجعل التطويل فيها فرقا بين الاستفهام والخبر وألف الاستفهام مفتوحة فكانتا مفترقتين بذلك فأغنى ذلك دلالة على الفرق من التطويل ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض ان نشأ نخسف بهم الارض أو نسقط عليهم كسفا من السماء ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب﴾ يقول تعالى ذكره أفلم ينظر هؤلاء المكذبون بالمعاد الجاحدون البعث بعد الممات القائلون لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم أفترى على الله كذبا أم به جنة الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض فيعلموا أنهم حيث كانوا فان أرضى وسمائى محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فيرتدعوا عن جهلهم ويتزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذرا أن نأمر الارض فتخسف بهم أو السماء فتسقط عليهم قطعا فانا ان نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم قال ينظرون عن أيمانهم وعن شمائلهم كيف السماء قد أحاطت بهم ان نشأ نخسف بهم الأرض كما خسفنا بمن كان قبلهم أو نسقط عليهم كسفا من السماء أى قطعا من السماء وقوله ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب يقول تعالى ذكره ان فى احاطة السماء والارض بعباد الله لآية يقول لدلالة لكل عبد منيب يقول لكل عبد أناب الى ربه بالتوبة ورجع الى معرفة توحيده والاقرار بربوبيته والاعتراف بوحدانيته والاذعان لطاعته على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شئ أراد فعله ولا يتعذر عليه فعل شئ شاءه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة ان فى ذلك لآية لكل عبد منيب والمنيب المقبل التائب ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابغات وقدر فى السرد واعملوا صالحا انى بما تعملون بصير﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أعطينا داود منا فضلا وقلنا للجبال أوبى معه سبحى معه اذا سبح والتأويب عند العرب الرجوع ومبيت الرجل فى منزله وأهله ومنه قول الشاعر

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأويب

أى رجوع وقد كان بعضهم يقرؤه أوبى معه من آب يؤب بمعنى تصرفى معه وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنى محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة وحدثنا محمد ابن سنان القزاز قال ثنا الحسن بن الحسن الأشقر قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس أوبى معه قال سبحى معه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يا جبال أوبى معه يقول سبحى معه حدثنا أبو عبد الرحمن العلائى قال ثنا عن مسعر عن أبى حصين عن أبى عبد الرحمن يا جبال أوبى معه يقول سبحى حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق عن أبى ميسرة يا جبال أوبى معه قال سبحى بلسان الحبشة حدثنى يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل عن منصور عن مجاهد فى قوله يا جبال أوبى معه قال سبحى معه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يا جبال أوبى معه قال سبحى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا جبال أوبى معه أى سبحى معه اذا سبح وحدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يا جبال أوبى معه قال سبحى معه قال والطير أيضا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يا جبال أوبى معه قال سبحى حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك قوله يا جبال أوبى معه سبحى معه وقوله والطير وفى نصب الطير وجهان أحدهما على ما قاله ابن زيد من أن الطير نوديت كما نوديت الجبال فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على منصوب بما لا يحسن اعادة رافعه عليه فيكون (١) كالمصدر عن جهته والآخر فعل ضمير متروك استغنى بدلالة الكلام عليه فيكون معنى الكلام فقلنا يا جبال أوبى معه وسخرنا له الطير وان رفع ردّا على ما فى قوله سبحى من ذكر الجبال كان جائزا وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال وان لم يحسن نداؤها بالذى نوديت به الجبال فيكون ذلك كما قال الشاعر

ألا يا عمرو والضحاك سيرا * فقد جاوزتما خمر الطريق

وقوله وألنا له الحديد ذكر أن الحديد كان فى يده كالطين المبلول يصرفه فى يده كيف يشاء بغير ادخال نار ولا ضرب بحديد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وألنا له الحديد سخر الله له الحديد بغير نار حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة فى قوله وألنا له الحديد كان يسوّيها بيده ولا يدخلها نارا ولا يضربها بحديدة وقوله أن اعمل سابغات يقول وعهدنا اليه أن اعمل سابغات وهى التواتم الكوامل من الدروع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن اعمل سابغات دروع وكان أول من صنعها داود انما كان قبل ذلك صفائح حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أن اعمل سابغات

أى استم يا آل داود مخلوقين الا للعمل الصالح فأكثروا منه واما كسب القوت فاقتصدوا فيه ثم أكد الفعل الصالح بقوله انى بما تعملون بصير فان من يعلم أنه بمرأى من الملك اجتهد فى حسن العمل وتزكية الباطن ثم ذكر المنيب الآخر وهو سليمن وحكى ما استفاد دو بالانابة وهو تسخير الريح له كالملوك المنقاد لأمره (غدوها شهر) أى جريها بالغداة مسيرة شهر وجريها بالعشى كذلك يروى أن بعض أصحاب سليمن كتب فى منزل بناحية دجلة نحن نزلناه ومابنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه وبائتون بالشام ان شاء الله ومن جملة معجزاته اسالة عين القطر والقطر النحاس أساله لاجله كما ألان الحديد لداود فنبع كما ينبع الماء من العين فلذلك سماه عين القطر روى أنه كان يسيل فى شهر ثلاثة أيام زعم بعض المتحذلقين أن المراد من تسخير الجبال وتسبيحها مع داود أنها كانت تسبح كما يسبح كل شئ بحمده وكان هو عليه السلام يفقه تسبيحهم فيسبح والمراد من تسخير الريح أنه راض الخيل وهى كالريح وقوله غدوها شهر أى ثلاثون فرسخا لأن الذى يخرج للتفرج لا يسير فى العادة أكثر من فرسخ ثم يرجع والمراد بالانة الحديد واسالة القطر أنهم استخرجوا الحديد والنحاس بالنار واستعمان آلاتها والمراد بالشياطين ناس أقوياء ولا يخفى ضعف هذه التأويلات فان قدرة الله فى باب خوارق العادات أكثر وأكمل من أن تحتاج الى هذه التكلفات وقال فى التفسير الكبير الجبال لما سبحت تشرفت بذكر الله فلم يضفها الى داود بلام الملك بل جعلها معه كالمصاحب والريح لم يذكر فيها أنها سبحت فجعلها كالملوكة أو نقول الجبل فى السير ليس أصلا بل هو يتحرك معه تبعا والريح لا تتحرك مع سليمن بل تتحرك مع نفسها فلم يقل الريح مع سليمن بل سليمن كان مع الريح وههنا نكتة وهى أن الله تعالى ذكر ثلاثة أشياء فى حق داود وثلاثة فى حق سليمن قال

(١) لعله كالمصروف عن جهته تأمل

فالجبال المسخرة لداود من جنس تسخير الريح لسليمان اذ كل منهما ثقيل مع خفيف فالجبال أثقل من الآدمى والآدمى أثقل من الريح وأيضا تسخير الطير من جنس الجن فان الطير تنفر من الآدمى والآدمى يتقى  مواضع الجن والجن تطلب أبدا اصطياد الناس والانسان يطلب اصطياد الطير وإلانة الحديد شبيهة باسالة القطر وفى قوله (باذن ربه) اشارة الى أن حضور الجن بين يديه كان مصلحة له لا مفسدة وفى قوله (عن أمرنا) دون أن يقول عن أمر ربه اشارة الى أن الجن كانوا بصدد التعذيب عند زيغهم عن أمر الله فان لفظ الرب ينبئ عن الرحمة وصيغة جمع المتكلم فى مقام الوحدة ينبئ عن الهيبة قال ابن عباس عذاب السعير عذاب الآخرة وعن السدى كان معه ملك بيده سوط من النار كلما استعصى عليه الجنى ضربه من حيث لا يراه الجنى ثم فصل عمل الجن بقوله (يعملون له ما يشاء من محاريب) وهى المساجد والمجالس الرفيعة الشريفة المصونة عن الابتذال وقدم فى آل عمران والتماثيل صور الملائكة والنبيين كان يأمر بأن تعمل فى المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم عن أبى العالية لم يكن اتخاذ الصور فى تلك الشرائع محرما ولعلها صور غير الحيوان من الاشجار ونحوها ويروى أنهم عملوا له أسدين فى أسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا قعد أظلله النسران بأجنحتهما وحين فرغ من تقرير مسكنه ونقوشه شرع فى تقرير آلات مجلسه فقدم ذكر الجفان التى بها تظهر عظمة السماط الممدود منه والجفنة القصعة الكبيرة والجوابى الحياض الكبار لان الماء يجبى فيها أى يجمع جعل الفعل لها مجازا وهى من الصفات الغالبة كالدابة وكان يقعد على الجفنة ألف رجل وحين ذكر الجفان كان يقع فى النفس أن هذه الاطعمة كيف تكون قدورها فذكر أنها قدور راسيات

قال السابغات دروع الحديد وقوله وقدر فى السرد اختلف أهل التأويل فى السرد فقال بعضهم السرد هو مسمار حلق الدرع ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقدر فى السرد قال كان يجعلها بغير نار ولا يقرعها بحديد ثم يسردها والسرد المسامير التى فى الحلق * وقال آخرون هو الحلق بعينها ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقدر فى السرد قال السرد حلقه أى قدر تلك الحلق قال وقال الشاعر * أجاد المسدى سردها وأذالها * قال يقول وسعها وأجاد حلقها **حدثنا** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وقدر فى السرد يعنى بالسرد ثقب الدروع فيسد قتيرها وقال بعض أهل العلم بكلام العرب يقال درع مسرودة اذا كانت مسمورة الحلق واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر

وعليهما مسرودتان قضاهما * داود أو صنع السوابغ تبع

وقيل انما قال الله لداود وقدر فى السرد لانها كانت قبل صفائح ذكر من قال ذلك **حدثنا** نصر ابن على قال ثنا أبى قال ثنا خالد بن قيس عن قتادة وقدر فى السرد قال كانت صفائح فأمر أن يسردها حلقا وعنى بقوله وقدر فى السرد وقدر المسامير فى حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا تغلظ المسمار وتضيق الحلقة فتفصم الحلقة ولا توسع الحلقة وتصغر المسامير وتدقها فتسلس فى الحلقة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقدر فى السرد قال قدر المسامير والحلق لا تدق المسامير فتسلس ولا تجلها قال محمد بن عمرو وقال الحرث فتفصم **حدثنى** على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله وقدر فى السرد قال لا تصغر المسمار وتعظم الحلقة فتسلس ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فيفصم المسمار **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن عيينة قال ثنا أبى عن الحكم فى قوله وقدر فى السرد قال لا تغلظ المسمار فيفصم الحلقة ولا تدقه فيقلق وقوله واعملوا صالحا يقول تعالى ذكره واعمل يا داود أنت وآلك بطاعة الله انى بما تعملون بصير يقول جل ثناؤه انى بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر لا يخفى على منه شئ وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ولسليمن الريح فقرأته عامة قراء الأمصار ولسليمن الريح بنصب الريح بمعنى ولقد آتينا داود منا فضلا وسخرنا لسليمن الريح وقرأ ذلك عاصم ولسليمن الريح رفعا بحرف الصفة اذ لم يظهر الناصب * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا النصب لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله غدوها شهر يقول تعالى ذكره وسخرنا لسليمن الريح غدوها الى انتصاف النهار مسيرة شهر ورواحها من انتصاف النهار الى الليل مسيرة شهر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر قال تغدو

ثابتات على الاثافى لاتتزل عنها لعظمها ويعلم من تقرير قصتى داود وسليمن أن اشتغال داود بآلة الحرب اكثر لانه قتل جالوت ثم أراد تسوبة الملك والغلبة على الجبابرة وأما فى زمن سليمن فالملك قد استوى ولم يكن على وجه الارض أحد يقاومه وكان يفرق الاموال فى الاطعام والانعام ثم بين بقوله (اعملوا آل داود شكرا) أن الدنيا عرض زائل وان كان ملك سليمن فعلى العاقل أن يصرف همته فى طلب الآخرة وانتصب شكرا على أنه مفعول له أو حال أى شاكرين أو مصدرا لأن اعملوا فى معنى الشكر أو مفعول به لان الشكر عمل صالح وقال جار الله أنه على طريق المشاكلة ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا أنتم شكرا قلت وفى لفظ العمل اشارة الى أن الشكر اللسانى غير كاف وانما المعتبر الشكر الفعلى أو هو مع القولى يروى أن داود عليه السلام جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود قائم يصلى والشكور هو المتوفر على أداء الشكر الباذل وسعه فيه بالقلب واللسان والجوارح فى أكثر الاوقات والاحوال وانهم لقليل فلذلك قال بعضهم اللهم اجعلنى من الأقلين وهذا الشكر القليل انما هو بقدر الطاقة البشرية وأما الذى يناسب نعم الله فلن يقدر الانسان عليه الا أن يقول الله عبدى ما أتيت به من الشكر قبلته منك مع قلته وكتبتك شاكرا لأنعمى بأسرها وهذا القول نعمة عظيمة لا أكلفك شكرها وحين بين عظمة سليمن وتسخير الريح والجن له بين أنه لم ينج من الموت وأنه قضى عليه الموت ولو نجا أحد منه لكان نبى الله أولى بذلك يروى أن داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس فمات قبل أن يتمه فوصى به الى سليمن فأمر الشياطين باتمامه وكان من عادته أن يعتكف فيه أحيانا فلما دنا أجله لم يصبح الا رأى فى محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله عز وجل فيسألها لأى شئ أنت فتقول لكذا

مسيرة شهر وتروح مسيرة شهر قال مسيرة شهرين فى يوم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر قال ذكر لى أن مترلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمن إما من الجن وإما من الانس نحن نزلناه ومابنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه ان شاء الله فبائتون بالشام حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر قال كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن فى كل ركن ألف بيت تركب فيه الجن والانس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب هم والعصار فاذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وساروا معه يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر ويمسى عند قوم بينه وبينهم شهر ولا يدرى القوم إلا وقد أظلهم معه الجيوش والجنود حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن فى قوله غدوها شهر ورواحها شهر قال كان يغدو فيقيل فى اصطخر ثم يروح منها فيكون رواحها بكابل حدثنا ابن بشار قال ثنا حماد قال ثنا قرة عن الحسن بمثله وقوله وأسلنا له عين القطر يقول وأذبنا له عين النحاس وأجريناها له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأسلنا له عين القطر عين النحاس كانت بأرض اليمن وانما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأسلنا له عين القطر قال الصفر سال كما يسيل الماء يعمل به كما كان يعمل العجين فى الذين حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأسلنا له عين القطر يقول النحاس حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأسلنا له عين القطر يعنى عين النحاس أسيلت وقوله ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه يقول تعالى ذكره ومن الجن من يطيعه ويأتمر بأمره وينتهى لنهيه فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له باذن ربه يقول بأمر الله له بذلك وتسخيره اياه له ومن يزغ منهم عن أمرنا يقول ومن يزل ويعدل من الجن عن أمرنا الذى أمرناه من طاعة سليمن نذقه من عذاب السعير فى الآخرة وذلك عذاب نار جهنم الموقدة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يزغ منهم عن أمرنا أى يعدل منهم عن أمرنا عما أمره به سليمن نذقه من عذاب السعير ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور ﴾ يعنى تعالى ذكره يعمل الجن لسليمن ما يشاء من محاريب وهى جمع محراب والمحراب مقدم كل مسجد وبيت ومصلى ومنه قول عدى بن زيد

كدمى العاج فى المحاريب أو كالـ * ـبيض فى الروض زهره مستنير

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما يشاء من محاريب قال بنيان دون القصور حدثنا بشر قال ثنا يزيد

حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها الاى شئ انت فقالت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حى فقال اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الناس أنهم لا يعلمون الغيب وقال لملك الموت اذا أمرت بى  فأعلمنى فقال أمرت بك وقد بقيت

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يعملون له ما يشاء من محاريب وقصور ومساجد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يعملون له ما يشاء من محاريب قال المحاريب المساكن وقرأ قول الله فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب حدثنى عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك يعملون له ما يشاء من محاريب قال المحاريب المساجد وقوله وتماثيل يعنى أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج كما حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وتماثيل قال من نحاس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتماثيل قال من زجاج وشبه حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قول الله وتماثيل قال الصور قوله وجفان كالجواب يقول ويتخذون له ما يشاء من جفان كالجواب وهى جمع جابية والجابية الحوض الذى يجبى فيه الماء كما قال الاعشى ميمون بن قيس

تروح على نادى المحلق جفنة * كجابية الشيخ العراقى تفهق

وكما قال الآخر

فصبحت جابية صهارجا * كأنها جلد السماء خارجا

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجفان كالجواب يقول كالجوبة من الارض حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجفان كالجواب يعنى بالجواب الحياض وحدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن وجفان كالجواب قال كالحياض حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وجفان كالجواب قال حياض الابل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجفان كالجواب قال جفان كجوبة الارض من العظم والجوبة من الارض يستنقع فيها الماء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وجفان كالجواب كالحياض حدثنا عمرو قال ثنا مروان بن معاوية قال ثنا جويبر عن الضحاك وجفان كالجواب قال كحياض الابل من العظم وقوله وقدور راسيات يقول وقدور ثابتات لا يحركن عن أماكنهن ولا تحول لعظمهن وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وقدور راسيات قال عظام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقدور راسيات قال عظام ثابتات فى الارض لا يزلن عن أمكنتهن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقدور راسيات قال مثال الجبال من عظمها

فى عمرك ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض روحه فبقى كذلك وظن جنوده أنه فى العبادة فكانوا يواظبون على الأعمال الشاقة الى أن أكلت الأرضة عصاه فخر ميتا وذلك بعد سنة والارض مصدر أرضت الخشبة أرضا اذا أكلتها الارضة والمنسأة العصا لأنه ينسأ بها أى يطرد ويؤخر وقد يترك همزها وقرئ منسأته أى طرف عصاه سميت بسأة القوس على الاستعارة وتبينت بمعنى ظهرت وأن مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال على نحو قولك تبين زيد جهله أو هو بمعنى علمت أى علم الجن كلهم بعد التباس الأمر على عامتهم أن كبارهم لا يعلمون الغيب وكان ادعاؤهم ذلك من قبل زورا أو المراد التهكم بهم وأن الذين ادعوا منهم علم الغيب اعترفوا بعجزهم مع أنهم كانوا من قبل عارفين بعجزهم كما لو قلت لمدعى الباطل اذا دحضت حجته هل تبينت أنك مبطل وأنت تعلم أنه لم يزل متبينا ذلك وكان عمر سليمن ثلاثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلاث عشرة وبقى فى ملكه الى أن مات وابتدأ بناء بيت المقدس لأربع مضين من ملكه ولما بين حال الشاكرين لأنعمه ذكر حال من كفر النعمة وسبأ يصرف بناء على أنه اسم للحى أو الاب الاكبر ولا يصرف بتأويل القبيلة وهو سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ثم سميت مدينة مأرب بسبا وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلاث



من قرأ مساكنهم فظاهر ومن قرأ على التوحيد فالمراد مسكن كل واحد منهم أو موضع سكناهم وهو بلدهم وأرضهم عن الضحاك

كانوا فى الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما السلام ومعنى كون الجنتين آية أنه جعل قصتهما عبرة لأهل الكفران أو علامة دالة على الصانع وكمال اقتداره ووجوب شكره قال جار الله (٥٠) لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما أراد جماعتين من البساتين جماعة عن يمين بلدهم وأخرى عن شمالها كأن كل واحدة من الجماعتين فى تقدرها وتضامها جنة واحدة أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين مسكنه وشماله كقوله جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وقوله (كلوا من رزق) حكاية لسان الحال أو لسان الانبياء المبعوثين اليهم وهم ثلاثة عشر نبيا على ما روى وفيه اشارة الى كمال النعمة حيث لم يمنعهم من أكل ثمارها خوف ولا مرض وكذا قوله واشكروا له لأن الشكر لا يطلب الا على النعمة المعتبرة وكذا قوله (بلدة طيبة) أى عن المؤذيات من العقارب والحيات وسائر الهوام والحشرات أو المراد أنها ليست بسبخة كقوله والبلد الطيب (ورب غفور) أى ربكم الذى رزقكم فطلب شكركم غفور لمن يشكره بقدر طاقته لا يؤاخذه بالتقصير فى أداء حق الشكر اذا توجه عليه الشكر وبذل وسعه فيه أو أراد غفران سائر الذنوب فكأنه وعدهم سعادة الدارين وعن ثعلب معناه اسكنوا واعبدوا وحين بين ما كان من جانبه ذكر ما كان من جانبهم وهو قوله (فأعرضوا) أى عن الشكر ثم ذكر جزاءهم بقوله (فأرسلنا عليهم سيل العرم) وهو الجرذ يروى أن بلقيس الملكة عمدت الى جبال هناك فسدت ما بينها من الشعب بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والأمطار وتركت فيه خروقا لها أبواب مترتبة بعضها فوق بعض على مقدار ما يحتاجون اليه فى سقى أراضيهم فلما طغوا سلط الله على سدهم الجلد فثقبه من أسفله وقيل العرم جمع عرمة وهى الحجارة المركوزة والخابية والمراد بها المسناة التى عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادى وقيل المطر الشديد والتركيب يدل على الشكاسة وسوء الخلق ومنه قولهم

يعمل فيها الطعام من الكبر والعظم لا تحرك ولا تنقل كما قال للجبال راسيات وقوله اعملوا آل داود شكرا يقول تعالى ذكره وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكرا له على ما أنعم عليكم من النعم التى خصكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التى عمكم بها مع سائر خلقه وترك ذكر وقلنا لهم اكتفاء بدلالة الكلام على ما ترك منه وأخرج قوله شكرا مصدرا من قوله اعملوا آل داود لأن معنى قوله اعملوا اشكروا ربكم بطاعتكم اياه وأن العمل بالذى رضى الله به شكر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا موسى بن عبادة عن محمد بن كعب قوله اعملوا آل داود شكرا قال الشكر تقوى الله والعمل بطاعته حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أخبرنى حيوة عن زهرة ابن معبد أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلى يقول اعملوا آل داود شكرا وأفضل الشكر الحمد * قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله اعملوا آل داود شكرا قال أعطاكم وعلمكم وسخر لكم ما لم يسخر لغيركم وعلمكم منطق الطير اشكروا له يا آل داود قال الحمد طرف من الشكر وقوله وقليل من عبادى الشكور يقول تعالى ذكره وقليل من عبادى المخلصو توحيدى والمفردو طاعتى وشكرى على نعمتى عليهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقليل من عبادى الشكور يقول قليل من عبادى الموحدون توحيدهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين ﴾ يقول تعالى ذكره فلما أمضينا قضاءنا على سليمن بالموت فمات ما دلهم على موته يقول لم يدل الجن على موت سليمن الا دابة الارض وهى الأرضة وقعت فى عصاه التى كان متكئا عليها فأكلتها فذلك قول الله عز وجل تأكل منسأته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى ابن المثنى وعلى قالا ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الا دابة الارض تأكل منسأته يقول الأرضة تأكل عصاه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله تأكل منسأته قال عصاه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الا دابة الارض قال الأرضة تأكل منسأته قال عصاه حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد تأكل منسأته قال عصاه حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة فى قوله تأكل منسأته أكلت عصاه حتى خر حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى المنسأة العصا بلسان الحبشة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد المنسأة العصا واختلفت القراء فى قراءة قوله منسأته فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل البصرة منسأته غير مهموزة وزعم من اعتل لقارئ ذلك كذلك من أهل البصرة أن المنساة العصا وأن أصلها من نسأت بها الغنم قال وهى من الهمز الذى تركته العرب كما تركوا همز النبى والبرية

صبى عارم من العرام بالضم اى شرس ومن ذلك عرمت العظم عرقته وعرمت الابل الشجر نالت منه (ذواتى اكل) صاحبتى ثمر والقياس ذاتى الا أن المستعمل فى التثنية هو الجمع والخمط شجر الاراك أبو عبيدة (٥١) كل شجر ذى شوك الزجاج كل نبت أخذ

والخابية وأنشد لترك الهمز فى ذلك بيتا لبعض الشعراء

اذا دببت على المنسأة من هرم * فقد تباعد عنك اللهو والغزل

وذكر الفراء عن أبى جعفر الرواسى أنه سأل عنها أبا عمرو فقال منسأته بغير همز وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة منسأته بالهمز وكأنهم وجهوا ذلك الى أنها مفعلة من نسأت البعير اذا زجرته ليزداد سيره كما يقال نسأت اللبن (١) اذا صدرت عليه الماء وهو النسىء وكما يقال نسأ الله فى أجلك أى أدام الله فى أيام حياتك «قال أبو جعفر» وهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وان كنت أختار الهمز فيها لأنه الأصل وقوله فلما خر تبينت الجن يقول عز وجل فلما خر سليمن ساقطا بانكسار منسأته تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب الذى يدّعون علمه ما لبثوا فى العذاب المهين المذل حولا كاملا بعد موت سليمن وهم يحسبون أن سليمن حىّ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منصور قال ثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة قال ثنا ابراهيم بن طهمان عن عطاء ابن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان سليمن نبىّ الله اذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك فتقول كذا فيقول لأىّ شئ أنت فان كانت تغرس غرست. وان كانت لدواء كتبت فبينما هو يصلى ذات يوم اذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخروب قال لأىّ شئ أنت قالت لخراب هذا البيت فقال سليمن اللهم عمّ على الجن موتى حتى يعلم الانس أن الجنّ لا يعلمون الغيب فنحتها عصا فتوكأ عليها حولا ميتا والجن تعمل فأكلتها الأرضة فسقط فتبينت الانس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا فى العذاب المهين قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء حدثنى موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدّى فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود وعن أناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان سليمن يتجرد فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله فى المرة التى مات فيها وذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه الا نبت فيه شجرة فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فيقول لها لأىّ شئ نبت فتقول نبت لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت نبتت لغرس غرسها وان كانت نبتت لدواء قالت نبت دواء لكذا وكذا فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخرّوبة فسألها ما اسمك فقالت له أنا الخرّوبة فقال لأىّ شئ نبت قالت لخراب هذا المسجد قال سليمن ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ولا تعلم به الشياطين فى ذلك وهم يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه وكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول ألست جلدا ان دخلت فخرجت من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر الى سليمن فى المحراب الا احترق فمرّ ولم يسمع صوت سليمن عليه السلام ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع

(١) لعله اذا صببت تأمل كتبه مصححه

طعما من مرارة حتى لا يمكن أكله والأثل نوع من الطرفاء لا يكون عليه ثمرة الا نادرا كالغض فى الطعم والطبع ولكن أصغر والسدر معروف وهو من أحسن أشجار البادية فلذلك وصفه ههنا بالقلة عن الحسن قال السدر لانه أكرم ما بدّلوا والتحقيق فيه أن البساتين اذا عمرت كل سنة ونقيت من الحشائش كانت ثمارها زاكية وأشجارها عالية فاذا تركت سنين صارت كالغيضة والأجمة والتفت الاشجار بعضها ببعض فيقل الثمر وتكثر الحشائش والاشجار ذوات الشوك على أنه لا يبعد التبديل تحقيقا فيكون شبه المسخ من قرأ أكل خمط بالاضافة فظاهر ومن قرأ بالتنوين فعلى حذف المضاف أى أكل أكل خمط أو وصف الاكل بالخمط كأنه قيل ذواتى أكل بشع وتسمية البدل جنتين لأجل المشاكلة أو التهكم قال فى الكشاف الأثل والسدر معطوفان على أكل لا على خمط لان الأثل لا أكل له (ذلك) الارسال والتبديل (جزيناهم بما كفروا) النعمة وغمطوها (وهل نجازى) مثل هذا الجزاء وهو العقاب العاجل (الا الكفور) قال بعضهم المجازاة فى النقمة والجزاء فى النعمة الا اذا قيد كقوله سبحانه جزيناهم بما كفروا وقال جار الله الجزاء عام لكل مكافأة يستعمل فى المعاقبة تارة وفى الاثابة أخرى فلما استعمل أولا فى معنى المعاقبة استعمل ثانيا على نحو ذلك وقيل ان المجازاة مفاعلة وهى فى الاكثر تكون بين اثنين يوجد من كل واحد جزاء فى حق الآخر ففى النعمة لا يكون مجازاة لان الله مبتدئ بالنعم وحين ذكر حال مسكنهم وجنتيهم وحكى تبديل الجنتين بما لا نفع فيه أراد أن يذكر حال خارج بلدهم وما يؤل اليه أمره فقال (وجعلنا بينهم وبين القرى

التي باركنا فيها) وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة يرى من كل منها ما يتلوها لتقاربها أو ظاهرة للسابلة لكونها على متن الطريق (وقدرنا فيها السير سيروا) فيقيل الغادي في قرية ويبيت الرائح في أخرى فمنازل ما بين تلك القرى مقدرة ومعلومة لا يجاوزها المسافر عرفا بخلاف المفاوز فان السائر يسير فيها بقدر طاقته حتى يقطعها ثم بين أمن تلك الطريق بقوله سيروا أي قلنا لهم سيروا ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار قال أهل البيان لا قول ثمة ولكنهم مكنوا من السير بتهيئة أسبابه من وجدان الزاد والراحلة وعدم المخاوف والمضار فكأنهم أمروا بذلك والمقصود من ذكر الليالي والأيام تقرير كمال الامن ولذلك قدمت الليالي فانها مظنة الآفات ويمكن تقرير الأمن بوجه آخر وهو أن يقال سيروا فيها وان تطاولت مدة سفركم فيها وامتدت أياما وليالي أو يراد بالليالي والأيام مدة أعماركم أي سيروا فيها مدة عمركم فانكم لا تلقون الا الامن ثم حكى أنهم سئموا العيش الهنيء وملوا الدعة والراحة كما طلب بنو اسرائيل البصل والفوم مكان المن والسلوى (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أرادوا أن يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الأزواد قائلين لو كان جنى جناتنا أبعد كان أشهى وأرغد ويحتمل أن يكون ذلك لفساد اعتقادهم وشدة اعتمادهم على أن ذلك لا يعدم كما يقول القائل لغيره اضربني مشيرا بذلك الى أنه لا يقدر عليه ومن قرأ على الابتداء والخبر فالمراد استبعاد مسايرهم على قصرها ودنوها لفرط تنعمهم وترفههم (وظلموا أنفسهم) بوضع الكفر موضع الشكر (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) فرقناهم كل تفريق فلا جرم اتخذ الناس حالهم مثلا قائلين ذهبوا أيدي سبا أي في طرق شتى واليد في كلام العرب الطريق يقال سلك بهم عن يد البحر وقيل الأيادي الأولاد لانه يعضد بهم كما بالأيدي والمعنى ذهبوا تفرق أولاد سبا فلحق غسان بالشام وأنمار بيثرب وجذام بتهامة

---

في البيت فلم يحترق ونظر الى سليمن قد سقط فخر فأخبر الناس أن سليمن قد مات ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته وهي العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهي في قراءة ابن مسعود فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولا كاملا فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمن ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له وذلك قول الله ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته فلما خرّ تبينت الجنّ أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب ولكنا سننقل اليك الماء والطين فالذي يكون في جوف الخشب فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كانت الجن تخبر الانس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء وأنهم يعلمون ما في غد فابتلوا بموت سليمن فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين فلما خر تبينت الانس أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين ولقد لبثوا يدأبون ويعملون له حولا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته قال قال سليمن لملك الموت يا ملك الموت اذا أمرت بي فأعلمني قال فأتاه فقال يا سليمن قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلي واتكأ على عصاه قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت قال والجن تعمل بين يديه وينظرون اليه يحسبون أنه حيّ قال فبعث الله دابة الأرض قال دابة تأكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فأكلتها حتى اذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخرّ ميتا قال فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته قال والمنسأة العصا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء قال كان سليمن بن داود يصلي فمات وهو قائم يصلي والجن يعملون لا يعلمون بموته حتى أكلت الارضة عصاه فخرّ وأن في قوله أن لو كانوا في موضع رفع بتبين لان معنى الكلام فلما خرّ تبين وانكشف أن لو كان الجن يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين وأما على التأويل الذي تأوله ابن عباس من أن معناه تبينت الانس الجن فانه ينبغي أن يكون في موضع نصب بتكريرها على الجن وكذلك يجب على هذه القراءة أن تكون الجن منصوبة غير أني لا أعلم أحدا من قراء الأمصار يقرأ ذلك بنصب الجن ولو نصب كان في قوله تبينت ضمير من ذكر الانس ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿لقد كان لسبا في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور﴾ يقول تعالى ذكره لقد كان لولد سبا في مسكنهم علامة بينة وحجة واضحة على أنه لا رب لهم الا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها وسبأ عن رسول الله اسم أبي اليمن ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي حيان الكلبي عن يحيى بن هانئ عن عروة المرادي

والازد بعمان (ان فى ذلك) الجعل والتمزيق (لآيات لكل صبار) عن المعاصى (شكور) للنعم او صبار على النعم حتى لا يلحقه البطر شكور لها برعاية حق الله فيها ثم أخبر عن ضعف عزم الانسان بقوله (ولقد صدق عليهم) أى على بنى آدم لقرينة الحال

عن رجل منهم يقال له فروة بن مسيك قال قلت يا رسول الله أخبرنى عن سبا ما كان رجلا كان أو امرأة أو جبلا أو دواب فقال لا كان رجلا من العرب وله عشرة أولاد فتيمن منهم ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تيمنوا منهم فكندة وحمير والازد والاشعريون ومذحج وأنمار الذين منها خثعم وبجيلة وأما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وغسان حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة قال ثنى الحسن بن الحكم قال ثنا أبو سبرة النخعى عن فروة بن مسيك القطيعى قال قال رجل يا رسول الله أخبرنى عن سبأ ما هو أرض أو امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من الولد فتيامن ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان وأما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وحمير وأنمار فقال رجل ما أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة حدثنا أبو كريب قال ثنا العنقزى قال أخبرنى أسباط بن نصر عن يحيى بن هانئ المرادى عن أبيه أو عن عمه «أسباط شك» قال قدم فروة ابن مسيك على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أخبرنى عن سبا أجبلا كان أو أرضا فقال لم يكن جبلا ولا أرضا ولكنه كان رجلا من العرب ولد عشرة قبائل ثم ذكر نحوه الا أنه قال وأنمار الذين يقولون منهم بجيلة وخثعم فان كان الامر كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن سبأ رجل كان الاجراء فيه وغير الاجراء معتدلين أما الاجراء فعلى أنه اسم رجل معروف وأما ترك الاجراء فعلى أنه اسم قبيلة أو أرض وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء واختلفت القراء فى قراءة قوله فى مساكنهم فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين فى مساكنهم على الجماع بمعنى منازل آل سبا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين فى مسكنهم على التوحيد وبكسر الكاف وهى لغة لأهل اليمن فيما ذكر لى وقرأ حمزة مسكنهم على التوحيد وفتح الكاف * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن كل ذلك قراآت متقاربات المعنى فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب وقوله آية قد بينا معناها قبل وأما قوله جنتان عن يمين وشمال فانه يعنى بستانان كانا بين جبلين عن يمين من أتاهما وشماله وكان من صفتهما فيما ذكر لنا ما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال قال سمعت قتادة فى قوله لقد كان لسبا فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال قال كانت جنتان بين جبلين فكانت المرأة تخرج مكتلها على رأسها فتمشى بين جبلين فيمتلئ مكتلها وما مست بيدها فلما طغوا بعث الله عليهم دابة يقال لها جرذ فنقبت عليهم فغرقتهم فما بقى لهم إلا أثل وشئ من سدر قليل حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لقد كان لسبا فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال الى قوله فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم قال ولم يكن يرى فى قريتهم بعوضة قط ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وان كان الركب ليأتون وفى ثيابهم القمل والدواب فما هم الا أن ينظروا الى بيوتهم فتموت الدواب قال وان كان الانسان ليدخل الجنتين فيمسك القفة على رأسه فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيأ بيده قال والسد يسقيها ورفعت الجنتان فى قوله جنتان عن يمين وشمال ترجمة عن الآية لأن معنى الكلام لقد كان لسبا فى مسكنهم آية هى جنتان عن أيمانهم وشمائلهم وقوله كلوا من رزق ربكم الذى يرزقكم من هاتين

وقيل على أهل سبا وظن ابليس هو قوله لأغوينهم أو قوله أنا خير منه بدليل قوله (فاتبعوه) والمتبوع خير من التابع ولا ريب أن الكافر أدون حالا من ابليس لانه خالف أمر الله فى سجدة آدم والكافر يجحد الصانع أو يشرك به ثم بين بقوله (وما كان له) أن الشيطان ليس بملجئ ولكنه آية وعلامة يتميز به ما هو السابق فى علمه من المقر والشاك والحفيظ المحافظ ويدخل فى مفهوم الحفظ العلم والقدرة اذ الجاهل بالشئ لا يمكنه حفظه وكذا العاجز ﴿ التأويل يعلم ما يلج فى أرض البشرية بواسطة الحواس والاغذية الحلال والحرام وما يخرج منها من الصفات المتولدة منها وما ينزل من سماء القلب من الفيوض والالهامات وما يعرج فيها من آثار الفجور والتقوى وظلمة الضلالة ونور الهدى الى ما بين أيديهم وما خلفهم من سماء القلب وأرض النفس نخسف بهم أرض البشرية بغلبات صفاتها أو يغلب عليهم صفة من صفات القلب بالميل الى الافراط فنهلكهم بها كالسخاوة فانها صفة حميدة لكنها اذا جاوزت حد الاعتدال صارت ذميمة ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين يا جبال أوبى قدمى تأويله فى سورة الانبياء وقدر فى السرد وهو التكلم بالحكمة على قدر عقول الناس ولسليمن القلب سخرت ريح العناية وذلك أن مركب القلوب فى السير هو الجذبة الالهية كما أن مركب البدن فى المسير البدن يروى أن سليمن فى سيره لاحظ ملكه يوما فقال الريح بساطه فقال سليمن للريح استوى فقالت الريح استو أنت فانى لا أكون مستوية حتى تستوى أنت كذلك حال السرمع القلب وريح العناية اذا زاغ القلب أزاغ الله بريح الخذلان

بساط السر إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأسأله عين القطر الحقائق والمعانى وسخر له صفات الشيطنة لتعمل بين يديه على وفق أوامر الله ونواهيه كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم (٥٤) شيطانى أسلم على يدى فلا يأمرنى الا بالخير من محاريب وهو كل ما يتوج الى الله به بخاصية الاباء والاستكبار وأنفة السجود لغير الله ولووكل القلب والروح الى خاصية الروحانية التى جبل الروح عليها ما كان يرغب فى العبور عن مقام الروحانية كالملائكة قال جبرائيل عليه السلام لو دنوت أنملة لاحترقت وجفان كالجواب فيه اشارة الى مأدبة الله التى يأكل منها الانبياء والاولياء اذ يبيتون عنده اعماوا آل داود وهم متوندات الروح فشكر البدن استعمال الشريعة بجميع الأعضاء والحواس وشكر النفس باقامة شرائط التقوى والورع وشكر القلب بمحبة الله وحده وشكر السر المراقبة وشكر الروح بذل الوجود على نار المحبة كالفراش على شعلة الشمعة وشكر الخفى قبول الفيض بلا واسطة فى مقام الوحدة مخفيا بنور الوحدة عن نفسه فالعوام شكرهم بالأقوال والخواص شكرهم بالأعمال وخواص الخواص شكرهم بالاحوال من الاتصاف بصفة الشكور التى تعطى على عمل فان عشرة ثواب باق ولذلك وصفهم بالقلة تأكل منسأته اتكأ سليمن على عصاه فبعث الله أخس دابة لابطال متكئه وجعله سببا لزوال ملكه وفوات روحه وكان قبل متكئا على فضل الله فأتاه ما لم يؤت أحدا من خلقه لقد كان لسبا السر جنتان جنة الروح عن يمين السر وجنة القلب عن شمال السر بلدة طيبة هى بلدة الانسانية القابلة لبذر التوحيد

الجنتين من زروعهما وأثمارهما واشكروا له على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك والى هذا منتهى الخبر ثم ابتدأ الخبر عن البلدة فقيل هذه بلدة طيبة أى ليست بسبخة ولكنها كما ذكرنا من صفتها عن عبد الرحمن بن زيد ان كانت كما وصفها به ابن زيد من أنه لم يكن فيها شئ مؤذ الهمج والذبيب والهوام ورب غفور يقول ورب غفور لذنوبكم ان أنتم أطعتموه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بلدة طيبة ورب غفور ورب كم غفور لذنوبكم قوم أعطاهم الله نعمة وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور ﴿يقول تعالى ذكره فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدت عن اتباع ما دعتها اليه رسلها من أنه خالقها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن وهب بن منبه اليمانى قال لقد بعث الله الى سبا ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم فأرسلنا عليهم سيل العرم يقول تعالى ذكره فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سدهم الذى كان يحبس عنهم السيول والعرم المسناة التى تحبس الماء واحدها عرمة واياه عنى الاعشى بقوله

ففى ذاك للمؤتسى إسوة * ومأرب عفى عليه العرم

رجام بنته لهم حمير * (١) اذا جاء ماؤهم لم يرم

وكان العرم فيما ذكر مما بنته بلقيس ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا أبى قال سمعت المغيرة بن حكيم قال لما ملكت بلقيس جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم قال فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها فتركت ملكها وانطلقت الى قصرها وتركتهم فلما كثر الشر بينهم وندموا أتوها فأرادوها على أن ترجع الى ملكها فأبت فقالوا لترجعن أولنقتلنك فقالت انكم لا تطيعونى وليست لكم عقول ولا تطيعونى قالوا فانا نطيعك وانا لم نجد فينا خيرا بعدك فجاءت فأمرت بواديهم فسدت بالعرم * قال أحمد قال وهب قال أبى فسألت المغيرة ابن حكيم عن العرم فقال هو بكلام حمير المسناة فسدت ما بين الجبلين فحبست الماء من وراء السد وجعلت له أبوابا بعضها فوق بعض وبنت من دونه بركة ضخمة فجعلت فيها اثنى عشر مخرجا على عدة أنهارهم فلما جاء المطر احتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه فى البركة وأمرت بالبعر فألقى فيها فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض فلم تزل تضيق تلك الانهار وترسل البعر فى الماء حتى خرج جميعا معا فكانت تقسمه بينهم على ذلك حتى كان من شأنها وشأن سليمن ما كان حدثنا أحمد بن عمر البصرى قال ثنا أبو صالح بن زريق قال أخبرنا شريك عن أبى اسحق عن أبى ميسرة فى قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم قال المسناة بلحن اليمن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله سيل العرم قال شديد وقيل ان العرم اسم واد كان لهؤلاء القوم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى

(١) رواية الديوان * اذا جاء موّاره لم يرم * وحرر كتبه مصححه

وبنفسه يتوجه الى الله بالتوحيد الخالص ورب غفور يستر العيوب فأعرضوا عن الوفاء وأقبلوا على الجفاء فأرسلنا عليهم سيل سطوات العرم قهرنا قال

وبدلناهم بجنتيهم الشجرتين بأشجار الاخلاق الحميدة جنتين من الاوصاف الذميمة وهل نجازى وهل يكون للاشجار الخبيثة الا الأثمار الخبيثة

قرى ظاهرة منازل السالكين ومقامات العارفين من التوبة والزهد والتوكل والتزكية والتحلية وقلنا لهم سيروا فى ليالى البشرية
وأيام الروحانية آمنين فى حيازة الشريعة فطلبوا البعد عن الله بالميل الى ما سواه  ففرقناهم فى أودية الهلاك ودركات البعد

قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم قال واد كان باليمن كان يسيل الى مكة وكانوا يسقون وينتهى سيلهم اليه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأرسلنا عليهم سيل العرم ذكر لنا أن سيل العرم واد كانت تجتمع اليه مسايل من أودية شتى فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة وجعلوا عليه أبوابا وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا اليه ويسدون عنهم ما لم يعنوا به من مائه شيأ حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فأرسلنا عليهم سيل العرم واد يدعى العرم وكان اذا مطر سالت أودية اليمن الى العرم واجتمع اليه الماء فعمدت سبأ الى العرم فسدوا ما بين الجبلين فحجزوه بالصخر والقار فاتسد زمانا من الدهر لا يرجون الماء يقول لا يخافون * وقال آخرون العرم صفة للسناة التى كانت تحبس الماء وليس باسم لها ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله سيل العرم يقول الشديد وكان السبب الذى سبب الله لارسال ذلك السيل عليهم فيما ذكر لى جرذا بعثه الله على سدهم فنقب فيه ثقبا ثم اختلف أهل العلم فى صفة ما حدث عن ذلك النقب مما كان فيه خراب جنتيهم فقال بعضهم كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملا فى السد عمل فيه ثم فاض الماء على جناتهم فغرقها وخرب أرضهم وديارهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن وهب بن منبه اليمانى قال كان لهم يعنى لسبا سد قد كانوا بنوه بنيانا أبدا وهو الذى كان يرد عنهم السيل اذا جاء أن يغشى أموالهم وكان فيما يزعمون فى علمهم من كهانتهم أنه انما يخرب عليهم سدهم ذلك فأرة فلم يتركوا فرجة بين حجرين الا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما أراد الله بهم من التغريق أقبلت فيما يذكرون فأرة سوداء الى هرة من تلك الهرر فساورتها حتى استأخرت عنها أى الهرة فدخلت فى الفرجة التى كانت عندها فعلغلت فى السد فحفرت فيه حتى وهنته للسيل وهم لا يدرون فلما جاء السيل وجد خللا فدخل فيه حتى قلع السد وفاض على الاموال فاحتملها فلم يبق منها الا ما ذكر الله فلما تفرقوا نزلوا على كهانة عمران بن عامر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما ترك القوم أمر الله بعث الله عليهم جرذا يسمى الخلد فنقبه من أسفله حتى غرق به جناتهم وخرب به أرضهم عقوبة بأعمالهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك يقول لما طغوا وبغوا يعنى سبأ بعث الله عليهم جرذا فخرق عليهم السد فأغرقهم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد بعث الله عليهم جرذا وسلطه على الذى كان يحبس الماء الذى يسقيها فأخرب فى أفواه تلك الحجارة وكل شئ منها من رصاص وغيره حتى تركها حجارة ثم بعث الله سيل العرم فاقتلع ذلك السد وما كان يحبس واقتلع تلك الجنتين فذهب بهما وقرأ فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين قال ذهب بتلك القرى والجنتين * وقال آخرون كانت صفة ذلك أن الماء الذى كانوا يعمرون به جناتهم سال الى موضع غير الموضع الذى كانوا ينتفعون به فبذلك خربت جناتهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال بعث الله عليهم يعنى على العرم دابة من الارض

وما كان له عليهم من سلطان فيه أن الشيطان انما سلط على بنى آدم لاستخراج جواهر النفوس من معادنها (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر

ولكن أكثر الناس لا يعلمون وما اموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف
بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون والذين (٥٦) يسعون فى آياتنا معاجزين أولئك فى العذاب محضرون قل ان ربى يبسط الرزق

لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه وهو خير الرازقين ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا الا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا الا سحر مبين وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شئ شهيد قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى انه سميع قريب ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد وحيل بينهم

فثقبت فيه ثقبا فسال ذلك الماء الى موضع غير الموضع الذى كانوا ينتفعون به وأبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وذلك حين عصوا وبطروا المعيشة والقول الأول أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم ولا يكون ارسال ذلك عليهم الا باسالته عليهم أو على جناتهم وأرضهم لا بصرفه عنهم وقوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط يقول تعالى ذكره وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار بساتين من جنى ثمر الأراك والأراك هو الخمط * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال أبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط والخمط الأراك حدثنى يعقوب قال ثنى ابن علية عن أبى رجاء قال سمعت الحسن يقول فى قوله ذواتى أكل خمط قال أراه قال الخمط الأراك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنى عبد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد أكل خمط قال الخمط الأراك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ذواتى أكل خمط قال الأراك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذواتى أكل خمط والخمط الأراك وأكله بريره حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط قال بدلهم الله بجنان الفواكه والأعناب اذ أصبحت جناتهم خمطا وهو الأراك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وبدلناهم بجنتيهم جنتين قال أذهب تلك القرى والجنتين وأبدلهم الذى أخبرك ذواتى أكل خمط قال فالخمط الأراك قال جعل مكان العنب أراكا والفاكهة أثلا وشئ من سدر قليل واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار بتنوين أكل غير أبى عمرو فانه يضيفها الى الخمط بمعنى ذواتى ثمر خمط وأما الذين لم يضيفوا ذلك الى الخمط وينونون الأكل فانهم جعلوا الخمط هو الأكل فردوه عليه فى اعرابه وبضم الالف والكاف من الاكل قرأت قراء الأمصار غير نافع فانه كان يخفف منها * والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأه ذواتى أكل بضم الألف والكاف لاجماع الحجة من القراء عليه وبتنوين أكل لاستفاضة القراءة بذلك فى قراء الامصار من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك باضافته الى الخمط وذلك فى اضافته وترك اضافته نظير قول العرب فى بستان فلان أعناب كرم وأعناب كرم فتضيف أحيانا الأعناب الى الكرم لأنها منه وتنوّن أحيانا ثم تترجم بالكرم عنها اذ كانت الأعناب ثمر الكرم وأما الأثل فانه يقال له الطرفاء وقيل شجر شبيه بالطرفاء غير أنه أعظم منها وقيل انها السمر ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وأثل قال الأثل الطرفاء وقوله وشئ من سدر قليل يقول ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنى سعيد عن قتادة ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل قال بينا شجر القوم خير الشجر اذ صيره الله من شر الشجر

ويين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب ﴿ القراآت اذ نله على البناء للمفعول أبو عمرو بأعمالهم
وعلى وخلف والأعشى والبرجمى فزع على البناء للفاعل ابن عامر ويعقوب جزاء بالنصب الضعف مرفوعا يعقوب فى الغرفة على التوحيد حمزة

عشرهم ثم يقول على الغيبة فيهما حفص و يعقوب الباقون بالنون ثم تفكروا بتشديد التاء رويس أجرى إلا يفتح الياء ابو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحفص ربى انه بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو التناوش  مهموزا أبو عمرو وحمزة وخلف وعاصم سوى حفص والشمونى والبرجمى حيل بضم الحاء وكسر الياء ابن عامر وعلى ورويس ۞ الوقوف من دون الله ج لاحتمال الجملة بعده حالا واستئنافا ظهير ٥ أذن له ط الحق ط الكبير ٥ والارض ط قل الله لا لاتصال المقول مبين ٥ تعملون ٥ بالحق ط العليم ٥ كلا ط الحكيم ٥ لا يعلمون ٥ صادقين ٥ ولا تستقدمون ٥ بين يديه ط عند ربهم ج لان ما بعده يصلح استئنافا وحالا وهذا أوجه القول ج لمثل ذلك مؤمنين ٥ مجرمين ٥ أندادا ط العذاب ط كفروا ط يعملون ٥ كافرون ٥ بمعذبين ٥ لا يعلمون ٥ صالحا ز أن أولئك مبتدأ مع الفاء آمنون ٥ محضرون ٥ ويقدر له ط يخلفه ج لعطف الجملتين المختلفتين الرازقين ٥ يعبدون ٥ من دونهم ج لتنويع الكلام مع اتحاد المقول الجن ج لذلك مؤمنون ٥ ضرا ط تكذبون ٥ آباؤكم ج للعطف مع طول الكلام والتكرار مفترى ط مبين ٥ من نذير ٥ نكير ٥ بواحدة ج لأن ما بعده بدل أو خبر أى هى أن تقوموا من جنة ط شديد ٥ لكم ط الله ج شهيد ٥ بالحق ج لاحتمال أن ما بعده بدل من الضمير فى يقذف أو خبر أى هو علام الغيوب ٥ بعيد ٥ على نفسى ج لعطف جملتى الشرط ربى ط قريب ٥ قريب لا ط لاحتمال كون الجملة الاستفهامية مبتدا بها أو حالا بعيد ٥ لا للآية ولاحتمال الاستئناف والحال بعده والعامل معنى الفعل فى التناوش من قبل ج للعطف

بأعمالهم وقوله ذلك جزيناهم بما كفروا يقول تعالى ذكره هذا الذى فعلنا بهؤلاء القوم من سبا من إرسالنا عليهم سيل العرم حتى هلكت أموالهم وخربت جناتهم جزاء منا على كفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا وذلك من قوله ذلك جزيناهم فى موضع نصب بوقوع جزيناهم عليه ومعنى الكلام جزيناهم ذلك بما كفروا وقوله وهل نجازى الا الكفور اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة و بعض أهل الكوفة وهل يجازى بالياء و بفتح الزاى على وجه ما لم يسم فاعله الا الكفور رفعا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وهل نجازى بالنون و بكسر الزاى الا الكفور بالنصب * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ومعنى الكلام كذلك كافأناهم على كفرهم بالله وهل يجازى الا الكفور لنعمة الله فان قال قائل أو ما يجزى الله أهل الايمان به على أعمالهم الصالحة فيخص أهل الكفر بالجزاء فيقال وهل يجازى الا الكفور قيل ان المجازاة فى هذا الموضع المكافأة والله تعالى ذكره وعد أهل الايمان به التفضل عليهم وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشر أمثالها الى ما لا نهاية له من التضعيف ووعد المسىء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته مثلها مكافأة له على جرمه والمكافأة لأهل الكبائر والكفر والجزاء لأهل الايمان مع التفضل فلذلك قال جل ثناؤه فى هذا الموضع وهل يجازى الا الكفور كأنه قال جل ثناؤه لا يجازى لا يكافأ على عمله الا الكفور اذا كانت المكافاة مثل المكافا عليه والله لا يغفر له من ذنوبه شيأ ولا يخص شئ منها فى الدنيا وأما المؤمن فانه يتفضل عليه على ما وصفت * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وهل نجازى نعاقب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور ان الله تعالى اذا أراد بعبده كرامة تقبل حسناته واذا أراد بعبده هوانا أمسك عليه ذنوبه حتى يوافى به يوم القيامة قال وذكر لنا أن رجلا بينما هو فى طريق من طرق المدينة اذ مرت به امرأة فأتبعها بصره حتى أتى على حائط فشج وجهه فأتى نبى الله ووجهه يسيل دما فقال يا نبى الله فعلت كذا وكذا فقال له نبى الله ان الله اذا أراد بعبد كرامة عجل له عقوبة ذنبه فى الدنيا واذا أراد الله بعبد هوانا أمسك عليه ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة كأنه عير أبتر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن نعمته التى كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم وجعلنا بين بلدهم و بين القرى التى باركنا فيها وهى الشام قرى ظاهرة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله القرى التى باركنا فيها قال الشام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا بينهم و بين القرى التى باركنا فيها يعنى الشام حدثنى على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد القرى

على كفروا بناء على انه حال ماضية او للاستئناف اى وهم يقذفون بعيد ٥ من قبل ط مريب ٥ ۞ التفسير لما فرغ من حكاية اهل الشكر وأهل الكفران تمثيلا عادالى مخاطبة (٥٨) كفار قريش وتقريعهم ومفعولا زعم محذوف أى زعمتموهم آلهة وسبب حذف الاول استحقاق عوده الى الموصول وسبب حذف الثانى اقامة الصفة وهى من دون الله مقام الموصوف وتفسير الآية مبنى على تفصيل وهو أن مذاهب أهل الشرك أربعة أحدها قولهم انا نعبد الملائكة والكواكب التى فى السماء فهم آلهتنا والله الههم فالله تعالى قال فى ابطال قولهم انهم لا يملكون فى السموات شيأ كما اعترفتم ولا فى الارض على خلاف ما زعمتم أن الارض والارضيات فى حكمهم وثانيها قول بعضهم ان السموات من الله على سبيل الاستقلال وان الارضيات منه ولكن بواسطة الكواكب واتصالاتها وانصرافاتها فأبطل معتمد هؤلاء بقوله (وما لهم فيهما من شرك) أى الارض كالسماء لله ليس لغيره فيها نصيب وثالثها قول من قال التركيبات والحوادث كلها من الله لكن فوض ذلك الى الكواكب واعانتها فأشار الى ابطال معتقد هؤلاء بقوله (وما له منهم من ظهير) ورابعها مذهب من زعم أنا نعبد الاصنام التى هى صور الملائكة ليشفعوا لنا فبين بطلان مذهبهم بقوله (ولا تنفع الشفاعة) قال جار الله تقول الشفاعة لزيد على أنه الشافع وعلى معنى أنه المشفوع له أى لا تنفع الشفاعة (الا) كائنة (لمن أذن له) من الشافعين أو الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله وحتى غاية لمضمون الكلام الدال على انتظار الاذن كأنه قيل ينتظر بصون ويقفون مليا فزعين (حتى اذا فزع) أى كشف الفزع فى القيامة عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة فى اطلاق غير الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا (ماذا قال ربكم قالوا) قال (الحق) أى القول الحق وهو الاذن بالشفاعة لمن ارتضى يؤيد هذا التفسير

التى باركنا فيها قال الشام * وقيل عنى بالقرى التى بورك فيها بيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قال الارض التى باركنا فيها هى الارض المقدسة وقوله قرى ظاهرة يعنى قرى متصلة وهى قرى عربية * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سمعت الحسن فى قوله وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قال قرى متواصلة قال كان أحدهم يغدو فيقيل فى قرية ويروح فيأوى الى قرية أخرى قال وكانت المرأة تضع زنبيلها على رأسها ثم تمتهن بمغزلها فلا تأتى بيتها حتى يمتلئ من كل الثمار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قرى ظاهرة أى متواصلة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قرى ظاهرة يعنى قرى عربية بين المدينة والشام حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قرى ظاهرة قال السروات حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قرى ظاهرة يعنى قرى عربية وهى بين المدينة والشام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها قرى ظاهرة قال كان بين قريتهم وبين الشام قرى ظاهرة قال ان كانت المرأة لتخرج معها مغزلها ومكتلها على رأسها تروح من قرية وتغدوها وتبيت فى قرية لا تحمل زادا ولا ماء لما بينها وبين الشام وقوله وقدرنا فيها السير يقول تعالى ذكره وجعلنا بين قراهم والقرى التى باركنا فيها سيرا مقدرا من منزل الى منزل وقرية الى قرية لا يتزلون الا فى قرية ولا يغدون الا من قرية وقوله سيروا فيها ليالى وأياما آمنين يقول وقلنا لهم سيروا فى هذه القرى ما بين قراكم والقرى التى باركنا فيها ليالى وأياما آمنين لا تخافون جوعا ولا عطشا ولا من أحد ظلما وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سيروا فيها ليالى وأياما آمنين لا يخافون ظلما ولا جوعا وانما يغدون فيقيلون ويروحون فيبيتون فى قرية أهل جنة ونهر حتى لقد ذكر لنا أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها وتمتهن بيدها فيمتلئ مكتلها من الثمر قبل أن ترجع الى أهلها من غير أن تخترف شيأ وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادا ولا سقاء مما بسط للقوم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأياما آمنين قال ليس فيها خوف ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ اختلف القراء فى قراءة قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ربنا باعد بين أسفارنا على وجه الدعاء والمسئلة بالألف وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة بعد بتشديد العين على الدعاء أيضا وذكر عن بعض المتقدمين أنه كان يقرؤه ربنا باعدبين أسفارنا على وجه الخبر عن الله أن الله فعل ذلك بهم وحكى عن آخر أنه قرأه ربنا بعد على وجه الخبر أيضا

قول ابن عباس عن النبي فاذا أذن لمن أذن أن شفع فزعته الشفاعة والتشديد للسلب والازالة على نحو قردته وجلدته أى ازلت قرادة وسلخت جلده وقيل ان حتى على هذا التفسير متعلق بقوله زعمتم أى زعمتم الكفر (٥٩) الى غاية التفزيع ثم تركتم ما زعمتم وقلتم قال الحق ومنهم من ذهب الى أن التفزيع غاية الوحى المستفاد من قبل فانه عند الوحى يفزع من فى السموات كما جاء فى حديث اذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء صلصلة تكر السلسلة على الصفا فيصعقون فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبرائيل فاذا جاء فزع عن قلوبهم فيقولون يا جبرائيل ماذا قال ربكم فيقول الحق أى يقول الحق الحق وقيل أراد بالفزع أنه تعالى لما أوحى الى محمد صلى الله عليه وسلم فزع من فى السموات من القيامة لأن ارسال محمد صلى الله عليه وسلم من أشراطها فلما زال عنهم ذلك قالوا ماذا قال الله قال جبرائيل وأتباعه الحق وقيل انه الفزع عند الموت يزيله الله عن القلوب فيعرف كل أحد أن ما قال الله هو الحق فينتفع بتلك المعرفة أهل الايمان ولا ينتفع بها أهل الكفر وحين بين بقوله قل ادعوا أنه لا يدفع الضر الا هو أشار بقوله (قل من يرزقكم) الى أن جلب النفع لا يكمل الا به وههنا نكتة هى أنه قال فى دفع الضر قالوا الحق وفى طلب النفع قال قل الله تنبيها على أنهم فى الضراء مقبلون على الله معترفون به وفى السراء معرضون عنه غافلون لا يتنبهون الا بمسه وقوله (وانا أو اياكم) من الكلام المنصف الذى يتضمن قلة شغب الخصم وقلة شوكته بأنهو ينا وفى تخالف حرفى الجر فى قوله (لعلى هدى أو فى ضلال) اشارة الى أن أهل الحق راكبون مطية الهدى مستعلون على متنها وأن أهل الباطل منغمسون فى ظلمة الضلال لا يدرون أين يتوجهون وانما وصف الضلال بالمبين وأطلق الهدى لأن الحق كالخط المستقيم واحد والباطل كالخطوط المنحنية لا حصر لها فبعضها أدخل فى الضلالة من بعض وأبين وقوله (عما أجرمنا) الى قوله (عما تعملون) أبلغ فى سلوك

غير أن الرب منادى * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ربنا باعد وبعد لانهما القراءتان المعروفتان فى قرأة الامصار وما عداهما فغير معروف فيهم على أن التأويل من أهل التأويل أيضا يحقق قراءة من قرأه على وجه الدعاء والمسئلة وذلك أيضا مما يزيد القراءة الاخرى بعدا من الصواب فاذا كان هو الصواب من القراءة فتأويل الكلام فقالوا يا ربنا باعد بين أسفارنا فاجعل بيننا وبين الشام فلوات ومفاوز نتزكب فيها الرواحل ونتزود معنا فيها الأزواد وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم واحسانه اليهم وجهلهم بمقدار العافية ولقد عجل لهم ربهم الاجابة كما عجل للقائلين ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم أعطاهم ما رغبوا اليه فيه وطلبوا من المسئلة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أبو خصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا قال كانت لهم قرى متصلة باليمن كان بعضها ينظر الى بعض فبطروا ذلك وقالوا ربنا باعد بين أسفارنا فأرسل الله عليهم سيل العرم وجعل طعامهم أثلا وخمطا وشيأ من سدر قليل حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم قال فانهم بطروا عيشهم وقالوا لو كان جنى جنانا أبعد مما هى كان أجدر أن نشتهيه فمزقوا بين الشام وسبأ وبدلوا بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا بطر القوم نعمة الله وغمطوا كرامة الله قال الله وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا حتى نبيت فى الفلوات والصحارى فظلموا أنفسهم وقوله فظلموا أنفسهم وكان ظلمهم اياها عملهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه مما يوجب لهم عقاب الله فجعلناهم أحاديث يقول صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل فى السب فيقال تفرق القوم أيادى سبا وأيدى سبا اذا تفرقوا وتقطعوا وقوله ومزقناهم كل ممزق يقول وقطعناهم فى البلاد كل مقطع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق قال قتادة قال عامر الشعبى أما غسان فقد لحقوا بالشام وأما الانصار فلحقوا بيثرب وأما خزاعة فلحقوا بتهامة وأما الأزد فلحقوا بعمان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال يزعمون أن عمران بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا فرأى فى كهانته أن قومه سيمزقون ويتباعدون فقال لهم انى قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذا هم بعيد وجمل شديد ومزاد جديد فليلحق بكأس أو كرود قال فكانت وادعة بن عمرو ومن كان منكم ذا هم مدن وأمر دعن فليلحق بأرض شن فكانت عوف بن عمرو وهم الذين يقال لهم بارق ومن كان منكم يريد عيشا آنيا وحرما آمنا فليلحق بالارزين فكانت خزاعة ومن كان يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الاوس والخزرج فهما هذان الحيان من الانصار ومن كان يريد خمرا وخميرا وذهبا وحريرا وملكا وتأميرا فليلحق بكوثى وبصرى فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ومن كان منهم بالعراق قال

طريقة الانصاف حيث أسند الإجرام وهو الصغائر والزلات أوهى مع الكبائر الى اهل الايمان وعبر عن إجرام اهل الكفر بلفظ عام وهو العمل وفيه ارشاد الى المناظرات الجارية  فى العلوم وغيرها واذا قال أحد المناظرين للآخر أنت مخطئ أغضبه وعند الغضب لا يبقى سداد الفكر وعند اختلاله لا مطمع فى الفهم فيفوت الغرض ومعنى الفتح الحكم والفصل بين الفريقين بادخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وحين حث فى الآية الاولى على وجوب النظر من حيث ان كل أحد يؤاخذ بجرمه ولو كان البرىء أخذا بالمجرم لم يكن كذلك أكد ذلك المعنى بالآية الثانية فان مجرد الخطا والضلال واجب الاجتناب فكيف اذا كان يوم عرض وحساب وفى قوله (العليم) اشارة الى أن حكمه يكون مع العلم لا كحكم من يحكم بمجرد الغلبة والهوى ولما بين أن غير الله لا يعبد لدفع الضر ولا لجلب النفع أراد أن يبين أن غير الله لا ينبغى أن يعبد لأجل استحقاق العبادة فانه لا مستحق للعبادة الا هو ومعنى (أرونى) وكان يعرفهم ويراهم الاستخفاف بهم والتنبيه على الخطا العظيم فى إلحاق الشركاء بالله أو أراد أعلمونى بأى صفة ألحقتموهم بالله وجعلتموهم شركاء فشركاء نصب على الحال والعائد محذوف و (كلا) ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسده بابطال المقايسة ورد الالحاق ثم زاد فى توبيخهم بقوله (بل هو الله العزيز الحكيم) كأنه قال أين الذين ألحقتم به شركاء من هذه الصفات فان الاله لا يمكن أن يخلو عن القدرة الكاملة والحكمة الشاملة وهو يحتمل أن يكون ضمير الشأن وحين فرغ من التوحيد شرع فى الرسالة ومعنى (كافة) عامة لان الرسالة اذا شملتهم فقد منعتهم أن يخرج أحد منهم والكف المنع وكافة صفة لرسالة وقال الزجاج التاء للمبالغة كعلامة وراوية والعلامة وانه حال من الكاف فى أى أرسلناك جامعا للناس فى الابلاغ والتبشير والانذار أو مانعا للناس من الكفر والمعاصى وبعض النحويين جعله حالا من الناس

ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقول انما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمران بن عامر وكانت كاهنة فرأت فى كهانتها ذلك والله أعلم أى ذلك كان قال فلما تفرقوا نازلوا على كهانة عمران ابن عامر وقوله ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور يقول تعالى ذكره ان فى تمزيقنا هم كل ممزق لآيات يقول لعظة وعبرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه اذا أنعم عليه وحقه من الصبر على محنته اذا امتحنه ببلاء لكل صبار شكور على نعمه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان فى ذلك لآيات لكل صبار شكور كان مطرف يقول نعم العبد الصبار الشكور الذى اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه فقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ولقد صدّق بتشديد الدال من صدق بمعنى أنه قال ظنا منه ولا تجد أكثرهم شاكرين وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين ثم صدّق ظنه ذلك فيهم فحقق ذلك بهم وباتباعهم اياه وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة ولقد صدق بتخفيف الدال بمعنى ولقد صدق عليهم ظنه * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى وذلك أن ابليس قد صدق على كفره بنى آدم فى ظنه وصدق عليهم ظنه الذى ظن حين قال ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين وحين قال ولأضلنهم ولأمنينهم الآية قال ذلك عدو الله ظنا منه أنه يفعل ذلك لا علما فصار ذلك حقا باتباعهم اياه فبأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الكلام على قراءة من قرأ بتشديد الدال ولقد ظن ابليس بهؤلاء الذين بدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط عقوبة منا لهم ظنا غير يقين علم أنهم يتبعونه ويطيعونه فى معصية الله فصدّق ظنه عليهم باغوائه اياهم حتى أطاعوه وعصوا ربهم الا فريقا من المؤمنين بالله فانهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية ابليس وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال أخبرنى عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس أنه قرأ ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه مشددة وقال ظن ظنا فصدّق ظنه حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه قال ظن ظنا فاتبعوا ظنه * قال ثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه قال أنى له ما كان الا ظنا ظنه والله لا يصدّق كاذبا ولا يكذب صادقا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولقد صدّق عليهم ابليس ظنه قال أرأيت هؤلاء الذين كرمتهم علىّ وفضلتهم وشرفتهم لا تجد أكثرهم شاكرين وكان ذلك ظنا منه بغير علم فقال الله فاتبعوه الا فريقا من المؤمنين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك وربك على كل شئ حفيظ﴾ يقول تعالى ذكره وما كان لابليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حجة يضلهم بها الا بتسليطناه عليهم ليعلم حزبنا وأولياؤنا من يؤمن بالآخرة يقول من يصدّق بالبعث والثواب والعقاب ممن هو منها

وزيف بأن حال المجرور لا يتقدم عليه ومن هؤلاء من جعل اللام بمعنى الى لان أرسل يتعدى بالى فضوعفت تخطئته بأن استعمال اللام بمعنى الى ضعيف ولا يخفى أن ثانى مفعولى أرسلنا على غير هذا التفسير محذوف والتقدير  وما أرسلناك الى الناس الا كافة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وذلك لا لخفائه ولكن لغفلتهم وحين ذكر الرسالة

في شك فلا يوقن بالمعاد ولا يصدق بثواب ولا عقاب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان له عليهم من سلطان قال قال الحسن والله ما ضربهم بعصا ولا سيف ولا سوط الا أمانى وغرورا دعاهم اليها * قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك قال وانما كان بلاء ليعلم الله الكافر من المؤمن وقيل عنى بقوله الا لنعلم من يؤمن بالآخرة الا لنعلم ذلك موجودا ظاهرا ليستحق به الثواب أو العقاب وقوله وربك على كل شئ حفيظ يقول تعالى ذكره وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به وغير ذلك من الاشياء كلها حفيظ لا يعزب عنه علم شئ منه وهو مجاز جميعهم يوم القيامة بما كسبوا فى الدنيا من خير وشر ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ﴾ يقول تعالى ذكره فهذا فعلنا بولينا ومن أطاعنا داود وسليمن الذى فعلنا بهما من انعامنا عليهما النعم التى لا كفاء لها اذ شكرانا وذاك فعلنا بسبا الذين فعلنا بهم اذ بطروا نعمتنا وكذبوا رسلنا وكفروا أيادينا فقل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك الجاحدين نعمنا عندهم ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شريك من دونه فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا بالذين وصفنا أمرهم من انعام أو إيآس فان لم يقدروا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون لأن الشركة فى الربوبية لا تصلح ولا تجوز ثم وصف الذين يدعون من دون الله فقال انهم لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض من خير ولا شر ولا ضر ولا نفع فكيف يكون الها من كان كذلك وقوله وما لهم فيهما من شرك يقول تعالى ذكره ولا هم اذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض منفردين بملكه من دون الله يملكونه على وجه الشركة لأن الاملاك فى المملوكات لا تكون لمالكها الا على أحد وجهين اما مقسوما واما مشاعا يقول وآلهتهم التى يدعون من دون الله لا يملكون وزن ذرة فى السموات ولا فى الارض لا مشاعا ولا مقسوما فكيف يكون من كان هكذا شريكا لمن له ملك جميع ذلك وقوله وما له منهم من ظهير يقول وما لله من الآلهة التى يدعون من دونه معين على خلق شئ من ذلك ولا على حفظه اذ لم يكن لها ملك شئ منه مشاعا ولا مقسوما فيقال هو لك شريك من أجل أنه أعان وان لم يكن له ملك شئ منه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض وما لهم فيهما من شرك يقول ما لله من شريك فى السماء ولا فى الارض وما له منهم من الذين يدعون من دون الله من ظهير من عون بشئ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ما ذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير ﴾ يقول تعالى ذكره ولا تنفع شفاعة شافع كائنا من كان الشافع لمن شفع له الا أن يشفع لمن أذن الله فى الشفاعة يقول تعالى فاذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحدا الا لمن أذن الله فى الشفاعة له والله لا يأذن لأحد من أوليائه فى الشفاعة لأحد من الكفرة به وأنتم أهل كفر به أيها المشركون فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعما منكم أنكم تعبدونه

بين الحشر وذكر أنهم استعجلوه تعنتا منهم فبين على طريق التهديد أنه لا استعجال فيه كما لا إمهال وهذا شأن كل أمر ذى بال قال جار الله (ميعاد يوم) كقولك سحق عمامة فى أن الاضافة للتبيين يؤيده قراءة من قرأ ميعاد يوم بالرفع فيهما فأبدل منه اليوم وفى اسناد الفعل اليهم بقوله (لا تستأخرون عنه) دون ان يقول لا يؤخر عنكم زيادة تأكيد لوقوع اليوم ولما بين الأصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحشر ذكر أنهم كافرون بالكل قائلين (لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) من الكتب السماوية كالتوراة والانجيل يروى أن كفار مكة سألوا أهل الكتاب فأخبروهم أنهم يجدون صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع الكتب وقيل الذين كفروا عام والذى بين يديه يوم القيامة وما جاء ذكره فى القرآن من تفاصيل الحشر وغيرها وأن أهل الكتاب لو صدقوا بشئ من ذلك فليس لاجل مجيئه فى القرآن ولكن لمجيئه فى كتبهم وحين وقع اليأس من ايمانهم بقولهم لن نؤمن وعد نبيه بأنه سيراهم على أذل حال موقوفين للسؤال متجاذبين أهداب المراجعة كما يكون حال جماعة أخطؤا فى تدبير أمر وجواب لو محذوف أى لقضيت العجب وبدأ بالاتباع لان المضل أولى بالتوبيخ وفى قوله (لولا أنتم) اشارة الى أن كفرهم كان لمانع لا لعدم المقتضى فان الرسول قد جاء ولم يقصر فى الابلاغ ثم ذكر جواب المستكبرين وهم الرؤس والمتبوعون على طريقة الاستئناف وفى ايلاء الاسم وهو نحن حرف الانكار اثبات أنهم هم الذين

صدّوا بأنفسهم عن الهدى بكسب منهم واختيار وان المانع لم يكن راجحا على المقتضى ولا مساويا له واكدوا ذلك بقولهم (بل كنتم مجرمين) أى انكم أنتم الذين أطعتم أمر الشهوة فكنتم (٦٢) كافرين ولم يكن منا الا التسويل والتزيين ثم عطف قولا آخر للمستضعفين على قولهم الاول والاضافة فى (مكر الليل والنهار) من باب الاتساع باجراء الظرف مجرى المفعول به وأصل الكلام بل مكرهم فى الليل والنهار أوجعل ليلهم ونهارهم ماكرين على الاسناد المجازى فالاول اتساع لفظى والثانى معنوى أبطلوا اضرابهم باضرابهم قائلين ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا مستمرا دائما ليلا ونهارا وقدم الليل لانه أخفى للمكر والويل وقرئ مكر الليل بالتشديد أى سبب ذلك أنكم تكثرون الاغواء مكررا دائبا والمعنى ما أنتم بالصارف القطعى والمانع القوى ولكن انضم الى ذلك طول المدة فصار قولكم جزء السبب وفى قولهم (أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) اشارة الى أن المشرك وان كان مثبتا لله فى الظاهر ولكنه ناف له على الحقيقة لانه جعله مساويا للصنم ويجوز أن يكون كل منهما قول طائفة فبعضهم كانوا مأمورين بجحد الصانع وبعضهم بالاشراك به وتفسير قوله (وأسروا الندامة لما رأوا العذاب) مذكور فى سورة يونس والضمير يعود الى جنس الظالمين الشامل للمستضعفين وللمستكبرين وقوله (فى أعناق الذين كفروا) أى فى أعناقهم من وضع الظاهر موضع الضمير للدلالة على ما استحقوا به الأغلال وهى محمولة على الظاهر وان جاز أن يراد بها العلائق وفى قوله (هل تجزون) اشارة الى أنهم استحقوها عدلا ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن ايذاء الكفار الأنبياء ليس بدعا وانما ذلك هجيراهم قديما وانما خص يقدم المترفين بالذكر لأنهم أصل فى الجحود والانكار وغيرهم تبع ثم استدلوا على كونهم مصيبين فى ذلك بكثرة الأموال والأولاد لأنهم اعتقدوا

ليقربكم الى الله زلفى وليشفع لكم عندربكم فمن اذ كان هذا معنى الكلام التى فى قوله الا لمن أذن له المشفوع له * واختلفت القراء فى قراءة قوله أذن له فقرأ ذلك عامة القراء بضم الالف من أذن له على وجه ما لم يسم فاعله وقرأه بعض الكوفيين أذن له على اختلاف أيضا عنه فيه بمعنى أذن الله له وقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم يقول حتى اذا جلى عن قلوبهم وكشف عنها الفزع وذهب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم يعنى جلى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد حتى اذا فزع عن قلوبهم قال كشف عنها الغطاء يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال اذا جلى عن قلوبهم واختلف أهل التأويل فى الموصوفين بهذه الصفة من هم وما السبب الذى من أجله فزع عن قلوبهم فقال بعضهم الذى فزع عن قلوبهم الملائكة قالوا وانما يفزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم الله يوحى ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبى قال قال ابن مسعود فى هذه الآية حتى اذا فزع عن قلوبهم قال اذا احدث أمر عند ذى العرش سمع من دونه من الملائكة صوت كجر السلسلة على الصفا فيغشى عليهم فاذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادوا ماذا قال ربكم قال فيقول من شاء قال الحق وهو العلى الكبير حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر قال سمعت داود عن عامر عن مسروق قال اذا احدث عند ذى العرش أمر سمعت الملائكة صوتا كجر السلسلة على الصفا قال فيغشى عليهم فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قال فيقول من شاء الله الحق وهو العلى الكبير حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود أنه قال اذا احدث أمر عند ذى العرش ثم ذكر نحو معناه الا انه قال فيغشى عليهم من الفزع حتى اذا ذهب ذلك عنهم تنادوا ماذا قال ربكم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم عن عبد الله بن مسعود فى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ان الوحى اذا ألقى سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان قال فيتنادون فى السموات ماذا قال ربكم قال فيتنادون الحق وهو العلى الكبير * وبه عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال ينزل الأمر من عند رب العزة الى السماء الدنيا فتفزع أهل السماء الدنيا حتى يستبين لهم الأمر الذى نزل فيه فيقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم فيقولون قال الحق وهو العلى الكبير فذلك قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية حدثنا أحمد بن عبدة الضبى قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو ابن دينار عن عكرمة قال ثنا أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله اذا قضى أمرا فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها جميعا ولقوله صوت كصوت السلسلة على الصفا الصفوان فذلك قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن هشام بن عروة قال قال الحرث بن هشام لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يأتيك الوحى قال يأتينى فى صلصلة كصلصلة الجرس فيفصم عنى حين

أنهم لو لم يكرموا على الله ما رزقهم ثم قاسوا أمر الآخرة الموهومة أو المفروضة عندهم على أمر الدنيا فقالوا (وما نحن بمعذبين) فبين الله خطأهم بأن القابض الباسط هو الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن ذلك بمجرد المشيئة لا بالكسب والاستحقاق فكم من شقي موسر وتقي معسر ثم زاد في البيان بقوله (وما أموالكم) أي وما جماعة أموالكم (ولا) جماعة (أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى) أي قربى اسم بمعنى القربة وقع موقع المصدر كقوله والله أنبتكم من الارض نباتا ثم استثنى من ضمير المفعول في تقربكم بقوله (الا من آمن) والمراد أن الاموال والاولاد لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح ينفق الاموال في سبيل الله ويعلم أولاده الخير والفقه في الدين ويحتمل أن يكون الاستثناء من الفاعل والمعنى أن شيأ من الاشياء لا يقرب الاعمال المؤمن الصالح لأن ماسوى ذلك شاغل عن الله والعمل الصالح اقبال على العبودية ومن توجه الى الله وصل ومن طلب شيأ من الله حصل وجزاء الضعف من اضافة المصدر الى المفعول تقديره فأولئك لهم أن يجازوا الضعف ومعنى قراءة يعقوب أولئك لهم الضعف جزاء والتضعيف يكون الى العشر والى سبعمائة وأكثر كما عرفت والباقي الى قوله محضرون قد سبق وحين بين أن حصول الترف لا يدل على الشرف ذكر أن بسط الرزق لا يختص بهم ولكنه سبحانه قد يبسط الرزق لمن يشاء من عباده المؤمنين ثم رتب وعد الاخلاف على الانفاق وذلك اما في العاجل بالمال أو بالقنوع واما في الآخرة بالثواب الذي لا خلف فوقه ولا مثله ومما يؤكد الآية قوله صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا الحديث

يفصم وقد وعيته ويأتي أحيانا في مثل صورة الرجل فيكلمني به كلاما وهو أهون علي حدثني زكريا بن أبان المصري قال ثنا نعيم قال ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن ابن أبي زكريا عن جابر بن حيوة عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يوحي بالامر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوف أمر الله فاذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبرائيل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبرائيل على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبرائيل فيقول جبرائيل قال الحق وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبرائيل فينتهي جبرائيل بالوحي حيث أمره الله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية قال كان ابن عباس يقول ان الله لما أراد أن يوحي الى محمد دعا جبريل فلما تكلم ربنا بالوحى كان صوته كصوت الحديد على الصفا فلما سمع أهل السموات صوت الحديد خروا سجدا فلما أتى عليهم جبرائيل بالرسالة رفعوا رؤسهم فقالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير وهذا قول الملائكة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الى وهو العلي الكبير قال لما أوحى الله تعالى ذكره الى محمد صلى الله عليه وسلم دعا الرسول من الملائكة فبعث بالوحي سمعت الملائكة صوت الجبار يتكلم بالوحي فلما كشف عن قلوبهم سألوا عما قال الله فقالوا الحق وعلموا أن الله لا يقول الا حقا وأنه منجز ما وعد قال ابن عباس وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوه خروا سجدا فلما رفعوا رؤسهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير ثم أمر الله نبيه أن يسأل الناس قل من يرزقكم من السموات الى قوله في ضلال مبين حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عبد الله بن القاسم في قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية قال الوحي ينزل من السماء فاذا قضاه قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله في قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قال ان الوحي اذا قضى في زوايا السماء قال مثل وقع الفولاذ على الصخرة قال فيشفقون لا يدرون ما يحدث فيفزعون فاذا مر بهم الرسل قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير * وقال آخرون ممن قال الموصوفون بذلك الملائكة انما يفزع عن قلوبهم فرعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذرا أن يكون ذلك قيام الساعة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم الآية قال يوحي الله الى جبرائيل فتفرق الملائكة أو تفزع مخافة أن يكون شئ من أمر الساعة فاذا جلي عن قلوبهم وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير * وقال آخرون بل ذلك من فعل ملائكة السموات اذا مرت بها المعقبات فزعا أن يكون حدث أمر الساعة ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم الآية زعم ابن مسعود أن الملائكة المعقبات الذين يختلفون الى الارض يكتبون أعمالهم اذا أرسلهم الرب فانحدروا

وقول الفقهاء ألق متاعك في البحر وعلي ضمانه وأن التاجر اذا علم أن ما لا من الاموال في معرض الفناء يبيعه نسيئة وان كان من الفقراء وإلا نسب الى الخطأ وسخافة الرأي ولا ريب أن مال الدنيا في معرض الزوال وأن أغنى الأغنياء قد طلب منا الاقراض ووعد الاضعاف

والاخلاف فأى تجارة عند العاقل اربح من هذا (وهو خير الرازقين) لان سلسلة الارزاق والرزق تنتهى اليه وعن بعضهم الحمد لله الذى
أوجدنى وجعلنى ممن يشتهى فكم من مشته  لايجدوواجدلايشتهى ثم حكى عاقبة حال الكفار بقوله (ويوم يحشرهم) وفى

خطاب الملائكة تقريع الكفار وتقريرلما يعروهم من الخجل والوجل عند اقتصاص ذلك كما مر فى قوله لعيسى أأنت قلت للناس (قالوا سبحانك) ننزهك عن أن نعبد غيرك أنت الذى نواليك ونعادى غيرك فى شأن العبادة (بل كانوا يعبدون الجن) حيث أطاعوهم فى عبادة غيرك فهم كانوا يطيعونهم وكنا نحن كالقبلة أوصورت لهم الشياطين صور قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها أو كانوا يدخلون فى أجواف الاصنام فيعبدون بعبادتها وانما قالوا (أكثرهم بهم مؤمنون) وما ادعوا الاحاطة لأن الذين رأوهم واطلعهم الله على أحوالهم كانوا كذلك ولعل فى الوجود من لايطلع الله الملائكة عليه من الكفار وأيضا أن العبادة عمل ظاهر والايمان عمل باطن والاطلاع على عمل القلب كما هو ليس الالله وحده فراعوا الادب الجميل والحكم على الظاهر أكثرى ثم ذكر أن الامر فى ذلك اليوم لله وحده والخطاب فى قوله (لايملك بعضكم) للملائكة والكفار وان كان الكفار غائبين كما تقول لمن حضر عندك ولمن شارفه فى أمر بسببه أنتم قلتم كذا على معنى أنت قلت وهم قالوا ويحتمل أن يكون الخطاب للكفار لأن ذكر اليوم يدل على حضورهم أولهم وللملائكة أيضا بهذا التأويل وعلى الاول يكون قوله (ونقول للذين ظلموا) افراد الكفرة بالذكر وعلى الوجه الآخر يكون تأكيدا لبيان حالهم فى الظلم وذكر الضر تأكيد لعدم تملكهم شيأ والا فهو غير متصور فى ذلك ذكر اليوم وانما قال ههنا (عذاب النار التى كنتم بها تكذبون) وفى السجدة عذاب النار الذى كنتم به لانهم هناك قدروا النار بدليل قوله كلما

سمع لهم صوت شديد فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة فيخرّوا سجدا وهكذا كلما مروا عليهم يفعلون ذلك من خوف ربهم * وقال آخرون بل الموصوفون بذلك المشركون قالوا وانما يفزع الشيطان عن قلوبهم قال وانما يقولون ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم قال فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم وما كان يضلهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قال وهذا فى بنى آدم وهذا عند الموت أقروا به حين لم ينفعهم الاقرار * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب القول الذى ذكره الشعبى عن ابن مسعود لصحة الخبر الذى ذكرناه عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييده واذ كان ذلك كذلك فمعنى الكلام لاتنفع الشفاعة عنده الا لمن أذن له أن يشفع عنده فاذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع فزع لسماعه اذنه حتى اذا فزع عن قلوبهم فجلى عنها وكشف الفزع عنهم قالوا ماذا قال ربكم قالت الملائكة الحق وهو العلى على كل شئ الكبير الذى لاشئ دونه والعرب تستعمل فزع فى معنيين فتقول للشجاع الذى به تنزل الامور التى يفزع منها هو مفزع وتقول للجبان الذى يفزع من كل شئ انه لمفزع وكذلك تقول للرجل الذى يقضى له الناس فى الامور بالغلبة على من نازله فيها هو مغلب واذا أريد به هذا المعنى كان غالبا وتقول للرجل أيضا الذى هو مغلوب أبدا مغلب وقد اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الامصار أجمعون فزع بالزاى والعين على التأويل الذى ذكرناه عن ابن مسعود ومن قال بقوله فى ذلك وروى عن الحسن أنه قرأ ذلك حتى اذا فرغ عن قلوبهم بالراء والغين على التأويل الذى ذكرناه عن ابن زيد وقد يحتمل توجيه معنى قراءة الحسن ذلك كذلك الى حتى اذا فرغ عن قلوبهم فصارت فارغة من الفزع الذى كان حل بها ذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك فزع بمعنى كشف الله الفزع عنها * والصواب من القراءة فى ذلك القراءة بالزاى والعين لاجماع الحجة من القراء وأهل التأويل عليها ولصحة الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بتأييدها والدلالة على صحتها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أوايا كم لعلى هدى أوفى ضلال مبين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الاوثان والاصنام من يرزقكم من السموات والارض بانزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم وصلاحا لمعايشكم وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم ومنافع أقواتكم والارض باخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه ثم ذكره وهو فان قالوا لاندرى فقل الذى يرزقكم ذلك الله وانا أوايا كم أيها القوم لعلى هدى أوفى ضلال مبين يقول قل لهم انا لعلى هدى أوفى ضلال أوانكم على ضلال أوهدى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة قل من يرزقكم من السموات والارض قل الله وانا أوايا كم لعلى هدى أوفى ضلال مبين قال قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين والله ما انا وأنتم على أمر واحد ان أحد الفريقين لمهتد وقد قال قوم معنى ذلك وانا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين

ذكر من قال ذلك حدثني اسحق بن ابراهيم الشهيدى قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن عكرمة وزياد فى قوله وانا أوايا كم لعلى هدى أوفى ضلال مبين قال انا لعلى هدى وانكم لفى ضلال مبين واختلف أهل العربية فى وجه دخول أو فى هذا الموضع فقال بعض نحويى البصرة ليس ذلك لأنه شك ولكن هذا فى كلام العرب على أنه هو المهتدى قال وقد يقول الرجل لعبده أحدنا ضارب صاحبه ولا يكون فيه اشكال على السامع أن المولى هو الضارب * وقال آخر منهم معنى ذلك انا لعلى هدى وانكم ايا كم فى ضلال مبين لأن العرب تضع أو فى موضع واو الموالاة قال جرير

أثعلبة الفوارس أو رياحا * عدلت بهم طهية والخشابا

قال يعنى أثعلبة ورياحا قال وقد تكلم بهذا من لا يشك فى دينه وقد علموا أنهم على هدى وأولئك فى ضلال فيقال هذا وان كان كلاما واحدا على جهة الاستهزاء فقال هذا لهم وقال

فان يك حبهم رشدا أصبه * ولست بمخطئ ان كان غيا

وقال بعض نحويى الكوفة معنى أو ومعنى الواو فى هذا الموضع فى المعنى غير أن القرينة على غير ذلك لا تكون أو بمنزلة الواو ولكنها تكون فى الأمر المفوض كما تقول ان شئت فخذ درهما أو اثنين فله أن يأخذ اثنين أو واحدا وليس له أن يأخذ ثلاثة قال وهو فى قول من لا يبصر العربية ويجعل أو بمنزلة الواو يجوز له أن يأخذ ثلاثة لانه فى قولهم بمنزلة قولك خذ درهما أو اثنين قال والمعنى فى إنا أوايا كم انا لضالون أو مهتدون وانكم أيضا لضالون وهو يعلم أن رسوله المهتدى وأن غيره الضال قال وأنت تقول فى الكلام للرجل يكذبك والله ان أحدنا لكاذب وأنت تعنيه وكذبته تكذيبا غير مكشوف وهو فى القرآن وكلام العرب كثير أن يوجه الكلام الى أحسن مذاهبه اذا عرف كقول القائل لمن قال والله لقد قدم فلان وهو كاذب فيقول قل ان شاء الله أو قل فيما أظن فيكذبه بأحسن تصريح التكذيب قال ومن كلام العرب أن يقولوا قاتله الله ثم يستقبح فيقولون قاتله الله وكاتعه الله قال ومن ذلك ويحك وويسك انما هى فى معنى ويلك الا أنها دونها * والصواب من القول فى ذلك عندى أن ذلك أمر من الله نبيه بتكذيب من أمره بخطابه بهذا القول بأجمل التكذيب كما يقول الرجل لصاحب له يخاطبه وهو يريد تكذيبه فى خبر له أحدنا كاذب وقائل ذلك يعنى صاحبه لا نفسه فلهذا المعنى صير الكلام بأو ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين أحدفريقينا على هدى والآخر على ضلال لا تسئلون أنتم عما أجرمنا نحن من جرم وركبنا من اثم ولا نسئل نحن عما تعملون أنتم من عمل قل لهم يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده ثم يفتح بيننا بالحق يقول ثم يقضى بيننا بالعدل فيتبين عند ذلك المهتدى منا من الضال وهو الفتاح العليم يقول والله القاضى العليم بالقضاء بين خلقه لأنه لا تخفى عنه خافية ولا يحتاج الى شهود تعرفه المحق من المبطل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا أى يقضى بيننا حدثنى على قال ثنا

(٩ - (ابن جرير) - الثانى والعشرون)

(واذا تتلى) الآية ولا يخفى ما فيه من المبالغات ثم بين أن أقوالهم هذه لا تستند الا الى محض التقليد فقال (وما آتيناهم من كتب يدرسونها) فالآيات البينات لا تعارض الا بالبراهين العقلية وما لهم من دليل أو بالنقليات وما عندهم من كتاب ولا رسول غيرك (وكذب الذين من قبلهم) كعاد وثمود (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع قال الاكثرون معناه وما بلغ هؤلاء المشركون عشر ما آتينا المتقدمين من القوة والنعمة وطول العمر ثم ان الله أخذهم وما نفعهم محصولهم فكيف حال هؤلاء الضعفاء وقال بعضهم أراد وما بلغ الذين من قبلهم معشار ما آتينا قوم محمد صلى الله عليه وسلم من البيان والبرهان لان محمدا صلى الله عليه وسلم أفصح الرسل وكتابه أوضح الكتب ثم ان المتقدمين أنكر عليهم تكذيبهم فكيف لا ينكر على هؤلاء قال جار الله قوله (فكذبوا رسلى) بعد قوله وكذب الذين من قبلهم تخصيص بعد تعميم كأنه قيل وفعل الذين من قبلهم التكذيب فكذبوا رسلى نظيره قول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن ينعطف على قوله وما بلغوا معشار ما كقولك ما بلغ زيد معشار فضل عمرو فيفضل عليه قلت فعلى هذا تكون الفاء للسببية والمعنى أنه اذا لم يبلغ معشار فضله فكيف يفضل عليه وكذا فى الآية فيصير المعنى انهم اذا لم يبلغوا معشار الأقدمين فكيف كذبوا (فكيف كان نكير) لمكذبين الاولين فليحذروا من مثله ويجوز عندى أن يكون الثانى تكريرا للاول لاجل ترتب النكير عليه كأنه قيل

فاذا قد صح أنهم فعلوا ما ذكرنا فلا جرم ذاقوا وبال أمرهم نظيره قولك لمن يحضرتك فعلت كذا وكذا فاذا فعلت ذلك فتربص وبعد تقرير الاصول الثلاثة التوحيد والرسالة والحشر  كررها مجموعة بقوله (قل انما أعظكم بواحدة) أى بخصلة أو حسنة أو كلمة واحدة وقد فسرها بقوله (أن تقوموا) على أنه عطف بيان لها والقيام اما حقيقة وهو قيامهم عن مجلس النبى متفرقين الى أوطانهم واما مجاز وهو الاهتمام بالامر والنهوض له بالعزم والجد فقوله (مثنى وفرادى) اشارة الى جميع الاحوال لان الانسان اما أن يكون مع غيره أولا فكأنه قال أن تقوموا لله مجتمعين ومنفردين لا تمنعكم الجمعية عن ذكر الله ولا يحوجكم الانفراد الى معين يعينكم على ذكر الله وقوله (ثم تتفكروا) يعنى اعترفوا بما هو الاصل وهو التوحيد ولا حاجة فيه الى تفكر ونظر بعد ما بان وظهر ثم تتفكروا فيما أقول بعده وهو الرسالة المشار اليها بقوله (ما بصاحبكم من جنة) والحشر المشار اليه بقوله (بين يدى عذاب شديد) قيل وفيه اشارة الى عذاب قريب كأنه قال ينذركم بعذاب يمسكم قبل الشديد فمجموع الامور الثلاثة شئ واحد أو المراد أنه لا يأمرهم فى أول الامر بغير التوحيد لأنه سابق على الكل لا أنه لا يأمرهم فى جميع العمر الا بشئ واحد وعند جار الله الخصلة الواحدة هى الفكر فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى انما أعظكم بواحدة ان فعلتموها أصبتم الحق وهو أن تقوموا لوجه الله خالصا منفرقين اثنين اثنين وواحدا واحدا فان ما فوق الاثنين والواحد يوجب التشويش واختلاف الرأى فيعرض كل من الاثنين محصول فكره على صاحبه من غير عصبية ولا اتباع هوى وكذلك الفرد يفكر فى نفسه بعدل ونصفة حتى يجذب الفكر بصنعه الى أن هذا الامر يبين المستتبع لسعادة الدارين لا يتصدى لادعائه الا رجلان مجنون لا يبالى بافتضاحه اذا طولب بالبرهان وعاقل اجتباه الله بسوابق الفضل

أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وهو الفتاح العليم يقول القاضى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام أرونى أيها القوم الذين ألحقتموهم بالله فصيرتموهم له شركاء فى عبادتكم اياهم ماذا خلقوا من الارض أم لهم شرك فى السموات كلا يقول تعالى ذكره كذبوا ليس الأمر كما وصفوا ولا كما جعلوا وقالوا من أن لله شريكا بل هو المعبود الذى لا شريك له ولا يصلح أن يكون له شريك فى ملكه العزيز فى انتقامه ممن أشرك به من خلقه الحكيم فى تدبيره خلقه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وما أرسلناك يا محمد الى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين العرب منهم والعجم والأحمر والأسود بشيرا من أطاعك ونذيرا من كذبك ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله أرسلك كذلك الى جميع البشر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلناك إلا كافة للناس قال أرسل الله محمدا الى العرب والعجم فأكرمهم على الله أطوعهم له ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وبلال سابق الحبشة وسلمان سابق فارس ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون﴾ يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المشركون بالله اذا سمعوا وعيد الله الكفار وما هو فاعل بهم فى معادهم مما أنزل الله فى كتابه متى هذا الوعد جائيا وفى أى وقت هو كائن ان كنتم فيما تعدوننا من ذلك صادقين أنه كائن قال الله لنبيه قل لهم يا محمد لكم أيها القوم ميعاد يوم هو آتيكم لا تستأخرون عنه اذا جاءكم ساعة فتنظروا للتوبة والانابة ولا تستقدمون قبله بالعذاب لان الله جعل لكم ذلك أجلا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا من مشركى العرب لن نؤمن بهذا القرآن الذى جاءنا به محمد صلى الله عليه وسلم ولا بالكتاب الذى جاء به غيره من بين يديه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه قال قال المشركون لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه من الكتب والانبياء وقوله ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يتلاومون يحاور بعضهم بعضا يقول المستضعفون كانوا فى الدنيا للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء فى الدنيا لكنا مؤمنين بالله وآياته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره قال الذين استكبروا فى الدنيا فرأسوا فى الضلالة والكفر بالله للذين استضعفوا فيها فكانوا أتباعا لأهل الضلالة منهم اذ قالوا لهم لولا أنتم لكنا مؤمنين أنحن صددناكم عن الهدى ومنعناكم من اتباع الحق بعد اذ جاءكم من عند الله

والامتنان لتكميل نوع الانسان لكن محمد صلى الله عليه وسلم بالاتفاق أرجح الناس عقلا وأصدقهم قولا واوفرهم حياء وأمانة فما هو الا النبي المنتظر في آخر الزمان المبعوث بين يدى عذاب شديد هو القيامة وأهوالها وقوله ما بصاحبكم إما أن يكون كلاما مستأنفا فيه تنبيه على كيفية النظر في أمر النبي صلى الله عليه وسلم والمراد ثم تتفكروا فتعلموا ذلك وجوز بعضهم أن تكون ما استفهامية وحين ذكر أنه ما به جنة ليلزم منه كونه نبيا ذكر وجها آخر يلزم منه صحة نبوته وهو قوله (ما سألتكم من أجر) الآية وتقريره أن العاقل لا يركب العناء الشديد الا لغرض عاجل وهو غير موجود ههنا بل كل أحد يعاديه ويقصده بالسوء أو لغرض آجل ولا يثبت الا على تقدير الصدق فان الكاذب معذب في الآخرة لا مثاب هذا اذا أريد بقوله (فهو لكم) نفى سؤال الآخر رأسا كما يقول الرجل لصاحبه ان أعطيتني شيأ فخذه وهو يعلم أنه لم يعطه شيأ ويحتمل أن يراد بالأجر قوله لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى وقوله ما أسالكم عليه من أجر الا من شاء أن يتخذ الى ربه سبيلا لأن المودة في القربى قد انتظمته واياهم وكذا اتخاذ السبيل الى الله عز وجل فيه نصيبهم ونفعهم (وهو على كل شئ شهيد) يعلم أنى لا أطلب الأجر على نصحكم أو يعلم أن فائدة النصح تعود عليكم قوله (يقذف بالحق) أى فى قلوب المحقين وفيه ازالة استبعاد الكفرة تخصيص واحد منهم بانزال الذكر عليه فان الأمر بيد الله والفضل له يؤتيه من يشاء وانه (علام الغيوب) يعلم عواقب الأمور ومراتب الاستحقاق فيعطى على حسب ذلك لا كما يفعل الهاجم الغافل

يبين لكم بل كنتم مجرمين فمنعكم ايثاركم الكفر بالله على الايمان من اتباع الهدى والايمان بالله ورسوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون الا ما كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين استضعفوا من الكفرة بالله فى الدنيا فكانوا أتباعا لرؤسائهم فى الضلالة للذين استكبروا فيها فكانوا لهم رؤساء بل مكركم لنا بالليل والنهار صدنا عن الهدى اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أمثالا وأشباها فى العبادة والألوهة فأضيف المكر الى الليل والنهار والمعنى ما ذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين فى الليل والنهار على اتساع العرب فى الذى قد عرف معناها فيه من منطقها من نقل صفة الشئ الى غيره فتقول للرجل يا فلان نهارك صائم وليلك قائم وكما قال الشاعر

* ونمت ومالیل المطى بنائم * وما أشبه ذلك مما قد مضى بياننا له فى غير هذا الموضع من كتابنا هذا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا يقول بل مكركم بنا فى الليل والنهار أيها العظماء الرؤساء حتى أزللتمونا عن عبادة الله وقد ذكر فى تأويله عن سعيد بن جبير ما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير بل مكر الليل والنهار قال مر الليل والنهار وقوله اذ تأمروننا أن نكفر بالله يقول حين تأمروننا أن نكفر بالله وقوله ونجعل له أندادا يقول شركاء كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ونجعل له أندادا شركاء قوله وأسروا الندامة لما رأوا العذاب يقول وندموا على ما فرطوا من طاعة الله فى الدنيا حين عاينوا عذاب الله الذى أعده لهم كما حدثنا بشر قال ثنا سعيد عن قتادة وأسروا الندامة بينهم لما رأوا العذاب قوله وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا وغلت أيدى الكافرين بالله فى جهنم الى أعناقهم فى جوامع من نار جهنم جزاء بما كانوا بالله فى الدنيا يكفرون يقول الله جل ثناؤه ما يفعل الله ذلك بهم الا ثوابا لأعمالهم الخبيثة التى كانوا فى الدنيا يعملونها ومكافأة لهم عليها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون﴾ يقول تعالى ذكره وما بعثنا الى أهل قرية نذيرا ينذرهم بأسنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا الا قال كبراؤها ورؤساؤها فى الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين له انا بما أرسلتم به من النذارة وبعثتم به من توحيد الله والبراءة من الآلهة والأنداد كافرون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أرسلنا فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا بما أرسلتم به كافرون قال هم رؤسهم وقادتهم فى الشر ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين قل ان ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيرا لأنبيائنا ورسلنا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن فى الآخرة بمعذبين لأن الله لو لم يكن راضيا ما نحن عليه من الملة والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد ولم يبسط لنا فى الرزق وانما أعطانا

أو أراد يقذف بالحق على الباطل فيدمغه وذلك أن براهين التوحيد قد ظهرت وشبه المبطلين قد دحضت وفى قوله علام الغيوب اشارة الى أن البرهان الباهر لم يقم الا على التوحيد والرسالة وأما الحشر فالدليل عليه اخبار علام الغيوب عنه وحين ذكر أنه يقذف بالحق

وكان ذلك بصيغة الاستقبال أخبر ان ذلك الحق قد جاء وهو القرآن والاسلام وكل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وعلى يده وقيل السيف وقوله (وما يبدئ الباطل وما يعيد)  مثل في الهلاك لان الحيّ اما أن يبدي فعلا أو يعيده فاذا هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة والتحقيق فيه أن الحق هو الموجود الثابت ولما كان ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من بيان التوحيد والرسالة والحشر ثابتا في نفسه بينا لمن نظر اليه كان جائيا وحين كان ما أتوا به من الاصرار والتكذيب مما لا أصل له قيل انه لا يبدئ ولا يعيد أي لا يعيد شيأ لا في الاول ولا في الآخر وقيل الباطل ابليس لانه صاحب الباطل ولأنه هالك والمراد أنه لا ينشئ خلقا ولا يعيد وانما المنشئ والباعث هو الله وعن الحسن لا يبدئ لأهله خيرا ولا يعيده أي لا ينفعهم في الدنيا والآخرة وقال الزجاج ما استفهامية والمعنى أي شيء ينشئ ابليس ويعيده ثم قرر أمر الرسالة بوجه آخر وهو قوله (قل ان ضللت فانما أضل على نفسي) يعني كضلالكم وأما اهتدائي فليس بالنظر والاستدلال كاهتدائكم وانما هو بالوحي المبين قال جار الله هذا حكم عام لكل مكلف والتقابل مرعي من حيث المعنى والمراد أن كل ما هو وبال على النفس وضارّ لها فهو بها وبسببها لأنها الأمارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وانما أمر رسوله أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به (انه سميع قريب) يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يعزب عنه منهما شيء وفيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم اذا دعاه على من يكذبه أجابه ليس كمن يسمع من بعيد ولا يلحق الداعي ثم عجب نبيه أو كل راء من مآل حال أهل العناد بقوله (ولو ترى) وجوابه محذوف أي لرأيت أمرا عظيما والأفعال في الماضية التي هي فزعوا وأخذوا وقالوا وحيل كلها من قبيل ونادى وسيق ووقت الفزع وقت البعث أو الموت أو يوم بدر وعن ابن

---

ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا وزلفة لنا عنده يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد ان ربي يبسط الرزق من المعاش والرياش في الدنيا لمن يشاء من خلقه ويقدر فيضيق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زلفة له استحق بها منه ولا لبغض منه لمن قدر عليه ذلك ولا مقت ولكنه يفعل ذلك محنة لعباده وابتلاء وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختبارا لعباده ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بسط له ومقت منه لمن قدر عليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الآية قال قالوا نحن أكثر أموالا وأولادا فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا قال وهذا قول المشركين لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قالوا لو لم يكن الله عنا راضيا لم يعطنا هذا كما قال قارون لولا أن الله رضي بي وبحالي ما أعطاني هذا قال أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون الى آخر الآية ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾ يقول جل ثناؤه وما أموالكم التي تفتخرون بها أيها القوم على الناس ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم بالتي تقربكم مناقربة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله عند نا زلفى قال قربى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد وان الكافر قد يعطى المال ويرحم عليه المؤمن وقال جل ثناؤه وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى ولم يقل باللتين وقد ذكر الأموال والاولاد وهما نوعان مختلفان لأنه ذكر من كل نوع منهما جمع يصلح فيه التي ولو قال قائل أراد بذلك أحد النوعين لم يبعد قوله وكان ذلك كقول الشاعر

نحن بما عندنا وأنت بما * عندك راض والرأي مختلف

ولم يقل راضيان وقوله الا من آمن وعمل صالحا اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحا فانه تقربهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه الى الله زلفى دون أهل الكفر بالله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله إلا من آمن وعمل صالحا قال لم تضرهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين وقرأ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به كما حاسب الآخرين فمن حمل على هذا التأويل نصب بوقوع تقرب عليه وقد يحتمل أن يكون من في موضع رفع فيكون كأنه قيل وما هو إلا من آمن وعمل صالحا وقوله فأولئك لهم جزاء الضعف يقول فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب بالواحدة عشر * وبنحو الذي قلنا

في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا قال بأعمالهم الواحد عشرو في سبيل الله بالواحد سبعمائة وقوله في الغرفات آمنون يقول وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين يسعون في آياتنا معاجزين أولئك في العذاب محضرون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين﴾ يقول تعالى ذكره والذين يعملون في آياتنا يعني في حججنا وآي كتابنا يبتغون ابطاله ويريدون اطفاء نوره معاوين يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم ويعجزوننا أولئك في العذاب محضرون يعني في عذاب جهنم محضرون يوم القيامة قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده يقول تعالى ذكره قل يا محمد ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خلقه فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة ويقدر على من يشاء منهم فيضيقه ويقتره اهانة له وغير اهانة بل محنة واختبارا وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه يقول وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله فان الله يخلفها عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن المنهال ابن عمرو عن سعيد بن جبير وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه قال ما كان في غير اسراف ولا تقتير وقوله وهو خير الرازقين يقول وهو خير من قيل انه يرزق ووصف به وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه فيقال فلان يرزق أهله وعياله ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا فتتبرأ منهم الملائكة قالوا سبحانك ربنا تنزيها لك وتبرئة مما أضاف اليك هؤلاء من الشركاء والأنداد أنت ولينا من دونهم لا تتخذ ولينا دونك بل كانوا يعبدون الجن * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون استفهام كقوله لعيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله وقوله أكثرهم بهم مؤمنون يقول أكثرهم بالجن مصدقون يزعمون أنهم بنات الله تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾ يقول تعالى ذكره فاليوم لا يملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم نفعا ينفعونكم به ولا ضرا ينالونكم به أو تنالونهم به ونقول للذين ظلموا يقول ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة في غير موضعها وجعلوها لغير من تنبغي أن تكون له ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها في الدنيا تكذبون فقد ورد تموها ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا افك مفترى وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا إلا سحر مبين﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا بينات يقول واضحات أنهن حق من عندنا قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم يقول قالوا عند ذلك لا تتبعوا محمدا

عباس نزلت في خسف البيداء وهم ثمانون ألفا أرادوا غزو الكعبة وتخريبها فخسف بهم حين دخلوا البيداء (فلا فوت) أي فلا يفوتون الله ولا يسبقونه والأخذ من مكان قريب هو من الموقف الى النار أو من ظهر الأرض الى بطنها أو من صحراء بدر الى القليب أو من تحت أقدامهم الى الأرض وجوز جار الله أن يعطف وأخذوا على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا وأخذوا ثم بين أنهم سيؤمنون بمحمد صلى الله عليه وسلم أو بالقرآن أو بالحق حين لا ينفع الايمان وذلك قوله (وأنى لهم التناوش) وهو تناول سهل لشيء قريب مثلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بعيد كما يتناوله الآخر من قريب تناولا سهلا لا تعب فيه أو أراد أن تناولهم التوبة وإيمانهم في الآخرة بعيد عن الدنيا فات أمس الدابر لا يعود وان كانت الآخرة قريبة من الدنيا ولهذا سماها الله الساعة وكل ما هو آت قريب وعن أبي عمرو التناؤش بالهمز التناول من بعد من قولهم ناشت بالهمزة أي أبطأت وتأخرت والأصح أنه من النوش كما مر همزت الواو المضمومة كما همزت في أجوه وقيل التناوش بلغة اليمن التذكرة قاله أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب في كتاب المدخل في تفسير القرآن والضمير في قوله (وقد كفروا) عائد الى ما يعود اليه في قوله آمنا به قوله (ويقذفون بالغيب) فيه وجوه أحدها أنه قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر ساحر وهذا تكلم بالأمر الخفي وقد أتوا به من جهة بعيدة عن حاله لأنهم قد عرفوا منه الأمانة والصدق لا الكذب والزور وثانيها أخذوا الشريك من حالهم في العجز فانهم يحتاجون في الأمور العظام الى التعاون فقاسوا الأمر الالهي عليه وثالثها أنهم قاسوا قدرة الله على قدرتهم عجزوا عن احياء الموتى فظنوا أن الله لا يقدر على البعث وقياس الخالق على المخلوق بعيد المأخذ ورابعها قاسوا أمر الآخرة على الدنيا قائلين ان كان الأمر كما تصفون من قيام الساعة وحصول الثواب والعقاب

فنحن أكرم على الله من أن يعذبنا وخامسها قالوا ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا وهو قذف بالغيب من مكان بعيد وهو الدنيا (وحيل بينهم وبين مايشتهون) من نفع الايمان  فى الآخرة أو من الرد الى الدنيا (كما فعل باشياعهم) أى بأشباههم من كفرة الأمم لم ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأس الله و (مريب) موقع فى الريب منقول من الاعيان الى المعنى أو ذو ريبة وذلك باعتبار صاحبه وكلاهما مجاز بوجهين وقدمر فى هود ﴿التأويل مثقال ذرة فى السموات القلوب ولا فى الارض النفوس من سعادة أو شقاوة قالوا الحق يعنى مافهموا من الهيبة كلامه ولكن يعلمون أنه لا يقول الا الحق قل من يرزقكم من سموات القلوب وأرض النفوس اذا نزل من سماء القلب ماء الفيض على أرض النفس وفيها بذر المعاملات الشرعية ألحقتم به شركاء من الدنيا والهوى والشيطان كافة للناس من أهل الأولين والآخرين فى عالم الأجساد وهو ظاهر وفى عالم الأرواح تبشرها بأن لها كمالا عند الاتصال بالأشباح وتنذرها بالحرمان ان لم تتعلق بالأجسام وذلك أن الأرواح علوية نورانية والأشباح سفلية مظلمة لا يحصل بينهما التعلق الا بالتبشير والانذار فالروح بمثابة البذر والقالب كالأرض وشخص الانسان بمثابة الشجرة والتوحيد والمعرفة ثمرتها والشريعة كالماء والبشير والنذير كالاكار واذا أمعنت النظر وجدت شجرة الموجودات نابتة من بذر روحه صلى الله عليه وسلم وهو ثمرة هذه الشجرة مع جميع الأنبياء والمرسلين ولكن بتبعية محمد صلى الله عليه وسلم ولهذا حصلت له رتبة الشفاعة دونهم يقولون يعنى أرباب الطلب يستعجلون متى نصل الى الكمال الذى بشر تمونا به ثم بين أن ثمرة كل شجرة وقتا معلوما لا تتجاوزه أكثرهم بهم قلنا مؤمنون أى أكثر مدعى الاسلام بأهل الأهواء مؤمنون ويقذفون بالغيب فيه أن معارف الأسرار ومراتب الأحرار لا تصلح لمن هو

فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان ويغير دينكم ودين آبائكم وقالوا ماهذا الا إفك مفترى يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون ماهذا الذى تتلو علينا يا محمد يعنون القرآن إلا إفك يقول إلا كذب مفترى يقول مختلق متخرص وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم ان هذا إلا سحر مبين يقول جل ثناؤه وقال الكفار للحق يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم لما جاءهم يعنى لما بعثه الله نبيا هذا سحر مبين يقول ماهذا الا سحر مبين يبين لمن رآه وتأمله أنه سحر ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير﴾ يقول تعالى ذكره وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم لما جاءهم بآياتنا هذا سحر مبين بما يقولون من ذلك كتابا يدرسونها يقول يقرؤنها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما آتيناهم من كتب يدرسونها أى يقرؤنها وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير يقول وما أرسلنا الى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون ويعملون قبلك من نبى ينذرهم بأسنا عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أرسلنا اليهم قبلك من نذير ما أنزل الله على العرب كتابا قبل القرآن ولا بعث اليهم نبيا قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله وكذب الذين من قبلهم يقول وكذب الذين من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزيلنا وما بلغوا معشار ما آتيناهم يقول ولم يبلغ قومك يا محمد عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدى والبطش وغير ذلك من النعم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما بلغوا معشار ما آتيناهم من القوة فى الدنيا حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما بلغوا معشار ما آتيناهم يقول ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم من القوة وغير ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما بلغوا معشار ما آتيناهم قال ما بلغ هؤلاء أمة محمد صلى الله عليه وسلم معشار ما آتينا الذين من قبلهم وما أعطيناهم من الدنيا وبسطنا عليهم فكذبوا رسلى فكيف كان نكير يقول فكذبوا رسلى فيما أتوهم به من رسالتى فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم فانظر يا محمد كيف كان نكير يقول كيف كان تغييرى بهم وعقوبتى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك انما أعظكم أيها القوم بواحدة وهى طاعة الله كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله انما أعظكم بواحدة قال بطاعة الله وقوله أن تقوموا لله مثنى وفرادى يقول وتلك الواحدة التى أعظكم بها هى أن تقوموا لله اثنين اثنين (١) وفرادى فرادى فان فى موضع خفض ترجمة عن الواحدة * وبنحو الذى

(١) لعله وفردا فردا أى أن تقوموا اثنين اثنين وواحدا واحدا فتنبه كتبه مصححه

أسير فى أيدى صفات النفس وحيل بينهم لأن الدين ليس بالتمنى والله أعلم بحقائق الأشياء والله الموفق

﴿سورة فاطر مكية حروفها ثلاثة آلاف ومائة وثلاثون كلمها سبعمائة وسبع وسبعون آياتها خمس وأربعون﴾



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا اله الا هو فأنى تؤفكون وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الأمور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل

قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن تقوموا لله مثنى وفرادى قال واحدا واثنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل انما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى رجلا ورجلين وقيل انما قيل انما أعظكم بواحدة وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى مثنى يقول يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة هل علمتم بمحمد صلى الله عليه وسلم جنونا قط ثم ينفرد كل واحد منكم فيتفكر ويعتبر فرداهل كان ذلك به فتعلموا حينئذ أنه نذير لكم وقوله ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة يقول لا نه ليس بمجنون وقوله ان هو الا نذير لكم بين يدى عذاب شديد يقول ما محمد الا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها وقوله هو كناية اسم محمد صلى الله عليه وسلم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجرى إلا على الله وهو على كل شئ شهيد﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لقومك المكذبيك الرادين عليك ما أتيتهم به من عند ربك ما أسألكم من جعل على انذاركم عذاب الله وتخويفكم به بأسه ونصيحتى لكم فى أمرى اياكم بالايمان بالله والعمل بطاعته فهو لكم لا حاجة لى به وانما معنى الكلام قل لهم انى لم أسألكم على ذلك جعلا فتتهمونى وتظنوا أنى انما دعوتكم الى اتباعى لما ان أخذه منكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ما سألتكم من أجر أى جعل فهو لكم يقول لم أسألكم على الاسلام جعلا وقوله ان أجرى الا على الله يقول ما ثوابى على دعائكم الى الايمان بالله والعمل بطاعته وتبليغكم رسالته الا على الله وهو على كل شئ شهيد يقول والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لى به وعلى غير ذلك من الأشياء كلها ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك إن ربى يقذف بالحق وهو الوحى يقول ينزله من السماء فيقذفه الى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم علام الغيوب يقول علام ما يغيب عن الأبصار ولا مظهرها ومالم يكن مما هو كائن وذلك من صفة الرب غير أنه رفع لمجيئه بعد الخبر وكذلك تفعل العرب اذا وقع النعت بعد الخبر فى أن أتبعوا النعت اعراب ما فى الخبر فقالوا ان أباك يقوم الكريم فرفع الكريم على ما وصفت وانتصب فيه جائز لا نه نعت للأب فيتبع اعرابه قل جاء الحق يقول قل لهم يا محمد جاء القرآن ووحى الله وما يبدئ الباطل يقول وما ينشئ الباطل خلقا والباطل هو فيما فسره أهل التأويل ابليس وما يعيد يقول ولا يعيده حيا بعد فنائه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان ربى يقذف بالحق أى بالوحى علام الغيوب قل جاء الحق أى القرآن وما يبدئ الباطل وما يعيد والباطل ابليس أى ما يخلق ابليس أحدا ولا يعيده حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل ان ربى يقذف بالحق علام الغيوب فقرأ بل نقذف بالحق على الباطل الى قوله ولكم الويل مما تصفون قال يزهق الله الباطل ويثبت الله

وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا فى كتاب ان ذلك على الله يسير وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون يولج الليل

فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير

يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغنى الحميد ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى المصير وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت إلا نذير انا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة إلا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير ۞ القراآت غير الله بالجر يزيد وحمزة وعلى الآخرون بالرفع حملا على المحل فلا تذهب من الاذهاب نفسك منصوبا يزيد الآخرون بفتح التاء والهاء من الذهاب نفسك مرفوعا الريح على التوحيد ابن كثير وحمزة وعلى وخلف ولا ينقص بفتح الياء وضم القاف روح وزيد الباقون بالعكس من عمره باختلاس الضمة عباس والذين يدعون على الغيبة قتيبة ۞ الوقوف ورباع ط يشاء ط قدير ٥ لها ج بعده ط الحكيم ٥ عليكم ط والأرض ط الاهوز للاستفهام ولفاء التعقيب واتحاد المعنى تؤفكون ٥ قبلك ط الامور ٥ الغرور ٥ عدوا ط السعير ٥ ط لان الذين مبتدأ ضربة شديد ٥ كبير ٥ حسنا ط لحذف الجواب حسرات ط يصنعون ٥ موتها ط النشور ٥ جميعا ط يرفعه ط شديد ٥

الحق الذى دمغ به الباطل يدمغ بالحق على الباطل فيهلك الباطل ويثبت الحق فذلك قوله قل إن ربى يقذف بالحق علام الغيوب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل ان ضللت فانما أضل على نفسى وان اهتديت فبما يوحى الى ربى إنه سميع قريب﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لقومك ان ضللت عن الهدى فسلكت غير طريق الحق فانما ضلالى عن الصواب على نفسى يقول فان ضلالى عن الهدى على نفسى ضره وان اهتديت يقول وان استقمت على الحق فبما يوحى الى ربى يقول فبوحى الله الذى يوحى الى وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهدى وقوله انه سميع قريب يقول ان ربى سميع لما أقول لكم حافظ له وهو المجازى لى على صدق فى ذلك وذلك منى غير بعيد فيتعذر عليه سماع ما أقول لكم وما تقولون وما يقوله غيرنا ولكنه قريب من كل متكلم يسمع كل ما ينطق به أقرب اليه من حبل الوريد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولو ترى يا محمد اذ فزعوا واختلف أهل التأويل فى المعنيين بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها هؤلاء المشركون الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم قال وعنى بقوله اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب عند نزول نقمة الله بهم فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الى آخر الآية قال هذا من عذاب الدنيا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأخذوا من مكان قريب قال هذا عذاب الدنيا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الى آخر السورة قال هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر نزلت فيهم هذه الآية قال وهم الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم أهل بدر من المشركين * وقال آخرون عنى بذلك جيش يخسف بهم بيداء من الارض ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد فى قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قال هم الجيش الذى يخسف بهم بالبيداء يبقى منهم رجل يخبر الناس بمالق أصحابه حدثنا عصام بن رواد بن الجراح قال ثنا أبى قال ثنا سفيان بن سعيد قال ثنى منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب قال فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم السفيانى من الوادى اليابس فى فوره ذلك حتى ينزل دمشق فيبعث جيشين جيشا الى المشرق وجيشا الى المدينة حتى ينزلوا بأرض بابل فى المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة ويقتلون بها ثلثمائة كبش من بنى العباس ثم يحدرون الى الكوفة فيخربون ما حولها ثم يخرجون متوجهين الى الشام فتخرج رايتهذا من الكوفة فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر ويستنقذون ما فى أيديهم من السبى والغنائم ويخلى جيشه التالى بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام وليالیها ثم يخرجون متوجهين الى مكة حتى اذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل فيقول يا جبرائيل اذهب فأبدهم فيضربها برجله

ضربة يخسف الله بهم فذلك قوله في سورة سبأ ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت الآية ولا ينفلت منهم الا رجلان أحدهما بشير والآخر نذير وهما من جهينة فلذلك جاء القول

* وعند جهينة الخبر اليقين * حدثنا محمد بن خلف العسقلاني قال سألت رواد بن الجراح عن الحديث الذي حدث به عنه عن سفيان الثوري عن منصور عن ربعي عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن قصة ذكرها في الفتن قال فقلت له أخبرني عن هذا الحديث سمعته من سفيان الثوري قال لا قلت فقرأته عليه قال لا قلت فقرئ عليه وأنت حاضر قال لا قلت فما قصته فما خبره قال جاءني قوم فقالوا معنا حديث عجيب أو كلام هذا معناه نقرؤه وتسمعه قلت لهم هاتوه فقرؤوه علي ثم ذهبوا فحدثوا به عني أو كلام هذا معناه «قال أبو جعفر» وقد حدثني ببعض هذا الحديث محمد بن خلف قال ثنا عبد العزيز بن أبان عن سفيان الثوري عن منصور عن ربعي عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث طويل قال ورأيته في كتاب الحسين بن علي الصدائي عن شيخ عن رواد عن سفيان بطوله * وقال آخرون بل عنى بذلك المشركون اذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قوله ولو ترى اذ فزعوا قال فزعوا يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم * وقال قتادة ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب حين عاينوا عذاب الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن ابن معقل ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قال أفزعهم يوم القيامة فلم يفوتوا * والذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك وأشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل قول من قال وعيد الله المشركين الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه لأن الآيات قبل هذه الآية بالاخبار عنهم وعن أسبابهم وبوعيد الله اياهم مغبته وهذه الآية في سياق تلك الآيات فلأن يكون ذلك خبرا عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبرا لما لم يجر له ذكر واذ كان ذلك كذلك فتأويل الكلام ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك فتعاينهم حين فزعوا من معاينتهم عذاب الله فلا فوت يقول فلا سبيل حينئذ أن يفوتوا بأنفسهم أو يعجزونا هربا ويخلوا من عذابنا كما حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت يقول فلا نجاة حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك في قوله ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت قال لا هرب وقوله وأخذوا من مكان قريب يقول وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب لأنهم حيث كانوا فهم من الله قريب لا يبعدون عنه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون حين عاينوا عذاب الله آمنا به يعني آمنا بالله وبكتابه ورسوله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وقالوا آمنا به قالوا آمنا بالله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا آمنا به عند ذلك يعني حين عاينوا عذاب الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقالوا آمنا به بعد القتل وقوله وأنى لهم التناوش يقول ومن أي وجه لهم التناوش * واختلفت قراء الامصار في ذلك فقرأته عامة قراء المدينة التناوش بغير همز بمعنى التناول وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة التناؤش بالهمز بمعنى التنؤش وهو الابطاء يقال منه تناءشت الشيء أخذته من بعيد ونشته أخذته من قريب ومن التنؤش قول الشاعر

يبور ٥ أزواجا ط بعلمه ط في كتاب ط يسير ٥ أجاج ط تلبسونها ج لانقطاع النظم مع اتفاق المعنى تشكرون ٥ مسمى ط الملك ط قطمير ٥ دعاءكم ج للشرط مع العطف لكم ط بشركائكم ط خبير ٥ الى الله ط لاتفاق الجملتين مع حسن الفصل بين وصفي الخالق والمخلوق الحميد ٥ جديد ٥ ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال بعزيز ٥ أخرى ط لاستئناف الشرط قربى ط الصلاة ط لنفسه ط المصير ٥ والبصير ٥لا ولا النور ٥لا ولا الحرور ٥ ج للطول والتكرار الاموات ط يشاء ج للعطف من الاثبات الى النفي مع اتفاق الجملتين القبور ٥ الانذير ٥ ونذيرا ط نذير ٥ من قبلهم ج لاحتمال ما بعده الحال والاستئناف المنير ٥ نكير ٥ ۞ التفسير لما بين في آخر السورة المتقدمة انقطاع رجاء الشاك وعدم قبول توبته في الآخرة ذكر في أول هذه السورة حال الموفق المؤمن وبشر بارسال الملائكة اليهم مبشرين وبين أنه يفتح لهم أبواب الرحمة و (فاطر السموات والارض) مبدعهما أو شاقهما لنزول الارواح من السماء وخروج الاجساد من الارض يؤيد التفسير الثاني قوله (جاعل الملائكة رسلا) وقوله وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون و (أولي أجنحة) أي أصحاب أجنحة أراد أن طائفة منهم أجنحة كل منهم اثنان اثنان وبعضهم أجنحة كل ثلاثة ثلاثة وبعضهم أجنحة كل أربعة أربعة قال جار الله الذين أجنحتهم ثلاثة ثلاثة

تمنى نئيشا أن يكون أطاعنى * وقد حدثت بعد الأمور أمور

ومن النوش قول الراجز

فهى تنوش الحوض نوشا من علا * نوشا به تقطع أجواز الفلا

ويقال للقوم فى الحرب اذا دنا بعضهم الى بعض بالرماح ولم يتلاقوا قد تناوش القوم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال انهما قراءتان معروفتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى وذلك أن معنى ذلك وقالوا آمنا بالله فى حين لا ينفعهم قيل ذلك فقال الله وأنى لهم التناوش أى وأين لهم التوبة والرجعة أى قد بعدت عنهم فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها وانما وصف ذلك الموضع بالبعيد لأنهم قالوا ذلك فى القيامة فقال الله أنى لهم بالتوبة المقبولة والتوبة المقبولة انما كانت فى الدنيا وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيدا من الآخرة فبأية القراءتين اللتين ذكرت قرأ القارئ فمصيب الصواب فى ذلك وقد يجوز أن يكون الذين قرؤا ذلك بالهمز همزوا وهم يريدون معنى من لم يهمز ولكنهم همزوه لانضمام الواو فقلبوها كما قيل واذا الرسل أقتت فجعلت الواو من وقتت اذ كانت مضمومة همزة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التيمى قال قلت لابن عباس أرأيت قول الله وأنى لهم التناوش قال يسألون الرد وليس بحين رد حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس نحوه حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنى لهم التناوش يقول فكيف لهم بالرد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأنى لهم التناوش قال الرد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد وأنى لهم التناوش قال التناول من مكان بعيد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وقالوا آمنا به وأنى لهم التناوش من مكان بعيد قال هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم وقرأ ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب وقالوا آمنا به الآية قال التناوش التناول أنى لهم تناول التوبة من مكان بعيد وقد تركوها فى الدنيا قال وهذا بعد الموت فى الآخرة * قال وقال ابن زيد فى قوله وقالوا آمنا به بعد القتل وأنى لهم التناوش من مكان بعيد وقرأ ولا الذين يموتون وهم كفار قال ليس لهم توبة وقال عرض الله عليهم أن يتوبوا مرة واحدة فيقبلها الله منهم فأبوا ويعرضون التوبة بعد الموت قال فهم يعرضونها فى الآخرة خمس عرضات فيأبى الله أن يقبلها منهم قال والتائب عند الموت ليست له توبة ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا الآية وقرأ ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك فى قوله وأنى لهم التناوش قال وأنى لهم الرجعة وقوله من مكان بعيد يقول من آخرتهم الى الدنيا كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من مكان بعيد من الآخرة الى الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقد كفروا به من قبل ويقذفون بالغيب من مكان بعيد ﴾ يقول تعالى ذكره وقد كفروا به يقول وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم ومعاينتهم اياه من الاقالة له وذلك الايمان بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقد كفروا به من قبل أى



لعل الثالث منها فى وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة أو لعله لغير الطيران فلقد رأيت فى بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم وجناحان يطيرون بهما فى الامر من أمور الله عز وجل وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله عز وجل وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه رأى جبرائيل عليه السلام ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروى أن اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش على كاهله وانه ليتضاءل لعظمة الله سبحانه وتعالى حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير ويجوز أن يخالف حال الملائكة حال الطيور فى الطيران كالحيوان الذى يدب بأرجل كثيرة ويجوز أن يكون البعض للزينة ويجوز أن يكون كل جناح ذا شعب وقال الحكيم الجناحان اشارة الى جهتين جهة الأخذ من الله وجهة الاعطاء لمن دونهم باذن الله كقوله نزل به الروح الأمين على قلبك علمه شديد القوى فالمدبرات أمرا ومنهم من يفعل بواسطة فلهم ثلاث جهات أو أكثر على حسب الوسائط ثم بين كمال قدرته بقوله (يزيد فى الخلق ما يشاء) والظاهر أنه عام يتناول كل زيادة فى كل أمر يعتبر فى الصورة كحسن الوجه والخط والصوت ونحوها أو فى المعنى كخصافة العقل وجزالة الرأى وسماحة النفس وذلاقة اللسان وغير ذلك من الاخلاق الفاضلة ثم أكد نفاذ امره وجريان الامور على وفق

بالايمان فى الدنيا وقوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد يقول وهم اليوم يقذفون بالغيب مجدا من مكان بعيد يعنى أنهم يرجمونه وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والاوهام فيقول بعضهم هو ساحر وبعضهم شاعر وغير ذلك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال قولهم ساحر بل هو كاهن بل هو شاعر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويقذفون بالغيب من مكان بعيد أى يرجمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويقذفون بالغيب من مكان بعيد قال بالقرآن ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل انهم كانوا فى شك مريب ﴾ يقول تعالى ذكره وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب فقالوا آمنا به وبين ما يشتهون حينئذ من الايمان بما كانوا به فى الدنيا قبل ذلك يكفرون ولا سبيل لهم اليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى اسمعيل بن حفص الأيلى قال ثنا المعتمر عن أبى الأشهب عن الحسن فى قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان بالله حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عبد الصمد قال سمعت الحسن وسئل عن هذه الآية وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان حدثنى ابن أبى زياد قال ثنا يزيد قال ثنا أبو الأشهب عن الحسن وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان حدثنا أحمد بن عبد الصمد الانصارى قال ثنا أبو أسامة عن شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال من الرجوع الى الدنيا ليتوبوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحيل بينهم وبين ما يشتهون كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها فى الدنيا حين عاينوا ما عاينوا حدثنا الحسن بن واضح قال ثنا الحسن بن حبيب قال ثنا أبو الأشهب عن الحسن فى قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال حيل بينهم وبين الايمان * وقال آخرون معنى ذلك وحيل بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد وزهرة الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى * قال ثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال من مال أو ولد أو زهرة حدثنى يونس قال قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون قال فى الدنيا التى كانوا فيها والحياة وانما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك لأن القوم انما تمنوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا ما أخبر الله عنهم أنهم تمنوه وقالوا آمنا به فقال الله وأنى لهم تناوش ذلك من مكان بعيد وقد كفروا من قبل ذلك فى الدنيا فاذا كان ذلك كذلك فلأن يكون قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون خبرا عن أنه لا سبيل لهم الى ما تمنوه أولى من أن يكون خبرا عن غيره وقوله كما فعل بأشياعهم من قبل يقول فعلنا بهؤلاء المشركين فحلنا بينهم وبين ما يشتهون من الايمان بالله عند نزول سخط الله بهم ومعاينتهم بأسه كما فعلنا بأشياعهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفار الأمم فلم تقبل منهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما لم تقبل فى مثل ذلك الوقت من ضربائهم والأشياع جمع شيع وشيع جمع شيعة فأشياع جمع الجمع وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

مشيئته بقوله (ما يفتح الله للناس) الآية وفيها دلالة على أن رحمته سبقت غضبه من جهة تقديم الرحمة ومن جهة بيان الضمير فى القرينة الأولى بقوله (من رحمة) والاطلاق فى قوله (وما يمسك) فيشمل امساك الغضب وامساك الرحمة ومن جهة قوله (من بعده) أى من بعد امساكه فيفيد أن الرحمة اذا جاءته لم يكن لها انقطاع وان ضدها قد ينقطع وان كان لا يقطعه الا الله ولهذا لا يخرج أهل الجنة من الجنة وقد يخرج أهل النار من النار (وهو العزيز) الغالب على ارسال الرحمة وامساكها (الحكيم) الذى لا يمسك ولا يرسل الا عن علم كامل وصلاح شامل وحيث بين أن الحمد لله وبين بعض وجوه النعمة المستدعية للحمد على التفصيل أمر المكلفين بتذكر النعمة على الاجمال لسانا وقلبا وعملا ومنه قول الرجل لمن أنعم عليه اذكر أيادى عندك يريد حفظها وشكرها والعمل بموجبها وعن ابن عباس أن الناس أهل مكة أسكنهم حرمه ويتخطف الناس من حولهم وعنه أيضا أنه أراد بالنعمة العافية والظاهر تعميم النعمة والمنعم عليهم ثم أشار الى نعمة الايجاد بقوله (هل من خالق غير الله) والى نعمة الابقاء بقوله (يرزقكم) وهو نعت خالق أو مستأنف أو تفسير لمضمر والتقدير هل يرزقكم خالق يرزقكم قال جار الله ان جعلت يرزقكم كلاما مستأنفا ففيه دليل على أن الخالق لا يطلق الا على الله عز وجل وأما على الوجهين الآخرين فلا اذ لا يلزم من نفى خالق رازق غيره نفى خالق غيره مطلقا وقوله (لا اله

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح كما فعل باشياعهم من قبل قال الكفار من قبلهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كما فعل باشياعهم من قبل أي في الدنيا كانوا اذا عاينوا العذاب لم يقبل منهم ايمان وقوله انهم كانوا في شك مريب يقول تعالى ذكره وحيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله وبين الايمان انهم كانوا قبل في الدنيا في شك من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاينوه وقد أخبرهم نبيهم أنهم ان لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون من الكفر بالله وعبادة الاوثان أن الله مهلكهم ومحل بهم عقوبته في عاجل الدنيا وآجل الآخرة قبل نزوله بهم مريب يقول موجب لصاحبه الذي هو به ما يريبه من مكروه من قولهم قد أراب الرجل اذا أتى ريبة وركب فاحشة كما قال الراجز

ياقوم مالي وأبا ذؤيب * كنت اذا أتوته من غيب
يشم عطفي ويبز ثوبي * كأنما أربته بريب

يقول كأنما أتيت اليه ريبة

آخر تفسير سورة سبأ

## ﴿ تفسير سورة فاطر ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الحمد لله فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد في الخلق ما يشاء ان الله على كل شئ قدير ﴾ يقول تعالى ذكره الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة الا له ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السموات السبع والارض جاعل الملائكة رسلا الى من يشاء من عباده وفيما شاء من أمره ونهيه أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يقول أصحاب أجنحة يعني ملائكة فمنهم من له اثنان من الأجنحة ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع قال بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة واختلف أهل العربية في علة ترك اجراء مثنى وثلاث ورباع وهي ترجمة عن أجنحة وأجنحة نكرة فقال بعض نحويي البصرة ترك اجراؤهن لأنهن مصروفات عن وجوههن وذلك أن مثنى مصروف عن اثنين وثلاث عن ثلاثة ورباع عن أربعة فصرف نظير عمر وزفر اذ صرف هذا عن عامر الى عمر وهذا عن زافر الى زفر وأنشد بعضهم في ذلك

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس المدبر

وقال آخرهم لم يصرف ذلك لانه يوهم به الثلاثة والاربعة قال وهذا لا يستعمل الا في حال العدد وقال بعض نحويي الكوفة هن مصروفات عن المعارف لان الالف واللام لا تدخلها والاضافة لا تدخلها قال ولو دخلتها الاضافة والالف واللام لكانت نكرة وهي ترجمة عن النكرة قال وكذلك ما كان في القرآن مثل أن تقول موالله مثنى وفرادى وكذلك وحاد وأحاد وما أشبهه من مصروف العدد وقوله يزيد في الخلق ما يشاء وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك

الاهو) جملة مفصولة لا محل لها مثل يرزقكم في غير وجه الوصف اذ لو جعلت وصفا لزم التناقض لان قولك هل من خالق آخر سوى الله اثبات لله ولو جعلت المنفية وصفا صار تقدير الكلام هل من خالق آخر سوى الله لا إله الا ذلك الخالق فلزم نقض الاثبات المذكور مع أن الكلام في نفسه يكون غير مستقيم (فأنى تؤفكون) أي كيف تصرفون عن هذا الظاهر فتشركون المنعوت بمالك الملك والملكوت وحين بين الأصل الاول وهو التوحيد ذكر الأصل الثاني وهو الرسالة بقوله (وان يكذبوك) الآية والمراد إن يكذبوك فتسل بهذا المعنى ثم بين الأصل الثالث وهو الحشر بقوله (يا أيها الناس) وقدم مثل الآية في آخر سورة لقمان وقد يسبق الى الظن ههنا أن الغرور هو الشيطان لانه عقبه بقوله (ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) لان الحازم لا يقبل قول العدو ولا يعتمد عليه ثم صرح بوجه اتخاذه وبعاقبة دعوته فقال (انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير) ثم فصل مآل حال حزبه وحزب الله بقوله (الذين كفروا) الى قوله (وأجر كبير) عرض على العقول انه لا سواء بين الحزبين والمعنى (أفمن زين له سوء عمله) من الفريقين كمن لم يزين له ولا ريب أن المزين لهم عملهم هم أهل الاهواء والبدع الذين لا مستند لهم في مأخذهم سوى التقليد واتباع الهوى ثم أنتج من ذلك قوله (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وذلك أن الناس متساوية الاقدام في الانسانية ومتفاوتة الأحوال في الأعمال فتبين أنه

من الأجنحة على الآخر ما يشاء ونقصانه عن الآخر ما أحب وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه وينقص ما شاء من خلق ما شاء له الخلق والامر وله القدرة والسلطان ان الله على كل شئ قدير يقول ان الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء ونقصان ما شاء منه ممن شاء وغير ذلك من الاشياء كلها لا يمتنع عليه فعل شئ أراده سبحانه وتعالى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده فما يفتح الله للناس من خير فلا مغلق له ولا ممسك عنهم لان ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم فلا فاتح له سواه لأن الامور كلها اليه وله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما يفتح الله للناس من رحمة أي من خير فلا ممسك لها فلا يستطيع أحد حبسها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وقال تعالى ذكره فلا ممسك لها فأنث ما لم يذكر الرحمة من بعده وقال وما يمسك فلا مرسل له من بعده فذكر للفظ ما لأن لفظه لفظ مذكر ولو أنث في موضع التذكير للمعنى وذكر في موضع التأنيث للفظ جاز ولكن الأفصح من الكلام التأنيث اذا ظهر بعد ما يدل على تأنيثها والتذكير اذا لم يظهر ذلك وقوله وهو العزيز الحكيم يقول وهو العزيز في نقمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته الحكيم في تدبير خلقه وفتحه لهم الرحمة اذا كان فتح ذلك صلاحا وامساكه اياه عنهم اذا كان امساكه حكمة ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون﴾ يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش يا أيها الناس اذكروا نعمة الله التي أنعمها عليكم بفتحه لكم من خيراته ما فتح وبسطه لكم من العيش ما بسط وفكروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السموات والارض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها يرزقكم من السماء والارض فتعبدوه دونه لا اله الا هو يقول لا معبود تنبغي له العبادة الا الذي فطر السموات والارض القادر على كل شئ الذي بيده مفاتح الاشياء وخزائنها ومغالق ذلك كله فلا تعبدوا أيها الناس شيأ سواه فانه لا يقدر على نفعكم وضركم سواه فله فأخلصوا العبادة واياه فأفردوا بالألوهة فأنى تؤفكون يقول فأى وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضركم تصرفون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأنى تؤفكون يقول الرجل انه ليؤفك عني كذا وكذا وقد بينت معنى الأفك وتأويل قوله تؤفكون فيما مضى بشواهده المغنية عن تكريره ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك والى الله ترجع الأمور يا أيها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزننك ذلك ولا يعظم عليك فان ذلك سنة أمثالهم من كفرة الأمم بالله من قبلهم وتكذيبهم رسل الله التي أرسلها اليهم من قبلك ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم فيتبعوا في تكذيبك منهاجهم ويسلكوا سبيلهم والى الله ترجع الامور يقول تعالى ذكره والى الله مرجع أمرك وأمرهم فمحل بهم العقوبة ان هم لم ينيبوا الى طاعتك في اتباعك والاقرار بنبوتك وقبول ما دعوتهم اليه من النصيحة نظير ما أحللنا بنظرائهم من الأمم المكذبة رسلها قبلك ومنجيك وأتباعك من ذلك سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

لا استقلال وأن أفعال العباد مستندة الى إرادة مصرف القلوب والأحوال ثم رتب على عدم الاستقلال قوله (فلا تذهب) أي فلا تهلك (نفسك) و(عليهم) صلة تذهب كما تقول هلك عليه حبا أو هو بيان للتحسر عليه ولا يتعلق بحسرات المفعول لأجله لأن المصدر لا يتقدم عليه صلته وجوز جار الله أن يكون حالا كأن كل نفسه صارت حسرات لفرط التحسر وعن الزجاج أن تقدير الآية أفمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم فحذف لدلالة المذكور وهو فلا تذهب عليه أو أفمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لأن قوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء يدل عليه ثم بين أن حزنه ان كان لما بهم من الضلال فالله عالم بهم وبما يصنعون لو أراد منهم الايمان لآمنوا وان كان لما بهم من الايذاء فالله عليم بفعلهم فيجازيهم ذلك ثم أكد كونه فاعلا مختارا قادرا قاهرا مبدئا معيدا بقوله (والله الذي أرسل) وهو من الالتفات الموجب للتهويل والتعظيم وقوله (فتثير) بلفظ المستقبل تصوير لتلك الحالة العجيبة الشأن عرف نفسه بفعل الارسال ثم قال فسقناه كأنه قال أنا الذي عرفتني بمثل هذه السياقة والصناعة وأنعمت عليك بهذه النعمة الشاملة ثم شبه البعث والنشور بالصنع المذكور ووجهه ظاهر وحين بين برهان الايمان أشار الى ما كان يمنع الكفار منه وهو العزة الظاهرة التي كانوا يتوهمونها من حيث ان معبوديهم كانت تحت تسخيرهم والرسول كان يدعوهم الى الايمان

ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك يعزى نبيه كما تسمعون وقوله يا أيها الناس ان وعد الله حق يقول تعالى ذكره لمشركي قريش المكذبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس ان وعد الله اياكم بأسه على اصراركم على الكفر به وتكذيب رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حق فأيقنوا بذلك وبادروا حلول عقوبته بكم بالتوبة والانابة الى طاعة الله والايمان به وبرسوله فلا تغرنكم الحياة الدنيا يقول فلا يغرنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا ورياستكم التي تترأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والايمان ولا يغرنكم بالله الغرور يقول ولا يخدعنكم بالله الشيطان فيمنيكم الأماني ويعدكم من الله العدات الكاذبة ويحملكم على الاصرار على كفركم بالله كما حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ولا يغرنكم بالله الغرور يقول الشيطان ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير﴾ يقول تعالى ذكره ان الشيطان الذي نهيتكم أيها الناس أن تغتروا بغروره إياكم بالله لكم عدو فاتخذوه عدوا يقول فأنزلوه من أنفسكم منزل العدو منكم واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم اياه حذركم من عدوكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم فلا تطيعوه ولا تتبعوا خطواته فانه انما يدعو حزبه يعني شيعته ومن أطاعه الى طاعته والقبول منه والكفر بالله ليكونوا من أصحاب السعير يقول ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا فانه لحق على كل مسلم عدوانه وعدوا نه أن يعادي بطاعة الله انما يدعو حزبه وحزبه أولياؤه ليكونوا من أصحاب السعير أي ليسوقهم الى النار فهذه عداوته حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله انما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقال هؤلاء حزبه من الانس يقول أولئك حزب الشيطان والحزب ولاته الذين يتولاهم ويتولونه وقرأ ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير﴾ يقول تعالى ذكره الذين كفروا بالله ورسوله لهم عذاب من الله شديد وذلك عذاب النار وقوله والذين آمنوا يقول والذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله وانتهوا عما نهاهم عنه لهم مغفرة من الله لذنوبهم وأجر كبير وذلك الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لهم مغفرة وأجر كبير وهي الجنة ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان الله عليم بما يصنعون﴾ يقول تعالى ذكره أفمن حسن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان فرآه حسنا فحسب سيئ ذلك حسنا وظن أن قبيحه جميل لتزيين الشيطان ذلك له ذهبت نفسك عليهم حسرات وحذف من الكلام ذهبت نفسك عليهم حسرات اكتفاء بدلالة قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات منه وقوله فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء يقول فان الله يخذل من يشاء عن الايمان به واتباعك وتصديقك فيضله عن الرشاد الى الحق في ذلك ويهدي من يشاء يقول ويوفق من يشاء للايمان به واتباعك والقبول منك فتهديه الى سبيل الرشاد فلا تذهب نفسك عليهم حسرات يقول فلا تهلك نفسك حزنا على ضلالتهم وكفرهم بالله وتكذيبهم لك

وبنحو

طاعة الله وطاعة أنبيائه فكأنه
قال ان كنتم تطلبون حقيقة العزة
(لله العزة) خاصة كلها فلتطلبها من
عنده ومن عند أوليائه نظيره
قولك من أراد النصيحة فهي عند
الأبرار يريد فليطلبها عندهم فاعتبر
في هذه الآية حرف النهاية وأما
في قوله فلله العزة ولرسوله وللمؤمنين
فاعتبر الوسائط فالعزة للمؤمنين
بواسطة الرسول وله من رب العزة
ثم ان الكفار كأنهم قالوا نحن لا نعبد
من لا نراه ولا نحضر عنده فان البعد
من الملك ذلة فقال (اليه يصعد)
أي ان كنتم لا تصلون اليه فهو
يسمع كلامكم ويقبل الطيب منها
وذلك آية العزة وأما هذه الأصنام
فلا يتبين عندها الذليل من العزيز
اذ لا حياة لها ولا شعور وهكذا
العمل الصالح لا تراه هذه الأصنام
فلا يمكن لها مجازاة الأنام وفاعل
قوله (يرفعه) ان كان هو الله فظاهر
وان كان الكلم أعني قوله لا اله
الا الله فمعناه أنه لا يقبل عمل إلا
من موحد وان كان هو العمل
فالمعنى أن الكلم وهو كل كلام
فيه ذكر الله أو رضاه يريد الصعود
الى الله الا أنه لا يستطيع الصعود
ولا يقع موقع القبول الا اذا كان
مقرونا بالعمل الصالح عن النبي
صلى الله عليه وسلم الكلم الطيب
هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله أكبر اذا قالها
العبد عرج بها الملك الى السماء
فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم يكن له
عمل صالح لم يقبل منه وعن ابن
المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم
وسحاب بلا مطر وقوس بلا وتر ولا
يخفى أن القول هو الاصل والعمل
مؤكده فلهذا قدم القول وحين بين

و نحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء قال قتادة والحسن الشيطان زين لهم فلا تذهب نفسك عليهم حسرات أى لا يحزنك ذلك عليهم فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات قال الحسرات الحزن وقرأ قول الله يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله ووقع قوله فان الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء موضع الجواب وانما هو منبع الجواب لأن الجواب هو المتروك الذى ذكرت فاكتفى به من الجواب لدلالته على الجواب ومعنى الكلام واختلفت القراء فى قراءة قوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فقرأته قراء الأمصار سوى أبى جعفر المدنى فلا تذهب نفسك بفتح التاء من تذهب ونفسك برفعها وقرأ ذلك أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء من تذهب ونفسك بنصبها بمعنى لا تذهب أنت يا محمد نفسك والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله ان الله عليم بما يصنعون يقول تعالى ذكره ان الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زين لهم الشيطان سوء أعمالهم وهو محصيه عليهم ومجازيهم به جزاءهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور ﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى أرسل الرياح فتثير السحاب للحيا والغيث فسقناه الى بلد ميت يقول فسقناه الى بلد مجدب الأهل محل الارض دائر لا نبت فيه ولا زرع فأحيينا به الارض بعد موتها يقول فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الارض التى سقناه اليها بعد جدوبها وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل كذلك النشور يقول تعالى ذكره هكذا ينشر الله الموتى بعد بلائهم فى قبورهم فيحييهم بعد فنائهم كما أحيينا هذه الارض بالغيث بعد مماتها ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء عن عبد الله قال يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون فليس من بنى آدم إلا وفى الارض منه شئ قال فيرسل الله ماء من تحت العرش منيا كمنى الرجل فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك كما تنبت الارض من الثرى ثم قرأ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت الى قوله كذلك النشور قال ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والارض فينفخ فيه فتنطلق كل نفس الى جسدها فتدخل فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا قال يرسل الرياح فتسوق السحاب فأحيا الله به هذه الارض الميتة بهذا الماء فكذلك يبعثه يوم القيامة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعا اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا فقال بعضهم معنى ذلك من كان يريد العزة بعبادة الآلهة والأوثان فان العزة لله جميعا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله من كان يريد العزة يقول من كان يريد العزة بعبادته الآلهة فان العزة لله جميعا * وقال آخرون معنى ذلك من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله من كان يريد العزة فلله العزة جميعا يقول فليتعزز

حال العمل الصالح ذكر ان المكرات السيئات بائرة كاسدة لا حقيقة لها ولعله أشار بها الى مكرات قريش المذكورات فى قوله واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك جمع الله مكرتهم فقلبها عليهم حين أوقعهم فى قليب بدر ونا ذكر دليل الآفاق أكده بدليل الأنفس قائلا (والله خلقكم من تراب) وفيه اشارة الى خلق آدم (ثم من نطفة) وفيه اشارة الى خلق أولاده ومعنى (أزواجا) أصنافا أو ذكرانا واناثا ثم أشار الى كمال علمه بقوله (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) ثم بين نفوذ ارادته بقوله (وما يعمر من معمر) قال جار الله معناه من أحد ولكنه سماه معمرا باعتبار ما يؤل اليه وليس المراد تعاقب التعمير وخلافه على شخص واحد وانما المراد تعاقبهما على شخصين فتسوح فى اللفظ تعويلا على فهم السامع كقول القائل ما تنعمت بكذا ولا اجتويته الا قليلا فيه ثوانى وتأويل آخر وهو أن يراد لا يطول عمر انسان ولا ينقص من عمر ذلك الانسان بعينه (الا فى كتاب) وصورته أن يكتب فى اللوح ان حج أو وصل الرحم فعمره أربعون سنة وان جمع بين الامرين فعمره ستون فاذا جمع بينهما فعمرستين كان الغاية واذا أفرد فعمر أربعين فقد نقص من تلك الغاية وبهذا التأويل يستبين معنى ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان فى الأعمار ويصح ما استفاض على الألسن أطال الله بقاءك وعن سعيد بن جبير

يكتب فى الصحيفة ان عمره كذا سنة ثم يكتب بعد ذلك فى آخرها ذهب يوم ذهب يومان حتى تنقضى المدة وعن قتادة المعمر من بلغ ستين والمنتقوص من عمره من يموت قبل الستين وذلك فى علم الله (ان ذلك) الذى ذكر من خلق الانسان من المادة المذكورة أو الزيادة فى الأعمار أو النقصان منها (على الله يسير) ثم ضرب مثلا للمؤمن والكافر وذكر دليلا آخر على عظم قدرته فقال (وما يستوى البحران) الاية على الأول يكون قوله ومن كل تأكلون الى آخر الآية تقريرا للنعمة على سبيل الاستطراد أو هو من تمام التشبيه كأنه شبه الجنسين بالبحرين ثم فضل البحر الأجاج على الكافر لانه شارك العذب فى استخراج السمك واللؤلؤ وجرى الفلك فيه وأما الكافر فلا نفع فيه البتة فيكون كقوله فى البقرة ثم قست قلوبكم الى آخر قوله وان منها لما يهبط من خشية الله والأشبه أن الآية تقرير دليل مستأنف كما مر فى أول النحل يؤيده تعقيبه بدليل آخر وهو قوله (يولج الليل) الى قوله (أجل مسمى) قد مر فى آخر لقمان مثله وفيه رد على عبدة الكواكب الذين ينسبون حوادث هذا العالم الى الكواكب بالذات لا الى تسخير مبدعها قوله (ذلكم الله) أى الذى فعل الأشياء المذكورة من فطر السموات والأرض وارسال الرياح وخلق الانسان من التراب وغير ذلك هو المعبود الحق وقوله (ربكم له الملك) خبران آخران ويجوز أن يكون الله ربكم خبرين وله الملك جملة مبتدأة واقعة

بطاعة الله * وقال آخرون بل معنى ذلك من كان يريد علم العزة لمن هى فان لله جميعا كلها أى كل وجه من العزة فلله * والذى هو أولى الأقوال بالصواب عندى قول من قال من كان يريد العزة فبالله فليتعزز فلله العزة جميعا دون كل ما دونه من الآلهة والأوثان وانما قلت ذلك أولى بالصواب لان الآيات التى قبل هذه الآية جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان وتوبيخه اياهم ووعيده لهم عليها فما ولى بهذه أيضا أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك فكانت قصتها شبيهة بقصتها وكانت فى سياقها وقوله اليه يصعد الكلم الطيب يقول تعالى ذكره الى الله يصعد ذكر العبد اياه وثناؤه عليه والعمل الصالح يرفعه يقول ويرفع ذكر العبد ربه اليه عمله الصالح وهو العمل بطاعته وأداء فرائضه والانتهاء الى ما أمره به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن اسمعيل الأحمسى قال أخبرنى جعفر بن عون عن عبد الرحمن ابن عبد الله المسعودى عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم قال قال لنا عبد الله اذا حدثناكم بحديث أتينا كم بتصديق ذلك من كتاب الله ان العبد المسلم اذا قال سبحان الله وبحمده الحمد لله لا اله الا الله والله أكبر تباركت الله أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن الى السماء فلا يمر بهن على جمع من الملائكة الا استغفروا لقائلهن حتى يجيء بهن وجه الرحمن ثم قرأ عبد الله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا سعيد الجريرى عن عبد الله بن شقيق قال قال كعب ان لسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر لدويا حول العرش كدوى النحل يذكرن بصاحبهن والعمل الصالح فى الخزائن حدثنى يونس قال ثنا سفيان عن ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب الأشعرى قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال العمل الصالح يرفع الكلم الطيب حدثنى على ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال الكلام الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه فمن ذكر الله سبحانه فى أداء فرائضه حمل عليه ذكر الله فصعد به الى الله ومن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله فكان أولى به حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال العمل الصالح يرفع الكلام الطيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه قال قال الحسن وقتادة لا يقبل الله قولا الا بعمل من قال وأحسن العمل قبل الله منه وقوله والذين يمكرون السيئات يقول تعالى ذكره والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنى سعيد عن قتادة قوله والذين يمكرون السيآت لهم عذاب شديد قال هؤلاء أهل الشرك وقوله ومكر أولئك هو يبور يقول وعمل هؤلاء المشركين يبور فيبطل فيذهب لأنه لم يكن لله فلم ينفع عامله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومكر أولئك هو يبور أى يفسد حدثنى يونس قال أخبرنا سفيان عن ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب ومكر أولئك هو يبور قال هم أصحاب الرياء حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا سهل بن أبى عامر قال ثنا جعفر الاحمر عن شهر بن حوشب فى قوله ومكر أولئك هو يبور

قال هم أصحاب الرياء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومكر أولئك هو يبور قال بار فلم ينتفعوا به وضرهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجا وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب ان ذلك على الله يسير﴾ يقول تعالى ذكره والله خلقكم أيها الناس من تراب يعني بذلك أنه خلق أباهم آدم من تراب فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقا ثم من نطفة يقول ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة ثم جعلكم أزواجا يعني أنه زوج منهم الأنثى من الذكر ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله خلقكم من تراب يعني آدم ثم من نطفة يعني ذريته ثم جعلكم أزواجا فزوج بعضكم بعضا وقوله وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه يقول تعالى ذكره وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة الا وهو عالم بحملها اياه ووضعها وما هو ذكر أو أنثى لا يخفى عليه شئ من ذلك وقوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه وما يعمر من معمر فيطول عمره ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمر عمرا طويلا الا في كتاب عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه وقبل أن تضعه قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه لا يزاد فيما كتب له ولا ينقص ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما يعمر من معمر الى يسير يقول ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلا وهو بالغ ما قدرت له من العمر وقد قضيت ذلك له وانما ينتهي الى الكتاب الذي قدرت له لا يزاد عليه وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر ولكن ينتهي الى الكتاب الذي قدرت له لا يزاد عليه فذلك قوله ولا ينقص من عمره الا في كتاب يقول كل ذلك في كتاب عنده حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول من قضيت له أن يعمر حتى يدركه الكبر أو يعمر أنقص من ذلك فكل بالغ أجله الذي قد قضى له كل ذلك في كتاب حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب قال ألا ترى الناس الانسان يعيش مائة سنة وآخر يموت حين يولد فهذا هذا فالهاء التي في قوله ولا ينقص من عمره على هذا التأويل وان كانت في الظاهر أنها كناية عن اسم المعمر الأول فهي كناية اسم آخر غيره وانما حسن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأول وذلك كقولهم عندي ثوب ونصفه والمعنى ونصف الآخر * وقال آخرون بل معنى ذلك وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره بفناء ما فني من أيام حياته فذلك هو نقصان عمره والهاء على هذا التأويل للعمر الأول لأن معنى الكلام ما يطول عمر أحد ولا يذهب من عمره شئ فينقص إلا وهو في كتاب عند الله مكتوب قد أحصاه وعلمه ذكر من قال ذلك حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبي مالك في هذه الآية وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب قال ما يقضي من أيامه التي عددت له الا في كتاب * وأولى التأويلين في ذلك عندي بالصواب التأويل الأول وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه وأشبههما بظاهر التنزيل وقوله إن ذلك على الله يسير يقول تعالى ذكره ان احصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل طويل ذلك وقصيره لا يتعذر عليه شئ منه ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا

في طبقات قوله (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) وذلك أن المشركين كانوا معترفين بأن الأصنام ليسوا خالقين وانما كانوا يقولون انه تعالى فوض أمور الأرضيات الى الكواكب التي هذه الاصنام صورها وطوالعها فأخبر الله تعالى أنهم لا يملكون قطميرا وهو القشرة الرقيقة للنواة فضلا عما فوقها قال جار الله يجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله تعالى صفة لاسم الاشارة أو عطف بيان وربكم خبرا لولا أن المعنى يأباه فقيل لأن ذلك اشارة الى معلوم سبق ذكره وكونه صفة أو عطف بيان يقتضي أن يكون فيما سبق ضرب ابهام قلت وفيه نظر أما أولا فلأن اسم الله من قبيل الأعلام لا من قبيل أسماء الأجناس فكيف يجوز جعله صفة وأما ثانيا فلأنه على تقدير التجويز يكون صفة مدح فلا ينافي كون المشار اليه معلوما والوجه الصحيح في إباء المعنى هو أن الوصف اذا كان معرفة كان أمرا متحققا في الخارج مسلما عند السامع مثلا اذا قلت الرجل الكاتب جاءني تريد الرجل الذي تعرفه أيها السامع أنه كاتب جاءني لكن الخطاب ههنا مع الكفار وهم يجحدون المعبود الحق أو يجحدون أن العبادة لا تصلح الا له فلا يصح ايقاع اسم الله وصفا لذلك والخطاب معهم ثم زاد في توبيخ الكفرة بقوله (ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم) لأنهم جماد

من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره وما يعتدل البحران فيستويان أحدهما عذب فرات والفرات هو أعذب العذب وهذا ملح أجاج يقول والآخر منهما ملح أجاج وذلك هو ماء البحر الأخضر والأجاج المرّ وهو أشدّ المياه ملوحة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهذا ملح أجاج والأجاج المرّ وقوله ومن كل تأكلون لحما طريا يقول ومن كل البحار تأكلون لحما طريا وذلك السمك من عذبهما الفرات وملحهما الأجاج وتستخرجون حلية تلبسونها يعني الدر والمرجان تستخرجونها من الملح الأجاج وقد بينا قبل وجه تستخرجون حلية وإنما يستخرج من الملح فيما مضى بما أغنى عن إعادته وترى الفلك فيه مواخر يقول تعالى ذكره وترى السفن في كل تلك البحار مواخر تمخر الماء بصدورها وذلك خرقها إياه إذا مرت واحدتها ماخرة يقال منه مخرت تمخر وتمخر مخرا وذلك إذا شقت الماء بصدورها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن كل تأكلون لحما طريا أي منهما جميعا وتستخرجون حلية تلبسونها هذا اللؤلؤ وترى الفلك فيه مواخر فيه السفن مقبلة ومدبرة بريح واحدة حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وترى الفلك فيه مواخر يقول جواري وقوله لتبتغوا من فضله يقول لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معايشكم ولتتصرفوا فيها في تجاراتكم وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم ومارزقكم منه من طيبات الرزق وفاخر الحلي ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ يقول تعالى ذكره يدخل الليل في النهار وذلك ما نقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه ويولج النهار في الليل وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد في أجزاء الليل فأدخله فيها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل زيادة هذا في نقصان هذا ونقصان هذا في زيادة هذا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل يقول هو انتقاص أحدهما من الآخر وقوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يقول وأجرى لكم الشمس والقمر نعمة منه عليكم ورحمة منه بكم لتعلموا عدد السنين والحساب وتعرفوا الليل من النهار وقوله كل يجري لأجل مسمى يقول كل ذلك يجري لوقت معلوم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى أجل معلوم وحدّ لا يقصرون دونه ولا يتعدّاه وقوله ذلكم الله ربكم يقول الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لا تصلح العبادة إلا له وهو الله ربكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ذلكم الله ربكم له الملك أي هو الذي يفعل هذا وقوله له الملك يقول تعالى ذكره له الملك التام الذي لا شيء إلا وهو في ملكه وسلطانه وقوله والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير يقول تعالى ذكره والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات الذي له الملك الكامل الذي لا يشبهه ملك صفته ما يملكون من قطمير يقول ما يملكون قشر نواة فما فوقها * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عمن حدثه عن ابن عباس

ولو فرض سماعهم (ما استجابوا لكم) لما مرّ من أنهم لا يملكون شيئا (ويوم القيامة) أيضا (يكفرون بشرككم) قائلين ما كنتم إيانا تعبدون (ولا ينبئك) أي لا يطلعك على حقيقة الحال أيها النبيّ أو أيها السامع (مثل خبير) ببواطن الأمور والمعنى أن هذا الذي أخبرتكم به من حال الأوثان هو الحق لأني خبير بما أخبرت به ولا يخبرك بالأمر مخبر هو مثل عالم به وفيه أنه الخبير بالأمر وحده وفيه أن هذا الخبر مما لا يعرف بمجرد المعقول لولا اخبار الله سبحانه ثم بين أن نفع العبادة انما يعود على المكلفين فقال (يأيها الناس أنتم الفقراء) ومعنى تعريف الخبر القصد الى أنهم جنس الفقراء مبالغة وذلك أن افتقار الانسان الى الله عاجلا لأمور المعاش وآجلا لنعيم الآخرة أبين من افتقار سائر المخلوقين اليه وقيل ان كون الناس فقراء أمر ظاهر لا يخفى على أحد فلهذا عرف كقول القائل الله ربنا ومحمد نبينا ثم بين أن فقرهم ليس الا الى الله فقابل الفقراء بقوله (والله هو الغني) وقابل قوله الى الله بقوله (الحميد) لأنه اذا أنعم عليهم استحق الحمد منهم ثم ذكر أنه غني عن وجودهم أيضا لا يفتقر في ظهور أثر قدرته اليهم فقال (ان يشأ يذهبكم) وقد مرّ في النساء وفي ابراهيم وحين بين الحق بالدلائل الباهرة أراد أن يذكر ما يدعوهم الى النظر فيه فقال (ولا تزر وازرة) يعني أن النفوس الوازرات لا ترى واحدة

في قوله ما يملكون من قطمير قال هو جلد النواة حدثني على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله من قطمير يقول الجلد الذي يكون على ظهر النواة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما يملكون من قطمير يعني قشر النواة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله من قطمير قال لفافة النواة كسحاة البيضة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ما يملكون من قطمير والقطمير القشرة التي على رأس النواة حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن بعض أصحابه في قوله ما يملكون من قطمير قال هو القمع الذي يكون على التمرة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا مرة عن عطية قال القطمير قشر النواة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير﴾ قوله ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم يقول تعالى ذكره ان تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون ولو سمعوا ما استجابوا لكم يقول ولو سمعوا دعاءكم اياهم وفهموا عنكم أنها قول لكم بأن جعل لهم سمع يسمعون به ما استجابوا لكم لأنها ليست ناطقة وليس كل سامع قولا متيسرا له الجواب عنه يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته وهو لا نفع لكم عنده ولا قدرة له على ضركم وتدعون عبادة الذي بيده نفعكم وضركم وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم أي ما قبلوا ذلك عنكم ولا نفعوكم فيه وقوله ويوم القيامة يكفرون بشرككم يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكا في الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويوم القيامة يكفرون بشرككم اياهم ولا يرضون ولا يقرون به وقوله ولا ينبئك مثل خبير يقول تعالى ذكره ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء المشركين وما يكون من أمرها وأمر عبدتها يوم القيامة من تبرئها منهم وكفرها بهم مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شئ كان أو يكون سبحانه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا ينبئك مثل خبير والله هو الخبير انه سيكون هذا منهم يوم القيامة ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد﴾ يقول تعالى ذكره يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر الى ربكم فاياه فاعبدوا وفي رضاه فسارعوا يغنكم من فقركم وتنجح لديه حوائجكم والله هو الغني عن عبادتكم اياه وعن خدمتكم وعن غير ذلك من الأشياء منكم ومن غيركم الحميد يعني المحمود على نعمه فان كل نعمة بكم وبغيركم فمنه فله الحمد والشكر بكل حال ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شئ ولو كان ذا قربى انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلوة ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه والى الله المصير﴾ يقول تعالى ذكره ان يشأ يهلككم أيها الناس ربكم لأنه أنشأكم من غير

منهن الا حاملة وزرها لا وزر غيرها ولا ينافي هذا قوله وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم لان وزر الاضلال هو وزر النفس الوازرة أيضا وفيه أن كل نفس وازرة مهمومة بهم وزرها متحيرة في أمرها ثم زاد في التهويل بقوله (وان تدع مثقلة) أي نفس ذات حمل (لا يحمل منه شئ) فان عدم قضاء الحاجة بعد السؤال أفظع ثم زاد التأكيد بقوله (ولو كان) أي المدعو (ذا قربى) فان عدم القضاء بعد السؤال من القريب من أب وولد أدل على شدة الأمر فيعلم منه أن لا غياث يومئذ أصلا ثم بين أن هذه الانذارات انما تفيد أهل الخشية والطاعة حال كونهم غائبين عن العذاب أو حال كون العذاب غائبا عنهم ثم لما بين أن الوزر لا يتعدى الى الغير بين أن التطهر عن الذنوب لا يفيد الا نفس المتزكي (والى الله المصير) لكل فيجزيهم على حسب ذلك ثم ضرب للكافر والمؤمن مثلا فقال (وما يستوى الأعمى والبصير) وقيل انه مثل للصنم وللمعبود الحق ثم ذكر للكفر والايمان مثلا قائلا (ولا الظلمات ولا النور) واذا كان الايمان نورا والمؤمن بصيرا فلا يخفى عليه النور واذا كان الكفر ظلمة والكافر أعمى فله صادّ فوق صادّ ثم بين لمآلهما ومرجعهما مثلا وهو الظل والحرور قال أهل اللغة السموم يكون بالنهار والحرور أعم وقال بعضهم الحرور يكون بالليل فالمؤمن بإيمانه كمن هو

ماحاجة به اليكم ويأت بخلق جديد يقول ويأت بخلق سواكم يطيعونه ويأتمرون لأمره وينتهون عما نهاهم عنه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد أى ويأت بغيركم وقوله وماذلك على الله بعزيز يقول وما إذهابكم والاتيان بخلق سواكم على الله بشديد بل ذلك عليه يسير سهل يقول فاتقوا الله أيها الناس وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك وقوله ولاتزر وازرة وزر أخرى يقول تعالى ذكره ولاتحمل آثمة إثم أخرى غيرها وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ ولو كان ذاقربى يقول تعالى وان تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيأ منها ولو كان الذى سألته ذاقرابة من أب أوأخ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولاتزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ ولو كان ذاقربى يقول يكون عليه وزر لايجد أحدا يحمل عنه من وزره شيأ حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان تدع مثقلة الى حملها لايحمل منه شئ كنحو لاتزر وازرة وزر أخرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان تدع مثقلة الى حملها الى ذنوبها لايحمل منه شئ ولو كان ذاقربى أى قريب القرابة منها لايحمل من ذنوبها شيأ ولاتحمل على غيرها من ذنوبها شيأ ولاتزر وازرة وزر أخرى ونصب ذاقربى على تمام كان لأن معنى الكلام ولو كان الذى تسأله أن يحمل عنها ذنوبها ذاقربى لها وأنثت مثقلة لأنه ذهب بالكلام الى النفس كأنه قيل وان تدع نفس مثقلة من الذنوب الى حمل ذنوبها وانما قيل كذلك لأن النفس تؤدى عن الذكر والأنثى كما قيل كل نفس ذائقة الموت يعنى بذلك كل ذكر وأنثى وقوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله فهؤلاء الذين ينفعهم انذارك ويتعظون بمواعظك لا الذين طبع الله على قلوبهم فهم لايفقهون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب أى يخشون النار وقوله وأقاموا الصلاة يقول وأدوا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم وقوله ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه يقول تعالى ذكره ومن يتطهر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة الى الله والايمان به والعمل بطاعته فانما يتطهر لنفسه وذلك أنه يثيبها به رضا الله والفوز بجنانه والنجاة من عقابه الذى أعده لأهل الكفر به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن تزكى فانما يتزكى لنفسه أى من يعمل صالحا فانما يعمله لنفسه وقوله والى الله المصير يقول والى الله مصير كل عامل منكم أيها الناس مؤمنكم وكافركم وبركم وفاجركم وهو مجازجميعكم بما قدم من خير أوشر على ما أهل منه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور ان أنت الا نذير﴾ يقول تعالى ذكره وما يستوى الأعمى عن دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والبصير الذى قد أبصر فيه رشده فاتبع محمدا وصدقه وقبل عن الله ما ابتعثه به ولا الظلمات يقول وما تستوى ظلمات الكفر ونور الايمان ولا الظل قيل ولا الجنة

فى ظل وراحة والكافر فى كفره كمن هو فى حر وتعب * وههنا مسائل الأولى ضرب أولا مثلا للكافر والمؤمن ثم أعاد مثلهما بقوله (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) وهذا أبلغ لأن الأعمى والبصير قد يشتركان فى ادراك أشياء ولا كذلك الحى والميت ولمكان هذه المبالغة أعاد الفعل * الثانية كرر لا النافية فى الأمثال الأخيرة دون الأول لأن المنافاة بين العمى والبصر ليست ذاتية كما فى سائرهما وقد يكون شخص واحد بصيرا باحدى العينين أعمى بالأخرى * الثالثة قدم الأشرف فى مثلين وهو الظل والحر وأخره فى الآخرين فهم أهل الظاهر أن ذلك لرعاية الفواصل والمحققون قالوا انهم كانوا قبل البعث فى ظلمة الضلال فصاروا الى نور الايمان فى زمان محمد صلى الله عليه وسلم فلهذا الترتيب قدم مثل الكافر وكفره على مثل المؤمن وايمانه ولما ذكر المآل والمرجع قدم ما يتعلق بالرحمة على ما يتعلق بالغضب لأن رحمته سبقت غضبه ثم ان الكافر المصر بعد البعثة صار أضل من الأعمى وشابه الأموات فى عدم ادراك الحق فقال وما يستوى الأحياء أى المؤمن الذى آمن بما أنزل الله والأموات الذين تليت عليهم الآيات ولم تنجع فيهم البينات فأخرهم عن المؤمنين لوجود حياتهم قبل ممات الكافرين المعاندين * الرابعة انما وحد الأعمى والبصير لأن المراد أن أحد الجنسين

ولا الحرور قيل النار كأن معناه عندهم وما تستوى الجنة والنار والحرور بمنزلة السموم وهى الرياح الحارة وذكر أبو عبيدة معمر بن المثنى عن رؤبة بن العجاج أنه كان يقول الحرور بالليل والسموم بالنهار وأما أبو عبيدة فانه قال الحرور فى هذا الموضع بالنهار مع الشمس وأما الفراء فانه كان يقول الحرور يكون بالليل والنهار والسموم لا يكون بالليل انما يكون بالنهار والقول فى ذلك عندى أن الحرور يكون بالليل والنهار غير أنه فى هذا الموضع بأن يكون كما قال أبو عبيدة أشبه مع الشمس لأن الظل انما يكون فى يوم شمس فذلك يدل على أنه أريد بالحرور الذى يوجد فى حال وجود الظل وقوله وما يستوى الأحياء ولا الأموات يقول وما يستوى الأحياء القلوب بالايمان بالله ورسوله ومعرفة تنزيل الله والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه ولا تعرف الهدى من الضلال وكل هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والايمان والكافر والكفر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وما يستوى الأعمى والبصير الآية قال هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية يقول وما يستوى الأعمى والظلمات والحرور ولا الأموات فهو مثل أهل المعصية ولا يستوى البصير ولا النور ولا الظل والأحياء فهو مثل أهل الطاعة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما يستوى الأعمى الآية خلقا فضل بعضه على بعض فأما المؤمن فعبد حى الأثر حى البصر حى النية حى العمل وأما الكافر فعبد ميت ميت البصر ميت القلب ميت العمل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الأحياء ولا الأموات قال هذا مثل ضربه الله فالمؤمن بصير فى دين الله والكافر أعمى كما لا يستوى الظل ولا الحرور ولا الأحياء ولا الأموات فكذلك لا يستوى هذا المؤمن الذى يبصر دينه ولا هذا الأعمى وقرأ أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس قال الهدى الذى هداه الله به ونوره له هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذى يبصر دينه وهذا الكافر الأعمى فجعل المؤمن حيا وجعل الكافر ميتا ميت القلب أو من كان ميتا فأحييناه قال هديناه الى الاسلام كمن مثله فى الظلمات أعمى القلب وهو فى الظلمات أهذا وهذا سواء * واختلف أهل العربية فى وجه دخول لا مع حرف العطف فى قوله ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور فقال بعض نحويى البصرة قال ولا الظل ولا الحرور فيشبه أن تكون لا زائدة لأنك لو قلت لا يستوى عمرو ولا زيد فى هذا المعنى لم يجز إلا أن تكون لا زائدة وكان غيره يقول اذا لم تدخل لا مع الواو فانما لم تدخل اكتفاء بدخولها فى أول الكلام فاذا أدخلت فانه يراد بالكلام أن كل واحد منهما لا يساوى صاحبه فكان معنى الكلام اذا أعيدت لا مع الواو عند صاحب هذا القول لا يساوى الأعمى البصير ولا يساوى البصير الأعمى فكل واحد منهما لا يساوى صاحبه وقوله ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور يقول تعالى ذكره كما لا يقدر أن يسمع من فى القبور كتاب الله فيهديهم به الى سبيل الرشاد فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله وبيان حججه من كان ميت القلب من أحياء عباده عن معرفة الله وفهم كتابه وتنزيله وواضح حججه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع وقوله ان أنت الا نذير يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

لا يساوى جنس الآخر من جهة العمى والبصر ولعل فردا من أحدهما قد يساوى الفرد الآخر من جهة أخرى وكذا الكلام فى إفراد الظل والحرور وانما جمع الظلمات ووحد النور لما مر فى أول الأنعام من تحقيق أن الحق واحد وانشبهات كثيرة وانما جمع الأحياء والاموات لان المراد أن أحد الصنفين لا يساوى الآخر سواء قابلت الجنس بالجنس أو قابلت الفرد بالفرد * الخامسة لا يخفى أن هذه الواوات بعضها ضمت شفعا الى شفع وبعضها ضمت وترا الى وتر ثم سلى رسوله بقوله (ان الله يسمع) الآية فقد مر نظيره فى قوله انك لا تسمع الموتى وانما اقتصر على قوله (ان أنت الا نذير) وكذا فى قوله (الا خلا فيها نذير) لأن الكلام فى معرض التهديد مع أن ذكر البشير يدل عليه بل ذكر النذير يدل على مقابله والمراد بالنذارة آثارها الثبوت زمان الفترة ثم زاد فى التسلية بقوله (وان يكذبوك) وقد مر مثله فى آخر آل عمران وانما حذف الفاعل هناك لبناء الكلام هنالك على الاقتصار لدليله أنه قال وان يكذبوك فقد كذب فاقتصر على لفظ المضى ولم يسم الفاعل ويحتمل أن يكون لفظ الماضى اشارة الى وقوع التكذيب منهم فان تلك السورة مدنية والله أعلم

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود

ما أنت إلا نذير تنذر هؤلاء المشركين بالله الذين طبع الله على قلوبهم ولم يرسلك ربك اليهم الا لتبلغهم رسالته ولم يكلفك من الامر ما لا سبيل لك اليه فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به فان ذلك بيد الله لا بيدك ولا بيد غيرك من الناس فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ان هم لم يستجيبوا لك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وان من أمة إلا خلا فيها نذير وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر وبالكتاب المنير ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير﴾ يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم إنا أرسلناك يا محمد بالحق وهو الايمان بالله وشرائع الدين التى افترضها على عباده بشيرا يقول مبشرا بالجنة من صدقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة ونذيرا تنذر الناس من كذبك ورد عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة وان من أمة إلا خلا فيها نذير يقول وما من أمة من الأمم الدائنة بملة إلا خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان من أمة إلا خلا فيها نذير كل أمة كان لها رسول وقوله وان يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم يقول تعالى ذكره مسليا نبيه صلى الله عليه وسلم فيما يلقى من مشركى قومه من التكذيب وان يكذبك يا محمد مشركو قومك فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم الذين جاءتهم رسلهم بالبينات يقول بحجج من الله واضحة وبالزبر يقول وجاءتهم بالكتب من عند الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بالبينات والزبر أى الكتب وقوله وبالكتاب المنير يقول وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمله وتدبره أنه الحق كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وبالكتاب المنير يضعف الشئ وهو واحد وقوله ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان نكير يقول تعالى ذكره ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا وحقيقة ما دعوهم اليه من آياتنا وأصروا على جحودهم فكيف كان نكير يقول فانظر يا محمد كيف كان تغييرى بهم وحلول عقوبتى بهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثا فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها يقول فسقيناه أشجارا فى الأرض فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفا ألوانها منها الأحمر ومنها الأسود والأصفر وغير ذلك من ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر يقول تعالى ذكره ومن الجبال طرائق وهى الجدد وهى الخطط تكون فى الجبال بيض وحمر وسود كالطرق واحدتها جدة ومنه قول امرئ القيس فى صفة حمار

كأن سراته وجدة متنه * كتائن يجرى فوقهن دليص

يعنى بالجدة الخطة السوداء تكون فى متن الحمار وقوله مختلف ألوانها يعنى مختلف ألوان الجدد وغرابيب سود وذلك من المقدم الذى هو بمعنى التأخير وذلك أن العرب تقول هو أسود غربيب اذا وصفوه بشدة السواد وجعل السواد ههنا صفة للغرابيب وقوله ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحمرة والبياض والسواد والصفرة وغير ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها أحمر وأخضر وأصفر ومن الجبال جدد بيض أى طرائق بيض وحمر مختلف

ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء ان الله عزيز غفور ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والأرض انه عليم بذات الصدور هو الذى جعلكم خلائف فى الأرض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني

ألوانها أى جبال حمر وبيض وغرابيب سود هو الأسود يعنى لونه كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ومن الجبال جدد بيض طرائق بيض وحمر وسود وكذلك الناس مختلف ألوانهم حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان عن جويبر عن الضحاك قوله ومن الجبال جدد بيض قال هى طرائق حمر وسود وقوله انما يخشى الله من عباده العلماء يقول تعالى ذكره انما يخاف الله فيتقى عقابه بطاعته العلماء بقدرته على ما يشاء من شئ وأنه يفعل ما يريد لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انما يخشى الله من عباده العلماء قال الذين يعلمون أن الله على كل شئ قدير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انما يخشى الله من عباده العلماء قال كان يقال كفى بالرهبة علما وقوله ان الله عزيز غفور يقول تعالى ذكره ان الله عزيز فى انتقامه ممن كفر به غفور لذنوب من آمن به وأطاعه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يقرؤن كتاب الله الذى أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم وأقاموا الصلاة يقول وأدوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها وقال وأقاموا الصلاة بمعنى ويقيموا الصلاة وقوله وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يقول وتصدقوا بما أعطيناهم من الأموال سرا فى خفاء وعلانية جهارا وانما معنى ذلك أنهم يؤدون زكاة ذلك المفروضة ويتطوعون أيضا بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه وقوله يرجون تجارة لن تبور يقول تعالى ذكره يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور لن تكسد ولن تهلك من قولهم بارت السوق اذا كسدت وبار الطعام وقوله تجارة جواب لأول الكلام وقوله ليوفيهم أجورهم يقول يوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ويزيدهم من فضله يقول وكى يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل وكان مطرف بن عبد الله يقول هذه آية القراء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عمرو بن عاصم قال ثنا معتمر عن أبيه عن قتادة قال كان مطرف اذا مر بهذه الآية ان الذين يتلون كتاب الله يقول هذه آية القراء حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن يزيد عن مطرف بن عبد الله أنه قال فى هذه الآية ان الذين يتلون كتاب الله الى آخر الآية قال هذه آية القراء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان مطرف بن عبد الله يقول هذه آية القراء ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله وقوله انه غفور شكور يقول ان الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم شكور لحسناتهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انه غفور شكور انه غفور لذنوبهم شكور لحسناتهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ان الله بعباده لخبير بصير ﴾ يقول تعالى ذكره والذى أوحينا اليك من الكتاب يا محمد وهو هذا القرآن الذى أنزله الله عليه هو الحق يقول هو الحق عليك وعلى أمتك أن تعمل به وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التى أوحيت الى غيرك مصدقا لما بين يديه يقول هو يصدق ما مضى بين يديه فصار أمامه من الكتب التى أنزلتها الى من قبلك من الرسل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم الا نفورا استكبارا فى الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله فهل ينظرون الا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا أولم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الأرض انه كان عليما قديرا ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا ﴾ ﴿ القرا آت يدخلونها مجهولا أبو عمرو ويجزى مجهولا غائبا كل بالرفع أبو عمرو الباقون بالنون مبينا للفاعل كل بالنصب ومكر السيئ بهمزة ساكنة حمزة استثقالا للحركات وحمله النحويون على الاختلاس واذا وقف يبدل من الهمزة ياء ساكنة ﴿ الوقوف ماء ج للعدول ألوانها الأولى ج سود ه كذلك ط العلماء ط غفور ه لن تبور ه فضله ط شكور ه يديه ط بصير ه عبادنا ج

عن قتادة قوله والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه للكتب التى خلت قبله وقوله ان الله بعباده لخبير بصير يقول تعالى ذكره ان الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى الكتاب الذى ذكر الله فى هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده ومن المصطفون من عباده والظالم لنفسه فقال بعضهم الكتاب هو الكتب التى أنزلها الله من قبل الفرقان والمصطفون من عباده أمة محمد صلى الله عليه وسلم والظالم لنفسه أهل الاجرام منهم ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ثم أورثنا الكتاب الى قوله الفضل الكبير هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ورثهم الله كل كتاب أنزله فظالمهم يغفر له ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن عبد الله بن عيسى عن يزيد بن الحرث عن شقيق عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود أنه قال هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يحاسبون حسابا يسيرا وثلث يجيئون بذنوب عظام حتى يقول ما هؤلاء وهو أعلم تبارك وتعالى فتقول الملائكة هؤلاء جاؤا بذنوب عظام الا أنهم لم يشركوا بك فيقول الرب أدخلوا هؤلاء فى سعة رحمتى وتلا عبد الله هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا عون قال ثنا عبد الله بن الحرث بن نوفل قال ثنا كعب الأحبار أن الظالم لنفسه من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم فى الجنة ألم تر أن الله قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله كل كفور حدثنى على بن سعيد الكندى قال ثنا عبد الله بن المبارك عن عوف عن عبد الله بن الحرث بن نوفل قال سمعت كعبا يقول فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال كلهم فى الجنة وتلا هذه الآية جنات عدن يدخلونها حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية الفزارى عن عوف بن أبى جبلة قال ثنا عبد الله بن الحرث بن نوفل قال ثنا كعب أن الظالم من هذه الأمة والمقتصد والسابق بالخيرات كلهم فى الجنة ألم تر أن الله قال ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله لغوب والذين كفروا لهم نار جهنم قال قال كعب فهؤلاء أهل النار حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن عوف قال سمعت عبد الله بن الحرث يقول قال كعب ان الظالم لنفسه والمقتصد والسابق بالخيرات من هذه الأمة كلهم فى الجنة ألم تر أن الله يقول ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا حتى بلغ قوله جنات عدن يدخلونها حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا حميد عن اسحق بن عبد الله بن الحرث عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى قوله باذن الله فقال تماست منا كبهم ورب الكعبة ثم أعطوا الفضل بأعمالهم حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا عمرو بن قيس عن أبى اسحق السبيعى فى هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا قال قال أبو اسحق أما ما سمعت منذ ستين سنة فكلهم ناج * قال ثنا عمرو عن محمد بن الحنفية قال انها أمة مرحومة الظالم مغفور له والمقتصد فى الجنات عند الله والسابق بالخيرات فى الدرجات عند الله * وقال آخرون الكتاب الذى أورث هؤلاء القوم هو

لنفسه ج مقتصد ج تفصيلا بين الجمل مع النسق باذن الله ط الكبير ه ط لأن ما بعده مبتدأ لا بدل ولؤلؤا ج لاختلاف الجملتين حرير ه الحزن ط شكور ه فضله ج لاحتمال الاستئناف والحال لغوب ه جهنم ج لمثل ما قلنا عذابها ط كفور ه ج لاحتمال الواو والحال فيها ج للقول المحذوف كالعمل ط النذير ه نصير ه والأرض ط الصدور ه فى الأرض ط كفره ط مقتا ج وان اتفقت الجملتان ولكن لتكرار الفعل وتصريح الفاعل والمفعول فى الثانية خسارا ه دون الله ط السموات ج لاحتمال أن أم منقطعة منه ج غرورا ه تزولا ج لابتداء ما فى معنى القسم مع الواو من بعده ط غفورا ه الأمم ج نفورا ه لا ومكر السيئ ط بأهله ط الأولين ج لانتهاء الاستفهام مع اتصال الفاء تبديلا ه ج تحويلا ه قوة ط فى الأرض ط قديرا ه مسمى ج بصيرا ه ﴿ التفسير لما بين دلائل الوحدانية بطريق الاخبار ذكر دليلا آخر بطريق الاستخبار لأن الشئ اذا كان خفيا ولا يراه من يحضرتك كان معذورا أما اذا كان بارزا مكشوفا فانك تقول أما تراه والمخاطب إما كل أحد أو النبى صلى الله عليه وسلم لأن السيد اذا نصح بعض العباد ولم ينفعهم الارشاد قال لغيره اسمع ولا تكن مثل هذا ويكرر معه ما ذكره مع الأول والالتفات

شهادة أن لا اله الا الله والمصطفون هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم والظالم لنفسه منهم هو المنافق وهو في النار والمقتصد والسابق بالخيرات في الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو عمار الحسين ابن حريث المروزي قال ثنا الفضل بن موسى عن حسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة عن عبد الله فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال اثنان في الجنة وواحد في النار حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الى آخر الآية قال جعل أهل الايمان على ثلاثة منازل كقوله أصحاب الشمال ما أصحاب الشمال وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين والسابقون السابقون أولئك المقربون فهم على هذا المثال حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد الآية قال الاثنان في الجنة وواحد في النار وهي بمنزلة التي في الواقعة وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال والسابقون السابقون حدثنا سهل بن موسى قال ثنا عبد المجيد عن ابن جريج عن مجاهد في قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال هم أصحاب المشأمة ومنهم مقتصد قال هم أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات قال هم السابقون من الناس كلهم حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية قال قال عوف قال الحسن أما الظالم لنفسه فانه هو المنافق سقط هذا وأما المقتصد والسابق بالخيرات فهما صاحبا الجنة حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن عوف قال قال الحسن الظالم لنفسه المنافق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا شهادة أن لا اله الا الله فمنهم ظالم لنفسه هذا المنافق في قول قتادة والحسن ومنهم مقتصد قال هذا صاحب اليمين ومنهم سابق بالخيرات قال هذا المقرب قال قتادة كان الناس ثلاث منازل في الدنيا وثلاث منازل عند الموت وثلاث منازل في الآخرة أما الدنيا فكانوا (١) مؤمن ومنافق ومشرك وأما عند الموت فان الله قال فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم وأما في الآخرة فكانوا أزواجا ثلاثة وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال هم أصحاب المشأمة ومنهم مقتصد قال أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات قال فهم السابقون من الناس كلهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه قال سقط هذا ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال سبق هذا بالخيرات وهذا مقتصد على أثره * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال عنى بقوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الكتب التي أنزلت من قبل الفرقان فان قال قائل وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه وأمة محمد صلى الله عليه وسلم لا يتلون غير كتابهم ولا يعملون الا بما فيه من الأحكام والشرائع قيل ان معنى ذلك على غير الذي ذهبت اليه وانما معناه ثم أورثنا الايمان بالكتاب الذين اصطفينا فمنهم مؤمنون

في (فأخرجنا) لان نزول الماء يمكن أن يقال انه بالطبع ولكن الاخراج لا يمكن الا بارادة الله وأيضا الاخراج أتم نعمة من الانزال لأن انزال المطر لفائدة الاخراج واختلاف ألوان الثمرات اختلاف أصنافها أو هيآتها والجدد الخطط والطرائق فعلة بمعنى مفعولة والجد القطع قال جار الله لا بد من تقدير مضاف أي ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر مختلف ألوانها في البياض والحمرة لأن الأبيض قد يكون على لون الجص وقد يكون أدنى من ذلك وكذلك الحمرة والغرابيب تأكيد للسود الا أنه أضمر المؤكد أولا ثم أظهر ثانيا على طريقة قوله * والمؤمن العائذات الطير * وانما لم يتصور اختلاف الألوان ههنا لأن السواد اذا كان في الغاية لم يكن بعدها لون يقال أسود غربيب للذي أبعد في السواد وأغرب فيه ومنه الغراب ويمكن أن يقال ان المختلف صفة الحمر فقط وحين فرغ من دلائل النبات وما يشبهه المعادن شرع في الاستدلال بالحيوان وقدم الانسان لشرفه ثم ذكر الدواب على العموم ثم خصص الأنعام أو أراد بالدابة الفرس لجعله لشرفه رديف الانسان وقوله (مختلف) أي بعض مختلف (ألوانه) وذكر الضمير تغليبا للانسان أو نظرا الى البعض وقوله (كذلك) أي كاختلاف الجبال والثمرات وفيه أن هذه الأجناس كما أنها في أنفسها دلائل

(١) كذا في الدر أيضا مؤمن الخ بالرفع والخطب سهل كتبه مصححه

بكل كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان فانه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله وباتباع من جاء به وذلك عمل من اقر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وعمل بما دعاه اليه بما في القرآن وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله وانما قيل عنى بقوله ثم أورثنا الكتاب الكتب التي ذكرنا لأن الله جل ثناؤه قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ثم أتبع ذلك قوله ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا فكان معلوما اذ كان معنى الميراث انما هو انتقال معنى من قوم الى آخرين ولم تكن أمة على عهد نبينا صلى الله عليه وسلم انتقل اليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته أن ذلك معناه واذ كان ذلك كذلك فبين أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته وأما الظالم لنفسه فانه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك عندي أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله جنات عدن يدخلونها فعم بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة فان قال قائل فان قوله يدخلونها انما عنى به المقتصد والسابق قيل له وما برهانك على أن ذلك كذلك من خبر أو عقل فان قال فيام الحجة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار ولولم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد وجب أن لا يكون لأهل الايمان وعيد قيل انه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون النار وانما فيها إخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عدن وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله اياه على ذنوبه التي أصابها في الدنيا وظلمه نفسه فيها بالنار أو بما شاء من عقابه ثم يدخله الجنة فيكون ممن عمه خبر الله جل ثناؤه بقوله جنات عدن يدخلونها وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو الذي قلنا في ذلك أخبار وان كان في أسانيدها نظر مع دليل الكتاب على صحته على النحو الذي بينت ذكر الرواية الواردة بذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد الزبيري قال ثنا سفيان عن الأعمش قال ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد فجلس الى جنب أبي الدرداء فقال اللهم آنس وحشتي وارحم غربتي ويسر لي جليسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لأنا أسعد به منك سأحدثك حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أحدث به منذ سمعته ذكر هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن فذلك قوله الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن الوليد بن المغيرة أنه سمع رجلا من ثقيف حدث عن رجل من كنانة عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة وعنى بقوله الذين اصطفينا من عبادنا الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبيناهم وقوله فمنهم ظالم لنفسه يقول فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا من يظلم نفسه بركوبه المآثم واجترامه المعاصي واقترافه الفواحش ومنهم مقتصد وهو غير المبالغ في طاعة ربه وغير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه حتى يكون عمله في ذلك قصدا ومنهم سابق بالخيرات وهو المبرز الذي قد تقدم المجتهدين في خدمة ربه وأداء ما لزمه من فرائضه فسبقهم بصالح الأعمال وهي الخيرات التي قال الله جل ثناؤه باذن الله يقول بتوفيق الله اياه لذلك وقوله ذلك هو الفضل الكبير يقول

فهي باختلافها أيضا دلائل وحين خاطب نبيه بقوله ألم تر بمعنى ألم تعلم أتبعه قوله (انما يخشى الله من عباده العلماء) كأنه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن نظر في دلائله فعرفه حق معرفته أو أراد أن يعرفه كنه معرفته لأن الخشية على حسب العلم بنعوت كماله وصفات جلاله وفي الحديث أعلمكم بالله أشدكم خشية له وفائدة تقديم المفعول أن يعلم أن الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم ولو أخر المفعول كان معنى صحيحا وهو أنهم لا يخشون أحدا الا الله الا أن ذلك غير مراد ههنا وعن عمر بن عبد العزيز ويحكى عن أبي حنيفة أنهما قرآ برفع الله ونصب العلماء فتكون الخشية مستعارة للتعظيم أي لا يعظم الله ولا يجل من الرجال الا العلماء به ثم بين السبب الباعث على الخشية بقوله (ان الله عزيز غفور) فالعزة توجب الخوف من أليم عقابه والمغفرة توجب الطمع في نعيمه وثوابه وفيه أن خوف المؤمن ينبغي أن يكون مخلوطا برجائه ثم مدح العاملين العاملين بقوله (ان الذين يتلون) الآية قال أهل التحقيق قوله انما يخشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله ان الذين يتلون أي يداومون على التلاوة اشارة الى عمل اللسان وقوله (وأقاموا الصلاة) اشارة الى عمل الجوارح والكل أقسام التعظيم لأمر الله ثم أشار الى الشفقة على خلق الله بقوله

تعالى ذكره سبوق هذا السابق من سبقه بالخيرات باذن الله هو الفضل الكبير الذى فضل به من كان مقصرا عن منزلته فى طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ جنات يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور ﴾ يقول تعالى ذكره بساتين اقامة يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة يحلون فيها من أساور من ذهب يلبسون فى جنات عدن أسورة من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير يقول ولباسهم فى الجنة حرير وقوله وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن اختلف أهل التأويل فى الحزن الذى حمد الله على اذهابه عنهم هؤلاء القوم فقال بعضهم ذلك الحزن الذى كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار اذ كانوا خائفين ان يدخلوها ذكر من قال ذلك حدثنى قتادة بن سعيد بن قتادة السدوسى قال ثنا معاذ بن هشام صاحب الدستوائى قال ثنا أبى عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس فى قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال حزن النار حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن يحيى بن المختار عن الحسن واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال ان المؤمنين قوم ذلل ذلت والله الأسماع والأبصار والجوارح حتى يحسبهم الجاهل مرضى وما بالقوم مرض وانهم لأصحة القلوب ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة فقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن والحزن والله ما حزنهم حزن الدنيا ولا تعاظم فى أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار وانه من لا يتعز بعزاء الله يقطع نفسه على الدنيا حسرات ومن لم يرض الله عليه نعمة الا فى مطعم أو مشرب فقد قل علمه وحضر عذابه * وقال آخرون عنى به الموت ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن أبيه عن عطية فى قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال الموت * وقال آخرون عنى به حزن الخبز ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص يعنى ابن حميد عن شمر قال لما أدخل الله أهل الجنة الجنة قالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال حزن الخبز * وقال آخرون عنى بذلك الحزن من التعب الذى كانوا فيه فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن قال كانوا فى الدنيا يعملون وينصبون وهم فى خوف أو يحزنون * وقال آخرون بل عنى بذلك الحزن الذى ينال الظالم لنفسه فى موقف القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الأعمش قال ذكر أبو ثابت أن أبا الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أما الظالم لنفسه فيصيبه فى ذلك المكان من الغم والحزن فذلك قوله الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن وخوف دخول النار من الحزن والجزع من الموت من الحزن والجزع من الحاجة الى المطعم من الحزن ولم يخصص الله اذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على اذهابه الحزن عنهم نوعا دون نوع بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنواع الحزن بقولهم ذلك وكذلك ذلك لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك فحمدهم على اذهابه عنهم جميع معانى الحزن وقوله ان ربنا لغفور شكور يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة ان ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم فساترها عليهم بعفوه لهم عنها شكور لهم على طاعتهم

(وأنفقوا مما رزقناهم) وقوله (يرجون) وهو خبر إن اشارة الى الاخلاص فى العقائد والأعمال أى ينفقون من الأموال لا ليقال انه كريم أو لغرض آخر بل لتجارة لا كساد فيها ولا بوار وهى طلب مرضاة الله وقوله (ليوفيهم) متعلق بلن تبور أى تنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده أجورهم وجوز جار الله أن يجعل يرجون فى موضع الحال واللام متعلق بالافعال المتقدمة أى فعلوا جميع ما ذكر من التلاوة والاقامة والانفاق لغرض التوفية وخبر إن قوله (انه غفور) لهم (شكور) لأعمالهم وحين ذكر دلائل الوحدانية أتبعه بيان الرسالة وذكر حقيقة الكتاب المتلو الكتاب للجنس فمن للتبعيض أو هو القرآن ومن للتبيين أو هو اللوح المحفوظ ومن للابتداء وقدم فى البقرة أن قوله مصدقا حال مؤكدة وفى قوله (ان الله بعباده لخبير بصير) تقرير لكونه حقا لأن الذى يكون عالما بالبواطن والظواهر لم يمكن أن يكون فى كلامه شوب باطل وفيه لم يخترعه الرسالة جزافا وعلى سبيل الاتفاق ولكنه أعلم حيث يجعل رسالته قوله (ثم أورثنا الكتاب) زعم جمع من المفسرين أن الكتاب للجنس بدليل قوله فيما قبل جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر والايراث الاعطاء والمصطفون من عبيده هم الأنبياء كأنه قال علمنا البواطن وأبصرنا الظواهر فاصطفينا عبادا ثم أورثناهم الكتاب وعلى هذا

فالمراد بالظلم على النفس وضع الشئ فى غير موضعه وان كان بترك الاولى ومنه قول أبينا آدم ربنا ظلمنا أنفسنا وقول يونس انى كنت من الظالمين واذا كان الظلم بهذا المعنى جائزا عليهم فالاقتصاد أولى ويجوز أن يعود الضمير فى قوله فمنهم الى الأمة كأنه قيل ان الذى أوحينا اليك هو الحق وأنت المصطفى كما اصطفينا رسلنا وآتيناهم كتبا فمن قومك ظالم كفر بك وبما أنزل اليك ومقتصد آمن به ولم يأت بجميع ما أمر به وسابق آمن وعمل صالحا وقال أكثرهم انه القرآن والايراث الحكم بالتوريث أو هو على عادة اخبار الله فى التعبير عن المستقبل بالماضى لتحققه أى نريد أن نورثه والمصطفون هم الصحابة والتابعون ومن بعدهم الى يوم القيامة كقوله كنتم خير أمة وكذلك جعلناكم أمة وسطا وعلى هذا ففى تفسير المراتب الثلاثة أقوال أحدها الظالم الراجح السيئات والمقتصد المتساوى الحسنات والسيئات والسابق راجح الحسنات ثانيها الظالم من ظاهره خير من باطنه والمقتصد المتساوى والسابق من باطنه خير ثالثها الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد صاحب الصغيرة والسابق المعصوم رابعها عن على رضى الله عنه الظالم أنا والمقتصد أنا والسابق أنا فقيل له وكيف ذاك قال أنا ظالم بمعصيتى ومقتصد بتوبتى وسابق بمحبتى خامسها الظالم التالى للقرآن غير العالم به ولا العامل بموجبه والمقتصد

اياه وصالح ما قدموا فى الدنيا من الأعمال وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان ربنا لغفور شكور لحسناتهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر إن ربنا لغفور شكور غفر لهم ما كان من ذنب وشكر لهم ما كان منهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الذين أدخلوا الجنة ان ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة أى ربنا الذى أنزلنا هذه الدار يعنون الجنة فدار المقامة دار الاقامة التى لا انتقلة معها عنها ولا تحول والميم اذا ضمت من المقامة فهى من الاقامة فاذا فتحت فهى من المجلس والمكان الذى يقام فيه قال الشاعر

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الأعداء تأويب

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الذى أحلنا دار المقامة من فضله أقاموا فلا يتحولون وقوله لا يمسنا فيها نصب يقول لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع ولا يمسنا فيها لغوب يعنى باللغوب العناء والاعياء

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبيد قال ثنا موسى بن عمير عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب قال اللغوب العناء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يمسنا فيها نصب أى وجع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها كذلك نجزى كل كفور وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير﴾ يقول تعالى ذكره والذين كفروا بالله ورسوله لهم نار جهنم يقول لهم نار جهنم مخلدين فيها لا حظ لهم فى الجنة ولا نعيمها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لهم نار جهنم لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا لأنهم لو ماتوا لاستراحوا ولا يخفف عنهم من عذابها يقول ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتتهم فيخفف ذلك عنهم كما حدثنى مطرف بن عبد الله الضبى قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا أبو هلال الراسبى عن قتادة عن أبى السوداء قال مساكين أهل النار لا يموتون لو ماتوا لاستراحوا حدثنى عقبة بن سنان القزاز قال ثنا غسان بن مضر قال ثنا سعيد ابن يزيد وحدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد بن يزيد وحدثنا سوار بن عبد الله قال ثنا بشر بن المفضل ثنا أبو سلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون لكن ناسا أو كما قال تصيبهم النار بذنوبهم أو قال بخطاياهم فيميتهم اماتة حتى اذا صاروا حمما أذن فى الشفاعة فجئ بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أهل الجنة فقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون كما تنبت الحبة فى حميل السيل فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان بالبادية فان قال قائل وكيف قيل ولا يخفف عنهم من عذابها وقد قيل فى موضع آخر كلما خبت زدناهم سعيرا قيل معنى ذلك ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب وقوله كذلك نجزى كل كفور يقول تعالى ذكره هكذا يكافئ كل جحود لنعم ربه يوم القيامة بأن يدخلهم نار جهنم بنسيانهم التى قدموها فى الدنيا وقوله وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل يقول تعالى ذكره هؤلاء الكفار يستغيثون ويضجون فى النار يقولون يا ربنا أخرجنا نعمل

صاخا أى نعمل بطاعتك غير الذى كنا نعمل قبل من معاصيك وقوله يصطرخون يفتعلون من الصراخ حولت تاؤها طاء لقرب مخرجها من الصاد لما ثقلت وقوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر اختلف أهل التأويل فى مبلغ ذلك فقال بعضهم ذلك أربعون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد قال سمعت ابن عباس يقول العمر الذى أعذر الله الى ابن آدم أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر أربعون سنة حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن مجالد عن الشعبى عن مسروق أنه كان يقول اذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله * وقال آخرون بل ذلك ستون سنة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر قال ستون سنة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت عبد الله بن عثمان بن خثيم عن مجاهد عن ابن عباس قال العمر الذى أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة حدثنا على بن شعيب قال ثنا محمد بن اسمعيل بن أبى فديك عن ابراهيم بن الفضل عن ابن أبى حسين المكى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نودى أين أبناء الستين وهو العمر الذى قال الله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير حدثنى أحمد بن الفرج الحمصى قال ثنا بقية بن الوليد قال ثنا مطرف بن مازن الكنانى قال ثنى معمر بن راشد قال سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفارى يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعذر الله الى صاحب الستين سنة والسبعين حدثنا أبو صالح الفزارى قال ثنا محمد بن سوار قال ثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القارى الاسكندرى قال ثنا أبو حازم عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمره الله ستين سنة فقد أعذر اليه فى العمر حدثنا محمد بن سوار قال ثنا أسد بن حميد عن سعيد بن طريف عن الأصبغ بن نباتة عن على رضى الله عنه فى قوله أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير قال العمر الذى عمركم الله به ستون سنة * وأشبه القولين بتأويل الآية اذ كان الخبر الذى ذكرناه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرا فى اسناده بعض من يجب التثبت فى نقله قول من قال ذلك أربعون سنة لأن فى الأربعين يتناهى عقل الانسان وفهمه وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله فى حال الأربعين وقوله وجاءكم النذير اختلف أهل التأويل فى معنى النذير فقال بعضهم عنى به محمدا صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجاءكم النذير قال النذير النبى وقرأ هذا نذيرا من النذر الأولى وقيل عنى به الشيب فتأويل الكلام اذا أولم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قريش من السنين ما يتذكر فيه من تذكر من ذوى الألباب والعقول واتعظ منهم من اتعظ وتاب من تاب وجاءكم من الله منذر ينذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله فلم تتذكروا مواعظ الله ولم تقبلوا من نذير الله الذى جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فذوقوا فما للظالمين من نصير ان الله عالم غيب السموات والأرض انه عليم بذات الصدور ﴾ يقول تعالى ذكره فذوقوا نار عذاب جهنم الذى قد صليتموه أيها الكافرون بالله فما للظالمين من نصير يقول فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فاكسبوها غضب الله بكفرهم بالله فى الدنيا من نصير ينصرهم من الله ليستنقذهم من عقابه

التالى العالم غير العامل والسابق التالى العامل سادسها الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم سابعها الظالم من يحاسب فيدخل النار وهو أصحاب المشأمة والمقتصد من يحاسب فيدخل الجنة وهو أصحاب الميمنة والسابق من يدخل الجنة بغير حساب ثامنها الظالم من خالف أوامر الله وارتكب مناهيه فانه واضع للتكليف فى غير موضعه والمقتصد هو المجتهد فى أداء التكاليف وان لم يوفق لذلك فانه قصد الحق واجتهد والسابق هو الذى لم يخالف تكاليف الله بتوفيقه دليله قوله فى الأخير باذن الله وذلك أنه اذا وقع الخير فى نفسه سبق اليه قبل تسويل النفس والمقتصد يقع فى قلبه فتردده النفس والظالم تغلبه النفس وبعبارة أخرى من غلبته النفس الأمارة وأمرته فأطاعها ظالم ومن جاهد نفسه فغلبته تارة وغلب أخرى فهو المقتصد صاحب النفس اللوامة ومن قهر نفسه فهو السابق وفى تقديم الظالم ثم المقتصد ايذان بأن المقتصدين أكثر من السابقين والظالمون أكثر الأقسام كما قال وقليل من عبادى الشكور (ذلك) الذى ذكر من التوفيق أو من السبق بالخيرات أو من الايراث (هو الفضل الكبير) قال جار الله أبدل قوله (جنات عدن) من الفضل لأنها مسببة عنه وكأنها هو قلت ويمكن أن يقال جنات عدن مبتدأ لانها معرفة بدليل قوله جنات عدن التى وعد الرحمن ولئن سلم أنها نكرة

وقوله ان الله عالم غيب السموات والارض يقول تعالى ذكره ان الله عالم ما تخفون أيها الناس في أنفسكم وتضمرونه وما لم تضمروه ولم تنووه مما تستنونه وما هو غائب عن أبصاركم في السموات والأرض فاتقوه أن يطلع عليكم وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشك في وحدانية الله أو في نبوة محمد غير الذي تبدونه بألسنتكم انه عليم بذات الصدور ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الارض فمن كفر فعليه كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا﴾ يقول تعالى ذكره الله الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض من بعد عاد وثمود ومن مضى قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم في ديارهم ومساكنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هو الذي جعلكم خلائف في الأرض أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن وقوله فمن كفر فعليه كفره يقول تعالى ذكره فمن كفر بالله منكم أيها الناس فعلى نفسه ضر كفره لا يضر بذلك غير نفسه لأنه المعاقب عليه دون غيره وقوله ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتا يقول تعالى ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا بعدا من رحمة الله ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خسارا يقول ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلا هلاكا ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قومك أرأيتم أيها القوم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض يقول أروني أي شيء خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات يقول أم لشركائكم شرك مع الله في السموات ان لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئا أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه يقول أم آتيناهؤلاء المشركين كتابا أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام فهم على بينة منه فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الاشراك بي وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض لا شيء والله خلقوا منها أم لهم شرك في السموات لا والله ما لهم فيها شرك أم آتيناهم كتابا فهم على بينة منه يقول أم آتيناهم كتابا فهو يأمرهم أن يشركوا وقوله بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضا إلا غرورا وذلك قول بعضهم لبعض ما نعبد آلهتنا إلا ليقربونا إلى الله زلفى خداعا من بعضهم لبعض وغرورا وانما تزلفهم آلهتهم إلى النار وتقصيهم من الله ورحمته ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده انه كان حليما غفورا﴾ يقول تعالى ذكره إن الله يمسك السموات والأرض لئلا تزولا من أماكنهما ولئن زالتا يقول ولو زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده يقول ما أمسكهما أحد سواه ووضعت لئن في قوله ولئن زالتا في موضع لو لأنهما يجابان بجواب واحد فيتشابهان في المعنى ونظير ذلك قوله ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون بمعنى ولو أرسلنا ريحا وكما قال ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بمعنى لو أتيت وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا من مكانهما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبي وائل قال جاء رجل الى عبد الله فقال من

فليكن (يدخلونها) صفة له وخبرها (يحلون) ثم ان ضمير يدخلون ان عاد الى التالين لكتاب الله أو الى السابقين فلا اشكال فالظالم يدخل النار والمقتصد يكون أمره موقوفا كقوله وآخرون مرجون لأمر الله أو كقوله وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وان عاد الى الفرق الثلاث فبشرط العفو أو بشرط التوبة وقد يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وفي تقديم جنات عدن وبناء الكلام عليها دون أن يقول يدخلون جنات عدن ايذان بأن الاهتمام بشأنها أكثر فان نظر السامع على المدخول فيه لا على نفس الدخول وقد مرت العبارة الاصلية في سورة الحج في قوله ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات الى قوله حرير وتغيير العبارة في هذا المقام لمزيد هذه الفائدة والله أعلم وفي قوله (يحلون فيها) اشارة الى سرعة الدخول فان في تحليتهم خارج الجنة تأخيرا للدخول وفي تحليتهم بالسوار إشارة الى أمرين أحدهما الترفه والتنعم الثاني أنهم لا يحتاجون فيها الى عمل من الطبخ وتهيئة سائر الأسباب قال جار الله أي يحلون بعض أساورة من ذهب كأنه بعض سابق لسائر الأبعاض كما سبق المسورون به غيرهم والذهب واللؤلؤ اشارة الى النوعين اللذين منهما الحلي وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ والحرير

أين جئت قال من الشام قال من لقيت قال لقيت كعبا فقال ماحدثك كعب قال حدثني أن السموات تدور على منكب ملك قال فصدقته أو كذبته قال ماصدقته ولا كذبته قال لوددت أنك افتديت من رحلتك اليه براحلتك ورحلها كذب كعب ان الله يقول إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن امسكهما من أحد من بعده حدثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال ذهب جندب البجلي الى كعب الأحبار فقدم عليه ثم رجع فقال له عبد الله حدثنا ماحدثك فقال حدثني أن السماء في قطب كقطب الرحا والقطب عمود على منكب ملك قال عبد الله لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل راحلتك ثم قال ماتنكت اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه ثم قال إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا كفى بهما زوالا أن تدور وقوله انه كان حليما غفورا يقول تعالى ذكره ان الله كان حليما عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له غفورا لذنوب من تاب منهم وأناب الى الايمان به والعمل بما يرضيه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفورا استكبارا في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنت الأولين فلن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا﴾ يقول تعالى ذكره وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم يقول أشد الأيمان فبالغوا فيها لئن جاءهم من الله منذر ينذرهم بأس الله ليكونن أهدى من احدى الأمم يقول ليكونن أسلك لطريق الحق وأشد قبولا لما يأتيهم به النذير من عند الله من إحدى الامم التي خلت من قبلهم فلما جاءهم نذير يعني بالنذير محمدا صلى الله عليه وسلم يقول فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما جاءهم نذير وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقوله مازادهم إلا نفورا يقول مازادهم مجيء النذير من الايمان بالله واتباع الحق وسلوك هدى الطريق إلا نفورا وهربا وقوله استكبارا في الأرض يقول نفروا استكبارا في الأرض وخدعة سيئة وذلك أنهم صدوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به والمكر ههنا هو الشرك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومكر السيئ وهو الشرك وأضيف المكر الى السيئ والسيئ من نعت المكر كما قيل ان هذا لهو حق اليقين وقيل أن ذلك في قراءة عبد الله ومكرا سيئا وفي ذلك تحقيق القول الذي قلناه من أن السيئ في المعنى من نعت المكر وقرأ ذلك قراء الأمصار غير الأعمش وحمزة بهمزة محركة بالخفض وقرأ ذلك الأعمش وحمزة بهمزة وتسكين الهمزة اعتلالا منهما بأن الحركات لما كثرت في ذلك ثقل فسكنا الهمزة كما قال الشاعر

* اذا اعوججن قلت صاحب قوم *

فسكن الباء لكثرة الحركات * والصواب من القراءة ما عليه قراء الأمصار من تحريك الهمزة فيها الى الخفض وغير جائز في القرآن أن يقرأ بكل ما جاز في العربية لأن القراءة انما هي ما قرأت به الأئمة الماضية وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عمن قبلهم وقوله ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله يقول ولا ينزل المكر السيئ إلا بأهله يعني بالذين يمكرونه وانما عنى أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكره هؤلاء المشركون الا بهم وقال قتادة في ذلك ماحدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله وهو الشرك وقوله فهل ينظرون إلا سنة الأولين يقول تعالى ذكره فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلا سنة الله بهم في عاجل الدنيا على

---

لجنس فيعم كل حزن من أحزان الدنيا والدين كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على أهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم ولا في محشرهم وكأني بأهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب عن وجوههم و يقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وقد خصه جمع من المفسرين بخوف سوء العاقبة أو بحزن الآفات أو بحزن الموت أو بهم المعاش حتى قال بعضهم كراء الدار والتعميم أولى والمقامة بمعنى الاقامة والفضل التفضل وعند المعتزلة العطاء لان الثواب أجر مستحق واجب عندهم والنصب التعب والمشقة التي تصيب المزاول للامر المنتصب له واللغوب ما يلحقه من الفتور والكلال بعد ذلك قاله جار الله وقال غيره ان الذي يباشر عملا من الأعمال لا يظهر عليه الاعياء الا بعد أن يستريح فالمراد أنهم لا يخرجون من الجنة الى موضع يتعبون بسبب ذلك ثم يلحقهم الاعياء بعد الرجوع ثم عطف قوله (والذين كفروا) على قوله ان الذين يتلون وقوله (فيموتوا) جواب للنفي والتقدير لا يقضى عليهم بالموت فيستريحوا و(يصطرخون) يفتعلون من الصراخ وهو الصياح بجهد وشدة كشأن المستغيث وفائدة قوله (غير الذي كنا نعمل) زيادة التحسر على ما عملوه من غير الصالح أو المراد نعمل صالحا غير الذي كنا نحسبه صالحا لأنهم كانوا يحسبون أنهم يحسنون وفيه اشارة

كفرهم به أليم العقاب يقول فهل ينتظر هؤلاء الا أن أحل بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهل ينظرون الا سنة الأولين أي عقوبة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا يقول فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييرا وقوله ولن تجد لسنة الله تحويلا يقول ولن تجد لسنة الله في خلقه تبديلا يقول لن يغير ذلك ولا يبدله لانه لا مرد لقضائه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أولم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض انه كان عليما قديرا﴾ يقول تعالى ذكره أولم يسر يا محمد هؤلاء المشركون بالله في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا فانهم تجار يسلكون طريق الشام فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من الأمم التي كانوا بها ألم نهلكهم ونخرب مساكنهم ونجعلهم مثلا لمن بعدهم فيتعظوا بهم ويتزجروا عما هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل وكانوا أشد منهم قوة وبطشا ان يتعذر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة والعذاب لهم وبنحو الذي قلنا في قوله وكانوا أشد منهم قوة قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكانوا أشد منهم قوة يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم وقوله وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض يقول تعالى ذكره ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة المكذبون محمدا فيسبقونا هربا في الارض اذا نحن أردنا هلاكهم لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السموات ولا في الارض ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفذوا أقطار السموات والأرض وقوله انه كان عليما قديرا يقول تعالى ذكره ان الله كان عليما بخلقه وما هو كائن ومن هو المستحق منهم تعجيل العقوبة ومن هو عن ضلالته منهم راجع الى الهدى آئب قديرا على الانتقام ممن شاء منهم وتوفيق من أراد منهم للايمان ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا﴾ يقول تعالى ذكره ولو يؤاخذ الله الناس يقول ولو يعاقب الله الناس ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي واجترحوا من الآثام ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى يقول ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا الى أجل معلوم عنده محدود لا يقصرون دونه ولا يجاوزونه اذا بلغوه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة الا ما حمل نوح في السفينة وقوله فاذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا يقول تعالى ذكره فاذا جاء أجل عقابهم فان الله كان بعباده بصيرا من الذي يستحق أن يعاقب منهم ومن الذي يستوجب الكرامة ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعا ومن كان فيها به مشركا لا يخفى عليه أحد منهم ولا يعزب عنه علم شيء من أمرهم

آخر تفسير سورة فاطر

الى أنهم في الآخرة أيضا ضالون لم يهدهم الله في الآخرة كما لم يهدهم في الدنيا ولو كانوا مهتدين لقالوا ربنا زدت للمحسنين حسنات بفضلك لا بعملهم ونحن أحوج الى تخفيف العذاب منهم الى تضعيف الثواب فافعل بنا ما نت أهله نظرا الى فضلك ولا تفعل بنا ما نحن أهله نظرا الى عدلك وانظرا الى مغفرتك الهاطلة ولا تنظر الى معذرتنا الباطلة وهذا بخلاف حال المؤمن هداه في العقبى كما هداه في الدنيا حتى دعاه بأقرب دعاء الى الاجابة وأثنى عليه بأطيب ثناء عند الانابة فقالوا الحمد لله وقالوا ان ربنا لغفور اعترافا بتقصيرهم شكور اقرارا بوصول ما لم يخطر ببالهم اليهم وأحالوا الكل الى فضله تصريحا بأنه لا عمل لهم بالنسبة الى بحار نعمه قوله (أولم نعمركم) استفهام فيه توبيخ والخام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شأنه الا أن التوبيخ في العمر الطويل أعظم عن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي أعذر الله فيه الى ابن آدم ستون سنة وروى من جاوز الاربعين ولم يغلب خيره شره فليتجهز الى النار وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة وقوله (وجاءكم) معطوف على المعنى كأنه قيل قد عمرناكم وجاءكم (النذير) وهو النبي صلى الله عليه وسلم وقيل الشيب قبين بالجملتين أن القابل موجود والفاعل حاصل فالعذر غير مقبول

﴿ تفسير سورة يس ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله يس فقال بعضهم هو قسم أقسم الله به وهو من أسماء الله ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يس قال فانه قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله * وقال آخرون معناه يا رجل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله يس قال يا انسان بالحبشية حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن شرقى قال سمعت عكرمة يقول تفسير يس يا انسان * وقال آخرون هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال يس مفتاح كلام افتتح الله به كلامه * وقال آخرون بل هو اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يس قال كل هجاء فى القرآن اسم من أسماء القرآن * قال أبو جعفر وقد بينا القول فيما مضى فى نظائر ذلك من حروف الهجاء بما أغنى عن اعادته وتكريره فى هذا الموضع وقوله والقرآن الحكيم يقول والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه وبينات حججه انك لمن المرسلين يقول تعالى ذكره مقسما بوحيه وتنزيله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك يا محمد لمن المرسلين بوحى الله الى عباده كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين قسم كما تسمعون انك لمن المرسلين على صراط مستقيم وقوله على صراط مستقيم يقول على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى وهو الاسلام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة على صراط مستقيم أى على الاسلام وفى قوله على صراط مستقيم وجهان أحدهما أن يكون معناه انك لمن المرسلين على استقامة من الحق فيكون حينئذ على من قوله على صراط مستقيم من صلة الارسال والآخر أن يكون خبرا مبتدأ كأنه قيل انك لمن المرسلين انك على صراط مستقيم القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ تنزيل العزيز الرحيم ﴾ اختلف القراء فى قراءة قوله تنزيل العزيز الرحيم فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة تنزيل العزيز برفع تنزيل والرفع فى ذلك يتجه من وجهين أحدهما بأن يجعل خبرا فيكون معنى الكلام انه تنزيل العزيز الرحيم والآخر بالابتداء فيكون معنى الكلام حينئذ انك لمن المرسلين هذا تنزيل العزيز الرحيم وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض أهل الشام تنزيل نصبا على المصدر من قوله انك لمن المرسلين لان الارسال انما هو عن التنزيل فكأنه قيل لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقا * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب الصواب ومعنى الكلام انك لمن المرسلين يا محمد ارسال الرب العزيز فى انتقامه من أهل الكفر به الرحيم بمن تاب اليه وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم فقال بعضهم معناه لتنذر قوما ما أنذر الله من قبلهم من آبائهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر

(فذوقوا) العذاب (فما للظالمين) الذين وضعوا أعمالهم فى غير موضعها وأتوا بالمعذرة فى غير وقتها. (من نصير) نفى الأنصار والناصرين فى آخر آل عمران وفى الروم ووحد ههنا كأنهم فى النار قد أيسوا من كثير ممن كانوا يتوقعون منهم النصرة الا من نصير واحد وهو الله سبحانه ثم كان لسائل أن يسأل ما بال الكافر يعذب أبدا وانه ما كفر الا أياما معدودة فلا جرم قال (ان الله عالم غيب السموات والارض) فكان يعلم من الكافر أن الكفر قد تمكن فى قلبه بحيث لو دام الى الأبد لما أطاع الله ولا عبده وذات الصدور صواحبها من الظنون والعقائد فذو موضوع لمعنى الصحبة فالصدور ذات العقائد والعقائد ذات الصدور باعتبار أنها تصحبها وحين ذكرهم بما مر من أنه سوف

قال ثنا شعبة عن سماك عن عكرمة فى هذه الآية لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قال قد أنذروا * وقال آخرون بل معنى ذلك لتنذر قوما (٣) ما أنذر آباؤهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم قال قال بعضهم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم من انذار الناس قبلهم وقال بعضهم لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم أى هذه الأمة لم يأتهم نذير حتى جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم * واختلف أهل العربية فى معنى ما التى فى قوله ما أنذر آباؤهم اذا وجه معنى الكلام الى أن آباءهم قد كانوا أنذروا ولم يرد بها الجحد فقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك اذا أريد به غير الجحد لتنذرهم الذى أنذر آباؤهم فهم غافلون وقال فدخول الفاء فى هذا المعنى لا يجوز والله أعلم قال وهو على الجحد أحسن فيكون معنى الكلام انك لمن المرسلين الى قوم لم ينذر آباؤهم لأنهم كانوا فى الفترة * وقال بعض نحويى الكوفة اذا لم يرد بما الجحد فان معنى الكلام لتنذرهم بما أنذر آباؤهم فتلقى الباء فتكون ما فى موضع نصب فهم غافلون يقول فهم غافلون عما الله فاعل بأعدائه المشركين به من احلال نقمته وسطوته بهم وقوله لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون يقول تعالى ذكره لقد وجب العقاب على أكثرهم لان الله قد حتم عليهم فى أم الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله ولا يصدقون رسوله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره انا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة الى أعناقهم بالأغلال فلا تبسط بشئ من الخيرات وهى فى قراءة عبد الله فيما ذكر انا جعلنا فى أيمانهم أغلالا فهى الى الأذقان وقوله الى الأذقان يعنى فأيمانهم مجموعة بالأغلال فى أعناقهم فكنى عن الأيمان ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام وأن الأغلال اذا كانت فى الأعناق لم تكن الا وأيدى المغلولين مجموعة بها اليها فاستغنى بذكر كون الأغلال فى الأعناق من ذكر الأيمان كما قال الشاعر

وما أدرى اذا يممت وجها * أريد الخير أيهما يلينى
أألخير الذى أنا أبتغيه * أم الشر الذى لا يأتلينى

فكنى عن الشر وانما ذكر الخير وحده لعلم سامع ذلك بمعنى قائله اذ كان الشر مع الخير يذكر والأذقان جمع ذقن والذقن مجمع اللحيين وقوله فهم مقمحون والمقمح هو المقنع وهو أن يحدر الذقن حتى يصير فى الصدر ثم يرفع رأسه فى قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة وفى قول بعض الكوفيين هو الغاض بصره بعد رفع رأسه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون قال هو كقول الله ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك يعنى بذلك أن أيديهم موثقة الى أعناقهم لا يستطيعون أن يبسطوها بخير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فهم مقمحون قال رافعو رؤسهم وأيديهم موضوعة على أفواههم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الأذقان فهم مقمحون أى فهم مغلولون عن كل خير وقوله وجعلنا من بين أيديهم سدا يقول تعالى ذكره وجعلنا من بين أيدى هؤلاء المشركين سدا وهو الحاجز بين الشيئين اذا فتح كان من فعل بنى آدم واذا كان من فعل الله كان بالضم وبالضم

يوبخهم بالتعمير وايتاء العقول وارسال من يؤيد المعقول بالمنقول وعظهم بأنه (هو الذى جعلكم) وقد العاطف هنا خلاف ما فى آخر الأنعام للعدول عن خطاب أهل الآخرة الى خطاب أهل الدنيا وقال ههنا (خلائف فى الارض) بزيادة فى المفيدة لتمكن المظروف فى الظرف لأجل المبالغة والترقى من الأدنى الى الأعلى كأنه قيل أمهلتم وعمرتم وأمرتم على لسان الرسل بما أمرتم وجعلتم خلفاء الهالكين الماضين فأصبحتم بحالهم راضين (فمن كفر) بعد هذا كله (فعليه) وبال (كفره ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم الا مقتا) لأن الكافر السابق ممقوت واللاحق الذى أنذره الرسول ولم ينتبه أمقت لأنه رأى عذاب من تقدمه ولم ينتبه (ولا يزيد الكافرين كفرهم

(٣) أى لم ينذر آباؤهم فتأمل كتبه مصححه

قرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة و بعض الكوفيين وقرأه بعض المكيين وعامة قراء الكوفيين بفتح السين سدّا فى الحرفين كلاهما والضم أعجب القراءتين الىّ فى ذلك وان كانت الأخرى جائزة صحيحة وعنى بقوله وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا أنه زين لهم سوء أعمالهم فهم يعمهون ولا يبصرون رشدا ولا يتنبهون حقا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا قال عن الحق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا عن الحق فهم يترددون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلنا من بين أيديهم سدّا ومن خلفهم سدّا قال ضلالات حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدّا فأغشيناهم فهم لا يبصرون قال جعل هذا سدّا بينهم وبين الاسلام والايمان فهم لا يخلصون اليه وقرأ وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون وقرأ ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون الآية كلها وقال من منعه الله لا يستطيع وقوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون يقول فأعشينا أبصار هؤلاء أى جعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأغشيناهم فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به وذكر أن هذه الآية نزلت فى أبى جهل بن هشام حين حلف أن يقتله أو يشدخ رأسه بصخرة ذكر الرواية بذلك حدثنى عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث ابن سعيد قال ثنا عمارة بن أبى حفصة عن عكرمة قال قال أبو جهل لئن رأيت محمدا لأفعلن ولأفعلن فأنزلت انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا الى قوله فهم لا يبصرون قال فكانوا يقولون هذا محمد فيقول أين هو أين هو لا يبصره وقد روى عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك فأعشيناهم فهم لا يبصرون بالعين بمعنى أعشيناهم عنه وذلك أن العشا هو أن يمشى بالليل ولا يبصر ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ يقول تعالى ذكره وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حق عليهم القول أى الامرين كان منك اليهم الانذار أو ترك الانذار فانهم لا يؤمنون لأن الله قد حكم عليهم بذلك وقوله انما تنذر من اتبع الذكر يقول تعالى ذكره انما ينفع انذارك يا محمد من آمن بالقرآن واتبع ما فيه من أحكام الله وخشى الرحمن يقول وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين لا المنافق الذى يستخف بدين الله اذا خلا ويظهر الايمان فى الملا ولا المشرك الذى قد طبع الله على قلبه وقوله فبشره بمغفرة يقول فبشر يا محمد هذا الذى اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه وأجر كريم يقول وثواب منه له فى الآخرة كريم وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما تنذر من اتبع الذكر واتباع الذكر اتباع القرآن ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه فى امام مبين﴾ يقول تعالى ذكره انا نحن نحيى الموتى من خلقنا ونكتب ما قدموا فى الدنيا من خير وشر وصالح الأعمال وسيئها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا من عمل حدثنى يونس

الاخسارا) فان العمر كرأس مال من اشترى به رضا الله ربح ومن اشترى به سخطه خسر ثم وبخ أهل الشرك بقوله (قل أرأيتم) وأبدل منه (أرونى) كأنه قال أخبرونى عن هؤلاء الشركاء أرونى أى جزء من أجزاء الارض استبدوا بخلقه (أم لهم) مع الله (شرك فى) خلق (السموات) أم معهم أو مع عابديهم كتاب من عند الله فهم على برهان من ذلك الكتاب والاضافة فى شركائكم لملابسة العبادة أو المراد كونهم شركاءهم فى النار كقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (بل ان يعد الظالمون بعضهم) وهم الرؤساء (بعضا) وهم الأتباع (الا غرورا) وهو قولهم ان هؤلاء شفعاؤنا وحين بين عجز الأصنام أراد أن يبين كمال القدرة فقال (ان الله يمسك السموات والأرض)

قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ونكتب ماقدموا قال ماعملوا حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ماقدموا قال أعمالهم وقوله وآثارهم يعنى وآثار خطاهم بأرجلهم وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرب عليهم ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن على الجهضمى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا الى المسجد فنزلت ونكتب ماقدموا وآثارهم فقالوا انثبت فى مكاننا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن اسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد فأرادوا أن ينتقلوا قال فنزلت ونكتب ماقدموا وآثارهم فثبتوا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا الجريرى عن أبى نضرة عن جابر قال أراد بنو سلمة قرب المسجد قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى سلمة دياركم انها تكتب آثاركم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا معتمر قال سمعت كهمسا يحدث عن أبى نضرة عن جابر قال أراد بنو سلمة أن يتحولوا الى قرب المسجد قال والبقاع خالية فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا بنى سلمة دياركم انها تكتب آثاركم قال فأقاموا وقالوا ما يسرنا أنا كنا تحولنا حدثنا سليمن بن عمر بن خالد الرقى قال ثنا ابن المبارك عن سفيان عن طريف عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال شكت بنو سلمة بعد منازلهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت انا نحن نحيى الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم فقال عليكم منازلكم تكتب آثاركم حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين عن ثابت قال مشيت مع أنس فأسرعت المشى فأخذ بيدى فمشينا رويدا فلما قضينا الصلاة قال أنس مشيت مع زيد بن ثابت فأسرعت المشى فقال يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن أن بنى سلمة كانت دورهم قاصية عن المسجد فهموا أن يتحولوا قرب المسجد فيشهدون الصلاة مع النبى صلى الله عليه وسلم فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ألا تحتسبون آثاركم يا بنى سلمة فمكثوا فى ديارهم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم ابن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ماقدموا وآثارهم قال خطاهم بأرجلهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآثارهم قال خطاهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآثارهم قال قال الحسن وآثارهم قال خطاهم وقال قتادة لو كان مغفلا شيأ من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفى الرياح من هذه الآثار وقوله وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين يقول تعالى ذكره وكل شئ كان أو هو كائن أحصيناه فأثبتناه فى أم الكتاب وهو الامام المبين وقيل مبين لأنه يبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى إمام مبين قال فى أم الكتاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين كل شئ محصى عند الله فى كتاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين قال أم الكتاب التى عند الله فيها الأشياء كلها هى الامام المبين ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون

أى يمنعهما من (أن تزولا) أو كراهة زوالها عن مقرهما ومركزهما ولو فرض زوالها بأمر الله فلن يمسكهما أحد من بعد زوالها أو من بعد الله وقيل أراد أنهما كانتا جديرتين بأن تهدا هذا لعظم كلمة الشرك كقوله تكاد السموات يتفطرن منه يؤيد هذا الوجه قوله (انه كان حليما) غير معاجل بالعقوبة (غفورا) لمن تاب من الشرك قال المفسرون بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود والنصارى أتتهم رسلهم فكذبوهم فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى وزيف هذا النقل بأن المشركين كانوا منكرين للرسالة والحشر فكيف اعترفوا بأن اليهود والنصارى جاءهم رسل سلمنا لكنهم كيف عرفوا تكذيب اليهود وتحريفهم ولم يأتهم رسول

اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون ﴾ يقول تعالى ذكره ومثل يا محمد لمشركي قومك مثلا أصحاب القرية ذكر أنها انطاكية اذ جاءها المرسلون اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل وفيمن كان أرسلهم الى أصحاب القرية فقال بعضهم كانوا رسل عيسى بن مريم وعيسى الذي أرسلهم اليهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث قال ذكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريين الى انطاكية مدينة بالروم فكذبوهما فأعزهما بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا ثنا سفيان قال ثني السدي عن عكرمة واضرب لهم مثلا أصحاب القرية قال انطاكية * وقال آخرون بل كانوا رسلا أرسلهم الله اليهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه قال كان بمدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يقال له ابطيحس بن ابطيحس يعبد الأصنام صاحب شرك فبعث الله المرسلين وهم ثلاثة صادق ومصدوق وسلوم فقدم اليه والى أهل مدينته منهم اثنان فكذبوهما ثم عزز الله بثالث فلما دعته الرسل ونادته بأمر الله وصدعت بالذي أمرت به وعابت دينه وما هم عليه قال لهم انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم وقوله اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث يقول تعالى ذكره حين أرسلنا اليهم اثنين يدعوانهم الى الله فكذبوهما فشددناهما بثالث وقوينا هما به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فعززنا بثالث قال شددنا حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله فعززنا بثالث قال زدنا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فعززنا بثالث قال جعلناهم ثلاثة قال ذلك التعزز قال والتعزز القوة وقوله فقالوا انا اليكم مرسلون يقول فقال المرسلون الثلاثة لاصحاب القرية انا اليكم أيها القوم مرسلون بأن تخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له وتتبرؤا مما تعبدون من الآلهة والأصنام وبالتشديد في قوله فعززنا قرأت القراء سوى عاصم فانه قرأه بالتخفيف والقراءة عندنا بالتشديد لاجماع الحجة من القراء عليه وأن معناه اذا شددقويناواذا خفف فغلبنا وليس لغلبنا في هذا الموضع كثير معنى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين ﴾ يقول تعالى ذكره قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أرسلوا اليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا اليهم بما أرسلوا به ما أنتم أيها القوم الا أناس مثلنا ولو كنتم رسلا كما تقولون لكنتم ملائكة وما أنزل الرحمن من شئ يقول قالوا وما أنزل الرحمن اليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فينا بشئ ان أنتم الا تكذبون في قيلكم انكم الينا مرسلون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون يقول قال الرسل ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون فيما دعوناكم اليه وانا لصادقون وما علينا الا البلاغ المبين يقول وما علينا الا أن نبلغكم رسالة الله التي أرسلنا بها اليكم بلاغا بينا لكم أنا أبلغناكموها فان قبلتموها فحظ أنفسكم تصيبون وان لم تقبلوها فقد أدينا ما علينا والله ولي الحكم فيه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم ﴾ يقول تعالى ذكره قال أصحاب القرية للرسل انا تطيرنا بكم يعنون انا تشاءمنا بكم فان أصابنا بلاء فمن أجلكم كما حدثنا

ولا كتاب فالوجه الصحيح في سبب النزول أنهم كانوا يقولون لو جاءنا رسول لم ننكره وانما ينكرون كون محمد صلى الله عليه وسلم رسولا لأنه كاذب ولو صح كونه رسولا لآمنا وقوله (من احدى الأمم) ليس للتفضيل بل المراد أنا نكون أهدى مما نحن عليه ونكون من إحدى الأمم كقولك زيد من المسلمين أو هو للتفضيل والأمم لتعريف العهد أي أمة محمد وموسى وعيسى عليهم السلام أو للعموم أي أهدى من أي أمة تفرض ويقال فيها احدى الأمم تفضيلا لها على غيرها في الهدى والاستقامة (فلما جاءهم نذير) هو محمد صلى الله عليه وسلم الذي صح لهم نذارته بالمعجزات الباهرة (ما زادهم) هو أو مجيئه (الا نفورا) كانه صار سببا في نفارهم عن الحق عنادا وكبرا

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا انا تطيرنا بكم قالوا ان أصابنا شر فانما هو من أجلكم وقوله لئن لم تنتهوا لنرجمنكم يقول لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم الينا بالبراءة من آلهتنا والنهى عن عبادتنا لنرجمنكم قيل عنى بذلك لنرجمنكم بالحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة وليمسنكم منا عذاب أليم يقول ولينالنكم منا عذاب موجع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ﴾ يقول تعالى ذكره قالت الرسل لاصحاب القرية طائركم معكم أئن ذكرتم يقول أعمالكم وأرزاقكم وحظكم من الخير والشر معكم ذلك كله فى أعناقكم وما ذلك من شؤمنا ان أصابكم مكروه فيما كتب عليكم وسبق لكم من الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا طائركم معكم أى أعمالكم معكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن سحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب وعن وهب بن منبه قالت لهم الرسل طائركم معكم أى أعمالكم معكم وقوله أئن ذكرتم اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار أئن ذكرتم بكسر الألف من إن وفتح ألف الاستفهام بمعنى إن ذكرناكم فمعكم طائركم ثم أدخل على إن التى هى حرف جزاء ألف استفهام فى قول بعض نحويى البصرة وفى قول بعض الكوفيين منوى به التكرير كأنه قيل قالوا طائركم معكم ان ذكرتم ثم معكم طائركم فحذف الجواب اكتفاء بدلالة الكلام عليه وانما أنكر قائل هذا القول القول الأول لأن ألف الاستفهام قد حالت بين الجزاء وبين الشرط فلا تكون شرطا لما قبل حرف الاستفهام وذكر عن أبى رزين أنه قرأ ذلك أأن ذكرتم بمعنى ألأن ذكرتم طائركم معكم وذكر عن بعض قارئيه أنه قرأه قالوا طائركم معكم أين ذكرتم بمعنى حيث ذكرتم بتخفيف الكاف من ذكرتم والقراءة التى لا نجيز القراءة بغيرها القراءة التى عليها قراء الأمصار وهى دخول ألف الاستفهام على حرف الجزاء وتشديد الكاف على المعنى الذى ذكرناه عن قارئيه كذلك لاجماع الحجة من القراء عليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أئن ذكرتم أى ان ذكرناكم الله تطيرتم بنا بل أنتم قوم مسرفون وقوله بل أنتم قوم مسرفون يقول قالوا لهم ما بكم التطير بنا ولكنكم قوم أهل معاص لله وآثام قد غلبت عليكم الذنوب والآثام وقوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى يقول وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت اليهم هذه الرسل رجل يسعى اليهم وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذكر فبلغ ذلك هذا الرجل وكان منزله أقصى المدينة وكان مؤمنا وكان اسمه فيما ذكر حبيب بن مرى وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاءت الاخبار ذكر الأخبار الواردة بذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل بن اسمعيل قال ثنا سفيان عن عاصم الأحول عن أبى مجلز قال كان صاحب يس حبيب بن مرى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال كان من حديث صاحب يس فيما حدثنا محمد بن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الاحبار وعن وهب بن منبه اليمانى أنه كان رجلا من أهل انطاكية وكان اسمه حبيبا وكان يعمل الحرير وكان رجلا سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند باب من أبواب المدينة قاصيا وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيما يذكرون فيقسمه نصفين فيطعم نصفا عياله ويتصدق بنصف فلم يزل به سقمه ولا عمله ولا ضعفه عن عمل ربه قال فلما أجمع قومه على قتل الرسل بلغ ذلك حبيبا وهو على باب المدينة الأقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم بالله

فانتصب (استكبارا) على أنه مفعول لأجله أو حال ويجوز أن يكون بدلا من نفورا وقوله (ومكر) من اضافة المصدر الى صفة معموله أصله وأن مكروا السيء أى المكر السيء والمكر هو مكرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم من الهم بالقتل والاخراج وقد حاق بهم يوم بدر أو هو عام وعاقبة المكر وخيمة يصل اليه جزاؤه عاجلا أو آجلا عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله يقول ولا يحيق المكر السيء الا بأهله وفى أمثالهم من حفر لأخيه جبا وقع فيه منكبا وفى قوله (بأهله) دون أن يقول الا بالماكر اشارة الى أن الرضا بالمكر والاعانة عليه كهو فيندرج مصاحبه فى زمرة أهل المكر وقوله (سنة الأولين) من اضافة المصدر الى المفعول وقوله سنة الله من اضافته

ويدعوهم الى اتباع المرسلين فقال ياقوم اتبعوا المرسلين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن عمرو بن حزم أنه حدث عن كعب الأحبار قال ذكره حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيلمة الكذاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم ثم يقول أتشهد أني رسول الله فيقول له لا أسمع فيقول مسيلمة أتسمع هذا ولا تسمع هذا فيقول نعم فجعل يقطعه عضوا عضوا كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه قال كعب حين قيل له اسمه حبيب وكان والله صاحب يس اسمه حبيب حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحرث ابن نوفل عن مجاهد عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول كان اسم صاحب يس حبيبا وكان الجذام قد أسرع فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ذكر لنا أن اسمه حبيب وكان في غار يعبد ربه فلما سمع بهم أقبل اليهم وقوله قال ياقوم اتبعوا المرسلين يقول تعالى ذكره قال الرجل الذي جاء من أقصى المدينة لقومه ياقوم اتبعوا المرسلين الذين أرسلهم الله اليكم واقبلوا منهم ما أتوكم به وذكر أنه لما أتى الرسل سألهم هل يطلبون على ما جاؤا به أجرا فقالت الرسل لا فقال لقومه حينئذ اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجرا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما انتهى اليهم يعني الى الرسل قال هل تسألون على هذا من أجر قالوا لا فقال عند ذلك ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم اجرا وهم مهتدون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون أي لا يسألونكم أموالكم على ما جاؤكم به من الهدى وهم لكم ناصحون فاتبعوهم تهتدوا بهداهم وقوله وهم مهتدون يقول وهم على استقامة من طريق الحق فاهتدوا أيها القوم بهداهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون اني اذا لفي ضلال مبين اني آمنت بربكم فاسمعون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا الرجل المؤمن ومالي لا أعبد الذي فطرني أي وأي شيء لي لا أعبد الرب الذي خلقني واليه ترجعون يقول واليه تصيرون أنتم أيها القوم وتردون جميعا وهذا حين أبدى لقومه ايمانه بالله وتوحيده كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الاحبار و عن وهب بن منبه قال ناداهم يعني نادى قومه بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام وأظهر لهم دينه وعبادة ربه وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضره غيره فقال ومالي لا أعبد الذي فطرني واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ثم عابها فقال ان يردني الرحمن بضر وشدة لا تغن عني شفاعتهم شيأ ولا ينقذون وقوله أأتخذ من دونه آلهة يقول أأعبد من دون الله آلهة يعني معبودا سواه ان يردني الرحمن بضر يقول ان مسني الرحمن بضر وشدة لا تغن عني شفاعتهم شيأ يقول لا تغني عني شيأ بكونها لي شفعاء ولا تقدر على دفع ذلك الضر عني ولا ينقذون يقول ولا يخلصوني من ذلك الضر اذا مسني وقوله اني اذا لفي ضلال مبين يقول اني ان اتخذت من دون الله آلهة هذه صفتها اذا لفي ضلال مبين لمن تأمله جوره عن سبيل الحق وقوله اني آمنت بربكم فاسمعون فاختلف في معنى ذلك فقال بعضهم قال هذا القول هذا المؤمن لقومه يعلمهم ايمانه بالله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس

الى الفاعل والمراد بها إنزال العذاب على أمثالهم من مكذبي الرسل جعل استقبالهم لذلك واستعجالهم اياه انتظارا له منهم والتبديل تغيير الصورة مع بقاء المادة والتحويل نقل الشيء من مكان الى مكان آخر خص هذه السورة بالجمع بين الوصفين لأن كثيرا من أحوال الكفرة جاءت ههنا مثناة كقوله ولا يزيد الكافرين الى قوله الا خسارا وكقوله الا نفورا استكبارا في الارض ومكر السيئ ويحتمل أن يريد بسنة الأولين استمرارهم على الانكار كأنه قال أنتم تريدون الاتيان بسنة الأولين والله يأتي بسنة لا تبدل العذاب المعلوم بنوع آخر ولا تحوله عن مستحقيه الى من لا يستحقه ثم أمرهم بالسير وذكرهم

وعن كعب وعن وهب بن منبه انى آمنت بربكم فاسمعون انى آمنت بربكم الذى كفرتم به فاسمعوا قولى * وقال آخرون بل خاطب بذلك الرسل وقال لهم اسمعوا قولى لتشهدوا لى بما أقول لكم عند ربى وأنى قد آمنت بكم واتبعتكم فذكر أنه لما قال هذا القول ونصح لقومه النصيحة التى ذكرها الله فى كتابه وثبوا به فقتلوه ثم اختلف أهل التأويل فى صفة قتلهم اياه فقال بعضهم رجموه بالحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون هذا رجل دعا قومه الى الله وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك وذكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى اللهم اهد قومى اللهم اهد قومى حتى أقعصوه وهو كذلك * وقال آخرون بل وثبوا عليه فوطئوه بأقدامهم حتى مات ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب وعن وهب بن منبه قال لما قال لهم ومالى لا أعبد الذى فطرنى الى قوله فاسمعون وثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه ولم يكن أحد يدفع عنه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول وطئوه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴾ يقول تعالى ذكره قال الله له اذ قتلوه كذلك فلقيه ادخل الجنة فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لايمانه وصبره فيه قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى يقول ياليتهم يعلمون أن السبب الذى من أجله غفر لى ربى ذنوبى وجعلنى من الذين أكرمهم الله بادخاله اياه جنته كان ايمانى بالله وصبرى فيه حتى قتلت فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول قال الله له ادخل الجنة فدخلها حيا يرزق فيها قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها فلما أفضى الى رحمة الله وجنته وكرامته قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قيل ادخل الجنة فلما دخلها قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين قال فلا تلقى المؤمن الا ناصحا ولا تلقاه غاشا فلما عاين ما عاين من كرامة الله قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله وما هجم عليه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله قيل ادخل الجنة قال قيل قد وجبت له الجنة قال ذاك حين رأى الثواب حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن مجاهد قيل ادخل الجنة قال وجبت لك الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد قيل ادخل الجنة قال وجبت له الجنة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن عاصم الأحول عن أبى مجلز فى قوله بما غفر لى ربى قال ايمانى بربى وتصديق رسله

والله أعلم

---

* (تم الجزء الثانى والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الثالث والعشرون أوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (وما أنزلنا على قومه) *

مارأوه فى مسايرهم ومتاجرهم الى الشام والعراق واليمن من آثار الهالكين الأقدمين مع وفور قوتهم وكثرة شوكتهم ثم بين كمال علمه ونهاية قدرته على اتصال أصناف الاستحقاقات بقوله (وما كان الله ليعجزه) أى ليسبقه ويفوته شئ ثم ختم السورة بما يدل على غاية حلمه وهو أنه لا يؤاخذ الناس بكل جرم (الى أجل مسمى) هو القيامة وهو يومئذ أعلم بأحوالهم علما عيانيا فيجزى كلا بحسب علمه وقدمر مثل الآية فى سورة النحل وقيل الاجل هو يوم لا يوجد فى الخلق من يؤمن أو حين يجتمع الناس على الضلال

والله أعلم

# الجزء الثالث والعشرون

## من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه فى التفسير

أبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمى النيسابورى قدست أسراره

« فى كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطى فى الاتقان وكتابه « أى الطبرى » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووى أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبرى * وعن أبى حامد الاسفرايينى أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

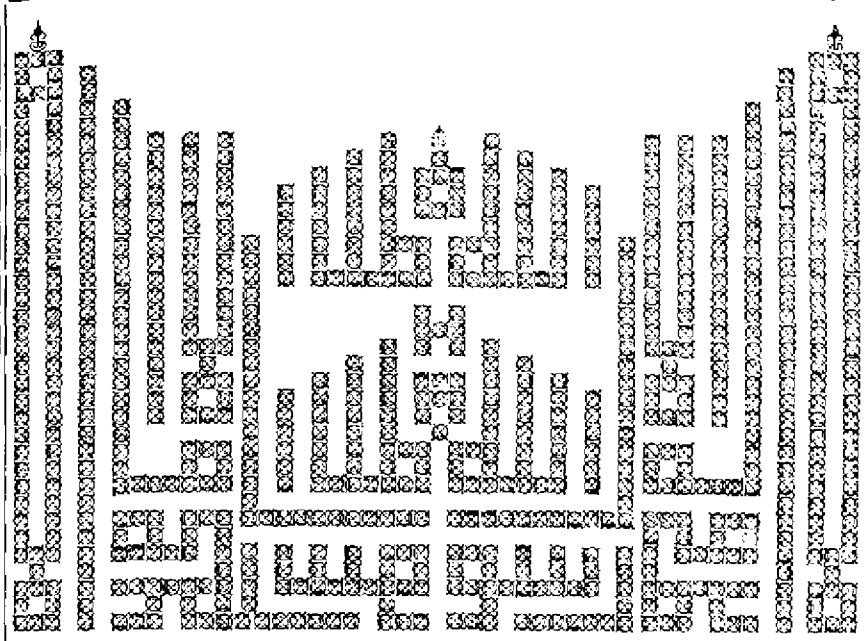
طبعت هذه النسخة بعد مقابلتها وتصحيحها بمعرفة حضرة الملتزم على الاصول الموجودة فى خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر وعلى النسخة الموجودة بالكتبخانة المحمودية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التحية بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبى الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا وإياهما لما يحبه ويرضاه

( الطبعة الاولى )
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٩ هجريه

﴿سورة يس مكية سوى آية نزلت فى اليهود قوله واذا قيل لهم أنفقوا حروفها ثلاثة آلاف كلمها سبعمائة وسبع وعشرون آياتها ثلاث وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿يس والقرآن الحكيم (٢) انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوما



الجزء الثالث والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون انما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم انا نحن نحيى الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شئ أحصيناه فى إمام مبين واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ أرسلنا اليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا انا اليكم مرسلون قالوا ما أنتم الا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شئ ان أنتم الا تكذبون قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون وما علينا الا البلاغ المبين قالوا انا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيأ ولا ينقذون انى اذا لفى ضلال مبين انى آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ألم يروا كم أهلكنا لهذا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون﴾ يقول تعالى ذكره وما أنزلنا على قوم هذا المؤمن الذى قتله قومه لدعائه إياهم الى الله ونصيحته لهم من بعده يعنى من بعد مهلكه من جند من السماء واختلف أهل التأويل فى معنى الجند الذى أخبر الله أنه لم ينزل الى قوم هذا المؤمن بعد قتلهموه فقال بعضهم عنى بذلك أنه لم ينزل الله بعد ذلك اليهم رسالة ولا بعث اليهم نبيا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من جند من السماء قال رسالة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين قال فلا والله ما عاتب الله قومه بعد قتله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون * وقال آخرون بل عنى بذلك أن الله تعالى ذكره لم يبعث لهم جنودا يقاتلهم بها ولكنه أهلكهم بصيحة واحدة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود قال غضب الله له يعنى

وجعلنا فيها جنات من نخيل واعناب وفجرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون وآية لهم الليل نسلخ منه النهار (٣٠) فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها

لهذا المؤمن لاستضعافهم اياه غضبة لم تبق من القوم شيأ فعجل لهم النقمة بما استحلوا منه وقال وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين يقول ما كاثرناهم بالجموع أى الأمر أيسر علينا من ذلك ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون فأهلك الله ذلك الملك وأهل إنطاكية فبادوا عن وجه الارض فلم تبق منهم باقية وهذا القول الثانى أولى القولين بتأويل الآية وذلك أن الرسالة لا يقال لها جند الا أن يكون أراد مجاهد بذلك الرسل فيكون وجها وان كان أيضا من المفهوم بظاهر الآية بعيدا وذلك أن الرسل من بنى آدم لا ينزلون من السماء والخبر فى ظاهر هذه الآية عن أنه لم ينزل من السماء بعد مهلك هذا المؤمن على قومه جندا وذلك بالملائكة أشبه منه ببنى آدم وقوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم خامدون يقول ما كانت هلكتهم الا صيحة واحدة أنزلها الله من السماء عليهم * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار ان كانت الا صيحة واحدة نصبا على التأويل الذى ذكرت وأن فى كانت مضمرا وذكر عن أبى جعفر المدنى أنه قرأه الا صيحة واحدة رفعا على أنها مرفوعة بكان ولا مضمر فى كان * والصواب من القراءة فى ذلك عندى النصب لاجماع الحجة على ذلك وعلى أن فى كانت مضمرا وقوله فاذا هم خامدون يقول فاذا هم هالكون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ياحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره ياحسرة من العباد على أنفسها وتندما وتلهفا فى استهزائهم برسل الله ما يأتيهم من رسول من الله الا كانوا به يستهزؤن وذكر أن ذلك فى بعض القراآت ياحسرة العباد على أنفسها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ياحسرة على العباد أى ياحسرة العباد على أنفسها على ما ضيعت من أمر الله وفرطت فى جنب الله قال وفى بعض القراآت ياحسرة العباد على أنفسها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ياحسرة على العباد قال كان حسرة عليهم استهزاؤهم بالرسل حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ياحسرة على العباد يقول ياويلا للعباد وكان بعض أهل العربية يقول معنى ذلك ياالها حسرة على العباد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون وان كل لما جميع لدينا محضرون﴾ يقول تعالى ذكره ألم ير هؤلاء المشركون بالله من قومك يا محمد كم أهلكنا قبلهم بتكذيبهم رسلنا وكفرهم بآياتنا من القرون الخالية أنهم اليهم لا يرجعون يقول ألم يروا أنهم اليهم لا يرجعون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم اليهم لا يرجعون قال عاد وثمود وقرون بين ذلك كثير وكم من قوله كم أهلكنا فى موضع نصب ان شئت بوقوع يروا عليها وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ألم يروا من أهلكنا وان شئت بوقوع أهلكنا عليها وأما أنهم فان الألف منها فتحت بوقوع يروا عليها وذكر عن بعضهم أنه كسر الألف منها على وجه الاستئناف بها وترك إعمال يروا فيها وقوله وان كل لما جميع لدينا محضرون يقول تعالى ذكره وان كل هذه القرون التى أهلكناها والذين لم نهلكهم وغيرهم عندنا يوم القيامة جميعهم محضرون كما حدثنا

ذلك تقدير العزيز العليم والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين

﴿ القراآت يس باظهار النون أبو عمرو وسهل ويعقوب غير رويس وابن كثير غير ابن فليح وحمزة وأبو جعفر ونافع غير النجارى عن ورش والحلوانى عن قالون وعاصم غير يحيى وابن أبى غالب وقرأ حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد بالامالة تنزيل بالنصب ابن عامر وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد والباقون بالرفع سدا بفتح السين فى الحرفين حمزة وعلى وخلف وحفص وأبو زيد فعززنا بالتخفيف أبو بكر وحماد والمفضل آين بالمد والياء أبو عمرو وقالون وزيد مثله ولكن بالقصر ابن كثير ونافع غير قالون وسهل ويعقوب غير زيد أئن بهمزتين حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل وابن عامر هشام يدخل بينهما مدة وقرأ المفضل أين على وزن كيف آن بسكون النون وبالمد يزيد مثل آنذرتهم ذكرتم بالتخفيف زيد ومالى بسكون الياء حمزة ويعقوب ينقذونى فى الحالين بالياء يعقوب وافق ورش وسهل وعباس فى الوصل انى اذا بفتح الياء ابو جعفر ونافع وابو عمرو انى آمنت

بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو الا صيحة واحدة بالرفع وكذلك ما بعدها يزيد لما بالتشديد ابن عامر وحمزة وعاصم المينة بالتشديد أبو جعفر ونافع عملت بغير هاء الضمير حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل لمستقر بكسر القاف زيد عن يعقوب

والقمر بالرفع على الابتداء ابن كثير وأبو عمرو وسهل ونافع ويعقوب غير رويس الآخرون بالنصب اضمارا على شريطة التفسير ذرياتهم
على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل (٤) ويعقوب ﴿ الوقوف يس ○ كوفى الحكيم ○ لا لجواب القسم المرسلين ○ لا

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان كل لما جميع لدينا محضرون أى هم يوم القيامة واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين وان كل لما بالتخفيف توجيها منهم الى أن ذلك ما أدخلت عليها اللام التى تدخل جوابا لان وأن معنى الكلام وان كل لجميع لدينا محضرون وقرأ ذلك عامة قراء أهل الكوفة لما بتشديد الميم ولتشديدهم ذلك عندنا وجهان أحدهما أن يكون الكلام عندهم كان مرادا به وان كل لما جميع ثم حذفت احدى الميمات لما كثرت كما قال الشاعر

غداة طفت علماء بكر بن وائل * وعجنا صدور الخيل نحو تميم

والآخر أن يكونوا أرادوا أن تكون لما بمعنى الا مع ان خاصة فتكون نظيرة انما اذا وضعت موضع الا وقد كان بعض نحوى الكوفة يقول كأنها لم ضمت اليها ما فصارتا جميعا استثناء وخرجتا من حد الجحد وكان بعض أهل العربية يقول لا أعرف وجه لما بالتشديد * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون ﴾ يقول تعالى ذكره ودلالة لهؤلاء المشركين على قدرة الله على ما يشاء وعلى إحيائه من مات من خلقه واعادته بعد فنائه كهيئته قبل مماته إحياؤه الأرض الميتة التى لا نبت فيها ولا زرع بالغيث الذى ينزله من السماء حتى يخرج زرعها ثم إخراجه منها الحب الذى هو قوت لهم وغذاء فمنه يأكلون وقوله وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب يقول تعالى ذكره وجعلنا فى هذه الأرض التى أحييناها بعد موتها بساتين من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون يقول وأنبعنا فيها من عيون الماء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴾ يقول تعالى ذكره أنشأنا هذه الجنات فى هذه الارض ليأكل عبادى من ثمره وما عملت أيديهم يقول ليأكلوا من ثمر الجنات التى أنشأنا لهم وما عملت أيديهم مما غرسوا هم وزرعوا وما التى فى قوله وما عملته أيديهم فى موضع خفض عطفا على الثمر بمعنى ومن الذى عملت وهى فى قراءة عبد الله فيما ذكر ومما عملته بالهاء على هذا المعنى فالهاء فى قراءتنا مضمرة لأن العرب تضمرها أحيانا وتظهرها فى صلات من وما والذى ولو قيل ما بمعنى المصدر كان مذهبا فيكون معنى الكلام ومن عمل أيديهم ولو قيل انها بمعنى الجحد ولا موضع لها كان أيضا مذهبا فيكون معنى الكلام ليأكلوا من ثمره ولم تعمله أيديهم وقوله أفلا يشكرون يقول أفلا يشكر هؤلاء القوم الذين رزقناهم هذا الرزق من هذه الارض الميتة التى أحييناها لهم من رزقهم ذلك وأنعم عليهم به ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ سبحان الذى خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة للذى خلق الألوان المختلفة كلها من نبات الأرض ومن أنفسهم يقول وخلق من أولادهم ذكورا واناثا ومما لا يعلمون أيضا من الاشياء التى لم يطلعهم عليها خلق كذلك أزواجا مما يضيف اليه هؤلاء المشركون ويصفونه به من الشركاء وغير ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم ﴾

لأن الجار والمجرور خبر بعد خبر أو مفعول ثان لمعنى الفعل فى المرسلين أى أرسلت على صراط مستقيم ○ ط على القراءتين فمن نصب فمعناه نزل تنزيل أو أعنى تنزيل ومن رفع فالتقدير هذا تنزيل الرحيم ○ لا لتعلق لام كى بمعنى التنزيل والارسال غافلون ○ لا يؤمنون ○ مقمحون ○ لا يبصرون ○ لا يؤمنون ○ بالغيب ○ لانقطاع النظم مع دخول الفاء كريم ○ وآثارهم ط مبين ○ القرية ○ لأن اذ ليس ظرفا لاضرب بل التقدير واذكر اذ جاءها وجوز فى الكشاف أن يكون اذ بدلا من اصحاب القرية فلا وقف المرسلون ○ ج لاحتمال أن يكون اذ بدلا أو معمولا لعامل آخر مضمر مرسلون ○ مثلنا لا من شئ لا لاتحاد المقول فيهما تكذبون ○ لمرسلون ○ ج المبين ○ بكم ج للابتداء بما فى معنى القسم مع اتحاد المقول أليم ○ معكم ط ذكرتم ط مسرفون ○ المرسلين ○ لأن اتبعوا بدل من الأول مهتدون ○ ترجعون ○ ولا ينقذون ○ ج للابتداء بان مع تعلق اذا بما قبلها أى انى اذا اتخذت آلهة لفى ضلال مبين ○ ناسمعون ○ ط لأن التقدير فلم يسمعوا قوله فقتلوه ثم قيل له ادخل الجنة ط يعلمون ○ لا لتعلق الباء المكرمين ○ منزلين ○ خامدون ○ العباد ج لأن ما بعده يصلح استئنافا وحالا والعامل معنى فى حسرة يستهزؤن ○ لا يرجعون ○ محضرون ○ يأكلون ○ العيون ○ لا ثمر ○ ط لمن جعل ما نافية ومن جعلها موصولة لم يقف أيديهم ط يشكرون ○ لا يعلمون ○ مظلمون يقول ○ ط لها ط العليم ○ لا لمن قرأ والقمر بالرفع بالعطف على الليل ومن قرأ بالنصب وقف مطلقا القديم ○ النهار ط يسبحون ○

المشحون ٥ لا يركبون ٥ ينقذون ٥ لا حين ٥ ﴿ التفسير الكلام الكلى فى فواتح السور قدم فى أول البقرة وغيرها والذى يختص بالمقام هنا قيل ان معناه يا سيد أو يا أنيسين فاقتصر على البعض رواه جار الله عن ابن عباس (٥) ولا يخفى أن النداء على هذا يكون لمحمد صلى الله عليه وسلم يؤيده قوله (انك لمن المرسلين) وكثيرا ما يستعمل القسم بعد إفحام الخصم الألد كيلا يقول انك قد أفحمت بقوة جدالك وأنت فى نفسك خبير بضعف مقالك وأيضا الابتداء بصورة اليمين يدل على أن المقسم عليه أمر عظيم والأمر العظيم تتوفر الدواعى على الاصغاء اليه وكانت العرب يتحرزون من الأيمان الفاجرة ويقولون انها تدع الديار بلاقع وكان من المعلوم أن النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه يعظمون القرآن غاية التعظيم وكان اليمين به موقوفا عليه عند الكفرة وقوله (على صراط) كالتأكيد لأن المرسلين لا يكونون الا على المنهج القويم وتنكير صراط للتعظيم قيل فيه دليل على فساد قول المباحية القائلين بأن المكلف اذا صار واصلا لم يبق عليه تكليف فان المرسلين لم يستغنوا عن رعاية الشريعة فكيف غيرهم وقوله (ما أنذر آباؤهم) كقوله فى القصص لتنذر قوما ما أتاهم من نذير وقدمر أنه يشمل اليهود والنصارى لأن آباءهم الأدنين لم ينذروا بعد ما ضلوا (فهم غافلون) لهذا السبب وقد يقال ان ما مصدرية أو موصولة أى أرسلت لتنذرهم إنذار آبائهم أو ما أنذر آباؤهم فانهم فى غفلة فعلى هذا كونهم غافلين سبب باعث على الانذار وعلى الأول عدم الانذار سبب غفلتهم ثم بين أن السبب الحقيق للغفلة هو أنه تعالى جعلهم من جملة المطبوع على قلوبهم ومن زمرة أهل النار وهو قوله فيهم لأملأن جهنم منك وممن تبعك أو أراد بالقول سبق علمه فيهم وفى أمثالهم أنهم لا يؤمنون وقيل أراد أن القول بالدعوة بلغ أكثرهم ولكنهم لا يؤمنون جحودا وعنادا وذلك أن من يتوقف على استماع الدليل فى مهلة النظر يرجى منه الايمان

يقول تعالى ذكره ودليل لهم أيضا على قدرة الله على فعل كل ما شاء الليل نسلخ منه النهار يقول ننزع عنه النهار ومعنى منه فى هذا الموضع عنه كأنه قيل نسلخ عنه النهار فنأتى بالظلمة ونذهب بالنهار ومنه قوله وأتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها أى خرج منها وتركها فكذلك انسلاخ الليل من النهار وقوله فاذا هم مظلمون يقول فاذا هم قد صاروا فى ظلمة تجىء الليل وقال قتادة فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون قال يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهذا الذى قاله قتادة فى ذلك عندى من معنى سلخ النهار من الليل بعيد وذلك أن ايلاج الليل فى النهار انما هو زيادة ما نقص من ساعات هذا فى ساعات الآخر وليس السلخ من ذلك فى شئ لأن النهار يسلخ من الليل كله وكذلك الليل من النهار كله وليس يولج كل الليل فى كل النهار ولا كل النهار فى كل الليل وقوله والشمس تجرى لمستقر لها يقول تعالى ذكره والشمس تجرى لموضع قرارها بمعنى الى موضع قرارها وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر بن نوح قال ثنا الاعمش عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر الغفارى قال كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد فلما غربت الشمس قال يا أبا ذر هل تدرى أين تذهب الشمس قلت الله ورسوله أعلم قال فانها تذهب فتسجد بين يدى ربها ثم تستأذن بالرجوع فيؤذن لها وكأنها قد قيل لها ارجعى من حيث جئت فتطلع من مكانها وذلك مستقرها * وقال بعضهم فى ذلك بما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والشمس تجرى لمستقر لها قال وقت واحد لا تعدوه * وقال آخرون معنى ذلك تجرى لمجرى لها الى مقادير مواضعها بمعنى أنها تجرى الى أبعد منازلها فى الغروب ثم ترجع ولا تجاوزه قالوا وذلك أنها لا تزال تتقدم كل ليلة حتى تنتهى الى أبعد مغاربها ثم ترجع وقوله ذلك تقدير العزيز العليم يقول هذا الذى وصفنا من جرى الشمس لمستقرها تقدير العزيز فى انتقامه من أعدائه العليم بمصالح خلقه وغير ذلك من الأشياء كلها لا يخفى عليه خافية ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله والقمر قدرناه منازل فقرأه بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين والقمر رفعا عطفا بها على الشمس اذ كانت الشمس معطوفة على الليل فأتبعوا القمر أيضا الشمس فى الاعراب لأنه أيضا من الآيات كما الليل والنهار آيتان فعلى هذه القراءة تأويل الكلام وآية لهم القمر قدرناه منازل وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وبعض البصريين وعامة قراء الكوفة نصبا والقمر قدرناه بمعنى وقدرنا القمر منازل كما فعلنا ذلك بالشمس فردّوه على الهاء من الشمس فى المعنى لأن الواو التى فيها للفعل المتأخر * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فتأويل الكلام وآية لهم تقديرنا القمر منازل للنقصان بعد تناهيه وتمامه واستوائه حتى عاد كالعرجون القديم والعرجون من العذق من الموضع النابت فى النخلة الى موضع الشماريخ وانما شبهه جل ثناؤه بالعرجون القديم والقديم هو اليابس لان ذلك من العذق لا يكاد يوجد الا منقوسا منحنيا اذا قدم ويبس ولا يكاد أن

اذا بان له البرهان أما بعد البيان والوضوح فلا يكون عدم الايمان الا للكابرة وحين بين أنهم لا يؤمنون ذكر أن ذلك من الله تعالى فقال (انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا) فيكون مثلا لتصميمهم (٦) على الكفر كالطبع والختم وقيل انه اشارة الى امساكهم وأنهم لا ينفقون فى سبيل الله كما قال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك وعلى هذا يمكن أن يكون معنى قوله فهم لا يؤمنون أنهم لا يزكون كأنه عبر بالايمان عن الزكاة كما عبر به عن الصلاة فى قوله وما كان الله ليضيع ايمانكم وقيل نزلت فى بنى مخزوم وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يصلى ليرضخن رأسه فأتاه وهو يصلى ومعه حجر ليدمغه فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه عنها بجهد فرجع الى قومه فأخبرهم فقال مخزومى آخر أنا أقتله بهذا الحجر فذهب فأعمى الله بصره وأنزلت الآيتان والضمير فى قوله (فهى الى الاذقان) راجع الى الأيدى وان كانت غير مذكورة لكونها معلومة فان المغلول تكون أيديه مجموعة الى العنق ولذلك يسمى الغل جامعة أى جامعا لليد والعنق وتأنيث الجامعة مبالغة أو بتأويل الآلة وقيل واختاره فى الكشاف أنه يرجع الى الأغلال أى جعلنا فى أعناقهم أغلالا ثقالا غلاظا بحيث تبلغ الى الأذقان فلم يتمكن المغلول معها من أن يطأطئ رأسه فلا يزال مقمحا والمقمح الذى يرفع رأسه ويغض بصره ومنه أقمحت السويق أى سففته والكانونان يقال لهما شهرا قماح لأن الابل ترفع رؤسها عن الماء لبرده فيهما وكيف يفهم من الغل فى العنق المنع من الايمان حتى يجعل كناية فيقول المغلول الذى بلغ الغل ذقنه وبقى مقمحا رافع الرأس لا يبصر الطريق فضرب ذلك مثلا للذى يهديه النبى صلى الله عليه وسلم الى الصراط المستقيم العقلى وهو لا يبصره بنظر بصيرته ويمكن أن يجعل قال كناية عن عدم التصديق بتحريك الرأس ويقال بعير قامح اذا رفع رأسه فلم يشرب الماء والايمان كالماء الزلال الذى به الحياة ثم ضرب

يصاب مستويا معتدلا كأغصان سائر الأشجار وفروعها فكذلك القمر اذا كان فى آخر الشهر قبل استسراره صار فى انحنائه وتقوسه نظير ذلك العرجون ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله حتى عاد كالعرجون القديم يقول أصل العذق العتيق حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى عاد كالعرجون القديم يعنى بالعرجون العذق اليابس حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم قال كعذق النخلة اذا قدم فانحنى حدثنى أحمد بن ابراهيم الدورقى قال ثنا أبو يزيد الخزاز يعنى خالد بن حيان الرقى عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصم فى قوله حتى عاد كالعرجون القديم قال عذق النخلة اذا قدم انحنى حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عيسى بن عبيد عن عكرمة فى قوله كالعرجون القديم قال النخلة القديمة حدثنى محمد بن عمارة الأسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد كالعرجون القديم قال العذق اليابس حدثنى محمد بن عمر بن على المقدمى وابن سنان القزاز قالا ثنا أبو عاصم والمقدمى قال سمعت أبا عاصم يقول سمعت سليمان التيمى فى قوله حتى عاد كالعرجون القديم قال العذق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى عاد كالعرجون القديم قال قدره الله منازل فجعل ينقص حتى كان مثل عذق النخلة شبهه بعذق النخلة وقوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر يقول تعالى ذكره لا الشمس يصلح لها ادراك القمر فيذهب ضوءها بضوئه فتكون الأوقات كلها نهارا لا ليل فيها ولا الليل سابق النهار يقول تعالى ذكره ولا الليل بفائت النهار حتى تذهب ظلمته بضيائه فتكون الأوقات كلها ليلا ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى ألفاظهم فى تأويل ذلك الا أن معانى عامتهم الذى قلناه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر قال لا يشبه ضوءها ضوء الآخر لا ينبغى لها ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر قال لا يشبه ضوء أحدهما ضوء الآخر ولا ينبغى ذلك لهما وفى قوله ولا الليل سابق النهار قال يتطالبان حثيثين ينسلخ أحدهما من الآخر حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا الأشجعى عن سفيان عن اسمعيل عن أبى صالح لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار قال لا يدرك هذا ضوء هذا ولا هذا ضوء هذا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر وهذا فى ضوء القمر وضوء الشمس اذا طلعت الشمس لم يكن للقمر ضوء واذا طلع القمر بضوئه لم يكن للشمس ضوء ولا الليل سابق النهار قال فى قضاء الله وعلمه أن لا يفوت الليل النهار حتى يدركه فيذهب ظلمته وفى قضاء الله أن لا يفوت النهار الليل حتى يدركه فيذهب بضوئه حدثنا بشر

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ولكل حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه اذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا واذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار يقول اذا اجتمعا في السماء كان أحدهما بين يدي الآخر فاذا غاب أحدهما بين يدي الآخر وأن من قوله أن تدرك في موضع رفع بقوله ينبغي وقوله وكل في فلك يسبحون يقول وكل ما ذكرنا من الشمس والقمر والليل والنهار في فلك يجرون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله العجلي قال ثنا شعبة عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وكل في فلك يسبحون قال في فلك كفلك المغزل حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال مجرى كل واحد منهما يعني الليل والنهار في فلك يسبحون يجرون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكل في فلك يسبحون أي في فلك السماء يسبحون حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وكل في فلك يسبحون دورانا يقول دورانا يسبحون يقول يجرون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وكل في فلك يسبحون يعني كل في فلك في السموات ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون الا رحمة منا ومتاعا الى حين﴾ يقول تعالى ذكره ودليل لهم أيضا وعلامة على قدرتنا على كل ما نشاء حملنا ذريتهم يعني من نجا من ولد آدم في سفينة نوح وإياها عنى جل ثناؤه بالفلك المشحون والفلك هي السفينة والمشحون المملوء الموقر وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون يقول المتملئ حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله في الفلك المشحون يعني المثقل حدثني سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد الفلك المشحون قال الموقر حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا يونس عن الحسن في قوله المشحون قال (٣) المحمول حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون يعني سفينة نوح عليه السلام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون الموقر يعني سفينة نوح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله الفلك المشحون قال الفلك المشحون المركب الذي كان فيه نوح والذرية

أشارة الى عدم العلوم النظرية ومن خلف اشارة الى عدم فطنتهم الغريزية أو الأول اشارة الى الغفلة عن أحوال المعاد والثاني اشارة الى الغفلة عن المبدا وفيه أن السالك اذا انسد عليه الطريق من قدامه ومن خلفه والموضع الذي هو فيه لا يكون موضع إقامة فانه يهلك لا محالة ثم زاد في التأكيد بقوله (فأغشيناهم) أي جعلنا بعد ذلك كله على أبصارهم غشاوة (فهم لا يبصرون) شيئا أصلا ويحتمل أن يكون الاغشاء اشارة الى أن السد قريب منهم بحيث يصير ذلك كالغشاوة فان القرب القريب مانع من الرؤية فلا يرون السد ولا غيره فلذلك قال فهم لا يبصرون وعلى هذا يكون ذكر السد من خلف تأكيدا على تأكيد فان الذي جعل بين يديه ومن خلفه سد ان ملتزقان لا يمكنه التحرك يمنة ويسرة ولا النظر الى السد ولا الى غيره ويمكن أن يقال فائدته تعميم المنع من انتهاج المسالك المستقيمة لأنهم ان قصدوا السلوك الى جانب اليمين أو الى جانب الشمال صاروا متوجهين الى شئ ومولين عن شئ وهكذا ان فرض رجوع قهقرى فان المشي من هاتين الجهتين عادة ثم صرح بالمقصود معطوفا على المذكورات قائلا (وسواء عليهم) الآية وقد مر اعرابه وسائر ما يتعلق بتفسيره في أول البقرة ولا يخفى أن الانذار وعدمه بالنسبة الى النبي صلى الله عليه وسلم غير مستويين وانما الانذار سبب لزيادة سيادته وسعادته عاجلا وآجلا

ثم بين بقوله (انما تنذر) أن عدم فائدة الانذار انما هو بالاضافة الى المطبوع على قلوبهم الذين تقدم شرح حالهم وبيان أمثالهم لا الى المنتفعين به والذكر القرآن أو ما فيه من المواعظ والحكم والدلائل وفي ذكر الخشية مع تعقيبه باسم الرحمن اشارة الى أن قهره مقرون بلطفه يعني مع كونه

ذاهبة لا تقطعوا رجاءكم والغيب ما غاب عنا من أحوال القيامة وغيرها وقيل أى بالدليل وان لم يبلغه الى العيان فعند الانتهاء الى ذلك لم يبق للخشية فائدة ومعنى الفاء فى (فبشره) ( ٨ ) أنك كما أنذرت وخوفت فبشر بمغفرة واسعة وأجر كريم لا يكتنه كنهه فكأن المغفرة بازاء الايمان والأجر الكريم للعمل الصالح أو الاول لاتباع الذكر والثانى للخشية وحين فرغ من بيان الرسالة شرع فى أصل الحشر فقال (انا نحن نحيى الموتى) على أن البشارة بالمغفرة والأجر لا يتم الا بعد ثبوت الاعادة وهكذا خشية الرحمن بالغيب تناسب ذكر إحياء الاموات والظاهر أن قوله نحن ضمير الفصل ويجوز ان يكون مبتدأ والفعل خبره والجملة خبر إن ويجوز أن يكون نحن خبر إن كقول القائل عند الافتخار بالشهرة انا انا كأن الله تعالى قال نحن نحن معروفون بأوصاف الكمال واذا عرفنا أنفسنا فلا ننكر قدرتنا على إحياء الموتى وفى هذا التركيب أيضا اشارة الى التوحيد أى ليس غيرنا أحد يشاركنا حتى نقول انا كذا فنمتاز ثم أشار الى العلم التام الذى يتوقف عليه المجازاة فقال (ونكتب ما قدموا) أى أسلفوا من الأعمال صالحة كانت أو فاسدة وقيل أراد ما قدموا وأخروا فاكتفى بأحدهما كقوله سرابيل تقيكم الحر والصحيح أنه لا حاجة الى هذا التقدير لأن قوله (وآثارهم) يدل عليه والمراد بها ما هلكوا عليه من أثر حسن كعلم علموه أو كتاب صنفوه أو بقعة خير عمروها أو أثر سيئ كبدعة وظلامة وآلات ملاه وقيل هى آثار المشائين الى المساجد عن جابر أردنا النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم دياركم فانما تكتب آثاركم وعن عمر ابن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيأ لأغفل هذه الآثار التى تعفيها الرياح أى تمحوها وقيل أراد ونكتب ما قدموا من نياتهم فانها قبل الأعمال وآثارهم وقوله أى أعمالهم * سؤال كيف قدم احياء الموتى على الكتابة ولم يقل نكتب ما قدموا ونحييهم لأجل الجزاء * الجواب لأن الكتابة ليست

---

التى كانت فى ذلك المركب قال والمشحون الذى قد شحن الذى قد جعل فيه ليركبه أهله جعلوا فيه ما يريدون فربما امتلأ وربما لم يمتلئ حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أتدرون ما الفلك المشحون قلنا لا قال هو الموقر حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملى قال ثنا هرون عن جويبر عن الضحاك فى قوله الفلك المشحون قال الموقر وقوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يقول تعالى ذكره وخلقنا لهؤلاء المشركين المكذبيك يا محمد تفضلا منا عليهم من مثل ذلك الفلك الذى كما حملنا من ذرية آدم من حملنا فيه الذى يركبونه من المراكب ثم اختلف أهل التأويل فى الذى عنى بقوله ما يركبون فقال بعضهم هى السفن ذكر من قال ذلك حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تدرون ما وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قلنا لا قال هى السفن جعلت من بعد سفينة نوح على مثلها حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك فى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال السفن الصغار * قال ثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك فى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال السفن الصغار ألا ترى أنه قال وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن فى هذه الآية وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال السفن الصغار حدثنا حاتم بن بكر الضبى قال ثنا عثمان بن عمر عن شعبة عن اسمعيل عن أبى صالح وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال السفن الصغار حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يعنى السفن التى اتخذت بعدها يعنى بعد سفينة نوح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال هى السفن التى ينتفع بها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال وهى هذه الفلك حدثنى يونس قال ثنا محمد بن عبيد عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال نعم من مثل سفينة * وقال آخرون بل عنى بذلك الابل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون يعنى الابل خلقها الله كما رأيت فهى سفن البر يحملون عليها ويركبونها حدثنا نصر بن على قال ثنا غندر عن عثمان بن غياث عن عكرمة وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال الابل حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى قال قال عبد الله بن شداد وخلقنا لهم من مثله ما يركبون هى الابل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وخلقنا لهم من مثله ما يركبون قال من الأنعام حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن هى الابل وأشبه القولين بتأويل ذلك قول من قال عنى بذلك السفن وذلك لدلالة قوله وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم على أن ذلك كذلك وذلك أن الغرق معلوم أنه لا يكون الا فى الماء ولا غرق فى البر

مقصودة بالذات وانما المقصود الأصلي هو الاحياء للجزاء ولو لم يكن احياء وإعادة لم يكن للكتابة أثر وأيضا قوله انا نحن دال على العظمة والجبروت والاحياء أمر عظيم لا يقدر عليه أحد الا الله سبحانه بخلاف الكتابة (٩) فقدم الأمر العظيم ليناسب اللفظ الدال على العظمة وأيضا أراد أن يرتب على كتابة الأعمال قوله (وكل شئ أحصيناه) ومعناه أن قبل هذه الكتابة كتابة أخرى فان الله كتب عليهم أنهم سيفعلون كذا ثم اذا فعلوا كتب عليهم أنهم فعلوه وفيه بيان أن الكتابة مقرونة بالحفظ والاحصاء فرب مكتوب غير محفوظ ولا مضبوط وفيه تعميم بعد تخصيص كأنه قال ليست الكتابة مختصة بأفعالهم وانما هي لكل شئ والامام اللوح لأن الملائكة يتبعون ما كتب فيه من أجل ورزق وإماتة وإحياء والمبين هو المظهر للأمور والفارق بين أحوال الخلق وحيث بين أن الانذار لا ينفع من أضله الله وكتب عليه أنه لا يؤمن قال لنبيه صلى الله عليه وسلم لا تأس (واضرب) لنفسك ولقومك (مثلا) مثل (أصحاب القرية) وهي انطاكية الروم والمرسلون رسل عيسى عليه السلام الى أهلها وفي قوله (اذ أرسلنا) دلالة على أن رسول الرسول رسول وانه يؤيد مسئلة فقهية وهي أن وكيل الوكيل باذن الموكل وكيل الموكل حتى لا ينعزل بعزل الوكيل اياه وينعزل اذا عزله الموكل الأول وكأنه أرسل اثنين ليكون قولهما على قومهما عند عيسى حجة تامة وكان رسولنا صلى الله عليه وسلم يكتفي بواحد في الأغلب كما ذوغيره فمن هنا يعلم ترجيح هذه الأمة وأما القصة فان عيسى عليه السلام أرسل اليهم اثنين فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنما واسمه حبيب

---

وقوله وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم يقول تعالى ذكره وان نشأ نغرق هؤلاء المشركين اذا ركبوا الفلك في البحر فلا صريخ لهم يقول فلا مغيث لهم اذا نحن غرقناهم يغيثهم فينجيهم من الغرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم أي لا مغيث وقوله ولا هم ينقذون يقول ولا هو ينقذهم من الغرق شئ ان نحن أغرقناهم في البحر الا أن ننقذهم نحن رحمة منا لهم فننجيهم منه وقوله ومتاعا الى حين يقول ولتمتعهم الى أجل هم بالغوه فكأنه قال ولا هم ينقذون الا أن نرحمهم فنمتعهم الى أجل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومتاعا الى حين أي الى الموت ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء المشركين بالله المكذبين رسوله محمد صلى الله عليه وسلم احذروا ما مضى بين أيديكم من نقم الله ومثلاته بمن حل ذلك به من الامم قبلكم أن يحل مثله بكم بشرككم وتكذيبكم رسوله وما خلفكم يقول وما بعد هلاككم مما أنتم لاقوه ان هلكتم على كفركم الذي أنتم عليه لعلكم ترحمون يقول ليرحمكم ربكم ان أنتم حذرتم ذلك واتقيتموه بالتوبة من شرككم والايمان به ولزوم طاعته فيما أوجب عليكم من فرائضه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وقائع الله فيمن خلا قبلهم من الامم وما خلفهم من أمر الساعة * وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ما بين أيديكم قال ما مضى من ذنوبهم وهذا القول قريب المعنى من القول الذي قلنا لأن معناه اتقوا عقوبة ما بين أيديكم من ذنوبكم وما خلفكم مما تعملون من الذنوب ولم تعملوه بعد فذلك بعد تخويف لهم العقاب على كفرهم وقوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين يقول تعالى ذكره وما تجيء هؤلاء المشركين من قريش آية يعني حجة من حجج الله وعلامة من علاماته على حقيقة توحيده وتصديق رسوله الا كانوا عنها معرضين لا يتفكرون فيها ولا يتدبرونها فيعلموا بها ما احتج الله عليهم بها فان قال قائل وأين جواب قوله واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم قيل جوابه وجواب قوله وما تأتيهم من آية من آيات ربهم قوله الا كانوا عنها معرضين لأن الاعراض منهم كان عن كل آية لله فاكتفى بالجواب عن قوله اتقوا ما بين أيديكم وعن قوله وما تأتيهم من آية بالخبر عن اعراضهم عنها لذلك لأن معنى الكلام واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم أعرضوا واذا أتتهم آية أعرضوا ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا في ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره واذا قيل لهؤلاء المشركين بالله أنفقوا من رزق الله الذي رزقكم فأدوا منه ما فرض الله عليكم فيه لأهل حاجتكم ومسكنتكم قال الذين أنكروا وحدانية الله وعبدوا من دونه للذين آمنوا بالله ورسوله أنطعم أموالنا وطعامنا من لو يشاء الله أطعمه وفي قوله ان أنتم الا في ضلال مبين وجهان أحدهما

---

(٣ - ابن جرير - الثالث والعشرون) النجار فسألهما فأخبراه فقال ما آيتكما قالا نشفي المريض ونبرئ الأكمه والأبرص وكان له ولد مريض من سنتين فمسحاه فبرأ فآمن حبيب وفشا الخبر فشفى على أيديهما خلق كثير ورفع خبرهما الى الملك فأحضرا فلما سمع قولهما

قال ألنا اله سوى آلهتنا قالا لا نعم من أوجدك وآلهتك فحبسهما حتى ينظر فى أمرهما فبعث عيسى شمعون وذلك قوله سبحانه (فعززنا بثالث)
من قرأ بالتشديد فمعناه فقوينا الرسولين  ومن قرأ بالتخفيف فمن العزة أى فغلبنا وقهرنا أهل القرية وانما ترك ذكر المفعول به
لأن الغرض ذكر الثالث فالعناية بذكره أهم وأتم نظيره قولك حكم السلطان اليوم بالحق الغرض الذى سيق له الكلام قولك بالحق فلذلك تركت ذكر المحكوم له والمحكوم عليه وأما باقى القصة فان شمعون دخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى استأنسوا به ورفعوا خبره الى الملك فأنس به فقال له ذات يوم بلغنى أنك حبست رجلين فهل سمعت ما يقولا نه قال لا حال الغضب بينى وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من أرسلكما قال الله الذى خلق كل شئ وليس له شريك يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال وما آيتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس فدعوا الله حتى انشق له بصر وأخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فكانتا تمانين ينظر بهما فقال شمعون يا أيها الملك ان شئت أن تغلبهما فقل لآلهتك حتى تصنع مثل هذا فقال الملك أنت لا يخفى عليك أنها لا تسمع ولا تبصر ولا تقدر ولا تعلم وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلى ويتضرع ويحسبون أنه منهم فقال شمعون فالحق اذا معهم فآمن الملك وبعض حاشيته وبقى آخرون على الكفر فأهلكوا بالصيحة قال أهل البيان يجب زيادة المؤكدات فى الجملة الخبرية بحسب تزايد الانكار من السامع فلهذا قال الرسل أولا انا اليكم مرسلون مقتصرين على ان وثانيا (ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون) مجموعا بين ان واللام وما يجرى مجرى القسم ولا يخفى أن اليمين بعد اظهار البينة والحاكم الخصم مؤكد قوى كما مر فى أول السورة وفى قولهم (وما علينا الا البلاغ المبين) ما
تسلية لأنفسهم أى نحن خرجنا من عهدة ما علينا ولم يبق الا التفكر منكم والتذكر وحيث أكد الرسل قولهم باليمين أكد الكفار قولهم بالتطير

أن يكون من قبل الكفار للمؤمنين فيكون تأويل الكلام حينئذ ما أنتم أيها القوم فى قيلكم لنا أنفقوا مما رزقكم الله على مساكينكم الا فى ذهاب عن الحق وجور عن الرشد مبين لمن تأمله وتدبره أنه فى ضلال وهذا هو أولى وجهيه بتأويله والوجه الآخر أن يكون ذلك من قيل الله للمشركين فيكون تأويله حينئذ ما أنتم أيها الكافرون فى قيلكم للمؤمنين أنطعم من لو يشاء الله أطعمه الا فى ضلال مبين عن أن قيلكم ذلك لهم ضلال ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المشركون المكذبون وعيد الله والبعث بعد الممات يستعجلون ربهم بالعذاب متى هذا الوعد أى الوعد بقيام الساعة ان كنتم صادقين أيها القوم وهذا قولهم لأهل الايمان بالله ورسوله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره ما ينتظر هؤلاء المشركون الذين يستعجلون بوعيد الله اياهم الا صيحة واحدة تأخذهم وذلك نفخة الفزع عند قيام الساعة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وجاءت الآثار ذكر من قال ذلك وما فيه من الأثر حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى ومحمد بن جعفر قالا ثنا عوف بن أبى جميلة عن أبى المغيرة القواس عن عبد الله بن عمرو قال لينفخن فى الصور والناس فى طرقهم وأسواقهم ومجالسهم حتى ان الثوب ليكون بين الرجلين يتساومان فما يرسله أحدهما من يده حتى ينفخ فى الصور وحتى ان الرجل ليغدو من بيته فلا يرجع حتى ينفخ فى الصور وهى التى قال الله ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون ذكر لنا أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول تهيج الساعة بالناس والرجل يسقى ماشيته والرجل يصلح حوضه والرجل يقيم سلعته فى سوقه والرجل يخفض ميزانه ويرفعه وتهيج بهم وهم كذلك فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما ينظرون الا صيحة واحدة قال النفخة نفخة واحدة حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن رافع عمن ذكره عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال وكيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الأرض الا من شاء الله ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر وهى التى يقول الله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق ثم يأمر الله اسرافيل بنفخة الصعق فيقول انفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والارض الا من شاء الله فاذا هم خامدون ثم يميت من بقى فاذا لم يبق الا الله الواحد الصمد بدل الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويسطحها ويمدها مد الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ثم يزجر الله الخلق زجرة فاذا هم فى هذه المبدلة فى مثل مواضعهم من الاولى

فمن عادة الجهال أن يتيمنوا بكل ما يوافق طباعهم وهواهم ويتشاءموا بما كرهوه وكأنهم قالوا فى الاول كنتم كاذبين وفى الثانى صرتم مصرين على الكذب حالفين بالأيمان الكاذبة التى تدع الديار بلاقع فتشاءمنا بكم ولا نتركم  (لئن لم تنتهوا لنرجمنكم) بالقول أو بالحجارة (وليمسنكم) بعد ذلك أو بسبب الرجم بالحجارة المتوانية الى الموت (عذاب أليم) قالوا طائركم أى سبب شؤمكم (معكم) وهو كفركم ومعاصيكم (أئن ذكرتم) يعنى أتطيرون ان ذكرتم ومن قرأ أين على وزن كيف ذكرتم بالتخفيف فالمراد شؤمكم معكم حيث جرى ذكركم فضلا عن المكان الذى حللتم فيه ثم ان الرسل كأنهم قالوا لهم أنحن كاذبون أم نحن مشؤمون (بل أنتم قوم مسرفون) فى عصيانكم أو ضلالكم فمن ثم أتاكم الشؤم أو تشاءمتم بمن يجب التبرك بهم وقصدتموهم بالسوء (وجاء من أقصى المدينة رجل) هو حبيب النجار الذى مر ذكره نصح قومه فقتلوه وقبره فى سوق انطاكية وقيل كان فى غار يعبد الله عز وجل فلما بلغه خبر الرسل أتاهم وأظهر دينه وقاول الكفرة فوثبوا عليه فقتلوه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين على بن أبى طالب رضى الله عنه وصاحب ياسين ومؤمن آل فرعون ومن هنا قالوا انه آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل ولادته وذلك أنه سمع نعته من الكتب والعلماء وتنكير رجل للتعظيم أى رجل كامل فى الرجولية أو ليفيد ظهور الحق من جانب المرسلين حيث آمن بهم رجل من الرجال لا معرفة لهم به وكان بعيدا من التواطؤ وقوله (من أقصى المدينة) أيضا يفيد مثل هذا أو أنهم ما قصروا فى التبليغ والانذار حتى بلغ خبرهم القاصى والدانى والسعى بمعنى المشى أو بمعنى القيام فى المهام أى يهتم بشأن المؤمنين ويسعى فى نصرتهم وهدايتهم ونصحهم ثم حثهم على اتباع الرسل ولم يقل اتبعونى كما قال مؤمن آل فرعون اتبعون أهدكم سبيل الرشاد لأنه جاءهم فنصحهم فى أول مجيئه ومارأوا سيرته بعد فقال اتبعوا

---

ما كان فى بطنها كان فى بطنها وما كان على ظهرها كان على ظهرها * واختلفت القراء فى قراءة قوله وهم يخصمون فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وهم يخصمون بسكون الخاء وتشديد الصاد بجمع بين الساكنين بمعنى يختصمون ثم أدغم التاء فى الصاد فجعلها صادا مشددة وترك الخاء على سكونها فى الأصل وقرأ ذلك بعض المكيين والبصريين وهم يخصمون بفتح الخاء وتشديد الصاد بمعنى يختصمون غير أنهم نقلوا حركة التاء وهى الفتحة التى فى يفتعلون الى الخاء منها فحركوها بتحريكها وأدغموا التاء فى الصاد وشددوها وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة يخصمون بكسر الخاء وتشديد الصاد فكسروا الخاء بكسر الصاد وأدغموا التاء فى الصاد وشددوها وقرأ ذلك آخرون منهم يخصمون بسكون الخاء وتخفيف الصاد بمعنى يفعلون من الخصومة وكأن معنى قارئ ذلك كذلك كأنهم يتكلمون أو يكون معناه عنده كان وهم عند أنفسهم يخصمون من وعدهم مجىء الساعة وقيام القيامة ويغلبونه بالجدل فى ذلك * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن هذه قراآت مشهورات معروفات فى قراء الامصار متقاربات المعانى فبأيتهن قرأ القارئ فمصيب وقوله فلا يستطيعون توصية يقول تعالى ذكره فلا يستطيع هؤلاء المشركون عند النفخ فى الصور أن يوصوا فى أموالهم أحدا ولا الى أهلهم يرجعون يقول ولا يستطيع من كان منهم خارجا عن أهله أن يرجع اليهم لأنهم لا يمهلون بذلك ولكن يعجلون بالهلاك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا يستطيعون توصية أى فيما فى أيديهم ولا الى أهلهم يرجعون قال أعجلوا عن ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة الآية قال هذا مبتدأ يوم القيامة وقرأ فلا يستطيعون توصية حتى بلغ الى ربهم ينسلون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون﴾ يقول تعالى ذكره ونفخ فى الصور وقد ذكرنا اختلاف المختلفين والصواب من القول فيه بشواهده فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع ويعنى بهذه النفخة نفخة البعث وقوله فاذا هم من الأجداث يعنى من أجداثهم وهى قبورهم واحدها جدث وفيها لغتان فأما أهل العالية فتقوله بالثاء جدث وأما أهل السافلة فتقوله بالفاء جدف وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله من الأجداث الى ربهم ينسلون يقول من القبور حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا هم من الأجداث أى من القبور وقوله الى ربهم ينسلون يقول الى ربهم يخرجون سراعا والنسلان الاسراع فى المشى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ينسلون يقول يخرجون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الى ربهم ينسلون أى يخرجون وقوله قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يقول تعالى ذكره قال هؤلاء المشركون لما نفخ فى الصور نفخة البعث لموقف القيامة فردت أرواحهم الى أجسامهم وذلك بعد نومة ناموها يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا وقد قيل

هؤلاء الذين أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لأجلكم السبيل فقوله (اتبعوا) نصيحة وقوله (المرسلين) اظهار للايمان وقدم النصيحة اظهارا للشفقة وقد روى أنه كان يقتل ويقول (١٣) اللهم اهد قومي ثم أكد وجوب الاتباع بأنهم في أنفسهم مهتدون ولا يتوقعون أجرا في الدلالة ووجوب اتباع مثل هذا الدليل للذي ضل عن سواء السبيل مركوز في العقول ثم أبرز الكلام في معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحة قومه قال الحكيم الذي فطرني اشارة الى وجود المقتضي وقوله (ومالي) اشارة الى عدم المانع من جانبه فان كل امرئ هو أعلم بحال نفسه والمقتضي وان كان مقدما في الوضع والطبع على المانع الا أن المقتضى ههنا لظهوره كان مستغنيا عن البيان رأسا فقدم عدم المانع لأجل البيان ولهذا لم يقل ومالكم لا تعبدون كيلا يذهب الوهم الى أنه لعله يطلب العلة والبيان وانما ورد في سورة نوح مالكم لا ترجون لله وقارا لأن القائل هناك داع لا مدعو فكأن الرجل قال مالي لا أعبد وقد طلب مني ذلك وفي قوله (واليه ترجعون) بيان الخوف والرجاء ولهذا لم يقل واليه أرجع كأنه جعل نفسه ممن يعبد الله لذاته لا لرغبة أو رهبة ثم أراد كمال التوحيد فقال (أأتخذ من دونه آلهة) فقوله مالي لا أعبد الذي فطرني فيه اقرار بوجود الصانع الفاطر وقوله أأتخذ على سبيل الانكار نفي لغيره ممن يسمى الها وبهما يتم معنى لا اله الا الله ثم عرض على عقولهم جهل عابدي الأصنام أنهم لا يقدرون على دفع ضر ولا على ايصال نفع وقد رتب الكلام فيه على ترتيب ما يقع بين العقلاء فان الذي يريد أن يدفع الضر عن شخص يقدم على الشفاعة له فان قبلت والا أنقذه أي خلصه بوجه من الوجوه قال بعض المفسرين لما أقبل القوم عليه يريدون قتله أقبل هو على المرسلين قال (اني آمنت بربكم) جزاء فاسمعوا قولي لتشهدوا لي وانما قال بربكم ولم يقل بربي ليتعين أنه آمن بالرب الذي دعوه اليه وقال أكثرهم الخطاب للكفار وعلى هذا

---

إن ذلك نومة بين النفختين ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن منصور عن خيثمة عن الحسن عن أبي ابن كعب في قوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال ناموا نومة قبل البعث حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن رجل يقال له خيثمة في قوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا قال ينامون نومة قبل البعث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا قول أهل الضلالة والرقدة ما بين النفختين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا قال الكافرون يقولونه ويعني بقوله من مرقدنا هذا من أيقظنا من منامنا وهو من قولهم بعث فلان ناقته فانبعثت اذا أثارها فثارت وقد ذكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود من أهبنا من مرقدنا هذا وفي قوله هذا وجهان أحدهما أن تكون اشارة الى ما ويكون ذلك كلاما مبتدأ بعد تناهي الخبر الأول بقوله من بعثنا من مرقدنا فتكون ما حينئذ مرفوعة بهذا ويكون معنى الكلام هذا وعد الرحمن وصدق المرسلون والوجه الآخر أن تكون من صفة المرقد وتكون خفضا ردا على المرقد وعندها تمام الخبر عن الأول فيكون معنى الكلام من بعثنا من مرقدنا هذا ثم يبتدئ الكلام فيقال ما وعد الرحمن بمعنى بعثكم وعد الرحمن فتكون ما حينئذ رفعا على هذا المعنى وقد اختلف أهل التأويل في الذي يقول حينئذ هذا ما وعد الرحمن فقال بعضهم يقول ذلك أهل الايمان بالله ذكر من قال ذلك حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد هذا ما وعد الرحمن مما سر المؤمنون يقولون هذا حين البعث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون قال قال أهل الهدى هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون * وقال آخرون بل كلا القولين أعني يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون من قول الكفار ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ثم قال بعضهم لبعض هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون كانوا أخبرونا أنا نبعث بعد الموت ونحاسب ونجازى والقول الأول أشبه بظاهر التنزيل وهو أن يكون من كلام المؤمنين لأن الكفار في قيلهم من بعثنا من مرقدنا دليل على أنهم كانوا بمن بعثهم من مرقدهم جهالا ولذلك من جهلهم استثبتوا ومحال أن يكونوا استثبتوا ذلك الا من غيرهم ممن خالفت صفته صفتهم في ذلك وقوله ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون يقول تعالى ذكره ان كانت اعادتهم أحياء بعد مماتهم الا صيحة واحدة وهي النفخة الثالثة في الصور فاذا هم جميع لدينا محضرون يقول فاذا هم مجتمعون لدينا قد أحضروا فأشهدوا موقف العرض والحساب لم يتخلف عنه منهم أحد وقد بينا اختلاف المختلفين في قراءتهم الا صيحة بالنصب والرفع فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاليوم لا تظلم نفس شيأ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ يقول تعالى ذكره فاليوم يعني يوم القيامة لا تظلم نفس شيأ كذلك ربنا لا يظلم نفسا شيأ فلا يوفيها

جزاء عملها الصالح ولا يحمل عليها وزر غيرها ولكنه يوفى كل نفس أجر ما عملت من صالح ولا يعاقبها الا بما اجترمت واكتسبت من شئ ولا تجزون الا ما كنتم تعملون يقول ولا تكافؤن الا مكافأة أعمالكم التى كنتم تعملونها فى الدنيا وقوله ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون اختلف أهل التأويل فى معنى الشغل الذى وصف الله جل ثناؤه أصحاب الجنة أنهم فيه يوم القيامة فقال بعضهم ذلك افتضاض العذارى ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن مسعود فى قوله ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون قال شغلهم افتضاض العذارى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه عن أبى عمرو عن عكرمة عن ابن عباس ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون قال افتضاض الابكار حدثنى عبيد بن أسباط بن محمد قال ثنا أبى عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون قال افتضاض الابكار حدثنى الحسن ابن زريق الطهوى قال ثنا أسباط بن محمد عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا الحسين بن على الصدائى قال ثنا أبو النضر عن الأشجعى عن وائل بن داود عن سعيد بن المسيب فى قوله ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون قال فى افتضاض العذارى * وقال آخرون بل عنى بذلك أنهم فى نعمة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل قال فى نعمة حدثنا عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان عن جويبر عن أبى سهل عن الحسن فى قول الله ان أصحاب الجنة الآية قال شغلهم النعيم عما فيه أهل النار من العذاب * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم فى شغل عما فيه أهل النار ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن على الجهضمى قال ثنا أبى عن شعبة عن أبان بن تغلب عن اسمعيل ابن أبى خالد ان أصحاب الجنة الآية قال فى شغل عما يلقى أهل النار * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال كما قال الله جل ثناؤه ان أصحاب الجنة وهم أهلها فى شغل فاكهون بنعيم تاتيهم فى شغل وذلك الشغل الذى هم فيه نعمة وافتضاض أبكار ولهو ولذة وشغل عما يلقى أهل النار وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله فى شغل فقرأت ذلك عامة قراء المدينة وبعض البصريين على اختلاف عنه فى شغل بضم الشين وتسكين الغين وقد روى عن أبى عمرو الضم فى الشين والتسكين فى الغين والفتح فى الشين والغين جميعا فى شغل وقرأ ذلك بعض أهل المدينة والبصرة وعامة قراء أهل الكوفة فى شغل بضم الشين والغين * والصواب فى ذلك عندى قراءته بضم الشين والغين أو بضم الشين وسكون الغين بأى ذلك قرأه القارئ فهو مصيب لأن ذلك هو القراءة المعروفة فى قراء الأمصار مع تقارب معنييهما وأما قراءته بفتح الشين والغين فغير جائزة عندى لاجماع الحجة من القراء على خلافها واختلفوا أيضا فى قراءة قوله فاكهون فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار فاكهون بالألف وذكر عن أبى جعفر القارئ أنه كان يقرؤه فكهون بغير ألف * والصواب من القراءة فى ذلك عندى قراءة من قرأه بالألف لأن ذلك هو القراءة المعروفة واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه فرحون ذكر من قال ذلك

مهجته فقيل قيل ادخل الجنة والقائل هو الله سبحانه أو الملائكة بأمره قال جار الله ليذكر المقول له لانصباب الغرض الى المقول وعظم شأنه ولأنه معلوم ثم كأن سائلا آخر سأل أى شئ تمنى فى الجنة فقيل (قال ياليت قومى يعلمون) وانما تمنى علم قومه بحاله ليصير ذلك سببا لهم فى التوبة والايمان ليفوز وا بما فاز ويؤيده ماروى فى حديث مرفوع أنه نصح قومه حيا وميتا ويجوز أن يكون سبب التمنى هو أن ينبهوا على خطئهم فى أمره وعلى صوابه فى رأيه وأن عداوتهم لم تعقبه الا سعادة وكرامة وثانيهما أن الرسل بشروه وهو حى بدخول الجنة فصدقهم وتمنى علم قومه بحاله فيؤمنوا كما آمن وما فى قوله بما غفر مصدرية أو موصولة أى بالذى غفره لى من الذنوب أو استفهامية يعنى بأى شئ غفر لى أرادما جرى بينه وبينهم من المصابرة والذب عن الدين الا أن طرح الألف أجود فقول القائل علمت بم صنعت هذا أحسن من قوله بما صنعت فقوله (غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) بازاء قوله فبشره بمغفرة وأجر كريم ثم أشار الى كيفية اهلاك قومه بعده قائلا (وما أنزلنا على قومه) قال المفسرون يجوز أن يريد بقومه الذين بقوا من أهل القرية بعد المؤمنين منهم وأن يريد به أقاربه فلعل غيرهم من قوم الرسل آمنوا فلم يصبهم العذاب ثم قال (وما كنا منزلين) أى وما كان يصح فى حكمتنا أن ننزل فى اهلاك قوم حبيب جندا من السماء ومن هنا يعلم فضل نبينا صلى الله عليه وسلم على غيره فقد أنزل الله لأجله الجنود من السماء يوم بدر والخندق وحنين وما أنزلها لغيره من نبى فضلا عن حبيب فشتان بين حبيب الجبار وبين حبيب النجار فالحاصل أنه تعالى يقول لمحمد صلى الله عليه وسلم ان انزال الجنود

من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله لغيرك فمن قرأ الاصيحة بالنصب أراد ما كانت الأخذة أو العقوبة الا بسبب صيحة
ومن قرأ بالرفع على أن كان التامة فمعناه ما وقعت  الاصيحة قال جار الله القياس والاستعمال على تذكير الفعل لأن المعنى ما وقع
شئ الا صيحة ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل قلت يجوز أن يقدر ما حدثت عقوبة وقيل ان التأنيث لتهويل الواقعة ولهذا جاءت أسماء الجنس كلها مؤنثة ووصف الصيحة بواحدة للتأكيد وقرا ابن مسعود الا زقية وهي الصيحة أيضا ومنه المثل أثقل من الزواقي والزقاء صياح الديك ونحوه وذلك لأن صياح الديكة يؤل بنزول الانس وبتبدل الفراق بالوصال ثم شبه هلاكهم بخمود النار وهو صير ورتها رمادا لأنهم كانوا كالنار الموقدة في القوة الغضبية حيث قتلوا من نصحهم وتجبروا على من أظهر المعجزة لديهم ثم بين بقوله (ياحسرة) أنهم أحقاء بأن يتحسر عليهم المتحسرون من الملائكة والثقلين أو من الله عز وجل على سبيل الاستعارة وذلك لتعظيم ما صدر من تقصيرهم وبدر من تفريطهم ثم ذكر سبب التحسر بقوله (ما يأتيهم) الآية ثم عجب من حالهم في عدم الاعتبار بأمثالهم من الامم الخالية وقوله (أنهم اليهم لا يرجعون) بدل من كم أهلكنا التقدير ألم يعلموا القرون الكثيرة المهلكة من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم والبدل بدل اشتمال لهم لأنه حال من أحوال المهلكة أي أهلكوا بحيث لا رجوع لهم اليهم والرجوع حسي وهو ظاهر أو معنوي وهو الرجوع بالنسب والولادة أي أهلكناهم وقطعنا نسلهم من قرأ ألما بالتشديد فبمعنى الا وان نافية ومن قرأ بالتخفيف فان مخففة وما صلة تقديره وإن كلهم لمحشورون مجموعون محضرون للحساب يقول
يوم القيامة قال في الكشاف كيف اخبر عن كل المجموع بجميع وأجاب بأنهما ليسا بواحد بل الكل يفيد الشمول والجميع يفيد الانضمام

حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله في شغل فاكهون يقول فرحون * وقال آخرون معناه عجبون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فاكهون قال عجبون حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فكهون قال عجبون * واختلف أهل العلم بكلام العرب في ذلك فقال بعض البصريين منهم الفكه الذي يتفكه وقال تقول العرب للرجل الذي يتفكه بالطعام أو بالفاكهة أو بأعراض الناس ان فلانا لفكه بأعراض الناس قال ومن قرأها فاكهون جعله كثير الفواكه صاحب فاكهة واستشهد لقوله ذلك ببيت الحطيئة

ودعوتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر

أي عندك لبن كثير وتمر كثير وكذلك عاسل ولاحم وشاحم وقال بعض الكوفيين ذلك بمنزلة حاذرون وحذرون وهذا القول الثاني أشبه بالكلمة * القول في تأويل قوله تعالى ﴿هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم﴾ يعني تعالى بقوله هم أصحاب الجنة وأزواجهم من أهل الجنة في الجنة كما حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله هم وأزواجهم في ظلال قال حلائلهم في ظلل * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم في ظلل بمعنى جمع ظلة كما تجمع الحلة حلال وقرأه آخرون في ظلال واذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان أحدهما أن يكون مرادا به جمع الظلل الذي هو بمعنى الكن فيكون معنى الكلمة حينئذ هم وأزواجهم في كن لا يضحون لشمس كما يضحى لها أهل الدنيا لانه لا شمس فيها والآخر أن يكون مرادا به جمع ظلة فيكون وجه جمعها كذلك نظير جمعهم الحلة في الكثرة الحلال والقلة قلال وقوله على الأرائك متكئون والارائك هي الحجال فيها السرر والفرش واحدتها أريكة وكان بعضهم يزعم أن كل فراش فأريكة ويستشهد لقوله ذلك بقول ذي الرمة كأنما * تباشر بالمعزاء مس الأرائك * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس في قوله على الارائك متكئون قال هي السرر في الحجال حدثنا هناد قال ثنا أبو الأحوص عن حصين عن مجاهد في قول الله على الأرائك متكئون قال الأرائك السرر عليها الحجال حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان قال ثنا حصين عن مجاهد في قوله متكئين على الأرائك قال الأرائك السرر في الحجال حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا حصين عن مجاهد في قوله على الأرائك قال سرر عليها الحجال حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم محمد أن عكرمة قال الأرائك السرر في الحجال حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سمعت الحسن وسأله رجل عن الأرائك قال هي الحجال أهل اليمن يقولون أريكة فلان وسمعت عكرمة وسئل عنها فقال هي الحجال على السرر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة على الأرائك متكئون قال هي الحجال فيها السرر وقوله لهم فيها فاكهة يقول لهؤلاء الذين ذكرهم تبارك وتعالى من أهل الجنة في الجنة فاكهة ولهم ما يدعون

وأن المحشر يجمعهم ويحتمل أن يقال الغرض وصف الجميع بالاحضار كقولك الرجل رجل عالم والنبي نبي مرسل ثم ذكر البرهان على الحشر وعلى التوحيد أيضا مع تعداد النعم وتذكيرها قائلا (وآية لهم الأرض الميتة) قال  المحققون انما قال لهم لأن الأرض ليست آية

يقول ولهم فيها ما يتمنون وذكر عن العرب أنها تقول ادع علي ما شئت أي تمن علي ما شئت وقوله سلام قولا من رب رحيم في رفع سلام وجهان في قول بعض نحويي الكوفة أحدهما أن يكون خبرا لما يدعون فيكون معنى الكلام ولهم ما يدعون مسلم لهم خالص واذا وجه معنى الكلام الى ذلك كان القول حينئذ منصوبا توكيدا خارجا من السلام كأنه قيل ولهم فيها ما يدعون مسلم خالص حقا كأنه قيل قاله قولا والوجه الثاني أن يكون قوله سلام مرفوعا على المدح بمعنى هو سلام لهم قولا من الله وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله سلاما قولا على أن الخبر متناه عند قوله ولهم ما يدعون ثم نصب سلاما على التوكيد بمعنى مسلما قولا وكان بعض نحويي البصرة يقول انتصب قولا على البدل من اللفظ بالفعل كأنه قال أقول ذلك قولا قال ومن نصبها نصبها على خبر المعرفة على قوله ولهم فيها ما يدعون * والذي هو أولى بالصواب على ما جاء به الخبر عن محمد بن كعب القرظي أن يكون سلام خبرا لقوله ولهم ما يدعون فيكون معنى ذلك ولهم فيها ما يدعون وذلك هو سلام من الله عليهم بمعنى تسليم من الله ويكون سلام ترجمة عما يدعون ويكون القول خارجا من قوله سلام وانما قلت ذلك أولى بالصواب لما حدثنا به ابراهيم بن سعيد الجوهري قال ثنا أبو عبد الرحمن المقرئ عن حرملة عن سليمن بن حميد قال سمعت محمد بن كعب يحدث عمر ابن عبد العزيز قال اذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار أقبل يمشي في ظلل من الغمام والملائكة فيقف على أول أهل درجة فيسلم عليهم فيردون عليه السلام وهو في القرآن سلام قولا من رب رحيم فيقول سلوا فيقولون ما نسألك وعزتك وجلالك لو أنك قسمت بيننا أرزاق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم وكسوناهم فيقول سلوا فيقولون نسألك رضاك فيقول رضائي أحلكم داري كرامتي فيفعل ذلك بأهل كل درجة حتى ينتهي قال ولو أن امرأة من الحور العين طلعت لأطفأ ضوء سواريها الشمس والقمر فكيف بالمسورة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا حرملة عن سليمن بن حميد قال سمعت محمد بن كعب القرظي يحدث عمر بن عبد العزيز قال اذا فرغ الله من أهل الجنة والنار أقبل في ظلل من الغمام والملائكة قال فيسلم على أهل الجنة فيردون عليه السلام قال القرظي وهذا في كتاب الله سلام قولا من رب رحيم فيقول سلوني فيقولون ماذا نسألك أي رب قال بل سلوني قالوا نسألك أي رب رضاك قال رضائي أحلكم داري كرامتي قالوا يا رب وما الذي نسألك فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك لو قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم ولأسقيناهم ولألبسناهم ولأخدمناهم لا ينقصنا ذلك شيأ قال ان لدي مزيدا قال فيفعل الله ذلك بهم في درجهم حتى يستوي في مجلسه قال ثم تأتيهم التحف من الله تحملها اليهم الملائكة ثم ذكر نحوه حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا أبو عبد الرحمن قال ثنا حرملة قال ثنا سليمن بن حميد أنه سمع محمد بن كعب القرظي يحدث عمر بن عبد العزيز قال اذا فرغ الله من أهل الجنة وأهل النار أقبل يمشي في ظلل من الغمام ويقف قال ثم ذكر نحوه الا أنه قال فيقولون فماذا نسألك يا رب فوعزتك وجلالك وارتفاع مكانك لو أنك قسمت علينا أرزاق الثقلين الجن والانس لأطعمناهم ولسقيناهم ولأخدمناهم من غير أن ينتقص ذلك شيأ مما عندنا قال بلى فسلوني قالوا نسألك رضاك قال رضائي أحلكم داري كرامتي فيفعل هذا بأهل كل درجة حتى ينتهي الى مجلسه وسائر الحديث مثله فهذا القول الذي قاله محمد بن كعب ينبئ عن أن سلام بيان عن قوله ما يدعون وأن القول خارج من

للنبي ولغيره من أهل الاخلاص الذين هم بالله عرفوا الله قبل النظر الى الارض والسماء كقوله أولم يكف بك أنه على كل شئ شهيد وقوله (أحييناها) استئناف بيانا لكونها آية وكذلك نسلخ ويجوز أن يكونا وصفين على قياس

* ولقد أمر على اللئيم يسبني *

وقوله (فمنه يأكلون) بتقديم الجار للدلالة على أن الحب هو معظم قوت الانسان وبه قوام معاشه عادة فتفس الارض آية فانها مهدهم الذي فيه تحريكهم واستكانهم والامر الضروري الذي عنده وجودهم وامكانهم وسواء كانت ميتة أولم تكن فهي مكان لهم ثم احياؤها مخضرة نعمة ثانية فانها أحسن وأنزه ثم اخراج الحب منها نعمة ثالثة فان قوتهم اذا كان في مكانهم كان أجمع للقوة والفراغ ثم جعل الجنات فيها نعمة رابعة موجبة للتفكه وسعة العيش ثم تفجير العيون فيها نعمة خامسة لان ماء السماء لا يحصل الوثوق بنزوله في كل حين فذلك كالشئ المدخر القريب التناول والضمير في قوله (من ثمره) يعود الى الله وفائدة الالتفات أن الثمار بعد وجود الأشجار وجريان الانهار لا توجد الا بتخليق الملك الجبار ويحتمل أن يعود الى المذكور وهو الجنات أو الى التحصيل وترك ذكر الاعناب لان حكمه حكم النخيل وقيل الى التفجير المدلول عليه بسياق الكلام أي ليأكلوا من فوائد التفجير وهو أعم من الثمار ويشمل جميع ما ذكره في قوله أنا صببنا الماء صبا الى قوله وفاكهة وأبا قوله (وما عملت) من قرأ بغير هاء الضمير فما موصولة أو مصدرية أي ليأكلوا من ثمر الله ومن ثمر ما عملته أو من ثمر عمل أيديهم أو نافية فيكون اشارة الى أن الثمر خلق الله

ولم تعمله أيدى الناس ولا يقدرون عليه ومن قرأ الضمير فما موصولة والضمير لها او نافية والضمير للتفجير او المذكور ومعنى عمل الأيدى ما يتكلبده الناس من الحرث والسقى  وغير ذلك هذا اذا جعلت ما موصولة فان كانت نافية فالمراد الايجاد والخلق وقيل عمل الايدى التجارة وقيل الطبخ ونحوه ثم نزه نفسه بقوله (سبحان الذى خلق الأزواج) أى الاصناف والمراد بقوله (ومما لا يعلمون) أزواج لم يطلع الله الانسان عليها بطريق من طرق المعرفة وما يعلم جنود ربك الا هو فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين قالت الاشاعرة فيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله لان أعمالهم أعراض وهى داخلة تحت الاجناس وقوله (مما تنبت) لا يخرجه عن العموم لان البيان متعدد نظيره قول القائل أعطيته كل شئ من الثياب والدواب والعبيد فانه يفهم أن تعديد الأصناف لتأكيد العموم يؤيده قوله فى حم الذى خلق الأزواج كلها من غير تقييد وحين فرغ من الاستدلال بالمكان شرع فى الاستدلال بالزمان ومعنى سلخ النهار من الليل تميزه منه قال جار الله أصله من سلخ جلد الشاة اذا أزاله عنها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن مكان الليل وموضع الفاء ظله ومعنى (مظلمون) داخلون فى الظلام أى لا بد لهم أن يدخلوا فى الظلام اذ زال ولا يقدرون على دفعه وفيه أن الليل كعرض أصلى يطرأ عليه النور تارة ويزول عنه أخرى ثم كان لجاهل أن يقول سلخ النهار انما هو بغروب الشمس فلا جرم قال (والشمس تجرى لمستقر) أى لحدلها مؤقت تنتهى اليه من فلكها شبه بمستقر المسافر اذا قطع مسيره الا أن المسافر له قرار بعد ذلك وهذه لا قرار لها بعد الحصول فى ذلك الحد ولكنها تستأنف الحركة منه وهو أول الحمل أو أحد الحافقين أو احدى الغايتين فى تصاعدها فلك تجحدونها نصف النهار وتنازلها أو غير ذلك من الاعتبارات وقيل أراد بالمستقر بيتها وهو الاسد وقيل أراد لجرى مستقرها وهو فلكها وقيل هو الدائرة

السلام وقوله من رب رحيم يعنى رحيم بهم اذ لم يعاقبهم بما سلف لهم من جرم فى الدنيا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ﴿يعنى بقوله وامتازوا تميزوا وهى افتعلوا من مازيميز فعل يفعل ومنه امتاز يمتاز امتيازا ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وامتازوا اليوم أيها المجرمون قال عزلوا عن كل خير حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن رافع عمن حدثه عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم القيامة أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان الآية الى قوله هذه جهنم التى كنتم توعدون امتازوا اليوم أيها المجرمون فيتميز الناس ويجثون وهى قول الله وترى كل أمة الآية فتأويل الكلام اذا وتميزوا من المؤمنين اليوم أيها الكافرون بالله فانكم واردون غير موردهم وداخلون غير مدخلهم وقوله ألم أعهد اليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه منه وهو ثم يقال ألم أعهد اليكم يا بنى آدم يقول ألم أوصكم وآمركم فى الدنيا أن لا تعبدوا الشيطان فتطيعوه فى معصية الله انه لكم عدو مبين يقول وأقول لكم ان الشيطان لكم عدو مبين قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود لأبيكم آدم حسدا منه له على ما كان الله أعطاه من الكرامة وغروره اياه حتى أخرجه وزوجته من الجنة وقوله وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم يقول وألم أعهد اليكم أن اعبدونى دون كل ما سواى من الآلهة والأنداد واياى فأطيعوا فان اخلاص عبادتى وافراد طاعتى ومعصية الشيطان هو الدين الصحيح والطريق المستقيم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ﴿يعنى تعالى ذكره بقوله ولقد أضل منكم جبلا كثيرا ولقد صد الشيطان منكم خلقا كثيرا عن طاعتى وافرادى بالألوهة حتى عبدوه واتخذوا من دونى آلهة يعبدونها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولقد أضل منكم جبلا قال خلقا واختلف القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين جبلا بكسر الجيم وتشديد اللام وكان بعض المكيين وعامة قراء الكوفة يقرؤنه جبلا بضم الجيم والباء وتخفيف اللام وكان بعض قراء البصرة يقرؤه جبلا بضم الجيم وتسكين الباء وكل هذه لغات معروفات غير أنى لا أحب القراءة فى ذلك الا باحدى القراءتين اللتين احداهما بكسر الجيم وتشديد اللام والأخرى ضم الجيم والباء وتخفيف اللام لان ذلك هو القراءة التى عليها عامة قراء الامصار وقوله أفلم تكونوا تعقلون يقول أفلم تكونوا تعقلون أيها المشركون اذ أطعتم الشيطان فى عبادة غير الله أنه لا ينبغى لكم أن تطيعوا عدوكم وعدو الله وتعبدوا غير الله وقوله هذه جهنم التى كنتم توعدون يقول هذه جهنم التى كنتم توعدون بها فى الدنيا على كفركم بالله وتكذيبكم رسله فكنتم بها تكذبون وقيل ان جهنم أول باب من أبواب النار وقوله اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون يقول احترقوا بها اليوم وردوها يعنى باليوم يوم القيامة بما كنتم تكفرون يقول بما كنتم

التي عليها ركتها الخاصة وقال الحكيم اراد لأمر لو وجده لاستقر وهو استخراج الاوضاع الممكنة وقيل أراد الوقت الذي ينقطع جريها وهو يوم القيامة وقيل انه اشارة الى نعمة النهار بعد الليل كأنه قال ان الشمس  تجرى فتطلع عند انقضاء الليل فيعود النهار لمنافعه وعلى هذا فالمستقر هو أفق الغرب خاصة (ذلك) الجرى على الوجوه المذكورة (تقدير العزيز) الغالب بقدرته على كل مقدور (العليم) بمبادئ الأمور وغاياتها ثم ذكر أمر سير القمر وقدر في أول سورة يونس في قوله وقدره منازل والعرجون عود العذق ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وهو فعلون من الانعراج الانعطاف قاله الزجاج والقديم ما تقادم عهده ويختلف بحسب الاعيان فلا يقال لمدينة بنيت من سنة وسنتين هي قديمة وقديقال نبت قديم وان لم يكن له سنة واطلاق القديم على العالم لا يعتاد لانه موهم الا عند من يعتقد أنه لا أول له وقال في الكشاف القديم المحول وهو أول ما يوصف بالقدم فلو أن رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر وكتب ذلك في وصية عتق منهم من مضى له حول وأكثر واذا قدم العرجون دق وانحنى واصفر فشبه (١) انقراض الشهر به من الوجوه الثلاثة ثم بين أن لكل واحد من النيرين حركة مقدرة وسلطانا على حياله (لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) لتباطؤ سيرها عن سيره (ولا الليل) أي ولا تسبق آية الليل وهو القمر آية النهار وهي الشمس أي لا يداخل القمر الشمس في سلطانها وقيل أراد أن الليل لا يدخل في وقت النهار وقيل انه اشارة الى الحركة اليومية التي بها يحدث الليل والنهار والمراد أن القمر لا يسبق الشمس بهذه الحركة لانها تشملهما على السواء وهكذا جميع الكواكب فلا يقع بسببها تقدم ولا تأخر ولهذا لم يقل يسبق على قياس تدرك أي ليس من شأنه السبق اذ الكواكب كأنها كلها ساكنة بهذه الحركة

تجحدونها في الدنيا وتكذبون بها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ يعني تعالى ذكره بقوله اليوم نختم على أفواههم اليوم نطبع على أفواه المشركين وذلك يوم القيامة وتكلمنا أيديهم بما عملوا في الدنيا من معاصي الله وتشهد أرجلهم قيل ان الذي ينطق من أرجلهم أفخاذهم من الرجل اليسرى بما كانوا يكسبون في الدنيا من الآثام وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا يونس بن عبيد عن حميد بن هلال قال قال أبو بردة قال أبو موسى يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أي رب عملت عملت قال فيغفر الله له ذنوبه ويستره منها فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئا وتبدو حسناته فوذ أن الناس كلهم يرونها ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحده ويقول أي رب وعزتك لقد كتب علي هذا الملك ما لم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا فيقول لا وعزتك أي رب ما عملته فاذا فعل ذلك ختم على فيه قال الأشعري فاني أحسب أول ما ينطق منه لفخذه اليمنى ثم تلا اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يحيى عن أبي بكر بن عياش عن الأعمش عن الشعبي قال يقال للرجل يوم القيامة عملت كذا وكذا فيقول ما عملت فيختم على فيه وتنطق جوارحه فيقول لجوارحه أبعدكن الله ما خاصمت الا فيكن **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اليوم نختم على أفواههم الآية قال قد كانت خصومات وكلام فكان هذا آخره وختم على أفواههم **حدثني** محمد بن عوف الطائي قال ثنا ابن المبارك عن ابن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة بن عامر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول أول شئ يتكلم من الانسان يوم يختم الله على الأفواه فخذه من رجله اليسرى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فقال بعضهم معنى ذلك ولو نشاء لأعميناهم عن الهدى وأضللناهم عن قصد المحجة ذكر من قال ذلك **حدثني** على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم يقول أضللتهم وأعميتهم عن الهدى * وقال آخرون معنى ذلك ولو نشاء لتركناهم عميا ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون قال لو يشاء لطمس على أعينهم فتركهم عميا يترددون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون يقول لو شئنا لتركناهم عميا يترددون وهذا القول الذي ذكرناه عن الحسن وقتادة أشبه بتأويل الكلام لأن الله انما تهدد به قوما كفارا فلا وجه لان يقال وهم كفار لو نشاء لأضللناهم وقد أضلهم ولكنه قال لو نشاء لعاقبناهم على كفرهم فطمسنا على أعينهم فصيرناهم عميا لا يبصرون طريقا ولا يهتدون له والطمس على العين هو أن لا يكون بين



(١) في العبارة زيادة مضرة وفي الكشاف وغيره فشبه (أي القمر) به الخ فتأمل كتبه مصححه

وأقول يحتمل أن يراد لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا القمر ينبغي أن يتخلف فحذف احدى القرينتين للعلم به كقوله سرابيل تقيكم الحر وكذا الكلام في قوله ولا الليل سابق النهار  أراد ولا النهار سابق الليل أي لا يدخل شئ منهما في غير وقته سلمنا أن المراد بالليل والنهار آيتهما لكنه يمكن أن يقال انه اشارة الى الحركة الدورية لانه لما قال ان الشمس لبطء سيرها لا تدرك القمر فهم منه أن القمر يسبق الشمس بحركته فأشار الى أن هذا السبق ليس على قياس المتحركات على الاستقامة ولكنه سبق هو بعينه موجب للقرب وهذا معنى قول أهل الهيئة ان الكوكب هارب عن نقطة طالب لها بعينه وأما قوله (وكل في فلك يسبحون) فقد مر تفسيره في سورة الانبياء وما بين ما هو كالضروري لوجود الانسان من المكان والزمان وما يتبعه ويسبقه شرع في تقرير ما هو نافع لهم في أحوال المعاش قال بعض المفسرين أراد بحمل الذرية حمل آبائهم وهم في أصلابهم والفلك فلك نوح ومثله هو ما يركبون الآن عليه من السفن والزوارق قال جار الله وانما ذكر ذرياتهم دونهم لانه أبلغ في الامتنان عليهم وأدخل في التعجب من قدرته في حمل أعقابهم الى يوم القيامة في سفينة نوح ولولا ذلك لما بقي للآدمي نسل ومن فوائد ذكر الذرية أن من الناس من لا يركب السفينة طول عمره ولكنه في ذريته من يركبها غالبا وذهب آخرون الى أن المراد حمل أولادهم ومن يهمهم حمله كالنساء وقد يقع اسم الذرية عليهن لانهن مزارع الاولاد في الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء فكأنه قيل ان كنا ما حملناكم بأنفسكم فقد حملنا من يهمكم أمره وعلى هذا يكون قوله (وخلقنا لهم) الى آخره اعتراضا ومثل الفلك ما يركبون من الابل لانها سفائن البر وفي وصف الفلك أنهما بالمشحون مزيد تقرير للقدرة والنعمة فان الفلك اذا كان خاليا كان خفيفا لا يرسب في الماء بالطبع ثم ذكر ما يؤكد كونه فاعلا مختارا قائلا

جفني العين غور ذلك هو الشق الذي بين الجفنين كما تطمس الريح الأثر يقال أعمى مطموس وطميس وقوله فاستبقوا الصراط يقول فابتدروا الطريق كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فاستبقوا الصراط قال الطريق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاستبقوا الصراط أي الطريق حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فاستبقوا الصراط قال الصراط الطريق وقوله فأنى يبصرون يقول فأى وجه يبصرون أن يسلكوه من الطرق وقد طمسنا على أعينهم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله فأنى يبصرون وقد طمسنا على أعينهم * وقال الذين وجهوا تأويل قوله ولو نشاء لطمسنا على أعينهم الى أنه معنى به العمى عن الهدى تأويل قوله فأنى يبصرون فأنى يهتدون للحق ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس فأنى يبصرون يقول فكيف يهتدون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فأنى يبصرون يقول لا يبصرون الحق وقوله ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم يقول تعالى ذكره ولو نشاء لأقعدنا هؤلاء المشركين من أرجلهم في منازلهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يقول فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا أن يرجعوا وراءهم * وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم قال لو نشاء لأقعدناكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم أي لأقعدناهم على أرجلهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون فلم يستطيعوا أن يتقدموا ولا يتأخروا * وقال آخرون بل معنى ذلك ولو نشاء لأهلكناهم في منازلهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون يقول ولو نشاء أهلكناهم في مساكنهم والمكانة والمكان بمعنى واحد وقد بينا ذلك فيما مضى قبل ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ومن نعمره ننكسه في الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغي له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ومن نعمره فنمدله في العمر ننكسه في الخلق يقول نرده الى مثل حاله في الصبا من الهرم والكبر وذلك هو النكس في الخلق فيصير لا يعلم شيأ بعد العلم الذي كان يعلمه وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن نعمره ننكسه في الخلق يقول من نمدله في العمر ننكسه في الخلق لكيلا يعلم بعد علم شيأ يعني الهرم واختلفت القراء في قراءة قوله ننكسه فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ننكسه بفتح النون الأولى وتسكين الثانية وقرأته عامة قراء الكوفة ننكسه بضم النون الأولى وفتح الثانية وتشديد الكاف * والصواب من القول في ذلك

(وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم) وهو مصدر اوصفة أى لا اغاثة اولا منيث وقوله (الا رحمة) اشارة الى أن الانقاذ رحمة بالنسبة الى المؤمن ومتاع الى حلول الاجل بالاضافة الى الكافر أو المراد أن أحدا لا يتخلص من الموت  وان سلم من الآفات ولله در القائل

ولم أسلم لكى ابقى ولكن
سلمت من الحمام الى الحمام

أنهما قراءتان مشهورتان فى قراء الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن التى عليها عامة قراء الكوفيين أعجب الىّ لأن التنكيس من الله فى الخلق انما هو حال بعد حال وشئ بعد شئ فذلك تأييد للتشديد وكذلك اختلفوا فى قراءة قوله أفلا يعقلون فقرأته قراء المدينة أفلا تعقلون بالتاء على وجه الخطاب وقرأته قراء الكوفة بالياء على الخبر وقراءة ذلك بالياء أشبه بظاهر التنزيل لأنه احتجاج من الله على المشركين الذين قال ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاخراج ذلك خبرا على نحو ما خرج قوله لطمسنا على أعينهم أعجب الىّ وان كان الآخر غير مدفوع ويعنى تعالى ذكره بقوله أفلا يعقلون أفلا يعقل هؤلاء المشركون قدرة الله على ما يشاء بمعاينتهم ما يعاينون من تصريفه خلقه فيما شاء وأحب من صغر الى كبر ومن تنكيس بعد تكبر فى هرم وقوله وما علمناه الشعر وما ينبغى له يقول تعالى ذكره وما علمنا محمدا الشعر وما ينبغى له أن يكون شاعرا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما علمناه الشعر وما ينبغى له قال قيل لعائشة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمثل بشئ من الشعر قالت كان أبغض الحديث اليه غير أنه كان يتمثل ببيت أخى بنى قيس فيجعل آخره أوله وأوله آخره فقال له أبو بكر انه ليس هكذا فقال نبى الله انى والله ما أنا بشاعر ولا ينبغى لى وقوله ان هو الا ذكر يقول تعالى ذكره ما هو الا ذكر يعنى بقوله ان هو أى محمد الا ذكر لكم أيها الناس ذكركم الله بارساله اياه اليكم ونبهكم به على حظكم وقرآن مبين يقول وهذا الذى جاءكم به محمد قرآن مبين يقول يبين لمن تدبره بعقل ولب أنه تنزيل من الله أنزله الى محمد وأنه ليس بشعر ولا سجع كاهن كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقرآن مبين قال هذا القرآن وقوله لينذر من كان حيا يقول ان محمد الا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حى القلب يعقل ما يقال له ويفهم ما يبين له غير ميت الفؤاد بليد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن رجل عن أبى روق عن الضحاك فى قوله لينذر من كان حيا قال من كان عاقلا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لينذر من كان حيا حى القلب حى البصر وقوله ويحق القول على الكافرين يقول ويجب العذاب على أهل الكفر بالله الموالين عن اتباعه المعرضين عما أتاهم به من عند الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويحق القول على الكافرين بأعمالهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون﴾ يقول تعالى ذكره أولم ير هؤلاء المشركون بالله الآلهة والأوثان أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا يقول مما خلقنا من الخلق أنعاما وهى المواشى التى خلقها الله لبنى آدم فسخرها لهم من الابل والبقر والغنم فهم لها مالكون يقول فهم لها مصرفون كيف شاؤا بالقهر منهم لها والضبط كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فهم لها مالكون أى ضابطون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون فقيل له أهى الابل فقال نعم قال والبقر من الأنعام وليست بداخلة فى هذه الآية قال والابل والبقر والغنم من الأنعام وقرأ ثمانية أزواج قال والبقر والابل هى النعم وليست تدخل الشاة فى النعم وقوله وذللناها لهم يقول وذللنا هذه الانعام لهم

التأويل يس اشارة الى أنه بلغ فى السيادة مبلغا لم يبلغه أحد من المرسلين تنزيل العزيز الرحيم فيه أنه لعزته لا يحتاج الى تنزيل القرآن ولكن رحمته اقتضت ذلك تحيى القلوب الموتى وتكتب ما قدموا من الانفاس المتصاعدة ندما وشوقا وآثار خطا أقدام صدقهم وآثار دموعهم على خدودهم أصحاب القرية القلوب اذ أرسلنا اليهم اثنين من الخواطر الرحمانية والالهامات الربانية بالتجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود فكذبوهما النفس وصفاتها فعززنا بالثالث من الجذبة انا تطيرنا بكم لأن النفس وصفاتها لا يوافقهما ما يدعو الالهام والجذبة اليه طائركم معكم لأن النفس خلقت من العدم على خاصيتها المشؤمة رجل يسعى هو الروح المشتاق الى لقاء الحق لا يسألكم أجرا لأنه لا شرب له من مشاربكم قيل ادخل الجنة وهى عالم الارواح وهو كقوله يا أيتها النفس المطمئنة الى قوله وادخلى جنتى على قومه من بعده أى بعد رجوع الروح الى الحضرة ما أنزل الى النفس وصفاتها ملائكة من السماء لأنهم لا يقدرون على النفس وصفاتها واصلاح حالها فانصلاحها فى موتها والميت هو الله صيحة واحدة من وارد حق فاذا هم يعنى النفس وصفاتها خامدون ميتون عن انانيته بهويته لم يروا كم أهلكنا فيه اشارة الى أن هذه الامة خير الامم شكى معهم من كل أمة وما شكى الى أحد من غيرهم شكايتهم وآية لهم القلوب الميتة أحييناها بالطاعة ونخيل الاذكار وأعناب الأشواق وعيون الحكمة وثمر المكاشفات وعمل الخيرات والصدقات خلق الازواج من الآباء العلوية

والامهات السفلية مما تنبت أرض البشرية بازدواج الكاف والنون ومن أنفسهم بازدواج الروح والقلب ومما لا يعلمون من تأثير العناية
في قلوب المخلصين مما لا عين رأت (٣٠) ولا أذن سمعت وآية لهم ليل البشرية نسلخ منه نهار الروحانية فاذا هم مظلمون
بظلمة الخليقة فان الله خلق الخلق
في ظلمة ثم رش عليهم من نوره
وشمس نور الله تجرى لمستقر لها
وهو قلب استقر فيه رشاش نور الله
وقمر القلب قدرناه ثمانية وعشرين
منزلا على حسب حروف القرآن
وأسماؤها الالفة والبر والتوبة
والثبات والجمعية والحلم والحلوص
والديانة والذلة والرأفة والرلفة
والسلامة والشوق والصدق
والصبر والطلب والظمأ والعشق
والعزة والفتوة والقربة والكرم
واللين والمروءة والنور والولاية
والهداية واليقين فاذا قطع كل
المنازل فقد تخلق بخلق القرآن
ولهذا قال لنبيه صلى الله عليه وسلم
واعبد ربك حتى يأتيك اليقين
وهو آخر المنازل والمقامات فان
السالك يألف الحق أولا ثم يتوب
فيثبت على ذلك حتى تحصل له
الجمعية وعلى هذا يعبر المقامات
حتى يصير كاملا كالبدر ثم يتناقص
نوره بحسب دنوه من شمس شهود
الحق الى أن يتلاشى ويخفى وهو
مقام الفقر الحقيقى الذى افتخر به
نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله الفقر
فخرى ثم أشار بقوله لا الشمس
ينبغى لها الى أن الرب لا يصير عبدا
ولا العبد ربا ثم ذكر أن العوام محمولون
فى سفينة الشريعة والخواص
فى بحر الحقيقة كلاهما بفلك العناية
وملاحة أرباب الطريقة ومثل
ما يركبون هو جناح همة المشايخ
وان نشأ نغرق العوام فى بحر الدنيا
والرخص والخواص فى بحر
الشبهات والاباحة ﴿ واذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون وما تأتيهم من آية من آيات ربهم عيد
الا كانوا عنها معرضين واذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه ان أنتم الا فى ضلال مبين

فمنها ركوبهم يقول فمنها ما يركبون كالابل يسافرون عليها يقال هذه دابة ركوب والركوب بالضم
هو الفعل ومنها يأكلون لحومها ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وذللناها لهم فمنها ركوبهم يركبونها
يسافرون عليها ومنها يأكلون لحومها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولهم فيها منافع ومشارب
أفلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون ﴾ يقول تعالى ذكره ولهم فى هذه الأنعام
منافع وذلك منافعهم فى أصوافها وأوبارها وأشعارها باتخاذهم من ذلك أثاثا ومتاعا ومن جلودها
أكنانا ومشارب يشربون ألبانها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
ولهم فيها منافع يلبسون أصوافها ومشارب يشربون ألبانها وقوله أفلا يشكرون يقول أفلا يشكرون
نعمتى هذه وإحسانى اليهم بطاعتى وافراد الالوهية لى والعبادة وترك طاعة الشيطان وعبادة
الأصنام قوله واتخذوا من دون الله آلهة يقول واتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة يعبدونها
لعلهم ينصرون يقول طمعا أن تنصرهم تلك الآلهة من عقاب الله وعذابه ﴿ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿ لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما
يعلنون ﴾ يقول تعالى ذكره لا تستطيع هذه الآلهة نصرهم من الله ان أراد بهم سوأ ولا تدفع عنهم
ضرا وقوله وهم لهم جند محضرون يقول وهؤلاء المشركون لآلهتهم جند محضرون * واختلف
أهل التأويل فى تأويل قوله محضرون وأين حضورهم اياهم فقال بعضهم عنى بذلك وهم لهم جند
محضرون عند الحساب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا
عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن
مجاهد فى قوله وهم لهم جند محضرون قال عند الحساب * وقال آخرون بل معنى ذلك وهم لهم
جند محضرون فى الدنيا يغضبون لهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة لا يستطيعون نصرهم الآلهة وهم لهم جند محضرون والمشركون يغضبون للآلهة
فى الدنيا وهى لا تسوق اليهم خيرا ولا تدفع عنهم سوأ انتهى أصنام وهذا الذى قاله قتادة أولى
القولين عندنا بالصواب فى تأويل ذلك لأن المشركين عند الحساب تتبرأ منهم الأصنام وما كانوا
يعبدونه فكيف يكونون لها جندا حينئذ ولكنهم فى الدنيا لهم جند يغضبون لهم ويقاتلون دونهم
وقوله تعالى فلا يحزنك قولهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فلا يحزنك يا محمد قول
هؤلاء المشركين بالله من قومك انك شاعر وما جئتنا به شعر ولا تكذيبهم بآيات الله وجحودهم
نبوتك وقوله انا نعلم ما يسرون وما يعلنون يقول تعالى ذكره انا نعلم أن الذى يدعوهم الى قيل
ذلك الحسد وهم يعلمون أن الذى جئتهم به ليس بشعر ولا يشبه الشعر وأنك لست بكذاب
فنعلم ما يسرون من معرفتهم بحقيقة ما تدعوهم اليه وما يعلنون من جحود ذلك بألسنتهم علانية
﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب
لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل
خلق عليم ﴾ يقول تعالى أولم ير الانسان أنا خلقناه واختلف فى الانسان الذى عنى بقوله أولم ير
الانسان فقال بعضهم عنى به أبى بن خلف ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا

عبيد الله بن موسى قال ثنا اسرائيل عن أبي يحيى عن مجاهد فى قوله من يحيي العظام وهى رميم قال أبي بن خلف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وضرب لنا مثلا أبي بن خلف حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قال من يحيي العظام وهى رميم ذكر لنا أن أبي بن خلف أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته ثم ذراه فى الريح ثم قال يا محمد من يحيي هذا وهو رميم قال الله يحييه ثم يميته ثم يدخلك النار قال فقتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد * وقال آخرون بل عنى به العاص بن وائل السهمى ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال جاء العاص بن وائل السهمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم حائل ففته بين يديه فقال يا محمد أيبعث الله هذا حيا بعدما أرم قال نعم يبعث الله هذا ثم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم قال ونزلت الآيات أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين الى آخر الآية * وقال آخرون بل عنى به عبد الله بن أبي ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة الى قوله وهى رميم قال جاء عبد الله بن أبي الى النبي صلى الله عليه وسلم بعظم حائل فكسره بيده ثم قال يا محمد كيف يبعث الله هذا وهو رميم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث الله هذا ويميتك ثم يدخلك جهنم فقال الله قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم فتأويل الكلام اذا أولم ير هذا الانسان الذى يقول من يحيي العظام وهى رميم أنا خلقناه من نطفة فسويناه خلقا سويا فاذا هو خصيم يقول فاذا هو ذو خصومة لربه يخاصمه فيما قال له ربه انى فاعل وذلك إخبار الله اياه أنه محيي خلقه بعد مماتهم فيقول من يحيي هذه العظام وهى رميم انكارا منه لقدرة الله على احيائها وقوله مبين يقول يبين لمن سمع خصومته وقيله ذلك أنه مخاصم ربه الذى خلقه وقوله وضرب لنا مثلا ونسى خلقه يقول ومثل لنا شبها بقوله من يحيي العظام وهى رميم اذ كان لا يقدر على إحياء ذلك أحد يقول فجعلنا كمن لا يقدر على إحياء ذلك من الخلق ونسى خلقه يقول ونسى خلقنا اياه كيف خلقناه وأنه لم يكن الا نطفة فجعلناها خلقا سويا ناطقا يقول فلم يفكر فى خلقنا فيعلم أن من خلقه من نطفة حتى صار بشرا سويا ناطقا متصرفا لا يعجز أن يعيد الأموات أحياء والعظام الرميم بشرا كهيئتهم التى كانوا بها قبل الفناء يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهذا المشرك القائل لك من يحيي العظام وهى رميم يحييها الذى أنشأها أول مرة يقول يحييها الذى ابتدع خلقها أول مرة ولم تكن شيئا وهو بكل شئ عليم يقول وهو بجميع خلقه ذو علم كيف يميت وكيف يحيي وكيف يبدئ وكيف يعيد لا يخفى عليه شئ من أمر خلقه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم﴾ يقول تعالى ذكره قل يحييها الذى أنشأها أول مرة الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا يقول الذى أخرج لكم من الشجر الأخضر نارا تحرق الشجر لا يمتنع عليه فعل ما أراد

ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ماينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا الى أهلهم يرجعون ونفخ فى الصور فاذا هم من الأجداث الى ربهم ينسلون قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل فاكهون هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولا من رب رحيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التى كنتم توعدون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون ومن نعمره ننكسه فى الخلق أفلا يعقلون وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما فهم لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون لا يستطيعون نصرهم وهم لهم جند محضرون فلا يحزنك قولهم انا نعلم ما يسرون وما يعلنون أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى

وهو الخلاق العليم انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون ۞ القراآت يخصمون بفتحتين ثم كسر الصاد المشددة (٣٢) ابن كثير وورش وسهل ويعقوب وأصله يختصمون أدغمت التاء فى الصاد بعد نقل حركتها الى الخاء وقرأ ابو جعفر ونافع غير ورش بسكون الخاء وقرأ أبو عمرو باشمام الفتحة قليلا وقرأ حمزة بسكون الخاء وتخفيف الصاد من الخصم ثلاثيا الباقون بكسر الخاء للاتباع وتشديد الصاد وروى خلف عن يحيى بكسر الياء والخاء والتشديد شغل بضمتين عاصم وخلف وابن عامر ويزيد ويعقوب فكهون وبابه بغير ألف يزيد ظلل بضم الظاء وفتح اللام حمزة وعلى وخلف على أنه جمع ظلة الآخرون ظلال جمع ظل جبلا بضم الجيم وسكون الباء ابن عامر وأبو عمرو وقرأ أبو جعفر ونافع وعاصم وسهل بكسرتين واللام مشددة وقرأ يعقوب بضمتين والتشديد والباقون بضمتين والتخفيف نكسه مشددا حمزة وعاصم غير مفضل الآخرون بالتخفيف من النكس تعقلون بتاء الخطاب أبو جعفر ونافع وابن ذكوان وسهل ويعقوب لتنذر على الخطاب أبو جعفر ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب يقدر على صيغة المضارع يعقوب كن فيكون بالنصب ابن عامر وعلى ۞ الوقوف ترجعون ه معرضين ه رزقكم الله لا لأن ما بعده جواب اذا أطعمه لا كذلك لاتحاد المقول ولئلا يبتدأ بما لا يقوله مسلم وجوز جار الله ان يكون قوله ان أنتم قول الله أو حكاية قول المؤمنين لهم فالوقف جائز مبين ه صادقين ه يخصمون ه يرجعون ه يذلون ه مرقدنا ه لئلا يوهم أن هذا صفة وما بعده منفى وفيه وجوه أخر ذكرها فى التفسير المرسلون ه محضرون ه تعملون ه فاكهون ه ج لاحتمال ثم أن هم تأكيد الضمير وأزواجهم عطف عليه وفى ظلال ظرف فاكهون ولاحتمال أن ما بعده مبتدأ وخبره متكئون يدعون ه ج

ولا يعجز عن إحياء العظام التى قد رمت وإعادتها بشرا سويا وخلقا جديدا كما بدأها أول مرة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الذى جعل لكم من الشجر الأخضر نارا يقول الذى أخرج هذه النار من هذا الشجر قادر أن يبعثه قوله فاذا أنتم منه توقدون يقول فاذا أنتم من الشجر توقدون النار وقال منه والهاء من ذكر الشجر ولم يقل منها والشجر جمع شجرة لانه خرج مخرج الثمر والحصى ولو قيل منها كان صوابا أيضا لأن العرب تذكر مثل هذا وتؤنثه وقوله أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم يقول تعالى ذكره منبها هذا الكافر الذى قال من يحيى العظام وهى رميم على خطا قوله وعظيم جهله أوليس الذى خلق السموات السبع والارض بقادر على أن يخلق مثلكم فان خلق مثلكم من العظام الرميم ليس بأعظم من خلق السموات والارض يقول فمن لم يتعذر عليه خلق ما هو أعظم من خلقكم فكيف يتعذر عليه إحياء العظام من بعد ما قد رمت وبليت وقوله بلى وهو الخلاق العليم يقول بلى هو قادر على أن يخلق مثلهم وهو الخلاق لما يشاء الفعال لما يريد العليم بكل ما خلق ويخلق لا يخفى عليه خافية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره انما أمر الله اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم قال هذا مثل انما أمره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون قال ليس من كلام العرب شئ هو أخف من ذلك ولا أهون فأمر الله كذلك وقوله فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ يقول تعالى ذكره فتنزيه الذى بيده ملك كل شئ وخزائنه وقوله واليه ترجعون يقول واليه تردون وتصيرون بعد مماتكم

آخر تفسير سورة يس

## ﴿تفسير سورة الصافات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا﴾ « قال أبو جعفر » أقسم الله تعالى ذكره بالصافات والزاجرات والتاليات ذكرا فأما الصافات فانها الملائكة الصافات لربها فى السماء وهى جمع صافة فالصافات جمع جمع وبذلك جاء التأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى سلم بن جنادة قال ثنا أبو معاوية عن الاعمش عن مسلم قال كان مسروق يقول فى الصافات هى الملائكة حدثنا اسحق بن أبى اسرائيل قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا شعبة عن سليمن قال سمعت أبا الضحى عن مسروق عن عبد الله بمثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والصافات صفا قال قسم أقسم الله بخلق

لانه من المحتمل أن يكون سلام خبر محذوف أى عليهم سلام يقول قولا وأن يكون سلام بدل مايدعون أى لهم ما يتمنون وهو سلام سلام
ط ج لحق الحذف رحيم ٥ المجرمون ٥ الشيطان ج لان التقدير (٢٣) فانه مبين ٥ لا للعطف اعبدونى ج

ثم خلق ثم خلق والصافات الملائكة صفوفا فى السماء حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله والصافات قال هم الملائكة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والصافات صفا قال هذا قسم أقسم الله به واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فالزاجرات زجرا فقال بعضهم هى الملائكة تزجر السحاب تسوقه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فالزاجرات زجرا قال الملائكة حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فالزاجرات زجرا قال هم الملائكة * وقال آخرون بل ذلك آى القرآن التى زجر الله بها عما زجر بها عنه فى القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فالزاجرات زجرا قال ما زجر الله عنه فى القرآن والذى هو أولى بتأويل الآية عندنا ما قال مجاهد ومن قال هم الملائكة لأن الله تعالى ذكره ابتدأ القسم بنوع من الملائكة وهم الصافون باجماع من أهل التأويل فلأن يكون الذى بعده قسما بسائر أصنافهم أشبه وقوله فالتاليات ذكرا يقول فالقارئات كتابا واختلف أهل التأويل فى المعنى بذلك فقال بعضهم هم الملائكة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فالتاليات ذكرا قال الملائكة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فالتاليات ذكرا قال هم الملائكة * وقال آخرون هو ما يتلى فى القرآن من أخبار الامم قبلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فالتاليات ذكرا قال ما يتلى عليكم فى القرآن من أخبار الناس والامم قبلكم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إن إلهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ان الهكم لواحد والصافات صفا ان معبودكم الذى يستوجب عليكم أيها الناس العبادة واخلاص الطاعة منكم له لواحد لا ثانى له ولا شريك يقول فله فأخلصوا العبادة واياه فأفردوا بالطاعة ولا تجعلوا له فى عبادتكم اياه شريكا وقوله رب السموات والارض وما بينهما يقول هو واحد خالق السموات السبع وما بينهما من الخلق ومالك ذلك كله والقيم على جميع ذلك يقول فالعبادة لا تصلح الا لمن هذه صفته فلا تعبدوا غيره ولا تشركوا معه فى عبادتكم اياه من لا يضر ولا ينفع ولا يخلق شيأ ولا يفنيه واختلف أهل العربية فى وجه رفع رب السموات فقال بعض نحويى البصرة رفع على معنى ان الهكم لرب وقال غيره هو رد على ان الهكم لواحد ثم فسر الواحد فقال رب السموات وهو رد على واحد وهذا القول عندى أشبه بالصواب فى ذلك لان الخبر هو قوله لواحد وقوله رب السموات ترجمة عنه وبيان مردود على اعرابه وقوله ورب المشارق يقول ومدبر مشارق الشمس فى الشتاء والصيف ومغاربها والقيم على ذلك ومصلحه وترك ذكر المغارب لدلالة الكلام عليه

مستقيم ٥ كثيرا ٥ تعقلون ٥ توعدون ٥ تكفرون ٥ يكسبون ٥ يبصرون ٥ يرجعون ٥ فى الخلق ط يعقلون ٥ له ج مبين ٥ الكافرين ٥ مالكون ٥ يأكلون ٥ ومشارب ٥ يشكرون ٥ ينصرون ج نصرهم لا لان الواو للحال محضرون ٥ قولهم ٥ لئلا يوهم ان ما بعده مقول الكفار يعلنون ٥ مبين ٥ خلقه ط رميم ٥ مرة ط عليم ٥ لا لان الذى بدل توقدون ٥ مثلهم ط لانتهاء الاستفهام العليم ٥ فيكون ٥ ترجعون ٥ ﴿التفسير لما بين الآيات المذكورة حكى أنهم فى غاية الجهالة ونهاية الضلالة لا مثل العلماء الذين يتبعون البرهان ولا كالعوام الذين يبنون أمورهم على الاحوط اذا أنذرهم منذر انتهوا عن ارتكاب المنهى خوفا من تبعته وطمعا فى منفعته واليه الاشارة بقوله (لعلكم ترحمون) أى فى ظنكم فان الذى لا تفيده الآيات يقينا فلا أقل من أن يحترز من العذاب ويرجو الثواب أخذا بطريقة الاحتياط ونظير الآية ما مر فى أول سورة سبا أفلم يروا الى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والارض وعن مجاهد أراد ما تقدم من ذنوبكم وما تأخر وعن قتادة ما بين أيديكم من وقائع الامم وما خلفكم أى من أمر الساعة وقيل ما بين أيديكم الآخرة فانهم مستقبلون لها وما خلفكم الدنيا فانهم تاركون لها أو ما بين أيديكم من أمر محمد صلى الله عليه وسلم فانه حاضر عندهم وما خلفكم من أمر الحشر فانكم اذا اتقيتم تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم والحشر رحمكم الله أو ما بين أيديكم من أنواع العذاب كالحرق والغرق المدلول عليه بقوله وان نشأ نغرقهم وما خلفكم الموت الطالب لكم يدل على قوله

ومتاعا الى حين وجواب اذا محذوف وهو لا يتقون أو يعرضون يدل عليه ما بعده مع زيادة فائدة هي دأبهم الاعراض عند كل آية
ويحتمل أن يكون قوله وما تأتيهم متعلقا  بما قبله وهو قوله يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن

(وما تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين) يعني اذا جاءتهم الرسل كذبوهم فاذا أتوا بالآيات أعرضوا عنها وقوله ألم يروا الى قوله لعلكم ترحمون اعتراض ثم اشار الى أنهم كما يخلون بجانب التعظيم لأمر الله حيث قيل لهم اتقوا فلم يتقوا يخلون بجانب الشفقة على خلق الله ولا ينفقون اذا أمروا بالانفاق على أنهم خوطبوا بأدنى الدرجات في التعظيم والاشفاق فان أدنى الانقياد الاتقاء من العذاب وأدنى الاشفاق هو انفاق بعض ما في التصرف من مال الله فأين هم من معشر أقبلوا بالكلية على الله وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وفي قوله (مما رزقكم الله) اشارة الى أن الله تعالى قادر على اغناء الفقير واعطائه ولكنه جعل الغنى واسطة في الانفاق على الفقير فالسعيد من عرف حق التوسيط وانتهز فرصة الامكان وعلم أن الانفاق سبب للبركة في الحال ومجلبة للثواب في المآل وقوله (قال الذين كفروا) دون أن يقول قالوا تسجيل عليهم بالكفر وقوله (للذين آمنوا) مزيد تصوير لجهالتهم حين قالوا لهؤلاء الاشراف ما قالوا وقوله (أنطعم) دون أننفق اظهار لغاية خستهم فان الاطعام أدون من الانفاق ومن بخل بالأدون فهو بأن يبخل بالأكثر أولى وقوله (من لو يشاء الله أطعمه) كلام في نفسه حسن لكنهم ذكروه في معرض الدفع فلهذا استوجبوا الذم وقد بين الله خطأهم بقوله مما رزقكم الله فان من في خزائنه مال وله في يد الغير مال فانه مخير ان أراد أعطى زيدا مما في خزائنه وان شاء قد أعطاه مما في يد الغير وليس لذلك الغير أن يقول لم أحلته علي وقوله (ان أنتم الا في ضلال مبين) بناء على ما اعتقدوه أن الامر بالانفاق ضائع

واستغنى بذكر المشارق من ذكرها اذ كان معلوما أن معها المغارب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الهكم لواحد وقع القسم على هذا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق قال مشارق الشمس في الشتاء والصيف حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي قوله رب المشارق قال المشارق ستون وثلاثمائة مشرق والمغارب مثلها عدد أيام السنة وقوله انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب اختلفت القراء في قراءة قوله بزينة الكواكب فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بزينة الكواكب باضافة الزينة الى الكواكب وخفض الكواكب انا زينا السماء الدنيا التي تليكم أيها الناس وهي الدنيا اليكم بتزيينها الكواكب أي بأن زينتها الكواكب وقرأ ذلك جماعة من قراء الكوفة بزينة الكواكب بتنوين زينة وخفض الكواكب ردا لها على الزينة بمعنى انا زينا السماء الدنيا بزينة هي الكواكب كأنه قال زيناها بالكواكب وروى عن بعض قراء الكوفة أنه كان ينون الزينة وينصب الكواكب بمعنى انا زينا السماء الدنيا بتزييننا الكواكب ولو كانت القراءة في الكواكب جاءت رفعا اذا نونت الزينة لم يكن لحنا وكان صوابا في العربية وكان معناه انا زينا السماء الدنيا بتزيينها الكواكب أي بأن زينتها الكواكب وذلك أن الزينة مصدر فجائز توجيهها الى أي هذه الوجوه التي وصفت في العربية وأما القراءة فأعجبها الي باضافة الزينة الى الكواكب وخفض الكواكب لصحة معنى ذلك في التأويل والعربية وأنها قراءة أكثر قراء الامصار وان كان التنوين في الزينة وخفض الكواكب عندي صحيحا أيضا فأما النصب في الكواكب والرفع فلا أستجيز القراءة بهما لاجماع الحجة من القراء على خلافهما وان كان لهما في الاعراب والمعنى وجه صحيح وقد اختلف أهل العربية في تأويل ذلك اذا أضيفت الزينة الى الكواكب فكان بعض نحويي البصرة يقول اذا قرئ ذلك كذلك فليس يعني بعضها ولكن زينتها حسنها وكان غيره يقول معنى ذلك اذا قرئ كذلك انا زينا السماء الدنيا بأن زينتها الكواكب وقد بينا الصواب في ذلك عندنا وقوله وحفظا يقول تعالى ذكره وحفظنا للسماء الدنيا زيناها بزينة الكواكب وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله وحفظا فقال بعض نحويي البصرة قال وحفظا لانه بدل من اللفظ بالفعل كأنه قال وحفظناها حفظا وقال بعض نحويي الكوفة انما هو من صلة التزيين انا زينا السماء الدنيا حفظا لها فأدخل الواو على التكرير أي وزيناها حفظا لها فجعله من التزيين وقد بينا القول فيه عندنا وتأويل الكلام وحفظا لها من كل شيطان عات خبيث زيناها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وحفظا يقول جعلتها حفظا من كل شيطان مارد وقوله لا يسمعون الى الملا الأعلى اختلفت القراء في قراءة قوله لا يسمعون فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين لا يسمعون بتخفيف السين من يسمعون بمعنى أنهم يتسمعون ولا يسمعون وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بعد لا يسمعون بمعنى لا يتسمعون ثم أدغموا التاء في السين فشددوها * وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بالتخفيف لان الاخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه أن الشياطين

لأنه سعى فى ابطال مشيئة الله ولم يعلموا أن الضلال لا يتعداهم أية سلكوا وذلك أنهم لم ينظروا الى الأمر والطلب و بادروا الى الاعتراض والطاعة هى اتباع الأمر لا الاستكشاف عن الغرض والغاية ومن جملة تعنتهم  أنهم استبطؤا الموعود على الالتقاء والاتفاق

قدتتسمع الوحى ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع ذكر رواية بعض ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبى اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت للشياطين مقاعد فى السماء قال فكانوا يسمعون الوحى قال وكانت النجوم لا تجرى وكانت الشياطين لا ترمى قال فاذا سمعوا الوحى نزلوا الى الارض فزادوا فى الكلمة تسعا قال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان اذا قعد مقعده جاء شهاب فلم يخطه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك الى ابليس فقال ما هو الا لأمر حدث قال فبعث جنوده فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى بين جبلى نخلة قال أبو كريب قال وكيع يعنى بطن نخلة قال فرجعوا الى ابليس فأخبروه قال فقال هذا الذى حدث **حدثنا** ابن وكيع وأحمد بن يحيى الصوفى قالا ثنا عبيد الله عن اسرائيل عن أبى اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الجن يصعدون الى السماء الدنيا يستمعون الوحى فاذا سمعوا الكلمة زادوا فيها تسعا فأما الكلمة فتكون حقا وأما ما زادوا فيكون باطلا فلما بعث النبى صلى الله عليه وسلم منعوا مقاعدهم فذكر ذلك لابليس ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك فقال لهم ابليس ما هذا الا لأمر حدث فى الارض فبعث جنوده فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما يصلى فأتوه فأخبروه فقال هذا الحدث الذى حدث **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا عبد الله بن رجاء قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كانت الجن لهم مقاعد ثم ذكر نحوه **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد ابن اسحق قال ثنى الزهرى عن على بن الحسين عن أبى اسحق عن ابن عباس قال حدثنى رهط من الأنصار قالوا بينا نحن جلوس ذات ليلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ رأى كوكبا رمى به فقال ما تقولون فى هذا الكوكب الذى يرمى به فقلنا يولد مولود أو يهلك هالك و يموت ملك و يملك ملك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذلك ولكن الله كان اذا قضى أمرا فى السماء سبح لذلك حملة العرش فيسبح لتسبيحهم من يليهم من تحتهم من الملائكة فما يزالون كذلك حتى ينتهى التسبيح الى السماء الدنيا فيقول أهل السماء الدنيا لمن يليهم من الملائكة ثم سبحتم فيقولون ما ندرى سمعنا من فوقنا من الملائكة سبحوا فسبحنا الله لتسبيحهم ولكنا سنسأل فيسألون من فوقهم فما يزالون كذلك حتى ينتهى الى حملة العرش فيقولون قضى الله كذا وكذا فيخبرون به من يليهم حتى ينتهوا الى السماء الدنيا فتسترق الجن ما يقولون فينزلون الى أوليائهم من الانس فيلقونه على ألسنتهم بتوهم منهم فيخبرونهم به فيكون بعضه حقا و بعضه كذبا فلم تزل الجن كذلك حتى رموا بهذه الشهب **حدثنا** ابن وكيع وابن المثنى قالا ثنا عبد الأعلى عن معمر عن الزهرى عن على بن حسين عن ابن عباس قال بينا النبى صلى الله عليه وسلم فى نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال النبى صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون لمثل هذا فى الجاهلية اذا رأيتموه قالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لا يرمى به لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك اسمه اذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ثم الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح أهل هذه السماء ثم يسأل أهل السماء السابعة حملة العرش ماذا قال ربنا فيخبرونهم ثم يستخبر أهل كل سماء حتى يبلغ الخبر أهل السماء الدنيا وتخطف الشياطين السمع فيرمون فيقذفونه الى أوليائهم فما جاؤا به على وجهه فهو حق ولكنهم يزيدون **حدثنا**

قائلين ان كنتم أيها المتعنتون للرسالة صادقين فأخبرونا متى يكون هذا الموعود به من الثواب والعقاب فأجابهم الله تعالى بقوله (ما ينظرون الا صيحة واحدة) كأنهم بالاستبطاء كانوا منتظرين شيأ وتنكير صيحة للتهويل ووصفها بواحدة تعظيم للصيحة وتحقير لشأنهم أى صيحة لا يحتاج معها الى ثانية وفى قوله (تأخذهم) أى تعمهم بالأخذ مبالغة أخرى وكذا فى قوله (وهم يخصمون) أى يشتغلون بمتاجرهم ومعاملاتهم وسائر ما يتخاصمون فيه ومع ذلك يصعقون وقيل تأخذهم وهم يختصمون فى أمر البعث قائلين انه لا يكون ثم بالغ فى شدة الأخذ بقوله (فلا يستطيعون توصية) وفى قوله لا يستطيعون دون أن يقول فلا يوصون مبالغة لأن من لا يوصى قد يستطيعها وكذلك فى تنكير توصية الدال على التقليل وكذا فى نفس التوصية لأنها بالقول والقول يوجد أسرع من الفعل من أداء الواجبات و ردّ المظالم وقد تحصل التوصية بالاشارة فالعاجز عنها عاجز عن غيرها وفى قوله (ولا الى أهلهم يرجعون) بيان لشدة الحاجة الى التوصية فان الذى يقطع بعدم الوصول الى أهله كان الى الوصية أحوج وفيه تنبيه على أن الميت لا رجوع له الى الدنيا ولا اجتماع له بأهله مرة أخرى الى حين يبعثون ثم بين حال النفخة الثانية والأجداث القبور والنسلان العدو وكيف صارت



النفختان مؤثرتين فى أمرين متضادين الاماتة والاحياء نقول لا مؤثر الا الله والنفخ علامة على أن الصوت يوجد الترزل وأنه قد يصير سببا لافتراق الاجزاء المجتمعة تارة ولاجتماع المتفرقة أخرى

ثم ان أجزاء كل بدن قد تحصل فى موضع هو بمنزلة جدثه أو أعطى للاكثر حكم الكل وذكر الرب فى هذا الموضع للتخجيل فان من أساء واضطر الى الحضور عند من أحسن اليه كان أشد ألما  وأكثر ندما وقوله (ينسلون) لا ينافى قوله فى موضع آخر فاذا هم قيام ينظرون فلعل ذلك فى أول الحالة ثم يحصل لهم سرعة المشى من غير اختيارهم ويمكن أن يقال ان هيئة الانتظار ليست بمنافية للمشى بل مؤكدة له ومعينة عليه وفى اذا المفاجأة اشارة الى أن الاحياء والتركيب والقيام والعدو كلها تقع فى زمان النفخ ثم بين أنهم قبل النسلان (قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا) كأنهم شكوا فى أنهم كانوا موتى فبعثوا أو كانوا نياما فنبهوا فجمعوا فى السؤال بين الأمرين البعث والمرقد عن مجاهد للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح بأهل القبور قالوا ذلك ثم أجابهم الملائكة فى رواية ابن عباس والمتقون على قول الحسن (هذا ما وعد الرحمن) كأنه قيل ليس بالبعث الذى عرفتموه وهو بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الأكبر الذى وعده الرحمن فى كتبه المنزلة على لسان رسله الصادقين والظاهر أن هذا مبتدأ وما وعد الرحمن الى آخره خبره وما مصدرية أى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالمصدر ويجوز أن يكون ما موصولة أى هذا الذى وعده الرحمن وصدقه المرسلون أى صدقوا فيه وجوز جار الله أن يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف أى هذا وعد الرحمن أو مبتدأ محذوف الخبر أى ما وعده الرحمن وصدقه المرسلون حق عليكم وقيل ان قوله هذا ما وعد الرحمن من كلام الكافرين كأنهم تذكروا ما سمعوا من الرسل فأجابوا به أنفسهم أو أجاب بعضهم بعضا ثم عظم شأن الصيحة بالنسبة الى المكلفين وحقر أمرها بالاضافة الى الجبار فقال (ان كانت الا صيحة) الآية وقدم نظيره ثم بين ما يكون فى ذلك اليوم

ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا معمر قال ثنا ابن شهاب عن على بن حسين عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى نفر من أصحابه قال فرمى بنجم ثم ذكر نحوه الا أنه زاد فيه قلت للزهرى أكان يرمى بها فى الجاهلية قال نعم ولكنها غلظت حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم حدثنى على بن داود قال ثنا عاصم بن على قال ثنا أبى على بن عاصم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان للجن مقاعد فى السماء يستمعون الوحى وكان الوحى اذا أوحى سمعت الملائكة كهيئة الحديدة يرمى بها على الصفوان فاذا سمعت الملائكة صلصلة الوحى خر لجباههم من فى السماء من الملائكة فاذا نزل عليهم أصحاب الوحى قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير قال فيتنادون قال ربكم الحق وهو العلى الكبير قال فاذا أنزل الى السماء الدنيا قالوا يكون فى الارض كذا وكذا موتا وكذا وكذا حياة وكذا وكذا جدوبة وكذا وكذا خصبا وما يريد أن يصنع وما يريد أن يبتدئ تبارك وتعالى فنزلت الجن فأوحوا الى أوليائهم من الانس مما يكون فى الارض فبيناهم كذلك اذ بعث الله النبى صلى الله عليه وسلم فزجرت الشياطين عن السماء ورموهم بالكواكب فجعل لا يصعد أحد منهم الا احترق وفزع أهل الارض لما رأوا فى الكواكب ولم يكن قبل ذلك وقالوا هلك من فى السماء وكان أهل الطائف أول من فزع فينطلق الرجل الى ابله فينحر كل يوم بعيرا لآلهتهم وينطلق صاحب الغنم فيذبح كل يوم شاة وينطلق صاحب البقر فيذبح كل يوم بقرة فقال لهم رجل ويلكم لا تهلكوا أموالكم فان معالمكم من الكواكب التى تهتدون بها لم يسقط منها شئ فأقلعوا وقد أسرعوا فى أموالهم وقال ابليس حدث فى الارض حدث فأتى من كل أرض بتربة فجعل لا يؤتى بتربة أرض الا شمها فلما أتى بتربة تهامة قال ههنا حدث الحدث وصرف الله اليه نفرا من الجن وهو يقرأ القرآن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا حتى ختم الآية فولوا الى قومهم منذرين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن لهيعة عن محمد بن عبد الرحمن عن عروة عن عائشة أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الملائكة تنزل فى العنان وهو السحاب فتذكر ما قضى فى السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه الى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم فهذه الأخبار تنبئ عن أن الشياطين تسمع ولكنها ترمى بالشهب لئلا تسمع فان ظن ظان أنه لما كان فى الكلام الى كان التسمع أولى بالكلام من السمع فان الأمر فى ذلك بخلاف ما ظن وذلك أن العرب تقول سمعت فلانا يقول كذا وسمعت الى فلان يقول كذا وسمعت من فلان وتأويل الكلام انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد أن لا يسمع الى الملأ الأعلى فحذفت ان اكتفاء بدلالة الكلام عليها كما قيل كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به بمعنى أن لا يؤمنوا به ولو كان مكان لا أن لكان فصيحا كما قيل يبين الله لكم أن تضلوا بمعنى أن لا تضلوا وكما قال وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم بمعنى أن لا تميد بكم والعرب قد تجزم مع لا فى مثل هذا الموضع الكلام فتقول ربطت الفرس لا يتفلت كما قال بعض بنى عقيل

وحتى رأينا أحسن الود بيننا * مساكنة لا يقرف الشر قارف

قائلا (فاليوم لاتظلم نفس شيأ ولاتجزون) ايها الكافرون (الا ما كنتم تعملون) وفيه اشارة الى أن عدله عام وفضله خاص بأهل الايمان وفيه أنهم اذا جمعوا لم يجمعوا الا للعدل أو الفضل فالفاء فيه كما فى قول القائل للوالى أو للقاضى جلست للعدل فلا تظلم أى ذلك يقتضى هذا ويستعقبه وقوله ما كنتم تعملون اشارة الى عدم الزيادة فان الشئ لا يزيد على عينه كقولك فلان يجازى حرفا بحرف أى لا يترك شيأ ويجوز أن يراد الجنس أى لا تجزون الا جنس العمل حسنا أو سيئا ثم فصل حال المحسنين بطريق الحكاية فى ذلك اليوم تصويرا للموعود وترغيبا فيه فقال (ان أصحاب الجنة اليوم فى شغل) لا يكتنه كنهه وفيه وجوه أقواها أنهم مشغولون عن هول ذلك اليوم بما لهم من الكرامات والدرجات وقوله (فاكهون) مؤكد لذلك المعنى أى شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والثبور وثانيها أنه بيان لحالهم ولا يريد أنهم شغلوا عن شئ بل المراد أنهم فى عمل ثم بين عملهم بأنه ليس بشاق بل هو ملذ محبوب وثالثها أنهم تصوروا فى الدنيا أمورا يطلبونها فى الجنة فاذا رأوا فيها ما لم يخطر ببالهم اشتغلوا به عنها وعن ابن عباس أن الشغل افتضاض الابكار وضرب الأوتار وقيل التزاور وقيل ضيافة الله وعن الكلبى هم فى شغل عن أهاليهم من أهل النار لا يهمهم أمرهم لئلا يدخل عليهم تنغيص من تنعمهم والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لأنها تؤكل للتلذذ لا للتغذى والفكاهة الحديث لأجل التلذذ لا للضرورة والأزواج ظاهرها زوج المرأة وزوجة الرجل وقيل أراد أشكالهم فى الأحساب وأمثالهم فى الايمان كقوله وآخر من شكله أزواج قال أهل العرفان من شرائط السماع الزمان والمكان والاخوان فقوله (هم وأزواجهم) فى ظلال اشارة الى عدم الوجوه الموحشة وأن لهم فى ظل الله ما يمنع الايذاء كقوله لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا وقوله (على الأرائك متكؤن)

ويروى لا يقرف رفعا والرفع لغة أهل الحجاز فيما قيل وقال قتادة فى ذلك ما حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا يسمعون الى الملا الأعلى قال منعوها ويعنى بقوله الى الملا الى جماعة الملائكة التى هم أعلى ممن هم دونهم وقوله ويقذفون من كل جانب دحورا ويرمون من كل جانب من جوانب السماء دحورا والدحور مصدر من قولك دحرته أدحره دحرا ودحورا والدحر الدفع والابعاد يقال منه ادحر عنك الشيطان أى ادفعه عنك وأبعده وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويقذفون من كل جانب دحورا قذفا قذفا بالشهب حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ويقذفون يرمون من كل جانب قال من كل مكان وقوله دحورا قال مطرودين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويقذفون من كل جانب دحورا قال الشياطين يدحرون بها عن الاستماع وقرأ وقال الا من استرق السمع فأتبعه شهاب ثاقب وقوله ولهم عذاب واصب يقول تعالى ذكره ولهذه الشياطين المسترقة السمع عذاب من الله واصب واختلف أهل التأويل فى معنى الواصب فقال بعضهم معناه الموجع ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح ولهم عذاب واصب قال موجع وحدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله عذاب واصب قال الموجع * وقال آخرون بل معناه الدائم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولهم عذاب واصب أى دائم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله عذاب واصب قال دائم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولهم عذاب واصب يقول لهم عذاب دائم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة عمن ذكره عن عكرمة ولهم عذاب واصب قال دائم حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولهم عذاب واصب قال الواصب الدائب * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من قال معناه دائم خالص وذلك أن الله قال وله الدين واصبا فمعلوم أنه لم يصفه بالايلام والايجاع وانما وصفه بالثبات والخلوص ومنه قول أبى الأسود الدؤلى

لا أشترى الحمد القليل بقاؤه * يوما بذم الدهر أجمع واصبا

أى دائما وقوله الا من خطف الخطفة يقول الا من استراق السمع منهم فأتبعه شهاب ثاقب يعنى مضىء متوقد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأتبعه شهاب ثاقب من نار وثقوبه ضوءه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله شهاب ثاقب قال شهاب مضىء يحرقه حين يرمى به حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فأتبعه شهاب قال كان ابن عباس يقول لا يقتلون

دليل على القوة والفراغة والتمكن من أنواع الملاذ وقوله (لهم فيها فاكهة) اشارة الى سائر أنواع الملاذ الزائدة على قدر الضرورة وقوله (ولهم مايدعون) اشارة الى دفع جميع حوائجهم  ومايخطر ببالهم قال الزجاج هو افتعل من الدعاء أى مايدعونه أهل الجنة

بشهاب ولا يموتون ولكنها تحرقهم من غير قتل وتخبل وتخدج من غير قتل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأتبعه شهاب ثاقب قال والثاقب المستوقد قال والرجل يقول أثقب نارك ويقول استثقب نارك استوقد نارك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد الله قال سئل الضحاك هل للشياطين أجنحة فقال كيف يطيرون الى السماء الا ولهم أجنحة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذين ينكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء يقول فسلهم أهم أشد خلقا يقول أخلقهم أشد أم خلق من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والارض وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله بن مسعود أهم أشد خلقا أم من عددنا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أهم أشد خلقا أم من خلقنا قال السموات والارض والجبال حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك أنه قرأ أأنتم أشد خلقا أم من عددنا وفى قراءة عبد الله بن مسعود عددنا يقول رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق يقول أهم أشد خلقا أم السموات والارض يقول السموات والارض أشد خلقا منهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من عددنا من خلق السموات والارض قال الله خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فاستفتهم أهم أشد خلقا قال يعنى المشركين سلهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا وقوله انا خلقناهم من طين لازب يقول انا خلقناهم من طين لاصق وانما وصفه جل ثناؤه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء ونار وهواء والتراب اذا خلط بماء صار طينا لازبا والعرب تبدل أحيانا هذه الباء ميما فتقول طين لازم ومنه قول النجاشى الحارثى

بنى اللؤم بيتا فاستقر عماده * عليكم بنى النجار ضربة لازم

ومن اللازب قول نابغة بنى ذبيان

ولا تحسبون الخير لا شر بعده * ولا تحسبون الشر ضربة لازب

وربما أبدلوا الزاى التى فى اللازب تاء فيقولون طين لاتب وذكر أن ذلك فى قيس زعم الفراء أن أبا الجراح أنشده

صداع وتوصيم العظام وفترة * وغثى مع الاشراق فى الجوف لاتب

بمعنى لازم والفعل من لازب لزب يلزب ويلزب لزوبا وكذلك من لاتب لتب يلتب لتوبا وبنحو الذى قلنا فى معنى لازب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبيد الله بن يوسف الجبيرى قال ثنا محمد بن كثير قال ثنا مسلم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله من طين لازب قال هو الطين الحر الجيد اللزج حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن قالا ثنا

يأتيهم وقال جار الله هو للاتخاذ أى مايدعون به اوما يدعون لأنفسهم كقولك يشتوى أى اتخذ لنفسه شواء أو هو بمعنى التداعى وعلى الوجهين اما أن يراد كل مايدعو به الله أحد أو كل مايطلبه من صاحبه فانه يجاب له بذلك أو يراد أن كل ما يصح أن يدعى به و يطلب فهو حاصل لهم قبل الطلب وقيل معناه يتمنون من قولهم ادع علىّ ماشئت أى تمنه علىّ وقيل هو من الدعوى وذلك أنهم كانوا يدعون فى الدنيا أن الله هو مولاهم وأن الكافرين لا مولى لهم بينه قوله (سلام) يقال لهم (قولا من رب رحيم) أى من جهته بواسطة الملائكة وقيل أراد لهم مايدعون سالم خالص لاشوب فيه وقولا أى عدة وعلى هذا يكون قوله لهم للبيان ومايدعون سلام مبتدأ وخبر كقولك لزيد الشرف متوفر وقال بعضهم يحتمل أن يكون قولا نصبا على التمييز لأن السلام من الملك قد يكون قولا وقد يكون اشارة وقال أهل البيان قوله (وامتازوا) معطوف على المعنى كأنه قيل دوموا أيها المؤمنون فى النعيم وامتازوا اليوم أيها المجرمون أو قلنا لأهل الجنة انكم فى شغل وقلنا لأهل النار امتازوا وهو كقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير أو تميزوا فى أنفسكم غيظا وحنقا فلا دواء لألمكم ولا شفاء لسقمكم كقوله فى صفة جهنم تكاد تميز من الغيظ أو افترقوا خلاف ما للمؤمن من الاجتماع بالاخوان فلا عذاب كعذاب الأخدان يؤيده ما روى عن الضحاك لكل كافر بيت من النار يكون فيه لا يرى ولا يرى وعن قتادة أراد سفيان اعتزلوا عن كل خير ترجون أو امتازوا عن شفعائكم وقرنائكم أو المراد تميزهم بسواد الوجه وزرقة العين وبأخذ الكتاب بالشمال وبخفة الميزان

وغيرذلك وقال صاحب المفتاح قوله ان أصحاب الجنة الى آخر الآيات خطاب لاهل المحشر بدلالة الفاء فى قوله فاليوم لاتظلم بعد قوله ان كانت الا صيحة وقد جاء فى التفاسير أن قوله ان أصحاب الجنة انما يقال  حين يسار بهم الى الجنة فيؤل معنى الكلام الى قول القائل ان أصحاب الجنة منكم يا أهل المحشر يؤل حالهم الى أسعد حال فليمتازوا عنكم الى الجنة وامتازوا أنتم عنهم أيها المجرمون ثم كان لسائل أن يقول ان الانسان خلق ظلوما جهولا والجهل عذر فبين الله تعالى أن الأعذار زائلة قائلا (ألم أعهد اليكم) والآية الى قوله أفلم تكونوا تعقلون شبه اعتراض فيه توبيخ لأهل النار وماذلك العهد عن بعضهم أنه الذى مر ذكره فى قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل وقيل هو المذكور فى قوله واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم وقيل هو المبين على لسان الرسل ومعنى (لاتعبدوا) لاتطيعوا ولاتنقادوا وسوسته وتزيينه وقوله (هذا) اشارة الى ماعهد اليهم من مخالفة الشيطان وعبادة الرحمن قال أهل المعانى التنوين فى قوله (صراط) للتعظيم اذ لاصراط أقوم منه أو للتنويع أى هذا بعض الطرق المستقيمة ففيه توبيخ لهم على العدول عنه كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ هذا فيما أظن قول نافع غير ضار وفى ذكر الصراط ههنا اشارة الى أن الانسان فى دار التكليف مسافر والمجتاز فى بادية يخاف فيها على نفسه وماله لايكون عنده شئ أهم من معرفة طريق قريب أمن ثم بين لهم عداوة الشيطان بقوله (ولقد أضل منكم جبلا) وهو فى لغاته كلها بمعنى الخلق من جبله الله على كذا أى طبعه عليه عن على رضى الله عنه أنه قرأ جيلا بياء منقوطة من تحت بنقطتين ثم أشار الى محل امتياز المجرمين اليه بقوله (هذه جهنم) وقوله (اصلوها) أمر إهانة وتنكيل نحو ذق وفى قوله (اليوم) اشارة الى أن اللذات قد مضت وأيامها قد انقضت وليس بعد ذلك الا العقاب روى أهل التفسير أنهم يجحدون يوم القيامة كفرهم فى الدنيا

سفيان عن الأعمش عن مسلم البطين عن سعيد عن ابن عباس قال اللازب الجيد **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن ابن عباس قال اللازب اللزج الطيب **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله من طين لازب يقول ملتصق **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله انا خلقناهم من طين لازب قال من التراب والماء فيصير طينا يلزق **حدثنا** هناد قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة فى قوله انا خلقناهم من طين لازب قال اللازب اللزج **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمن عن الضحاك انا خلقناهم من طين لازب واللازب الطين الجيد **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله انا خلقناهم من طين لازب واللازب الذى يلزق باليد **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله من طين لازب قال لازم **حدثنا** عمرو ابن عبد الحميد الآملى قال ثنا مروان بن معاوية قال ثنا جويبر عن الضحاك فى قوله من طين لازب قال هو اللازق **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا خلقناهم من طين لازب قال اللازب الذى يتلصق كأنه غراء ذلك اللازب قوله بل عجبت ويسخرون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة بل عجبت ويسخرون بضم التاء من عجبت بمعنى بل عظم عندى وكبر اتخاذهم لى شريكا وتكذيبهم تنزيلى وهم يسخرون وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بل عجبت بفتح التاء بمعنى بل عجبت أنت يا محمد ويسخرون من هذا القرآن * والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان فى قراء الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فان قال قائل وكيف يكون مصيبا القارئ بهما مع اختلاف معنييهما قيل انهما وان اختلف معنياهما فكل واحد من معنييه صحيح قد عجب محمد مما أعطاه الله من الفضل وسخر منه أهل الشرك بالله وقد عجب ربنا من عظيم ماقاله المشركون فى الله وسخر المشركون مما قالوه فان قال أكان التنزيل باحداهما أو بكلتيهما قيل التنزيل بكلتيهما فان قال وكيف يكون تنزيل حرف مرتين قيل انه لم ينزل مرتين انما أنزل مرة ولكنه أمر صلى الله عليه وسلم أن يقرأ بالقراءتين كلتيهما ولهذا موضع سنستقصى ان شاء الله فيه البيان عنه بما فيه الكفاية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل عجبت ويسخرون قال عجب محمد عليه السلام من هذا القرآن حين أعطيه وسخر منه أهل الضلالة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا ذكروا لايذكرون واذا رأوا آية يستسخرون﴾ يقول تعالى ذكره واذا ذكر هؤلاء المشركون حجج الله عليهم ليعتبروا ويتفكروا فينيبوا الى طاعة الله لايذكرون يقول لاينتفعون بالتذكير فيتذكروا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا ذكروا لايذكرون أى لاينتفعون ولايبصرون وقوله واذا رأوا آية يستسخرون يقول واذا رأوا حجة من حجج الله عليهم ودلالة على نبوة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يستسخرون يقول يسخرون

ويستهزؤن وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذا رأوا آية يستسخرون يسخرن منها ويستهزؤن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله واذا رأوا آية يستسخرون قال يستهزؤن يسخرون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون قل نعم وأنتم داخرون فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون من قريش بالله لمحمد صلى الله عليه وسلم ما هذا الذى جئتنا به الا سحر مبين يقول يبين لمن تأمله ورآه أنه سحر أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون يقولون منكرين بعث الله إياهم بعد بلائهم أئنا لمبعوثون أحياء من قبورنا بعد مماتنا ومصيرنا ترابا وعظاما قد ذهب عنها اللحوم أو آباؤنا الأولون الذين مضوا من قبلنا فبادوا وهلكوا يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء نعم أنتم مبعوثون بعد مصيركم ترابا وعظاما أحياء كما كنتم قبل مماتكم وأنتم داخرون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الأولون تكذيبا بالبعث قل نعم وأنتم داخرون وقوله وأنتم داخرون يقول تعالى ذكره وأنتم صاغرون أشد الصغر من قولهم صاغر داخر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنتم داخرون أى صاغرون حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وأنتم داخرون قال صاغرون وقوله فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون يقول تعالى ذكره فانما هى صيحة واحدة وذلك هو النفخ فى الصور فاذا هم ينظرون يقول فاذا هم شاخصة أبصارهم ينظرون الى ما كانوا يوعدونه من قيام الساعة ويعاينونه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله زجرة واحدة قال هى النفخة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون المكذبون اذا زجرت زجرة واحدة ونفخ فى الصور نفخة واحدة ياويلنا هذا يوم الدين يقولون هذا يوم الجزاء والمحاسبة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هذا يوم الدين قال يدين الله فيه العباد باعمالهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله هذا يوم الدين قال يوم الحساب وقوله هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون يقول تعالى ذكره هذا يوم فصل الله بين خلقه بالعدل من قضائه الذى كنتم به تكذبون فى الدنيا فتنكرونه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون يعنى يوم القيامة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله هذا يوم الفصل قال يوم يقضى بين أهل الجنة وأهل النار ﴿القول فى تأويل قوله تعالى

فيشهد يختم على افواههم وتتكلم جوارحهم وفى الحديث يقول العبد يوم القيامة انى لا اجيز شاهدا الا من نفسى فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت أناضل قال المتكلمون انه لا يبعد من الله تعالى انطاق كل جرم من الأجرام انطاق اللسان وهو فاعل لما يشاء كما يشاء قال الحكيم انهم لا يتكلمون بشئ لانقطاع أعذارهم وانهتاك أستارهم فيقفون ناكسى الرؤس وقوف القنوط اليؤس وتكلم الأعضاء عبارة عن ظهور أمارات الذنوب عليهم بحيث لا يبقى للانكار مجال كقول القائل الحيطان تبكى على صاحب الدار اذا ظهر أمارات الحزن وأسبابه ثم انه تعالى أسند الختم الى نفسه وأسند التكلم والشهادة الى الأيدى والأرجل لئلا يقال ان الاقرار بالاجبار غير مقبول وأيضا انه أسند التكلم الى الأيدى والشهادة الى الأرجل لأن الاعمال مستندة الى الأيدى غالبا كقوله وما عملته أيديهم بما كسبت أيديهم فهى كالعاملة والشاهد على العامل ينبغى أن يكون غيره وانما جعلت الشهادة عليهم منهم لأن غيرهم اما صالحون وهم أعداء للمجرمين فلهم أن يقولوا شهادتهم غير مقبولة فى حقنا واما فاسقون وشهادة الفسقة غير مقبولة شرعا * وههنا نكتة وهى أن الختم لازم للكفار فى الدارين ختم الله على قلوبهم فى الدنيا وكان قولهم بأفواههم كما قال يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم ثم اذا ختم على أفواههم أيضا فى الآخرة لزم أن يكون قولهم بسائر أعضائهم هذا وقد ذكرنا مرارا أنه تعالى كلما يذكر تمسك الجبرية يذكر عقيبه تمسك القدرية وبالعكس وكان للقدرية أن تتمسك بقوله يكسبون يكفرون حيث أسند الله الكفر والكسب اليهم فلا جرم عقبه بتمسك الجبرى وهو قوله (ولو نشاء لطمسنا) ووجه التمسك أن إعماء البصائر شبيه إعماء الابصار

وسلب القوة العقلية كسلب القوة الحسية فكأنه لو شاء لطمس على أبصارهم حتى لا يهتدوا الى الطريق الظاهر ولو شاء لسلب قوة جسومهم بالمسخ حتى لا يقدروا على تقدم ولا تأخر فكذلك اذا شاء أعمى البصائر وسلب قواهم العقلية حتى

﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم﴾ وفى هذا الكلام متروك استغنى بدلالة ماذكر عما ترك وهو فيقال احشروا الذين ظلموا ومعنى ذلك اجمعوا الذين كفروا بالله فى الدنيا وعصوه وأزواجهم وأشياعهم على ما كانوا عليه من الكفر بالله وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال ضرباءهم حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس احشروا الذين ظلموا وأزواجهم يقول نظراءهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم يعنى أتباعهم ومن أشبههم من الظلمة حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود قال سألت أبا العالية عن قول الله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله قال الذين ظلموا وأشياعهم حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن أبى العالية أنه قال فى هذه الآية احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال وأشياعهم حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا داود عن أبى العالية مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أى وأشياعهم الكفار مع الكفار حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال وأشباههم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال أزواجهم فى الأعمال وقرأ وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون فالسابقون زوج وأصحاب الميمنة زوج وأصحاب الشمال زوج قال كل من كان من هذا حشره الله معه وقرأ واذا النفوس زوجت قال زوجت على الاعمال لكل واحد من هؤلاء زوج زوج الله بعض هؤلاء بعضا زوج أصحاب اليمين أصحاب اليمين وأصحاب المشأمة أصحاب المشأمة والسابقين السابقين قال فهذا قوله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم قال أزواج الاعمال التى زوجهن الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأزواجهم قال أمثالهم وقوله وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم يقول تعالى ذكره احشروا هؤلاء المشركين وآلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله فوجهوهم الى طريق الجحيم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كانوا يعبدون من دون الله الأصنام حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فاهدوهم الى صراط الجحيم يقول وجهوهم وقيل ان الجحيم الباب الرابع من أبواب النار ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقفوهم انهم مسئولون مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يقول تعالى ذكره وقفوهم احبسوهم أى احبسوا أيها

لم يفهموا دليلا ولم يتفكروا فى آية والطمس محو أثر شق العين قال جار الله (فاستبقوا الصراط) أعمله فاستبقوا الى الصراط فانتصب بنزع الخافض والمعنى لو شاء لمسخ أعينهم فلو راموا أن يسبقوا الى الصراط الذى عهدوه واعتادوا على سلوكه الى مساكنهم لم يقدروا عليه اذ الصراط طريق الاستباق والاستباق مضمن معنى الابتدار فالمراد لو شاء لأعماهم حتى لو أرادوا أن يمشوا مستبقين فى الطريق المألوف أو مبتدرين اياه كما كان هجيراهم لم يستطيعوا أو يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا اليه فالمعنى لو طلبوا أن يخلفوا الصراط الذى اعتادوه لعجزوا ولم يقدروا الا على سلوك الطريق المعتاد كالعميان يهتدون فيما ألفوا من المقاصد والجهات دون غيرها عن ابن عباس أراد لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لأقعدناهم على أرجلهم أو أزمناهم على أرجلهم والمكان والمكانة واحد اراد مسخا مجمدا بحيث لا يقدرون أن يرجعوا مكانهم وانما قدم الطمس على المسخ تدرجا من الأهون الى الأصعب فان الأعمى قد يهتدى الى وجوه التصرف بأمارات عقلية أو حسية غير البصر وأما الممسوخ على مكانه فلا يهتدى الى شئ أصلا ولمثل ما قلنا قدم المضى على الرجوع فان سلوك طريق قد رآه مرة يكون أهون مما لم يره أصلا فنفى أولا استطاعة الأصعب ثم نفى استطاعة الأهون أيضا لأجل المبالغة وحين قطع الاعذار بسبق الانذار وذلك فى قوله ألم أعهد اليكم شرع فى قطع عذر آخر للكافر وهو أن يقول لم يكن لبثنا فى الدنيا الا يسيرا ولو عمرتنا لما وجدت منا تقصيرا فقال الله تعالى (ومن نعمره ننكسه فى الخلق) كقوله ومنكم من يرد الى أرذل العمر أفلا تعقلون أنكم كلما

دخائم فى السن ضعفتم وقد عمرتم ما تمكنتم فيه من النظر والعمل ومن لم يأت بالواجب فى زمان الامكان لم يأت به فى زمن الازمان وعن بعضهم طوى العصران مانشراه منى * فمالى جدتى نشر وطى أرانى كل يوم فى انتقاص * ولا يبقى على النقصان شئ

وقال آخر

أرى الأيام تتركنى وتمضى
وأوشك أنها تبقى وأمضى

علامة ذاك شيب قد علانى
وضعف عند ابرامى ونقضى

وما كذب الذى قد قال قبلى
اذا ما مر يوم مر بعضى

وحيث بين أصل الوحدانية والحشر فى هذه السورة مرات أقوبها قوله وأن اعبدونى وقوله هذه جهنم الى آخرها عاد الى أصل الرسالة بقوله (وما علمناه الشعر) وانما لم يقل وما علمناه السحر ولا الكهانة مع أنهم ادعوا أنه ساحر كاهن لأنه ما تحداهم الا بالقرآن وانما نسبوه الى السحر عند اظهار فعل خارق كشق القمر وحنين الجذع اليه ونسبوه الى الكهانة عند إخباره عن الغيوب وهو نوع خاص من الكلام من غير اعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية قال جار الله معنى قوله (وما ينبغى له) أنه لا يتأتى له ولا يتسهل كما جعلناه أميا لا يهتدى للخط وروى عن الخليل أن الشعر كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من الكلام ولكن كان لا يتأتى له قال وما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال

أنا النبى لا كذب
أنا ابن عبد المطلب

وقال

هل انت الا اصبع دميت
وفى سبيل الله ما لقيت

كلام اتفاق من غير قصد وتعمد والشعر كلام موزون مقفى مع تعمد وقيل أراد نفى الشعر عن القرآن فقال وما علمناه بتعليم القرآن الشعر وما ينبغى للقرآن أن يكون شعرا وأنا أقول الأحسن أن يقال ما ينبغى له معناه أنه لا يليق للشياطين بجلالة منصبه لأن الشعر مادته كلام يفيد تأثير ادون التصديق وهو التخييل وأما الوزن والقافية فهما كالصورة ويفيد انه ترويج وتزيينا

الملائكة هؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة انهم مسئولون فاختلف أهل التأويل فى المعنى الذى يأمر الله تعالى ذكره بوقفهم لمسألتهم عنه فقال بعضهم يسألهم هل يعجبهم ورود النار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة بن كهيل قال ثنا أبو الزعراء قال كنا عند عبد الله فذكر قصة ثم قال يتمثل الله للخلق فيلقاهم فليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيأ الا وهو مرفوع له يتبعه قال فيلقى اليهود فيقول من تعبدون قال فيقولون نعبد عزيرا قال فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم فيريهم جهنم وهى كهيئة السراب ثم قرأ انا عرضنا جهنم للكافرين عرضا قال ثم يلقى النصارى فيقول من تعبدون فيقولون المسيح فيقول هل يسركم الماء فيقولون نعم فيريهم جهنم وهى كهيئة السراب ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيء ثم قرأ عبد الله وقفوهم انهم مسئولون * وقال آخرون بل ذلك للسؤال عن أعمالهم ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا معتمر عن ليث عن رجل عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أيما رجل دعا رجلا الى شئ كان موقوفا لازما به لا يغادره ولا يفارقه ثم قرأ هذه الآية وقفوهم انهم مسئولون * وقال آخرون بل معنى ذلك وقفوا هؤلاء الذين ظلموا أنفسهم وأزواجهم انهم مسئولون عما كانوا يعبدون من دون الله وقوله مالكم لا تناصرون يقول مالكم أيها المشركون بالله لا ينصر بعضكم بعضا بل هم اليوم مستسلمون يقول بل هم اليوم مستسلمون لأمر الله فيهم وقضائه موقنون بعذابه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله مالكم لا تناصرون لا والله لا يتناصرون ولا يدفع بعضهم عن بعض بل هم اليوم مستسلمون فى عذاب الله وقوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قيل معنى ذلك وأقبل الانس على الجن يتساءلون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون الانس على الجن ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين﴾ يقول تعالى ذكره قالت الانس للجن انكم أيها الجن كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق فتخدعوننا بأقوى الوجوه واليمين القوة والقدرة فى كلام العرب ومنه قول الشاعر

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

يعنى بالقوة والقدرة ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تأتوننا عن اليمين قال عن الحق الكفار تقوله للشياطين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال قالت الانس للجن انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخير فتنهوننا عنه وتبطؤننا عنه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال تأتوننا من قبل الحق تزينون لنا الباطل وتصدوننا عن الحق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال قال بنو آدم

للشياطين الذين كفروا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال تحولون بيننا وبين الخير وردتمونا عن الاسلام والايمان والعمل بالخير الذى أمر الله به وقوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان يقول تعالى ذكره قالت الجن للانس مجيبة لهم بل لم تكونوا بتوحيد الله مقرين وكنتم للأصنام عابدين وما كان لنا عليكم من سلطان يقول قالوا وما كان لنا عليكم من حجة فنصدكم بها عن الايمان ونحول بينكم من أجلها وبين اتباع الحق بل كنتم قوما طاغين يقول قالوا لهم بل كنتم أيها المشركون قوما طاغين على الله متعدين الى ما ليس لكم التعدى اليه من معصية الله وخلاف أمره وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قالت لهم الجن بل لم تكونوا مؤمنين حتى بلغ قوما طاغين حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وما كان لنا عليكم من سلطان قال الحجة وفى قوله بل كنتم قوما طاغين قال كفار ضلال ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فحق علينا قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ يقول تعالى ذكره فحق علينا قول ربنا فوجب علينا عذاب ربنا انا لذائقون العذاب نحن وأنتم بما قدمنا من ذنوبنا ومعصيتنا فى الدنيا فهذا خبر من الله عن قيل الجن والانس كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فحق علينا قول ربنا الآية قال هذا قول الجن وقوله فأغويناكم انا كنا غاوين يقول فأضللنا كم عن سبيل الله والايمان به انا كنا ضالين وهذا أيضا خبر من الله عن قيل الجن والانس قال الله فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون يقول فان الانس الذين كفروا بالله وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله والذين أغووا الانس من الجن يوم القيامة فى العذاب مشتركون جميعا فى النار كما اشتركوا فى الدنيا فى معصية الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون قال هم والشياطين انا كذلك نفعل بالمجرمين يقول تعالى ذكره انا هكذا نفعل بالذين اختاروا معاصى الله فى الدنيا على طاعته والكفر به على الايمان فنذيقهم العذاب الأليم ونجمع بينهم وبين قرنائهم فى النار ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين﴾ يقول تعالى ذكره وان هؤلاء المشركين بالله الذين وصف صفتهم فى هذه الآيات كانوا فى الدنيا اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون يقول يتعظمون عن قيل ذلك ويتكبرون وترك من الكلام قولوا اكتفاء بدلالة الكلام عليه من ذكره وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون قال يعنى المشركين خاصة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون قال قال عمر بن الخطاب احضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله فانهم يرون ويسمعون وقوله ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون يقول تعالى ذكره ويقول هؤلاء المشركون من قريش أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون يقول لاتباع شاعر مجنون يعنون بذلك نبى الله صلى الله عليه وسلم ونقول لا اله الا الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

لجل رتبته من التخييل الذى هو قريب من المغالطة ولهذا لم يؤمر بأن يدعو بهما الى سبيل ربه وانما امر بأن يدعو الى الدين بسائر أصناف الكلام حيث قيل ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن ونظيره قوله ههنا (ان هو الا ذكر) أى موعظة (وقرآن مبين) ذو البيان أو الابانة وأنه يشمل البرهان والجدل أما البرهان فظاهر وأما الجدل فلان النتيجة اذا كانت فى نفسها حقة فالرجل العالم المحق ليس عليه الا إلحام الخصم الألد والزامه بمقدمات مسلمة أو مشهورة ومما يؤيد ما ذكرنا ما روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يقرأ قول طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا
ويأتيك بالأخبار من لم تزود

هكذا ويأتيك من لم تزود بالأخبار ولا ريب أنه كان يتأتى له رواية الشعر ان لم يتأت له قرضه وماذاك الا للتنزه عما يشبه ما يشين رتبته ولا يوافق مغزاه ويروى أنه صلى الله عليه وسلم حين قال

* هل أنت الا اصبع دميت *
وفى سبيل الله ما لقيت

قال له الكفار ان محمدا قد ودعه ربه وقلاه وهذا أحد أسباب نزول تلك الآية ولمثل ما قلنا لم يروعنه كلام منظوم وان كان حقا وصدقا كالذى قاله بعض الشعراء فى التوحيد والحقائق وقد أشار الى نحو ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وقد مر فى تفسير قوله سبحانه فى آخر الشعراء الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذلك أن الشاعر يقصد لفظا فيوافقه معنى حكمى وبالجملة لا يخلو الشعر عن تكلف ما وقد يدعوه النظم الى تغيير المعنى لمراعاة اللفظ فأين الشارع من الشاعر ثم بين كون القرآن منزلا على هذا الوجه بقوله (لينذر) يا محمد أو لينذر



هو أى القرآن (من كان حيا) عاقلا متأملا ويجوز أن تكون الحياة عبارة عن الايمان أو المراد بالحى من يؤل حاله الى الايمان أو المراد بالانذار الانتفاع به مثل هدى للمتقين انما تنذر من اتبع الذكر وقوله (ويحق القول) كقوله

فى أول السورة لقد حق القول وقد مر وهذا كلام مطابق من حيث المعنى كانه قال لتنذر من كان حيا ويحق القول على من كان ميتا لان الكافر
فى عداد الموتى ثم عاد الى تقرير دلائل الوحدانية  مع تعداد النعم فقال (اولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت) أى من جملة ما عملته
(أيدينا) فاستعار عمل الأيدى لتفرده بالاحداث والايجاد مع اشتمال المحدث والموجد على غرائب وعجائب حتى قال فيه أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت وقوله (فهم لها مالكون) اشارة الى اتمام الانعام فى خلق الأنعام وقوله (وذللناها لهم) اشارة الى ما فوق التمام فقد يملك الشئ ولا يكون مسخرا ومن الذى يقدر على تذليل الابل لولا أمر الله بتسخيرها حتى قال بعضهم يصرفه الصبى بكل وجه
ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى
فلا غير لديه ولا نكير
والجرير حبل يجعل للبعير بمنزلة العذار للدابة ومن زعم أن الملك بمعنى الضبط من قوله لأملك رأس البعير أن يفر يلزمه التكرار ثم فصل بعض منافعها بقوله (فمنها ركوبهم) والركوب والركوبة ما يركب كالحلوب والحلوبة والتاء للمبالغة وقيل للوحدة والمنافع كالجلود والأوبار والأصواف ذكرها بالاسم العام لما فى تفصيلها من الطول والمشارب جمع مشرب وهو موضع الشرب أى الاوانى المتخذة من جلودها أو هو الشرب كالألبان والاسمان وحين وبخهم على عدم الشكر بقوله (أفلا يشكرون) زاد فى توبيخهم بقوله (واتخذوا من دون الله آلهة) أى وضعوا الشرك مكان الشكر فلا أظلم منهم وفى قوله (لعلهم ينصرون) الى قوله محضرون وجهان أحدهما أنهم طمعوا فى أن يتقووا بهم ويعتضدوا بامكانهم والامر عكس ذلك حيث هم جند لآلهتهم معدون يحدمونهم ويذبون عنهم من غير نفع أن
فى آلهتهم وثانيهما اتخذوهم لينصروهم عند الله بالشفاعة والامر على خلاف ذلك حيث ان آلهتهم يوم القيامة جند محضرون لعذابهم لأنهم

ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله بل جاء بالحق وهذا خبر من الله مكذبا للمشركين الذين قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم شاعر مجنون كذبوا ما عهد كما وصفوه به من أنه شاعر مجنون بل هو الله نبى جاء بالحق من عنده وهو القرآن الذى أنزله عليه وصدق المرسلين الذين كانوا من قبله وبمثل الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل جاء بالحق بالقرآن وصدق المرسلين أى صدق من كان قبله من المرسلين ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ انكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون الا ما كنتم تعملون الا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم﴾ يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من أهل مكة القائلين لمحمد شاعر مجنون انكم أيها المشركون لذائقو العذاب الموجع فى الآخرة وما تجزون يقول وما تثابون فى الآخرة اذا ذقتم العذاب الأليم فيها الا ثواب ما كنتم فى الدنيا تعملون من معاصى الله وقوله الا عباد الله المخلصين يقول الا عباد الله الذين أخلصهم يوم خلقهم لرحمته وكتب لهم السعادة فى أم الكتاب فانهم لا يذوقون العذاب لأنهم أهل طاعة الله وأهل الايمان به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الا عباد الله المخلصين قال هذه ثنية الله وقوله أولئك لهم رزق معلوم يقول هؤلاء وهم عباد الله المخلصون لهم رزق معلوم وذلك الرزق المعلوم هو الفواكه التى خلقها الله لهم فى الجنة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أولئك لهم رزق معلوم فى الجنة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله أولئك لهم رزق معلوم قال فى الجنة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ فواكه وهم مكرمون فى جنات النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ قوله فواكه ردّا على الرزق المعلوم تفسيرا له ولذلك رفعت وقوله وهم مكرمون يقول وهم مع الذى لهم من الرزق المعلوم فى الجنة مكرمون بكرامة الله التى أكرمهم الله بها فى جنات النعيم يعنى فى بساتين النعيم على سرر متقابلين يعنى أن بعضهم يقابل بعضا ولا ينظر بعضهم فى قفا بعض وقوله يطاف عليهم بكأس من معين يقول تعالى ذكره يطوف الخدم عليهم بكأس من خمر جارية ظاهرة لأعينهم غير غائرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يطاف عليهم بكأس من معين قال كأس من خمر جارية والمعين هى الجارية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم فى قوله بكأس من معين قال كل كأس فى القرآن فهو خمر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الله بن داود عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قال كل كأس فى القرآن فهو خمر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله بكأس من معين قال الخمر والكأس عند العرب كل اناء فيه شراب فان لم يكن فيه شراب لم يكن كأسا ولكنه يكون اناء وقوله بيضاء لذة للشاربين يعنى بالبيضاء الكأس ولتأنيث الكأس أنثت البيضاء ولم يقل أبيض وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله صفراء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله بيضاء قال السدى فى قراءة عبد الله صفراء وقوله لذة للشاربين يقول هذه الخمر لذة يلتذها شاربوها وقوله لا فيها غول يقول لا فى هذه الخمر غول وهو

يجعلون وقود النار ووجه ثالث وهو ان يكون قوله وهم لهم جند محضرون تأكيدا لعدم الاستطاعة فان من حضر واجتمع ثم عجز عن النصرة يكون فى غاية الضعف بخلاف من لم يتأهب ولم يجمع أنصاره ثم عقب دليل التوحيد  بالرسالة مسليا رسوله بقوله (فلا يحزنك قولهم) باتخاذ الشريك لله أو بالطعن فى الرسالة او بالايذاء والتهديد ثم علل عدم الحزن بقوله (انا نعلم ما يسرون) من النفاق وسائر العقائد الفاسدة (وما يعلنون) من الشرك وسائر الأفعال القبيحة أو يسرون من المعرفة بالله و يعلنون من العناد وجوز جار الله فتح أن على تقدير لام التعليل بل جوز أن تكون المفتوحة بدلا من قولهم والمكسورة مفعولا لقولهم ويكون نهى الرسول عن ذلك كنهيه عن الشرك فى قوله ولا تكونن من المشركين ثم أردف الرسالة بالحشر مع أن فيه دليلا آخر على التوحيد مأخوذا من الانفس فان الاول كان مأخوذا من الآفاق وفى قوله (فاذا هو خصيم مبين) وجهان أحدهما فاذا هو بعد ما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق معرب عما فى ضميره كقوله أو من ينشؤ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقوله من نطفة اشارة الى أدنى ما كان عليه الانسان وقوله فاذا هو خصيم مبين اشارة الى أعلى ما حصل عليه الآن لان أعلى أحوال الناطق أن يقدر على المخاصمة والذب عن نفسه بالكلام الفصيح وثانيهما قول كثير من المفسرين انها نزلت فى جماعة من كفار قريش تكلموا فى البعث فقال لهم أبى بن خلف الجمحى واللات والعزى لأصيرن الى محمد ولأخصمنه وأخذ عظما باليا فجعل يفتته بيده و يقول يا محمد أترى الله يحيى هذا بعد ما قد رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم و يبعثك و يدخلك جهنم قال أهل البيان سمى قولهم من يحيى العظام وهى رميم مثلا لان انكار قدرة الله تعالى على احياء الموتى قصة عجيبة وفيه تشبيه الخالق القادر العليم بالمخلوق العاجز عن خلق أدنى بعوضة الجاهل بما يجرى عليه من الاحوال والرميم اسم لما بلى من العظام كالرمة والرفات

أن تغتال عقولهم يقول لا تذهب هذه الخمر بعقول شاربيها كما تذهب بها خمور أهل الدنيا اذا شربوها فأكثروا منها كما قال الشاعر

وما زالت الكأس تغتالنا * وتذهب بالأول الأول

والعرب تقول ليس فيها غيلة وغائلة وغول بمعنى واحد و رفع غول ولم ينصب بلا لدخول حرف الصفة بينها و بين الغول وكذلك تفعل العرب فى التبرئة اذا حالت بين لا والاسم بحرف من حروف الصفات رفعوا الاسم ولم ينصبوه وقد يحتمل قوله لا فيها غول أن يكون معناه ليس فيها ما يؤذيهم من مكروه وذلك أن العرب تقول للرجل يصاب بأمر مكروه أو ينال بداهية عظيمة غال فلانا غول

وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه ليس فيها صداع ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله لا فيها غول يقول ليس فيها صداع * وقال آخرون بل معنى ذلك ليس فيها أذى فتشكى منه بطونهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس لا فيها غول قال هى الخمر ليس فيها وجع بطن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لا فيها غول قال وجع بطن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا فيها غول قال الغول ما يوجع البطون وشارب الخمر ههنا يشتكى بطنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا فيها غول يقول ليس فيها وجع بطن ولا صداع رأس * وقال آخرون معنى ذلك أنها لا تغول عقولهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى لا فيها غول قال لا تغتال عقولهم * وقال آخرون بل معنى ذلك ليس فيها أذى ولا مكروه ذكر من قال ذلك حدثت عن يحيى بن زكريا بن أبى زائدة عن اسرائيل عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير فى قوله لا فيها غول قال أذى ولا مكروه حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا عبد الله بن بزيعة قال أخبرنا اسرائيل عن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله لا فيها غول قال ليس فيها أذى ولا مكروه * وقال آخرون بل معنى ذلك ليس فيها اثم ولكل هذه الأقوال التى ذكرناها وجه وذلك أن الغول فى كلام العرب هو ما غال الانسان فذهب به فكل من ناله أمر يكرهه ضر به ذلك المثل فقالوا غالت فلانا غول فالذاهب العقل من شرب الشراب والمشتكى البطن منه والمصدع الرأس من ذلك والذى ناله منه مكروه كلهم قد غالته غول فاذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد نفى عن شراب الجنة أن يكون فيه غول فالذى هو أولى بصفته أن يقال فيه كما قال جل ثناؤه لا فيها غول فيعم بنفى كل معانى الغول عنه وأعم ذلك أن يقال لا أذى فيها ولا مكروه على شاربيها فى جسم ولا عقل ولا غير ذلك واختلفت القراء فى قراءة قوله ولا هم عنها ينزفون فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة و بعض قراء الكوفة ينزفون بفتح الزاى بمعنى ولا هم عن شربها تنزف عقولهم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ولا هم عنها ينزفون بكسر الزاى بمعنى ولا هم عن شربها ينفد شرابهم * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى غير مختلفتيه فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن أهل الجنة لا ينفد شرابهم ولا يسكرهم

ولا يبعد ان يكون صفة ولم تؤنث بتقدير موصوف محذوف أى شئ رميم اولأنه بمعنى فاعل كقوله ان رحمة الله قريب وفى الآية دليل ظاهر على أن عظام الميتة نجسة لان الموت  والحياة يتعاقبان عليها وقال أصحاب أبى حنيفة انها طاهرة وان الحياة لا تحل فيها

شرعهم اياه فيذهب عقولهم واختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه لا تذهب عقولهم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ولا هم عنها ينزفون يقول لا تذهب عقولهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا هم عنها ينزفون يقول لا تنزف فتذهب عقولهم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا هم عنها ينزفون قال لا تذهب عقولهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولا هم عنها ينزفون قال لا تنزف عقولهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا هم عنها ينزفون قال لا تنزف العقول حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا هم عنها ينزفون قال لا تغلبهم على عقولهم وهذا التأويل الذى ذكرناه عمن ذكرنا عنه لم تفصل لنا رواته القراءة الذى هذا تأويلها وقد يحتمل أن يكون ذلك تأويل قراءة من قرأها ينزفون و ينزفون كلتيهما وذلك أن العرب تقول قد نزف الرجل فهو منزوف اذا ذهب عقله من السكر وأنزف فهو منزوف محكية عنهم اللغتان كلتاهما فى ذهاب العقل من السكر وأما اذا فنيت خمر القوم فانى لم أسمع فيه الا أنزف القوم بالألف ومن الانزاف بمعنى ذهاب العقل من السكر قول الأبيرد

لعمرى لئن أنزفتموا أو صحوتمو * لبئس الندامى كنتموا آل أبجرا

﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ يقول تعالى وعند هؤلاء المخلصين من عباد الله فى الجنة قاصرات الطرف وهن النساء اللواتى قصرن أطرافهن على بعولتهن ولا يردن غيرهم ولا يمددن أبصارهن الى غيرهم و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وعندهم قاصرات الطرف عين يقول عن غير أزواجهن حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وعندهم قاصرات الطرف عين قال على أزواجهن زاد الحارث فى حديثه لا تبغى غيرهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وعندهم قاصرات الطرف قال قصرن أبصارهن وقلوبهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال ذكر أيضا عن منصور عن مجاهد مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وعندهم قاصرات الطرف قال قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله قاصرات الطرف قال لا ينظرن الا الى أزواجهن قد قصرن أطرافهن على أزواجهن ليس كما يكون نساء أهل الدنيا وقوله عين يعنى بالعين النجل العيون عظامها وهى جمع عيناء والعيناء المرأة الواسعة العين عظيمتها وهى أحسن ما تكون من العيون و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد

فلا يتصور موتها وكذا الشعر والعصب وتأولوا الآية بأن المراد باحياء العظام ردها على ما كانت عليه غضة طرية فى بدن حى حساس واعلم أن المنكرين للحشر منهم من اكتفى فى انكاره بمجرد الاستبعاد كقوله من يحيى العظام وهى رميم فأزال استبعادهم بتصوير الخلق الاول فان الذى قدر على جعل النطفة المتشابهة الاجزاء انسانا مختلف الابعاض والاعضاء مودعا فيه الفهم والعقل وسائر أسباب المزية والفضل فهو على اعادتها أقدر ومنهم من ذكر شبهة وهى كقولهم ان الانسان بعد العدم لم يبق شيأ فكيف يصح اعادة المعدوم عقلا أو كقولهم ان الذى تفرقت أجزاؤه فى أبدان السباع وجدران الرباع كيف يجمع و يعاد أو كقولهم ان انسانا اذا نشأ مغتذيا بلحم انسان آخر فلابد أن لا يبقى للآكل وللمأكول جزء يمكن اعادته فأجاب الله تعالى عن الاول بقوله (يحييها الذى أنشأها أول مرة) يعنى كما خلق الانسان ولم يكن شيأ مذكورا فانه يعيده وان لم يكن شيأ وعن الباقيتين بقوله (وهو بكل خلق عليم) فيجمع الاجزاء المتفرقة فى البقاع والسباع وهكذا يعلم الاصلى من الفضلى فيجمع الاجزاء الاصلية للآكل والمأكول ثم شبه خلق الانسان بل الحيوان من قبل ايداع الحرارة الغريزية التى بها قوام الحياة فى جوهر رطب طرى بانشاء الشجر الاخضر الذى تنقدح منه النار قالت العرب فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار أى استكثر واستغزر يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين وهما خضرا وان يقطر ابن منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهى أنثى فتنقدح النار باذن الله عز وجل وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها نار الا العناب

قالوا ولذلك يتخذ منه كذينقات القصارين قلت ويشبه أن يكون كل شجرة فى غاية الصلابة هكذا الا أن يكون له سبب خاص به كما يروى أنه معجزة لموسى عليه السلام فانه قد رأى النار فيها فلا ينبغى لغيره أن يراها  ثم أكد قدرته الكاملة على خلق الانسان ابتداء واعادة بتذكر خلق السموات والارض الذى هو أكبر من خلق الناس ثم أثبت ما نفاه مستفهما للتقرير بقوله (بلى وهو الخلاق) الكثير الخلق الكامل فيه (العليم) بكل جوهر وعرض وما يطلق عليه اسم الشيئية ثم بين أن ايجاده ليس متوقفا الا على تعلق الارادة بالمقدور وقد مر تقريره فى أوائل البقرة وغيرها قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن المعدوم شئ وأجيب بأن الآية دلت على أنه حين تعلق الارادة به شئ أما انه قبل ذلك شئ فكلا ثم ختم السورة بتقرير المبدا والمعاد على الاجمال فقوله (بيده ملكوت كل شئ) اشارة الى المبدا وقوله (واليه ترجعون) اشارة الى المعاد واذا تقرر الطرفان فما بينهما الوسط المشتمل على التكاليف والرسالة فهذه الآية كالنتيجة للمقدمات السابقة فى السورة عن ابن عباس كنت لا أعلم ما روى فى فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا أنه لهذه الآية روى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس فذكر الامام الغزالى رضى الله عنه أن الايمان صحته بالاعتراف بالحشر وانه مقرر فى هذه السورة بابلغ وجه فلذلك سماها قلب القرآن وقال غيره ان الاصول الثلاثة التى يتعلق بها نصيب الجنان وهى التوحيد والرسالة والحشر مكررة فى هذه السورة وليس فيها شئ من بيان وظيفة اللسان ولا العمل بالاركان فلما كان أعمال القلب لا غير سماه قلبا ولهذا ورد فى الاخبار أنه ينبغى أن تقرأ على الميت حالة النزع وذلك ليزداد بها قوة قلبه فان الاعضاء الظاهرة وقتئذ ساقطة المنة والقلب مقبل على الله معرض عما سواه ولنا فيه وجه هو بالتأويل أشبه فلنذكره هناك

ابن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله عين قال عظام الأعين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله عين قال العيناء العظيمة العين **حدثنا** أحمد ابن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا محمد بن الفرج الصدفى الدمياطى عن عمرو بن هاشم عن ابن أبى كريمة عن هشام بن حسان عن أبيه عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أنها قالت قلت يا رسول الله أخبرنى عن قول الله حور عين قال العين الضخام العيون شفرا الحوراء بمنزلة جناح النسر وقوله كأنهن بيض مكنون اختلف أهل التأويل فى الذى به شبههن من البيض بهذا القول فقال بعضهم شبههن ببطن البيض فى البياض وهو الذى داخل القشر وذلك أن ذلك لم يمسه شئ ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله كأنهن بيض مكنون قال كأنهن بطن البيض **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى كأنهن بيض مكنون قال البيض حين يقشر قبل أن تمسه الأيدى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كأنهن بيض مكنون لم تمرّ به الأيدى ولم تمسه يشبهن ببياضه * وقال آخرون بل شبههن بالبيض الذى يحضنه الطائر فهو الى الصفرة فشبه بياضهن فى الصفرة بذلك ذكر من قال ذلك **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله كأنهن بيض مكنون قال البيض الذى يكنه الريش مثل بيض النعام الذى قد أكنه الريش من الريح فهو أبيض الى الصفرة فكأنه يبرق فذلك المكنون * وقال آخرون بل عنى بالبيض فى هذا الموضع اللؤلؤ وبه شبههن فى بياضه وصفائه ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كأنهن بيض مكنون يقول اللؤلؤ المكنون * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب عندى قول من قال شبههن فى بياضهن وأنهن لم يمسهن قبل أزواجهن انس ولا جان ببياض البيض الذى هو داخل القشر وذلك هو الجلدة الملبسة المح قبل أن تمسه يد أو شئ غيرها وذلك لا شك هو المكنون فأما القشرة العليا فان الطائر يمسها والأيدى تباشرها والعش يلقاها والعرب تقول لكل مصون مكنون ما كان ذلك الشئ لؤلؤا كان أو بيضا أو متاعا كما قال أبو دهبل

وهى زهراء مثل لؤلؤة الغـ ـواص ميزت من جوهر مكنون

وتقول لكل شئ أضمرته الصدور أكننته فهو مكن ونحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثنا محمد بن الفرج الصدفى الدمياطى عن عمرو بن هاشم عن ابن أبى كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة قلت يا رسول الله أخبرنى عن قوله كأنهن بيض مكنون قال رقتهن كرقة الجلدة التى رأيتها فى داخل البيضة التى تلى القشر وهى الغرقئ وقوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون يقول تعالى ذكره فأقبل بعض أهل الجنة على بعض يتساءلون يقول يسأل بعضهم بعضا كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون أهل الجنة **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال أهل الجنة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين

التأويل اتقوا ما بين أيديكم من الدنيا وشهواتها وما خلفكم من نعيم الجنة ولذاتها لعلكم ترحمون بمشاهدة الجمال وأنوار الكمال ونفخ في الصور اشارة الى نفخ اسرافيل المحبة في صور القلب فاذا السر والروح والخفى من أجداث أوصاف البشرية الى ربهم ينسلون يرجعون بعضها بالسير وبعضها بالطيران ان أصحاب الجنة اليوم في شغل شغلهم الله بالمفاكهة عن المشاهدة كما قال بعض الصوفية والناس يخرجون من مسجد الجامع هؤلاء حشو الجنة وللجالسة أقوام آخرون وهم الفارغون من الالتفات الى الكونين قال الله تعالى فاذا فرغت أى من تعلقات الكونين فانصب لطلب الوصال ويحكى أن الآية قرئت في مجلس الشبلى رضى الله عنه فشهق شهقة وغاب فلما أفاق قال مساكين لو علموا أنهم عم شغلوا لهلكوا ويحتمل أن يقال انهم اليوم أى في الدنيا في شغل بانواع الطاعات والعبادات من طلب الحق والشوق الى لقائه كما يحكى عن يحيى ابن معاذ أنه قال رأيت رب العزة في منامى فقال لى يا ابن معاذ كل الناس يطلبون منى الا أبا يزيد فانه يطلبنى ويمكن أن يقال انهم اليوم في الدنيا في شغل بالطاعات والرضا بما قسم الله عن طلب اللذات والفوائد وارتكاب المحرمات والزوائد أو يقال انه خطاب للعصاة فان أهل الله هم المستغرقون في بحار عظمة الله وأهل الجنة مشتغلون باستيفاء اللذات وليس للعصاة الا رحمتى وكرمى كما قال يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وتشهد أرجلهم في بعض الاخبار المروية ان عبد التشهد عليه اعضاؤه بالذلة وتطاير شعرة من جفن عينه فتستأذن بالشهادة له فيقول الحق تعالى تكلمى يا شعرة جفن عين عبدى واحتجى عن عبدى فتشهد له بالبكاء من خوفه فيغفر له وينادى مناد القراء هذا عتيق الله بشعرة ومن نعمره ننكسه ان السالك اذا عمر صار في آخر الامر الى الفناء في الله حتى لا يبقى منه ما يستند الفعل اليه وفي قوله

أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون؟ يقول تعالى ذكره قال قائل من أهل الجنة اذ أقبل بعضهم على بعض يتساءلون انى كان لى قرين فاختلف أهل التأويل في القرين الذى ذكر في هذا الموضع فقال بعضهم كان ذلك القرين شيطانا وهو الذى كان يقول له أئنك لمن المصدقين بالبعث بعد الممات ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله انى كان لى قرين قال شيطان * وقال آخرون ذلك القرين شريك كان له من بنى آدم أو صاحب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قال قائل منهم انى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين قال هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الايمان فيقول له المشرك انك لتصدق بأنك مبعوث من بعد الموت أئذا كنا ترابا فلما أن صاروا الى الآخرة وأدخل المؤمن الجنة وأدخل المشرك النار فاطلع المؤمن فرأى صاحبه في سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين حدثنى اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن فرات بن ثعلبة البهرانى في قوله انى كان لى قرين قال ان رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار وكان أحدهما له حرفة والآخر ليس له حرفة فقال الذى له حرفة للآخر ليس لك حرفة ما أرانى الا مفارقك ومقاسمك فقاسمه وفارقه ثم ان الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت للملك مات فدعا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار قال ما أحسنها فلما خرج قال اللهم ان صاحبي هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وانى أسألك دارا من دور الجنة فتصدق بألف دينار ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم انه تزوج امرأة بألف دينار فدعاه وصنع له طعاما فلما أتاه قال انى تزوجت هذه المرأة بألف دينار قال ما أحسن هذا فلما انصرف قال يا رب ان صاحبي تزوج امرأة بألف دينار وانى أسألك امرأة من الحور العين فتصدق بألف دينار ثم انه مكث ما شاء الله أن يمكث ثم اشترى بستانين بألفى دينار ثم دعاه فأراه فقال انى ابتعت هذين البستانين فقال ما أحسن هذا فلما خرج قال يا رب ان صاحبي قد اشترى بستانين بألفى دينار وأنا أسألك بستانين من الجنة فتصدق بألفى دينار ثم ان الملك أتاهما فتوفاهما ثم انطلق بهذا المتصدق فأدخله دارا تعجبه فاذا امرأة تطلع بضى ء ما تحتها من حسنها ثم أدخله بستانين وشيأ الله به عليم فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال فانه ذاك ولك هذا المنزل والبستانان والمرأة قال فانه كان لى صاحب يقول أئنك لمن المصدقين قيل له فانه في الجحيم قال فهل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم فقال عند ذلك تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين الآيات وهذا التأويل الذى تأوله فرات بن ثعلبة يقوى قراءة من قرأ انك لمن المصدقين بتشديد الصاد بمعنى لمن المتصدقين لأنه يذكر أن الله تعالى ذكره انما أعطاه ما أعطاه على الصدقة لا على التصديق وقراءة قراء الامصار على خلاف ذلك بل قراءتها بتخفيف الصاد وتشديد الدال بمعنى انكار قرينه عليه التصديق أنه يبعث بعد الموت كأنه قال أتصدق بأنك تبعث بعد مماتك وتجزى بعملك وتحاسب يدل على ذلك قول الله أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون وهى القراءة الصحيحة عندنا التى لا يجوز خلافها لاجماع الحجة من

القراء عليها وقوله أئنا لمدينون يقول أئنا لمحاسبون ومجزيون بعد مصيرنا عظاما ولحوما ترابا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أئنا لمدينون يقول أئنا لمجازون بالعمل كما تدين تدان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أئنا لمدينون أئنا لمحاسبون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أئنا لمدينون محاسبون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين ﴾ يقول تعالى ذكره قال هذا المؤمن الذى أدخل الجنة لأصحابه هل أنتم مطلعون فى النار لعلى أرى قرينى الذى كان يقول لى انك لمن المصدقين بأنا مبعوثون بعد الممات وقوله فاطلع فرآه فى سواء الجحيم يقول فاطلع فى النار فرآه فى وسط الجحيم وفى الكلام متروك استغنى بدلالة الكلام عليه من ذكره وهو فقالوا نعم وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فى سواء الجحيم يعنى فى وسط الجحيم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى سواء الجحيم يعنى فى وسط الجحيم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عباد بن راشد عن الحسن فى قوله فى سواء الجحيم يقول فى وسط الجحيم حدثنا ابن سنان قال ثنا عبد الصمد قال ثنا عباد بن راشد قال سمعت الحسن فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن بن حرب قال ثنا أبو هلال قال ثنا قتادة فى قوله سواء الجحيم قال وسطها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال هل أنتم مطلعون قال سأل ربه أن يطلعه قال فاطلع فرآه فى سواء الجحيم أى فى وسط الجحيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن خليد العصرى قال لولا أن الله عرفه اياه ما عرفه لقد تغير حبره وسبره بعده وذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم فقال تالله ان كدت لتردين ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين حدثنا ابن بشار قال ثنا ابراهيم بن أبى الوزير قال ثنا سفيان بن عيينة عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن مطرف بن عبد الله فى قوله فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال والله لولا أنه عرفه ما عرفه لقد غيرت النار حبره وسبره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله هل أنتم مطلعون قال كان ابن عباس يقرؤها هل أنتم مطلعونى فاطلع فرآه فى سواء الجحيم قال فى وسط الجحيم وهذه القراءة التى ذكرها السدى عن ابن عباس أنه كان يقرأ فى مطلعون ان كانت محفوظة عنه فانها من شواذ الحروف وذلك أن العرب لا تؤثر فى المكنى من الأسماء اذا اتصل بفاعل على الاضافة فى جمع أو توحيد لا يكادون أن يقولوا أنت مكلمنى ولا أنتما مكلمانى ولا أنتم مكلمونى ولا مكلمونى وانما يقولون أنت مكلمى وأنتما مكلماى وأنتم مكلمىّ وان قال منهم قائل ذلك قاله على وجه الغلط توهما به أنت تكلمنى وأنتما تكلمانى وأنتم تكلمونى كما قال الشاعر

وما أدرى وظنى كل ظن * أمسلمنى الى قومى شراحى

فانما هى زجرة واحدة فاذا هم ينظرون وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسئولون مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم

وما علمناه الشعر اشارة الى أن العلوم والصنائع كلها من الله تعالى وبتعليمه والهامه من الشجر الأخضر وهو شجرة البشرية نار المحبة توقدون مصباح قلوبكم وانما قال النبى صلى الله عليه وسلم ان قلب القرآن يس لان ذكره صلى الله عليه وسلم رمز اليه فى أول السورة وفى آخرها أما الاول فقدمر فى تفسير لفظ يس وأما الثانى فلان قوله فسبحان الى آخره يدل على المبدا والمعاد تصريحا وعلى الرسالة ضمنا ولا ريب أن القلب خلاصة كل ذى قلب وانه صلى الله عليه وسلم كان خلاصة المخلوقات وكان خلقه القرآن الذى نزل على قلبه وكأن فاتحة السورة وخاتمتها مبنية على ذكره منبئة عن سره كالقلب فى جوف صاحبه فلاجل هذه المناسبات أطلق على يس أنه قلب القرآن والله ورسوله أعلم بأسرار كلامه

﴿سورة والصافات مكية حروفها ثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون كلمها ثمانمائة وستون آياتها مائة واحدى وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿والصافات صفا فالزاجرات زجرا فالتاليات ذكرا ان الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما ورب المشارق انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون الى الملا الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب فاستفتهم أهم أشد خلقا أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب بل عجبت ويسخرون واذا ذكروا لا يذكرون واذا رأوا آية يستسخرون وقالوا ان هذا الا سحر مبين أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون قل نعم وأنتم داخرون

على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا
قول ربنا انا لذائقون فأغويناكم انا كنا غاوين (٤٠) فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا اذا قيل لهم
لا اله الا الله يستكبرون ويقولون
أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون
بل جاء بالحق وصدق المرسلين انكم
لذائقوا العذاب الاليم وما تجزون
الا ما كنتم تعملون الا عباد الله
المخلصين أولئك لهم رزق معلوم
فواكه وهم مكرمون في جنات
النعيم على سرر متقابلين يطاف عليهم
بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين
لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون
وعندهم قاصرات الطرف عين
كأنهن بيض مكنون فأقبل بعضهم
على بعض يتساءلون قال قائل منهم
اني كان لي قرين يقول أئنك لمن
المصدقين أئذا متنا وكنا ترابا
وعظاما أئنا لمدينون قال هل أنتم
مطلعون فاطلع فرآه في سواء
الجحيم قال تالله ان كدت لتردين ولولا
نعمة ربي لكنت من المحضرين
أفما نحن بميتين الا موتتنا الاولى
وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز
العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون
أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا
جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة
تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه
رؤس الشياطين فانهم لآكلون
منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم
عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم
لالى الجحيم انهم ألفوا آباءهم
ضالين فهم على آثارهم يهرعون
ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين ولقد
أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف
كان عاقبة المنذرين الا عباد الله
المخلصين ولقد نادانا نوح فلنعم
المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب
العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين عن
انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين ﴿ القراآت والصافات صفا وما بعدهما مدغما حمزة وأبو عمرو وغير عباس بزينة منونا حمزة وعاصم

فقال مسلمني وليس ذلك وجه الكلام بل وجه الكلام أمسلمي فأما اذا كان الكلام ظاهرا ولم يكن متصلا بالفاعل فانهم ربما أضافوا وربما لم يضيفوا فيقال هذا مكلم أخاك ومكلم أخيك وهذان مكلما أخيك ومكلماك أخاك وهؤلاء مكلمو أخيك ومكلمون أخاك وانما تختار الاضافة في المكني المتصل بفاعل لمصيرا لحرفين باتصال أحدهما بصاحبه كالحرف الواحد وقوله تالله ان كدت لتردين يقول فلما رأى قرينه في النار قال تالله ان كدت في الدنيا لتهلكني بصدك اياي عن الايمان بالبعث والثواب والعقاب وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله ان كدت لتردين قال لتهلكني يقال منه أردى فلان فلانا اذا أهلكه وردى فلان اذا هلك كما قال الأعشى

أفي الطوف خفت على الردى * وكم من رد أهله لم يرم

يعني بقوله وكم من رد وكم من هالك وقوله ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين يقول ولولا أن الله أنعم علي بهدايته والتوفيق للايمان بالبعث بعد الموت لكنت من المحضرين معك في عذاب الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لكنت من المحضرين أي في عذاب الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله لكنت من المحضرين قال من المعذبين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن الذي أعطاه الله ما أعطاه من كرامته في جنته سرورا منه بما أعطاه فيها أفما نحن بميتين إلا موتتنا الاولى يقول أفما نحن بميتين غير موتتنا الاولى في الدنيا وما نحن بمعذبين يقول وما نحن بمعذبين بعد دخولنا الجنة ان هذا لهو الفوز العظيم يقول ان هذا الذي أعطانا الله من الكرامة في الجنة أنا لا نعذب ولا نموت لهو النجاء العظيم مما كنا في الدنيا نحذر من عقاب الله وادراك ما كنا فيها نؤمل بايماننا وطاعتنا ربنا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفما نحن بميتين الى قوله الفوز العظيم قال هذا قول أهل الجنة وقوله لمثل هذا فليعمل العاملون يقول تعالى ذكره لمثل هذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة فليعمل في الدنيا لآخرته العاملون ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون﴾ يقول تعالى ذكره أهذا الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين الذين وصفت صفتهم من كرامتي في الجنة ورزقتهم فيها من النعيم خير أوما أعددت لأهل النار من الزقوم وعني بالنزل الفضل وفيه لغتان نزل ونزل يقال للطعام الذي له ريع هو طعام له نزل ونزل وقوله أم شجرة الزقوم ذكر أن الله تعالى لما أنزل هذه الآية قال المشركون كيف ينبت الشجر في النار والنار تحرق الشجر فقال الله انا جعلناها فتنة للظالمين يعني لهؤلاء المشركين الذين قالوا في ذلك ما قالوا ثم أخبرهم بصفة هذه الشجرة فقال انها شجرة تخرج في أصل الجحيم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

غير المفضل الكواكب بالنصب أبو بكر وحماد الباقون بالجر لا يسمعون بتشديد السين والميم وأصله يتسمعون حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد الآخرون بسكون السين وتخفيف الميم بل عجبت بالضم حمزة وعلى وخلف الآخرون بالفتح على الخطاب آيذا بالمد والياء انا بهمزة واحدة مكسورة يزيد وقالون وزيد الباقون مثل التي في الرعد وأما الثانية فمثل التي في الرعد أوآباؤنا مثل أوأمن أهل القرى وكذلك في الواقعة لاتناصرون بالتشديد البزي وابن فليح أئنا أئنك أئفكا مثل أئنكم في الانعام يترفون بضم الياء وكسر الزاي حمزة وعلى وخلف والمفضل الآخرون بفتح الزاي لتردين بالياء في الخالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل ۞ الوقوف صفا ○ لا زجرا ○ لا لواحد ○ ط المشارق ○ ط الكواكب ○ لا مارد ○ ج لاحتمال مابعده الوصف والاستئناف قاله السجاوندي وعليه بحث يجيء في التفسير واصب ○ لا ثاقب ○ ج خلقنا ط لازب ○ ويسخرون ○ ص لايذكرون ○ ص يستسخرون ○ ص مبين ○ ج لمبعوثون ○ لا الاولون ○ ط داخرون ○ ينظرون ○ الدين ○ تكذبون ○ يعبدون ○ لا الجحيم ○ مسئولون ○ لا لأن المسئول عنه قوله مالكم لاتناصرون ○ مستسلمون ○ يتساءلون ○ اليمين ○ مؤمنين ○ ج سلطان ج للعدول مع اتفاق الجملتين طاغين ○ لذائقون ○ غاوين ○ مشتركون ○ بالمجرمين ○ يستكبرون ○ مجنون ○ ط المرسلين ○ الاليم ○ ج تعملون ○ لا المخلصين ○ معلوم ○ فواكه ج لاحتمال الواو الحال للشاربين ○ ج لان مابعده يصلح وصفا واستئنافا يترفون ○ عين ط مكنون ج يتساءلون ○ قرين ○ المصدقين ○ لمدينون ○

عن قتادة أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم حتى بلغ في أصل الجحيم قال لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظلمة فقالوا ينبئكم صاحبكم هذا أن في النار شجرة والنار تأكل الشجر فأنزل الله ما تسمعون انها شجرة تخرج في أصل الجحيم غذيت بالنار ومنها خلقت حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال قال أبو جهل لما نزلت ان شجرة الزقوم قال تعرفونها في كلام العرب أنا آتيكم بها فدعا جارية فقال ائتيني بتمر وزبد فقال دونكم تزقموا فهذا الزقوم الذي يخوفكم به محمد فأنزل الله تفسيرها أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم انا جعلناها فتنة للظالمين قال لأبي جهل وأصحابه حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله انا جعلناها فتنة للظالمين قال قول أبي جهل انما الزقوم التمر والزبد أترقمه وقوله طلعها كأنه رؤس الشياطين يقول تعالى ذكره كأن طلع هذه الشجرة يعني شجرة الزقوم في قبحه وسماجته رؤس الشياطين في قبحها وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله انها شجرة نابتة في أصل الجحيم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله طلعها كأنه رؤس الشياطين قال شبهه بذلك فان قال قائل وما وجه تشبيهه طلع هذه الشجرة برؤس الشياطين في القبح ولا علم عندنا بمبلغ قبح رؤس الشياطين وانما يمثل الشيء بالشيء تعريفا من الممثل الممثل له قرب اشتباه الممثل أحدهما بصاحبه مع معرفة الممثل له الشيئين كليهما أو أحدهما ومعلوم أن الذين خوطبوا بهذه الآية من المشركين لم يكونوا عارفين شجرة الزقوم ولا برؤس الشياطين ولا كانوا رأوهما ولا واحدا منهما قيل له أما شجرة الزقوم فقد وصفها الله تعالى ذكره لهم وبينها حتى عرفوها ما هي وما صفتها فقال لهم انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنه رؤس الشياطين فلم يتركهم في عماء منها وأما في تمثيله طلعها برؤس الشياطين فأقوال لكل منها وجه مفهوم أحدها أن يكون مثل ذلك برؤس الشياطين على نحو ما قد جرى به استعمال الخاطبين بالآية بينهم وذلك أن استعمال الناس قد جرى بينهم في مبالغتهم اذا أراد أحدهم المبالغة في تقبيح الشيء قال كأنه شيطان فذلك أحد الأقوال والثاني أن يكون مثل برأس حية معروفة عند العرب تسمى شيطانا وهي حية له عرف فيما ذكر قبيح الوجه والمنظر واياه عنى الراجز بقوله

عنجرد تحلف حين أحلف * كمثل شيطان الحماط أعرف

ويروى عجيز والثالث أن يكون مثل نبت معروف برؤس الشياطين ذكر أنه قبيح الرأس فانهم لا كانون منها فمالئون منها البطون يقول تعالى ذكره فان هؤلاء المشركين الذين جعل الله هذه الشجرة لهم فتنة لآكلون من هذه الشجرة التي هي شجرة الزقوم فمالئون من زقومها بطونهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم انهم ألفوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون﴾ يقول تعالى ذكره ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ثم ان لهؤلاء المشركين على ما يأكلون من هذه الشجرة شجرة الزقوم شوبا وهو الخلط من قول العرب شاب فلان طعامه فهو يشوبه شوبا وشيابا من حميم والحميم الماء المحموم وهو الذي أسخن فانتهى حره وأصله مفعول صرف الى فعيل وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ثم ان لهم عليها

مطعون ٥ الجحيم ٥ لتردين ٥ المحضرين ٥ بميتين ٥ لا بمعذبين ٥ العظيم ٥ العاملون ٥ الزقوم ٥ للظالمين ٥ الجحيم ٥ لا
لان مابعده صفة لشجرة الشياطين ٥  البطون ٥ لا لأن ثم لترتيب الاخبار حميم ٥ الجحيم ٥ ج ضالين ٥ لا للعطف

مع اتصال المعنى يهرعون ٥ الأولين ٥ منذرين ٥ المنذرين ٥ لا المخلصين ٥ المجيبون ٥ ز العظيم ٥ ز الباقين ٥ ز فى الآخرين ٥ لا لان مابعده مفعول تركنا على سبيل الحكاية العالمين ٥ المحسنين ٥ المؤمنين ٥ الآخرين ٥

﴿ التفسير انه سبحانه بدأ فى أول هذه السورة بالتوحيد كما ختم السورة المتقدمة بذكر المعاد وأقسم على المطلوب بثلاثة أشياء أما الحكمة فى القسم فكما مر فى أول سورة يس وأما الاقسام بغير الله وصفاته فلا نسلم أنه لا يجوز لله سبحانه او هو على عادة العرب أو المراد تعظيم هذه الأشياء وتشريفها أو المراد رب هذه الاشياء فحذف المضاف قال الواحدى ادغام التاء فى الصاد حسن وكذا التاء فى الزاى وفى الذال لتقارب مخارجها ألا ترى أن التاء والصاد هما من طرف اللسان وأصول الثنايا ويجتمعان فى الهمس والمدغم فيه يزيد على المدغم فى الاطباق والصفير وادغام الأنقص فى الأزيد حسن وأيضا الزاى مجهورة وفيها زيادة صفير ثم المقسم بها فى الآيات اما أن تكون صفات ثلاثا لموصوف واحد أو صفات لموصوفات متباينة وأما التقدير الأول ففيه وجوه الأول أنها صفة الملائكة لانهم صفوف فى السماء كصفوف المصلين فى الارض أو أنهم يصفون أجنحتهم فى الهواء واقفين منتظرين لأمر الله تعالى والصف ترتيب الشئ على نسق الفاعل صاف والجماعة صافة والصافات جمع الجمع ولولا ذلك لقيل والصافين قال الحكيم يشبه أن يكون معنى كونهم صفوفا أن لكل منهم مرتبة معينة الذين فى الشرف أو بالغلبة والزجر سوق السحاب قال ابن عباس يعنى الملائكة الموكلين بالسحاب

لشوبا من حميم يقول لمزجا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم يعنى شرب الحميم على الزقوم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قال مزاجا من حميم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قال الشوب الخلط وهو المزج حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم قال حميم يشاب لهم بغساق مما تغسق أعينهم وصديد من قيحهم ودمائهم مما يخرج من أجسادهم وقوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم يقول تعالى ذكره ثم ان مآبهم ومصيرهم لالى الجحيم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم ان مرجعهم لإلى الجحيم فهم فى عناء وعذاب من نار جهنم وتلا هذه الآية يطوفون بينها وبين حميم آن حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال فى قراءة عبد الله ثم ان منقلبهم لالى الجحيم وكان عبد الله يقول والذى نفسى بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ثم قرأ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم ان مرجعهم لالى الجحيم قال(١) موتهم وقوله انهم ألفوا آباءهم ضالين يقول ان هؤلاء المشركين الذين اذا قيل لهم قولوا لا اله الا الله يستكبرون وجدوا آباءهم ضلالا عن قصد السبيل غير سالكين محجة الحق فهم على آثارهم يهرعون يقول فهؤلاء يسرع بهم فى طريقهم ليقتفوا آثارهم وسننهم يقال منه أهرع فلان اذا سار سيرا حثيثا فيه شبه بالرعدة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله انهم ألفوا آباءهم ضالين أى وجدوا آباءهم ضالين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انهم ألفوا آباءهم أى وجدوا آباءهم وبنحو الذى قلنا فى يهرعون أيضا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فهم على آثارهم يهرعون قال كهيئة الهرولة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهم على آثارهم يهرعون أى يسرعون اسراعا فى ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله يهرعون قال يسرعون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يهرعون اليه قال يستعجلون اليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين الا عباد الله المخلصين ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد ضل يا محمد عن قصد السبيل ومحجة الحق قبل مشركى قومك من قريش أكثر الأمم الخالية من قبلهم ولقد أرسلنا فيهم منذرين يقول ولقد أرسلنا فى الأمم التى خلت من قبل أمتك ومن قبل قومك المكذبيك منذرين تنذرهم بأسنا على كفرهم بنا فكذبوهم ولم يقبلوا منهم نصائحهم فأحللنا بهم بأسنا وعقوبتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين يقول فتأمل وتبين كيف كان غب أمر

(١) لعله مقرهم وحرراه مصححه

وقال آخرون أراد زجرهم الناس عن المعاصي بالخواطر والالهامات أو بدفع تعرض الشياطين عن بني آدم والتاليات الذين يتلون كتاب الله على الانبياء والحاصل أن كونهم صافين اشارة الى استكمال جواهر الملائكة  في ذواتها أعني وقوفهم في مواقف العبودية والطاعة وكونهم زاجرين اشارة الى كيفية تأثيراتها في ازالة ما لا ينبغي من جواهر الأرواح البشرية وكونهم تالين اشارة الى كيفية تأثيراتها في افاضة الجلايا القدسية والأنوار الالهية على الأرواح الانسانية الوجه الثاني أنها صفات النفوس الانسانية المقبلة على عبودية الله وعبادته وهم ملائكة الأرض أقسم بنفوس المصلين بالجماعات الزاجرين أنفسهم عن الشهوات أو عن القاء وساوس الشيطان في قلوبهم أثناء الصلوات بتقديم الاستعاذة أو برفع الأصوات التالين للقرآن في الصلاة وغيرها أو أقسم بنفوس العلماء الصافات لأجل الدعوة الى دين الله الزاجرات عن الشبهات والمنهيات بالمواعظ والنصائح الدارسات شرائع الله وكتبه لوجه الله أو أقسم بنفوس المجاهدين في سبيل الله كقوله ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا والزجرة والصيحة سواء والمراد رفع الصوت بزجر الخيل وأما التاليات فذلك أنهم يشتغلون وقت المحاربة بقراءة القرآن وذكر الله يحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان يخرج من الصف وسيفه ينطف دما فاذا رقى ربوة يأتي بالخطبة الغراء الوجه الثالث أنها صفات آيات القرآن وذلك أنها أنواع مختلفة بعضها دلائل التوحيد وبعضها دلائل العلم والقدرة وبعضها دلائل النبوة وبعضها دلائل المعاد وبعضها بيان التكاليف والأحكام وبعضها تعليم الأخلاق الفاضلة وكلها مترتبة ترتيبا لا يتغير ولا يتبدل فكأنها أجرام واقفة في صفوف معينة ولا ريب أنها تزجر المكلفين عن المناهي والمنكرات وأما نسبة التلاوة اليهن فمجاز كما يقال شعر شاعر والفاء في هذه الوجوه لترتب الصفات

---

الذين أنذرتهم أنبياؤنا والى ماصار أمرهم وما الذي أعقبهم كفرهم بالله ألم نهلكهم فنصيرهم للعباد عبرة ولمن بعدهم عظة وقوله إلا عباد الله المخلصين يقول تعالى فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله الذين أخلصناهم للايمان بالله ورسله واستثنى عباد الله من المنذرين لأن معنى الكلام فانظر كيف أهلكنا المنذرين الا عباد الله المؤمنين فلذلك حسن استثناؤهم منهم وبنحو الذي قلنا في قوله الا عباد الله المخلصين قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله الا عباد الله المخلصين قال الذين استخلصهم الله ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون ونجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد نادانا نوح بمسئلته إيانا اهلاك قومه فقال رب اني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائي الا فرارا الى قوله رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وقوله فلنعم المجيبون يقول فلنعم المجيبون كنا له اذ دعانا فأجبناه دعاءه فأهلكنا قومه ونجيناه وأهله يعني أهل نوح الذين ركبوا معه السفينة وقد ذكرنا هم فيما مضى قبل وبينا اختلاف العلماء في عددهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون قال أجابه الله وقوله من الكرب العظيم يقول من الأذى والمكروه الذي كان فيه من الكافرين ومن كرب الطوفان والغرق الذي هلك به قوم نوح كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ونجيناه وأهله من الكرب العظيم قال من الغرق قوله وجعلنا ذريته هم الباقين يقول وجعلنا ذرية نوح هم الذين بقوا في الأرض بعد مهلك قومه وذلك أن الناس كلهم من بعد مهلك نوح الى اليوم انما هم ذرية نوح فالعجم والعرب أولاد سام بن نوح والترك والصقالبة والخزر أولاد يافث بن نوح والسودان أولاد حام بن نوح وبذلك جاءت الآثار وقالت العلماء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن عثمة قال ثنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله وجعلنا ذريته هم الباقين قال سام وحام ويافث حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله وجعلنا ذريته هم الباقين قال فالناس كلهم من ذرية نوح حدثنا علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله وجعلنا ذريته هم الباقين يقول لم يبق الا ذرية نوح ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح في العالمين انا كذلك نجزي المحسنين انه من عبادنا المؤمنين ثم أغرقنا الآخرين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وتركنا عليه في الآخرين وأبقينا عليه يعني على نوح ذكرا جميلا وثناء حسنا في الآخرين يعني فيمن تأخر بعده من الناس يذكرونه به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وتركنا عليه في الآخرين يقول يذكر بخير حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وتركنا عليه في الآخرين يقول جعلنا لسان صدق للانبياء كلهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتركنا عليه في الآخرين قال أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين

فى الفضل فالفضل للصف ثم للزجر للتلاوة أو بالعكس فلكل وجه ويحتمل وان لم يذكره جار الله أن تكون الترتيب معانيها فى الوجود كقوله * الصابح فالغانم فالآيب * كأنه قال (٤٤) الذى صبح فغنم فآب مثاله المصلون يقفون أولا صفوفا ثم يزجرون الوساوس عنهم بالاستعاذة ثم يشتغلون بالقراءة وأما التقدير الثانى وهو أن يكون المراد بهذه الأمور الثلاثة موصوفات متغايرة فالصافات الطير من قوله والطير صافات والزاجرات كل ما زجر عن معاصى الله والتاليات كل من تلا كتاب الله أو الصافات طائفة من الملائكة أو من الأشخاص الانسانية وكل من الزاجرات والتاليات طائفة أخرى وقيل الصافات العالم الجسمانى المنضود كرة فوق كرة من الأرض الى الفلك الأعظم والزاجرات الأرواح المدبرة للاجسام بالتحريك والتصريف والتاليات الأرواح المستغرقة فى بحار معرفة الله تعالى والثناء عليه والفناء على هذه المعانى لترتب الموصوفات فى الفضل ثم انه سبحانه لم يقتصر فى اثبات التوحيد على الحلف ولكنه عقبه بالدليل الباهر فقال (رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق) فلكل كوكب مشرق ومغرب بل للشمس ولسائر السيارات وللثوابت فى كل يوم مشرق آخر بحسب تباعدها عن منطقة المعدل وتقاربها منها وانما اقتصر على ذكر المشارق لشرفها ولدلالتها على المغارب كقوله سرابيل تقيكم الحر ثم بين أنه جعل الكواكب بحيث يشاهدها الناس من السماء الدنيا وهى ثانيث الأدنى لمنفعتين الاولى تحصيل الزينة والثانية الحفظ من الشياطين والزينة مصدر كالذبحة أو اسم لما يزان به الشئ كالدوابة لما تلاق به الدواة ثم من قرأ بالاضافة فلها وجوه أن يكون مصدرا مضافا الى الفاعل أى بأن زانتها الكواكب تريدون والى المفعول أى بأن زان الله تعالى الكواكب وحسنها فى أنفسها فان النور والضوء أحسن الصفات وأكملها وكذا أشكالها المختلفة

حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أسباط عن السدى قوله وتركنا عليه فى الآخرين قال الثناء الحسن وقوله سلام على نوح فى العالمين يقول أمنة من الله لنوح فى العالمين أن يذكره أحد بسوء وسلام مرفوع بعلى وقد كان بعض أهل العربية من أهل الكوفة يقول معناه وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح أى تركنا عليه هذه الكلمة كما تقول قرأت من القرآن الحمد لله رب العالمين فتكون الجملة فى معنى نصب وترفعها باللام كذلك سلام على نوح ترفعه بعلى وهو فى تأويل نصب قال ولو كان تركنا عليه سلاما كان صوابا وقوله انا كذلك نجزى المحسنين يقول تعالى ذكره انا كما فعلنا بنوح مجازاته على طاعتنا وصبره على أذى قومه فى رضانا فأنجيناه وأهله من الكرب العظيم وجعلنا ذريته هم الباقين وأبقينا عليه ثناء فى الآخرين كذلك نجزى الذين يحسنون فيطيعوننا وينتهون الى أمرنا ويصبرون على الأذى فينا وقوله انه من عبادنا المؤمنين يقول ان نوحا من عبادنا الذين آمنوا بنا فوحدونا وأخلصوا لنا العبادة وأفردونا بالالوهة وقوله ثم أغرقنا الآخرين يقول تعالى ذكره ثم أغرقنا حين نجينا نوحا وأهله من الكرب العظيم من بقى من قومه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم أغرقنا الآخرين قال أنجاه الله ومن معه فى السفينة وأغرق بقية قومه

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكا آلهة دون الله تريدون﴾ يقول تعالى ذكره وان من أشياع نوح على منهاجه وملته والله لابراهيم خليل الرحمن وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله وان من شيعته لابراهيم يقول من أهل دينه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله وان من شيعته لابراهيم قال على منهاج نوح وسنته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وان من شيعته لابراهيم قال على منهاجه وسنته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان من شيعته لابراهيم قال على دينه وملته حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وان من شيعته لابراهيم قال من أهل دينه وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك وان من شيعة محمد لابراهيم وقال ذلك مثل قوله وآية لهم أنا حملنا ذريتهم يعنى أنا حملنا ذرية من هم منه فجعلها ذرية لهم وقد سبقتهم وقوله اذ جاء ربه بقلب سليم يقول تعالى ذكره اذ جاء ابراهيم ربه بقلب سليم من الشرك مخلص له التوحيد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ جاء ربه بقلب سليم والله من الشرك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله اذ جاء ربه بقلب سليم قال سليم من الشرك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد بقلب سليم قال لا شك فيه * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام بن على قال ثنا هشام عن أبيه قال يا بنى لا تكونوا لعانين ألم تروا الى ابراهيم لم يلعن شيأ قط فقال الله اذ جاء ربه بقلب سليم وقوله اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون يقول حين قال يعنى ابراهيم لأبيه وقومه أى شئ تعبدون وقوله أئفكا آلهة دون الله

كشكل الثريا وبنات النعش والجوزاء وسائر الصور المتوهمة من الخطوط التي تنظم طائفة منها وقد ترتقي الى نيف وأربعين منها صور البروج الاثني عشر وبالجملة اشراق الجواهر الزواهر وتلألؤها على بسيط أزرق  بنظام مخصوص مما يروق الناظر ويجوز أن يقع

تريدون يقول أكذبا معبودا غير الله تريدون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ابراهيم لأبيه وقومه فما ظنكم برب العالمين يقول فأي شئ تظنون أيها القوم أنه يصنع بكم ان لقيتموه وقد عبدتم غيره كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما ظنكم برب العالمين يقول اذا لقيتموه وقد عبدتم غيره وقوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم ذكر أن قومه كانوا أهل نجيم فرأى نجما قد طلع فعصب رأسه وقال اني مطعون وكان قومه يهربون من الطاعون فأراد أن يتركوه في بيت آلهتهم ويخرجوا عنه ليخالفهم اليها فيكسرها وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال قالوا له وهو في بيت آلهتهم اخرج فقال اني مطعون فتركوه مخافة الطاعون حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم رأى نجما طلع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم رأى نجما طلع فقال اني سقيم قال كايد نبي الله عن دينه فقال اني سقيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قالوا لابراهيم وهو في بيت آلهتهم اخرج معنا فقال لهم اني مطعون فتركوه مخافة أن يعديهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد عن أبيه في قول الله فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال أرسل اليه ملكهم فقال ان غدا عيدنا فاحضر معنا قال فنظر الى نجم فقال ان ذلك النجم لم يطلع قط الا طلع بسقمي فقال اني سقيم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم يقول الله فتولوا عنه مدبرين وقوله اني سقيم أي طعين أو لسقم كانوا يهربون منه اذا سمعوا به وانما يريد ابراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم الذي يريد واختلف في وجه قيل ابراهيم لقومه اني سقيم وهو صحيح فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة قال ثني هشام عن محمد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم غير ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله في سارة هي أختي حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا أبي قال ثنا محمد بن اسحق قال ثني أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم في شئ قط الا في ثلاث ثم ذكر نحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن المسيب بن رافع عن أبي هريرة قال ما كذب ابراهيم غير ثلاث كذبات قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وانما قاله موعظة وقوله حين سأله الملك فقال أختي لسارة وكانت امرأته حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن محمد قال ان ابراهيم ما كذب الا ثلاث كذبات ثنتان في الله وواحدة في ذات نفسه فأما الثنتان فقوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقصته في سارة وذكر قصتها

الكواكب بيانا للزينة وهي اسم لأن الزينة مبهمة في الكواكب وغيرها مما يزان به فيكون نكاتم فضة ويجوز أن يراد بالزينة ما زينت به الكواكب كما روي عن ابن عباس أنه فسر الزينة بالضوء ومن قرأ بتنوين زينة وجر الكواكب فعلى الابدال ومن قرأ بتنوين زينة ونصب الكواكب فعلى أنه بدل من محل بزينة أو من السماء أو على أن المراد بتزيينها الكواكب كما في أحد وجوه الاضافة قوله (وحفظا) فيه وجوه أحدها أنه محمول على المعنى والتقدير انا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظا من الشياطين وثانيها أن يقدر مثل الفعل المتقدم للتعليل كأنه قيل وحفظا من كل شيطان زيناها بالكواكب وثالثها قال المبرد اذا ذكرت فعلا ثم عطفت عليه مصدر فعل آخر نصبت المصدر لأنه قد دل على فعله بما تقدم تقول افعل ذلك وكرامة أي وأكرمك كرامة وذلك لما علم أن الأسماء لا تعطف على الأفعال فالتقدير وحفظناها حفظا قال المفسرون الشياطين كانوا يصعدون الى قرب السماء فربما سمعوا كلام الملائكة وعرفوا به ما سيكون من الغيوب فأخبروا صنعاءهم فجعل الله الكواكب في زمن محمد صلى الله عليه وسلم بحيث تحرقهم وتحفظ أهل السماء من إصغائهم قال الحكيم ليس المراد بالكواكب الحافظة أنفس الكواكب المركوزة في الأفلاك والا لوقع نقصان ظاهر في أعدادها بل المراد ما يضاهيها من الشهب الحادثة عند كرة النار من الأبخرة المرتفعة وقدمر تحقيق ذلك في أول سورة الحجر قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله ان الشياطين لهم حذق كامل في استخراج الصنائع الدقيقة فاذا عرفوا هذه الحالة

بالتجربة فلم لا يمتنعون منه وايضا انهم مخلوقون من النار والنار كيف تؤثر في النار وايضا مقر الملائكة السطح الظاهر من الفلك الأعلى وانهم لا يصعدون الا الى قريب من الفلك الأدنى  فكيف يسمعون كلام الملائكة والجواب أنا لا نسلم حذفهم في كل الأمور ولهذ

جاء في وجوه تسخيرهم ما جاء على أن موضع الاستراق والاحتراق غير متعين ووقوع هذه الحالة أيضا كالنادر فلعل المسترق يكون غير واقف عليه والنيران بعضها أقوى من البعض وليس الشيطان نارا صرفا ولكن النار غالب عليه ولا نسلم أن الملائكة لا ينزلون الى الفلك الأخير باذن الله والمارد الخارج من الطاعة وقد مر اشتقاقه في قوله مردوا على النفاق والضمير في قوله (لا يسمعون) لكل شيطان لانه في معنى الجمع والتسمع تكلف السماع سمع أو لم يسمع وقد ضمن معنى الاصغاء فلذلك عدي بالى وقيل معنى سمعت اليه صرفت الى جهته سمعي قال جار الله هذه الجملة لا يصح أن تكون صفة لأن الحفظ من شياطين غير سامعين أو مستمعين لا معنى له ولا يصح أن يكون استئنافا لأن سائلا لو سأل لم يحفظ من الشياطين فأجيب بأنهم لا يسمعون لم يستقم فبقي أن يكون كلاما منقطعا مبتدأ به لاقتصاص حال المسترقة للسمع قلت لو كان صفة باعتبار ما يؤول اليه حالهم جاز وكذا ان كان مستأنفا كأنه قيل لم يحفظ فأجيب لأنهم يؤلون الى كذا ومن هنا زعم بعضهم أن أصله لئلا يسمعوا لهم فحذفت اللام ثم أن وأهدر عملها كما في قول القائل

* ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغى *

ورد عليه في الكشاف ان حذف اللام في قولك جئتك أن تكرمني وحذف أن في قول الشاعر جائز فأما اجتماعهما فمنكر من المنكرات قلت ان القرآن حجة على غيره مع أن قول الشاعر أيضا لا يصح الا بتقدير اللام قراء أو من مع أن والملأ الأعلى الملائكة لأنهم يسكنون السموات وعن ابن عباس أراد أشراف الملائكة وعنه الكتبة من الملائكة والقذف

وقصة الملك * وقال آخرون ان قوله انى سقيم كلمة فيها معراض ومعناها أن كل من كان في عقبة الموت فهو سقيم وان لم يكن به حين قالها سقم ظاهر والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف هذا القول وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الحق دون غيره وقوله فتولوا عنه مدبرين يقول فتولوا عن ابراهيم مدبرين عنه خوفا من أن يعديهم السقم الذي ذكر أنه به كما حدثت عن يحيى بن زكريا عن بعض أصحابه عن حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انى سقيم يقول مطعون فتولوا عنه مدبرين قال سعيد ان كان الفرار من الطاعون لقديما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فتولوا فنكصوا عنه مدبرين منطلقين وقوله فراغ الى آلهتهم يقول تعالى ذكره فمال الى آلهتهم بعد ما خرجوا عنه وأدبروا وأرى ان أصل ذلك من قولهم راغ فلان عن فلان اذا حاد عنه فيكون معناه اذا كان كذلك فراغ عن قومه والخروج معهم الى آلهتهم كما قال عدي بن زيد

حين لا ينفع الرواغ ولا ينـ * ـفع الا المصادق النحرير

يعني بقوله لا ينفع الرواغ الحياد أما أهل التأويل فانهم فسروه بمعنى فمال ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فراغ الى آلهتهم أي فمال الى آلهتهم قال ذهب حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله فراغ الى آلهتهم قال ذهب وقوله فقال ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون هذا خبر من الله عن قيل ابراهيم للآلهة وفي الكلام محذوف استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره وهو فقرب اليها الطعام فلم يرها تأكل فقال لها ألا تأكلون فلما لم يرها تأكل قال لها ما لكم لا تأكلون فلم يرها تنطق فقال لها ما لكم لا تنطقون مستهزئا بها وكذلك ذكر أنه فعل بها وقد ذكرنا الخبر بذلك فيما مضى قبل وقال قتادة في ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقال ألا تأكلون يستنطقهم ما لكم لا تنطقون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبلوا اليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره فمال على آلهة قومه ضربا لها باليمين بفأس في يده يكسرهن كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال لما خلا جعل يضرب آلهتهم باليمين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك فذكر مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فراغ عليهم ضربا باليمين فأقبل عليهم يكسرهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم أقبل عليهم كما قال الله ضربا باليمين ثم جعل يكسرهن بفأس في يده وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى فراغ عليهم ضربا بالقوة والقدرة ويقول اليمين في هذا الموضع القوة وبعضهم كان يتأول اليمين في هذا الموضع الحلف ويقول جعل يضربهن باليمين التي حلف بها بقوله وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله فراغ عليهم صفقا باليمين وروى نحو ذلك عن الحسن حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا خالد بن عبد الله الحشمي قال سمعت الحسن قرأ فراغ عليهم صفقا باليمين أي ضربا باليمين وقوله فأقبلوا اليه يزفون اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض

قراء الكوفة فأقبلوا اليه يزفون بفتح الياء وتشديد الفاء من قولهم زفت النعامة وذلك أول عدوها وآخر مشيها ومنه قول الفرزدق

وجاء قريع الشول قبل إفالها * يزف وجاءت خلفه وهي زفف

وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة يزفون بضم الياء وتشديد الفاء من أزف فهو يزف وكان الفراء يزعم أنه لم يسمع في ذلك الا زففت ويقول لعل قراءة من قرأه يزفون بضم الياء من قول العرب أطردت الرجل أي صيرته طريدا وطردته اذا أنت خسأته اذا قلت اذهب عنا فيكون يزفون أي جاؤا على هذه الهيئة بمنزلة المزفوفة على هذه الحالة فتدخل الألف كما تقول أحمدت الرجل اذا أظهرت حمده وهو محمد اذا رأيت أمره الى أحمد ولم تنشر حمده قال وأنشدني المفضل

تمنى حصين أن يسود جذاعه * فأمسى حصين قد أذل وأقهرا

فقال أقهر وانما هو قهر ولكنه أراد صار الى حال قهر وقرأ ذلك بعضهم يزفون بفتح الياء وتخفيف الفاء من وزف يزف وذكر عن الكسائي أنه لا يعرفها وقال الفراء لا أعرفها الا أن تكون لغة لم أسمعها وذكر عن مجاهد أنه كان يقول الوزف النسلان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اليه يزفون قال الوزيف النسلان * والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأه بفتح الياء وتشديد الفاء لأن ذلك هو الصحيح المعروف من كلام العرب والذي عليه قراءة الفصحاء من القراء وقد اختلف أهل التأويل في معناه فقال بعضهم معناه فأقبل قوم ابراهيم الى ابراهيم يجرون ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فأقبلوا اليه يزفون فأقبلوا اليه يجرون * وقال آخرون أقبلوا اليه يمشون ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فأقبلوا اليه يزفون قال يمشون * وقال آخرون معناه فأقبلوا يستعجلون ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد عن أبيه فأقبلوا اليه يزفون قال يستعجلون قال يزف يستعجل وقوله قال أتعبدون ما تنحتون يقول تعالى ذكره قال ابراهيم لقومه أتعبدون أيها القوم ما تنحتون بأيديكم من الأصنام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال أتعبدون ما تنحتون الأصنام وقوله والله خلقكم وما تعملون يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ابراهيم لقومه والله خلقكم أيها القوم وما تعملون وفي قوله وما تعملون وجهان أحدهما أن يكون قوله ما بمعنى المصدر فيكون معنى الكلام حينئذ والله خلقكم وعملكم والآخر أن يكون بمعنى الذي فيكون معنى الكلام عند ذلك والله خلقكم والذي تعملونه أي والذي تعملون منه الأصنام وهو الخشب والنحاس والأشياء التي كانوا ينحتون منها أصنامهم وهذا المعنى الثاني قصد ان شاء الله قتادة بقوله الذي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والله خلقكم وما تعملون بأيديكم ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين﴾ يقول تعالى ذكره قال قوم ابراهيم لما قال لهم ابراهيم أتعبدون ما تنحتون

دحورا ويجوز أن يكون مفعولا له أي لأجل الدحور أو مصدرا في موضع الحال أي مدحورين كقوله مذموما مدحورا (ولهم) أي للشياطين (عذاب واصب) دائم وقدمر في النحل في قوله وله الدين واصبا يعني أنهم في الدنيا مرجومون بالشهب ولهم في الآخرة نوع من العذاب غير منقطع (الا من خطف) في محل الرفع بدلا من الواو في لا يسمعون أي لا يسمع الا الشيطان الذي اختلس الكلمة مسارقة وقيل وثب وثبة وقيل الاستثناء منقطع خبره (فأتبعه) أي أتبعه ورمى في أثره (شهاب ثاقب) مضيء أو ماض فاذا قذفوا احترقوا وقيل تصيبهم آفة فلا يعودون وقيل لا يقتلون بالشهب بل يحس بذلك فلا يرجع ولهذا لا يمتنع غيره من ذلك وقيل يصيبهم مرة ويسلمون مرة فصاروا في ذلك كراكبي السفينة للتجارة وحين بين الوحدانية ودلائلها في أول هذه السورة أراد أن يذكر ما يدل على الحشر والكلام فيه من طريقين الأول أن يقال قدر على الأصعب فيقدر على الأسهل بالأولى الثاني قدر في أول الأمر فيقدر في الحالة الثانية أما الطريق الأول فاشار اليه بقوله (فاستفتهم) أي سل قومك أو صاحبهم وأراد بمن خلقنا ما ذكرنا من الملائكة والسموات والأرض والمشارق والكواكب والشهب والشياطين وغلب أولي العقل على غيرهم وقيل أراد عادا وثمود ومن قبلهم من الامم الخالية والقول الأول أقوى بدليل فاء التعقيب ولاطلاق قوله خلقنا اكتفاء ببيان ما تقدمه كأنه قال خلقنا كذا وكذا من عجائب الخلق فاستخبرهم أهم أشد خلقا أم هذه الخلائق ومن هان عليه هذه كان خلق البشر بل اعادته عليه أهون وأما الطريق الثاني

فانيه الاشارة بقوله (انا خلقناهم من طين لازب) اى لازم والباء بدل من اللام عندا كثرهم ولهذا قال ابن عباس هو الملتصق من الطين الحر وقال مجاهد والضحاك هو المنتن ووجه (٤٨) الاستدلال أن هذا الجسم لو لم يكن قابلا للحياة لم يقبلها من أول الامر واذا قبلها أولا

والله خلقكم وما تعملون ابنوا لابراهيم بنيانا ذكر أنهم بنوا له بنيانا يشبه التنور ثم نقلوا اليه الحطب وأوقدوا عليه فألقوه فى الجحيم والجحيم عند العرب جمر النار بعضه على بعض والنار على النار وقوله فأرادوا به كيدا يقول تعالى ذكره فأراد قوم ابراهيم بابراهيم كيدا وذلك ما كانوا أرادوا من احراقه بالنار يقول الله فجعلناهم أى فجعلنا قوم ابراهيم الأسفلين يعنى الأذلين حجة وغلبنا ابراهيم عليهم بالحجة وأنقذناه مما أرادوا به من الكيد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين قال فما ناظرهم بعد ذلك حتى أهلكهم وقوله وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين يقول وقال ابراهيم لما أفلجه الله على قومه ونجاه من كيدهم انى ذاهب الى ربى يقول انى مهاجر من بلدة قومى الى الله أى الى الأرض المقدسة ومفارقهم فمعتزلهم لعبادة الله وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين ذاهب بعمله وقلبه ونيته * وقال آخرون فى ذلك انما قال ابراهيم انى ذاهب الى ربى حين أرادوا أن يلقوه فى النار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى اسحق قال سمعت سليمن بن صرد يقول لما أرادوا أن يلقوا ابراهيم فى النار قال انى ذاهب الى ربى سيهدين فجمع الحطب فجاءت عجوز على ظهرها حطب فقيل لها أين تريدين قالت أريد أذهب الى هذا الرجل الذى يلقى فى النار فلما ألقى فيها قال حسبى الله عليه توكلت أو قال حسبى الله ونعم الوكيل قال فقال الله يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم قال فقال ابن لوط أراد أخى لوط ان النار لم تحرقه من أجلى وكان بينهما قرابة قال فأرسل الله عليه عنقا من النار فأحرقته وانما اخترت القول الذى قلت فى ذلك لأن الله تبارك وتعالى ذكر خبره وخبر قومه فى موضع آخر فأخبر أنه لما نجاه مما حاول قومه من احراقه قال انى مهاجر الى ربى ففسر أهل التأويل ذلك أن معناه انى مهاجر الى أرض الشام فكذلك قوله انى ذاهب الى ربى لأنه كقوله انى مهاجر الى ربى وقوله سيهدين يقول سيثبتنى على الهدى الذى أبصرته ويعيننى عليه وقوله رب هب لى من الصالحين وهذا مسئلة ابراهيم ربه أن يرزقه ولدا صالحا يقول قال يا رب هب لى منك ولدا يكون من الصالحين الذين يطيعونك ولا يعصونك ويصلحون فى الارض ولا يفسدون كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله رب هب لى من الصالحين قال ولدا صالحا وقال من الصالحين ولم يقل صالحا من الصالحين اجتزاء بمن من ذكر المترولك كما قال عز وجل وكانوا فيه من الزاهدين بمعنى زاهدين من الزاهدين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين﴾ يقول تعالى ذكره فبشرنا ابراهيم بغلام حليم يعنى بغلام ذى حلم اذا هو كبر فأما فى طفولته فى المهد فلا يوصف بذلك وذكر أن الغلام الذى بشر الله به ابراهيم اسحق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة فبشرناه بغلام حليم قال هو اسحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فبشرناه بغلام حليم بشر باسحق قال لم يثن بالحلم على أحد غير اسحق وابراهيم وقوله فلما بلغ معه السعى يقول فلما بلغ الغلام الذى بشر به ابراهيم مع ابراهيم العمل وهو السعى وذلك حين أطاق

فلا يبقى ريب فى قبول الحياة ثانيا وقادرية الله تعالى باقية على حالها فالاعادة أمر ممكن وقد أخبر الصادق عن وقوعها فيجب وقوعها وفى هذا الطريق الثانى تقوية للطريق الأول فان خلقتهم من الطين شهادة عليهم بالضعف والرخاوة ثم بين أنهم مع قيام الحجج الضرورية عليهم مصرون على الانكار فقال (بل عجبت) من قرأ بفتح التاء فظاهر أى عجبت يا محمد من تكذيبهم وإنكارهم البعث (و) هم (يسخرون) من تعجبك أو عجبت من القرآن حين أعطيته ويسخر أهل الكفر منه ومن قرأ بالضم فأراد عليه أن التعجب على الله غير جائز لأنه روعة تعترى الشخص عند استعظام الشئ وقيل هذه حالة تحصل عند الجهل بصفة الشئ وأجيب بأن معناه قل يا محمد بل عجبت سلمنا لكن العجب هو أن يرى الانسان ما ينكره الكافر والانكار من الله تعالى غير منكر سلمنا لكن هذه الالفاظ فى حقه تعالى محمولة على التنبيهات كالمكر والاستهزاء والمعنى بلغ من عظم آياتى وكثرة خلائقى أنى استعظمتها فكيف بعبادى وهؤلاء بجهلهم وعنادهم يسخرون منها أو استعظمت انكارهم البعث ممن هذه أفعاله وهم يسخرون ممن يصف الله تعالى بالقدرة عليه نظيره الآية وان تعجب فعجب قولهم عند من يرى أن العجب من الله وقد جاء فى الحديث يعجب ربك من الشاب ليس له صبوة وقال أيضا عجب ربكم من ألكم وقنوطكم وسرعة اجابته والأل التضرع ثم حكى عنهم أنه كما أن دأبهم السخرية عند ايراد البراهين فكذلك معونته دأبهم أنهم اذا وعظوا لا يتعظون (واذا رأوا آية) بينة كانشقاق القمر وغيره من المعجزات (يستسخرون) يبالغون فى السخرية

أو يستدعى بعضهم من بعض أن يسخر منها وننسبوا ما رأوه الى السحر فالحاصل أنه لا تفيد معهم البراهين الضرورية ولا المقدمات الوعظية ولا المعجزات الدالة على صدق اخبارك بالبعث قوله (أو آباؤنا) من قرأ بسكون الواو (٤٩) فمعطوف على محل اسم ان ومن قرأ بفتحها

معونته على عمله وقد اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم نحو الذى قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فلما بلغ معه السعى يقول العمل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فلما بلغ معه السعى قال لما شب حتى أدرك سعيه سعى ابراهيم فى العمل حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله الا أنه قال لما شب حين أدرك سعيه حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فلما بلغ معه السعى قال سعى ابراهيم حدثنا ابن المثنى قال ثنا سهل بن يوسف عن شعبة عن الحكم عن مجاهد فلما بلغ معه السعى سعى لابراهيم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فلما بلغ معه السعى قال السعى ههنا العبادة * وقال آخرون معنى ذلك فلما مشى مع ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما بلغ معه السعى أى لما مشى مع أبيه وقوله قال يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك يقول تعالى ذكره قال ابراهيم خليل الرحمن لابنه يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك وكان فيما ذكر أن ابراهيم نذر حين بشرته الملائكة باسحق ولدا أن يجعله اذا ولدته سارة لله ذبيحا فلما بلغ اسحق مع أبيه السعى أرى ابراهيم فى المنام فقيل له أوف لله بنذرك ورؤيا الأنبياء يقين فلذلك مضى لما رأى فى المنام وقال له ابنه اسحق ما قال ذكر من قال ذلك حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال قال جبرائيل لسارة أبشرى بولد اسمه اسحق ومن وراء اسحق يعقوب فضربت جبهتها عجبا فذلك قوله حميد مجيد قالت سارة لجبريل ما آية ذلك فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذا ذبيح فلما كبر اسحق أتى ابراهيم فى النوم فقيل له أوف بنذرك الذى نذرت ان الله رزقك غلاما من سارة أن تذبحه فقال لاسحق انطلق نقرب قربانا الى الله وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى اذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام يا أبت أين قربانك قال يا بنى انى رأيت فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين فقال له اسحق يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمى شئ فترا سارة فتحزن وأسرع مر السكين على حلق ليكون أهون للموت على فاذا أتيت سارة فاقرأ عليها منى السلام فأقبل عليه ابراهيم يقبله وقد ربطه وهو يبكى واسحق يبكى حتى استنقع الدموع تحت خدا اسحق ثم انه جر السكين على حلقه فلم تحك السكين وضرب الله صفيحة من نحاس على حلق اسحق فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه وحز من قفاه فذلك قوله فلما أسلما يقول سلما لله الأمر وتله للجبين فنودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بالحق فالتفت فاذا بكبش فأخذه وخلى عن ابنه فأكب على ابنه يقبله وهو يقول اليوم يا بنى وهبت لى فلذلك يقول الله وفديناه بذبح عظيم فرجع الى سارة فأخبرها الخبر فجزعت سارة وقالت يا ابراهيم أردت أن تذبح ابنى ولا تعلمنى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك قال رؤيا الانبياء حق اذا رأوا فى المنام

فعليه أو على الضمير فى مبعوثون وحسن الفصل بهمزة الاستفهام والمعنى أيبعث أيضا آباؤنا يعنون أنهم أقدم فبعثهم أبعد وعلى الأول أرادوا انكار أن يبعث واحد منهم أو من آبائهم فأرغمهم الله سبحانه بقوله (قل نعم) تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون أذلاء واذا كان كذلك (فانما هى) أى البعثة أو هو مبهم يوضحه خبره (زجرة) واحدة يعنى صيحة النفخة الثانية (فاذا هم ينظرون) أراد أنهم أحياء بصراء أو أراد أنهم ينظرون أمر الله فيهم (وقالوا ياويلنا) الظاهر أن كلامهم يتم عند قوله تكذبون يقوله الكفرة فيما بينهم وقيل ان كلامهم يتم عند قوله ياويلنا ثم قال الله أو الملائكة (هذا يوم الدين) الجزاء والحساب (هذا يوم الفصل) القضاء والفرق بين المحسن والمسئ (أحشروا الذين ظلموا) بالكفر أو بالفسق يعنى رؤساءهم وهذا الحشر بمعنى الجمع لأنه بعد البعث أى اجمعوهم (وأزواجهم) أى أشكالهم الذين على دينهم وسيرتهم الزانى مع الزانى والسارق مع السارق والشارب مع الشارب وقيل قرناءهم من الشياطين وقيل نساءهم اللاتى على ملتهم (وما كانوا يعبدون من دون الله) من الأصنام (فاهدوهم) أدعوهم أو قدموهم والسابق يسمى الهادى أو دلوهم (الى صراط الجحيم) وسطها أو طريقها لأنه قال بعد ذلك (وقفوهم) أى احبسوهم للسؤال كأنهم اذا انتهوا الى الجحيم سئلوا تهكما وتوبيخا بالعجز عن التناصر (مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون) قد أسلم بعضهم بعضا وخذله وحقيقته طلب كل منهم سلامة نفسه فقال المفسرون ان أبا جهل قال يوم بدر

نحن جميع منتصرفيو بخ على ذلك يوم القيامة ثم حكى أنهم فى جهنم يتساءلون تساؤل التخاصم وذلك أن أتباعهم (قالوا) لرؤسائهم (انكم كنتم تأتوننا عن اليمين) وفيه وجوه الاول أنها استعارة  عن الخيرات والسعادات وذلك أن الجانب الايمن أشرف من الايسر شرعا وعرفا كان رسول الله يحب التيامن فى كل شئ ولهذا أمرت الشريعة بمباشرة أفاضل الامور باليمين وأراذلها بالشمال وجعلت اليمين لكاتب الحسنات والشمال لكاتب السيآت ووعد المحسن أن يؤتى كتابه بيمينه والمسىء بالضد وما جعلت يمنى الا لتيمن بها ولذلك تيمنوا بالسانح وتطيروا بالبارح فقيل أتاه عن اليمين أى من قبل الخير وناحيته فصده عنه وأضله قال جار الله من المجاز ما غلب عليه الاستعمال حتى لحق بالحقيقة وهذا من ذاك لأن اليمين كالحقيقة فى الخير ثم صار قولك أتاه عن اليمين مجازا فى المعنى المذكور الثانى أن يقال فلان يمين فلان اذا كان عنده بمنزلة رفيعة فكأنهم قالوا انكم كنتم تخدعوننا وتوهمون أننا عندكم بمحل رفيع فوثقنا بكم وقبلنا عنكم الثالث اليمين الحلف كان الكفار قد حلفوا لهؤلاء الضعفة أن ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بأيمانهم وتمسكوا بعهودهم الرابع أن اليمين القوة والقهر فيها يقع البطش غالبا أى كنتم تأتوننا عن القهر والغلبة حتى حملتمونا على الضلال وكأن الضمير فى قالوا الاول كان عائدا الى الاتباع بقرينة الخطاب فالضمير فى قالوا الثانى يعود الى الرؤساء لمثل تلك القرينة والمعنى بل أبيتم أنتم الايمان وأعرضتم عنه كما أعرضنا (وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما) مختارين الطغيان وهذا مثل محاجة ابليس وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم (فحق علينا قول ربنا انا لذائقون) قال مقاتل أراد قوله لأملأن جهنم والمعنى أنه على لما أخبر عن وقوعنا فى العذاب وكان خبر الله حقا فلا جرم وجب وقوعنا فى العذاب قال جار الله لو حكى الوعيد كما هو لقال انكم لذائقون

شيأ فعاره حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال رؤيا الانبياء وحى ثم تلا هذه الآية انى أرى فى المنام أنى أذبحك وقوله فانظر ماذا ترى اختلفت القراء فى قراءة قوله ماذا ترى فقرأته عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض قراء أهل الكوفة فانظر ماذا ترى بفتح التاء بمعنى أى شئ تأمر وفانظر ما الذى تأمر وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ماذا ترى بضم التاء بمعنى ماذا تشير وماذا ترى من صبرك أو جزعك من الذبح * والذى هو أولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه ماذا ترى بفتح التاء بمعنى ماذا ترى من الرأى فان قال قائل أوكان ابراهيم يؤامر ابنه فى المضى لأمر الله والانتهاء الى طاعته قيل لم يكن ذلك منه مشاورة لابنه فى طاعة الله ولكنه كان منه ليعلم ما عند ابنه من العزم هل هو من الصبر على أمر الله على مثل الذى هو عليه فيسر بذلك أم لا وهو فى الأحوال كلها ماض لأمر الله وقوله قال يا أبت افعل ما تؤمر يقول تعالى ذكره قال اسحق لأبيه يا أبت افعل ما يأمرك به ربك من ذبحى ستجدنى ان شاء الله من الصابرين يقول ستجدنى ان شاء الله صابرا من الصابرين لما يأمرنا به ربنا وقال افعل ما تؤمر ولم يقل ما تؤمر به لأن المعنى افعل الأمر الذى تؤمره وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله انى أرى فى المنام افعل ما أمرت به ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما أسلما وتله للجبين ونادياه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين ان هذا لهو البلاء المبين﴾ يقول تعالى ذكره فلما أسلما أمرهما الله وفوضاه اليه واتفقا على التسليم لأمره والرضا بقضائه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى سليمن بن عبد الجبار قال ثنا ثابت بن محمد وحدثنا ابن بشار قال ثنا مسلم بن صالح قالا ثنا عبد الله بن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله فلما أسلما قال اتفقا على أمر واحد حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد عن عكرمة قوله فلما أسلما وتله للجبين قال أسلما جميعا لأمر الله ورضى الغلام بالذبح ورضى الأب بأن يذبحه فقال يا أبت اقذفنى للوجه كيلا تنظر الى فترحمنى وأنظر أنا الى الشفرة فأجزع ولكن أدخل الشفرة من تحتى وامض لأمر الله فذلك قوله فلما أسلما وتله للجبين فلما فعل ذلك ناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا انا كذلك نجزى المحسنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما أسلما قال أسلم هذا نفسه لله وأسلم هذا ابنه لله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فلما أسلما قال أسلما ما أمرا به حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فلما أسلما يقول سلما لأمر الله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فلما أسلما أى سلم ابراهيم لذبحه حين أمر به وسلم ابنه للصبر عليه حين عرف أن الله أمره بذلك فيه وقوله وتله للجبين يقول وصرعه للجبين والجبينان ما عن يمين الجبهة وعن شمالها والوجه جبينان والجبهة بينهما وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وتله للجبين قال وضع وجهه للارض قال لا تذبحنى وأنت تنظر الى وجهى عسى أن ترحمنى ولا تجهز

ولكنه عدل به الى لفظ المتكلم لانهم يتكلمون بذلك عن انفسهم وكلا الاستعمالين شائع (فأغوينا كم انا كنا غاوين) اى اقدمنا على إغوائكم لأنا كنا موصوفين فى أنفسنا بالغواية كأنهم قالوا ان اعتقدتم أن غوايتكم (٥١) بسبب اغوائنا فغوايتنا ان كانت بسبب اغواء غاو آخر لزم التسلسل فعلمنا أن غوايتنا أيضا من الله كما مر فى قوله فحق علينا قول ربنا هذا تفسير أهل السنة وأما المعتزلة فيفسرون الآيات هكذا قالوا بل لم تكونوا مؤمنين أى كنتم مختارين الكفر على الايمان وما سلبنا تمكنكم من تسلط بل اخترتم أنتم الطغيان فحق علينا وعيد الله بأنا ذائقون لعذابه لا محالة لعلمه بحالنا واستحقاقنا بها العقوبة فأغوينا كم فدعونا كم الى الغى لأنا كنا غاوين فأردنا إغواءكم لتكونوا أمثالنا وحين حكى كلام الاتباع والمتبوعين أتبع من ذلك قوله (فانهم) جميعا (يومئذ) أى يوم القيامة (فى العذاب مشتركون) كما كانوا مشتركين فى الغواية ولعل للتبوعين عذابا زائدا للاغواء ولكن الزيادة لا تنافى الاشتراك فى أصل الشئ (انا كذلك) أى مثل ذلك الفعل (نفعل) بكل مجرم أى كافر بدليل قوله (انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون) يأبون من قبوله والجملة الشرطية خبر كان وهو مع الاسم والخبر خبر إن وان ألغيت كان فالخبر يستكبرون واذا ظرفه (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) عنوا محمدا صلى الله عليه وسلم بين أنهم منكرون للتوحيد وللنبوة جميعا فرد عليهم بقوله (بل جاء) متلبسا (بالحق وصدق المرسلين) وفيه تنبيه على أن التوحيد دين كل الانبياء ثم صدقهم فى قولهم فحق علينا قول ربنا ونقل الكلام من الغيبة الى الحضور للمبالغة قائلا

على ۞ اربط يدى الى رقبتى ثم ضع وجهى للارض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتله للجبين أى وكبه لفيه وأخذ الشفرة وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا حتى بلغ وفديناه بذبح عظيم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وتله للجبين قال أكبه على جبهته حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتله للجبين قال جبينه قال أخذ جبينه ليذبحه حدثنا ابن سنان قال ثنا حجاج عن حماد عن أبى عاصم الغنوى عن أبى الطفيل قال قال ابن عباس ان ابراهيم لما أمر بالمناسك عرض له الشيطان عند المسعى فسابقه ابراهيم ثم ذهب به جبريل الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم تله للجبين وعلى اسمعيل قميص أبيض فقال له يا أبت انه ليس لى ثوب تكفنى فيه غير هذا فاخلعه حتى تكفنى فيه فالتفت ابراهيم فاذا هو بكبش أعين أبيض فذبحه فقال ابن عباس لقد رأيتنا نتتبع هذا الضرب من الكباش وقوله وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا وهذا جواب قوله فلما أسلما ومعنى الكلام فلما أسلما وتله للجبين ناديناه أن يا ابراهيم وأدخلت الواو فى ذلك كما أدخلت فى قوله حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقد تفعل العرب ذلك فتدخل الواو فى جواب فلما وحتى اذا وتلقيها ويعنى بقوله قد صدقت الرؤيا التى أريناكها فى منامك بأمرناك بذبح ابنك وقوله انا كذلك نجزى المحسنين يقول انا كما جزيناك بطاعتنا يا ابراهيم كذلك نجزى الذين أحسنوا وأطاعوا أمرنا وعملوا فى رضانا وقوله ان هذا لهو البلاء المبين يقول تعالى ذكره ان أمرناك يا ابراهيم بذبح ابنك اسحق لهو البلاء يقول لهو الاختبار الذى يبين لمن فكر فيه أنه بلاء شديد ومحنة عظيمة وكان ابن زيد يقول البلاء فى هذا الموضع الشر وليس باختبار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان هذا لهو البلاء المبين قال هذا فى البلاء الذى نزل به فى أن يذبح ابنه صدقت الرؤيا ابتليت ببلاء عظيم أمرت أن تذبح ابنك قال وهذا من البلاء المكروه وهو الشر وليس من بلاء الاختبار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وفديناه بذبح عظيم وتركنا عليه فى الآخرين سلام على ابراهيم كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين﴾ وقوله وفديناه بذبح عظيم يقول وفدينا اسحق بذبح عظيم والفدية الجزاء يقول جزيناه بأن جعلنا مكان ذبحه ذبح كبش عظيم وأنقذناه من الذبح * واختلف أهل التأويل فى المفدى من الذبح من ابنى ابراهيم فقال بعضهم هو اسحق ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن مبارك عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب وفديناه بذبح عظيم قال هو اسحق حدثنى الحسين بن يزيد بن اسحق قال ثنا ابن ادريس عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال الذى أمر بذبحه ابراهيم هو اسحق حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن داود عن عكرمة عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال هو اسحق حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس الذبيح اسحق حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن على بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث ذكره قال هو اسحق حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا

(انكم لذائقوا العذاب الأليم) ثم كان لقائل أن يقول كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالى عن النفع والضر أن يعذب عبيده فقال (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) فالحكمة اقتضت الأمر بالخير والطاعة والنهى عن القبيح والمعصية والأمر والنهى لا يكمل المقصود بهما الا بالترغيب

والترهيب واذا وقع الاخبار عنه وجب تحققه صونا للكلام عن الكذب هذا بتفسير المعتزلة أشبه والسني يقول لا اعتراض عليه في شيء
ولا يسئل عما يفعل قال جار الله (الا عباد الله) (٣٤ د) استثناء منقطع أي لكن عباد الله (المخلصين أولئك لهم رزق) قلت يجوز أن يكون
ان استثناء متصلا والمعنى وما تجزون
الا ما كنتم تعملون من غير زيادة
الا المخلصين فان جزاءهم بالأضعاف
ويحتمل أن يكون الخطاب في قوله
انكم للكافرين جميعا فيصح الاستثناء
المتصل مطلقا أي تذوقون العذاب
الأليم قوله (معلوم) قيل أي معلوم
الوقت كقوله ولهم رزقهم فيها بكرة
وعشيا وقيل معلوم الصفة لكونه
مخصوصا بخصائص خلق عليها
من طيب طعم ورائحة ولذة
وحسن منظر وقيل معلوم القدر على
حسب استحقاقهم وقيل أراد
أنهم يتيقنون دوامه لا كرزق الدنيا
الذي لا يعلم متى يحصل ومتى يقطع
ثم فسر ذلك الرزق بأنه (فواكه)
فقيل ان الفاكهة عبارة عما يؤكل
لاجل التلذذ لا لاجل الحاجة
وأرزاق أهل الجنة كلها كذلك
لأنهم مستغنون عن حفظ الصحة
بالاقوات فانهم أجسام محكمة
مخلوقة للابد فلذلك سمى رزقهم
فاكهة وقيل أراد به التنبيه بالأدنى
على الأعلى فاذا كانت الفاكهة
حاضرة أبدا كان الطعام أولى
بالحضور وحيث بين الأكل ذكر
أن ذلك حاصل مع الاكرام
والتعظيم فقال (وهم مكرمون)
اذ الاكل الخالي عن التعظيم يليق
بالبهائم وحين ذكر مأكولهم وصف
مسكنهم وهيئة جلوسهم فقال
(في جنات النعيم على سرر متقابلين)
وقد مر في الحجر ثم وصف
مشروبهم قال أهل اللغة لا يسمى
الاناء كاسا الا اذا كان فيها خمر
وقد تسمى الخمر نفسها كاسا عن الأخفش كل كاس في القرآن فهي الخمر وكذا في تفسير ابن عباس والمعين النهر الجاري على وجه الأرض وأصله معيون لانه الظاهر للعيون أو من عين الماء وقد يقال عان الماء يعين اذا ظهر جاريا قاله ثعلب وقيل فعيل من المعن

شعبة عن أبي اسحق عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود فقال أنا فلان بن فلان
ابن الأشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله
حدثنا ابن حميد قال ثنا ابراهيم بن المختار قال ثنا محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن
الزهري عن العلاء بن حارثة الثقفي عن أبي هريرة عن كعب في قوله وفديناه بذبح عظيم قال
من ابنه اسحق حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا زكريا وشعبة عن ابن اسحق عن مسروق
في قوله وفديناه بذبح عظيم قال هو اسحق حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن زيد
ابن أسلم عن عبيد بن عمير قال هو اسحق حدثنا عمرو بن علي قال ثنا أبو عاصم قال ثنا سفيان
عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عمير قال قال موسى يارب يقولون يا الله ابراهيم واسحق ويعقوب فيم
قالوا ذلك قال ان ابراهيم لم يعدل بي شيأ قط إلا اختارني عليه وان اسحق جادلني بالذبح وهو بغير
ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال
ثنا سفيان عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال قال موسى أي رب هم
أعطيت ابراهيم واسحق ويعقوب ما أعطيتهم فذكر معنى حديث عمرو بن علي حدثنا أبو كريب
قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن أبي سنان الشيباني عن ابن أبي الهذيل قال الذبيح هو اسحق
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أن عمرو بن أبي سفيان
ابن أسيد بن حارثة الثقفي أخبره أن كعبا قال لأبي هريرة ألا أخبرك عن اسحق بن ابراهيم النبي
قال أبو هريرة بلى قال كعب لما أرى ابراهيم ذبح اسحق قال الشيطان والله لئن لم أفتن عند هذا
آل ابراهيم لا أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل الشيطان لهم رجلا يعرفونه فأقبل حتى اذا خرج ابراهيم
باسحق ليذبحه دخل على سارة امرأة ابراهيم فقال لها أين أصبح ابراهيم غاديا باسحق قالت سارة
غدا لبعض حاجته قال الشيطان لا والله ما لذلك غدا به قالت سارة فلم غدا به قال غدا به ليذبحه
قالت سارة ليس من ذلك شيء لم يكن ليذبح ابنه قال الشيطان بلى والله قالت سارة فلم يذبحه قال
زعم أن ربه أمره بذلك قالت سارة فهذا أحسن بأن يطيع ربه ان كان أمره بذلك فخرج الشيطان
من عند سارة حتى أدرك اسحق وهو يمشي على اثر أبيه فقال أين أصبح أبوك غاديا بك قال غاديا بي
لبعض حاجته قال الشيطان لا والله ما غدا بك لبعض حاجته ولكن غدا بك ليذبحك قال
اسحق ما كان أبي ليذبحني قال بلى قال لم قال زعم أن ربه أمره بذلك قال اسحق فوالله لئن أمره
بذلك ليطيعنه قال فتركه الشيطان وأسرع الى ابراهيم فقال أين أصبحت غاديا بابنك قال
غدوت به لبعض حاجتي قال أما والله ما غدوت به الا لتذبحه قال لم أذبحه قال زعمت أن ربك
أمرك بذلك قال فوالله لئن كان أمرني بذلك ربي لأفعلن قال فلما أخذا براهيم اسحق ليذبحه
وسلم اسحق أعفاه الله وفداه بذبح عظيم قال ابراهيم لاسحق قم أي بني فان الله قد أعفاك وأوحى
الله الى اسحق اني قد أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها قال اسحق اللهم اني أدعوك أن تستجيب لي
أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيأ فأدخله الجنة حدثنا ابن حميد قال ثنا
سلمة قال ثني ابن اسحق عن عبد الله بن ابي بكر عن محمد بن مسلم الزهري عن أبي سفيان بن
العلاء بن حارثة الثقفي حليف بني زهرة عن أبي هريرة عن كعب الاحبار أن الذي أمر ابراهيم
بذبحه من ابنيه اسحق وأن الله لما فرج له ولابنه من البلاء العظيم الذي كان فيه قال الله لاسحق

وهو المنقعة أو الماء الشديد الجرى ومنه أمعن فى السير أى بالغ فيه واشتد وصف الخمر بما يوصف به الماء لأنها تجرى فى الجنة فى أنهار كما يجرى الماء وبيضاء صفة للكأس قال الحسن خمر الجنة أشد بياضا من اللبن (٥٢) و (لذة) اما مصدر وصف بها للمبالغة كأنها نفس اللذة او هى تأنيث اللذ واللذ واللذيذ واحد كالطب والطبيب ثم بين أن خمر الجنة لا تغتال العقول يقال غاله يغوله غولا اذا أهلكه وأفسده وفيه تعريض بخمور الدنيا ولهذا قدم الظرف وبنى الكلام على الاسم فى قوله (ولا هم عنها ينزفون) أى يسكرون وخص هذا الوصف بالذكر لأنه أعظم المفاسد فى شرب الخمر يقال نزف الشارب على البناء للمفعول اذا ذهب عقله والتركيب يدور على الفناء والنفاد ومنه نزحت البئر حتى نزفتها اذا لم تترك فيها ماء وأنزف مثله ومعناه صار ذا نزف وعن بعضهم أن معنى قوله ولا هم عنها ينزفون هو أن الشراب لا ينقطع عنهم لئلا يلزم نوع من التكرار والأولون حملوه على المبالغة ثم وصف منكوحهم بقوله (وعندهم قاصرات الطرف) أى حابسات عن غير أزواجهن كقوله عربا والعين جمع العيناء مؤنث الأعين وهو كبير العين ثم شبههن ببيض النعام المكنون فى وكناتها وذلك لأن فيها بياضا يشوبه قليل من الصفرة واذا كانت مستورة فى أماكنها كانت مصونة عن الغبرة والتغير فكانت فى غاية الحسن وبها تشبه العرب النساء وتسميهن بيضات الخدور ثم عطف على قوله يطاف قوله فأقبل وهو مضارع فى المعنى الا أنه على عادة الله تعالى فى الاخبار ولعل هذا التذاكر عقيب اطافة الكاس

---

انى قد أعطيتك بصبرك لأمرى دعوة أعطيك فيها ما سألت فسلنى قال رب أسألك أن لا تعذب عبدا من عبادك تقيك وهو يؤمن بك فكانت تلك مسئلته التى سأل حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا اسرائيل عن جابر عن ابن سابط قال هو اسحق حدثنا أبو كريب قال ثنا سفيان بن عقبة عن حمزة الزيات عن أبى ميسرة قال قال يوسف للملك فى وجهه ترغب أن تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله * قال ثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن أبى سنان عن ابن أبى الهذيل قال قال يوسف للملك فذكر نحوه * وقال آخرون الذى فدى بالذبح العظيم من ابنى ابراهيم اسمعيل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب واسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قالا ثنا يحيى بن يمان عن اسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر قال الذبيح اسمعيل حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان قال ثنى بيان عن الشعبى عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال اسمعيل حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن محمد بن ميمون السكرى عن عطاء بن السائب عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال ان الذى أمر بذبحه ابراهيم اسمعيل حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن على بن زيد عن عمار مولى بنى هاشم أو عن يوسف بن مهران عن ابن عباس قال هو اسمعيل يعنى وفديناه بذبح عظيم حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا داود عن الشعبى قال قال ابن عباس هو اسمعيل وحدثنى به يعقوب مرة أخرى قال ثنا ابن علية قال سئل داود بن أبى هند أى ابنى ابراهيم الذى أمر بذبحه فزعم أن الشعبى قال قال ابن عباس هو اسمعيل حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن بيان عن الشعبى عن ابن عباس أنه قال فى الذى فداه الله بذبح عظيم قال هو اسمعيل حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله وفديناه بذبح عظيم قال هو اسمعيل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمر بن قيس عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله ابن عباس أنه قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود أنه اسحق وكذبت اليهود حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو عاصم عن مبارك عن على بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس الذى فداه الله هو اسمعيل حدثنا ابن سنان القزاز قال ثنا حجاج بن حماد عن أبى عاصم الغنوى عن أبى الطفيل عن ابن عباس مثله حدثنى اسحق بن شاهين قال ثنا خالد بن عبد الله عن داود عن عامر قال الذى أراد ابراهيم ذبحه اسمعيل حدثنى المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر أنه قال فى هذه الآية وفديناه بذبح عظيم قال هو اسمعيل قال وكان قرنا الكبش منوطين بالكعبة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن اسرائيل عن جابر عن الشعبى قال الذبيح اسمعيل * قال ثنا ابن يمان عن اسرائيل عن جابر عن الشعبى قال رأيت قرنى الكبش فى الكعبة * قال ثنا ابن يمان عن مبارك بن فضالة عن على ابن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران قال هو اسمعيل * قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال هو اسمعيل حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا عوف عن الحسن وفديناه بذبح عظيم قال هو اسمعيل حدثنا ابن حميد قال ثنا

---

فلهذا جىء بالفاء بخلاف ما مر فى تخاصم أهل النار والمراد أنهم يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة أهل المنادمة والعشرة قال بعضهم وما بقيت من اللذات الا * أحاديث الكرام على المدام وقد حكى من جملة مكالماتهم تذكرهم أنه كان قد حصل لهم فى الدنيا

سلمة عن ابن اسحق قال سمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول ان الذى أمر الله ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك فى كتاب الله فى قصة الخبر عن ابراهيم وما أمر به من ذبح ابنه اسمعيل وذلك أن الله يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى ابراهيم قال وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين يقول بشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح اسحق وله فيه من الله الموعود ما وعده الله وما الذى أمر بذبحه الا اسمعيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصرى أنه كان لا يشك فى ذلك أن الذى أمر بذبحه من ابنى ابراهيم اسمعيل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق سمعت محمد بن كعب القرظي يقول ذلك كثيرا حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن بريدة بن سفيان بن فروة الاسلمى عن محمد بن كعب القرظى أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كان معه بالشام فقال له عمر ان هذا لشئ ما كنت أنظر فيه وانى لأراه كما هو ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم فحسن اسلامه وكان يرى أنه من علماء يهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك فقال محمد ابن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أى ابنى ابراهيم أمر بذبحه فقال اسمعيل والله يا أمير المؤمنين وان يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذى كان من أمر الله فيه والفضل الذى ذكره الله منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه اسحق لأن اسحق أبوهم فالله أعلم أيهما كان كل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لربه حدثنى محمد ابن عمار الرازى قال ثنا اسمعيل بن عبيد بن أبى كريمة قال ثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابى عن عبيد الله بن محمد العتبى من ولد عتبة بن أبى سفيان عن أبيه قال ثنى عبد الله بن سعيد عن الصنابحى قال كنا عند معاوية بن أبى سفيان فذكروا الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم أعند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءه رجل فقال يا رسول الله عد على مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك عليه السلام فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله ان سهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل واسمعيل الثانى حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا ابن جريج عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وفديناه بذبح عظيم قال الذى فدى به اسمعيل ويعنى تعالى ذكره الكبش الذى فدى به اسحق والعرب تقول لكل ما أعد للذبح ذبح وأما الذبح بفتح الذال فهو الفعل « قال أبو جعفر » وأولى القولين بالصواب فى المفدى من ابنى ابراهيم خليل الرحمن على ظاهر التنزيل قول من قال هو اسحق لأن الله قال وفديناه بذبح عظيم فذكر أنه فدى الغلام الحليم الذى بشر به ابراهيم حين سأله أن يهب له ولدا صالحا من الصالحين فقال رب هب لى من الصالحين فاذ كان المفدى بالذبح من ابنيه هو المبشر به وكان الله تبارك اسمه قد بين فى كتابه أن الذى بشر به هو اسحق ومن وراء اسحق يعقوب فقال جل ثناؤه وبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب وكان فى كل موضع من القرآن ذكر تبشيره اياه بولد فانما هو معنى به اسحق كان بينا أن تبشيره اياه بقوله فبشرناه بغلام حليم فى هذا الموضع



ما يوجب لهم الوقوع فى عذاب الله ثم انهم تخلصوا عنه وفازوا بالنعيم المقيم وهذا ابتداء الحكاية (قال قائل منهم) أى من أهل الجنة (انى كان لى قرين) جليس أو شريك فى الدنيا يقول (أئنك لمن المصدقين) أى بيوم الدين (أئنا لمدينون) لمجزيون من دان يدين اذا جزى وقيل لمسوسون مقهورون من دانه اذا ساسه ومنه الحديث الكيس من دان نفسه وعن بعضهم أراد بالمتحادثين الرجلين المذكورين فى الكهف فى قوله واضرب لهم مثلا رجلين (قال) يعنى ذلك القائل أو الله أو بعض الملائكة (هل أنتم مطلعون) الى النار أى هل تحبون أن تطلعوا فتعلموا أين منزلتكم منها عن ابن عباس ان فى الجنة كوى ينظر أهلها منها الى النار (فاطلع) على أهل النار فرأى قرينه (فى سواء الجحيم) وسطها (قال) لقرينه (تالله ان كدت لتردين) ان مخففة واللام فارقة والارداء الاهلاك وبخه على أنه كان يدعوه فى الدنيا الى انكار البعث المتضمن للكفر المؤدى الى الهلاك الحقيق والخطاب مع القرين إما أن يكون بحيث يسمعه حقيقة وذلك لرفع الحجاب وتقريب المسافة أو كما أراد الله بقدرته وإما أن يخاطبه وان لم يمكنه السماع لبعده كما يخاطب الموتى ومن فى حكمهم نظيره ما مر فى قصة صالح فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم الى آخر الآية والله أعلم ثم شكر الله تعالى على أن وفقه لنعمة الاسلام وأرشده الى الحق وعصمه عن الباطل فقال (ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين) فى النار مثلك أطلق اطلاقا لان الاحضار يستعمل فى الشر غالبا ولا سيما فى اصطلاح القرآن وحين تم كلامه مع الرجل الذى كان قرينا له فى الدنيا وهو الآن من أهل النار عاد الى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة قائلا (أفما نحن بميتين) وفيه قولان أحدهما أن أهل الجنة لا يعلمون فى أول دخولهم الجنة أنهم لا يموتون فيستفهمون عن ذلك فيما بينهم أو يسألون الملائكة فاذا جىء بالموت على صورة كبش أملح وذبح فعند ذلك يعلمون نحو

انهم لا يموتون والتقدير نحن مخلدون منعمون فما من شأننا أن نموت ولا ان نعذب وثانيهما ان هذا مما يقوله المؤمن تحدثا بنعمة الله سبحانه واغتباطا بحاله فان الذي يتكامل خيره وسعادته اذا عظم تعجبه بها قد يقول (٥٥) أفيدوم هذا لي وان كان على يقين من دوامه

نحو سائر أخباره في غيره من آيات القرآن وبعد فان الله أخبر جل ثناؤه في هذه الآية عن خليله أنه بشره بالغلام الحليم عن مسألته اياه أن يهب له من الصالحين ومعلوم أنه لم يسأله ذلك الا في حال لم يكن له فيه ولد من الصالحين لأنه لم يكن له من ابنيه إلا امام الصالحين وغيره وهو منه أن يكون سأل ربه في هبة ما قد كان أعطاه وهبه له فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذي ذكر تعالى ذكره في هذا الموضع هو الذي ذكر في سائر القرآن أنه بشره به وذلك لا شك أنه اسحق اذ كان المفدى هو المبشر به وأما الذي اعتل به من اعتل في أنه اسمعيل أن الله قد كان وعد ابراهيم أن يكون له من اسحق ابن ابن فلم يكن جائزا أن يأمره بذبحه مع الوعد الذي قد تقدم فان الله انما أمره بذبحه بعد أن بلغ معه السعي وتلك حال (٣) غير ممكن أن يكون قد كان ولد لاسحق فيها أولاد فكيف الواحد وأما اعتلال من اعتل بأن الله أتبع قصة المفدى من ولد ابراهيم بقوله وبشرناه باسحق نبيا ولو كان المفدى هو اسحق لم يبشره به بعد وقد ولد وبلغ معه السعي فان البشارة بنبوة اسحق من الله فيما جاءت به الاخبار جاءت ابراهيم واسحق بعد أن فدى تكرمة من الله له على صبره لامر ربه فيما امتحنه به من الذبح وقد تقدمت الرواية قبل عمن قال ذلك وأما اعتلال من اعتل بأن قرن الكبش كان معلقا في الكعبة فغير مستحيل أن يكون حمل من الشام الى مكة وقد روي عن جماعة من أهل العلم أن ابراهيم انما أمر بذبح ابنه اسحق بالشام وبها أراد ذبحه * واختلف أهل العلم في الذبح الذي فدي به اسحق فقال بعضهم كان كبشا ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن أبي الطفيل عن علي وفديناه بذبح عظيم قال كبش أبيض أقرن أعين مربوط بسمرة في ثبير حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال كبش قال عبيد بن عمير ذبح بالمقام وقال مجاهد ذبح بمنى في المنحر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن خثيم عن سعيد عن ابن عباس قال الكبش الذي ذبحه ابراهيم هو الكبش الذي قربه ابن آدم فتقبل منه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا سيار عن عكرمة أن ابن عباس كان أفتى الذي جعل عليه أن ينحر نفسه فأمره بمائة من الابل قال فقال ابن عباس بعد ذلك لو كنت أفتيته بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا فان الله قال في كتابه وفديناه بذبح عظيم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وفديناه بذبح عظيم قال ذبح كبش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفديناه بذبح عظيم قال قال ابن عباس التفت فاذا كبش فأخذه فذبحه حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير وفديناه بذبح عظيم قال كان الكبش الذي ذبحه ابراهيم رعى في الجنة أربعين سنة وكان كبشا أملح صوفه مثل العهن الأحمر حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وفديناه بذبح قال بكبش حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ليث قال قال مجاهد الذبح العظيم شاة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله بذبح عظيم قال بكبش وحدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا شريك

وأيضا انه قال ذلك بمسمع من قرينه ليكون توبيخا له وليحكيه الله فيكون لنا لطفا وزجرا احتج نفاة عذاب القبر بقوله الا موتتنا الاولى فانه يدل على ان الانسان لا يموت الا موتة واحدة ولو حصلت الحياة في القبر لكان الموت حاصلا مرتين وأجيب بأن المراد بالموتة الاولى كل ما يقع في الدنيا وقوله (ان هذا لهو الفوز العظيم) يجوز أن يكون من تمام كلامه لقرينه تقريعا له وتوبيخا وأن يكون من قول أهل الجنة فيما بينهم أي ان هذا الامر الذي نحن فيه أو هو قول الله تصديقا لهم وكذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون ولا خلاف أن قول ذلك خير من كلام الله عز وجل كأنه لما تم قصة المؤمن رجع الى ذكر الرزق المعلوم فاستفهم للتقرير ان ذلك الرزق (خير نزلا أم شجرة الزقوم) قال جار الله أصل النزل الفضل والريع في الطعام يقال طعام كثير النزل فاستعير للحاصل من الشيء وحاصل الرزق المعلوم اللذة والسرور وحاصل تلك الشجرة الألم والغم ويمكن أن يقال النزل ما يقدم للضيف ومعلوم أنه لا خير في شجرة الزقوم ولكنهم وبخوا على ذلك وظاهر القرآن يدل على أنها شجرة كريهة الطعم والرائحة مؤلمة التناول صعبة الابتلاع الا أن المفسرين اختلفوا في ماهيتها فذكر قطرب أنها شجرة مرة تكون بتهامة وقال غيره انها ليس لها في الدنيا وجود بدليل قوله (انا جعلناها فتنة للظالمين) وذلك أنها خلاف المألوف والمعتاد فاذا ورد على سمع المؤمن فوض علمه الى الله تعالى واذا ورد على الزنديق توسل به الى الطعن في القرآن ويزيد في شبهته كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم وقيل انما كانت فتنة لهم لانهم اذا كلفوا تناولها شق ذلك عليهم

فهو كقوله يوم هم على النار يفتنون وذكر المفسرون أن ابن الزبعرى قال لصناديد قريش ان محمدا يخوفنا بالزقوم وان الزقوم بلسان بربر وافر بقية الزبد والتمر وذكروا أيضا أن أبا جهل (٥٦) أدخلهم بيته وقال يا جارية زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر فقال تزقموا فهذا الذى يوعدكم محمد به فأنزل الله صفة الزقوم وذكر بقية أوصاف الشجرة منها (انها تخرج فى أصل الجحيم) أى منبتها فى قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتها وفيه تكذيب للطاعنين فيه كيف يكون فى النار شجرة والنار تحرق الشجر ومنها (طلعها كأنه رؤس الشياطين) قال جار الله الطلع للنخلة فاستعير لما طلع من شجرة الزقوم من حملها اما استعارة لفظية وذلك أن يكون وجه الاستعارة مجرد الطلوع أى الظهور أو معنوية وذلك اذا كان يشبه الطلع شكلا ولونا وفى تشبيه ثمرتها برؤس الشياطين أقوال أحدها وهو الأقوى انه تمثيل وتخييل وذلك أن الشيطان مثل فى القبح ونفرة الطباع عنه كما أن الملك مثل فى الحسن وميل النفوس اليه واذا كان الشيطان كله مستقبحا فرأسه كذلك وتشبيه الثمرة برأسه أولى للاستدارة وللتوسط فى الجحيم الثانى أن الشيطان ههنا نوع من الحيات تعرفها العرب خفاف لها أعراف ورؤس قباح الثالث أنه شجر معروف عند العرب قبيح الاعانى يسمى الأستن وثمره يسمى رؤس الشياطين الرابع قال مقاتل رؤس الشياطين حجارة سود تكون حول مكة ولعل هذا بل الثالث والثانى أيضا يعود الى الاول الا أنه بعد التسمية كأنه صار أصلا يشبه به ثم علل جعل الشجرة فتنة للظالمين بقوله (فانهم لآكلون منها) أى من طلعها (فمالؤن منها البطون) أى بطونهم إما لأن شدة الجوع تحملهم على تناول ذلك الشئ الكريه واما لان على الزبانية يقسرونهم على أكلها ليكون بابا من العذاب فاذا شبعوا غلبهم العطش أو أخذتهم الغصة فيسقون من حميم وهو الماء الشديد الحرارة

عن ليث عن مجاهد وفديناه بذبح عظيم قال الذبح الكبش **حدثنا** موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال التفت يعنى ابراهيم فاذا بكبش فأخذه وخلى عن ابنه **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الذبح العظيم الكبش الذى فدى الله به اسحق **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن الحسن بن دينار عن قتادة بن دعامة عن جعفر بن اياس عن عبد الله بن العباس فى قوله وفديناه بذبح عظيم قال خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفا فأرسل ابراهيم ابنه واتبع الكبش فأخرجه الى الجمرة الأولى فرمى بسبع حصيات فأفلته عنده بفناء الجمرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذى نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه عند ميزاب الكعبة قدحش يعنى يبس **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ابن اسحق ويزعم أهل الكتاب الاول وكثير من العلماء أن ذبيحة ابراهيم التى فدى بها ابنه كبش أملح أقرن أعين **حدثنا** عمرو بن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن جويبر عن الضحاك فى قوله وفديناه بذبح عظيم قال بكبش * وقال آخرون كان ذلك الذبح وعلا ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن رجل عن أبى صالح عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال كان وعلا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول ما فدى اسمعيل الا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير واختلف أهل التأويل فى السبب الذى من أجله قيل للذبح الذى فدى به اسحق عظيم فقال بعضهم قيل ذلك كذلك لأنه كان رعى فى الجنة ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن عبد الله بن عيسى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفديناه بذبح عظيم قال رعى فى الجنة أربعين خريفا * وقال آخرون قيل له عظيم لأنه كان ذبحا متقبلا ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان عن ابن جريج عن مجاهد عظيم قال متقبل **حدثنا** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا شريك عن ليث عن مجاهد فى وفديناه بذبح عظيم قال العظيم المتقبل * وقال آخرون قيل له عظيم لأنه ذبح ذبح بالحق وذلك ذبحه بدين ابراهيم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول ما يقول الله وفديناه بذبح عظيم لذبيحته التى ذبح فقط ولكنه الذبح على دينه فتلك السنة الى يوم القيامة فاعلموا أن الذبيحة تدفع ميتة السوء فضحوا عباد الله «قال أبو جعفر» ولا قول فى ذلك أصح مما قال الله جل ثناؤه وهو أن يقال فداه الله بذبح عظيم وذلك أن الله عم وصفه اياه بالعظم دون تخصيصه فهو كما عمه به وقوله وتركنا عليه فى الآخرين يقول تعالى ذكره وأبقينا عليه فيمن بعده الى يوم القيامة ثناء حسنا كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وتركنا عليه فى الآخرين قال أبقى الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وتركنا عليه فى الآخرين قال سأل ابراهيم فقال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين قال فترك الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين كما ترك اللسان السوء

وقد وصفه الله سبحانه فى قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه والشوب المزج كما قال فى صفة شراب أهل الجنة ومزاجه من تسنيم وهو تسمية بالمصدر والمراد أن الطعام مزج بالحميم أو يستون صديدا (٥٧) أو شرابا حارا ممزوجا بما هو أحر وهو الحميم

على فرعون وأشباهه كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء وقيل معنى ذلك وتركنا عليه فى الآخرين السلام وهو قوله سلام على ابراهيم وذلك قول يروى عن ابن عباس تركنا ذكره لأن فى اسناده من لم نستجز ذكره وقد ذكرنا الأخبار المروية فى قوله وتركنا عليه فى الآخرين فيما مضى قبل وقيل معنى ذلك وتركنا عليه فى الآخرين أن يقال سلام على ابراهيم وقوله سلام على ابراهيم يقول تعالى ذكره أمنة من الله فى الأرض لابراهيم أن لا يذكر من بعده الا بالجميل من الذكر وقوله كذلك نجزى المحسنين يقول كما جزينا ابراهيم على طاعته ايانا واحسانه فى الانتهاء الى أمرنا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين يقول ان ابراهيم من عبادنا المخلصين لنا الايمان ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وباركنا عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ يقول تعالى ذكره وبشرنا ابراهيم باسحق نبيا شكرا له على احسانه وطاعته كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشر به بعد ذلك نبيا بعدما كان هذا من أمره لما جاد لله بنفسه حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال قال ابن عباس الذبيح اسحق قال وقوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشر بنبوته قال وقوله ووهبنا له أخاه هرون نبيا قال كان هرون أكبر من موسى ولكن أراد وهب الله له نبوته حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا معتمر ابن سليمن قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس فى هذه الآية وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال انما بشره به نبيا حين فداه من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده حدثنى الحسين بن يزيد الطحان قال ثنا ابن ادريس عن داود عن عكرمة عن ابن عباس فى قول الله وبشرناه باسحق نبيا قال انما بشر بالنبوة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بشر ابراهيم باسحق حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين قال بنبوته حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن ضرار عن شيخ من أهل المسجد قال بشر ابراهيم لسبع عشرة ومائة سنة وقوله وباركنا عليه وعلى اسحق يقول تعالى ذكره وباركنا على ابراهيم وعلى اسحق ومن ذريتهما محسن يعنى بالمحسن المؤمن المطيع لله المحسن فى طاعته اياه وظالم لنفسه مبين ويعنى بالظالم لنفسه الكافر بالله الجالب على نفسه بكفره عذاب الله وأليم عقابه مبين يعنى الذى قد أبان ظلمه نفسه بكفره بالله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله محسن وظالم لنفسه مبين قال المحسن المطيع لله والظالم لنفسه العاصى لله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد منا على موسى وهرون ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ونصرناهم فكانوا هم الغالبين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد تفضلنا على موسى وهرون ابنى عمران فجعلناهما نبيين ونجيناهما وقومهما من الغم والمكروه العظيم الذى كانوا فيه من عبودة آل فرعون ومما أهلكنا به فرعون وقومه من الغرق وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط

ومعنى ثم التراخى فى الزمان كأنهم لا يسقون الا بعد مدة مديدة تكميلا للتعذيب أو التراخى بالرتبة لأن الشراب أبشع من الطعام بكثير قال مقاتل معنى ثم فى قوله (ثم ان مرجعهم) أنهم يخرجون من الحميم ودركاتها الى موضع فيه الزقوم والحميم وبعد الأكل والشرب يردون الى موضعهم أى من الحميم فكأنهم فى وقت الأكل والشرب لا يعذبون بالنار وقيل هو كقولهم فلان يرجع الى مال ونعمة أى هو فيها وقيل ثم لتراخى الاخبار أى فقد صح أن مرجع الكفار الى النار وقيل ثم مع الجملة قد تدل على التقديم أى قبل ذلك كان مرجعهم الى الجحيم ثم بين أن سبب وقوعهم فى أصناف العذاب المذكور هو التقليد والاهراع الاسراع الشديد كأنهم يساقون سوقا ولو لم يوجد فى ذم التقليد الا هذه الآية لكفى ثم أراد تسلية النبى صلى الله عليه وسلم اجمالا بقوله (ولقد ضل قبلهم) أى قبل قومك (أكثر الأولين) ثم استثنى من قوله ولقد ضل أو من المنذرين المهلكين عباده المخلصين فان عاقبتهم كانت حميدة ثم سلاه بوقائع الامم الخالية تفصيلا وقدم قصة نوح عليه السلام لكونه أبا ثانيا وناداه فى قوله رب انصرنى بما كذبون أو قوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا واللام الداخلة على نعم جواب قسم محذوف أو للابتداء والمخصوص بالمدح وهو نحن محذوف والجمع لتصوير العظمة

 والكبرياء وفيه وفى فاء التعقيب فى فلنعم دليل على أن نداءه العظيم الكبير حقيق بأن يكون مقرونا باجابة والكرب العظيم ما هو فيه من مخاوف الطوفان أو من ايذاء قومه مع اليأس من ايمانهم وهذا أقرب

وفى قوله (هم الباقين) بصيغة الحصر دلالة على أن كل من سواه وسوى ذريته فقد فنوا روى أنه مات كل من كان معه فى السفينة غير ذريته
وهم سام وحام و يافث فسام أبو العرب (٥٨) وفارس والروم وحام أبو السودان شرقا وغربا و يافث أبو الترك والخزر و ياجوج

وما جوج وتركنا عليه فى المتأخرين من الأمم هذه الكلمة وهى (سلام على نوح) ومعنى (فى العالمين) أن هذه التحية ثبتها الله فيهم فيسلم المتلاقان عليه الى يوم القيامة ثم بين أن سبب هذه التشريفات هو كونه محسنا وهذا جزاء كل محسن ثم بين أن احسانه كان مسبوقا بايمانه فعلى كل مؤمن أن يجتهد حتى يصير محسنا وحين تم دعا آل اليه أمر نوح وذريته ذكر عاقبة سائر قومه فقال (ثم أغرقنا الآخرين)

أجاز الله من الاغراق والاحراق ما شاء فكان ذلك نوح وسفرنا ونجينا بالنصر والفتوح ﴿التأويل﴾ والصافات اشارة الى ما جاء أن الارواح خلقت قبل الأجساد فى أربعة صفوف الأول للانبياء والثانى للاولياء والثالث للمؤمنين والرابع لأهل الكفر فالزاجرات هى الالهامات الربانية للعوام عن المناهى والزواجر عن رؤية الأعمال وللأخص عن الالتفات الى غير الله فالتاليات ذكرا هم الذين يذكرون الله فى الخلوات بخلوص النيات رب سموات القلوب وأرض النفوس وما بينهما من صفاتهما ورب مشارق القلوب يطلع منها شموس الشواهد وأقمار الطوالع ونجوم اللوامع السماء الدنيا هى الرأس وكواكبها الحواس والشهب هى الخواطر الرحمانية تدفع بها الوساوس الشيطانية طين لازب أى لاصق يكل ما يصادفه فقوم لصقوا بالدنيا وقوم لصقوا بالآخرة وقوم لصقوا بنفحات ألطاف الحق فأذابتهم وجذبتهم عن أنانيتهم بهويتها كما تذيب ابن الشمس الثلج وتجذبه عنه وقفوهم انهم مسؤلون للسالك فى كل مقام وقفة تناسب ذلك المقام وهو مسؤل عن أداء حقوق ذلك المقام

عن السدى فى قوله ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم قال من الغرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم أى من آل فرعون وقوله ونصرناهم يقول ونصرنا موسى وهرون وقومهما على فرعون وآله بتغريقناهم فكانوا هم الغالبين لهم وقال بعض أهل العربية انما أريد بالهاء والميم فى قوله ونصرناهم موسى وهرون ولكنها أخرجت على مخرج مكنى الجمع لأن العرب تذهب بالرئيس كالنبى والأمير وشبهه الى الجمع بجنوده وأتباعه والى التوحيد لأنه واحد فى الأصل ومثله على خوف من فرعون وملئهم وفى موضع آخر وملئه قال وربما ذهبت العرب بالاثنين الى الجمع كما تذهب بالواحد الى الجمع فتخاطب الرجل فتقول ما أحسنتم ولا أجملتم وانما تريد به بعينه وهذا القول الذى قاله هذا الذى حكينا قوله فى قوله ونصرناهم وان كان قولا غير مدفوع فانه لا حاجة بنا الى الاحتيال به لقوله ونصرناهم لأن الله أتبع ذلك قوله ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم ثم قال ونصرناهم يعنى هما وقومهما الأن فرعون وقومه كانوا أعداء لجميع بنى اسرائيل قد استضعفوهم يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم فنصرهم الله عليهم بأن غرقهم ونجى الآخرين ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم وتركنا عليهما فى الآخرين سلام على موسى وهرون انا كذلك نجزى المحسنين انهما من عبادنا المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره وآتينا موسى وهرون الكتاب يعنى التوراة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناهما الكتاب المستبين التوراة ويعنى بالمستبين المتبين هدى ما فيه وتفصيله وأحكامه وقوله وهديناهما الصراط المستقيم يقول تعالى ذكره وهدينا موسى وهرون الطريق المستقيم الذى لا اعوجاج فيه وهو الاسلام دين الله الذى ابتعث به أنبياءه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهديناهما الصراط المستقيم الاسلام وقوله وتركنا عليهما فى الآخرين يقول وتركنا عليهما فى الآخرين بعدهم الثناء الحسن عليهما وقوله سلام على موسى وهرون يقول وذلك أن يقال سلام على موسى وهرون وقوله انا كذلك نجزى المحسنين يقول هكذا نجزى أهل طاعتنا والعاملين بما يرضينا عنهم انهما من عبادنا المؤمنين يقول ان موسى وهرون من عبادنا المخلصين لنا الايمان ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وان إلياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فكذبوه فانهم لمحضرون الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه فى الآخرين﴾ يقول تعالى ذكره وان الياس وهو الياس بن ياسين بن فنحاص ابن العيزار بن هرون بن عمران فيما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقيل انه إدريس حدثنا بذلك بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان يقال الياس هو ادريس وقد ذكرنا ذلك فيما مضى قبل وقوله لمن المرسلين يقول جل ثناؤه لمرسل من المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون يقول حين قال لقومه من بنى اسرائيل ألا تتقون الله أيها القوم فتخافونه وتحذرون عقوبته على عبادتكم ربا غير الله والها سواه وتذرون أحسن الخالقين يقول وتدعون عبادة أحسن من قيل له خالق وقد اختلف فى معنى بعل فقال بعضهم معناه أتدعون ربا وقالوا هى لغة لأهل اليمن معروفة فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمى

فقوم يسألهم الملك وقوم يسألهم الملك والاولون أقوام لهم أعمال صالحة تصلح للعرض والكشف والآخرون قسمان قوم لهم أعمال يسترها الحق عن اطلاع الخلق عليهم فى الدنيا والآخرة كما قال أوليائى تحت قبابى (٥٩) لا يعرفهم غيرى وقوم لهم ذنوب لا يطلع عليها الا الله فيسترها عليهم كما جاء ذكره فى الحديث ان الله يدنى المؤمن يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه يستره من الناس فيقول أى عبدى تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم أى رب ثم يقول أى عبدى تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول أى عبدى تعرف ذنب كذا وكذا فيقول نعم أى رب حتى اذا قرره بذنوبه ورأى نفسه أنه قد هلك قال فانى سترتها عليك فى الدنيا وقد غفرتها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته الا موتتنا الأولى وهى الموتة الارادية عن الصفات النفسانية وبعد ذلك لا موت بل ينتقل من دار الى دار لمثل هذا فليعمل العاملون بل لمثل هذه الأمور تبذل الأرواح وتفدى الأشباح كما قيل شعر

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه * وان بات من ليلى على اليأس والصد

ثم أخبر بعد قصة الأولياء عن قصة الأعداء بقوله أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم وفى قوله كأنه رؤس الشياطين دليل على أن أفعالهم كانت فى قبح صفات الشياطين فكانت مكافأتهم من جنس صورة الشياطين سلام على نوح فى العالمين انه تعالى سلم على نوح الروح لانه يحتاج الى سلام الله ليعبر على الصراط المستقيم الذى هو أدق من الشعر وأحد من السيف ولهذا يكون دعوة الرسل حينئذ رب سلم سلم وانما اختصوا بالصراط والعبور عليه ليؤدوا الامانة التى حملوها الى أهلها

ابن عمارة قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن عكرمة فى قوله أتدعون بعلا قال إلها حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا عمارة عن عكرمة فى قوله أتدعون بعلا يقول أتدعون ربا وهى لغة أهل اليمن تقول من بعل هذا الثور أى من ربه حدثنى زكريا بن يحيى ابن أبى زائدة ومحمد بن عمرو قالا ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أتدعون بعلا قال ربا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أتدعون بعلا قال هذه لغة باليمانية أتدعون ربا دون الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله أتدعون بعلا قال ربا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن عبد الله بن أبى يزيد قال كنت عند ابن عباس فسألوه عن هذه الآية أتدعون بعلا قال فسكت ابن عباس فقال رجل أنا بعلها فقال ابن عباس كفانى هذا الجواب * وقال آخرون هو صنم كان لهم يقال له بعل وبه سميت بعلبك ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أتدعون بعلا يعنى صنما كان لهم يسمى بعلا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال بعل صنم كانوا يعبدون كانوا ببعلبك وهم وراء دمشق وكان بها البعل الذى كانوا يعبدون * وقال آخرون كان بعل امرأة كانوا يعبدونها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال سمعت بعض أهل العلم يقول ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله وللبعل فى كلام العرب أوجه يقولون لرب الشئ هو بعله يقال هذا بعل هذه الدار يعنى ربها ويقولون لزوج المرأة بعلها ويقولون لما كان من الغروس والزروع مستغنيا بماء السماء ولم يكن سقياها بعل وهو الذى وذكر أن الله بعث الى بنى اسرائيل إلياس بعد مهلك حزقيل بن بوزا وكان من قصته وقصة قومه فيما بلغنا ما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن وهب بن منبه قال ان الله قبض حزقيل وعظمت فى بنى اسرائيل الأحداث ونسوا ما كان من عهد الله اليهم حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله فبعث الله اليهم الياس بن ياسين بن فنحاص ابن العيزار بن هرون بن عمران نبيا وانما كانت الانبياء من بنى اسرائيل بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا من التوراة فكان الياس مع ملك من ملوك بنى اسرائيل يقال له أحاب كان اسم امرأته ارزبل وكان يسمع منه ويصدقه وكان الياس يقيم له أمره وكان سائر بنى اسرائيل قد اتخذوا صنما يعبدونه من دون الله يقال له بعل قال ابن اسحق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول ما كان بعل الا امرأة يعبدونها من دون الله يقول الله لمحمد وان الياس لمن المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين الله ربكم ورب آبائكم الأولين فجعل الياس يدعوهم الى الله وجعلوا لا يسمعون منه شيأ الا ما كان من ذلك الملك والملوك متفرقة بالشام كل ملك له ناحية منها يأكلها فقال ذلك الملك الذى كان الياس معه يقوم له أمره ويراه على هدى من بين أصحابه يوما يا إلياس والله ما أرى ما تدعو اليه الا باطلا والله ما أرى فلانا وفلانا يعدد ملوكا من ملوك بنى اسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون

وهو الله سبحانه وتعالى (وان من شيعته لابراهيم اذ جاء ربه بقلب سليم اذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون ائفكا آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم فقال ألا تأكلون مالكم لا تنطقون فراغ عليهم

ضربا باليمين فأقبلوا اليه يزفون قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون قالوا ابنوا له بنيانا فألقوه في الجحيم فأرادوا به كيدا فجعلناهم
الأسفلين وقال اني ذاهب الى ربي سيهدين (٦٠) رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال يا بني اني

أرى في المنام أني أذبحك فانظر
ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر
ستجدني ان شاء الله من الصابرين
فلما أسلما وتله للجبين وناديناه
أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا
لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم
وتركنا عليه في الآخرين سلام على
ابراهيم كذلك نجزي المحسنين
انه من عبادنا المؤمنين وبشرناه
باسحق نبيا من الصالحين وباركنا
عليه وعلى اسحق ومن ذريتهما
محسن وظالم لنفسه مبين ولقد منا
على موسى وهرون ونجيناهما
وقومهما من الكرب العظيم
ونصرناهم فكانوا هم الغالبين
وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما
الصراط المستقيم وتركنا عليهما
في الآخرين سلام على موسى وهرون
انا كذلك نجزي المحسنين انهما
من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن
المرسلين اذ قال لقومه ألا تتقون
أتدعون بعلا وتذرون أحسن
الخالقين الله ربكم ورب آبائكم
الأولين فكذبوه فانهم لمحضرون
الا عباد الله المخلصين وتركنا عليه
في الآخرين سلام على الياسين
انا كذلك نجزي المحسنين انه من
عبادنا المؤمنين وان لوطا لمن
المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين
الا عجوزا في الغابرين ثم دمرنا
الآخرين وانكم لتمرون عليهم
مصبحين وبالليل أفلا تعقلون
وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى
الفلك المشحون فساهم فكان من

ويزعمون مما يكسبون ما ينقص دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل وما نرى لنا عليهم من فضل
فيزعمون والله أعلم أن الياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده ثم رفضه وخرج عنه ففعل ذلك
الملك فعل أصحابه عبد الأوثان وصنع ما يصنعون فقال الياس اللهم ان بني اسرائيل قد أبوا الا
أن يكفروا بك والعبادة لغيرك فغيّر ما بهم من نعمتك أو كما قال حدثنا ابن حميد قال ثنا
سلمة قال ثنا محمد بن اسحق قال فذكر لي أنه أوحي اليه انا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك واليك
حتى تكون أنت الذي تأذن في ذلك فقال الياس اللهم فأمسك عليهم المطر فحبس عنهم ثلاث
سنين حتى هلكت الماشية والهوام والدواب والشجر وجهد الناس جهدا شديدا وكان الياس
فيما يذكرون حين دعا بذلك على بني اسرائيل قد استخفى شفقا على نفسه منهم وكان حيثما كان
وضع له رزق وكانوا اذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فطلبوه
ولقي منهم أهل ذلك المنزل شرا ثم انه أوى ليلة الى امرأة من بني اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن
أخطوب به ضر فآوته وأخفت أمره فدعا الياس لابنها فعوفي من الضر الذي كان به واتبع
اليسع الياس فآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد أسن وكبر
وكان اليسع غلاما شابا فيزعمون والله أعلم أن الله أوحى الى الياس انك قد أهلكت كثيرا من الخلق
ممن لم يعص سوى بني اسرائيل من البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بحبس المطر عن
بني اسرائيل فيزعمون والله أعلم أن الياس قال أي رب دعني أنا الذي أدعوهم وأكون أنا الذي
آتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلهم أن يرجعوا ويتزعوا عما هم عليه من عبادة
غيرك قيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل فقال لهم انكم قد هلكتم جهدا وهلكت البهائم
والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل وغرور أو كما قال لهم فان كنتم تحبون
أن تعلموا ذلك وتعلموا أن الله عليكم ساخط فيما أنتم عليه وأن الذي أدعوكم اليه الحق فاخرجوا
بأصنامكم هذه التي تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم اليه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون
وان هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل فتزعتم ودعوت الله ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا
أنصفت فخرجوا بأوثانهم وما يتقربون به الى الله من احدائهم الذي لا يرضى فدعوها فلم
تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء حتى عرفوا ما هم فيه من الضلالة والباطل ثم
قالوا للياس يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا لهم الياس بالفرج مما هم فيه وأن يسقوا
فخرجت سحابة مثل الترس باذن الله على ظهر البحر وهم ينظرون ثم ترامى اليه السحاب ثم أدحست
ثم أرسل المطر فأغاثهم فحييت بلادهم وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فلم يتزعوا ولم يرجعوا
وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس من كفرهم دعا ربه أن يقبضه اليه فيريحه
منهم فقيل له فيما يزعمون انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه الى بلد كذا وكذا فما جاءك من شيء فاركبه
ولا تهبه فخرج الياس وخرج معه اليسع بن أخطوب حتى اذا كان في البلد الذي ذكر له في المكان
الذي أمر به أقبل اليه فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه فانطلق به فناداه اليسع يا الياس
يا الياس ما تأمرني فكان آخر عهدهم به فكساه الله الريش وألبسه النور وقطع عنه لذة المطعم
والمشرب وطار في الملائكة فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا واختلفت القراء في قراءة قوله

المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنو

أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ألا إنهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون
أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين وجعلوا بينه (٦١) و بين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون
سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا إلا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ﴿القراآت﴾ يزفون بضم الياء وكسر الزاى حمزة الباقون بفتح الياء انى أرى أنى أذبحك بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وترى بضم التاء وكسر الراء على وخلف وحمزة ستجدنى بفتح ياء المتكلم أبو جعفر ونافع وان الياس موصولا كهمزة الوصل ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الآخرون بكسر الهمزة الله ربكم ورب بالنصب فى ثلاثتها على البدل سهل و يعقوب وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد والمفضل الباقون برفعها على الابتداء والخبر آل ياسين بن عامر ونافع ورويس الآخرون الياسين كأنه جمع الياس لكاذبون أصطفى موصولا والابتداء بكسر الهمزة

الله ربكم ورب آبائكم الأولين فقرأته عامة قراء مكة والمدينة والبصرة و بعض قراء الكوفة الله ربكم ورب آبائكم الأولين رفعا على الاستئناف وأن الخبر قد تناهى عند قوله أحسن الخالقين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة الله ربكم و رب آبائكم الأولين نصبا على الرد على قوله وتذرون أحسن الخالقين على أن ذلك كله كلام واحد * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى مع استفاضة القراءة بهما فى القراء فبأى ذلك قرأ القارئ فمصيب وتأويل الكلام ذلك معبودكم أيها الناس الذى يستحق عليكم العبادة ربكم الذى خلقكم ورب آبائكم الماضين قبلكم لا الصنم الذى لا يخلق شيأ ولا يضر ولا ينفع وقوله فكذبوه فانهم لمحضرون يقول فكذب الياس قومه فانهم لمحضرون يقول فانهم لمحضرون فى عذاب الله فيشهدونه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فانهم لمحضرون فى عذاب الله الا عباد الله المخلصين يقول فانهم يحضرون فى عذاب الله الا عباد الله الذين أخلصهم من العذاب وتركنا عليه فى الآخرين يقول وأبقينا عليه الثناء الحسن فى الآخرين من الأمم بعده ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿سلام على إلياسين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين﴾ يقول تعالى ذكره أمنة من الله لآل ياسين واختلفت القراء فى قراءة قوله سلام على الياسين فقرأته عامة قراء مكة والبصرة والكوفة سلام على الياسين بكسر الألف من الياسين فكان بعضهم يقول هو اسم إلياس و يقول انه كان يسمى باسمين إلياس و إلياسين مثل ابراهيم وابراهام و يستشهد على أن ذلك كذلك بأن جميع ما فى السورة من قوله سلام فانه سلام على النبى الذى ذكر دون آله فكذلك إلياسين انما هو سلام على الياس دون آله وكان بعض أهل العربية يقول الياس اسم من أسماء العبرانية كقولهم اسمعيل واسحق والألف واللام منه و يقول لو جعلته عربيا من الالس فتجعله إفعالا مثل الاخراج والادخال أجرى و يقول قال سلام على الياسين فتجعله بالنون والعجمى من الأسماء قد تفعل به هذا العرب تقول ميكال وميكائيل وميكائين وهى فى بنى أسد تقول هذا اسمعين قد جاء وسائر العرب باللام قال وأنشدنى بعض بنى نمير لضب صاده

يقول رب السوق لما جينا * هذا ورب البيت اسرائينا

قال فهذا كقوله الياسين قال وان شئت ذهبت بالياسين الى أن تجعله جمعا فتجعل أصحابه داخلين فى اسمه كما تقول لقوم رئيسهم المهلب قد جاءتكم المهالبة والمهلبون فيكون بمنزلة قولهم الأشعرين بالتخفيف والسعدين بالتخفيف وشبهه قال الشاعر

* أنا ابن سعد سيد السعدين * قال وهو فى الاثنين أن يضم أحدهما الى صاحبه اذا كان أشهر منه اسما كقول الشاعر

جزانى الزهدمان جزاء سوء * وكنت المرء يجزى بالكرامه

واسم أحدهما زهدم وقال الآخر

جزى الله فيها الأعورين دمامة * وفروة ثفر الثورة المتضاجم

واسم أحدهما أعور وقرأ ذلك عامة قراء المدينة سلام على آل ياسين بقطع آل من ياسين فكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى سلام على آل محمد وذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ قوله وان الياس

يزيد واسمعيل والأصبهانى عن ورش الباقون بفتحها فى الحالين ۞ الوقف لابراهيم ٥ ط لان التقدير واذكر وجوز فى الكشاف ان يتعلق الظرف بما فى الشيعة من معنى المتابعة فلا وقف سليم ٥ تعبدون ٥ ج للابتداء بالاستفهام مع اتحاد المقول تريدون ٥ ط

بترك الهمز فى ألف الياس و يجعل الألف واللام داخلتين على ياس للتعريف و يقول انما كان اسمه ياس أدخلت عليه ألف ولام ثم يقرأ على ذلك سلام على آل ياسين * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأه سلام على الياسين بكسر ألفها على مثال ادراسين لأن الله تعالى ذكره انما أخبر عن كل موضع ذكر فيه نبيا من أنبيائه صلوات الله عليهم فى هذه السورة بأن عليه سلاما لا على آله فكذلك السلام فى هذا الموضع ينبغى أن يكون على الياس كسلامه على غيره من أنبيائه لا على آله على نحو ما بينا من معنى ذلك فان ظن ظان أن الياسين غير الياس فان فيما حكينا من احتجاج من احتج بأن الياسين هو الياس غنى عن الزيادة فيه مع أن فيما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى سلام على الياسين قال إلياس وفى قراءة عبد الله بن مسعود سلام على ادراسين دلالة واضحة على خطأ قول من قال عنى بذلك سلام على آل محمد وفساد قراءة من قرأ وان الياس بوصل النون من ان بالياس وتوجيه الألف واللام فيه الى أنهما أدخلتا تعريفا للاسم الذى هو ياس وذلك أن عبد الله كان يقول للياس هو ادريس و يقرأ وان ادريس لمن المرسلين ثم يقرأ على ذلك سلام على ادراسين كما قرأ الآخرون سلام على إلياسين فلا وجه على ما ذكرنا من قراءة عبد الله لقراءة من قرأ ذلك سلام على آل ياسين بقطع الآل من ياسين ونظير تسمية الياس بالياسين قوله وشجرة تخرج من طور سيناء ثم قال فى موضع آخر وطور سينين وهو موضع واحد سمى بذلك وقوله انا كذلك نجزى المحسنين يقول تعالى ذكره انا هكذا نجزى أهل طاعتنا والمحسنين أعمالا وقوله انه من عبادنا المؤمنين يقول ان الياس عبد من عبادنا الذين آمنوا فوحدونا وأطاعونا ولم يشركوا بنا شيئا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وان لوطا لمن المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين الا عجوزا فى الغابرين ثم دمرنا الآخرين﴾ يقول تعالى ذكره وان لوطا لمرسل من المرسلين اذ نجيناه وأهله أجمعين يقول اذ نجينا لوطا وأهله أجمعين من العذاب الذى أحللناه بقومه فأهلكناهم به الا عجوزا فى الغابرين يقول الا عجوزا فى الباقين وهى امرأة لوط وقد ذكرنا خبرها فيما مضى واختلاف المختلفين فى معنى قوله فى الغابرين والصواب من القول فى ذلك عندنا وقد حدثت عن المسيب بن شريك عن أبى روق عن الضحاك الا عجوزا فى الغابرين يقول الا امرأته تخلفت فمسخت حجرا وكانت تسمى هيشفع حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله الا عجوزا فى الغابرين قال الهالكين وقوله ثم دمرنا الآخرين يقول ثم قذفناهم بالحجارة من فوقهم فأهلكناهم بذلك ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وانكم لتمرون عليهم مصبحين و بالليل أفلا تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره لمشركى قريش وانكم لتمرون على قوم لوط الذين دمرناهم عند إصباحكم نهارا و بالليل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانكم لتمرون عليهم مصبحين قالوا نعم والله صباحا ومساء يطؤنها وطئا من أخذ من المدينة الى الشام أخذ على سدوم قرية قوم لوط حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله لتمرون عليهم مصبحين قال فى أسفاركم وقوله أفلا تعقلون يقول أفليس لكم عقول تتدبرون بها وتتفكرون فتعلمون أن من سلك من عباد الله فى الكفر به وتكذيب رسله مسلك هؤلاء الذين وصف صفتهم من قوم لوط نازل بهم من عقوبة الله مثل الذى نزل بهم على كفرهم بالله وتكذيب

الصالحين ٥ حليم ٥ ماذا ترى ط ما تؤمر ز للسين مع اتصال المقول الصابرين ٥ للجبين ٥ ج لاحتمال أن الواو مقحمة وناديناه جواب لما ولاحتمال أن الجواب محذوف أى قبلنا منه وناديناه يا ابراهيم ٥ لا الرؤيا ج لاحتمال أن ما بعده داخل فى حكم النداء أو مستأنف المحسنين ٥ المبين ٥ عظيم ٥ فى الآخرين ٥ لا ابراهيم ٥ المحسنين ٥ المؤمنين ٥ الصالحين ٥ اسحق ط مبين ٥ وهرون ٥ ج للآية مع العطف العظيم ٥ ج لذلك الغالبين ٥ لا المستبين ٥ ج المستقيم ٥ ج فى الآخرين ٥ لا وهرون ٥ المحسنين ٥ المؤمنين ٥ المرسلين ٥ لا وجه صحيح وان لم يكن مقصودا فلهذا لم يكن الوقف لازما تتقون ٥ الخالقين ٥ لا لمن قرأ الله بالنصب الاولين ٥ لمحضرون ٥ المخلصين ٥ فى الآخرين ٥ لا الياسين ٥ المحسنين ٥ المؤمنين ٥ المرسلين ٥ أجمعين ٥ لا الغابرين ٥ الآخرين ٥ مصبحين ٥ لا وبالليل ط تعقلون ٥ المرسلين ٥ لا المشحون ٥ لا المدحضين ٥ ج لحق المحذوف مع الفاء مليم ٥ من المسبحين ٥ لا يبعثون ٥ سقيم ٥ ج يقطين ٥ ج أو يزيدون ٥ ط الى حين ٥ ط البنون ٥ ط شاهدون ٥ ليقولون ٥ لا ولد الله لا تعجيلا لتكذيبهم لكاذبون ٥ البنين ٥ ط لابتداء استفهام آخر تحكمون ٥ تذكرون ٥ ج لأن أم تصلح استئنافا مبين ٥ لا لتعجيل أمر التعجيز صادقين ٥ رسوله نسبا ط لمحضرون ٥ لا لتعلق الاستثناء وسبحان الله معترض يصفون ٥ المخلصين ٥ تعبدون ٥ لا بفاتنين ٥ لا الجحيم ٥

لاستفهام آخر العالمين ٥ فى النجوم ٥ لا للفاء والاتحاد المعنى سقيم ٥ مدبرين ٥ تأكلون ٥ ج للاستفهام مع الاتحاد كالمر لا تنطقون ٥ باليمين ٥ يزفون ٥ تنحتون ٥ لا لأن الواو للحال تعملون ٥ فى الجحيم ٥ الأسفلين ٥ سيهدين ٥

معلوم ٥ الصافون ٥ ج للعطف مع الاتفاق المسبحون ٥ ج ليقولون ٥ لا من الأولين ٥ لا المخلصين ٥ يعلمون ٥ المرسلين ٥
لان ما بعده يصلح ابتداء مقولا للكلمة المنصورون ٥ ص لعطف  الجملتين المتفقتين الغالبون ٥ حين ٥ لا

رسوله فيزجركم ذلك عما أنتم عليه من الشرك بالله وتكذيب محمد عليه السلام كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أفلا تعقلون قال أفلا تتفكرون ما أصابهم في معاصي الله أن يصيبكم ما أصابهم قال وذلك المرور أن يمر عليهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وان يونس لمن المرسلين اذ أبق الى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مليم﴾ يقول تعالى ذكره وان يونس لمرسل من المرسلين الى أقوامهم اذ أبق الى الفلك المشحون يقول حين فر الى الفلك وهو السفينة المشحون وهو الملوء من الحمولة الموقر كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الى الفلك المشحون كنا نحدث أنه الموقر من الفلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله الفلك المشحون قال الموقر وقوله فساهم يقول فقارع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فساهم يقول أقرع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فساهم فكان من المدحضين قال فاحتبست السفينة فعلم القوم انما احتبست من حدث أحدثوه فتساهموا فقرع يونس فرمى بنفسه فالتقمه الحوت حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فساهم قال قارع وقوله فكان من المدحضين يعني فكان من المسهومين المغلوبين يقال منه أدحض الله حجة فلان فدحضت أي أبطلها فبطلت والدحض أصله الزلق في الماء والطين وقد ذكر عنهم دحض الله حجته وهي قليلة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فكان من المدحضين يقول من المقروعين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله من المدحضين قال من المسهومين حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله فكان من المدحضين قال من المقروعين وقوله فالتقمه الحوت يقول فابتلعه الحوت وهو افتعل من اللقم وقوله وهو مليم يقول وهو مكتسب اللوم يقال قد ألام الرجل اذا أتى ما يلام عليه من الأمر وان لم يلم كما يقال أصبحت محقا معطشا أي عندك الحق والعطش ومنه قول لبيد

سفها عذلت ولمت غير مليم * وهداك قبل اليوم غير حكيم

فأما الملوم فهو الذي يلام باللسان ويعذل بالقول وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثني أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وهو مليم قال مذنب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهو مليم أي في صنعه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وهو مليم قال وهو مذنب قال والمليم المذنب ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه الى

للعطف ولشدة اتصال المعنى يبصرون ٥ يستعجلون ٥ المنذرين ٥ حين ٥ لا يبصرون ٥ عما يصفون ٥ ج لعطف جملتين مختلفتين المرسلين ٥ ج للابتداء بالحمد الذي به يبتدأ الكلام واليه ينتهي مع اتفاق الجملتين العالمين ٥ ۞ التفسير الضمير في (شيعته) يعود الى نوح والمراد أن ابراهيم ممن شايع نوحا على أصول الدين أو على التصلب في الدين وقال الكلبي واختاره الفراء إنه يعود الى محمد أي هو على منهاجه ودينه وان كان ابراهيم سابقا والاول أظهر لتقدم ذكر نوح ولما روى عن ابن عباس معناه من أهل دينه وعلى سنته وما كان بين نوح وابراهيم الا نبيان هود وصالح وبين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة ومعنى (جاء ربه) أقبل بقلبه على الله وأخلص العمل له والقلب السليم قد مر في الشعراء ثم ذكر من جملة آثار سلامة قلبه أن دعا أباه وقومه الى التوحيد ومعنى (ماذا تعبدون) أي شيء تعبدونه كقوله في الانبياء ما تعبدون سألهم عن جنس معبوديهم ثم وبخهم على ذلك بقوله (أئفكا) هو مفعول له قدم للعناية كما قدم المفعول به على الفعل لذلك فانه كان الأهم عنده أن يكافحهم ويعنفهم على شركهم وأنهم على افك وباطل ويجوز أن يكون افكا حالا بمعنى أو مفعولا به وآلهة بدل منه على أنها افك في أنفسها

(فما ظنكم برب العالمين) حتى جعلتم الجمادات أندادا له أو حسبتم أنه يهمل أمركم ولا يعاقبكم وفيه أنه لا يقدر في وهم ولا ظن ما يصدر عن عباده وفي قوله اني سقيم قولان الأول أنه صدر منه كذبا لمصلحة رأى فيه ولما جاء في الحديث لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات

يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين﴾ يقول تعالى ذكره فلولا أنه يعنى يونس كان من المصلين لله قبل البلاء الذى ابتلى به من العقوبة بالحبس فى بطن الحوت للبث فى بطنه الى يوم يبعثون يقول لبث فى بطن الحوت الى يوم القيامة يوم يبعث الله فيه خلقه محبوسا ولكنه كان من الذاكرين الله قبل البلاء فذكره الله فى حال البلاء فنجاه ونجاه وقد اختلف أهل التأويل فى وقت تسبيح يونس الذى ذكره الله به فقال لولا أنه كان من المسبحين فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك وقالوا مثل قولنا فى معنى قوله من المسبحين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلولا أنه كان من المسبحين كان كثير الصلاة فى الرخاء فنجاه الله بذلك قال وقد كان يقال فى الحكمة ان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر فاذا صرع وجد متكأ حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن بعض أصحابه عن قتادة فى قوله فلولا أنه كان من المسبحين قال كان طويل الصلاة فى الرخاء قال وان العمل الصالح يرفع صاحبه اذا عثر واذا صرع وجد متكأ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا أبو صخر أن يزيد الرقاشى حدثه قال سمعت أنس بن مالك قال ولا أعلم الا أن أنسا يرفع الحديث الى النبى صلى الله عليه وسلم أن يونس النبى حين بداله أن يدعو الله بالكلمات حين ناداه وهو فى بطن الحوت فقال اللهم لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فأقبلت الدعوة تحت العرش فقالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف معروف فى بلاد غريبة قال أما تعرفون ذلك قالوا يارب ومن هو قال ذاك عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة قالوا يارب أولا ترحم بما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه من البلاء قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس فلولا أنه كان من المسبحين قال من المصلين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى الهيثم عن سعيد بن جبير فلولا أنه كان من المسبحين قال من المصلين حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أبى جعفر عن الربيع بن أنس عن أبى العالية فلولا أنه كان من المسبحين قال كان له عمل صالح فيما خلا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله من المسبحين قال المصلين حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا كثير بن هشام قال ثنا جعفر قال ثنا ميمون بن مهران قال سمعت الضحاك بن قيس يقول على منبره اذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة ان يونس كان عبدا تذكرا فلما أصابته الشدة دعا الله فقال الله لولا أنه كان من المسبحين للبث فى بطنه الى يوم يبعثون فذكره الله بما كان منه وكان فرعون طاغيا باغيا فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين قال الضحاك فاذكروا الله فى الرخاء يذكركم فى الشدة « قال أبو جعفر » وقيل انما أحدث الصلاة التى أخبر الله عنه بها فقال فلولا أنه كان من المسبحين فى بطن الحوت * وقال بعضهم كان ذلك تسبيحا لا صلاة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران القطان قال سمعت الحسن يقول فى قوله فلولا أنه كان من المسبحين قال فوالله ما كانت الا صلاة أحدثها

وفى التوجيه وجود الأول أن النظر فى النجوم يريد به النظر فى علم النجوم وأحكامها وكتبها وذلك ليس بحرام ولا سيما فى ذلك الشرع فليس فيه الا اعتقاد أنه تعالى خص كل واحد من الكواكب بقوة وخاصية يظهر بها منه أثر مخصوص والانسان لا ينفك فى أكثر أحواله عن حصول حالة مكروهة له اما فى بدنه أو فى قلبه فلعل به سقما كالحمى الثابتة أو أراد أنه سيسقم لأمارة نجومية أو أراد به الموت الذى يلحقه لا محالة ولاداء أعيى منه الثانى أن المراد بالنجوم ما جاء فى قوله فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الى آخر الآية أى نظر فيها ليعرف أحوالها وأنها قديمة أو محدثة وقوله انى سقيم أى سقيم القلب غير عارف بربى وكان ذلك قبل البلوغ أو سقيم النفس لكفركم الثالث أن النجوم النبات أى فنظر فيها متحريا منها ما فيه شفاء لسقمهم وهمهم أن به ذلك وكان به وقال الازهرى عن أحمد بن يحيى النجوم جمع نجم وهو كل ما تفرق ومنه نجوم الكتابة أى نظر فى متفرقات كلامهم وأحوالهم حتى يستخرج منه حيلة فلم يجد عذرا أحسن من قوله انى سقيم قال المفسرون كان الطاعون أغلب الأسقام عليهم فظنوا أن به ذلك فتركوه فى بيت الأصنام مخافة العدوى وهربوا الى عيدهم وذلك قوله سبحانه (فتولوا عنه مدبرين فراغ الى آلهتهم) ذهب اليها فى خفية حتى لا يرى فكأنه رجع اليها سرا وغاقومه من روغان الثعلب وقيل راغ بقوله انى سقيم حتى خلا بها وسماها آلهة على زعمهم وقوله ألا تأكلون ما لكم لا تنطقون استهزاء بها وكان عندها طعام زعموا أنها تأكل منه وقيل وضع الطعام ليبارك فيه

وروى أن سدتها كانوا يأكلون ما يوضع عندها من الطعام وينطقون عند الضعفة عن لسانها يوهمون انها تأكل وتنطق وانما جاء فى هذه السورة فقال ألا تأكلون بالتاء وفى الذاريات قال ألا تأكلون بغير التاء لأنه قصد  من أول الأمر تقريع من زعم أنها تأكل وتشرب وفى الذاريات يستأنف تقديره قربه اليهم فلم يأكلوها فلما رآهم لا يأكلون فقال ألا تأكلون (فراغ عليهم) عداه بعلى لأن الميل الاول كان على سبيل الرفق استهزاء وهذا كان بطريق العنف والقهر وهذا كما يقال فى المحبوب مال اليه وفى المكروه مال عليه وقوله (ضربا) مصدر راغ من غير لفظه أو لفعل محذوف أو حال أى يضرب ضربا أو ضاربا ومعنى (باليمين) أى باليد اليمنى لأنها أقوى على الأعمال أو بالقوة مجازا او بسبب الحلف وهو قوله تالله لأكيدن أصنامكم (فأقبلوا اليه) أى الى ابراهيم (يزفون) يمشون على سرعة وزفيف النعامة ابتداء عدوها ومن قرأ بضم الياء فاما لازم من أزف اذا صار الى حال الزفيف أو متعد والمفعول محذوف أى يزفون دوابهم أو بعضهم بعضا وقد مر نظيره فى التوبة فى قوله ولأوضعوا خلالكم قال بعض الطاعنين قوله فأقبلوا اليه دل على أنهم عرفوا كاسر أصنامهم وقوله فى الانبياء من فعل هذا بآلهتنا يا ابراهيم دل على أنهم لم يعرفوا الكاسر فبينهما تناقض وأجيب بأن هؤلاء غير أولئك فالذين عرفوه ذهبوا اليه مسرعين والذين لم يعرفوه بعد استخبروا عنه على أن قوله فأقبلوا اليه لا دلالة له على أنهم عرفوا أن الكاسر هو ابراهيم فلعلهم أقبلوا اليه لأجل السؤال عن الكاسر وحين عاتبوه على فعله أراد أن يبين لهم فساد طريقتهم

فى بطن الحوت قال عمران فذكرت ذلك لقتادة فأنكر ذلك وقال كان والله يكثر الصلاة فى الرخاء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن المغيرة بن النعمان عن سعيد بن جبير فالتقمه الحوت وهو مليم قال قال لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فلما قالها قذفه الحوت وهو مغرب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله للبث فى بطنه الى يوم يبعثون لصار له بطن الحوت قبرا الى يوم القيامة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن أبى مالك قال لبث يونس فى بطن الحوت أربعين يوما وقوله فنبذناه بالعراء يقول فقذفناه بالفضاء من الأرض حيث لا يوارى به شئ من شجر ولا غيره ومنه قول الشاعر

ورفعت رجلا لا أخاف عثارها * ونبذت بالبلد العراء ثيابى

يعنى بالبلد الفضاء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فنبذناه بالعراء يقول ألقيناه بالساحل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنبذناه بالعراء بأرض ليس فيها شئ ولا نبات حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله بالعراء قال بالأرض وقوله وهو سقيم يقول وهو كالصبى المنفوس لحم فى غير كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وهو سقيم كهيئة الصبى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن يزيد بن زياد عن عبد الله ابن أبى سلمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال نخرج به يعنى الحوت حتى لفظه فى ساحل البحر فطرحه مثل الصبى المنفوس لم ينقص من خلقه شئ حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ما لفظه الحوت حتى صار مثل الصبى المنفوس قد نشر اللحم والعظم فصار مثل الصبى المنفوس فألقاه فى موضع وأنبت الله عليه شجرة من يقطين وقوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين يقول تعالى ذكره وأنبتنا على يونس شجرة من الشجر التى لا تقوم على ساق وكل شجرة لا تقوم على ساق كالدباء والبطيخ والحنظل ونحو ذلك فهى عند العرب يقطين واختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم نحو الذى قلنا فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن القاسم بن أبى أيوب عن سعيد بن جبير فى قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال هو كل شئ ينبت على وجه الأرض ليس له ساق حدثنى مطر بن محمد الضبى قال ثنا يزيد قال ثنا الأصبغ بن زيد عن القاسم بن أبى أيوب عن سعيد بن جبير فى قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال كل شئ ينبت ثم يموت من عامه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شجرة من يقطين فقالوا عنده القرع قال وما يجعله أحق من البطيخ حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله شجرة من يقطين قال غير ذات أصل من الدباء أو غيره من نحوه * وقال آخرون هو القرع ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأنبتنا عليه شجرة



فقال أتعبدون ما تنحتون) وذلك أن الناحت لم يحدث فيه إلا صورة معينة فيكون معناه ان الشئ الذى لم يكن معبودا الى صار بسبب تصرف فيه معبودا الى وفساد هذا معلوم بالبديهة احتج جمهور الاشاعرة

بقوله (والله خلقكم وما تعملون) على أن العبد ليس خالق أعماله لأن المعنى خلقكم وأعمالكم وزيف بأن ما موصولة لتناسب قريتها فى قوله ما تنحتون وليتوجه التوبيخ ولكيلا يلزم التناقض فان النحت عملهم والصحيح أن الآية كقوله بل ربكم رب السموات 

والارض الذى فطرهن أى فطر الاصنام ثم ان ابراهيم لما ألقمهم الحجر بهذا القول وألزمهم عدلوا الى طريقة الايذاء و(قالوا ابنوا له بنيانا) قال ابن عباس بنوا حائطا من حجارة طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون وتقدير الآية ابنوا له بنيانا واملؤه نارا وألقوه فيها والجحيم النار العظيمة ومعنى الفاء فى قوله (فأرادوا) كقوله أهلكناها فجاءها بأسنا كأنه قيل فبنوا البنيان وملؤه نارا وألقوه فيها فنجيناه منها وقد صح أنهم أرادوا به كيدا (فجعلناهم الأسفلين) الأذلين وأما فى الانبياء فلم يقصد هذا الترتيب فاقتصر على الواو العاطفة وانما اختصت هذه السورة بقوله الأسفلين لأنه ذكر أنهم بنوا بنيانا عاليا فكان ذكر السفل فى طباقه أنسب ثم ذكر بقية قصة ابراهيم وقوله (انى ذاهب الى ربى) كقوله فى العنكبوت انى مهاجر الى ربى وانما حكم بقوله (سيهدين) ربى الى ما فيه صلاحى فى الدارين اعتمادا على فضل الله أو عرف ذلك بالوحى وحين هاجر الى الارض المقدسة أراد الولد فقال (رب هب لى من الصالحين) والله تعالى بين استجابته بقوله فبشرناه بغلام حليم وصف الغلام بالعلم فى سورة الحجر وبالحلم ههنا فذهب العلماء الى أنه أراد بغلام عليم فى صغره حليم فى كبره فان الصبى لا يوصف بالحلم ومن هنا انطوت البشارة على معان ثلاثة أحدها أن المولد ذكر والثانى أنه يبلغ أوان الحلم والثالث أنه يكون حليما وأى حلم أعظم من استمساكه حين عرض أبوه عليه الذبح فقال ستجدنى وأمطرت ان شاء الله من الصابرين وفيه ان ولده قائم مقامه فى الشرف والفضيلة فوصفه بالحلم كما وصف به ابراهيم فى قوله ان ابراهيم لحليم أواه منيب

من يقطين قال القرع **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله أنه قال فى هذه الآية وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال القرع **حدثنى** مطر بن محمد الضبى قال ثنا عبد الله بن داود الواسطى قال ثنا شريك عن أبى اسحق عن عمرو بن ميمون الأودى فى قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال القرع **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنبتنا عليه شجرة من يقطين كما تحدث أنها الدباء هذا القرع الذى رأيتم أنبتها الله عليه يأكل منها **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى أبو صخر قال ثنى ابن قسيط أنه سمع أبا هريرة يقول طرح بالعراء فأنبت الله عليه يقطينة فقلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة قال الشجرة الدباء هيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض أو هشاش فتفشخ عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال ابن أبى الصلت قبل الاسلام فى ذلك بيتا من شعر

فأنبت يقطينا عليه برحمة * من الله لولا الله ألفى ضاحيا

**حدثنى** يحيى بن طلحة اليربوعى قال ثنا فضيل بن عياض عن مغيرة فى قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال القرع **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله شجرة من يقطين قال القرع **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد أنبت الله عليه شجرة من يقطين قال فكان لا يتناول منها ورقة فيأخذها الا أروته لبنا أو قال شرب منها ما شاء حتى نبت **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله شجرة من يقطين قال هو القرع والعرب تسميه الدباء **حدثنا** عمرو ابن عبد الحميد قال ثنا مروان بن معاوية عن ورقاء عن سعيد بن جبير فى قول الله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال هو القرع **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله وأنبتنا عليه شجرة من يقطين قال القرع * وقال آخرون كان اليقطين شجرة أظلت يونس ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ثابت بن يزيد عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير قال اليقطين شجرة سماها الله يقطينا أظلته وليس بالقرع قال فيما ذكر أرسل الله عليه دابة الأرض فجعلت تقرض عروقها وجعل ورقها يتساقط حتى أفضت اليه الشمس وشكاها فقال يا يونس جزعت من حر الشمس ولم تجزع لمائة ألف أو يزيدون تابوا الى فتبت عليهم

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم الى حين فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون ﴾ يقول تعالى ذكره فأرسلنا يونس الى مائة ألف من الناس أو يزيدون على مائة ألف وذكر عن ابن عباس أنه كان يقول معنى قوله أو بل يزيدون ذكر الرواية بذلك **حدثنا** ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن منصور عن سالم بن أبى الجعد عن الحكم بن عبد الله بن الأزور عن ابن عباس فى قوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال بل يزيدون كانوا مائة ألف وثلاثين ألفا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون سبعين ألفا وقد كان العذاب أرسل عليهم فلما فرقوا بين النساء وأولادها والبهائم وأولادها وعجوا الى الله كشف عنهم العذاب

وقيل العليم اسحق لقوله فأقبلت امرأته فى صرة والحليم اسمعيل ثم حكى حديث ذبحه قائلا (فلما بلغ معه السعى) أى قوى على أن يمشى مع أبيه فى حوائجه والظرف بيان كأنه قال أولا فلما بلغ السعى فقيل مع من فأجيب مع أبيه  ولا يجوز تعلقه بالسعى لأن صلة المصدر لا تتقدم عليه ولا بقوله بلغ لانهما لم يبلغا معا حد السعى والمعنى فى اختصاص الاب اخراج الكلام مخرج الأغلب وقال جار الله السبب فيه أن الاب أرفق الناس به وأعطفهم عليه وغيره ربما عنف به فى الاستسعاء فلا يحتمله لأنه لم تستحكم قوته يروى أنه كان يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وقيل أراد السعى فى المنافع وفى طاعة الله ﷻ اعلم ان الناس اختلفوا فى الذبيح فعن أبى بكر الصديق وابن عباس وابن عمر ومحمد بن كعب وسعيد بن المسيب وعكرمة ومجاهد والضحاك أنه اسمعيل لقوله صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين فأحدهما جده اسمعيل والآخر أبوه عبد الله وذلك أن عبد المطلب نذر ان بلغ بنوه عشرة أن يذبح واحدا منهم تقربا فلما كملوا عشرة أتى بهم البيت وضرب عليهم بالقداح فخرج قدح عبد الله فمنعه أخواله ففداه بعشرة من الابل ثم ضرب عليه وعلى الابل فخرج قدحه ففداه بعشرة أخرى وضرب مرة أخرى فخرج قدحه وهكذا يزيد عشرة عشرة الى أن تمت مائة فخرج القدح على الجزر فنحرها وسن الدية مائة وفى رواية أن اعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم يا ابن الذبيحين فتبسم فسئل عن ذلك فقال ان عبد المطلب لما حفر بئر زمزم نذر لله لئن سهل الله له أمرها ليذبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فمنعوه ففداه بمائة من الابل * حجة أخرى نقل عن الاصمعى أنه قال سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعى أين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وانما كان اسمعيل وهو الذى بنى البيت مع أبيه وسن النحر بمكة * وحجة أخرى وصف اسمعيل بالصبر فى قوله واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين وهو صبره على الذبح

وأمطرت السماء دما **حدثنى** محمد بن عبد الرحيم البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال سمعت زهيرا عمن سمع أبا العالية قال ثنى أبى بن كعب أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون قال يزيدون عشرين ألفا وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول فى ذلك معناه الى مائة ألف أو كانوا يزيدون عندكم يقول كذلك كانوا عندكم وانما عنى بقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون أنه أرسله الى قومه الذين وعدهم العذاب فلما أظلهم تابوا فكشف الله عنهم وقيل انهم أهل نينوى ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون أرسل الى أهل نينوى من أرض الموصل قال قال الحسن بعثه الله قبل أن يصيبه ما أصابه فآمنوا فمتعناهم الى حين **حدثنى** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله الى مائة ألف أو يزيدون قال قوم يونس الذين أرسل اليهم قبل أن يلتقمه الحوت وقيل ان يونس أرسل الى أهل نينوى بعد ما نبذه الحوت بالعراء ذكر من قال ذلك **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال سمعت أبا هلال محمد بن سليمن قال ثنا شهر بن حوشب قال أتاه جبرائيل يعنى يونس وقد انطلق الى أهل نينوى فأنذرهم أن العذاب قد حضرهم قال ألتمس دابة قال الأمر أعجل من ذلك قال ألتمس حذاء قال الأمر أعجل من ذلك قال فغضب فانطلق الى السفينة فركب فلما ركب احتبست السفينة لا تقدم ولا تؤخر قال فتساهموا قال فسهم فجاء الحوت يبصبص بذنبه فنودى الحوت أيا حوت انا لم نجعل يونس لك رزقا انما جعلناك له حوزا ومسجدا قال فالتقمه الحوت فانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الأيلة ثم انطلق به حتى مر به على دجلة ثم انطلق به حتى ألقاه فى نينوى **حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا أبو هلال قال ثنا شهر بن حوشب عن ابن عباس قال انما كانت رسالة يونس بعد ما نبذه الحوت وقوله فآمنوا يقول فوحدوا الله الذى أرسل اليهم يونس وصدقوا بحقيقة ما جاءهم به يونس من عند الله وقوله فمتعناهم الى حين يقول فأخرنا عنهم العذاب ومتعناهم الى حين بحياتهم الى بلوغ آجالهم من الموت وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فمتعناهم الى حين الموت **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فمتعناهم الى حين قال الموت وقوله فاستفتهم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم سل يا محمد مشركى قومك من قريش كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون يعنى مشركى قريش **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون قال سلهم وقرأ ويستفتونك قال يسألونك **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فاستفتهم يقول يا محمد سلهم وقوله ألربك البنات ولهم البنون ذكر أن مشركى قريش كانوا يقولون الملائكة بنات الله وكانوا يعبدونها فقال الله لنبيه محمد عليه السلام سلهم وقل لهم ألربى البنات ولكم البنون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

في قوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين ووصفه بصدق الوعد انه كان صادق الوعد وذلك انه وعد اباه الصبر على قضاء الله أو على الذبح فوفى به * أخرى ومن وراء اسحق يعقوب فيمن قرأ بالنصب لانه اذا بشر بالولد من صلبه علم أنه لم يؤمر بذبحه * أخرى

أجمعوا على أن اسمعيل مقدم في الوجود على اسحق فهو المراد بقوله رب هب لي من الصالحين ثم انه ذكر عقيبه قصة الذبح وأيضا قوله وبشرناه باسحق يجب أن يكون غير قوله فبشرناه بغلام حليم والا لزم التكرار * حجة أخرى ان قرني الكبش كانا ميراثا لولد اسمعيل عن أبيهم وكانا معلقين بالكعبة الى ان احترق البيت في أيام ابن الزبير والحجاج * وعن علي وابن مسعود وكعب الاحبار واليه ذهب أهل الكتاب أن الذبيح اسحق لما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي النسب أشرف فقال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله وأجابوا عن قوله وبشرناه باسحق أنه بشر بغلام أولا ثم بنبوته ثانيا وأيضا صرح بالمبشر به في قوله فبشرناها باسحق وفي قوله وبشرناه باسحق فيحمل عليه المبهم في قوله فبشرناه بغلام وأيضا لانسلم أن البشارة بيعقوب كانت متصلة بشارة اسحق اعتبارا بقراءة من قرأ يعقوب بالرفع وأيضا أنهم أجمعوا على أن المراد من قوله اني ذاهب الى ربي هو مهاجرته الى الشام ثم قال فبشرناه بغلام فوجب أن يكون الغلام الحليم قد حصل له في الشام وذلك الغلام لم يكن الا اسحق لأن اسمعيل قد نشأ بمكة وكان الزجاج يقول الله أعلم أيهما الذبيح ويتفرع على اختلاف المفسرين في الذبيح اختلافهم في موضع الذبح فالذين قالوا ان الذبيح اسمعيل ذهبوا الى أن الذبح كان بمنى وهذا أقوى والذين قالوا انه اسحق قالوا ان الذبح كان بالشام وخصه بعضهم ببيت المقدس اذا عرفت هذا الاختلاف فقوله (يا بني اني أرى في المنام) انما قال بلفظ المستقبل لأنه كان يرى في منامه ثلاث ليال

ألربك البنات ولهم البنون لأنهم قالوا يعني مشركي قريش لله البنات ولهم البنون حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون قال كانوا يعبدون الملائكة ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون ألا انهم من إفكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون﴾ يعني تعالى ذكره أم شهد هؤلاء القائلون من المشركين الملائكة بنات الله خلق الملائكة وأنا أخلقهم اناثا فشهدوا هذه الشهادة ووصفوا الملائكة بأنها اناث وقوله ألا انهم من افكهم يقول تعالى ذكره ألا ان هؤلاء المشركين من كذبهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون في قيلهم ذلك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألا انهم من افكهم يقول من كذبهم ليقولون ولد الله حدثنا محمد ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ألا انهم من افكهم ليقولون قال من كذبهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين﴾ يقول تعالى ذكره موبخا هؤلاء القائلين لله البنات من مشركي قريش أصطفى الله أيها القوم البنات على البنين والعرب اذا وجهوا الاستفهام الى التوبيخ أثبتوا ألف الاستفهام أحيانا وطرحوها أحيانا كما قيل أذهبتم بالقصر طيباتكم في حياتكم الدنيا يستفهم بها ولا يستفهم بها والمعنى في الحالين واحد واذا لم يستفهم في قوله أصطفى البنات ذهبت ألف اصطفى في الوصل ويبتدأ بها بالكسر واذا استفهم فتحت وقطعت وقد ذكر عن بعض أهل المدينة أنه قرأ ذلك بترك الاستفهام والوصل فأما قراء الكوفة والبصرة فانهم في ذلك على قراءته بالاستفهام وفتح ألفه في الأحوال كلها وهي القراءة التي نختار لاجماع الحجة من القراء عليها وقوله مالكم كيف تحكمون يقول بئس الحكم تحكمون أيها القوم أن يكون لله البنات ولكم البنون وأنتم لا ترضون البنات لأنفسكم فتجعلون له ما لا ترضونه لأنفسكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون يقول كيف يجعل لكم البنين ولنفسه البنات مالكم كيف تحكمون وقوله أفلا تذكرون يقول أفلا تتدبرون ما تقولون فتعرفوا خطأه فتنتهوا عن قيله وقوله أم لكم سلطان مبين يقول ألكم حجة تبين صحتها لمن سمعها بحقيقة ما تقولون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم لكم سلطان مبين أي عذر مبين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله سلطان مبين قال حجة وقوله فأتوا بكتابكم يقول فأتوا بحجتكم من كتاب جاءكم من عند الله بأن الذي تقولون من أن له البنات ولكم البنين كما تقولون * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأتوا بكتابكم أي بعذركم ان كنتم صادقين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فأتوا بكتابكم أن هذا كذا بأن له البنات ولكم البنون وقوله ان كنتم صادقين يقول ان كنتم صادقين أن لكم بذلك حجة ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون الا عباد الله المخلصين﴾ يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء المشركون بين الله وبين الجنة نسبا * واختلف أهل التأويل في معنى

أولأن رؤيا الأنبياء وحي ثان فذكر تأويل الرؤيا كما يقول المتمحن وقد رأى أنه راكب سفينة رأيت فى المنام أنى ناج من هذه المحنة فكأنه قال انى أرى فى المنام ما يوجب أنى أذبحك ويحتمل أن يكون حكاية ما رآه  قال بعض المفسرين رأى ليلة التروية كأن قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك هذا فأصبح يروى فى ذلك أمن الله أو من الشيطان فسمى يوم التروية فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فسمى عرفة ثم رأى مثله فى الثالثة فهم بنحره فسمى يوم النحر وقال بعضهم حين بشره الملائكة بغلام حليم قال هو اذن ذبيح الله فلما ولد وبلغ حد السعى مع أبيه قيل له أوف بنذرك فانظر ماذا ترى هو من الرأى ومن قرأه من الاراءة فامض ما ذا تبصر من رأيك وتدبيرك وانما شاوره فى حتم من الله ليثبته ان جزع ويفرح بصبره ان ثبت ولئلا يقع الذبح معاقصة من غير اعلام به وبسببه وليكون سنة فى المشاورة فقد قيل لو شاور آدم الملائكة فى الأكل من الشجرة لما فرط منه ذلك (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أى به فحذف الجار كقوله أمرتك الخير أى أمرتك بالخير أو أمرك على تسمية المأمور به بالمصدر ثم اضافته الى المفعول (فلما أسلما) أى انقادا وخضعا لأمر الله قال قتادة أسلم هذا ابنه وهذا نفسه (وتله) اى صرعه واللام فى (للجبين) كهى فى قوله ويخرون للأذقان والجبين أحد جانبى الجبهة وقيل كبه لوجهه لأن الولد قال له اذبحنى وأنا ساجد يروى أنه حين أراد ذبحه قال يا بنى خذ الحبل والمدية ننطلق الى الشعب ونحتطب فلما توسطا الشعب أخبره بما أمر فقال له اشدد يدى رباطى لئلا أضطرب واكفف عنى ثيابك لا ينتضح عليها شئ من دمى فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع امرارها على حلقى ليكون أهون فان الموت شديد واقرأ على أمى سلامى وان رأيت أن ترد قميصى على أمى فافعل فانه عسى أن يكون أسهل فقال ابراهيم نعم العون أنت يا بنى على أمر الله ثم أقبل عليه يقبله وقد ربطه

النسب الذى أخبر الله عنهم أنهم جعلوه لله تعالى فقال بعضهم هو أنهم قالوا أعداء الله ان الله وابليس اخوان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى وابليس اخوان * وقال آخرون هو أنهم قالوا الملائكة بنات الله وقالوا الجنة هى الملائكة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال قال كفار قريش الملائكة بنات الله فسأل أبو بكر من أمهاتهن فقالوا بنات سروات الجن يحسبون أنهم خلقوا مما خلق منه ابليس حدثنا عمرو بن يحيى بن عمران بن عفرة قال ثنا عمرو بن سعيد الابح عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قالت اليهود ان الله تبارك وتعالى تزوج الى الجن فخرج منهما الملائكة قال سبحانه سبح نفسه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال الجنة الملائكة قالوا هن بنات الله حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا الملائكة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا قال بين الله وبين الجنة نسبا افتروا وقوله ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم معناه ولقد علمت الجنة انهم لمشهدون الحساب ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن ابى نجيح عن مجاهد ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون أنها ستحضر الحساب * وقال آخرون معناه ان قائلى هذا القول سيحضرون العذاب فى النار ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى انهم لمحضرون ان هؤلاء الذين قالوا هذا لمحضرون لمعذبون * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال انهم لمحضرون العذاب لأن سائر الآيات التى ذكر فيها الاحضار فى هذه السورة انما عنى به الاحضار فى العذاب فكذلك فى هذا الموضع وقوله سبحان الله عما يصفون يقول تعالى ذكره تنزيها لله وتبرئة له مما يضيف اليه هؤلاء المشركون به ويفترون عليه ويصفونه من أن له بنات وأن له صاحبة وقوله الا عباد الله المخلصين يقول ولقد علمت الجنة إن الذين قالوا ان الملائكة بنات الله لمحضرون العذاب الا عباد الله الذين أخلصهم لرحمته وخلقهم لجنته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم وما منا الا له مقام معلوم ﴾ يقول تعالى ذكره فانكم أيها المشركون بالله وما تعبدون من الآلهة والأوثان ما أنتم عليه بفاتنين يقول ما أنتم على ما تعبدون من دون الله بفاتنين أى بمضلين أحدا الا من هو صال الجحيم يقول الا أحدا سبق فى علمى أنه صال الجحيم وقد قيل ان معنى عليه فى قوله ما أنتم عليه بفاتنين بمعنى به * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين يقول لا تضلون أنتم ولا أضل منكم الا من قد قضيت

وهما يبكيان فقال له كبني على وجهي ولا تنظر الى حتى لا تدركك رقة تحول بينك و بين أمر الله قال جار الله تقدير الكلام فلما أسلما وتله للجبين
وناديناه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا  كان ما كان مما ينطق به العيان ولا يحيط به البيان من استئثارهما بما أنعم الله عليهما

من دفع البلاء و بما اكتسبا في تضاعيف ذلك من الثواب والثناء وقد أشير الى جميع ذلك بقوله (انا كذلك نجزي المحسنين ان هذا) الأمر الذي قد وقع (لهو البلاء المبين) الذي يتميز فيه المخلص عن المدعي والمكروه الذي لا أصعب على النفس منه يروى أنه لما وصل موضع السجود منه الأرض جاء الفرج وقيل انه وضع السكين على قفاه فانقلب السكين ونودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فنظر فاذا جبرائيل عليه السلام معه كبش أقرن أملح فكبر جبرائيل والكبش وابراهيم وابنه وأتى المنحر من منى فذبحه وذلك قوله سبحانه (وفديناه بذبح عظيم) والفداء جعل الشئ مكان غيره لدفع الضرر عنه والذبح اسم لما يذبح كالطحن لما يطحن وقوله عظيم أي سمين ضخم الجثة بالقياس الى أمثاله وهي السنة في الاضاحي قال صلى الله عليه وسلم استشرفوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم والاستشراف جعلها شريفة وكريمة وعن سعيد ابن جبير حق له أن يكون عظيما وقد رعى في الجنة أربعين خريفا وفي قول ابن عباس انه الكبش الذي قربه هابيل فقبل منه وكان يرعى في الجنة الى أن فدى به اسمعيل وقيل سمي عظيما لعظم قدره حيث قبله الله تعالى فداء عن ولد خليله وقيل وصفه بالعظم لبقاء أثره الى يوم القيامة فانه ما من سنة الا ويذبح بسبب ذلك من الأنعام ما لا يحصيه الا الله وعن الحسن أنه وعل أهبط عليه من ثبير وقال السدي نودي ابراهيم فالتفت فاذا هو بكبش أملح يهبط من قال الجبل فقام عند ابراهيم عليه السلام فذبحه وخلى ابنه * استدل بعض الأصوليين من أهل السنة بالآية على جواز نسخ الحكم قبل حضور وقته

أنه صال الجحيم **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم يقول ما أنتم بفاتنين على أوثانكم أحدا الا من قد سبق له أنه صال الجحيم **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن خالد قال قلت للحسن قوله ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم الا من أوجب الله عليه أن يصلى الجحيم **حدثنا** علي بن سهل قال ثنا زيد بن أبي الزرقاء عن حماد بن سلمة عن حميد قال سألت الحسن عن قول الله ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم قال ما أنتم عليه بمضلين الا من كان في علم الله أنه سيصلى الجحيم **حدثنا** ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم إلا من قدر عليه أنه يصلى الجحيم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن العشرة الذين دخلوا على عمر بن عبد العزيز وكانوا متكلمين كلهم فتكلموا ثم ان عمر بن عبد العزيز تكلم بشئ فظننا أنه تكلم بشئ رد به ما كان في أيدينا فقال لنا هل تعرفون تفسير هذه الآية فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين الا من هو صال الجحيم قال انكم والآلهة التي تعبدونها لستم بالذي تفتنون عليها الا من قضيت عليه أنه يصلى الجحيم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم الا من هو صال الجحيم قال ما أنتم بمضلين الا من كتب عليه أنه يصلى الجحيم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فانكم وما تعبدون حتى بلغ صال الجحيم يقول ما أنتم بمضلين أحدا من عبادي بباطلكم هذا الا من تولاكم بعمل النار **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ما أنتم عليه بفاتنين بمضلين الا من هو صال الجحيم الا من كتب الله أنه يصلى الجحيم **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم يقول لا تضلون بآلهتكم أحدا الا من سبقت له الشقاوة ومن هو صال الجحيم **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم يقول لا تفتنون به أحدا ولا تضلونه الا من قد قضى الله أنه صال الجحيم إلا من قد قضى أنه من أهل النار وقيل بفاتنين من فتنت أفتن وذلك لغة أهل الحجاز وأما أهل نجد فانهم يقولون أفتنته فانا أفتنه وقد ذكر عن الحسن أنه قرأ الا من هو صال الجحيم برفع اللام من صال فان كان أراد بذلك الجمع كما قال الشاعر

اذا ما حاتم وجد ابن عمي * مجدنا من تكلم أجمعينا

فقال أجمعينا ولم يقل تكلموا وكما يقال في الرجال من هو اخوتك يذهب به الى الاسم المجهول و يخرج فعله على الجمع فذلك وجه وان كان غيره أفصح منه وان كان أراد بذلك واحدا فهو عند أهل العربية لحن لانه لحن عندهم أن يقال هذا رام وقاض الا أن يكون سمع في ذلك من العرب لغة مقلوبة مثل قولهم شاك السلاح وشاكي السلاح وعاث وعثا وعاق وعقا فيكون لغة ولم أسمع أحدا يذكر سماع ذلك من العرب وقوله وما منا الا له مقام معلوم وهذا خبر من الله عن قيل الملائكة أنهم قالوا وما منا معشر الملائكة إلا من له مقام في السماء معلوم و بنحو الذي قلنا في ذلك

وقالت المعتزلة وكثير من فقهاء الشافعية والحنفية بعدم الجواز لاستلزامه البداء أو الجهل وزعموا أنه تعالى أمر ابراهيم فى المنام بتقدمات الذبح كاضجاع ابنه ووضع السكين على حلقه والعزم الصحيح على الاتيان  بذلك الفعل أو ان ورود الأمر سلمنا أنه أمر

قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وما منا الا له مقام معلوم قال الملائكة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما منا الا له مقام معلوم هؤلاء الملائكة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون كان مسروق بن الأجدع يروى عن عائشة أنها قالت قال نبى الله صلى الله عليه وسلم ما فى سماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك قول الملائكة وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثنى موسى بن اسحق الجبائى المعروف بابن القواس قال ثنا يحيى بن عيسى الرملى عن الأعمش عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت الى الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم وان ناركم هذه لتعوذ من نار جهنم حدثنا موسى بن اسحق قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن زيد بن وهب قال قال عبد الله بن مسعود ان ناركم هذه لما أنزلت ضربت فى البحر مرتين ففترت فلولا ذلك لم تنتفعوا بها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته وانا لنحن الصافون لله لعبادته وانا لنحن المسبحون له يعنى بذلك المصلون له وبنحو الذى قلنا فى ذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال به أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن على بن الحسن بن شقيق المروزى قال ثنا أبو معاذ الفضل بن خالد قال ثنا عبيد بن سليمن قال سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول قوله وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون كان مسروق بن الأجدع يروى عن عائشة أنها قالت قال نبى الله صلى الله عليه وسلم ما فى السماء الدنيا موضع قدم الا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك قول الله وما منا الا له مقام معلوم وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله ان من السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدمه قائما قال ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله قال ان من السموات سماء ما فيها موضع الا فيه ملك ساجد أو قدماه قائم ثم قرأ وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا الجريرى عن أبى نضرة قال كان عمر اذا أقيمت الصلاة أقبل على الناس بوجهه فقال يا أيها الناس استووا ان الله انما يريد بكم هدى الملائكة وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون استووا تقدم أنت يا فلان تأخر أنت أى هذا فاذا استووا تقدم فكبر حدثنى موسى بن عبد الرحمن قال ثنى أبو أسامة قال ثنى الجريرى سعيد ابن اياس أبو مسعود قال ثنى أبو نضرة كان عمر اذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قال أقيموا صفوفكم واستووا فانما يريد الله بكم هدى الملائكة يقول وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون ثم ذكر نحوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال

بنفس الذبح لكن لم لا يجوز أنه قطع الحلقوم الا أنه كان يلتئم جزأ فجزأ فلهذا قيل له قد صدقت الرؤيا والفداء فضل من الله فى حقه وتعظيم له بدلا من عدم وقوع الذبح فى الظاهر ولهذا قال وفديناه باسناد الفداء الى ذاته تعالى والحق أن نسخ الحكم قبل وقته لا يدل على البداء والعبث كما أنه بعد الوقت لا يدل على ذلك فقد يكون غرض الآمر أن يعلم أن المأمور هل يعزم على الفعل ويوطن نفسه على الانقياد والطاعة أم لا وتصديق الرؤيا يكفى فيه الاتيان بمثل هيئة الذبح فمن الرؤيا ما يكون تأويلها بالشبيه كرؤيا يوسف والفداء زيادة تشريف وتكريم ووضع سنة مؤكدة وروى أن الكبش هرب من ابراهيم عند الجمرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فبقيت سنة فى الرمى وروى انه لما ذبحه قال جبرائيل الله أكبر الله أكبر فقال الولد الذبيح لا اله الا الله والله أكبر فقال ابراهيم الله اكبر ولله الحمد فبقى سنة قوله وتركنا الى قوله المؤمنين قد مر نظيره فى قصة نوح الا أنه لم يقل ههنا فى العالمين اكتفاء بما علم فى قصة نوح ولم يقل ههنا انا كذلك بل اقتصر على كذلك لأنه سبق ذكر التأكيد فى هذه القصة فلم يحتج الى اعادته على أنه قد بقى من القصة شئ فناسب الاختصار فى الاعتراض قوله (وبشرناه باسحق) من جعل الذبيح اسمعيل قال وبشرناه باسحق بعد اسمعيل ومن جعل الذبيح اسحق قال بشر بنبوته وقد كان بشر بمولده قوله (نبيا من الصالحين) كل منهما حال مقدرة من الفاعل أى بشرناه به مقدرا وعالما وحاكما بأنه نبى صالح وقد أطنب صاحب الكشاف فى هذا المقام حيث بنى الكلام على أنه حال مقدرة من اسحق وهو عندى

تطويل بلا طائل فليتأمل (وباركنا عليه) قيل أى على الغلام المبشر به وقيل على ابراهيم (وعلى اسحق) أى أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا ومن جملة ذلك ما روى أنه أخرج  من صلب اسحق ألف نبى أولهم يعقوب وآخرهم عيسى وهم المشار اليهم بقوله

ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وانا لنحن الصافون قال يعنى الملائكة وانا لنحن المسبحون قال الملائكة صافون تسبح لله عز وجل حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وانا لنحن الصافون قال الملائكة حدثنا ابن بشار قال ثنا سليمن قال ثنا أبو هلال عن قتادة وانا لنحن الصافون قال الملائكة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانا لنحن الصافون قال صفوف فى السماء وانا لنحن المسبحون أى المصلون هذا قول الملائكة يثنون بمكانهم من العبادة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وانا لنحن الصافون قال للصلاة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال وذكر السدى عن عبد الله قال ما فى السماء موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدما ساجدا أو قائما أو راكعا ثم قرأ هذه الآية وانا لنحن الصافون وانا لنحن المسبحون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانا لنحن الصافون قال الملائكة هذا كله لهم وقوله وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله يقول تعالى ذكره وكان هؤلاء المشركون من قريش يقولون قبل أن يبعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم نبيا لو أن عندنا ذكرا من الأولين يعنى كتابا أنزل من السماء كالتوراة والانجيل أو نبى أتانا مثل الذى أتى اليهود والنصارى لكنا عباد الله الذين أخلصهم لعبادته واصطفاهم لجنته ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين قال قد قالت هذه الأمة ذلك قبل أن يبعث محمد صلى الله عليه وسلم لو كان عندنا ذكر من الأولين لكنا عباد الله المخلصين فلما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم كفروا به فسوف يعلمون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ذكرا من الأولين قال هؤلاء ناس من مشركى العرب قالوا لو أن عندنا كتابا من كتب الأولين أو جاءنا علم من علم الأولين قال قد جاءكم محمد بذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد رجع الحديث الى الأولين أهل الشرك وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين هذا قول مشركى أهل مكة فلما جاءهم ذكر الأولين وعلم الآخرين كفروا به فسوف يعلمون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ فكفروا به فسوف يعلمون ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون ﴿يقول تعالى ذكره فلما جاءهم الذكر من عند الله كفروا به وذلك كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاءهم به من عند الله من التنزيل والكتاب يقول الله فسوف يعلمون اذا وردوا على ما ذا لهم من العذاب بكفرهم بذلك ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين قال لما جاء المشركين من أهل مكة ذكر

(ومن ذريتهما محسن) ويعلم من قوله (وظالم لنفسه) أن البر قد يلد الفاجر ولا عار على الأب وأن الشرف بالحسب لا بالنسب وأما قصة موسى فلاخفاء بها والكرب العظيم تسلط فرعون وجفاؤه على قومه وقيل الغرق والضمير فى نصرناهم لهما ولقومهما والمستبين البليغ فى بيانه وهو التوراة وبان وأبان واستبان بمعنى الا أن الثلث أبلغ والصراط المستقيم دين الله الذى اشترك فى أصوله جميع الرسل وأما إلياس فالجمهور على أنه نبى من بنى اسرائيل بعث بعد موسى وكان من ولد هرون وقيل هو ادريس النبى وقد مر ذكره فى سورة مريم واذ ظرف لمحذوف أى اذكر يا محمد لقومك (اذ قال لقومه ألا تتقون) الله قال الكلبى أى ألا تخافون عبادة غير الله وحين خوفهم مجملا ذكر سببه فقال (أتدعون) أى أتعبدون (بعلا) وهو اسم صنم من ذهب كان ببعلبك من بلاد الشام طوله عشرون ذراعا وله أربعة أوجه فتنوا به وعظموه حتى أخدموه أربعمائة سادن وجعلوهم أنبياءه فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ويعلمونها الناس قال الامام فخر الدين الرازى رضى الله عنه لو جوزنا دخول الشيطان فى جوف الصنم وتكلمه فيه لكان قادحا فى كثير من المعجزات كحنين الجذع وكلام الجمل قلت هذا الوهم زائل بعد ثبوت النبوة بمعجزات أخر وقيل البعل الرب بلغة اليمن والمعنى أتعبدون بعض البعول وتتركون عبادة أحسن الخالقين ثم بين جزاء تكذيبهم الأولين أنهم محضرون فى العذاب غدا وباقى القصة ظاهر الا قوله إلياسين فمن قرأ بالاضافة فعلى أن ادريس بن ياسين أى سلام على أهل ياسين

وقيل آل ياسين آل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل يس اسم القرآن فكأنه قيل سلام على من آمن بكتاب الله والوجه الأول هو أنسب الأقوال ومن قرأ على صورة الجمع فقد قال الفراء أراد به الياس وأتباعه من المؤمنين كقولهم (٧٣) المهلبون والأشعرون بتخفيف ياء النسبة

الأولين وعلم الآخرين كفروا بالكتاب فسوف يعلمون يقول قد جاءكم محمد بذلك فكفروا بالقرآن وبما جاء به محمد وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون يقول تعالى ذكره ولقد سبق منا القول لرسلنا انهم لهم المنصورون أى مضى بهذا منا القضاء والحكم فى أم الكتاب وهو أنهم لهم النصرة والغلبة بالحجج كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين حتى بلغ لهم الغالبون قال سبق هذا من الله لهم أن ينصرهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون يقول بالحجج وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين بالسعادة وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ولقد سبقت كلمتنا على عبادنا المرسلين بجعلت على مكان اللام فكأن المعنى حقت عليهم ولهم كما قيل على ملك سليمن وفى ملك سليمن اذ كان معنى ذلك واحدا وقوله وان جندنا لهم الغالبون يقول وان حزبنا وأهل ولايتنا لهم الغالبون يقول لهم الظفر والفلاح على أهل الكفر بنا والخلاف علينا (ع) القول فى تأويل قوله تعالى (فتول عنهم حتى حين وأبصرهم فسوف يبصرون أفبعذابنا يستعجلون فاذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) يعنى تعالى ذكره بقوله فتول عنهم حتى حين فأعرض عنهم الى حين واختلف أهل التأويل فى هذا الحين فقال بعضهم معناه الى الموت ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فتول عنهم حتى حين أى الى الموت * وقال آخرون الى يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فتول عنهم حتى حين قال حتى يوم بدر * وقال آخرون معنى ذلك الى يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فتول عنهم حتى حين قال يوم القيامة وهذا القول الذى قاله السدى أشبه بما دل عليه ظاهر التنزيل وذلك أن الله توعدهم بالعذاب الذى كانوا يستعجلونه فقال أفبعذابنا يستعجلون وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعرض عنهم الى مجىء حينه فتأويل الكلام فتول عنهم يا محمد الى حين مجىء عذابنا ونزوله بهم وقوله وأبصرهم فسوف يبصرون وانظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأبصرهم فسوف يبصرون حين لا ينفعهم البصر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأبصرهم فسوف يبصرون يقول انظرهم فسوف يبصرون ما لهم بعد اليوم قال يقول يبصرون يوم القيامة ما ضيعوا من أمر الله وكفرهم بالله ورسوله وكتابه قال فأبصرهم وأبصر واحد وقوله أفبعذابنا يستعجلون يقول فبنزول عذابنا بهم يستعجلونك يا محمد وذلك قولهم للنبى صلى الله عليه وسلم متى هذا الوعد ان كنتم صادقين وقوله فاذا نزل بساحتهم يقول فاذا نزل بهؤلاء المشركين المستعجلين بعذاب الله العذاب والعرب تقول نزل بساحة فلان العذاب والعقوبة وذلك اذا نزل به والساحة هى فناء دار الرجل فساء صباح المنذرين يقول فبئس صباح القوم الذين أنذرهم رسولنا نزول ذلك العذاب بهم فلم يصدقوا به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال

وقيل انه لغة فى الياس قال الزجاج يقال ميكائيل وميكائين فكذا ههنا حكى الثعلبى وغيره أن الياس نبى من سبط هرون بعثه الله الى بنى اسرائيل وكان فيهم ملك يقال له احب وله امرأة يقال لها ازبيل وكانت تبرز للناس كما يبرز زوجها وتجلس للحكم كما يجلس فأتاهما الياس ودعاهما الى الله تعالى فأبيا عليه وهما بقتله فاختفى منهما سبع سنين وكان اليسع خليفته وآل أمره الى أن أوحى اليه أن اخرج الى موضع كذا فما جاءك فاركبه ولا تخف بجاء فرس من نار فوثب عليه وناداه خليفته اليسع بن أخطوب ما تأمرنى فرمى الياس اليه بكسائه من الجو وكان ذلك عليه علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل ورفع الله الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وقيل الياس موكل بالفيافى كما وكل الخضر بالبحار وهما آخر من يموت من بنى آدم وكان الحسن يقول قد هلك الياس والخضر ولا نقول كما يقول الناس وقصة لوط مذكورة مرارا ومعنى (مصبحين وبالليل) أن مشركى العرب كانوا مسافرين الى الشام فلعل أكثر مرورهم بتلك الديار كان فى هذين الوقتين لأمر عارض لحر أو غيره وقصة يونس أيضا مما سبق ذكرها وفيها مزيد تسلية وتثبيت للنبى صلى الله عليه وسلم قال بعضهم انه أرسله ملك زمانه الى أولئك القوم



ليدعوهم الى الله تعالى فالاباق وهو هرب العبد من سيده لا يوجب العصيان والأظهر أن قوله وان يونس لمن المرسلين مذكور فى معرض التعظيم على قياس أوائل سائر القصص ولن يفيد هذه الفائدة

الا اذا كان الارسال من الله تعالى وأما الجواب عن اباقه فقد مر فى قوله وذا النون اذ ذهب مغاضبا قوله (المشحون) كالعلة لقوله فساهم والمساهمة المقارعة يقال أسهم القوم اذا اقترعوا  قال المبرد هى من السهام التى تجال للقرعة والمدحض المغلوب فى الحجة وغيرها وحقيقته الذى أزلق عن مقام الظفر والغلبة يروى أنه حين غضب على قومه خرج من بينهم حتى أتى بحر الروم ووجد سفينة مشحونة فحملوه فيها فلما وصلت الى لجة البحر أشرفت على الغرق فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والا لم يحصل فى السفينة ما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر وقد يزعم أهل البحر أن السفينة اذا كان فيها آبق لا تجرى فاقترعوا فخرج من بينهم يونس فقال التجار نحن أولى بالمعصية من نبى الله ثم عادوا ثانيا وثالثا فخرج سهمه فقال ياهؤلاء أنا العاصى ورمى بنفسه الى الماء (فالتقمه الحوت) أى ابتلعه كاللقمة (وهو مليم) داخل فى الملامة ومنه المثل رب لائم مليم أى يلوم غيره وهو أحق منه باللوم (فلولا أنه كان من المسبحين) قيل أى من المصلين عن قتادة كان كثير الصلاة فى الرخاء وقيل من الذاكرين الله كثيرا بالتسبيح والتقديس كما قيل اذكر الله فى الخلوات يذكرك فى الفلوات والأظهر أن المراد منه ما حكى الله تعالى فى آية أخرى أنه كان يقول فى تلك الظلمات لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين والضمير فى يبعثون للخلائق بالقرينة وقوله للبث فيه أقوال * أحدها يبقى هو والحوت الى يوم البعث * والثانى يموت الحوت ويبقى هو فى بطنه * والثالث يموتان ثم يحشر يونس من بطنه واختلفوا فى مدة لبثه فى بطن الحوت فعن الحسن أنه لم يلبث الا قليلا وقيل ثلاثة أيام وعن عطاء سبعة وعن الضحاك عشرون وقال الكلبى أربعون وروى أن الحوت يقرأ سار مع السفينة رافعا رأسه يتنفس فيه يونس ويسبح ولم يفارقهم حتى انتهوا الى البر فلفظه بالعراء وهو المكان الخالى لا شجر فيه ولا شئ يغطيه

ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاذا نزل بساحتهم قال بدارهم فساء صباح المنذرين قال بئس ما يصبحون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر فسوف يبصرون سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين وخلهم وفريتهم على ربهم حتى حين يقول الى حين يأذن الله بهلاكهم وأبصر فسوف يبصرون يقول وانظرهم فسوف يرون ما يحل بهم من عقابنا فى حين لا تنفعهم التوبة وذلك عند نزول بأس الله بهم وقوله سبحان ربك رب العزة عما يصفون يقول تعالى ذكره تنزيها لربك يا محمد وتبرئة له رب العزة يقول رب القوة والبطش عما يصفون يقول عما يصف هؤلاء المفترون عليه من مشركى قريش من قولهم ولد الله وقولهم الملائكة بنات الله وغير ذلك من شركهم وفريتهم على ربهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سبحان ربك رب العزة عما يصفون أى عما يكذبون يسبح نفسه اذا قيل عليه البهتان وقوله وسلام على المرسلين يقول وأمنة من الله للمرسلين الذين أرسلهم الى أممهم الذين ذكرهم فى هذه السورة وغيرهم من فزع يوم العذاب الأكبر وغير ذلك من مكروه أن ينالهم من قبل الله تبارك وتعالى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسلام على المرسلين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سلمتم على فسلموا على المرسلين فانما أنا رسول من المرسلين والحمد لله رب العالمين يقول تعالى ذكره والحمد لله رب الثقلين الجن والانس خالصا دون ما سواه لأن كل نعمة لعباده فمنه فالحمد له خالص لا شريك له كما لا شريك له فى نعمه عندهم بل كلها من قبله ومن عنده

آخر تفسير سورة الصافات

## ﴿تفسير سورة ص﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق﴾ * قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى معنى قول الله عز وجل ص فقال بعضهم هو من المصاداة من صاديت فلانا وهو أمر من ذلك كأن معناه عندهم صاد بعملك القرآن أى عارضه به ومن قال هذا تأويله فانه يقرؤه بكسر الدال لأنه أمر وكذلك روى عن الحسن ذكر الرواية بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن ص قال حادث القرآن وحدثت عن على بن عاصم عن عمرو بن عبيد عن الحسن فى قوله ص قال عارض القرآن بعملك حدثت عن عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن فى قوله ص والقرآن قال عارض القرآن قال عبد الوهاب يقول اعرضه على عملك فانظر أين عملك من القرآن حدثنى أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن اسمعيل عن الحسن أنه كان

عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال سبح يونس في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا لنسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة فقال نعم ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر  فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له فأمر الحوت فقذفه في الساحل وحكي في بعض التفاسير وان لم يطابقه رأي أصحاب المسالك كل المطابقة أن الحوت أخرجه الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطائح ثم دجلة فلفظه بأرض نصيبين لم تنله آفة الا أن بدنه عاد كبدن الصبي حين يولد فأنبت الله عليه شجرة من يقطين وذلك كالمعجزة له قال المبرد والزجاج هو يفعيل من قطن بالمكان اذا أقام به فيشمل كل شجرة لا تقوم على ساق كالدباء والبطيخ الا أن المفسرين خصصوه بالدباء قالوا لأن الذباب لا يجتمع عنده وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتحب القرع قال أجل هي شجرة أخي يونس قال الواحدي في الآية دلالة أولا على أن اليقطين لم يكن من قبل فأنبته الله لأجله والآخر أن اليقطين كان قائما بحيث يحصل له ظل قلت الثاني مسلم الا أن الأول ممنوع ان أراد به النوع وان أراد به الشخص فسلم وقيل هي التين وقيل هي شجرة الموز تغطي بورقها واستظل باغصانها واغتذى من ثمارها وروى أنه كان يستظل بالشجرة وكانت وعلة تأتيه فيشرب من لبنها وروى أنه مر زمان على الشجرة فيبست فبكى جزعا فأوحى اليه بكيت على شجرة ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون فرجع الى قومه وقد سبق في سورة يونس باقي التفسير وأوفى قوله أو يزيدون ليست للشك وانما المراد وصفهم بالكثرة في مرأى الناظر أي اذا رآها الرائي قال هي مائة ألف أو أكثر ومن هذا التأويل يتضح وجه العطف من حيث المعنى كأنه قيل وأرسلناه الى جمع غفير مقول فيهم انهم مائة ألف أو يزيدون وقيل التقدير وأرسلناه الى مائة ألف وأرسلناه الى قوم

يقرأ ص والقرآن بخفض الدال وكان يجعلها من المصاداة يقول عارض القرآن * وقال آخرون هي حرف هجاء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما ص فمن الحروف * وقال آخرون هو قسم أقسم الله به ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ص قال قسم أقسمه الله وهو من أسماء الله * وقال آخرون هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ص قال هو اسم من أسماء القرآن أقسم الله به * وقال آخرون معنى ذلك صدق الله ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن أبي روق عن الضحاك في قوله ص قال صدق الله واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار خلا عبد الله بن أبي اسحق وعيسى بن عمر بسكون الدال فأما عبد الله بن أبي اسحق فانه كان يكسرها لاجتماع الساكنين ويجعل ذلك بمنزلة الأداة كقول العرب تركته حاث باث وخاز باز يخفضان من أجل أن الذي يلي آخر الحروف ألف فيخفضون مع الألف وينصبون مع غيرها فيقولون حيث بيث ولأجعلنك في حيص بيص اذا ضيق عليه وأما عيسى بن عمر فكان يوفق بين جميع ما كان قبل آخر الحروف منه ألف وما كان قبل آخره ياء أو واو فيفتح جميع ذلك وينصبه فيقول ص وق ون ويس فيجعل ذلك مثل الأداة كقولهم ليت وأين وما أشبه ذلك * والصواب من القراءة في ذلك عندنا السكون في كل ذلك لأن ذلك القراءة التي جاءت بها قراء الامصار مستفيضة فيهم وأنها حروف هجاء لأسماء المسميات فيعربن اعراب الاسماء والأدوات والأصوات فيسلك بهن مسالكهن فتأويلها اذ كانت كذلك تأويل نظائرها التي قد تقدم بياننا ها قبل فيما مضى وكان بعض أهل العربية يقول ص في معناها كقولك وجب والله نزل والله وحق والله وهي جواب لقوله والقرآن كما تقول حقا والله نزل والله وقوله والقرآن ذي الذكر وهذا قسم أقسمه الله تبارك وتعالى بهذا القرآن فقال والقرآن ذي الذكر واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ذي الذكر فقال بعضهم معناه ذي الشرف ذكر من قال ذلك حدثنا نصر بن علي قال ثنا أبو أحمد عن قيس عن أبي حصين عن سعيد ص والقرآن ذي الذكر قال ذي الشرف حدثنا نصر بن علي وابن بشار قالا ثنا أبو أحمد عن مسعر عن أبي حصين ذي الذكر ذي الشرف * قال ثنا أبو أحمد عن سفيان عن اسمعيل عن أبي صالح أو غيره ذي الذكر ذي الشرف حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي والقرآن ذي الذكر قال ذي الشرف حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ص والقرآن ذي الذكر ذي الشرف وقال بعضهم بل معناه ذي التذكير ذكركم الله به ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن أبي روق عن الضحاك ذي الذكر قال فيه ذكركم قال ونظيرتها لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذي الذكر أي ما ذكر فيه * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال معناه ذي التذكير لكم لأن الله أتبع ذلك قوله بل الذين كفروا في عزة وشقاق فكان معلوما بذلك أنه انما أخبر عن

يزيدون فى الابهام وكم الزائد قيل ثلاثون أثناعن ابن عباس وقيل بضعة وثلاثون وقيل بضعة وأربعون وقيل سبعون وجاء مرفوعا
عشرون ألفا ويحتمل أن يراد أو يزيدون  فى مرور الزمان لانه يبقى فيهم مدة كما قال آمنوا فمتعناهم الى حين هو انقضاء آجالهم

وقيل القيامة وقدم ثم عطف قوله (فاستفتهم) على مثله فى أول السورة والوجه فيه أنه أمر رسوله باستفتاء قريش عن سبب انكار البعث ثم ساق الكلام متصلا بعضه ببعض على ما عرفت فى أثناء التفسير ثم أمره باستفتائهم عن وجه القسمة الضيزى حين أضافوا البنات الى الله تعالى قائلين الملائكة بنات الله مع كراهتهم التامة لهن ورغبتهم الوافرة فى البنين وحين استفتاهم على سبيل التوبيخ شرع فى تزييف معتقدهم بقسمة عقلية وذلك أن سند الدعوى اما أن يكون حسا أو خبرا أو نظرا أما الحس فمفقود لأنهم ما شاهدوا كيفية تخليق الله الملائكة وهو المراد من قوله (أم خلقنا الملائكة اناثا وهم شاهدون) وأما الخبر فكذلك لأن الخبر انما يفيد العلم اذا علم أنه صدق قطعا وهؤلاء كذابون أفاكون وأشار اليه بقوله (ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون) وأما النظر فمفقود أيضا وبيانه من وجهين الاول أن دليل العقل يقتضى فساده لانه تعالى أكمل الموجودات والاكمل لا يليق به اصطفاء الأخس لأجل نفسه وذلك قوله (أصطفى البنات على البنين مالكم كيف تحكمون) من قرأ أصطفى بفتح الهمزة فلأنه استفهام بطريق الانكار وقد حذفت همزة الوصل للتخفيف ومن قرأ بكسرها على الاخبار جعله من جملة كلام الكفرة * الثانى عدم الدليل على صحة مذهبهم وهو قوله (أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين) نظيره ما مر فى قوله أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون وقوله (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) للمفسرين فيه قولان أحدهما أنهم الطائفة الاولى والمعنى أنهم جعلوا بين الله وبين الملائكة نسبة

---

القرآن أنه أنزله ذكرا للعباد ذكرهم به وأن الكفار من الايمان به فى عزة وشقاق واختلف فى الذى وقع عليه اسم القسم فقال بعضهم وقع القسم على قوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بل الذين كفروا فى عزة قال ههنا وقع القسم وكان بعض أهل العربية يقول بل دليل على تكذيبهم فاكتفى ببل من جواب القسم وكأنه قيل ص ما الأمر كما قلتم بل أنتم فى عزة وشقاق وكان بعض نحويى الكوفة يقول زعموا أن موضع القسم فى قوله ان كل إلا كذب الرسل وقال بعض نحويى الكوفة قد زعم قوم أن جواب والقرآن قوله ان ذلك لحق تخاصم أهل النار قال وذلك كلام قد تأخر عن قوله والقرآن تأخرا شديدا وجرت بينهما قصص مختلفة فلا نجد ذلك مستقيما فى العربية والله أعلم قال ويقال ان قوله والقرآن يمين اعترض كلام دون موقع جوابها فصار جوابها للمعترض واليمين فكأنه أراد والقرآن ذى الذكر لكم أهلكنا فلما اعترض قوله بل الذين كفروا فى عزة صارت كم جوابا للعزة واليمين قال ومثله قوله والشمس وضحاها اعترض دون الجواب قوله ونفس وما سواها فألهمها فصارت قد أفلح تابعة لقوله فألهمها وكفى من جواب القسم فكأنه قال والشمس وضحاها لقد أفلح * والصواب من القول فى ذلك عندى القول الذى قاله قتادة وأن قوله بل لما دلت على التكذيب وحلت محل الجواب استغنى بها من الجواب اذ عرف المعنى فمعنى الكلام اذ كان ذلك كذلك ص والقرآن ذى الذكر ما الأمر كما يقول هؤلاء الكافرون بل هم فى عزة وشقاق وقوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق يقول تعالى ذكره بل الذين كفروا بالله من مشركى قريش فى حمية ومشاقة وفراق لمحمد وعداوة وما بهم أن لا يكونوا أهل علم بأنه ليس بساحر ولا كذاب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فى عزة وشقاق قال معازين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى عزة وشقاق أى فى حمية وفراق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بل الذين كفروا فى عزة وشقاق قال يعادون أمر الله ورسله وكتابه ويشاقون ذلك عزة وشقاق فقلت له الشقاق الخلاف فقال نعم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص﴾ يقول تعالى ذكره كثيرا أهلكنا من قبل هؤلاء المشركين من قريش الذين كذبوا رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عندنا من الحق من قرن يعنى من الأمم الذين كانوا قبلهم فسلكوا سبيلهم فى تكذيب رسلهم فيما أتوهم به من عند الله فنادوا يقول فعجوا الى ربهم وضجوا واستغاثوا بالتوبة اليه حين نزل بهم بأس الله وعاينوا عذابه فرارا من عقابه وهربا من أليم عذابه ولات حين مناص يقول وليس ذلك حين فرار ولا هرب من العذاب بالتوبة وقد حقت كلمة العذاب عليهم وتابوا حين لا تنفعهم التوبة واستقالوا فى غير وقت الاقالة وقوله مناص مفعل من النوص والنوص فى كلام العرب التأخر والمناص المفر ومنه قول امرئ القيس

أمن ذكرسلمى اذ نأتك تنوص * فتقصر عنها خطوة وتبوص

بسبب قولهم انهم بناته فان الولادة تقتضى الجنسية والمناسبة وفيه توبيخ لهم على أن من صفته الاجتناء والاستتار كيف يصلح أن يكون مناسبا لمن لا يجوز عليه صفات الاجرام وعلى هذا فالضمير فى قوله (انهم لمحضرون) (٩٧) الكفرة والمعنى أنهم يقولون ما يقولون

يقول أو تقدم يقال من ذلك ناصنى فلان اذا ذهب عنك وباصنى اذا سبقك ناض فى البلاد اذا ذهب فيها بالضاد وذكر الفراء أن العقيلى أنشده

اذا عاش اسحق وشيخه لم أبل * فقيدا ولم يصعب على مناض

ولو أشرفت من كفة الستر عاطلا * لفلت غزال ما عليه خضاض

والخضاض الحلى ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن التيمى عن ابن عباس فى قوله ولات حين مناص قال ليس بحين نزو ولا حين فرار حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية قال ثنا اسرائيل عن أبى اسحق عن التيمى قال قلت لابن عباس أرأيت قول الله ولات حين مناص قال ليس بحين نزو ولا فرار ضبط القوم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن أبى اسحق الهمدانى عن التيمى قال سألت ابن عباس قول الله ولات حين مناص قال ليس حين نزو ولا فرار حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولات حين مناص قال ليس حين نزو ولا فرار حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولات حين مناص يقول ليس حين مغاث حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ولات حين مناص قال ليس هذا بحين فرار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فنادوا ولات حين مناص قال نادى القوم على غير حين نداء وأرادوا التوبة حين عاينوا عذاب الله فلم يقبل منهم ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله ولات حين مناص قال حين نزل بهم العذاب لم يستطيعوا الرجوع الى التوبة ولا فرارا من العذاب حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فنادوا ولات حين مناص يقول وليس حين فرار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولات حين مناص ولات حين منجى ينجون منه ونصب حين فى قوله ولات حين مناص تشبيها اللات بليس وأضمر فيها اسم الفاعل وحكى بعض نحويى أهل البصرة الرفع مع لات فى حين زعم أن بعضهم رفع ولات حين مناص بجعله فى قوله ليس كأنه قال ليس وأضمر الحين قال وفى الشعر

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن ليس حين بقاء

فجر أوان وأضمر الحين الى أوان لأن لات لا تكون الا مع الحين قال ولا تكون لات الا مع حين وقال بعض نحويى الكوفة من العرب من يضيف لات فيخفض بها وذكر أنه أنشد

* لات ساعة مندم * بخفض الساعة قال والكلام أن ينصب بها لأنها فى معنى ليس وذكر أنه أنشد

تذكر حب ليلى لات حينا * وأضحى الشيب قد قطع القرينا

فى الملائكة وقد علمت الملائكة أنهم فى ذلك كاذبون وأنهم محضرون النار معذبون بما يقولون * وثانيهما أنهم طائفة من الزنادقة قائلون بيزدان واهرمن كما مر فى الانعام فى قوله وجعلوا لله شركاء الجن وعلى هذا فالضمير اما للكفار كما مر واما للشياطين روى عكرمة أنهم قالوا سروات الجن بنات الرحمن وقال الكلبى زعموا أن الله سبحانه تزوج الى الجن فخرج منها الملائكة والتاء فى الجنة للتأنيث لحق وحقة قال جار الله الاستثناء فى قوله (الا عباد الله) منقطع معناه انهم لمحضرون ولكن المخلصين ناجون وما بينهما اعتراض دال على التنزيه وجوز أن يكون الاستثناء من الضمير فى يصفون أى يصفه هؤلاء بذلك ولكن أهل الاخلاص مبرؤن من وصفه بما لا ينبغى وحين بين المذاهب الفاسدة بقضها بين أن أهل الشرك ومعبوديهم ليس لهم أن يفتنوا على الله أى يحملوا غيرهم على سلوك سبيل الفتنة والضلال الا من سبق فى علم الله بأنه من أهل النار وقالت المعتزلة الا من سبق فى علمه أنهم يسوء أعمالهم يستوجبون أن يصلوها وجوز جار الله أن تكون الواو فى وما تعبدون بمعنى مع وجاز السكوت على تعبدون كما فى قولهم كل رجل وضيعته ثم قال (ما أنتم عليه) أى على ما تعبدون (بفاتنين الا من هو صال) مثلكم وقال والوجه فى نظم هذه الآيات أن يكون قوله سبحان الله الى قوله المسبحون من كلام الملائكة والمعنى ولقد علمت الملائكة وشهدوا أن المشركين مفترون عليهم فى مناسبة رب العزة وقالوا سبحان الله فنزهوه عن ذلك واستثنوا عباده المخلصين وقالوا للكفرة فاذا صح ذلك فانكم وآلهتكم لا تقدرون أن تفتنوا على الله أحدا من خلقه الا من كان مثلكم

من علم الله عز وجل لكفرهم أنهم أهل النار وكيف نكون مناسبين لرب العزة ومانحن الا عبيد اذلاء بين يديه لكل منا مقام من الطاعة لا يستطيع أن يتجاوزه ونحن الصافون (٧٨) كما مر فى أول السورة ونحن المسبحون وقال فى التفسير الكبير هاتان الجملتان تدلان على الحصر وفيه اشارة الى أن طاعة البشر كالعدم بالنسبة الى طاعة الملك فكيف يجوز أن يقال البشر تقرب درجتهم من درجة الملك فضلا عن دعوى الأفضلية قلت لا شك أن هذا التركيب يفيد الحصر الا أنه لم يفرق بين قصر الاول على الثانى كما فى الآية و بين عكسه والذى يفيد مدعاه هو العكس لا الأصل فافهم وقيل هذه الآيات من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أى وما من المسلمين أحد الا له مقام معلوم يوم القيامة على قدر عمله ثم ذكر أعمالهم وأنهم الذين يصطفون فى الصلاة ويسبحون الله وينزهونه ثم حكى أن مشركى قريش (كانوا يقولون لو أن عندنا ذكرا) أى كتابا من جملة كتب الأولين أى نظيرها فى بيان الشرائع والتكاليف لأخلصنا العبادة لله و إن مخففة واللام فارقة (فكفروا به) الفاء للربط أى فجاءهم الذكر الذى هو سيد الأذكار فكفروا به (فسوف يعلمون) وخامة عاقبة التكذيب وقيل أرادوا لو علمنا حال آبائنا وما آل اليه أمرهم وكان ذلك كما يقول محمد صلى الله عليه وسلم لآمنا به وأخلصنا لكنا على شك من حديثه ثم بين أن رسل الله وجنده منصورون غالبون عاجلا وآجلا والأول أكثرى والثانى تحقيق يقينى ثم أمر نبيه بالصفح والاغماض الى أوان النصرة والغلبة قائلا (فتول عنهم) أى أعرض عن أذاهم الى حين الامر بالقتال أوالى يوم بدر عن السدى أوالى الموت والقيامة (وأبصرهم) ومايقضى عليهم من الاسر والقتل فى الدنيا والعذاب فى الآخرة فسوف يبصرونك ومايؤل اليه أمرك من النصر والثواب فى الدارين وفى هذا الامر تنفيس عن النبى صلى الله عليه وسلم وتسلية له كأن الحالة الموعودة قدام عينيه قريا

قال

قال وأنشدنى بعضهم

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن ليس حين بقاء

بخفض أوان قال وتكون لات مع الأوقات كلها واختلفوا فى وجه الوقف على قراءة ولات حين فقال بعض أهل العربية الوقف عليه ولات بالتاء ثم يبتدأ حين مناص قالوا وانما هى لا التى بمعنى ما وان فى الجحد وصلت بالتاء كما وصلت ثم بها فقيل ثمت وكما وصلت رب فقيل ربت * وقال آخرون منهم بل هى هاء زيدت فى لا فالوقف عليها لاه لانها هاء زيدت للوقف كما زيدت فى قولهم

العاطفونة حين ما من عاطف * والمطعمونة حين أين المطعم

فاذا وصلت صارت تاء وقال بعضهم الوقف على لا والابتداء بعدها تحين وزعم أن حكم التاء أن تكون فى ابتداء حين وأوان والآن ويستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر

تولى قتالى يوم سبى حمانا * وصلينا كما زعمت تلانا

وأنه ليس ههنا لا فيوصل بها هاء أوتاء ويقول ان قوله لات حين انما هى ليس حين ولم توجد لات فى شئ من الكلام * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن لا حرف جحد كما و إن وصلت بهاء تصير فى الوصل تاء كما فعلت العرب ذلك بالأدوات ولم تستعمل ذلك كذلك مع لا المدة الا للاوقات دون غيرها ولا وجه للعلة التى اعتل بها القائل انه لم يجد لات فى شئ من كلام العرب فيجوز توجيه قوله ولات حين الى ذلك لأنها تستعمل الكلمة فى موضع ثم تستعملها فى موضع آخر بخلاف ذلك وليس ذلك ببعيد فى القياس من الصحة من قولهم رأيت بالهمز ثم قالوا فانا أراه بترك الهمز لما جرى به استعمالهم وما أشبه ذلك من الحروف التى تأتى فى موضع على صورة ثم تأتى بخلاف ذلك فى موضع آخر لجارى من استعمال العرب ذلك بينها وأما ما استشهد به من قول الشاعر كما زعمت تلانا فان ذلك منه غلط فى تأويل الكلمة وانما أراد الشاعر بقوله * وصلينا كما زعمت تلانا * وصلينا كما زعمت أنت الآن فأسقط الهمزة من أنت فلقيت التاء من زعمت النون من أنت وهى ساكنة فسقطت من اللفظ وبقيت التاء من أنت ثم حذفت الهمزة من الآن فصارت الكلمة فى اللفظ كهيئة تلان والتاء الثانية على الحقيقة منفصلة من الآن لانها تاء أنت وأما زعمه أنه رأى فى المصحف الذى يقال له الامام التاء متصلة بحين فان الذى جاءت به مصاحف المسلمين فى أمصارها هو الحجة على أهل الاسلام والتاء فى جميعها منفصلة عن حين فلذلك اخترنا أن يكون الوقف على الهاء فى قوله ولات حين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب﴾ يقول تعالى ذكره وعجب هؤلاء المشركون من قريش أن جاءهم منذر ينذرهم بأس الله على كفرهم به من أنفسهم ولم يأتهم ملك من السماء بذلك وقال الكافرون هذا ساحر كذاب يقول وقال المنكرون وحدانية الله هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ساحر كذاب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وعجبوا أن جاءهم منذر منهم يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب حدثنا محمد

وتحققا وسوف فى الموضعين للوعيد لا للتبعيد وكأنهم فهموا التسويف فاستعجلوا العذاب فوبخوا عليه وكان من عادة العرب أن يغيروا صباحا فسميت الغارة صباحا وان وقعت فى وقت آخر وشبه نزول العذاب بساحتهم بعد ما أنذروه بجيش أنذر بعض النصحاء بهجومه قومه فلم يلتفتوا الى انذاره ولا أخذوا أهبتهم حتى أناخ بفنائهم بغتة فشن الغارة عليهم قيل نزلت فى فتح مكة وعن أنس لما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر وكانوا خارجين الى مزارعهم ومعهم المساحى قالوا محمد والخميس ورجعوا الى حصنهم فقال صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين أى صباحهم فحذف المخصوص بالذم واللام فى المنذرين للجنس وانما ثنى وثول عنهم ليكون تسلية على تسلية والاول لعذاب الدنيا والثانى للآخرة وأطلق الفعل الثانى أيضا اكتفاء بالاول وليفيد فائدة زائدة وهى أنه يبصرهم يبصرون ما لا يحيط به الوصف من صنوف المسرة وفنون المساءة واعلم أن السورة اشتملت على ما قاله المشركون فى الله وعلى ما عانى المرسلون من جهتهم وعلى ما يؤل اليه عاقبة الرسل وحزب الله من موجبات الحمد فلا جرم ختمها بكلمات جامعة لتلك المعانى ومعنى (رب العزة) كقوله قل اللهم مالك الملك والمراد ذى العزة لانها صفته لا مربوب به عن ابن عباس أنه سمع رجلا يقول اللهم رب القرآن فانكر عليه وقال القرآن ليس بمربوب ولكن كلام الله والظاهر أن قوله (عما يصفون) يتعلق بسبحان كما فى قوله فسبحان الله عما يصفون وقيل متعلق بالعزة أى امتنع عما يصفونه به وقد مر شئ من تحقيق هذه الحالة فى آخر سورة يس قال بعضهم انما لم يقل فى آخر قصتى لوط ويونس سلام عليهما اكتفاء بقوله فى الخاتمة وسلام على المرسلين عن على رضى الله عنه من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة الى آخر السورة

قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله ساحر كذاب يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم وقوله أجعل الآلهة الها واحدا يقول وقال هؤلاء الكافرون الذين قالوا محمد ساحر كذاب أجعل محمد المعبودات كلها معبودا واحدا يسمع دعاءنا جميعا ويعلم عبادة كل عابد عبده منا ان هذا الشئ عجاب أى ان هذا الشئ عجيب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا الشئ عجاب قال عجب المشركون أن دعوا الى الله وحده وقالوا يسمع لحاجاتنا جميعا إله واحد ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة وكان سبب قيل هؤلاء المشركين ما أخبر الله عنهم أنهم قالوه من ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم أسألكم أن تجيبونى الى واحدة تدين لكم بها العرب وتعطيكم بها الخراج العجم فقالوا وما هى فقال تقولون لا اله الا الله فعند ذلك قالوا أجعل الآلهة الها واحدا تعجبا منهم من ذلك ذكر الرواية بذلك حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا ثنا أبو أسامة قال ثنا الأعمش قال ثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقالوا ان ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت اليه فنهيته فبعث اليه فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبى طالب قدر مجلس رجل قال فخشى أبو جهل ان جلس الى جنب أبى طالب أن يكون أرق له عليه فوثب فجلس فى ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أى ابن أخى ما بال قومك يشكونك يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول قال فأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا عم انى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى اليهم بها العجم الجزية ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشرا فقالوا وما هى فقال أبو طالب وأى كلمة هى يا ابن أخى قال لا اله الا الله قال فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا الشئ عجاب قال ونزلت من هذا الموضع الى قوله لما يذوقوا عذاب اللفظ لأبى كريب حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مرض أبو طالب فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده وهم حوله جلوس وعند رأسه مكان فارغ فقام أبو جهل فجلس فيه فقال أبو طالب يا ابن أخى ما لقومك يشكونك قال يا عم أريدهم على كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدى اليهم بها العجم الجزية قال ما هى قال لا اله الا الله فقاموا وهم يقولون ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق ونزل القرآن ص والقرآن ذى الذكر ذى الشرف بل الذين كفروا فى عزة وشقاق حتى قوله أجعل الآلهة الها واحدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان عن الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال مرض أبو طالب ثم ذكر نحوه الا أنه لم يقل ذى الشرف وقال الى قوله ان هذا الشئ عجاب حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير قال مرض أبو طالب قال فجاء النبى صلى الله عليه وسلم يعوده فكان عند رأسه مقعد رجل فقام أبو جهل فجلس فيه فشكوا النبى صلى الله عليه وسلم على أبى طالب وقالوا انه يقع

﴿سورة ص وهي مكية حروفها ثلاثة آلاف وتسعة وستون كلمها سبعمائة واثنان وثلاثون آياتها ثمان وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ﴿ص والقرآن (٨٠) ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى الذي

في آلهتنا فقال يا ابن أخي ما تريد الى هذا قال يا عم اني أريد هم على كلمة تدين لهم بها العرب وتؤدي اليهم العجم الجزية قال وما هي قال لا اله الا الله فقالوا أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا لشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق﴾ يقول تعالى ذكره وانطلق الأشراف من هؤلاء الكافرين من قريش القائلين أجعل الآلهة الها واحدا بأن امضوا فاصبروا على دينكم وعبادة آلهتكم فأن من قوله أن امشوا في موضع نصب بتعلق انطلقوا بها كأنه قيل انطلقوا وامشيا ومضيا على دينكم وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا على آلهتكم وذكر أن قائل ذلك كان عقبة بن أبي معيط ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبراهيم بن مهاجر عن مجاهد وانطلق الملأ منهم قال عقبة بن أبي معيط وقوله ان هذا لشيء يراد أي ان هذا القول الذي يقول محمد ويدعونا اليه من قول لا اله الا الله شيء يريده منا محمد يطلب به الاستعلاء علينا وأن نكون له فيه أتباعا ولسنا مجيبيه الى ذلك وقوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه ما سمعنا بهذا الذي يدعونا اليه محمد من البراءة من جميع الآلهة الا من الله تعالى ذكره وبهذا الكتاب الذي جاء به في الملة النصرانية قالوا وهي الملة الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة يقول النصرانية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة يعني النصرانية فقالوا لو كان هذا القرآن حقا أخبرنا به النصارى حدثني محمد بن اسحق قال ثنا يحيى بن معين قال ثنا ابن عيينة عن ابن أبي لبيد عن القرظي في قوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة قال ملة عيسى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة النصرانية * وقال آخرون بل عنوا بذلك ما سمعنا بهذا في ديننا دين قريش ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة قال ملة قريش حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله في الملة الآخرة قال ملة قريش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة أي في ديننا هذا ولا في زماننا قط حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة قال الملة الآخرة الدين الآخر قال والملة الدين * وقيل ان الملأ الذين انطلقوا نفر من مشيخة قريش منهم أبو جهل والعاص بن وائل والأسود ابن عبد يغوث ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أن أناسا من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث في نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى أبي طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فيأمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه

فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا
ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا  وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل

المتقين كالفجار كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب ووهبنا لداود سليمن نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ردوها علي فطفق مسحا بالسوق والأعناق ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي انك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴿

﴿ القراآت أونزل بالواو مثل أونبئكم في آل عمران عذابي وعقابي بالياء في الحالين يعقوب والسرندي عن قنبل وافق سهل وعباس في الوصل أيكة مذكور في الشعراء من فواق بضم الفاء حمزة وعلي وخلف الباقون بالفتح ولي نعجة بفتح الياء حفص والأعشى والبرجمي فتناه بتخفيف النون على أنه مثنى والضمير للخصمين عباس لتدبروا بحذف احدى التاءين على أنه خطاب يزيد والأعشى والبرجمي الباقون على الغيبة وادغام تاء التفعل في الدال أني أحببت بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو من بعدي بالفتح أبو جعفر ونافع وأبو عمرو والرياح مجموعة يزيد ﴿ الوقوف ذي الذكر ط

---

الذي يعبد فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا شيء فتعيرنا العرب فيقولون تركوه حتى اذا مات عمه تناولوه قال فبعثوا رجلا منهم يدعى المطلب فاستأذن لهم على أبي طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه والهه قال فبعث اليه أبو طالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا ابن أخي هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد سألوك النصف أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك والهك قال فقال أي عم أولا أدعوهم الى ما هو خير لهم منها قال وإلام تدعوهم قال أدعوهم الى أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب وتملك بها العجم قال فقال أبو جهل من بين القوم ما هي وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها قال تقولون لا اله الا الله قال فنفروا وقالوا سلنا غير هذه قال لو جئتمونى بالشمس حتى تضعوها في يدي ما سألتكم غيرها قال فغضبوا وقاموا من عنده غضابا وقالوا والله لنشتمنك والذي يأمرك بهذا وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشيء يراد الى قوله إلا اختلاق وأقبل على عمه فقال له عمه يا ابن أخي ما شططت عليهم فأقبل على عمه فدعاه فقال قل كلمة أشهد لك بها يوم القيامة تقول لا اله الا الله فقال لولا أن تعييكم بها العرب يقولون جزع من الموت لأعطيتكها ولكن على ملة الأشياخ قال فنزلت هذه الآية انك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا الشيء يراد قال نزلت حين انطلق أشراف قريش الى أبي طالب فكلموه في النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ان هذا الا اختلاق يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين في القرآن ما هذا القرآن الا اختلاق أي كذب اختلقه محمد وتخرصه ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان هذا إلا اختلاق يقول تخريص حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان هذا إلا اختلاق قال كذب حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد ان هذا الا اختلاق يقول كذب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان هذا الا اختلاق الا شيء تخلقه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان هذا الا اختلاق اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان هذا الا اختلاق قالوا ان هذا الا كذب

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هؤلاء المشركين من قريش أأنزل على محمد الذكر من بيننا نخص به وليس بأشرف منا حسبا وقوله بل هم في شك من ذكري يقول تعالى ذكره ما بهؤلاء المشركين أن لا يكونوا أهل علم بأن محمدا صادق ولكنهم في شك من وحينا اليه وفي هذا القرآن الذي أنزلناه اليه أنه من عندنا بل لما يذوقوا عذاب

---

وشقاق ٥ مناص ٥ منهم ز لتصريح ذكر الكافرين مع امكان الاكتفاء بالضمير وقد اتفقت الجملتان كذاب ج للاستفهام وانحاد العامل واحدا ج لمثل ما مر عجاب ٥ آلهتكم ج

يقول بل لم ينزل بهم بأسنا فيذوقوا وبال تكذيبهم محمدا وشكهم فى تنزيلنا هذا القرآن عليه ولو ذاقوا العذاب على ذلك علموا وأيقنوا حقيقة ما هم به مكذبون حين لا ينفعهم علمهم أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب يقول تعالى ذكره أم عند هؤلاء المشركين المنكرين وحى الله الى محمد خزائن رحمة ربك يعنى مفاتيح رحمة ربك يا محمد العزيز فى سلطانه الوهاب لمن يشاء من خلقه ما يشاء من ملك وسلطان ونبوة فيمنعوك يا محمد ما منّ الله به عليك من الكرامة وفضلك به من الرسالة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا فى الأسباب جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب ﴾ يقول تعالى ذكره أم لهؤلاء المشركين الذين هم فى عزة وشقاق ملك السموات والأرض وما بينهما فانه لا يعازنى ويشاقنى الا من كان له ملك ذلك يقول ليس ذلك لأحد غيرى فكيف يعازنى ويشاقنى من كان فى ملكى وسلطانى وقوله فليرتقوا فى الأسباب يقول وان كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليصعدوا فى أبواب السماء وطرقها فان من كان له ملك شئ لم يتعذر عليه الاشراف عليه وتفقده وتعهده واختلف أهل التأويل فى معنى الأسباب التى ذكرها الله فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بها أبواب السماء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فليرتقوا فى الأسباب قال طرق السماء وأبوابها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فليرتقوا فى الأسباب يقول فى أبواب السماء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله فى الأسباب قال أسباب السموات حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فليرتقوا فى الأسباب قال طرق السموات حدثت عن الحمارى عن جويبر عن الضحاك أم لهم ملك السموات والأرض يقول ان كان لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا فى الأسباب يقول فليرتقوا الى السماء السابعة حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فليرتقوا فى الأسباب يقول فى السماء * وذكر عن الربيع بن أنس فى ذلك ما حدثت عن المسيب بن شريك عن أبى جعفر الرازى عن الربيع بن أنس قال الأسباب أدق من الشعر وأشد من الحديد وهو بكل مكان غير أنه لا يرى وأصل السبب عند العرب كل ما تسبب به الى الوصول الى المطلوب من حبل أو وسيلة أو رحم أو قرابة أو طريق أو محجة وغير ذلك وقوله جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب يقول تعالى ذكره هم جند يعنى الذين فى عزة وشقاق هنالك يعنى ببدر مهزوم وقوله هنالك من صلة مهزوم وقوله من الأحزاب يعنى من أحزاب ابليس وأتباعه الذين مضوا قبلهم فأهلكهم الله بذنوبهم ومن من قوله من الأحزاب من صلة قوله جند ومعنى الكلام هم جند من الأحزاب مهزوم هنالك وما فى قوله جند ما هنالك صلة ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب قال قريش من الأحزاب قال القرون الماضية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال

لما مر يراد ج ٥ لذلك الآخرة ج لذلك اختلاق ٥ ج لما قلنا من يمننا ط من ذكرى ٥ لعطف الجملتين المختلفتين والابتداء بالتهديد عذاب ٥ لأن أم بمعنى ألف استفهام انكار الوهاب ٥ ج لأن أم تصلح ابتداء انكار الأسباب ٥ الأحزاب ٥ الأوتاد ٥ لا الأيكة ط الأحزاب ٥ عقاب ٥ فواق ٥ الحساب ٥ الأيد ج للابتداء بان ولاحتمال التعليل أواب ٥ والاشراق ٥ أواب ٥ الخطاب ٥ الخصم م لأن اذ ليس بظرف للاتيان والتناهى الاستفهام انى الامر أى اذكر اذ تسوروا المحراب ٥ لا لأن اذ بدل من الاولى لا تخف ج لحق الحذف أى نحن خصمان مع اتحاد المقول الصراط ٥ فى الخطاب ٥ نعاجه ج ما هم ط وأناب ٥ ذلك ط مآب ٥ عن سبيل الله الاولى ط الحساب ٥ باطلا ط كفروا ج للابتداء بالتهديد مع فاء التعقيب النار ٥ ج لأن أم لاستفهام انكار كالفجار ٥ الألباب ٥ سليمن ط العبد ط أواب ٥ لا والأصح الوقف والتقدير اذكر اذ فان أوبه غير مقيد بل مطلق الجياد ٥ لا للعطف ربى ج لاحتمال أن حتى للابتداء وأن تكون لانتهاء الحب أى آثرت حب الخير حتى توارت بالحجاب ٥ لحق الحذف تقديره قال ردوها على فطفق والأعناق ٥ أناب ٥ بعدى ٥ لا لاحتمال أن يكون التقدير فانك الوهاب ٥ أصاب ٥ وغواص ٥ الأصفاد ٥ حساب ٥ مآب ٥

﴿ التفسير عن ابن عباس أن ص بحر عليه عرش الرحمن وعن سعيد ابن جبير بحر يحيى الله به الموتى بين النفختين وقيل صدق محمد صلى الله عليه وسلم فى كل ما أخبر به عن الله وقيل صد الكفار عن قبول هذا الدين وقيل صد محمد صلى الله عليه وسلم قلوب العباد وقيل هو من المصاداة المعارضة ومنه الصدى وهو ما يعارض الصوت ثنا فى الجبال يؤيده قراءة من قرأ ص بالكسر معناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه والذكر الشرف والشهرة أو الموعظة

وجواب القسم محذوف كأنه قيل انه لمعجز وان الحكم لواحد و يجوز ان كان ص اسم السورة أن يراد هذه ص والقرآن يعني هذه السورة هي التي أعجزت العرب بحق القرآن كما تخبر عن هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور (٨٠٦) بالسخاء والله ثم بين أن الكفار في استكبار

ثنا سعيد عن قتادة جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب قال وعده الله وهو بمكة يوم ئذ أنه سيهزم جندا من المشركين فجاء تأويلها يوم بدر وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك جند ما هنالك مغلوب عن أن يصعد الى السماء ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة أولئك الأحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب﴾ يقول تعالى ذكره كذبت قبل هؤلاء المشركين من قريش القائلين أجعل الآلهة الها واحدا رسلها قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد * واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله قيل لفرعون ذو الأوتاد فقال بعضهم قيل ذلك له لأنه كانت له ملاعب من أوتاد يلعب له عليها ذكر من قال ذلك حدثت عن علي بن الهيثم عن عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفرعون ذو الأوتاد قال كانت ملاعب يلعب له تحتها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وفرعون ذو الأوتاد قال كان له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب له عليها * وقال آخرون بل قيل ذلك له كذلك لتعذيبه الناس بالأوتاد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله ذو الأوتاد قال كان يعذب الناس بالأوتاد يعذبهم بأربعة أوتاد ثم يرفع صخرة تمد بالحبال ثم تلقى عليه فتشدخه حدثت عن علي بن الهيثم عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال كان يعذب الناس بالأوتاد * وقال آخرون معنى ذلك ذو البنيان قالوا والبنيان هو الأوتاد ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربي عن جويبر عن الضحاك ذو الاوتاد قال ذو البنيان * وأشبه الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك الأوتاد إما لتعذيب الناس واما للعب كان يلعب له بها وذلك أن ذلك هو المعروف من معنى الأوتاد وثمود وقوم لوط وقد ذكرنا أخبار كل هؤلاء فيما مضى قبل من كتابنا هذا وأصحاب الأيكة يعني وأصحاب الغيضة وكان أبو عمرو بن العلاء فيما حدثت عن معمر بن المثنى عن أبي عمرو يقول الأيكة الحرجة من النبع والسدر وهو الملتف منه قال الشاعر

أفمن بكاء حمامة في أيكة * يرفض دمعك فوق ظهر المحمل

يعني محمل السيف ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأصحاب الأيكة قال كانوا أصحاب شجر قال وكان عامة شجرهم الدوم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله وأصحاب الأيكة قال أصحاب الغيضة وقوله أولئك الأحزاب يقول تعالى ذكره هؤلاء الجماعات المجتمعة والأحزاب المتحزبة على معاصي الله والكفر به الذين منهم يا محمد مشركو قومك وهم مسلوك بهم سبيلهم ان كل الا كذب الرسل يقول ما كل هؤلاء الا لم الا كذب رسل الله وهي في قراءة عبد الله كما ذكر لي ان كل لما كذب الرسل فحق عقاب يقول فوجب عليهم عقاب الله إياهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب قال هؤلاء كلهم قد كذبوا الرسل فحق عليهم العذاب ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا

عن الاذعان للحق وفي مخالفة الله ورسوله ومعنى بل ترك كلام والأخذ في كلام آخر ولئن سلم أنه للغاية الكلية فالكلام الأول هو كون محمد صلى الله عليه وسلم صادقا في تبليغ الرسالة أو كون القرآن أو هذه السورة معجزا والحكم المذكور بعد بل هو المعازة والمشاقة في كونه كذلك فحصل المطلوب ثم خوف الكفار بقوله (كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات) أي رفعوا أصواتهم بالدعاء والاستغاثة لأن نداء من نزل به العذاب لا يكون الا كذلك وعن الحسن فنادوا بالتوبة كقوله فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا وهذا قال ولات (حين مناص) أي لم يكن ذلك الوقت وقت فرار من العذاب أو حين نداء نجي قال سيبويه والخليل التاء في لات زائدة مثلها في ربت وثمت وهي المشبهة بليس وقد تغير حكمها بزيادة التاء حيث لا تدخل الا على الأحيان ولم يبرز الا اسمها أو خبرها وتقدير الآية ليس الحين حين مناص ولو رفع لكان تقديره وليس حين مناص حاصلا لهم وقال الأخفش انها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفي الأحيان كأنه قيل ولا حين مناص لهم وقيل أصل لات ليس قلبت الياء ألفا والسين تاء وقيل التاء قد تلحق بحين كقوله

العاطفون تحين ما من عاطف
والمطعمون زمان ما من مطعم

والى هذا ذهب أبو عبيدة وتأكد هذا الرأي عنده حين رأى التاء في المصحف متصلا بحين وضعف بعد تسليم أنه في الامام كذلك بأن خط المصحف غير مقيس عليه أما الوقف على لات فعند الكوفيين بالهاء قياسا على الأسماء وعند البصريين بالتاء قياسا على الأفعال والمناص مصدر ناص ينوص اذا هرب ونجا وفات قال ابن عباس

لما نزل بهم العذاب ببدر قالوا مناص أى اهربوا وخذوا حذركم فأنزل الله ولات حين مناص ثم حكى شر صنيعهم وسوء مقالتهم فى حق النبى صلى الله عليه وسلم قائلا (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) (٨٤) أى من جنس البشر ثم سجل عليهم بالكفر بوضع الظاهر موضع المضمر قائلا (وقال الكافرون هذا ساحر) فى اظهار خوارق العادات (كذاب) على الله وانما قيل فى سورة ق فقال الكافرون بالفاء لأن القول هناك شئ عجيب وهو نتيجة العجب فاتصل الكلامان لفظا ومعنى وأما ههنا فلم يتصل الا معنى (أجعل الآلهة) أى صيرها وحكم عليها بالوحدة (ان هذا لشئ عجاب) بليغ فى العجب يروى أنه لما أسلم عمر بن الخطاب شق ذلك على قريش وفرح المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة للملا من قريش وهم الأشراف والرؤساء امشوا الى أبى طالب فأتوه وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وانا أتيناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فدعا أبو طالب النبى صلى الله عليه وسلم وقال له يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألون السواء فلا تمل كل الميل على قومك فقال ماذا يسألونى فقالوا ارفضنا وارفض آلهتنا وندعك والهك فقال صلى الله عليه وسلم أتعطونى كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال له أبو جهل والله لنعطينكها وعشر أمثالها فقال صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله فنفروا من ذلك وقالوا أجعل الآلهة الها واحدا كيف يسع الخلق كلهم اله واحد فأنزل الله هذه الآيات يعنى من أول السورة الى قوله كذبت قبلهم (وانطلق الملأ منهم) أى نهضوا من ذلك المجلس و (أن) مفسرة أى (امشوا) من غير أن يتلفظوا به (واصبروا على) عبادة (آلهتكم) قال النحويون الانطلاق ههنا مضمن معنى القول لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا بد لهم من أن يتكلموا كان ويتفاوضوا فيما جرى لهم وقيل وانطلق الملأ منهم وقالوا لغيرهم امشوا وقيل انطلقوا بأن امشوا أى بهذا القول وليس المراد بالمشى السير

---

قبل يوم الحساب) يقول تعالى ذكره وما ينظر هؤلاء المشركون بالله من قريش الا صيحة واحدة يعنى بالصيحة الواحدة النفخة الاولى فى الصور ما لها من فواق يقول ما لتلك الصيحة من فيقة يعنى من فتور ولا انقطاع ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة يعنى أمة محمد ما لها من فواق حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربى عن اسمعيل بن رافع عن يزيد بن زياد عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لما فرغ من خلق السموات والارض خلق الصور فأعطاه اسرافيل فهو واضعه على فيه شاخص ببصره الى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة يا رسول الله وما الصور قال قرن قال كيف هو قال قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات نفخة الفزع الاولى والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله ويأمره الله فيديمها ويطولها فلا يفتر وهى التى يقول الله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق * واختلف أهل التأويل فى معنى قوله ما لها من فواق فقال بعضهم يعنى بذلك ما لتلك الصيحة من ارتداد ولا رجوع ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ما لها من فواق يقول من ترداد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ما لها من فواق يقول ما لها من رجعة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما لها من فواق قال من رجوع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما لها من فواق يعنى الساعة ما لها من رجوع ولا ارتداد * وقال آخرون بل معنى ذلك ما لهؤلاء المشركين بعد ذلك افاقة ولا رجوع الى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ما لها من فواق يقول ليس لهم بعدها افاقة ولا رجوع الى الدنيا وقال آخرون الصيحة فى هذا الموضع العذاب ومعنى الكلام ما ينتظر هؤلاء المشركون الا عذابا يهلكهم لا افاقة لهم منه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما لها من فواق قال ما ينتظرون الا صيحة واحدة ما لها من فواق يا لها من صيحة لا يفيقون فيها كما يفيق الذى يغشى عليه وكما يفيق المريض تهلكهم ليس لهم فيها افاقة * واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة من فواق بفتح الفاء وقرأته عامة أهل الكوفة من فواق بضم الفاء * واختلف أهل العربية فى معناها اذا قرئت بفتح الفاء وضمها فقال بعض البصريين منهم معناها اذا فتحت الفاء ما لها من راحة واذا ضممت جعلها فواق ناقة ما بين الحلبتين وكان بعض الكوفيين منهم يقول معنى الفتح والضم فيها واحد وانما هما لغتان مثل السواف والسواف وجمام المكوك وجمامه وقصاص الشعر وقصاصه * والصواب من القول فى ذلك أنهما لغتان وذلك أنا لم نجد أحدا من المتقدمين على اختلافهم فى قراءته يفرقون بين معنى الضم فيه والفتح ولو

انما المراد المضى على الأمر وقيل امشوا واتركوا محمدا صلى الله عليه وسلم وقيل هى من مشت الماشية اذا كثر نسلها مشاء ومنه الماشية للتفاؤل وفى تهذيب اللغة عن الأزهرى مشى الرجل اذا استغنى فيكون هذا دعاء لهم  بالبركة (ان هذا) الأمر وهو استعلاء محمد صلى الله عليه وسلم (لشئ يراد) أى حكم الله به فلا حيلة فى دفعه ولا ينفع الا الصبر أو انه لشئ من نوائب الدهر أريد بنا فلا نهكاك لنا منه أو ان دينكم لشئ يراد أن يؤخذ منكم وقيل ان عبادة الأصنام لشئ نريده ونحتاج اليه وقيل ان هذا الاستعلاء والترفع لشئ يريده كل أحد وكل ذى همة وقريب منه قول القفال ان هذه كلمة تذكر للتحذير والتخويف معناها انه ليس غرض محمد صلى الله عليه وسلم من هذا القول تقرير الدين ولكن غرضه أن يستولى علينا ويحكم فى أموالنا وأولادنا بما يريد (ما سمعنا بهذا) أى بقول محمد صلى الله عليه وسلم (فى الملة الآخرة) فيما أدركنا عليه آباءنا أو فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لأن النصارى مثلثة غير موحدة قال جار الله يجوز أن يكون التقدير ما سمعنا بهذا كائنا فى الملة الآخرة فيكون الظرف حالا من هذا لا متعلقا بسمعنا والمعنى أنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا الكهان أنه يحدث فى الملة الآخرة توحيد الله (ان هذا الا اختلاق) كذب اختلقه من عنده ثم أظهروا الحسد وما كان يغلى به صدورهم قائلين (أأنزل عليه الذكر من بيننا) وذلك أنهم ظنوا أن الشرف بالمال والجاه فقط نظيره فى القمر ألقى الذكر عليه من بيننا الا أنه استعمل هناك الالقاء لان أذكارهم كانت صحفا مكتوبة وألواحا مسطورة وقدم الظرف ههنا لشدة العناية ولزيادة غيظهم وحقهم فأجاب الله تعالى عن شبههم بقوله (بل هم فى شك من ذكرى) أى من دلائلى التى لو نظروا فيها لزال الشك عنهم فالقاطع لا يساوى المشكوك وقيل أراد أنهم لا يكذبونك ولكنهم جحدوا آياتى ثم قال (بل لما يذوقوا عذاب) أى لو ذاقوه لأقبلوا على أداء المأمورات والانتهاء عن المنهيات وقيل أراد

---

كان مختلف المعنى باختلاف الفتح فيه والضم لقد كانوا فرقوا بين ذلك فى المعنى فاذ كان ذلك كذلك فأى القراءتين قرأ القارئ فمصيب وأصل ذلك من قولهم أفاقت الناقة فهى تفيق افاقة وذلك اذا ردت ما بين (١) الرضعتين ولدها الى الرضعة الاخرى وذلك أن ترضع البهيمة أمها ثم تتركها حتى ينزل شئ من اللبن فتلك الافاقة يقال اذا اجتمع ذلك فى الضرع فيقة كما قال الاعشى

حتى اذا فيقة فى ضرعها اجتمعت * جاءت لترضع شق النفس أو رضعا

وقوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش يا ربنا عجل لنا كتبنا قبل يوم القيامة والقط فى كلام العرب الصحيفة المكتوبة ومنه قول الأعشى

ولا الملك النعمان يوم لقيته * بنعمته يعطى القطوط ويأفق

يعنى بالقطوط جمع القط وهى الكتب بالجوائز واختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أراد هؤلاء المشركون بمسألتهم ربهم تعجيل القط لهم فقال بعضهم انما سألوا ربهم تعجيل حظهم من العذاب الذى أعدّ لهم فى الآخرة فى الدنيا كما قال بعضهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ربنا عجل لنا قطنا يقول العذاب حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال سألوا الله أن يعجل لهم العذاب قبل يوم القيامة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله عجل لنا قطنا قال عذابنا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله عجل لنا قطنا قال عذابنا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب أى نصيبنا حظنا من العذاب قبل يوم القيامة قال قد قال ذلك أبو جهل اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فأمطر علينا حجارة من السماء الآية * وقال آخرون بل انما سألوا ربهم تعجيل أنصبائهم ومنازلهم من الجنة حتى يروها فيعلموا حقيقة ما يعدهم محمد صلى الله عليه وسلم فيؤمنوا حينئذ به ويصدقوه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله عجل لنا قطنا قالوا أرنا منازلنا فى الجنة حتى نتابعك * وقال آخرون مسألتهم نصيبهم من الجنة ولكنهم سألوا تعجيله لهم فى الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ثابت الحداد قال سمعت سعيد بن جبير يقول فى قوله عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب قال نصيبنا من الجنة * وقال آخرون بل سألوا ربهم تعجيل الرزق ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمر بن على قال ثنا أشعث السجستانى قال ثنا شعبة عن اسمعيل بن أبى خالد فى قوله عجل لنا قطنا قال رزقنا * وقال آخرون سألوا أن يعجل لهم كتبهم التى قال الله فأما من أوتى كتابه بيمينه وأما من أوتى كتابه بشماله فى الدنيا لينظروا أبأيمانهم يعطونها أم بشمائلهم ولينظروا من أهل الجنة هم أم من أهل

---

(١) لعله ردت ولدها ما بين الرضعة الى الرضعة الخ تأمل كتبه مصححه

النار قبل يوم القيامة استهزاء منهم بالقرآن وبوعد الله * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال ان القوم سألوا ربهم تعجيل صكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاء بوعيد الله وانما قلنا ان ذلك كذلك لأن القط هو ما وصفت من الكتب بالجوائز والحظوظ وقد أخبر الله عن هؤلاء المشركين أنهم سألوه تعجيل ذلك لهم ثم أتبع ذلك قوله لنبيه اصبر على ما يقولون فكان معلوما بذلك أن مسألتهم ما سألوا النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تكن على وجه الاستهزاء منهم لم يكن بالذي يتبع الامر بالصبر عليه ولكن لما كان ذلك استهزاء وكان فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم أذى أمره الله بالصبر عليه منهم حتى يأتيه قضاؤه فيهم ولما لم يكن في قوله عجل لنا قطنا بيان أي القطوط ارادتهم لم يكن لنا توجيه ذلك الى أنه معنى به القطوط ببعض معاني الخير أو الشر فلذلك قلنا ان مسألتهم كانت بما ذكرت من حظوظهم من الخير والشر ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم اصبر يا محمد على ما يقول مشركو قومك مما تكره قيلهم لك فانا ممتحنوك بالمكاره امتحاننا سائر رسلنا قبلك ثم جاعلو العلو والرفعة والظفر لك على من كذبك وشاقك سنتنا في الرسل الذين أرسلناهم الى عبادنا قبلك فمنهم عبدنا أيوب وداود بن ايشا فاذكره ذا الأيد ويعني بقوله ذا الأيد ذا القوة والبطش الشديد في ذات الله والصبر على طاعته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس داود ذا الأيد قال ذا القوة حدثني محمد بن عمرو قال ثني أبو عاصم قال ثني عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ذا الأيد قال ذا القوة في طاعة الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذكر عبدنا داود ذا الأيد قال أعطي قوة في العبادة وفقها في الاسلام وقد ذكر لنا أن داود صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل ويصوم نصف الدهر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله داود ذا الأيد ذا القوة في طاعة الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله داود ذا الأيد قال ذا القوة في عبادة الله الأيد القوة وقرأ والسماء بنيناها بأيد قال بقوة وقوله انه أواب يقول ان داود رجاع مما يكره الله الى ما يرضيه أواب وهو من قولهم آب الرجل الى أهله اذا رجع * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه أواب قال راجع عن الذنوب حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد انه أواب قال الراجع عن الذنوب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انه أواب أي كان مطيعا لله كثير الصلاة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله انه أواب قال المسبح حدثني يونس

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بالعذاب لو أصروا على الكفر ثم انهم اصروا ولم ينزل عليهم العذاب فصار ذلك سببا لشكهم في صدقه صلى الله عليه وسلم فلا جرم لا يزول ذلك الشك الا بنزول العذاب ثم أجاب عن شبهتهم بوجه آخر وهو قوله

(أم عندهم خزائن رحمة ربك) والمراد أن النبوة من جملة النعمة المخزونة عنده يعطيها من يشاء من عباده ثم خصص بعد التعميم قائلا (أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما) ولا ريب أن هذه الأشياء بعض خزائن الله واذا كانوا عاجزين عن البعض فعن الكل أولى ثم تهكم بهم بقوله (فليرتقوا) أي فان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق وقسمة الرحمة فليصعدوا في المعارج والطرق التي يتوسل بها الى المقصود وقيل أسباب السموات أبوابها والمعنى ان ادعوا ملك السموات وأنهم يعلمون ما يجري فيها فليرتقوا اليها قال بعض حكماء الاسلام في الأسباب اشارة الى أن الأجرام الفلكية وما أودع الله فيها من القوى والخواص أسباب حوادث العالم السفلي ثم حقر أمرهم بقوله (جند ما) وهو خبر مبتدا محذوف وما مزيدة للاستعظام جارية مجرى الصفة أي هم جند من الجنود ثم خصص الوصف بقوله (من الاحزاب) أي ما هم الا جند من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بهم قال قتادة هنالك اشارة الى يوم بدر وقيل يوم الخندق وقيل فتح مكة فان مكة هي الموضع الذي ذكروا فيه هذه الكلمات وقال أهل البيان هي اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم كقولك لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك ثم مثل حالهم بحال من قبلهم من الأمم المكذبة وقصصهم مذكورة مرارا والذي يختص بالمقام هو أنه وصف فرعون بذي الاوتاد فعن قتادة أنه قال كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب بها عنده وقال المبرد بنى أبنية طويلة صارت كالأوتاد لبقائها وقيل هي أوتاد أربعة كان يعذب الناس

بها على الارض أو على رؤس أخشاب أربعة وقيل أراد كثرة أوتاد خيام معسكره وقيل أراد أنه ذو جموع كثيرة فبالجمعية يشتد الملك كما يشتد البناء بالأوتاد وهذا قريب وقول أهل البيان ان أصل هذه الكلمة من ثبات  البيت المطنب بأوتاد ثم استعير لثبات العز والملك والمقصود على الوجوه كلها وصف فرعون بالشدة والقوة ونفاذ الامر ليعلم أنه تعالى أهلك من كان هذه صفته فكيف بمن هو دونه قال أبو البقاء قوله (أولئك الاحزاب) مبتدأ وخبر ويجوز أن يكون خبرا والمبتدأ من قوله وعاد أو من ثمود أو من قوم نوح قلت ويحتمل أن يكون الاحزاب صفة أولئك وأولئك بدلا من مجموع المعطوفات والمعطوف عليه قال جار الله قصد بهذه الاشارة الاعلام بأن هذه الأحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم وآباؤهم الذين وجد منهم التكذيب ولقد ذكر تكذيبهم أولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستئنافية أعنى قوله ان كل الا كذب الرسل فبين أن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل لأنهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم (فحق) أى ثبت أو وجب لذلك عقابى اياهم فى الدنيا ثم فى الآخرة وذلك قوله (وما ينظر هؤلاء) المذكورون وقيل أهل مكة (الا صيحة واحدة) وهى النفخة الاولى (مالها من) توقف مقدار (فواق) وهو بالفتح والضم زمان ما بين حلبتى الحالب عن النبى صلى الله عليه وسلم العيادة قدر فواق الناقة ومعنى الآية اذا جاء وقتها لم يمهل هذا القدر وقيل الفواق بالفتح الافاقة اى مالها من رجوع وترداد لان الواحدة تكفى أمرهم ومالها رجوع الى الحالة الاولى بل تبقى ممتدة الى أن يهلك كلهم واعلم أن القوم انما تعجبوا لشبهات ثلاث وقعت لهم أولاها فى الالهيات وهو قولهم أجعل الآلهة الها واحدا والثانية فى النبوات وهى قولهم أأنزل عليه الذكر من بيننا والثالثة تتعلق بالمعاد وهى قولهم ربنا عجل لنا قطنا وهو القطعة من الشئ لانه قطع منه من قطه اذا قطعه والقط أيضا صحيفة الجائزة ونحوها

قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انه أواب قال الأواب التواب الذى يؤب الى طاعة الله ويرجع اليها ذلك الأواب قال والأواب المطيع وقوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق يقول تعالى ذكره انا سخرنا الجبال يسبحن مع داود بالعشى وذلك من وقت العصر الى الليل والاشراق وذلك بالغداة وقت الضحى ذكر أن داود كان اذا سبح سبحت معه الجبال كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق يسبحن مع داود اذا سبح بالعشى والاشراق حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله بالعشى والاشراق قال حين تشرق الشمس وتضحى حدثنا أبو كريب قال ثنا محمد بن بشر عن مسعر بن عبد الكريم عن موسى بن أبى كثير عن ابن عباس أنه بلغه أن أم هانئ ذكرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة يقول الله يسبحن بالعشى والاشراق حدثنا ابن عبد الرحيم البرقى قال ثنا عمرو بن أبى سلمة قال ثنا صدقة قال ثنى سعيد ابن أبى عروبة عن أبى المتوكل عن أيوب بن صفوان عن عبد الله بن الحرث بن نوفل أن ابن عباس كان لا يصلى الضحى قال فأدخلته على أم هانئ فقلت أخبرى هذا بما أخبرتنى به فقالت أم هانئ دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح فى بيتى فأمر بماء فصب فى قصعة ثم أمر بثوب فأخذ بينى وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس وهو يقول لقد قرأت ما بين اللوحين ما عرفت صلاة الضحى الا الآن يسبحن بالعشى والاشراق وكنت أقول أين صلاة الاشراق ثم قال بعد هن صلاة الاشراق حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد بن أبى عروبة عن متوكل عن أيوب بن صفوان مولى عبد الله ابن الحرث عن عبد الله بن الحرث أن أم هانئ ابنة أبى طالب حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح دخل عليها ثم ذكر نحوه وعن ابن عباس فى قوله يسبحن بالعشى مثل ذلك وقوله والطير محشورة يقول تعالى ذكره وسخرنا الطير يسبحن معه محشورة بمعنى مجموعة له ذكر أنه صلى الله عليه وسلم كان اذا سبح أجابته الجبال واجتمعت اليه الطير فسبحت معه واجتماعها اليه كان حشرها وقد ذكرنا أقوال أهل التأويل فى معنى الحشر فيما مضى فكرهنا اعادته وكان قتادة يقول فى ذلك فى هذا الموضع ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والطير محشورة مسخرة وقوله كل له أواب يقول كل ذلك له مطيع رجاع الى طاعته وأمره ويعنى بالكل كل الطير ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كل له أواب أى مطيع حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والطير محشورة كل له أواب قال كل له مطيع * وقال آخرون معنى ذلك كل ذلك لله مسبح ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله والطير محشورة كل له أواب يقول مسبح لله وقوله وشددنا ملكه اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى به شد ملكه فقال بعضهم شد

لانها قطعة من القرطاس استعجلوا نصيبهم من العذاب الموعود أو من اللذات العاجلة أو من الجنة أو من صحيفة الاعمال كل ذلك استهزاء منهم فلذلك أمره بالصبر على ما يقولون  قال جار الله أراد اصبر على أذاهم وصن نفسك أن تزل فيما كلفت من مخابراتهم

(واذكر) أخاك (داود) كيف زل تلك الزلة اليسيرة فعوتب عليها ونسب الى البغي أواصبر وعظم أثر أمر معصية الله في أعينهم بذكر قصة داود وما أورثته زلته من البكاء الدائم والحزن الواصب وقال غيره اصبر على أذى قومك فانك مبتلى بذلك كما صبر سائر الانبياء على ما ابتلاهم به ثم عدهم وبدأ بداود وذلك أنه تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب فأوحى الله اليه أنهم وجدوها بالصبر على البلايا فسأل الابتلاء وفيه أن الدنيا لاتنفك من الهموم والأحزان واستحقاق الدرجات بقدر الصبر على البليات ثم ان مجامع ماذكر الله تعالى في قصة داود ثلاثة أنواع من الكلام الاول تفصيل ما آتاه الله تعالى من الفضائل الثاني شرح الواقعة التي وقعت له والثالث استخلاف الله تعالى اياه بعد ذلك والأول عشرة أصناف * أحدها ذكر نبينا صلى الله عليه وسلم اياه ليقتدي به في الصبر وسائر أصول الاخلاق * وثانيها تسميته بالعبد مضافا الى صيغة جمع التكلم للتعظيم والعبودية الصحيحة الجامعة لكمالات الممكنات كما سبق مرارا ويمكن أن يكون التلفظ بذكر اسمه العلم أيضا تشريفا له * وثالثها قوله ذا الايد أي ذا القوة في الحروب وعلى الطاعات وعن المعاصي وكان يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل ويحتمل أن يكون الياء محذوفا اكتفاء بالكسر فيكون جمع اليد بمعنى النعمة لأن الله تعالى أنعم عليه ما لم ينعم على غيره * رابعها قوله انه أواب أي رجاع في الامور كلها الى طاعة الله ومرضاته من آب يؤب * خامسها تسبيح الجبال معه وقوله يسبحن حال والاشراق وقت اضاءة الشمس وهو بعد شروقها عند الضحى عليه

ذلك بالجنود والرجال فكان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف أربعة آلاف ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله وشددنا ملكه قال كان يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف أربعة آلاف * وقال آخرون كان الذي شدد به ملكه أن أعطي هيبة من الناس له لقضية كان قضاها ذكر من قال ذلك حدثني ابن حرب قال ثنا موسى قال ثنا داود عن علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل استعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا عند داود النبي صلى الله عليه وسلم فقال المستعدي ان هذا اغتصبني بقرا لي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحده فسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأوحى الله الى داود في منامه أن يقتل الرجل الذي استعدى عليه فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت فأوحى الله الى داود في منامه مرة أخرى أن يقتل الرجل وأوحى الله اليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة من الله فأرسل داود الى الرجل ان الله قد أوحى الي أن أقتلك فقال الرجل تقتلني بغير بينة ولا تثبت فقال له داود نعم والله لأنفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لا تعجل علي حتى أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فبذلك قتلت فأمر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود وشدد به ملكه فهو قول الله وشددنا ملكه * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تبارك وتعالى أخبر أنه شد ملك داود ولم يحصر ذلك من تشديده على التشديد بالرجال والجنود دون الهيبة من الناس له ولا على هيبة الناس له دون الجنود وجائز أن يكون تشديده ذلك كان ببعض ما ذكرنا وجائز أن يكون كان بجميعها ولا قول أولى في ذلك بالصحة من قول الله اذ لم يحصر ذلك على بعض معاني التشديد خبر يجب التسليم له وقوله وآتيناه الحكمة اختلف أهل التأويل في معنى الحكمة في هذا الموضع فقال بعضهم عني بها النبوة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله وآتيناه الحكمة قال النبوة وقال آخرون عني بها أنه علم السنن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآتيناه الحكمة أي السنة وقد بينا معنى الحكمة في غير هذا الموضع بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقوله وفصل الخطاب اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم عني به أنه علم القضاء والفهم به ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال أعطي الفهم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس عن ليث عن مجاهد وفصل الخطاب قال اصابة القضاء وفهمه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وفصل الخطاب قال علم القضاء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال الخصومات التي يخاصم الناس اليه فصل ذلك الخطاب الكلام الفهم واصابة القضاء والبينات حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي حصين قال سمعت أبا عبد الرحمن يقول فصل الخطاب القضاء * وقال آخرون بل معنى ذلك وفصل الخطاب بتكليف المدعي البينة واليمين على المدعى

يقال شرقت الشمس ولما تشرق واستدل به ابن عباس على وجود صلاة الضحى في القرآن لما روى عن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الاشراق  قال ابن عباس وكانت صلاة يصليها داود عليه السلام ويحتمل أن يكون معنى الاشراق الدخول في وقت الشروق فيراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق فانه جاء انه * سادسها قوله والطير محشورة أي وسخرنا الطير مجموعة من كل ناحية قال ابن عباس كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقد مر ذكر هذه المعجزة في الأنبياء من سبا قال أهل البيان قوله محشورة في مقابلة قوله يسبحن ولكنه اختير الفعل في أحد الموضعين والاسم في الآخر لأنه أريد في الأول الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وحالا بعد حال حتى كأن السامع يتصورها بتلك الحالة وأما الحاشر فهو الله و حشر الطيور جملة واحدة أدل على القدرة له تعالى * سابعها قوله (كل له أواب) أي كل واحد من الجبال والطير لأجل تسبيح داود مسبح مرجع للتسبيح وقيل الضمير لله أي كل من داود والجبال والطير لله مسبح رجاع الى فعله مرة بعد مرة وهذا الوصف كالتأكيد للوصف الذي يتقدمه وهذا أخص لانه أدل على الواقعة * ثامنها قوله (وشددنا ملكه) أي قويناه بالجنود والأعوان وبسائر الأسباب فكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف حرس وزاد بعضهم فقال أربعون ألفا وقيل نصرناه بالهيبة وسببه أن غلاما ادعى على رجل بقرة فأنكر المدعى عليه ولطم الغلام لطمة فسأل داود من الغلام البينة فعجز فرأى داود في المنام أن الله تعالى يأمره أن يقتل المدعى عليه ويسلم البقرة الى الغلام فقال داود هذا منام فأتاه الوحي بذلك في اليقظة فأخبر بذلك بني اسرائيل فجزعوا وقالوا أتقتل رجلا بلطمة

عليه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبي هند قال ثني الشعبي أو غيره عن شريح أنه قال في قوله وفصل الخطاب قال بينة المدعي أو يمين المدعى عليه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن داود بن أبي هند في قوله وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال نبئت عن شريح أنه قال شاهدان أو يمين حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا معتمر قال سمعت داود قال بلغني أن شريحا قال فصل الخطاب الشاهدان على المدعي واليمين على المنكر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن طاوس أن شريحا قال لرجل ان هذا يعيب علي ما أعطى داود الشهود والايمان حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد ابن جعفر قال ثنا شعبة عن الحكم عن شريح أنه قال في هذه الآية وفصل الخطاب قال الشهود والأيمان حدثنا عمران بن موسى قال ثنا عبد الوارث قال ثنا داود عن الشعبي في قوله وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب قال يمين أو شاهد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وفصل الخطاب البينة على الطالب واليمين على المطلوب هذا فصل الخطاب * وقال آخرون بل هو قول أما بعد ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا جابر ابن نوح قال ثنا اسمعيل عن الشعبي في قوله وفصل الخطاب قال قول الرجل أما بعد * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه آتى داود صلوات الله عليه فصل الخطاب والفصل هو القطع والخطاب هو المخاطبة ومن قطع مخاطبة الرجل الرجل في حال احتكام أحدهما الى صاحبه قطع المحتكم اليه الحكم بين المحتكم اليه وخصمه بصواب من الحكم ومن قطع مخاطبته أيضا صاحبه الزام المخاطب في الحكم ما يجب عليه ان كان مدعيا فاقامة البينة على دعواه وان كان مدعى عليه فتكليفه اليمين ان طلب ذلك خصمه ومن قطع الخطاب أيضا الذي هو خطبة عند انقضاء قصة وابتداء في أخرى الفصل بينهما بأما بعد فاذ كان ذلك كله محتملا ظاهر الخبر ولم تكن في هذه الآية دلالة على أي ذلك المراد ولا ورد به خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثبت فالصواب أن يعم الخبر كما عمه الله فيقال أوتي داود فصل الخطاب في القضاء والمحاورة والخطب ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴿وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهل أتاك يا محمد نبأ الخصم وقيل انه عنى بالخصم في هذا الموضع ملكان وخرج في لفظ الواحد لأنه مصدر مثل الزور والسفر لا يثنى ولا يجمع ومنه قول لبيد

وخصم يعتنون الدخول كأنهم * قروم غيارى كل أزهر مصعب

وقوله اذ تسوروا المحراب يقول دخلوا عليه من غير باب المحراب والمحراب مقدم كل مجلس وبيت وأشرفه وقوله اذ دخلوا على داود فكرر اذ مرتين وكان بعض أهل العربية يقول في ذلك قد يكون معناهما كالواحد كقولك ضربتك اذ دخلت علي اذ اجترأت فيكون الدخول هو الاجتراء ويكون أن تجعل احداهما على مذهب لما فكأنه قال اذ تسوروا المحراب لما دخلوا قال وان شئت جعلت لما في الاول فاذا كان لما أولا وآخرا فهي بعد صاحبتها كما تقول اعطيته لما سألني

فقال داود هذا أمر الله فسكتوا ثم أحضر الرجل وأخبره ان الله أمره بقتله فقال الرجل صدقت يا نبي الله انى قتلت أباه غيلة وأخذت البقرة فقتله داود وعظمت هيبته واشتد ملكه (٩٠) وقالوا انه يقضى بالوحى من السماء * تاسعها قوله وآتيناه الحكمة وقد مر معناها مرارا

وأنها منحصرة فى قسمين الاول العلم بالتصورات الحقيقية والتصديقات اليقينية بمقتضى الطاقة البشرية والثانى العمل بالأخلاق الفاضلة المفضية الى السعادة الباقية وخصصها بعضهم بالعلم بالنبوة والفهم أو بالزبور والشرائع * عاشرها فصل الخطاب وهو القدرة على ضبط المعانى والتعبير عنها بأقصى الغايات حتى يكون كاملا مكملا فهما مفهما قال جار الله الفصل بمعنى المفصول ومعناه البين من الكلام الملخص الذى لا يلتبس ولا يختلط بغيره قلت ومن ذلك أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل كما ذكره فى الوقوف وعن على رضى الله عنه أنه قال البينة على المدعى واليمين على من أنكر فالفصل بمعنى الفاصل كالصوم والصحب ويندرج فيه جميع كلامه فى الأقضية والحكومات وتدابير الملك والمشورات يروى أنه سبحانه علق لأجله سلسلة من السماء وأمره أن يقضى بها بين الناس فمن كان على الحق يأخذ السلسلة ومن كان على الباطل لا يقدر على أخذها ثم ان رجلا غصب من آخر لؤلؤة وجعلها فى جوف عصاله ثم خاصمه المدعى الى داود فقال المدعى ان هذا أخذ منى لؤلؤة ولم يردها على وانى صادق فى مقالتى فجاء وأخذ السلسلة فتحير داود فى ذلك فرفعت السلسلة وأمره أن يقضى بالبينة واليمين وهو فصل الخطاب وقيل هو قوله أما بعد وهو أول من تكلم به وقيل هو أنه اذا تكلم فى الحكم فصل وكل هذه الاقوال تخصيصات من غير دليل والأقوى ما قدمناه ثم انه سبحانه لما مدحه بالوجوه العشرة أردفه بذكر واقعته فقال ابن

(وهل أتاك) يا محمد (نبأ الخصم) أى ما أتاك خبرهم وقد أتاك الآن وفائدة هذا الاستفهام التنبيه على جلالة القصة المستفهم عنها ليكون أدعى

---

فالسؤال قبل الاعطاء فى تقدمه وتأخره وقوله ففزع منهم يقول القائل وما كان وجه فزعه منهما وهما خصمان فان فزعه منهما كان لدخولهما عليه من غير الباب الذى منه كان المدخل عليه فراعه دخولهما كذلك عليه وقيل ان فزعه كان منهما لأنهما دخلا عليه ليلا فى غير وقت نظره بين الناس قالوا لا تخف يقول تعالى ذكره قال لهما الخصم لا تخف يا داود وذلك لما رأياه قد ارتاع من دخولهما عليه من غير الباب وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام منه وهو مرافع خصمان وذلك نحن وانما جاز ترك اظهار ذلك مع حاجة الخصمين الى المرافع لان قوله خصمان فعل للتكلم والعرب تضمر للتكلم والمكلم المخاطب ما يرفع أفعالهما ولا يكادون أن يفعلوا ذلك بغيرهما فيقولون للرجل يخاطبونه أمنطلق يا فلان ويقول المتكلم لصاحبه أحسن اليك وتجمل وانما يفعلون ذلك كذلك فى المتكلم والمكلم لأنهما حاضران يعرف السامع مراد المتكلم اذا حذف الاسم وأكثر ما يجىء ذلك فى الاستفهام وان كان جائزا فى غير الاستفهام فيقال أجالس راكب فمن ذلك قوله خصمان ومنه قول الشاعر

وقولا اذا جاوزتما أرض عامر * وجاوزتما الحيين (١) نهلا وخثعما
نزيعان من جرم بن زبان انهم * أبوا أن يميزوا فى الهزاهز أعجما

وقول الآخر

تقول ابنة الكعبى يوم لقيتها * أمنطلق فى الجيش أم متثاقل

ومنه قولهم محسنة فهيلى وقول النبى صلى الله عليه وسلم آئبون تائبون وقوله جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله كل ذلك بضمير رفعه وقوله عز وجل بغى بعضنا على بعض يقول تعدى أحدنا على صاحبه بغير حق فاحكم بيننا بالحق يقول فاقض بيننا بالعدل ولا تشطط يقول ولا تجر ولا تسرف فى حكمك بالميل منك مع أحدنا على صاحبه وفيه لغتان أشط وشط ومن الاشطاط قول الأحوص

ألا يا لقومى قد أشطت عواذلى * ويزعمن أن أودى بحق باطل

ومسموع من بعضهم شططت على فى السوم فأما فى البعد فان أكثر كلامهم شطت الدار فهى تشط كما قال الشاعر

تشط غدا دار جيراننا * وللدار بعد غد أبعد

وقوله واهدنا الى سواء الصراط يقول وأرشدنا الى قصد الطريق المستقيم ونحو الذى قلنا فى تأويل قوله ولا تشطط قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تشطط أى لا تمل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تشطط يقول لا تحف حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تشطط تخالف عن الحق وكالذى قلنا أيضا فى قوله واهدنا الى سواء الصراط قالوا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واهدنا الى سواء الصراط الى عدله وخيره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد

---

(١) لعله نهدا بالدال المهملة وحرر كتبه مصححه

الى الاصغاء لها وللناس فى هذه الواقعة ثلاثة أقوال أقواها تقريرها على وجه لا يدل على صدور ذنب عن نبى الله وثانيها التقرير على وجه يدل على صدور الصغيرة عن نبى الله وثالثها التقرير على وجه يدل على صدور الكبيرة عنه وأضعفها (٩١) التقرير على وجه يدل على الكبيرة و يختلف

ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى واهدنا الى سواء الصراط الى عدل القضاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واهدنا الى سواء الصراط قال الى الحق الذى هو الحق الطريق المستقيم ولا تشطط تذهب الى غيرها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه واهدنا الى سواء الصراط أى احملنا على الحق ولا تحالف بنا الى غيره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب ﴾ وهذا مثل ضربه الخصم المتسورون على داود محرابه له وذلك أن داود كانت له فيما قيل تسع وتسعون امرأة وكانت للرجل الذى أغزاه حتى قتل امرأة واحدة فلما قتل نكح فيما ذكروا امرأته فقال له أحدهما ان هذا أخى يقول أخى على دينى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب ابن منبه ان هذا أخى أى على دينى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة أنثى وذلك على سبيل توكيد العرب الكلمة كقولهم هذا رجل ذكر ولا يكادون أن يفعلوا ذلك الا فى المؤنث والمذكر الذى تذكيره وتأنيثه فى نفسه كالمرأة والرجل والناقة ولا يكادون أن يقولوا هذه دار أنثى وملحفة أنثى لان تأنيثها فى اسمها لا فى معناها وقيل عنى بقوله أنثى أنها حسنة ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة أنثى يعنى بتأنيثها حسنها وقوله فقال أكفلنيها يقول فقال لى انزل عنها لى وضمها الى كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أكفلنيها قال أعطنيها اطلقها لى أنكحها وخل سبيلها حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه فقال أكفلنيها أى احمنى عليها وقوله وعزنى فى الخطاب يقول وصار أعز منى فى مخاطبته اياى لأنه ان تكلم فهو أبين منى وان بطش كان أشد منى فقهرنى و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال قال عبد الله فى قوله وعزنى فى الخطاب قال ما زاد داود على أن قال انزل لى عنها حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن المسعودى عن المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ما زاد على أن قال انزل لى عنها وحدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنى أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله ما زاد داود على أن قال أكفلنيها حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وعزنى فى الخطاب قال ان دعوت ودعا كان أكثر وان بطشت و بطش كان أشد منى فذلك قوله وعزنى فى الخطاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وعزنى فى الخطاب أى ظلمنى وقهرنى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وعزنى فى الخطاب قال قهرنى وذلك العز قال والخطاب الكلام حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه وعزنى فى الخطاب أى قهرنى فى الخطاب وكان أقوى منى فما زال نعجتى الى نعاجه وتركنى لا شئ لى حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت

تفسير بعض الألفاظ بحسب اختلاف بعض المذاهب فلنفسر كلا منها على حدة وأما المشترك بين الأقوال فلا نفسره الا مرة القول الأول يروى أن جماعة من الأعداء طمعوا فى أن يقتلوا نبى الله داود وكان له يوم يخلو بنفسه و يشتغل بطاعة ربه فانتهضوا الفرصة فى ذلك وتسوروا المحراب أى تصعدوا غرفته من سوره وفى قوله اذ دخلوا عليه اشارة الى أنهم بعد التسور نزلوا عليه قال الفراء قد يجاء باذ مرتين و يكون معناهما كالواحد كقولك ضربتك اذ دخلت على اذا اجترأت على مع أنه يكون وقت الدخول ووقت الاجتراء واحدا وحين رآهم قد دخلا عليه لا من الطريق المعتاد علم أنهم انما دخلوا عليه للشر (ففزع منهم قالوا لا تخف خصمان) أى نحن خصمان والخصم فى الأصل مصدر فلهذا لم يجمعه أولا نظرا الى أصله وثناه ثانيا بتأويل شخصان أو فريقان خصمان و جمع الضمائر فى قوله اذ تسوروا اذ دخلوا ففزع منهم قالوا لا تخف بناء على أن أقل الجمع اثنان أو على أن صحب كل منهما من جملتهما والأول أظهر لأن القائلين كانا اثنين بالاتفاق (بغى بعضنا على بعض) أى بغى أحدنا على الآخر وتعدى حد العدالة ثم قرروا مقصودهم بثلاث عبارات متلازمة احداها (فاحكم بيننا بالحق) أى بالعدل الذى هو حكم الله فينا والثانية (ولا تشطط) وهو نهى عن الباطل بالزام الحق والشط البعد شط وأشط لغتان أرادوا لا تجر فالجور البعد عن الحق والثالثة (واهدنا الى سواء الصراط) أى وسطه وهو مثل لمحض الحق وصدقه وحين أخبروا عن وقوع الخصومة مجملا شرعوا فى التفصيل فقال أحدهما مشيرا الى الآخر (ان هذا) وقوله (أخى) أى فى الدين أو الخلطة أو النسب خبر أو بدل والخبر (له تسع وتسعون نعجة) وهى أنثى

من الضأن (ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها) أى ملكنيها فأكفلها كما أكفل ما تحت يدى (وعزنى فى الخطاب) اى غلبنى فى المخاطبة فكان تكلمه أبين وبطشه أشد (قال) داود (لقد ظلمك بسؤال) (٩٢) نعجتك) أضاف المصدر الى المفعول الثانى وحذف الفاعل والمفعول الأول أى بسؤاله اياك نعجتك وليس السؤال ههنا سؤال خضوع وتذلل وانما هو سؤال مطالبة ومعارضة والى متعلقة بفعل دل عليه السؤال تقديره بسؤال أى ليضمها الى نعاجه أو ضمن السؤال معنى الاضافة كأنه قيل باضافة نعجتك الى نعاجه على وجه الطلب (وان كثيرا من الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم واطلع بسبب ذلك بعضهم على أحوال البعض (ليبغى بعضهم على بعض) وقد تغلب الخلطة فى الماشية والشافعى يعتبرها فى باب الزكاة اذا اتحد الفحل والراعى والمراح والمسقى وموضع الحلب فان كانت للخليطين أربعون شاة ففيهما شاة وعند أبى حنيفة لاشئ عليهما وان كانت لأحدهما واحدة وللآخر تسع وتسعون ففى الاول أداء جزء من مائة جزء من شاة واحدة وعلى الآخر الباقى هذا عند الشافعى وعند أبى حنيفة لاشئ على ذى النعجة ثم بين أن أكثر الخلطاء موسوم بسمة الظلم الا المؤمنين وانهم لقليل ومافى قوله (وقليل ماهم) مزيدة للابهام وفيه تعجيب من قلتهم وقال ابن عيسى هى موصولة أى وقليل الذين هم كذلك قصد نبى الله بذكر حال الخلطاء فى هذا المقام الموعظة الحسنة والترغيب فى اختيار عادة الخلطاء الصلحاء لا التى عليها أكثرهم من الظلم والاعتداء وفيه تسلية للمظلوم عما جرى عليه من خليطه وان له فى أكثر الخلطاء أسوة (وظن داود أنما فتناه) أى ابتليناه وذلك أن القوم لما دخلوا عليه قاصدين قتله وانه كان سلطانا شديد القوة وقد فزع منهم ثم انه مع ذلك عفا عنهم دخل قلبه ان شئ من العجب فحمله على الابتلاء (فاستغفر ربه) من تلك الحالة (وأناب) الى الله واعترف بأن اقدامه على تلك الخلة لم يكن الا بتوفيق الله

الضحاك يقول فى قوله وعزنى فى الخطاب قال ان تكلم كان أبين منى وان بطش كان أشد منى وان دعا كان أكثر منى ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴾ قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب ﴾ يقول تعالى ذكره قال داود للخصم المتظلم من صاحبه لقد ظلمك صاحبك بسؤاله نعجتك الى نعاجه وهذا مما حذفت منه الهاء فأضيف بسقوط الهاء منه الى المفعول به ومثله قوله عز وجل لا يسأم الانسان من دعاء الخير والمعنى من دعائه بالخير فلما ألقيت الهاء من الدعاء أضيف الى الخير وألقى من الخير الباء وانما كنى بالنعجة هينا عن المرأة والعرب تفعل ذلك ومنه قول الاعشى

قد كنت رائدها وشاة محاذر * حذرا يقل بعينه اغفالها

يعنى بالشاة امرأة رجل يحذر الناس عليها وانما يعنى لقد ظلمك بسؤال امرأتك الواحدة الى التسع والتسعين من نسائه وقوله وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض يقول وان كثيرا من الشركاء ليتعدى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا بالله وعملوا الصالحات يقول وعملوا بطاعة الله وانتهوا الى أمره ونهيه ولم يتجاوزوه وقليل ماهم وفى ما التى فى قوله وقليل ماهم وجهان أحدهما أن تكون صلة بمعنى وقليل هم فيكون اثباتها واخراجها من الكلام لا يفسد معنى الكلام والآخر أن تكون اسما وهم صلة لها بمعنى وقليل ما تجدهم كما يقال قد كنت أحسبك أعقل مما أنت فتكون أنت صلتها والمعنى كنت أحسب عقلك أكثر مما هو فتكون ما والاسم مصدرا ولو لم ترد المصدر لكان الكلام بمن لان من التى تكون للناس وأشباههم ومحكى عن العرب قد كنت أراك أعقل منك مثل ذلك وقد كنت أرى أنه غير ما هو بمعنى كنت أراه على غير ما رأيت وروى عن ابن عباس فى ذلك ما حدثنى به على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله وقليل ماهم يقول وقليل الذين هم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم قال قليل من لا يبغى فعلى هذا التأويل الذى تأوله ابن عباس معنى الكلام الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل الذين هم كذلك بمعنى الذين لا يبغى بعضهم على بعض وما على هذا القول بمعنى من وقوله وظن داود أنما فتناه يقول وعلم داود أنما ابتليناه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وظن داود علم داود حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن وظن داود أنما فتناه قال ظن أنما ابتلى بذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وظن داود أنما فتناه اختبرناه والعرب توجه الظن اذا أدخلته على الاخبار كثيرا الى العلم الذى هو من غير وجه العيان وقوله فاستغفر ربه يقول فسأل داود ربه غفران ذنبه وخر راكعا يقول وخر ساجدا لله وأناب يقول ورجع الى رضا ربه وتاب من خطيئته * واختلف فى سبب البلاء الذى ابتلى به نبى الله داود صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم كان سبب ذلك أنه تذكر ما أعطى الله ابراهيم واسحق ويعقوب من حسن الثناء الباقى لهم فى الناس فتمنى مثله فقيل له انهم امتحنوا فصبروا فسأل أن يبتلى كالذى ابتلوا ويعطى كالذى أعطوا

(فغفرنا له ذلك) الخاطر أو لعله هم بايذاء القوم ثم تذكر أنه لم يدل دليل قاطع على أن هؤلاء قصدوا الشر فعفا عنهم ثم استغفر من تلك الهمة أو لعل القوم تابوا الى الله وطلبوا منه أن يستغفر الله لهم فاستغفر لاجلهم متضرعا  الى الله فغفر ذنبهم بسبب شفاعته ودعائه

ان هو صبر ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب قال ان داود قال يارب قد أعطيت ابراهيم واسحق ويعقوب من الذكر ما لو ددت أنك أعطيتني مثله قال الله اني ابتليتهم بما لم أبتلك به فان شئت ابتليتك بمثل ما ابتليتهم به وأعطيتك كما أعطيتهم قال نعم قال له فاعمل حتى أرى بلاءك فكان ما شاء الله أن يكون وطال ذلك عليه فكاد أن ينساه فبينا هو في محرابه اذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها فطارت الى كوة المحراب فذهب ليأخذها فطارت فاطلع من الكوة فرأى امرأة تغتسل فنزل نبي الله صلى الله عليه وسلم من المحراب فأرسل اليها فجاءته فسألها عن زوجها وعن شأنها فأخبرته أن زوجها غائب فكتب الى أمير تلك السرية أن يؤمره على السرايا ليهلك زوجها ففعل فكان يصاب أصحابه وينجو ورب ما نصروا وان الله عز وجل لما رأى الذي وقع فيه داود أراد أن يستنقذه فبينا داود ذات يوم في محرابه اذ تسور عليه الخصمان من قبل وجهه فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت وقال لقد استضعفت في ملكي حتى ان الناس يتسورون علي محرابي قالا له لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض ولم يكن لنا بد من أن نأتيك فاسمع منا قال أحدهما ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أنثى ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها يريد أن يتم بها مائة ويتركني ليس لي شئ وعزني في الخطاب قال ان دعوت ودعا كان أكثر وان بطشت وبطش كان أشد مني فذلك قوله وعزني في الخطاب قال له داود أنت كنت أحوج الى نعجتك منه لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه الى قوله وقليل ما هم ونسي نفسه صلى الله عليه وسلم فنظر الملكان أحدهما الى الآخر حين قال ذلك فتبسم أحدهما الى الآخر فرآه داود وظن أنما فتن فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب أربعين ليلة حتى نبتت الخضرة من دموع عينيه ثم شد الله له ملكه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب قال كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه ويوم يخلو فيه لنسائه وكان له تسع وتسعون امرأة وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان يحب فيه فضل ابراهيم واسحق ويعقوب فلما وجد ذلك فيما يقرأ من الكتب قال يارب ان الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأعطني مثل ما أعطيتهم وافعل بي مثل ما فعلت بهم قال فأوحى الله اليه ان آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ابتلي ابراهيم بذبح ابنه وابتلي اسحق بذهاب بصره وابتلي يعقوب بحزنه على يوسف وانك لم تبتل من ذلك بشئ قال يارب ابتلني بمثل ما ابتليتهم به وأعطني مثل ما أعطيتهم قال فأوحى اليه انك مبتلى فاحترس قال فمكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث اذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب حتى وقع عند رجليه وهو قائم يصلي فمد يده ليأخذه فتنحى فتباعد حتى وقع في كوة فذهب ليأخذه فطار من الكوة فنظر أين يقع فيبعث في أثره قال فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل الناس خلقا فحانت منها التفاتة فأبصرته فألقت شعرها فاستترت به قال فزاده ذلك فيها رغبة قال فسأل عنها فأخبر أن لها زوجا وأن زوجها غائب بمسلحة كذا وكذا قال فبعث الى صاحب المسلحة يأمره أن يبعث أحريا الى عدو كذا وكذا قال فبعثه ففتح له قال وكتب اليه بذلك قال فكتب اليه أيضا أن ابعثه الى عدو كذا

(و) معنى (خر راكعا) سقط ساجدا قال الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع أو المراد أنه خر للسجود مصليا لان الركوع قد يعبر به عن الصلاة ومذهب الشافعي أن هذا الموضع ليس فيه سجدة التلاوة لأنه توبة نبي فلا توجب على غيره سجدة التلاوة ولا تستحب أيضا ومذهب أبي حنيفة بخلافه وجوز مع ذلك أن يكون الركوع بدل السجود هذا تمام تقرير القول الاول ولا يرد عليه الا أن داود كان أرفع منزلة من أن يتسور عليه بعض آحاد الرعية في حال تعبده أو يتجاسر عليه بقوله لا تخف ولا تشطط وأنه كيف سارع الى تصديق أحد الخصمين على ظلم الآخر قبل استماع كلامه والأول استبعاد محض وأجيب عن الثاني بأنه ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه لكنه لم يذكر في القرآن ومما يؤيد هذا القول ختم ذكر الواقعة بقوله (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) والزلفى القربة والمآب الحسن الجنة قال مالك بن دينار اذا كان يوم القيامة يؤتى بمنبر رفيع ويوضع في الجنة يقال يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا وحاصل التفسير على هذا القول أن الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة بينهما على الحقيقة وكانا خليطين في الغنم أو كان الخلطة خلطة الصدقة أو الجوار وكان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من الحرائر والسراري والعرب تشبه المرأة بالنعجة والظبية والثاني معسرا ماله الا امرأة واحدة واستنزله عنها وكانت الانصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك كما كانوا يقاسمونهم أموالهم ومنازلهم وما كان ذنب داود الا خطرة أو همة * القول الثاني أن أهل زمان داود كان يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له

على امرأته فيتزوجها اذا أعجبته فاتفق ان نظر داود وقع على امرأة رجل يقال له اوريا فأحبها فسأله النزول عنها فاستحيا ففعل فتزوجها وهي أم سليمان فقيل له ان مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكثرة نسائك لم يكن لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول لك كان الواجب عليك مقابلة هواك والصبر على ما امتحنت به فقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثرته أهلها لو كان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وعلى هذا يجوز أن يكون الخطاب في قوله (وعزني في الخطاب) من الخطبة أي غالبني في خطبتها حيث زوجها دوني وعلى هذا القول يجوز أن يكون الخصمان من الانس كما مر وحين وافق حالهما حال داود تابه فاستغفر وأن يكونا ملكين بعثهما الله ليتنبه على خطئه فيتداركه بالاستغفار ويرد على هذا أن الملكين لو قالا نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فكذب والملائكة لا يكذبون ولا يأمرهم الله بالكذب والجواب أن التقدير ما تقول خصمان قالا بغى بعضنا على بعض أو أرادوا أرأيت لو كنا خصمين بغى بعضنا على بعض ألست تحكم بيننا ثم صوروا المسئلة ومثلوا قصته بقصة رجل له نعجة واحدة وخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة وحاجه في ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده وعن الحسن لم يكن لداود تسع وتسعون امرأة وانما هذا مثل * القول الثالث وهو المشهور عند الجمهور أن داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما لله عبادة ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما يجمع بني اسرائيل للوعظ والتذكير فجاءه الشيطان يوم العبادة والباب مغلق في صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن صغير له فطارت الى قريب منه وهكذا مرة ثانية في وثالثة الى أن وقعت في كوة فتبعها فوقع بصره على امرأة جميلة تغتسل فنقضت شعرها فغطى جسدها فوقع في نفسه منها ما شغله عن الصلاة

وكذا أشد منهم بأسا قال فبعثه ففتح له أيضا قال فكتب الى داود بذلك قال فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا فبعثه فقتل المرة الثالثة قال وتزوج امرأته قال فلما دخلت عليه قال لم تلبث عنده الا يسيرا حتى بعث الله ملكين في صورة انسيين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته فمنعهما الحرس أن يدخلا عليه فتسورا عليه المحراب قال فما شعر وهو يصلي الا وهما بين يديه جالسين قال ففزع منهما فقالا لا تخف انما نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط يقول لا تخف واهدنا الى سواء الصراط الى عدل القضاء قال فقال قصا علي قصتكما قال فقال أحدهما ان هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فيريد أن يأخذ نعجتي فيكملها تعاجه مائة قال فقال للآخر ما تقول فقال ان لي تسعا وتسعين نعجة ولأخي هذا نعجة واحدة فأنا أريد أن آخذها منه فأكملها تعاجي مائة قال وهو كاره قال وهو كاره قال وهو كاره قال اذا لا ندعك وذاك قال ما أنت على ذلك بقادر قال فان ذهبت تروم ذلك أو تريد ذلك ضربنا منك هذا وهذا وهذا وفسر أسباط طرف الأنف وأصل الأنف والجبهة قال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وهذا حيث لك تسع وتسعون نعجة امرأة ولم يكن لاهريا الا امرأة واحدة فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتله وتزوجت امرأته قال فنظر فلم ير شيأ فعرف ما قد وقع فيه وما قد ابتلي به قال فخر ساجدا قال فبكى قال فمكث يبكي ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة منها ثم يقع ساجدا يبكي ثم يدعو حتى نبت العشب من دموع عينيه قال فأوحى الله اليه بعد أربعين يوما يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك فقال يا رب كيف أعلم أنك قد غفرت لي وأنت حكم عدل لا تحيف في القضاء اذا جاءك اهريا يوم القيامة آخذا رأسه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه دما في قبل عرشك يقول يا رب سل هذا فيم قتلني قال فأوحى اليه اذا كان ذلك دعوت اهريا فأستوهبك منه فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة قال رب الآن علمت أنك قد غفرت لي قال فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياء من ربه حتى قبض صلى الله عليه وسلم **حدثني** علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال ثني عطاء الخراساني قال نقش داود خطيئته في كفه لكيلا ينساها فكان اذا رآها خفقت يده واضطربت * وقال آخرون بل كان ذلك لعارض كان عرض في نفسه من ظن أنه يطيق أن يتم يوما لا يصيب فيه حوبة فابتلي بالفتنة التي ابتلي بها في اليوم الذي طمع في نفسه باتمامه بغير إصابة ذنب ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطر عن الحسن ان داود جزأ الدهر أربعة أجزاء يوما لنسائه ويوما لعبادته ويوما لقضاء بني اسرائيل ويوما لبني اسرائيل يذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه فلما كان يوم بني اسرائيل قال ذكروا فقالوا هل يأتي على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وأكب على التوراة فبينما هو يقرؤها فاذا حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن قد وقعت بين يديه فأهوى اليها ليأخذها قال فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها قال فما زال يتبعها حتى اشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها قال فلما رأت ظله في الأرض جللت نفسها بشعرها فزاده ذلك أيضا اعجابا بها وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه فكتب اليه أن يسير الى مكان كذا وكذا مكان اذا سار اليه لم يرجع قال ففعل فأصيب فخطبها فتزوجها قال وقال قتادة بلغنا أنها أم سليمان قال فبينما هو

فنزل من محرابه ولبست المرأة ثيابها وخرجت الى بيتها فخرج داود حتى عرف بيتها وسألها من أنت فأخبرته فقال لها هل لك زوج فقالت نعم قال أين هو فقالت في جند كذا فرجع وكتب الى أمير جيشه اذا جاءك كتابي هذا  فقدم فلانا في أول التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر به مرة ثانية وثالثة حتى قتل فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فبعث الله اليه ملكين في صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه في يوم عبادته ومنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فلم يشعروا الا وهما بين يديه جالسان ففزع منهما وحين وجد قصتهما مطابقة لحاله علم أنه مبتلى من الله يروى أنهما قالا حينئذ حكم على نفسه وقيل ضحكا وغابا فعلم أن الله ابتلاه بذنبه ولا يخفى أن ذنبه بهذا التفسير والتقرير كبيرة لأنه يدل على الافراط في العشق وعلى السعي في قتل النفس المسلمة بغير حق فيروى أنه سجد أربعين ليلة لم يرفع رأسه الا للصلاة المكتوبة ولم يذق طعاما ولا شرابا حتى أوحى الله اليه أن ارفع رأسك فاني قد غفرت لك ويروى أن جبرائيل قال له اذهب الى أوريا وهو زوج المرأة واستحل منه فانك تسمع صوته موضع كذا فأتاه واستحل منه فقال أنت في حل قال فلما رجع قال له جبريل هل أخبرته بجرمك فقال لا قال فانك لم تعمل شيأ فارجع وأخبره بالذي صنعت فرجع داود فأخبره بذلك فقال أنا خصمك يوم القيامة فرجع مغتما وبكى أربعين يوما فأتاه جبريل وقال ان الله تعالى يقول أنا أستوهبك من عبدي فيهبك لي وأجزيه على ذلك أفضل الجزاء فسري عنه وكان حزينا في عمره باكيا على خطيئته وروى انه نقش خطيئته على كفه حتى لا ينساها والمحققون كعلي رضي الله عنه وابن عباس وابن مسعود وغيرهم ينكرون القصة على هذا الوجه روى سعيد بن المسيب والحرث بن الاعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه

---

في المحراب اذ تسور الملكان عليه وكان الخصمان اذا أتوه يأتونه من باب المحراب ففزع منهم حين تسوروا المحراب فقالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض حتى بلغ ولا تشطط أي لا تمل واهدنا الى سواء الصراط أي أعدله وخيره إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة وكان لداود تسع وتسعون امرأة ولي نعجة واحدة قال وانما كان للرجل امرأة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب أي ظلمني وقهرني فقال لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه الى قوله وقليل ماهم وظن داود فعلم داود أنما صمدله أي عنى به ذلك فخر راكعا وأناب قال وكان في حديث مطر أنه سجد أربعين ليلة حتى أوحى الله اليه اني قد غفرت لك قال رب كيف تغفر لي وأنت حكم عدل لا تظلم أحدا قال اني أقضيك له ثم أستوهبه دمك أو ذنبك ثم أثيبه حتى يرضى قال الآن طابت نفسي وعلمت أنك قد غفرت لي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه اليماني قال لما اجتمعت بنو اسرائيل على داود أنزل الله عليه الزبور وعلمه صنعة الحديد فألانه له وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه اذا سبح ولم يعط الله فيما يذكرون أحدا من خلقه مثل صوته كان اذا قرأ الزبور فيما يذكرون تدنو له الوحوش حتى يأخذ بأعناقها وانها لمصيخة تسمع لصوته وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج الا على أصناف صوته وكان شديد الاجتهاد دائب العبادة فأقام في بني اسرائيل يحكم فيهم بأمر الله نبيا مستخلفا وكان شديد الاجتهاد من الانبياء كثير البكاء ثم عرض من فتنة تلك المرأة ما عرض له وكان له محراب يتوحد فيه لتلاوة الزبور ولصلاته اذا صلى وكان أسفل منه جنينة لرجل من بني اسرائيل وكان عند ذلك الرجل المرأة التي أصاب داود فيها ما أصابه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن داود حين دخل محرابه ذلك اليوم قال لا يدخلن علي محرابي اليوم أحد حتى الليل ولا يشغلني شيء عما خلوت له حتى أمسي ودخل محرابه ونشر زبوره يقرؤه وفي المحراب كوة تطلعه على تلك الجنينة فبيناهو جالس يقرأ زبوره اذ أقبلت حمامة من ذهب حتى وقعت في الكوة فرفع رأسه فرآها فأعجبته ثم ذكر ما كان قال لا يشغله شيء عما دخل له فنكس رأسه وأقبل على زبوره فتصوبت الحمامة للبلاء والاختبار من الكوة فوقعت بين يديه فتناولها بيده فاستأخرت غير بعيد فاتبعها فنهضت الى الكوة فتناولها في الكوة فتصوبت الى الجنينة فأتبعها بصره أين تقع فاذا المرأة جالسة تغتسل بهيئة الله أعلم بها في الجمال والحسن والخلق فيزعمون أنها لما رأته نقضت رأسها فوارت به جسدها منه واختطفت قلبه ورجع الى زبوره ومجلسه وهي من شأنه لا يفارق قلبه ذكرها وتمادى به البلاء حتى أغزى زوجها ثم أمر صاحب جيشه فيما يزعم أهل الكتاب أن يقدم زوجها للهلاك حتى أصابه بعض ما أراد به من الهلاك ولداود تسع وتسعون امرأة فلما أصيب زوجها خطبها داود فنكحها فبعث الله اليه وهو في محرابه ملكين يختصمان اليه مثلا يضربه له ولصاحبه فلم يرع داود الا بهما واقفين على رأسه في محرابه فقال ما أدخلكما علي قالا لا تخف لم ندخل لبأس ولا لريبة خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط أي احملنا على الحق ولا تخالف بنا الى غيره قال الملك الذي يتكلم عن أوريا بن حنانيا زوج المرأة ان هذا أخي أي على ديني له تسع

قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء قلت لا يخفى ان الاحوط السكوت عنه لا يرجع الى طائل بل يحتمل أن يعود الى قائله (٩٦) لوم عاجل وعقاب آجل ومن الدلائل القوية التي اعتمد عليها فخر الدين الرازي في تضعيف هذه الرواية قوله سبحانه عقيب ذكر الواقعة (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) فمن البعيد جدا أن يوصف الرجل بكونه ساعيا في سفك دم أخيه المسلم بغير حق وبانتزاع زوجته منه ثم يقال انا فوضنا الخلافة اليه وعندي أن ذلك عليه لا له لقوله تعالى فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى الخ فكأنه قيل له انا جعلناك تخالف من تقدمك من الانبياء في الدعاء الى الله وفي سياسة المدن أو تخالفنا كما يقال السلطان ظل الله في الارض فالليائق بهذا المنصب السعي لاصلاح حال المسلمين وحفظ فروجهم ودمائهم وأموالهم لا السعي في تحصيل هوى النفس بأي وجه يمكن فان صاحبه المصر عليه ضال معرض عن اعداد الزاد ليوم المعاد يحكى عن بعض خلفاء بني مروان انه قال لعمر بن عبد العزيز أو الزهري هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة لا يجري عليه القلم ولا يكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الانبياء ثم تلا هذه الآية وحين تم واقعة داود ونصحه وما فرض عليه في شأن الاستخلاف أشار الى أن الأمور الدنيوية التابعة للحركات السماوية ليست واقعة على الجزاف وبمقتضى الطبائع ولكن لها غاية صحيحة فأجمل هذا المعنى أولا بقوله (وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك) الذي ذكر من خلق هذه الاشياء بلا غاية (ظن الذين كفروا) لأنهم بانكارهم في البعث جحدوا الجزاء الذي هو غاية التكليف (فويل للذين كفروا من النار) لأنهم بهذه العقيدة وقعوا في نار البعد والقطيعة فلم يستدلوا

وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها أي اجعلني عليها ثم عزني في الخطاب أي قهرني في الخطاب وكان أقوى مني هو وأعز فخاز نعجتي الى نعاجه وتركني لا شيء لي فغضب داود فنظر الى خصمه الذي لم يتكلم فقال لئن كان صدقني ما يقول لأضربن بين عينيك بالفأس ثم ارعوى داود فعرف أنه هو الذي يراد بما صنع في امرأة أوريا فوقع ساجدا تائبا منيبا باكيا فسجد أربعين صباحا صائما لا يأكل فيها ولا يشرب حتى أنبت دمعه الخضر تحت وجهه وحتى أندب السجود في لحم وجهه فتاب الله عليه وقبل منه ويزعمون أنه قال أي رب هذا غفرت ما جنيت في شأن المرأة فكيف بدم القتيل المظلوم قيل له يا داود فيما زعم أهل الكتاب أما ان ربك لم يظلمه بدمه ولكنه سيسأله اياك فيعطيه فيضعه عنك فلما فرج عن داود ما كان فيه رسم خطيئته في كفه اليمنى بطن راحته فما رفع الى فيه طعاما ولا شرابا قط الا بكى اذا رآها وما قام خطيبا في الناس قط الا نشر راحته فاستقبل بها الناس ليروا رسم خطيئته في يده حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد قال لما أصاب داود الخطيئة خر لله ساجدا أربعين يوما حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه ثم نادى رب قرح الجبين وجمدت العين وداود لم يرجع اليه في خطيئته شيء فنودي أجائع فتطعم أم مريض فتشفى أم مظلوم فينتصر لك قال فنحب نحبة هاج كل شيء كان نبت فعند ذلك غفر له وكانت خطيئته مكتوبة بكفه يقرؤها وكان يؤتى بالاناء ليشرب فلا يشرب الا ثلثه أو نصفه وكان يذكر خطيئته فينحب النحبة تكاد مفاصله تزول بعضها من بعض ثم ما يتم شرابه حتى يملأه من دموعه وكان يقال ان دمعة داود تعدل دمعة الخلائق ودمعة آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق قال فهو يجيء يوم القيامة خطيئته مكتوبة بكفه فيقول رب ذنبي ذنبي قدمني قال فيقدم فلا يأمن فيقول رب أخرني فيؤخر فلا يأمن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن لهيعة عن أبي صخر عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك سمعه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود النبي صلى الله عليه وسلم حين نظر الى المرأة فأهم قطع على بني اسرائيل فأوصى صاحب البعث فقال اذا حضر العدو فقرب فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به من قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة ونزل الملكان على داود يقصان عليه قصته ففطن داود فسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول في سجوده فلم أحص من الرقاشي الا هؤلاء الكلمات رب زل داود زلة أبعد ما بين المشرق والمغرب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلوف من بعده فجاءه جبرائيل صلى الله عليه وسلم من بعد الأربعين ليلة فقال يا داود ان الله قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود علمت أن الرب قادر على أن يغفر لي الهم الذي هممت به وقد عرفت أن الله عدل لا يميل فكيف بفلان اذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند داود فقال جبرائيل صلى الله عليه وسلم ما سألت ربك عن ذلك ولئن شئت لأفعلن فقال نعم فعرج جبريل وسجد داود فمكث ما شاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله ربك عز وجل يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فيقول فان لك

بالآفاق والأنفس على الصانع نظيره مامر في آخر آل عمران ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ثم صرح بالغاية قائلا (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الآية وأم منقطعة بمعنى بل والهمزة للانكار (٩٧) والمراد أنه لو بطل الجزاء كما زعموا لاستوت

في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضا **حدثني** علي بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا ابن جابر عن عطاء الخراساني أن كتاب صاحب البعث جاء ينعى من قتل فلما قرأ داود نعى رجل منهم رجع فلما انتهى الى اسم الرجل قال كتب الله على كل نفس الموت قال فلما انقضت عدتها خطبها ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ يعني تعالى ذكره بقوله فغفرنا له ذلك فعفونا عنه وصفحنا له عن أن نؤاخذه بخطيئته وذنبه ذلك وان له عندنا لزلفى يقول وان له عندنا للقربة منا يوم القيامة وبنحو الذي قلنا في قوله فغفرنا له ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فغفرنا له ذلك الذنب وقوله وحسن مآب يقول مرجع ومنقلب ينقلب اليه يوم القيامة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وحسن مآب أي حسن مصير **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله وحسن مآب قال حسن المنقلب وقوله يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض يقول تعالى ذكره وقلنا لداود يا داود انا استخلفناك في الأرض من بعد من كان قبلك من رسلنا حكما بين أهلها كما **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي انا جعلناك خليفة ملكه في الأرض فاحكم بين الناس بالحق يعني بالعدل والانصاف ولا تتبع الهوى يقول ولا تؤثر هواك في قضائك بينهم على الحق والعدل فيه فتجور عن الحق فيضلك عن سبيل الله يقول فيميل بك اتباعك هواك في قضائك على العدل والعمل بالحق عن طريق الله الذي جعله لأهل الايمان به فتكون من الهالكين بضلالك عن سبيل الله وقوله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب يقول تعالى ذكره ان الذين يميلون عن سبيل الله وذلك الحق الذي شرعه لعباده وأمرهم بالعمل به فيجورون عنه في الدنيا لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله يقول بما تركوا القضاء بالعدل والعمل بطاعة الله يوم الحساب من صلة العذاب الشديد وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن عكرمة في قوله عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب قال هذا من التقديم والتأخير يقول لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله بما نسوا يوم الحساب قال نسوا تركوا ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب﴾ يقول تعالى ذكره وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما عبثا ولعبا ما خلقناهما الا ليعمل فيهما بطاعتنا وينتهى الى أمرنا ونهينا ذلك ظن الذين كفروا يقول أي ظن أنا خلقنا ذلك باطلا ولعبا ظن الذين كفروا بالله فلم يوحدوه ولم يعرفوا عظمته وأنه لا ينبغي أن يعبث

حال الطائفتين المتقي المصلح للارض بتهذيب الأخلاق وتدبير المنزل والسياسة المدنية على وفق العقل والشرع والفاجر المفسد في الأرض بهدم النواميس وتتبع الشهوات وهتك الحرمات ومن سوى بينهم كان الى السفه أقرب منه الى الحكمة ولا ينافي هذا امكان التسوية من حيث المالكية وحين ذكر هذه المعاني اللطيفة والقواعد الشريفة من على رسوله بقوله (كتاب) أي هذا كتاب (أنزلناه اليك مبارك) كثير المنافع والفوائد (ليدبروا آياته) ليتأملوا فيها ويستنبطوا الأسرار والحقائق منها فمن حفظ حروفه وضيع حدوده كان مثله كمثل معلق اللؤلؤ والجواهر على الخنازير قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله يقال في وجه النظم ان العقلاء قالوا من ابتلي بخصم جاهل مصر متعصب وجب عليه أن يقطع الكلام معه ويخوض في كلام آخر أجنبي حتى اذا اشتغل خاطره بالكلام الأجنبي أدرج في أثنائه مقدمة مناسبة للمطلوب الاول فان ذلك المتعصب قد يسلم هذه المقدمة فاذا سلمها فحينئذ يتمسك بها في اثبات المطلوب الاول فيصير الخصم ساكتا مفحما واذا قد عرفت هذا فنقول ان الكفار قد بلغوا في انكار الحشر الى حيث قالوا على سبيل الاستهزاء ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب فقال تعالى يا محمد (اصبر على ما يقولون) واقطع الكلام معهم في هذه المسئلة

 واشرع في كلام آخر أجنبي في الظاهر وهو قصة داود الى قوله انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق فكل من سمع هذا قال نعم ما فعل حيث أمره بالحكم الحق كأنه قال أيها المكلف اني لا آمرك

مع أني رب العالمين الا بالحق فبهتا الخصم يقول نعم ما فعل حيث لم يقض الا بالحق فعند هذا يلتزم صحة القول بالحشر والا لزم التسوية بين من أصلح واتقى ومن أفسد وفجر وذلك ضد  الحكمة وحين ذكر هذه الطريقة الدقيقة فى الزام المنكرين والخامهم ووصف القرآن بالبركة والافادة والارشاد لان هذه اللطائف لا تستفاد الا منه وبعد تتميم قصة داود شرع فى قصة ابنه سليمن ومدحه بقوله (نعم العبد) أى هو لخذف المخصوص للعلم به وفى قوله (انه أواب) كما مر فى قصة داود اشارة الى أنه كان شبيها بالأب فى الفضيلة والكمال فلذلك استويا فى جهة المدح وفى القصة واقعتان يمكن تقرير كل منهما كما فى واقعة أبيه على وجه لا يقدح فى العصمة وهو المختار عند المحققين وعلى وجه دون ذلك وهو الأشهر فلنفسر كلا منهما بالوجهين بتوفيق الله تعالى أما الأول من الواقعة الأولى فقوله (اذ عرض عليه بالعشى الصافنات) وهى جمع صافن وهو الذى يقوم على ثلاث قوائم وعلى طرف الرابعة وهو نعت جيد للخيل قيل الصافن الذى يجمع بين يديه وفى الحديث من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار أى واقفين مثل خدم الجبابرة و(الجياد) جمع جواد وهو جيد الجرى يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها على أحسن الأشكال واذا أجريت كانت سراعا فى جريها فاذا طلبت لحقت واذا طلبت لم تلحق يروى أن رباط الخيل كان مندوبا فى شرعهم كما فى شرعنا ثم ان سليمن سلام الله عليه احتاج الى الغزو فجلس بعد صلاة الظهر على كرسيه وأمر باحضار الخيل وذكر أنى لا أحبها لأجل الدنيا وحظ النفس وانما أحبها لأمر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله (انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى) سمى الخيل خيرا لتعلق الخير بها كما جاء فى الحديث الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة أى آثرت حب الخير ولزمته لأن ربى أمرنى بارتباطها ولم يصدر حب هذه المحبة الشديدة الا عن ذكر الله فيتيقنوا بذلك أنه لا يخلق شيأ باطلا فويل للذين كفروا من النار يعنى من نار جهنم وقوله أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض يقول أنجعل الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمر الله به وانتهوا عما نهاهم عنه كالمفسدين فى الأرض يقول كالذين يشركون بالله ويعصونه ويخالفون أمره ونهيه أم نجعل المتقين يقول الذين اتقوا الله بطاعته وراقبوه فحذروا معاصيه كالفجار يعنى كالكفار المنتهكين حرمات الله وقوله كتاب أنزلناه اليك يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القرآن كتاب أنزلناه اليك يا محمد مبارك ليدبروا آياته يقول ليتدبروا حجج الله التى فيه وما شرع فيه من شرائعه فيتعظوا ويعملوا به واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة القراء ليدبروا بالياء يعنى ليتدبر هذا القرآن من أرسلناك اليه من قومك يا محمد وقرأه أبو جعفر وعاصم لتدبروا آياته بالتاء بمعنى لتتدبره أنت يا محمد وأتباعك * وأولى القراءتين عندنا بالصواب فى ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وليتذكر أولوا الألباب يقول وليعتبر أولوا العقول والحجى ما فى هذا الكتاب من الآيات فيرتدعوا عما هم عليه مقيمون من الضلالة وينتهوا الى ما دلهم عليه من الرشاد وسبيل الصواب وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله أولوا الألباب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أولوا الألباب قال أولوا العقول من الناس وقد بينا ذلك فيما مضى قبل بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ووهبنا لداود سليمن نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق ﴾ يقول تعالى ذكره ووهبنا لداود سليمن ابنه ولدا نعم العبد يقول نعم العبد سليمن انه أواب يقول انه رجاع الى طاعة الله تواب اليه مما يكرهه منه وقيل انه عنى به أنه كثير الذكر لله والطاعة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس نعم العبد انه أواب قال الاواب المسبح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة نعم العبد انه أواب قال كان مطيعا لله كثير الصلاة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله نعم العبد انه أواب قال المسبح والمسبح قد يكون فى الصلاة والذكر وقد بينا معنى الأواب وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه فيما مضى بما أغنى عن اعادته ههنا وقوله اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد يقول تعالى ذكره انه تواب الى الله من خطيئته التى أخطأها اذ عرض عليه بالعشى الصافنات فاذ من صلة أواب والصافنات جمع الصافن من الخيل والانثى صافنة والصافن منها عند بعض العرب الذى يجمع بين يديه ويثنى طرف سنبك احدى رجليه وعند آخرين الذى يجمع يديه وزعم الفراء أن الصافن هو القائم يقال منه صفنت الخيل تصفن صفونا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله الصافنات الجياد قال صفون الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على طرف الحافر حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح

وأمره والضمير فى قوله حتى توارت للخيل أى مازالت تعرض عليه ويأمر باعدائها وسيرها الى أن غابت عن بصره ثم قال ردوها على أى أمر الرائضين بأن يردوا الخيل عليه فلما عادت عليه طفق يمسح مسحا بسوقها  وأعناقها تشريفا لها واظهارا لعزتها لكونها من أعظم الاعوان فى دفع العدو أولأنه كان أعلم بأحوال الخيل وأمراضها وعيوبها أوأراد اظهار أنه بلغ فى اختبار أمور المملكة الى حيث يباشر أكثر الامور بنفسه وقيل مسح الغبار عن أعناقها وسوقها بيده وقيل وسم أعناقهن وأرجلهن فجعلهن فى سبيل الله «وأما الوجه الآخر فى هذه الواقعة فما روى أن سليمن غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وكان أبوه أصابها من العمالقة وقيل أخرجها الشياطين من مرج من المروج أو من البحر وكانت ذوات أجنحة فقعد يوما بعد الظهر واستعرضها فلم يزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وذلك قوله (حتى توارت) أى الشمس بدليل ذكر العشى (بالحجاب) حجاب الافق وقيل حتى توارت الخيل بحجاب الليل وغفل عن العصر أوعن ورد من الذكر كان له وقت العشى فقال انى أحببت حب الخير وهو متضمن معنى فعل يتعدى بعن أى أنبت حب الخير عن ذكر ربى وجعلت حبها مغنيا عن ذكر ربى فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها تقربا الله وذلك قوله فطفق مسحا قال جار الله أى يمسح بالسيف سوقها وأعناقها فقلب لأمن الالباس كقولهم عرضت الناقة على الحوض قال الراوى قربها الا مائة فما فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وحين عقرها أبدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بأمره وقيل

نجيح عن مجاهد صفن الفرس رفع احدى يديه حتى يكون على طرف الحافر **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد يعنى الخيل وصفونها قيامها وبسطها قوائمها **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى الصافنات قال الخيل **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الصافنات الجياد قال الخيل أخرجها الشيطان لسليمن من مرج من مروج البحر قال الخيل والبغال والحمير تصفن والصفن أن تقوم على ثلاث وترفع رجلا واحدة حتى يكون طرف الحافر على الارض **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الصافنات الخيل وكانت لها أجنحة وأما الجياد فانها السراع واحدها جواد كما **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد الجياد قال السراع وذكر أنها كانت عشرين فرسا ذوات أجنحة ذكر الخبر بذلك **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن أبيه عن ابراهيم التيمى فى قوله اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد قال كانت عشرين فرسا ذات أجنحة وقوله فقال انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب وفى هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه من ذكره فلهى عن الصلاة حتى فاتته فقال انى أحببت حب الخير ويعنى بقوله فقال انى احببت حب الخير أى أحببت حبا للخير ثم أضيف الحب الى الخير وعنى بالخير فى هذا الموضع الخيل والعرب فيما بلغنى تسمى الخيل الخير والمال أيضا يسمونه الخير وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فقال انى أحببت حب الخير أى المال والخيل أوالخير من المال **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى قال انى أحببت حب الخير قال الخيل **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله انى أحببت حب الخير قال المال وقوله عن ذكر ربى يقول انى أحببت حب الخير حتى سهوت عن ذكر ربى وأداء فريضته وقيل ان ذلك كان صلاة العصر وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن ذكر ربى عن صلاة العصر **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى عن ذكر ربى قال صلاة العصر **حدثنا** محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا أبو زرعة قال ثنا حيوة بن شريح قال ثنا أبو صخر أنه سمع أبا معاوية البجلى من أهل الكوفة يقول سمعت أبا الصهباء البكرى يقول سألت على بن أبى طالب عن الصلاة الوسطى فقال هى العصر وهى التى فتن بها سليمن بن داود وقوله حتى توارت بالحجاب يقول حتى توارت الشمس بالحجاب يعنى تغيبت فى مغيبها كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ميكائيل عن داود بن أبى هند قال قال ابن مسعود فى قوله انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب قال توارت الشمس من وراء ياقوتة خضراء فخضرة السماء منها **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى توارت بالحجاب حتى دلكت براح قال قتادة فوالله ما نازعته بنو اسرائيل ولا كابروه ولكن ولوه من ذلك ما ولاه الله **حدثنا** محمد بن الحسين

الضمير فى ردوها للشمس والخطاب للملائكة تضرع الى الله فرد الله عليه الشمس فصلى العصر ومحل القدح فى هذه الرواية هو نسبة سليمن الى حب الدنيا حتى غفل عن الصلاة وضم بعضهم الى ذلك أن قطع أعناق الخيل وعرقبة أرجلها منهى عنه وقد روى عن النبى

صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن ذبح الحيوان الا لما كله وأجيب بأنه فعل ذلك لأنها منعته عن الصلاة أولانه ذبحها للفقراء والمساكين قال الزجاج لم يفعل ذلك الا وقد أباحه الله له (١٠٠) وما أباح الله فليس بمنهى قال الامام فخر الدين الرازى ان الكفار لما بلغوا فى الايذاء والسفاهة الى حيث قالوا ربنا عجل لنا قطنا قال تنبيها صبر يا محمد على ما يقولون واذكر عبدنا داود ثم ذكر عقيبه قصة سليمن وهذا الكلام انما يكون لائقا لو قلنا ان سليمن أتى فى هذه القصة بالأعمال الناضلة والأخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله وأعرض عن الشهوات فأما لو كان المقصود أنه أقدم على الكبيرة لم يكن ذكره مناسبا لهذا تمام الكلام فى الواقعة الاولى وأما الثانية واليها الاشارة بقوله (ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا) فالمحققون يروونه على وجوه * أحدها أن سليمن ولد له ابن بعد أن ملك عشرين سنة فقالت الشياطين ان عاش لم نتخلص من البلاء والتسخير فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم بذلك سليمن فأمر انسحاب أن يحفظه و يغذوه خوفا من مضرة الشياطين فما راعه الا ألقى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه فى أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وأناب * وثانيها روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن سليمن قال ذات ليلة لأطوفن الليلة على سبعين امرأة وفى رواية على مائة وفى رواية على ألف كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم تحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعين فذلك قوله ولقد فتنا سليمان * وثالثها قال أبو مسلم مرض سليمن مرضا شديدا امتحنه الله به حتى صار جسدا على كرسيه ملقى كما جاء فى الحديث لحم على وضم كرسيه وجسد بلا روح لأن الجسد يطلق فى الاكثر على ما لا روح له (ثم أناب) أى رجع الى حالة الصحة والمشهور عند الجمهور أن الجسد الملقى

قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى حتى توارت بالحجاب حتى غابت وقوله ردوها على يقول ردوا على الخيل التى عرضت على فشغلتنى عن الصلاة فكروها على كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ردوها على قال الخيل وقوله فطفق مسحا بالسوق والأعناق يقول فجعل يمسح منها السوق وهى جمع الساق والأعناق واختلف أهل التأويل فى معنى مسح سليمن بسوق هذه الخيل الجياد وأعناقها فقال بعضهم معنى ذلك أنه عقرها وضرب أعناقها من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فطفق مسحا بالسوق والأعناق قال قال الحسن قال لا والله لا تشغلينى عن عبادة ربى آخرما عليك قال قولها فيه يعنى قتادة والحسن قال فكسف عراقيبها وضرب أعناقها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فطفق مسحا بالسوق والأعناق فضرب سوقها وأعناقها حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف عن الحسن قال أمر بها فعقرت * وقال آخرون بل جعل يمسح أعرافها وعراقيبها بيده حبا لها ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله فطفق مسحا بالسوق والأعناق يقول جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبا لها وهذا القول الذى ذكرناه عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية لأن نبى الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ان شاء الله ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر اليها ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر اليها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد ابتلينا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا شيطانا متمثلا بانسان ذكر وان اسمه صخر وقيل ان اسمه آصف وقيل ان اسمه آصر وقيل ان اسمه حبقيق ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وألقينا على كرسيه جسدا قال هو صخر الجنى تمثل على كرسيه جسدا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال الجسد الشيطان الذى كان دفع اليه سليمن خاتمه فقذفه فى البحر وكان ملك سليمن فى خاتمه وكان اسم الجنى صخرا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا مبارك عن الحسن وألقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير وألقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وألقينا على كرسيه جسدا قال شيطانا يقال له آصر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله على كرسيه جسدا قال شيطانا يقال له آصف فقال له سليمن كيف تفتنون الناس قال أرنى خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه آصف فى البحر فساح سليمن وذهب ملكه وقعد آصف على

على كرسيه كان شيطانا جلس على سرير ملكه أربعين يوما وذلك أن ملكه كان فى خاتمه فأخذ شيطانا يقال له آصف وقال كيف تفتنون الناس قال أرنى خاتمك أخبرك فلما أعطاه اياه نبذه آصف فى البحر فذهب ملكه (١٠١) وقعد آصف على كرسيه وعن على رضى الله

كرسيه ومنعه الله نساء سليمن فلم يقربهن وأنكرنه قال فكان سليمن يستطعم فيقول أتعرفونى أطعمونى أنا سليمن فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا يطيب بطنه فوجد خاتمه فى بطنه فرجع اليه ملكه وفرّ آصف فدخل البحر فارّا حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بنحوه غير أنه قال فى حديثه فيقول لو تعرفونى أطعمتمونى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد فتنا سليمن وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال حدثنا قتادة أن سليمن أمر ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له ان شيطانا فى البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت عين فى البحر يردها فى كل سبعة أيام مرة فتزح ماؤها وجعل فيها خمرا فجاء يوم وروده فاذا هو بالخمر فقال انك لشراب طيب الا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا قال ثم رجع حتى عطش عطشا شديدا ثم أتاها فقال انك لشراب طيب الا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه فذل قال فكان ملكه فى خاتمه فأتى به سليمن فقال انا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمع فيه صوت حديد قال فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى الى بيضه فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة فكان سليمن اذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخلها بخاتمه فانطلق يوما الى الحمام وذلك الشيطان صخر معه وذلك عند مقارفة ذنب قارف فيه بعض نسائه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه فى البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمن منه وألقى على الشيطان شبه سليمن قال فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمن كله غير نسائه قال فجعل يقضى بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبى الله وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب فى القوة فقال والله لأجربنه قال فقال له يا نبى الله وهو لا يرى الا أنه نبى الله أحدثنا تصيبه الجنابة فى الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال لا قال فبينا هو كذلك أربعين ليلة حتى وجد نبى الله خاتمه فى بطن سمكة فأقبل فجعل لا يستقبله جنى ولا طير الا سجد له حتى انتهى اليهم وألقينا على كرسيه جسدا قال هو الشيطان صخر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولقد فتنا سليمن قال لقد ابتلينا وألقينا على كرسيه جسدا قال الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوما قال كان لسليمن مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى آثر نسائه عنده وآمنهن عنده وكان اذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الأيام فقالت ان أخى بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضى له اذا جاءك فقال لها نعم ولم يفعل فابتلى وأعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان فى صورته فقال لها هاتى الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمن وخرج سليمن بعد فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل قال لا وخرج مكانه تائها قال ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بنى اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فقالوا انا قد أنكرنا

عنه أنه قال بينا سليمن جالس على شاطئ البحر وهو يعبث بخاتمه اذ سقط فى البحر وقيل انه وطئ امرأة فى الحيض فذلك ذنبه وقال فى الكشاف وغيره حكوا أن سليمن بلغه خبر صيدون وهى مدينة فى بعض الجزائر وأن بها ملكا عظيم الشأن فخرج اليه تحمله الريح حتى أناخ بها جنوده من الجن والانس فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون لها كعادتهن فى ملكه فأخبر آصف سليمن بذلك فكسر الصورة وكانت له أم ولد يقال لها أمينة اذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها فوضعه عندها يوما فأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذى دل سليمن على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمن فقال يا أمينة أعطينى خاتمى فنختم به وجلس على كرسى سليمن وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمن عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف واذا قال أنا سليمن حثوا عليه التراب وسبوه فمكث على ذلك أربعين يوما عدد ما عبد الوثن فى بيته وكان ذلك الشيطان يقضى بين الناس ويتمكن من جميع ملكه الا نساءه وقيل من جميع ملكه ونسائه وما يدع امرأة فى دمها ولا يغتسل من جنابة فلما أراد الله أن يرد الملك اليه أنكر علماء بنى اسرائيل قضية قضاها الشيطان فاحضروا التوراة فلما قرؤها طار الشيطان وألقى الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة

فصادها صائد ووهبها لسليمن وأعطاها على أجرة عمله يوما فأخرج من بطنها الخاتم (ثم أناب) أى رجع على ملكه أوناب ووقع ساجدا ثم ان سليمن ظفر بالشيطان فجعله فى تابوت وسده بالنحاس وألقاه فى البحر والعلماء المتقنون أبوا قبول هذه الرواية وقالوا انها من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل والا ارتفع الأمان عن الشرائع والاديان وكيف يسلطهم الله على آحاد عباده فضلا عن أنبيائه حتى يغيروا أحكامهم ويفجروا بنسائهم وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع والسجود للصورة اذا كان بغير اذنه فلا عتب عليه وحكى الثعلبى هذه القصة بوجه أقرب الى القبول وهو أن سليمن لما افتتن بأخذ التمثال فى بيته سقط الخاتم من يده فأخذه سليمن فأعاده الى يده فسقط فلما رآه لا يثبت فى اليد أيقن بالفتنة فقال له آصف انك لمفتون فتب الى الله واشتغل بالعبادة وأنا أقوم مقامك الى أن يتوب الله عليك فقام آصف فى ملكه أربعة عشر يوما وهو الجسد الذى ألقى على كرسيه فرد الله اليه ملكه وأثبت الخاتم فى يده وعن سعيد بن المسيب أن سليمن احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه ياسليمن أحتجبت عن عبادى وما أنصفت مظلوما عن ظالم ثم ذكر القصة وأخذ الشيطان الخاتم ورجوعه اليه ثم حكى الله تعالى أن سليمن قال (رب اغفرلى وهب لى ملكا) قدم المغفرة على طلب الملك كما هو دأب الصالحين تقديما لامر الدين على أمر الدنيا ولان الاستغفار يجر الرزق فان الانسان قلما ينفك عن ترك الاولى فاذا زال عنه شؤم ذلك ببركة الاستغفار انفتح عليه أبواب الخيرات والذين حملوا الفتنة على صدور الذنب عنه فوجوب الاستغفار عندهم واضح وحملوا قوله (لا ينبغى لأحد من بعدى) على أنه سأل ملكا لا يقدر يقول الشيطان على أن يقوم مقامه والأولون ذهبوا الى أنه لم يقل ذلك حسدا وانما قصد به أن يكون معجزة له ومن شرط المعجز أن لا يقدر غيره

هذا فان كان سليمن تقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأخذوا به ثم نشروا التوراة فقرؤا قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر قال وأقبل سليمن فى حاله التى كان فيها حتى انتهى الى صياد من صيادى البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم قال انى أنا سليمن فقام اليه بعضهم فضربه بعصا فشجه فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته قال انه زعم أنه سليمن قال فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم ولم يشغله ما كان به من الضر حتى قام الى شط البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه فى بطن احداهما فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمن فقام القوم يعتذرون مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم كان هذا الأمر لا بد منه قال فجاء حتى أتى ملكه فأرسل الى الشيطان فجىء به وسخر له الريح والشياطين يومئذ ولم تكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى انك أنت الوهاب قال وبعث الى الشيطان فأتى به فأمر به فجعل فى صندوق من حديد ثم أطبق عليه فأقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقى فى البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حبقيق وقوله ثم أناب سليمن فرجع الى ملكه من بعد ما زال عنه ملكه فذهب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثت عن المحاربى عن عبد الرحمن عن جويبر عن الضحاك فى قوله ثم أناب قال دخل سليمن على امرأة تبيع السمك فاشترى منها سمكة فشق بطنها فوجد خاتمه فجعل لا يمر على شجر ولا حجر ولا شئ الا سجد له حتى أتى ملكه وأهله فذلك قوله ثم أناب يقول ثم رجع حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم أناب وأقبل يعنى سليمن قوله قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى يقول تعالى ذكره قال سليمن راغبا الى ربه رب استر على ذنبى الذى أذنبت بينى وبينك فلا تعاقبنى به وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى لا يسلبنيه أحدكما سلبنيه قبل هذه الشيطان وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال رب اغفرلى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى يقول ملكا لا أسلبه كما سلبته وكان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله لا ينبغى لأحد من بعدى الى أن لا يكون لأحد من بعدى كما قال ابن أحمر

ما أم غفر على دعجاء ذى علق * ينفى القراميد عنها الأعصم الوقل
فى رأس خلقاء من عنقاء مشرفة * لا ينبغى دونها سهل ولا جبل

بمعنى لا يكون فوقها سهل ولا جبل أحصن منها وقوله انك أنت الوهاب يقول انك وهاب ما تشاء لمن تشاء بيدك خزائن كل شئ تفتح من ذلك ما أردت لمن أردت ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴾ ﴿ فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ﴾

على معارضته ولا سيما أمته الذين بعث اليهم ولهذا قال بعضهم أراد غيري ممن بعثت اليهم ولم يرد من بعده الى يوم القيامة وحقيقة لا ينبغي لا ينفعل من بغيت الشيء طلبته أي لا يصير مطلوبا لانه سماوي فوق طوق البشر  أو قصد أن الاحتراز عن طيبات الدنيا مع القدرة عليها أشق فاذا كان ملكه آية كان ثوابه على الصبر عنه غاية ونهاية أو أراد أن يظهر للخلق أن حصول الدنيا لا يمنع من خدمة المولى وأن ملك سليمن اذا كان عرضة للفناء فالأولى بالعاقل أن يشتغل بالعبودية ولا يلتفت الى الدنيا ومافيها وقيل انه لما مرض ثم عاد الى الصحة عرف أن خيرات الدنيا زائلة منتقلة الى الغير بارث ونحوه فطلب ملكا لا يتصور انتقاله الى الغير وهو ملك الدين والحكمة وقال أهل البيان لم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لأحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك والأقوى هو الاول بدليل قوله عقيبه فسخرنا له الريح والشياطين ولا ريب أن هذا معجزة وملك عجيب دال على نبوته ويؤيده ما جاء في الحديث أردت أن أربطه يعني الشيطان على سارية من سواري المسجد الا أني تذكرت دعوة أخي سليمن والضمير في (بأمره) لسليمن وقيل لله والرخاء الرخوة اللينة ولا ينافي هذا وصفها بالعصوف في الانبياء فلعلها تختلف باختلاف الاحوال والاوقات أو هي طيبة في نفسها ولكنها عاصفة بالاضافة الى الرياح المعهودة ومعنى أصاب قصد وأراد من اصابة السهم وقوله (والشياطين) معطوف على الريح وقوله (كل بناء وغواص) بدل الكل من الشياطين كانوا يبنون لأجله الابنية الرفيعة ويستخرجون اللؤلؤ من البحر وهو أول من استخرج الدر من البحر (وآخرين) عطف على الشياطين أو على كل داخل في حكم البدل وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض في القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد والصفد القيد والعطاء لأنه ارتباط للمنعم عليه ومنه قول علي رضي الله عنه

يقول تعالى ذكره فاستجبنا له دعاءه فأعطيناه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فسخرنا له الريح مكان الخيل التي شغلته عن الصلاة تجري بأمره رخاء يعني رخوة لينة وهي من الرخاوة كما حدثنا محمد ابن عبد الله بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عوف عن الحسن أن نبي الله سليمن صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه الخيل فشغله النظر اليها عن صلاة العصر حتى توارت بالحجاب فغضب لله فأمر بها فعقرت فأبدله الله مكانها أسرع منها سخر الريح تجري بأمره رخاء حيث شاء فكان يغدو من ايلياء ويقيل بقزوين ثم يروح من قزوين ويبيت بكابل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فانه دعا يوم دعا ولم يكن في ملكه الريح وكل بناء وغواص من الشياطين فدعا ربه عند توبته واستغفاره فوهب الله له ما سأل فتم ملكه * واختلف أهل التأويل في معنى الرخاء فقال فيه بعضهم نحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تجري بأمره رخاء قال طيبة حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب قال سريعة طيبة قال ليست بعاصفة ولا بطيئة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله رخاء قال الرخاء اللينة حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن الحسن في قوله رخاء حيث أصاب قال ليست بعاصفة ولا الطيبة بين ذلك رخاء * وقال آخرون معنى ذلك مطيعة لسليمن ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله رخاء يقول مطيعة له حدثني محمد ابن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس تجري بأمره رخاء قال يعني بالرخاء المطيعة حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن أبي رجاء عن الحسن في قوله تجري بأمره رخاء قال مطيعة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله رخاء يقول مطيعة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله رخاء قال طوعا وقوله حيث أصاب يقول حيث أراد من قولهم أصاب الله بك خيرا أي أراد الله بك خيرا ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله حيث أصاب يقول حيث أراد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله حيث أصاب يقول حيث أراد انتهى عليها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله حيث أصاب قال حيث شاء حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو النعمان الحكم بن عبد الله قال ثنا شعبة عن أبي رجاء عن الحسن في قوله حيث أصاب قال حيث أراد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال

من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك وقيل حقيقته التفويض على الخير والشر قال الجبائي ان الشيطان كان كثيف الجسم

في زمن سليمن ويشاهده الناس ثم انه لما توفي سليمن أمات الله ذلك الجنس وخلق نوعا آخر لطيف الجسم بحيث لا يرى

ثنا سعيد عن قتادة حيث أصاب قال الى حيث أراد حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله حيث أصاب قال حيث أراد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه حيث أصاب أي حيث أراد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي حيث أصاب قال حيث أراد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حيث أصاب قال حيث أراد وقوله والشياطين كل بناء وغواص يقول تعالى ذكره وسخرنا له الشياطين فسلطناه عليها مكان ما ابتليناه بالذي ألقينا على كرسيه منها يستعملها فيما شاء من أعماله من بناء وغواص فالبناة منها يصنعون محاريب وتماثيل والغاصة يستخرجون له الحلى من البحار وآخرون يحتون له جفانا وقدورا والمردة في الاغلال مقرنون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والشياطين كل بناء وغواص قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وغواص يستخرجون الحلى من البحر وآخرين مقرنين في الأصفاد قال مردة الشياطين في الأغلال حدثت عن المحاربي عن جويبر عن الضحاك والشياطين كل بناء وغواص قال لم يكن هذا في ملك داود أعطاه الله ملك داود وزاده الريح والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين في الأصفاد يقول في السلاسل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله الأصفاد قال تجمع اليدين الى عنقه والأصفاد جمع صفد وهي الأغلال وقوله هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب اختلف أهل التأويل في المشار اليه بقوله هذا من العطاء وأي عطاء أريد بقوله عطاؤنا فقال بعضهم عنى به الملك الذي أعطاه الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب قال قال الحسن الملك الذي أعطيناك فأعط ما شئت وامنع ما شئت حدثت عن المحاربي عن جويبر عن الضحاك هذا عطاؤنا هذا ملكنا * وقال آخرون بل عنى بذلك تسخيره له الشياطين وقالوا ومعنى الكلام هذا الذي أعطيناك من كل بناء وغواص من الشياطين وغيرهم عطاؤنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب قال هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم في وثاقك وفي عذابك أو سرح من شئت منهم تتخذ عنده يدا اصنع ما شئت * وقال آخرون بل ذلك ما كان أوتي من القوة على الجماع ذكر من قال ذلك حدثت عن أبي يوسف عن سعيد بن طريف عن عكرمة عن ابن عباس قال كان سليمن في ظهره ماءمائة رجل وكان له ثلثمائة امرأة وتسعمائة سرية هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب القول الذي ذكرناه عن الحسن والضحاك من أنه عنى بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره وذلك أنه جل ثناؤه ذكر ذلك عقيب خبره عن مسئلة نبيه سليمن صلوات الله وسلامه عليه اياه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأخبر أنه سخر له ما لم يسخر لأحد من بني آدم وذلك تسخيره له الريح والشياطين على ما وصفت ثم قال له عز ذكره هذا الذي أعطيناك من الملك وتسخيرنا ما سخرنا لك عطاؤنا ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه لك من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك فامنن أو أمسك بغير حساب

من الحسن والضحاك من أنه عنى بالعطاء ما أعطاه من الملك تعالى ذكره وذلك أنه جل ثناؤه ذكر ذلك عقيب خبره عن مسئلة نبيه سليمن صلوات الله وسلامه عليه اياه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده فأخبر أنه سخر له ما لم يسخر لأحد من بني آدم وذلك تسخيره له الريح والشياطين على ما وصفت ثم قال له عز ذكره هذا الذي أعطيناك من الملك وتسخيرنا ما سخرنا لك عطاؤنا ووهبنا لك ما سألتنا أن نهبه لك من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك فامنن أو أمسك بغير حساب

هذا الاخبار بالغيب الا أن تكون رواية صحيحة ولم لا يجوز أن تكون أجسامهم لطيفة بمعنى عدم الناون ولكنها صلبة بمعنى أنها لا تقبل التمزق والتفرق (هذا عطاؤنا) أي قلنا لسليمن هذا الملك عطاؤنا والاضافة للتعظيم وقوله (بغير حساب) يتعلق بالعطاء يعني أنه جم كثير لا يدخل تحت الضبط والحصر فأعط منه ما شئت أو أمسك مفوضا اليك زمام التصرف فيه ويجوز أن يتعلق بالأمرين أي ليس عليك في ذلك حرج ولا تحاسب على ما تعطي وتمنع يوم القيامة عن الحسن ان الله لم يعط أحدا عطية الا جعل عليه فيها حسابا سوى سليمن فانه أعطاه عطية هنيئة ان أعطى أجر وان لم يعط لم يكن عليه تبعة ويحتمل أن يراد هذا التسخير تسخير الشياطين عطاؤنا فامنن على من شئت منهم بالاطلاق أو أمسك من شئت منهم بالوثاق فانت في سعة من ذلك لا تحاسب في اطلاق من أطلقت وحبس من حبست وحين فرغ من تعداد النعم الدنيوية أردفه بما أنعم به عليه في الآخرة قائلا (وان له عندنا لزلفى وحسن مآب) كما في قصة داود وفيه أن ثوابه كفء ثواب أبيه كما أن سيرته سيرة أبيه في التأويل بصاد حمديته في الازل وصانعيته في الوسط وصبوريته الى الأبد أقسم بالقرآن ذي الذكر لأن القرآن قانون معالجات القلوب وأعظم مرض القلب من نسيان الله فأعظم علاجه ذكر الله ثم أشار الى انحراف مزاج الكفار بمرض نسيان الله من اللين والسلامة واختلف الى الغلظ والقساوة ومن التواضع الى التكبر ومن الوفاق الى الخلاف ومن التصديق الى التكذيب ومن التوحيد الى تكثير الآلهة

وفى قوله واصبر واعلى آلهتكم اشارة الى أن الكفار اذا تواصوا فيما بينهم بالصبر والثبات فالمؤمنون أولى الثبات على قدم الصدق فى طلب المحبوب الحقيق ان هذا لشئ يراد فى الازل من المقبول والمردود بل لما يذوقوا  عذاب لأنهم فى النوم فاذا ماتوا انتبهوا وأحسوا بالألم فعاينوا الامر حين لا ينفع العيان ويزول الشك يوم لا يجدى البرهان عجل لنا قطنا النفوس الخبيثة تميل بطبعها الى السفليات العاجلة كما أن النفوس الكريمة تميل بطبعها الى العلويات الباقية ولكل من الصنفين جذبة بالخاصية الى شكله كجذب المغناطيس الحديد له تسع وتسعون نعجة هن آثار فيوض الصفات الربانية بحسب الأسماء التسعة والتسعين فلكل منها مظهر فى عالم الملك والخلق وفى نعجة واحدة هو ذات الله وحده فقال أكفلنيها أى صيرنى أجمع بين الله وبين ماسواه ثم ههنا أسرار كثيرة تفهمها ان شاء الله وظن داود أنما فتناه امتحناه بالجمع بين الدين والدنيا فاستغفر لحق ربه راكعا وأناب الى الله معرضا عما سواه وهذا التأويل مما خطر ببالى أرجو أن يكون مضاهيا للحق انا جعلناك خليفة فيه أن الخلافة عطاء من الله وأنها مخصوصة بالانسان خلق مستعدا لها بالقوة وفيه أن الجعلية تتعلق بعالم المعنى كما أن الخلقية تتعلق بعالم الصورة الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور فاطر السموات والارض جاعل الملائكة رسلا ووجه الخلافة هو أن الروح الانسانى أول فيض بذاته وصفاته فذاته من ذات الله بلا واسطة وصفاته من صفاته بلا واسطة فخلق لخليفته منزلا صالحا وهو قالبه وأعده عرشا هو القلب

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله فامنن أو أمسك بغير حساب فقال بعضهم معنى ذلك فأعط من شئت ماشئت من الملك الذى آتيناك وامنع من شئت منه ماشئت لا حساب عليك فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن فامنن أو أمسك بغير حساب الملك الذى أعطيناك فأعط ماشئت وامنع ماشئت فليس عليك تبعة ولا حساب حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك فامنن أو أمسك بغير حساب سأل ملكا هنيأ لا يحاسب به يوم القيامة فقال ما أعطيت وما أمسكت فلا حرج عليك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن أبيه عن عكرمة فامنن أو أمسك بغير حساب قال أعط أو أمسك فلا حساب عليك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فامنن قال أعط أو أمسك بغير حساب * وقال آخرون بل معنى ذلك أعتق من هؤلاء الشياطين الذين سخرناهم لك من الخدمة أو من الوثاق ممن كان منهم مقترنا فى الأصفاد من شئت واحبس من شئت فلا حرج عليك فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فامنن أو أمسك بغير حساب يقول هؤلاء الشياطين احبس من شئت منهم فى وثاقك وفى عذابك وسرح من شئت منهم تتخذ عنده يدا اصنع ماشئت لا حساب عليك فى ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فامنن أو أمسك بغير حساب يقول أعتق من الجن من شئت وأمسك من شئت حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله فامنن أو أمسك بغير حساب قال تمنّ على من تشاء منهم فتعتقه وتمسك من شئت فتستخدمه ليس عليه فى ذلك حساب * وقال آخرون بل معنى ذلك هذا الذى أعطيناك من القوة على الجماع عطاؤنا فجامع من شئت من نسائك وجواريك ماشئت بغير حساب واترك جماع من شئت منهن * وقال آخرون بل ذلك من المقدم والمؤخر ومعنى الكلام هذا عطاؤنا بغير حساب فامنن أو أمسك وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله هذا فامنن أو أمسك عطاؤنا بغير حساب وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يقول فى قوله بغير حساب وجهان أحدهما بغير جزاء ولا ثواب والآخر منة ولا قلة * والصواب من القول فى ذلك ماذكرته عن أهل التأويل من أن معناه لا يحاسب على ما أعطى من ذلك الملك والسلطان وانما قلنا ذلك هو الصواب لاجماع الحجة من أهل التأويل عليه وقوله وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يقول وان لسليمن عندنا القربة بانابته الينا وتوبته وطاعته لنا وحسن مآب يقول وحسن مرجع ومصير فى الآخرة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب أى مصير ان قال لنا قائل وما وجه رغبة سليمن الى ربه فى الملك وهو نبى من الأنبياء وانما يرغب فى الملك أهل الدنيا المؤثرون لها على الآخرة أم ما وجه مسئلته اياه ان سأله ذلك ملكا لا ينبغى لأحد من بعده وما كان يضره أن يكون كل من بعده يؤتى مثل الذى أوتى من ذلك أكان به بخل بذلك فلم يكن من ملكه يعطى ذلك من يعطاه أم حسد للناس كما ذكر عن الحجاج ابن يوسف فانه ذكر أنه قرأ قوله وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى فقال ان كان لحسودا

 ليكون محل استوائه ونصب له خادما وهو النفس فلو بقى الانسان على فطرة الله لكان روحه مستفيضا من الله تعالى فائضا الخلافة الحق على عرش القلب والقلب فائض الخلافة الروح على خادمه النفس

والنفس فائضة لخلافة القلب على القالب والقالب فائض لخلافة النفس على الدنيا وهى أرض الله فلا يجرى شئ من الامور الا على نهج الحق
ووهبنا لداود الروح سليمان القلب اذ عرض (١٠٦) عليه بالعشى وهو بعد زوال شمس التجلى الصافنات الجياد وهى مركب

الصفات البشرية وفى قوله فطفق مسحا اشارة الى أن كل محبوب سوى الله اذا حجبك عنه لحظة يلزمك أن تقتله بسيف لا اله الا الله واليه الاشارة بقوله ثانيا ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه صدره شيأ من الشهوات الجسدانية فافتتن به فتاب ورجع الى الحضرة فان قيل قوله لا ينبغى لأحد من بعدى هل يتناول نبينا صلى الله عليه وسلم قلنا يتناوله بالصورة لا بالمعنى فان الذى كان مطلوب سليمن من تزكية النفس عن محبة الدنيا مع القدرة عليها ومن تحلية القلوب بعلو الهمة وبذل المال والجاه وافشاء العدل والنصفة وغير ذلك كان حاصلا للنبى صلى الله عليه وسلم من غير زحمة مباشرة صورة الملك والافتتان به عزة وذلا لا ولهذا قال فى حديث تسلطه على الشيطان ذكرت دعوة أخى سليمن فتركته وكان يعرض عليه مقاليد الخزائن فيقول الفقر فخرى على أن صورة الملك أيضا مما سيحصل لبعض أمته كما قال وسيبلغ ملك أمتى ما زوى لى منها ﴿واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أواب واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار انا أخلصناهم

فان ذلك ليس من أخلاق الأنبياء قيل أما رغبته الى ربه فيما يرغب اليه من الملك فلم تكن ان شاء الله به رغبة فى الدنيا ولكن إرادة منه أن يعلم منزلته من الله فى اجابته فيما رغب اليه فيه وقبوله توبته واجابته دعاءه وأما مسئلته ربه ملكا لا ينبغى لأحد من بعده فانا قد ذكرنا فيما مضى قبل قول من قال ان معنى ذلك هب لى ملكا لا أسلبه كما سلبته قيل وانما معناه عند هؤلاء هب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى أن يسلبنيه وقد يتجه ذلك أن يكون بمعنى لا ينبغى لأحد سواى من أهل زمانى فيكون حجة وعلما لى على نبوتى وأنى رسولك اليهم مبعوث اذ كانت الرسل لا بد لها من أعلام تفارق بها سائر الناس سواهم و يتجه أيضا لأن يكون معناه وهب لى ملكا تخصنى به لا تعطيه أحدا غيرى تشريفا منك لى بذلك وتكرمة لتبين منزلتى منك به من منازل من سواى وليس فى وجه من هذه الوجوه مما ظنه الحجاج فى معنى ذلك شئ ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر أيضا يا محمد عبدنا أيوب اذ نادى ربه مستغيثا به فيما نزل به من البلاء يا رب انى مسنى الشيطان بنصب فاختلفت القراء فى قراءة قوله بنصب فقرأته عامة قراء الأمصار خلا أبى جعفر القارئ بنصب بضم النون وسكون الصاد وقرأ ذلك أبو جعفر بضم النون والصاد كليهما وقد حكى عنه بفتح النون والصاد والنصب والنصب بمنزلة الحزن والحزن والعدم والعدم والرشد والرشد والصلب والصلب وكان الفراء يقول اذا ضم أوله لم يثقل لانهم جعلوهما على سمتين اذا فتحوا أوله ثقلوا واذا ضموا أوله خففوا قال وأنشدنى بعض العرب

لئن بعثت أم الحميدين مائرا * لقد غنيت فى غير بؤس ولا نجد

من قولهم نجد عيشه نجدا اذا ضاق واشتد قال فلما قال نجد خفف وقال بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين النصب من العذاب وقال العرب تقول أنصبنى عذبنى و برح بى قال وبعضهم يقول نصبنى واستشهد لقيله ذلك بقول بشر بن أبى حازم

تعنك نصب من أميمة منصب * كذى الشجو لما يسله وسبذهب

وقال يعنى بالنصب البلاء والشر ومنه قول النابغة بنى ذبيان

كليني لهم يا أميمة ناصب * وليل أقاسيه بطيء الكواكب

قال والنصب اذا فتحت وحركت حروفها كانت من الاعياء والنصب اذا فتح أوله وسكن ثانيه واحد أنصاب الحرم وكل ما نصب علما وكأن معنى النصب فى هذا الموضع العلة التى نالته فى جسده والعناء الذى لاقى فيه والعذاب فى ذهاب ماله * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وذلك الضم فى النون والسكون فى الصاد وأما التأويل فبنحو الذى قلنا فيه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذكر عبدنا أيوب حتى بلغ بنصب وعذاب ذهاب المال والأهل والضر الذى أصابه فى جسده قال ابتلى سبع سنين وأشهرا ملقى على كناسة لبنى اسرائيل تختلف الدواب فى جسده ففرج الله عنه وعظم له الأجر وأحسن عليه الثناء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله مسنى الشيطان بنصب وعذاب قال نصب فى جسدى وعذاب

بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أتراب

هذا ما توعدون ليوم الحساب ان هذا لرزقنا ما له من نفاد هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم
وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار (١٠٧) قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا
فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا
هذا فزده عذابا ضعفا في النار وقالوا
مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من
الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت
عنهم الأبصار ان ذلك لحق تخاصم
أهل النار قل انما أنا منذر وما
من اله الا الله الواحد القهار
رب السموات والارض وما بينهما
العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه
معرضون ما كان لي من علم بالملا
الأعلى اذ يختصمون ان يوحى الي
الا أنما أنا نذير مبين اذ قال ربك
للملائكة اني خالق بشرا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي
فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة
كلهم أجمعون الا ابليس استكبر
وكان من الكافرين قال يا إبليس
ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي
أستكبرت أم كنت من العالين قال
أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته
من طين قال فاخرج منها فانك رجيم
وان عليك لعنتي الى يوم الدين قال
رب فأنظرني الى يوم يبعثون قال
فانك من المنظرين الى يوم الوقت
المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم
أجمعين الا عبادك منهم المخلصين
قال فالحق والحق أقول لأملأن
جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين
قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من
المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين
ولتعلمن نبأه بعد حين ﴿ القراآت
مسني الشيطان بسكون الياء حمزة
بنصب بضمتين يزيد وقرأ يعقوب
بفتحتين وقرأ هبيرة بالفتح والسكون
والباقون بالضم والسكون بخالصة

في مالي حدثت عن المحاربي عن جويبر عن الضحاك أني مسني الشيطان بنصب يعني البلاء
في الجسد وعذاب قوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم وقوله اركض برجلك ومعنى
الكلام اذ نادى ربه مستغيثا به أني مسني الشيطان ببلاء في جسدي وعذاب بذهاب مالي وولدي
فاستجبنا له وقلنا له اركض برجلك الارض أي حركها وادفعها برجلك والركض حركة الرجل يقال
منه ركضت الدابة ولا تركض ثوبك برجلك وقيل ان الارض التي أمر أيوب أن يركضها برجله
الجابية ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اركض برجلك
الآية قال ضرب برجله الارض أرضا يقال لها الجابية وقوله هذا مغتسل بارد وشراب ذكر أنه
نبعت له حين ضرب برجله الأرض عينان فشرب من احداهما واغتسل من الأخرى ذكر من
قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ضرب برجله الارض
فاذا عينان تنبعان فشرب من احداهما واغتسل من الأخرى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
عن ابن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب
قال فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها واغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان من البلاء
حدثني بشر بن آدم قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا أبو هلال قال سمعت الحسن في قول الله
اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين فاغتسل منها ثم مشى نحوا من أربعين ذراعا ثم ركض
برجله فنبعت عين فشرب منها فذلك قوله اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب وعنى
بقوله مغتسل ما يغتسل به من الماء يقال منه هذا مغتسل وغسول للذي يغتسل به من الماء
وقوله وشراب يعني ويشرب منه والموضع الذي يغتسل فيه يسمى مغتسلا ﴿ القول في تأويل
قوله تعالى ﴿ ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب وخذ بيدك ضغثا
فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب ﴾ اختلف أهل التأويل في معنى قوله
ووهبنا له أهله ومثلهم معهم وقد ذكرنا اختلافهم في ذلك والصواب من القول عندنا فيه في سورة
الانبياء بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع فتأويل الكلام فاغتسل وشرب ففرجنا عنه ما كان
فيه من البلاء ووهبنا له أهله من زوجة وولد ومثلهم معهم رحمة منا له ورأفة وذكرى يقول
وتذكيرا لأولي العقول ليعتبروا بها فيتعظوا وقد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال
أخبرني نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان نبي الله أيوب لبث به بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد الا رجلان من
اخوانه كانا من أخص اخوانه به كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله
لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وما ذاك قال من ثماني عشرة سنة
لم يرحمه الله فيكشف ما به فلما راحا اليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له فقال أيوب لا أدري ما تقول
غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله فأرجع الى بيتي فأكفر عنهما
كراهية أن يذكرا الله الا في حق قال وكان يخرج الى حاجته فاذا قضاها أمسكت امرأته بيده
حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وأوحى الى أيوب في مكانه أن اركض برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب فاستبطأته فتلقته تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن

ذكرى على الاضافة أبو جعفر ونافع وهشام عبدنا ابراهيم على التوحيد ابن كثير وعلى هذا يكون ابراهيم وحده عطف بيان ما يوعدون
على الغيبة ابن كثير وأبو عمرو وغساق بالتشديد حيث كان حمزة وعلي وخلف وحفص وأخر بضم الهمزة على الجمع أبو عمرو وسهل

و يعقوب والمفضل والباقون بالمد على التوحيد الأشرار بالامالة والتفخيم مثل الابرار غير ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان الاشرار بالامالة اتخذناهم موصولة والابتداء بكسر الألف أبو عمرو وسهل و يعقوب وحمزة وعلي وخلف والآخرون بفتح الهمزة على الاستفهام ما كان لي بفتح الياء حفص الا انما بكسر الهمزة على الحكاية يزيد لعنتي الى بفتح الياء أبو جعفر ونافع فالحق بالرفع حمزة وخلف وعاصم غير المفضل وهبيرة و يعقوب غير رويس ۞ الوقوف أيوب م الا اذا جعل اذبدلا وعذاب ه ط لتقدير القول أي فأرسلنا اليه جبريل فقال له اركض برجلك ج لان هذا مبتدأ مع أنه من تمام القول وشراب ه الألباب ه ولا تحنث ط صابرا ط العبد ط أواب ه والأبصار ه الدار ه ج للآية مع العطف الأخيار ه وذا الكفل ط من الأخيار ه ذكر ه ط مآب ه لا لأن جنات بدل أو عطف بيان الابواب ه ج لاحتمال أن عامل متكئين محذوف أي يتنعمون متكئين وان جعل حالا من مفتحة فهي مقدرة لان الاتكاء لا يكون في حال فتح الأبواب وشراب ه أتراب ه الحساب ه من نفاد ه ج هذا ط أي هذا بيان جزاء المتقين أو الأمر هذا مآب ه لا جهنم ج لان ما بعده يصلح حالا واستئنافا فيصلونها ج المهاد ه هذا لا لأن خبره حميم فقوله فليذوقوه اعتراض وغساق ه لا للعطف أزواج ه ط معكم ج لا تصال المعنى مع الابتداء بما في معنى الدعاء بهم ه النار ط بكم ط لنا ج القرار ه النار ه الاشرار ه ط لمن قرأ بكسر الهمزة لاحتمال اضمار همزة الاستفهام واحتمال كونها خبرية صفة أو حالا ومن صرح بالاستفهام فوقفه مطلق الأبصار ه النار ه القهار ه ج لأن ما بعده يصلح بدلا وخبرا اليوم لمحذوف أي هو الغفار عظيم ه لا لان ما بعده وصف معرضون ه يختصمون ه مبين ه طين ه ساجدين ه أجمعون ه لا

ما كان فلما رأته قالت أي بارك الله فيك هل رأيت نبي الله هذا المبتلى فوالله على ذلك ما رأيت أحدا أشبه به منك اذ كان صحيحا قال فاني أنا هو قال وكان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله سحابتين فلما كانت احداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى في أندر الشعير الورق حتى فاض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ووهبنا له أهله ومثلهم معهم قال قال الحسن وقتادة فأحياهم الله بأعيانهم وزادهم مثلهم حدثني محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا عبد الرحمن بن جبير قال لما ابتلى نبي الله أيوب صلى الله عليه وسلم بماله وولده وجسده وطرح في مزبلة جعلت امرأته تخرج تكسب عليه ما تطعمه فحسده الشيطان على ذلك وكان يأتي أصحاب الخبز والشوي الذين كانوا يتصدقون عليها فيقول اطردوا هذه المرأة التي تغشاكم فانها تعالج صاحبها وتلمسه بيدها فالناس يتقذرون طعامكم من أجل أنها تأتيكم وتغشاكم على ذلك وكان بلقاها اذا خرجت كالمحزون المالق أيوب فيقول لج صاحبك فأبى الا ما أبى فوالله لو تكلم بكلمة واحدة لكشف عنه كل ضر ولرجع اليه ماله وولده فتجيء فتخبر أيوب فيقول لها لقيك عدو الله فلقاك هذا الكلام ويلك انما مثلك كمثل المرأة الزانية اذا جاء صديقها بشيء قبلته وأدخلته وان لم يأتها بشيء طردته وأغلقت بابها عنه لما أعطانا الله المال والولد آمنا به واذا قبض الذي له منا نكفر به ونبدل غيره ان أقامني الله من مرضي هذا لأجلدنك مائة قال فلذلك قال الله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث وقوله وخذ بيدك ضغثا يقول وقلنا لأيوب خذ بيدك ضغثا وهو ما يجمع من شيء مثل حزمة الرطبة وكل ء الكف من الشجر أو الحشيش والشماريخ ونحو ذلك مما قام على ساق ومنه قول عوف بن أبي الجرع

وأسفل مني نهدة قد ربطتها * وألقيت ضغثا من خلا متطيب

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثني عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وخذ بيدك ضغثا يقول حزمة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث قال أمر أن يأخذ ضغثا من رطبة بقدر ما حلف عليه فيضرب به حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن ابن جريج عن عطاء في قوله وخذ بيدك ضغثا قال عيدانا رطبة حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن اسمعيل بن ابراهيم بن المهاجر عن أبيه عن مجاهد عن ابن عباس وخذ بيدك ضغثا قال هو الأثل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخذ بيدك ضغثا الآية قال كانت امرأته قد عرضت له بأمر وأرادها ابليس على شيء فقال لو تكلمت بكذا وكذا وانما حملها عليها الجزع فحلف نبي الله لئن الله شفاه ليجلدنها مائة جلدة قال فأمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيبا والاصل تكملة المائة فضربها ضربة واحدة فأبر نبي الله وخفف الله عن أمته والله رحيم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله وخذ بيدك ضغثا يعني ضغثا من الشجر الرطب كان حلف على يمين فأخذ من الشجر عدد ما حلف عليه فضرب به ضربة واحدة فبرت يمينه وهو

اليوم فى الناس يمين أيوب من أخذ بها فهو حسن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث قال ضغثا واحدا من الكلا فيه أكثر من مائة عود فضرب به ضربة واحدة فذلك مائة ضربة حدثنى محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا عبد الرحمن بن جبير وخذ بيدك ضغثا فاضرب به يقول فاضرب زوجتك بالضغث لتبر فى يمينك التى حلفت بها عليها أن تضربها ولا تحنث يقول ولا تحنث فى يمينك وقوله انا وجدناه صابرا نعم العبد يقول انا وجدنا أيوب صابرا على البلاء لا يحمله البلاء على الخروج عن طاعة الله والدخول فى معصيته نعم العبد انه أواب يقول انه الى طاعة الله مقبل والى رضاه رجاع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب أولى الأيدى والابصار انا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله عبادنا فقرأته عامة قراء الأمصار واذكر عبادنا على الجماع غير ابن كثير فانه ذكر عنه أنه قرأه واذكر عبدنا على التوحيد كأنه يوجه الكلام الى أن اسحق ويعقوب من ذرية ابراهيم وأنهما ذكرا من بعده حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن عمرو عن عطاء سمع ابن عباس يقرأ واذكر عبدنا ابراهيم قال انما ذكرا براهيم ثم ذكر ولده بعده * والصواب عندنا من القراءة فى ذلك قراءة من قرأه على الجماع على أن ابراهيم واسحق ويعقوب بيان عن العباد وترجمة عنه لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله أولى الأيدى والأبصار ويعنى بالايدى القوة يقول أهل القوة على عبادة الله وطاعته ويعنى بالأبصار أنهم أهل أبصار القلوب يعنى به أولى العقول (٣) لحق * وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم فى ذلك نحو ما قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أولى الأيدى والأبصار يقول أولى القوة والعبادة والابصار يقول الفقه فى الدين حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أولى الأيدى والأبصار قال فضلوا بالقوة والعبادة حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور أنه قال فى هذه الآية أولى الأيدى قال القوة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله أولى الأيدى قال القوة فى أمر الله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد أولى الأيدى قال الأيدى القوة فى أمر الله والأبصار العقول حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أولى الأيدى والأبصار قال القوة فى طاعة الله والأبصار قال البصر فى الحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أولى الأيدى والأبصار يقول أعطوا قوة فى العبادة وبصرا فى الدين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله أولى الأيدى والأبصار قال الأيدى القوة فى طاعة الله والأبصار البصر بعقولهم فى دينهم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد فى قوله أولى الأيدى والأبصار قال الأيدى القوة والأبصار

---

ابليس ط الكافرين ٥ بيدى ط للاستفهام العالين ٥ منه ط لأن ما بعده جواب سؤال كأنه علل الخيرية طين ٥ رجيم ٥ ج والوصل أولى لاتصال لعنتى به الدين ٥ يبعثون ٥ المنظرين ٥ لا لتعلق الى المعلوم ٥ أجمعين ٥ لا للاستثناء المخلصين ٥ فالحق ز على قراءة الرفع أى فهذا الحق مع اتحاد المقول أقول ج لاحتمال أن ما بعده قسم مستأنف أو بدل من قوله والحق أجمعين ٥ ج المتكلفين ٥ للعالمين ٥ حين ٥ ۞ التفسير وجه النظم كأنه تعالى يقول يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان فى الدنيا أكثر مالا أوجاها من داود وسليمان ولم يكن أكثر بلاء ومحنة من أيوب ومع ذلك لم يبق حالها وحاله على نسق واحد فالصبر مفتاح الفرج وأيوب عطف بيان واذ معمول فعل آخر أو بدل اشتمال من أيوب أى زمان بلائه وكان معاصرا ليعقوب وامرأته ليا بنت يعقوب ونداؤه دعاؤه والجار محذوف أى دعاه بأنى مسنى على الحكاية والالقال بأنه مسه والنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب بالفتح والسكون على أصل المصدر وضمة الصاد لاتباع النون كقفل وقفل ومعنى الكل التعب والمشقة قيل الضر فى البدن والعذاب فى ذهاب المال والأهل وللناس فى بلائه قولان الأول أن الذى نزل به كان من الشيطان وقد مر تقريره فى الانبياء ومجمله ما روى أن ابليس سأل ربه فقال هل فى عبيدك من لو سلطتنى عليه يمتنع منى فقال نعم عبدى أيوب قال فسلطنى على ماله فكان يجيئه ويقول هلك من مالك كذا فيقول الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله فقال يا رب ان أيوب لا يبالى بماله فسلطنى على ولده فجاء وزلزل الدار فهلك أولاده بالكلية فجاء وأخبره به فلم يلتفت اليه فقال يا رب انه لا يبالى بماله وولده فسلطنى على جسده فأذن فيه فنفخ فى جلد أيوب وحدثت أسقام عظيمة وآلام شديدة فمكث فى ذلك البلاء سبع سنين أو ثمان عشرة وصار بحيث استقذره أهل بلده

تخرج الى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فجاء الشيطان الى امرأته وقال ان استعاذ بى زوجك خلصته من هذا البلاء فأشارت الى أيوب بذلك فغضب لذلك أولوجوه أخر سبق ذكرها فى سورة الانبياء وحلف ان عافاه الله ليجلدنها مائة جلدة

وعند ذلك دعا ربه شاكيا اليه لا منه كقول يعقوب انما أشكو بثى وحزنى الى الله فلما جاب دعاءه وأوحى اليه (اركض) أى اضرب (برجلك) الارض عن قتادة هى أرض الجابية من قرى الشام فأظهر الله تعالى من تحت رجله عينا باردة طيبة فاغتسل منها فأذهب الله عنه كل داء فى ظاهره وباطنه ورد عليه أهله وماله * القول الثانى أن الشيطان لا قدرة له على ايقاع الناس فى الأمراض والآفات والآلام فى العالم مفاسد ولم يبدع صالحا الا نكبه وقد تكرر فى القرآن أنه لا سلطان له الا الوسوسة فالمراد بمس الشيطان هو الأحزان الحاصلة فى قلبه بسبب وساوسه من تعظيم ما نزل به من البلاء واغرائه على الجزع والقنوط من روح الله الى غير ذلك مما مر ذكره فى سورة الأنبياء ولنا صر القول الأول أنه يقول سلمنا أن الشيطان باستقلاله لا يقدر على المفاسد ولكنه لم لا يجوز أن يقدر بعد الالتماس والتسليط ولنعد الى تفسير ما يختص بالمقام قوله (مغتسل بارد) أى هذا مكان يغتسل فيه أى بمائه ويشرب منه والظاهر أنها كانت عينا واحدة عذبة باردة وروى بعضهم أنه نبعت عينان ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها فبرأ ظاهره وضرب رجله اليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها فزال ما فى بطنه من القروح وزعم أن تقدير الكلام هذا مغتسل وشراب بارد وقوله (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم) قيل أحياهم الله بأعيانهم وزاده مثلهم من أولاده وقيل من أولاد أولاده وقيل كانوا الدار قد غابوا عنه وتفرقوا فجمع الله شملهم وقيل كانوا مرضى فشفاهم الله والأول أصح وقوله (رحمة منا) وذكرى مفعول لهما فكانت الهبة رحمة له

---

العقول فان قال لنا قائل وما الأيدى من القوة والأيدى انما هى جمع يد واليد جارحة وما العقول من الأبصار وانما الأبصار جمع بصر قيل ان ذلك مثل وذلك أن يا اليد البطش وبا البطش تعرف قوة القوى فلذلك قيل للقوى ذو يد وأما البصر فانه عنى به بصر القلب وبه تنال معرفة الأشياء فلذلك قيل للرجل العالم بالشئ بصير به وقد يمكن أن يكون عنى بقوله أولى الأيدى أولى الأيدى عند الله بالأعمال الصالحة فجعل الله أعمالهم الصالحة التى عملوها فى الدنيا أيديا لهم عند الله تمثيلا لها باليد تكون عند الرجل لآخر وقد ذكر عن عبد الله أنه كان يقرؤه أولى الأيد بغير ياء وقد يحتمل أن يكون ذلك من التأييد وأن يكون بمعنى الأيدى ولكنه أسقط منه الياء كما قيل يوم ينادى المناد بحذف الياء وقوله عز وجل إنا أخلصناهم بخالصة يقول تعالى ذكره إنا خصصناهم بخاصة ذكرى الدار واختلفت القراء فى قراءة قوله بخالصة ذكرى الدار فقرأته عامة قراء المدينة بخالصة ذكرى الدار باضافة خالصة الى ذكرى الدار بمعنى أنهم أخلصوا بخالصة الذكرى والذكرى اذا قرئ كذلك غير الخالصة كالمتكبر اذا قرئ على كل قلب متكبر باضافة القلب الى المتكبر هو الذى له القلب وليس بالقلب وقرأ ذلك عامة قراء العراق بخالصة ذكرى الدار بتنوين قوله خالصة وردّ ذكرى عليها على أن الدار هى الخالصة فردّوا الذكرى وهى معرفة على خالصة وهى نكرة كما قيل لشرّ ما أب جهنم فردّ جهنم وهى معرفة على المآب وهى نكرة * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه انا أخلصناهم بخالصة هى ذكرى الدار أى انهم كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة ويدعونهم الى طاعة الله والعمل للدار الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال بهذه أخلصهم الله كانوا يدعون الى الآخرة والى الله * وقال آخرون معنى ذلك أنه أخلصهم بعملهم للآخرة وذكرهم لها ذكر من قال ذلك حدثنى على بن الحسن الأزدى قال ثنا يحيى بن يمان عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال بذكر الآخرة فليس لهم هم غيرها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال بذكرهم الدار الآخرة وعملهم للآخرة * وقال آخرون معنى ذلك إنا أخلصناهم بأفضل ما فى الآخرة وهذا التأويل على قراءة من قرأه بالاضافة وأما القولان الأولان فعلى تأويل قراءة من قرأه بالتنوين ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار قال بأفضل ما فى الآخرة أخلصناهم به وأعطيناهم اياه قال والدار الجنة وقرأ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض قال الجنة وقرأ ولنعم دار المتقين قال هذا كله الجنة وقال أخلصناهم بخير الآخرة * وقال آخرون بل معنى ذلك خالصة عقبى الدار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن شريك عن سالم الافطس عن سعيد بن جبير بخالصة ذكرى الدار قال عقبى الدار * وقال آخرون بل معنى ذلك بخالصة أهل الدار ذكر من قال ذلك حدثت عن ابن أبى زائدة عن ابن جريج قال ثنى ابن أبى نجيح أنه سمع مجاهدا يقول بخالصة ذكرى

وتذكير الذوى العقول حتى لو ابتلوا بما ابتلى به صبروا كما صبر فيفوزوا كما فاز وانما لم يقل ههنا رحمة من عندنا مع أنه أبلغ اكتفاء بما مر فى سورة الانبياء وفى قوله (وذكرى لأولى الألباب) مع قوله فى الانبياء وذكرى للعابدين اشارة الى أن ذا اللب هو الذى

الدار هم أهل الدار وذو الدار كقولك ذو الكلاع وذو يزن وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من البصريين يتأول ذلك على القراءة بالتنوين بخالصة عملى فى ذكرى الآخرة * وأولى الاقوال بالصواب فى ذلك على قراءة من قرأه بالتنوين أن يقال معناه انا أخلصناهم بخالصة هى ذكرى الدار الآخرة فعملوا لها فى الدنيا فأطاعوا الله وراقبوه وقد يدخل فى وصفهم بذلك أن يكون من صفتهم أيضا الدعاء الى الله والى الدار الآخرة لأن ذلك من طاعة الله والعمل للدار الآخرة غير أن معنى الكلمة ماذكرت وأما على قراءة من قرأه بالاضافة فأن يقال معناه انا أخلصناهم بخالصة ماذكر فى الدار الآخرة فلما لم تذكر فى أضيفت الذكرى الى الدار كما قد بينا قبل فى معنى قوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير وقوله بسؤال نعجتك الى نعاجه وقوله وانهم عندنا لمن المصطفين الأخيار يقول وان هؤلاء الذين ذكرنا عندنا لمن الذين اصطفيناهم لذكرى الآخرة الاخيار الذين اخترناهم لطاعتنا ورسالتنا الى خلقنا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار هذا ذكر وان للمتقين لحسن مآب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم واذكر يا محمد اسمعيل واليسع وذا الكفل وما أبلوا فى طاعة الله فتأس بهم واسلك منهاجهم فى الصبر على ما نالك فى الله والنفاذ لابلاغ رسالته وقد بينا قبل من أخبار اسمعيل واليسع وذا الكفل فيما مضى من كتابنا هذا ما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع والكفل فى كلام العرب الحظ والجد وقوله هذا ذكر يقول تعالى ذكره هذا القرآن الذى أنزلناه اليك يا محمد ذكر لك ولقومك ذكرناك واياهم به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى هذا ذكر قال القرآن وقوله وان للمتقين لحسن مآب يقول وان للمتقين الذين اتقوا الله فخافوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه لحسن مرجع يرجعون اليه فى الآخرة ومصير يصيرون اليه ثم أخبر تعالى ذكره عن ذلك الذى وعدهم من حسن المآب ما هو فقال جنات عدن مفتحة لهم الأبواب حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله وان للمتقين لحسن مآب قال لحسن منقلب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾ قوله تعالى ذكره جنات عدن بيان عن حسن المآب وترجمة عنه ومعناه بساتين اقامة وقد بينا معنى ذلك بشواهده وذكرنا ما فيه من الاختلاف فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله جنات عدن قال سأل عمر كعبا ما عدن قال يا أمير المؤمنين قصور فى الجنة من ذهب يسكنها النبيون والصديقون والشهداء وأئمة العدل وقوله مفتحة لهم الأبواب يعنى مفتحة لهم ابوابها وأدخلت الالف واللام فى الأبواب بدلا من الاضافة كما قيل فان الجنة هى المأوى بمعنى هى مأواه وكما قال الشاعر

ماولدتكم حية ابنة مالك * سفاحا وما كانت أحاديث كاذب

ولكن نرى أقدامنا فى نعالكم * ونأتنا بين اللحى والحواجب

بمعنى بين لحاكم وحواجبكم ولو كانت الأبواب جاءت بالنصب لم يكن لحنا وكان نصبه على توجيه

يعبد الله وتخصص كل من السورتين بما خص لرعاية الفاصلة قوله (وخذ) معطوف على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو سنبلة قال مجاهد هو لأيوب خاصة وعن قتادة هو عام فى هذه الأمة والصحيح أنه باق فى المريض والمعذور لما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بمحدج وقد زنى بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه بها ضربة حلل الله يمين أيوب بأهون شئ عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها ومعنى (وجدناه صابرا) علمنا منه الصبر وههنا نكتة ذكرها بعض أرباب القلوب وهى أنه لما نزل فى حق سليمان نعم العبد تارة وفى حق أيوب أخرى اغتم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا هذا تشريف عظيم فان كان سببه اتفاق مملكة مثل مملكة سليمان فنحن لا نقدر عليه وان كان سببه تحمل بلاء مثل بلاء أيوب فنحن لا نطيقه فكيف السبيل الى تحصيله فأنزل الله تعالى قوله نعم المولى ونعم النصير والمراد أنك ان لم تكن نعم العبد فانا نعم المولى فان كان منك الفضول فمنى الفضل وان كان منك التقصير فمنى النصرة والتوفيق قلت وصف أنبياء سائر الامم بقوله نعم العبد ووصف هذه الامة بقوله كنتم خير أمة فلا تشريف فوق هذا ثم أجمل ذكر طائفة من مشاهير الأنبياء ومعنى (أولى الأيدى والأبصار) أولى العمل والعلم لأن اليد آلة لاكثر الأعمال والبصر آلة لأقوى الادراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الادراك بالبصر وفيه تعريض بأن الذين لا يعملون أعمال الآخرة ولا يتفكرون أفكار ذوى العقول والعرفان فهم فى حكم الزمنى والعميان ولولا قرينة الأبصار لكان يحتمل أن الأيدى جمع اليد

المفتحة فى اللفظ الى جنات وان كان فى المعنى للابواب وكان كقول الشاعر

وما قومى بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا

ثم نونت مفتحة ونصبت الابواب فان قال لنا قائل و ما فى قوله مفتحة لهم الابواب من فائدة خبر حتى ذكر ذلك قيل قال الفائدة فى ذلك اخبار الله تعالى عنها أن أبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها اياها بمعاناة بيد ولا جارحة ولكن بالامر فيما ذكر كما حدثنا أحمد بن الوليد الرملى قال ثنا ابن نفيل قال ثنا ابن دعيج عن الحسن فى قوله مفتحة لهم الابواب قال أبواب تكلم فتكلم انفتحى انغلقى وقوله متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب يقول متكئين فى جنات عدن على سرر يدعون فيها بفاكهة يعنى بثمار من ثمار الجنة كثيرة وشراب من شرابها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون ليوم الحساب إن هذا لرزقنا ما له من نفاد ﴾ يقول تعالى ذكره وعندهؤلاء المتقين الذين أكرمهم الله بما وصف فى هذه الآية من اسكانهم جنات عدن قاصرات الطرف يعنى نساء قصرت أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يمددن أعينهن الى سواهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وعندهم قاصرات الطرف قال قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قاصرات الطرف قال قصرن أبصارهن وقلوبهن وأسماعهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم وقوله أتراب يعنى أسنان واحدة وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف بين أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قاصرات الطرف أتراب قال أمثال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أتراب سن واحدة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أتراب قال مستويات قال وقال بعضهم متواخيات لا يتباغضن ولا يتعادين ولا يتغايرن ولا يتحاسدن وقوله هذا ما توعدون ليوم الحساب يقول تعالى ذكره هذا الذى يعدكم الله فى الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم فى الآخرة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى هذا ما توعدون ليوم الحساب قال هو فى الدنيا ليوم القيامة وقوله ان هذا لرزقنا ما له من نفاد يقول تعالى ذكره ان هذا الذى أعطينا هؤلاء المتقين فى جنات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب والقاصرات الطرف ومكناهم فيها من الوصول الى اللذات وما اشتهته فيها أنفسهم لرزقنا رزقناهم فيها كرامة منا لهم ما له من نفاد يقول ليس له عنهم انقطاع ولا له فناء وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها فأكلوها عادت مكانها أخرى مثلها فذلك لهم دائم أبدا لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه فى الدنيا فانقطع بالفناء ونفد بالانفاد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان هذا لرزقنا ما له من نفاد قال رزق الجنة كلما أخذ منه شئ عاد مثله مكانه ورزق الدنيا له نفاد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما له من نفاد أى ما له انقطاع ﴿ القول فى تأويل

---

التمة قول (أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) الخالصة صفة او مصدر كالعاقبة والدار ظرف فهى الدنيا او مفعول به فهى الآخرة والمعنى جعلناهم خالصين لنا بسبب خصلة خالصة أو هى تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها أو بسبب خلوص ذكرى الجنة أو بنا خلص من ذكراها أو جعلناهم مختصين بخلة صافية عن المنغصات وهى الثناء الحسن فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم و (المصطفين) جمع مصطفى وأصله مصطفيين لأنه فى حالة الجر بالياء قلبت الياء المتحركة ألفا ثم حذفت أرادا ختارناهم من بين أبناء جنسهم والأخيار جمع خير بالتشديد أو خير بالتخفيف كأموات فى ميت أو موت (واسمعيل واليسع وذا الكفل) وقدم ذكرهم فى سورة الأنبياء وحين تم ذكر الصالحين ومالقى كل منهم من أنواع الابتلاء تثبيتا لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو باب من أبواب التنزيل ونوع من أنواع القرآن أراد أن يذكر على عقيبه بابا آخر وهو ذكر جزاء المتقين والطاغين قال (هذا ذكر) ثم قال (وان للمتقين) كما يقول المصنف اذا فرغ من فصل من كتابه هذا باب ثم يشرع فى باب آخر ويحتمل أن يكون من تتمة صفات الأنبياء أى هذا الذى قصصنا عليك من أحوال هؤلاء الأنبياء شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا قوله (مفتحة) حال والعامل فيها ما فى المتقين من معنى الفعل قال الزجاج الأبواب فاعل مفتحة والعائد محذوف أى الأبواب منها وقال غيره فى مفتحة ضمير الجنات والأبواب بدل الاشتمال من الضمير تقديره مفتحة هى الأبواب نظيره فى بدل البعض ضرب زيد اليد والرجل فكان اللام عوضا من الضمير الراجع والمعنى أن الملائكة الموكلين بالجنات اذا رأوا صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحيوه بالسلام فلا يحتاجون الى تحصيل مفاتيح ومعاناة الفتح وقيل أراد به وصف تلك المساكن قوله

بالسعة وجولان الطرف فيها من غير حائل وقوله (متكئين) حال مقدرة مبتدأ خلة كما مر أو حال بعد حال أو عامله مؤخر وهو (يدعون)
أي يتحكمون في ثمارها وشرابها فاذا قالوا لشيء منها أقبل حصل عندهم وقيل (١١٣) يتمنون وقيل يسألون قال المفسرون أراد

قوله تعالى ﴿هذا وإن للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار﴾ يعني تعالى ذكره بقوله هذا الذي وصفت لهؤلاء المتقين ثم استأنف جل وعز الخبر عن الكافرين به الذين طغوا عليه وبغوا فقال وان للطاغين وهم الذين تمردوا على ربهم فعصوا أمره مع احسانه اليهم لشر مآب يقول لشر مرجع ومصير يصيرون اليه في الآخرة بعد خروجهم من الدنيا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان للطاغين لشر منقلب ثم بين تعالى ذكره ماذلك الذي اليه ينقلبون ويصيرون في الآخرة فقال جهنم يصلونها فترجم عن جهنم بقوله لشر مآب ومعنى الكلام ان للكافرين لشر مصير يصيرون اليه يوم القيامة لأن مصيرهم الى جهنم واليها منقلبهم بعد وفاتهم فبئس المهاد يقول تعالى ذكره فبئس الفراش الذي افترشوه لأنفسهم جهنم وقوله هذا فليذوقوه حميم وغساق يقول تعالى ذكره هذا حميم وهو الذي قد أغلي حتى انتهى حره وغساق فليذوقوه فالحميم مرفوع بهذا وقوله فليذوقوه معناه التأخير لأن معنى الكلام ماذكرت وهو هذا حميم وغساق فليذوقوه وقد يتجه ذلك الى أن يكون هذا مكتفيا بقوله فليذوقوه ثم يبتدأ فيقال حميم وغساق بمعنى منه حميم ومنه غساق كما قال الشاعر

حتى اذا أضاء الصبح في غلس * وغودر البقل ملوي ومحصود

واذا وجه الى هذا المعنى جاز في هذا النصب والرفع النصب على أن يضمر قبلها هاتا صب كما قال الشاعر

زيارتنا نعمان لا تحرمنها * تق الله فينا والكتاب الذي تتلو

والرفع بالهاء في قوله فليذوقوه كما يقال الليل فبادروه والليل فبادروه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي هذا فليذوقوه حميم وغساق قال الحميم الذي قد انتهى حره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الحميم دموع أعينهم تجمع في حياض النار فيسقونه وقوله وغساق اختلفت القراء في قراءته فقرأته عامة قراء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين والشام بالتخفيف وغساق وقالوا هو اسم موضوع وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة وغساق مشددة ووجهوه الى أنه صفة من قولهم غسق يغسق غسوقا اذا سال وقالوا انما معناه أنهم يسقون الحميم وما يسيل من صديدهم * والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وان كان التشديد في السين أتم عندنا في ذلك لأن ذلك المعروف في الكلام وان كان الآخر غير مدفوعة صحته واختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم هو ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة هذا فليذوقوه حميم وغساق قال كنا نحدث أن الغساق ما يسيل من بين جلده ولحمه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال الغساق الذي يسيل من أعينهم من دموعهم يسقونه مع الحميم حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال الغساق ما يسيل من سرمهم وما يسقط من جلودهم حدثني يونس قال أخبرنا

وشراب كثير فحذف اكتفاء بالأول وحين بين أمر المسكن والمأكول والمشروب ذكر أمر المنكوح وقاصرات الطرف قدم في الصافات أنهن اللواتي قصرن الطرف عن الالتفات الى غير أزواجهن والأتراب جمع ترب وهي اللدة واشتقاقها قيل من اللعب بالتراب وقيل لأن التراب مسهن في وقت واحد والسبب في اعتبار هذا الوصف أن التحاب بين الأقران أثبت وقيل هن وأزواجهن واحدة في الأسنان وقيل أراد أنهن شواب لا عجوز ولا صبية ويروى أنهن بنات ثلاث وثلاثين ومعنى (ليوم الحساب) قيل لاجل الحساب لأن الحساب علة الوصول الى جزاء العمل والظاهر أن اللام للوقت أي ما وعدتم تعطونه في يوم الحساب (ان هذا لرزقنا ماله من نفاد) انقطاع ونهاية ولا مزيد فوق ذلك فتام النعم بدوامها ثم بين أن حال الطاغين مضادة لحال المتقين وأكثر المفسرين حملوا الطغيان ههنا على الكفر لأنه تعالى يحكي عنهم أنهم قالوا اتخذناهم سخريا والفاسق لا يتخذ المؤمن هزوا لان الطاغي اسم ذم والاسم المطلق محمول على الكامل والكامل في الطغيان هو الكافر ويؤيده قول ابن عباس المعنى ان الذين طغوا علي وكذبوا رسلي لهم شر مصير وحمله الجبائي على أصحاب الكبائر من أهل الايمان وغيرهم لأن كل من تجاوز عن تكاليف الله فقد طغا ومنه قوله

 تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى والمهاد الفراش وقد مر مرارا وقوله (هذا) قدر بعض اعرابه في الوقوف ويحتمل أن يراد العذاب عذاتم ابتدأ فقال هو حميم أو منه (حميم) ومنه (غساق) أو هذا فليذوقوه معناه

ابن وهب قال قال ابن زيد الغساق الصديد الذى يجمع من جلودهم مما تصهرهم النار فى حياض يجتمع فيها فيسقونه حدثنى يحيى بن عثمان بن صالح السهمى قال ثنى أبى قال ثنا ابن لهيعة قال ثنى أبو قبيل أنه سمع أبا هبيرة الزيادى يقول سمعت عبد الله بن عمرو يقول أى شئ الغساق قالوا الله أعلم فقال عبد الله بن عمرو هو القيح الغليظ لو أن قطرة منه تهراق فى المغرب لأنتنت أهل المشرق ولو تهراق فى المشرق لأنتنت أهل المغرب * قال يحيى بن عثمان قال أبى ثنا ابن لهيعة مرة أخرى فقال ثنا أبو قبيل عن عبد الله بن هبيرة ولم يذكر لنا أبا هبيرة حدثنا ابن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا صفوان قال ثنا أبو يحيى عطية الكلاعى أن كعبا كان يقول هل تدرون ما غساق قالوا لا والله قال عين فى جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حية أو عقرب أو غيرها فيستنقع فيؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام حتى يتعلق جلده فى كعبيه وعقبيه وينجر لحمه بكر الرجل ثوبه * وقال آخرون هو البارد الذى لا يستطاع من برده ذكر من قال ذلك حدثت عن يحيى بن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد وغساق قال بارد لا يستطاع أو قال برد لا يستطاع حدثنى على بن عبد الأعلى قال ثنا المحاربى عن جويبر عن الضحاك هذا فليذوقوه حميم وغساق قال يقال الغساق أبرد البرد ويقول آخرون لا بل هو أنتن النتن * وقال آخرون بل هو المنتن ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب عن ابراهيم النكرى عن صالح بن حيان عن أبيه عن عبد الله بن بريدة قال الغساق المنتن وهو بالطخارية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى عمرو بن الحرث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو أن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب قول من قال هو ما يسيل من صديدهم لأن ذلك هو الأغلب من معنى الغسوق وان كان للآخر وجه صحيح وقوله وآخر من شكله أزواج اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة وآخرون من شكله أزواج على التوحيد بمعنى هذا حميم وغساق فليذوقوه وعذاب آخر من نحو الحميم ألوان وأنواع كما يقال لك عذاب من فلان ضروب وأنواع وقد يحتمل أن يكون مرادا بالازواج الخبر عن الحميم والغساق وآخر من شكله وذلك ثلاثة فقيل أزواج يراد أن ينعت بالازواج تلك الاشياء الثلاثة وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وأخر على الجماع وكأن من قرأ ذلك كذلك كان عنده لا يصلح أن يكون الازواج وهى جمع نعتا لواحد فلذلك جمع أخر لتكون الازواج نعتا لها والعرب لا تمنع أن ينعت الاسم اذا كان فعلا بالكثير والقليل والاثنين كما بينا فتقول عذاب فلان أنواع ونوعان مختلفان وأعجب القراءتين الى أن أقرأ بهما وآخر على التوحيد وان كانت الاخرى صحيحة لاستفاضة القراءة بها فى قراء الامصار وانما اخترنا التوحيد لأنه أصح مخرجا فى العربية وأنه فى التفسير بمعنى التوحيد وقيل انه الزمهرير ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن السدى عن مرة عن عبد الله وآخر من شكله أزواج قال الزمهرير حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان عن السدى عن مرة عن عبد الله بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا معاوية عن سفيان عن السدى عمن أخبره عن عبد الله بمثله الا أنه قال عذاب

فالحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقال الزجاج انه المنتن لو قطرت منه قطرة فى المغرب لنتنت أهل المشرق يؤيده قول ابن عمر هو القيح الذى يسيل منهم يجتمع فيسقونه وقال كعب هو عين فى جهنم يسيل اليها سم كل ذى سم من عقرب وحية وعن الحسن هو عذاب لا يعلمه الا الله ان الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا فى قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة (وآخر من شكله) أى ومذوقات أخر أو عذاب أو مذوق آخر من جنس هذا المذوق و (أزواج) أى أجناس أو مقترنات صفة الآخر لأنه جاز أن يكن مختلفات أو صفة للثلاثة المذكورة وهى حميم وغساق وشئ آخر من شكله والمجموع خبر هذا أو خبر هو وحين وصف مسكن الطاغين وما كولهم ومشروبهم حكى أحوالهم مع الذين كانوا يعدونهم أحباءهم فى الدنيا ثم مع الذين كانوا يعدونهم أعداءهم أما الأول فقوله (هذا) أى يقول الطاغون بعضهم مع بعض وذلك اذا دخلت أمة ثم دخل آخرون والفوج الأول الرؤساء والثانى الاتباع وقيل الأول ابليس وجنوده والثانى أبناء آدم هذا (فوج) أى جمع كثيف دخل النار فى صحبتكم والاقتحام الدخول فى الشدة أرادوا أن أتباعهم اقتحموا معهم العذاب كما اقتحموا معهم الضلال وقوله (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم ومرحبا نصب على أنه مفعول به أو مصدر أى أتيت رحبا لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا فاذا دخل عليه لا صار دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم وقوله (انهم صالو النار) تعليل لاستيجابهم اللعن قيل انما قالوا ذلك ولم يصدر من الأتباع ذنب



ليذوقوا هذا فليذوقوه كقوله فايای فارهبون وقيل حميم مبتدأ وهذا خبره والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وذكر الأزهرى أن الغاسق البارد ولهذا قيل للليل الغاسق لأنه أبرد من النهار

الزمهرير حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى عن مرة الهمدانى عن عبد الله ابن مسعود قال هو الزمهرير حدثت عن يحيى بن أبى زائدة عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال ذكر النار العذاب فذكر السلاسل والاغلال وما يكون فى الدنيا ثم قال وآخر من شكله أزواج قال وآخر لم يرفى الدنيا وأما قوله من شكله فان معناه من ضربه ونحوه يقول الرجل للرجل ما أنت من شكلى بمعنى ما أنت من ضربى بفتح الشين وأما الشكل فانه من المرأة ما علقت مما تتحسن به وهو الدل أيضا منها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وآخر من شكله أزواج يقول من نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وآخر من شكله أزواج من نحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآخر من شكله أزواج قال من كل شكل ذلك العذاب الذى سمى الله أزواج لم يسمها الله قال والشكل الشبيه وقوله أزواج يعنى ألوان وأنواع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله وآخر من شكله أزواج قال ألوان من العذاب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أزواج زوج زوج من العذاب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أزواج قال أزواج من العذاب فى النار وقوله هذا فوج مقتحم معكم يعنى تعالى ذكره بقوله هذا فوج هذا فرقة وجماعة مقتحمة معكم أيها الطاغون النار وذلك دخول أمة من الامم الكافرة بعد أمة لا مرحبا بهم وهذا خبر من الله عن قيل الطاغين الذين كانوا قد دخلوا النار قبل هذا الفوج المقتحم للفوج المقتحم فيها عليهم لا مرحبا بهم ولكن الكلام اتصل فصار كأنه قول واحد كما قيل يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون فاتصل قول فرعون بقول ملائه وهذا كما قال تعالى ذكره مخبرا عن أهل النار كلما دخلت أمة لعنت أختها ويعنى بقوله لا مرحبا بهم لا اتسعت بهم مداخلهم كما قال أبو الأسود * ألا مرحب واديك غير مضيق * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا فوج مقتحم معكم فى النار لا مرحبا بهم انهم صالو النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم حتى بلغ فبئس القرار قال هؤلاء التباع يقولون للرؤس حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم قال الفوج القوم الذين يدخلون فوجا بعد فوج وقرأ كلما دخلت أمة لعنت أختها التى كانت قبلها وقوله انهم صالو النار يقول انهم وارد والنار وداخلوها قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم يقول قال الفوج الواردون جهنم على الطاغين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم لهم بل أنتم أيها القوم لا مرحبا بكم أى لا اتسعت بكم أما كنكم أنتم قدمتموه لنا يعنون أنتم قدمتم لنا سكنى هذا المكان وصليّ النار باضلالكم إيانا ودعائكم لنا الى الكفر بالله وتكذيب رسله حتى ضللنا باتباعكم فاستوجبنا سكنى جهنم اليوم فذلك تقديمهم لهم ما قدموا فى الدنيا من عذاب الله لهم فى الآخرة فبئس القرار يقول فبئس المكان يستقر فيه جهنم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار﴾ وهذا أيضا قول

(بل أنتم لا مرحبا بكم) أى الدعاء الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) والضمير لما هم فيه من العذاب أو الصلى أى كنتم السبب فى العمل الذى هذا جزاؤه فجمعوا بين مجازين لأن الأتباع هم الذين عملوا عمل السوء لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه ومن جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة زعم أن تقدير الكلام هذا الذى دعا به علينا الخزنة أنتم يا رؤساء أحق به منا لاغوائكم ايانا وتسببكم لما نحن فيه (فبئس القرار) أى المستقر النار (قالوا) أى الفوج وهو كالبدل من قالوا الاول والضعف المضاعف كما مر فى الأعراف وأما الثانى فقوله (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار) أى فى اعتقادنا لأن دينهم على خلاف ديننا أو أرادوا أنهم أراذل لا خير فيهم يعنون فقراء المسلمين وعن بعضهم أن القائلين صنادبد قريش كأبى جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وبلال وصهيب وأمثالهم من قرأ (أتخذناهم) بفتح الهمزة فعلى أنه انكار منهم على أنفسهم وتأنيب لها بالاستسخار منهم ولذا فيمن قرأ اتخذناهم بكسر الهمزة ويقدر همزة الاستفهام محذوفة ومن جعلها صفة أو حالا فلا اشكال وحينئذ يتصل (أم زاغت) بقوله مالنا لا نرى أى الرجال الموصوفين فى النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا وخفى علينا مكانهم فلا نراهم وهم فيها

فأم منقطعة وكذا ان اتصل بقوله اتخذناهم على الاستفهام لأن الأول للانكار والثانى للاستخبار ويجوز أن يكون أم متصلة وكلاهما للانكار ومعنى زيغ الابصار ازدراؤهم وتحقيرهم يؤيده قول الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم

والام فى الابصار عوض من الضمير أى أبصارنا (ان ذلك) الذى حكينا عنهم (لحق) لا بد لهم من وقوعه لانهم مالوا الى عالم التضاد فيحشرون كذلك ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) لأن التلاعن والتشاتم نوع من أنواع الخصومة واعلم أنه سبحانه لما بدأ

فى أول السورة بأن محمدا يدعو الى التوحيد وأن الكفار يستهزؤن منه وينسبونه الى السخرية تارة والى الكذب أخرى ثم ذكر طرفا من قصص الانبياء عليهم السلام ليعلم أن الدنيا دار تكليف وبلاء لا دار اقامة وبقاء ثم عقبه بشرح نعيم الابرار وعقاب الاشرار عاد الى تقرير المطالب المذكورة فى أول السورة وهى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق ما يدعو اليه من التوحيد والاخلاص فقال (قل انما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد) من جميع الوجوه (القهار) لما دونه ثم أردف القهر باللطف والتربية قائلا (رب السموات والأرض وما بينهما) ثم أكد صفتى القهر واللطف بقوله (العزيز الغفار) فمن عزته أدخل أهل الاستكبار النار ولمغفرته أعد الجنة لأهل الاستغفار قوله (قل هو نبأ عظيم) أى القول بأن الله واحد نبأ عظيم أو القول بالنبوة أو باثبات الحشر والقيامة وذلك لأن هذه المطالب كانت مذكورة فى أول السورة ولأجلها سيق الكلام منجرا الى ههنا ويحتمل أن يراد كون القرآن معجزا كما مر فى قوله كتاب أنزلناه فيه نبأ عظيم وهؤلاء الأقوام أعرضوا عن كل من هذه الأمور ثم بين أنه حاصل من قبل الوحى بقوله (ما كان لى من علم بالملا الأعلى) وهم الملائكة (اذ يختصمون) أى يتقاولون فيما بينهم بالوحى والظرف متعلق بمحذوف أى بكلامهم وقت اختصامهم شبه التقاول بالتخاصم من حيث ان فى كل منهما سؤالا وجوابا والمشابهة علة لجواز المجاز ثم صرح بما عليه مدار الوحى قائلا (ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين) أى ما يوحى الى الا هذا وهو انى نذير كامل فى باب التبليغ ويؤيده قراءة كسر انما

---

الفوج المقتحم على الطاغين وهم كانوا أتباع الطاغين فى الدنيا يقول جل ثناؤه وقال الأتباع ربنا من قدم لنا هذا يعنون من قدم لهم فى الدنيا بدعائهم الى العمل الذى يوجب لهم النار التى وردوها وسكنى المنزل الذى سكنوه منها ويعنون بقولهم هذا العذاب الذى وردناه فزده عذابا ضعفا فى النار يقولون فأضعف له العذاب فى النار على العذاب الذى هو فيه فيها وهذا أيضا من دعاء الأتباع للمتبوعين ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار ان ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ يقول تعالى ذكره قال الطاغون الذين وصف جل ثناؤه صفتهم فى هذه الآيات وهم فيما ذكر أبو جهل والوليد بن المغيرة وذووهما ما لنا لا نرى رجالا يقول ما بالنا لا نرى معنا فى النار رجالا كنا نعدهم من الاشرار يقول كنا نعدهم فى الدنيا من أشرارنا وعنوا بذلك فيما ذكر صهيبا وخبابا وبلالا وسلمان ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن ليث عن مجاهد فى قوله ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال ذاك أبو جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وذكر أناسا صهيبا وعمارا وخبابا كنا نعدهم من الاشرار فى الدنيا حدثنا أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا يذكر عن مجاهد فى قوله وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار قال قالوا أين سلمان أين خباب أين بلال وقوله أتخذناهم سخريا اختلفت القراء فى قراءته فقرأته عامة قراء المدينة والشام وبعض قراء الكوفة اتخذناهم بفتح الالف من أتخذناهم وقطعها على وجه الاستفهام وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة وبعض قراء مكة بوصل الالف من الاشرار اتخذناهم وقد بينا فيما مضى قبل أن كل استفهام كان بمعنى التعجب والتوبيخ فان العرب تستفهم فيه أحيانا وتخرجه على وجه الخبر أحيانا * وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأه بالوصل على غير وجه الاستفهام لتقدم الاستفهام قبل ذلك فى قوله ما لنا لا نرى رجالا كنا فيصير قوله اتخذناهم بالخبر أولى وان كان للاستفهام وجه مفهوم لما وصفت قبل من أنه بمعنى التعجب واذ كان الصواب من القراءة فى ذلك ما اخترنا لما وصفنا فمعنى الكلام وقال الطاغون ما لنا لا نرى سلمان وبلالا وخبابا الذين كنا نعدهم فى الدنيا أشرارا اتخذناهم فيها سخريا نهزأ بهم فيها معنا اليوم فى النار وكان بعض أهل العلم بالعربية من أهل البصرة يقول من كسر لسين من السخرى فانه يريد به الهزء يريد يسخر به ومن ضمها فانه يجعله من السخرة يستسخرونهم يستذلونهم أزاغت عنهم أبصارنا وهم معنا * ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن ليث عن مجاهد اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار يقول أهم فى النار لا نعرف مكانهم وحدثت عن الحارثى عن جويبر عن الضحاك وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار قال هم قوم كانوا يسخرون من محمد وأصحابه فانطلق به وبأصحابه الى الجنة وذهب بهم الى النار فقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار يقولون أزاغت أبصارنا عنهم فلا ندرى أين هم حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اتخذناهم سخريا قال أخطأناهم أم زاغت عنهم الأبصار ولا نراهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقالوا ما لنا لا نرى

وقيل ان الجار محذوف أى لم يوح الىّ الا لأنى أنذر ولا أقصر روى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم اتانى الليل آت من ربى وفى رواية ربى فى أحسن صورة فقال لى يا محمد قلت لبيك ربى وسعديك قال هل تدرى فيم يختصم الملأ الأعلى قلت لا أعلم قال فوضع يده بين كتفى حتى وجدت بردها بين ثدى فعلمت ما فى السموات وما فى الأرض قال يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت نعم فى الدرجات والكفارات ونقل الاقدام الى الجماعات واسباغ الوضوء فى السبرات المكروهات أى فى البرد الشديد وانتظار الصلاة بعد الصلاة ومن حافظ عليهن عاش بخير ومات بخير وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه الحديث قال والدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام واعلم أن أشراف قريش انما نازعوا محمدا صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد والكبر فختم الله تعالى السورة بذكر قصة آدم وما وقع فيه ابليس من الرجم واللعن حين حسد آدم واستكبر ليصير سماع القصة زاجرا للمكلفين عن هاتين الخصلتين فعلى هذا يكون اذ قال معمولا لمحذوف أى اذكر وقت قول ربك للملائكة وقيل النبأ العظيم قصص آدم والانباء به من غير سماع من أحد وعلى هذا فالضمير عائد الى ما يذكره عما قريب والمعنى ما أحكيه خبر له شأن لانه مستفاد من الوحى وقوله اذ قال بدل من اذ يختصمون والملأ الأعلى أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لأنهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم حين قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كأنهم قالوا هؤلاء فيما بينهم ثم خاطبوا بها الله سبحانه فلا يلزم أن يكون الله تعالى من الملا الأعلى ويثبت له مكان أو نقول المراد علو الرتبة والشرف فيشمل تقاول الله وملائكته وقال جار الله كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول فى الحقيقة هو الملك المتوسط وقصة آدم مذكورة فى البقرة وفى غيرها مشروحة والتى فى هذه السورة يوافق أكثرها ما فى الحجر فلا فائدة

رجالا كنا نعدهم من الأشرار قال فقدوا أهل الجنة اتخذناهم سخريا فى الدنيا أم زاغت عنهم الأبصار وهم معنا فى النار وقوله ان ذلك لحق يقول تعالى ذكره ان هذا الذى أخبرتكم أيها الناس من الخبر عن تراجع أهل النار ولعن بعضهم بعضا ودعاء بعضهم على بعض فى النار لحق يقين فلا تشكوا فى ذلك ولكن استيقنوه تخاصم أهل النار وقوله تخاصم رد على قوله لحق ومعنى الكلام ان تخاصم أهل النار الذى أخبرتكم به لحق وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يوجه معنى قوله أم زاغت عنهم الأبصار الى بل زاغت عنهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان ذلك لحق تخاصم أهل النار فقرأ تالله ان كنا لفى ضلال مبين اذ نسويكم برب العالمين وقرأ ويوم نحشرهم جميعا حتى بلغ ان كنا عن عبادتكم لغافلين ما كنا نسمع ولا نبصر قال وهذه الاصنام قال هذه خصومة أهل النار وقرأ وضل عنهم ما كانوا يفترون قال وضل عنهم يوم القيامة ما كانوا يفترون فى الدنيا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل انما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك انما أنا منذر لكم يا معشر قريش بين يدى عذاب شديد أنذركم عذاب الله وسخطه أن يحل بكم على كفركم به فاحذروه وبادروا حلوله بكم بالتوبة وما من اله الا الله الواحد القهار يقول وما من معبود تصلح له العبادة وتنبغى له الربوبية الا الله الذى يدين له كل شئ ويعبده كل خلق الواحد الذى لا ينبغى أن يكون له فى ملكه شريك ولا ينبغى أن تكون له صاحبة القهار لكل ما دونه بقدرته رب السموات والأرض يقول مالك السموات والأرض وما بينهما من الخلق يقول فهذا الذى هذه صفته هو الاله الذى لا اله سواه لا الذى لا يملك شيأ ولا يضر ولا ينفع وقوله العزيز الغفار يقول العزيز فى نقمته من أهل الكفر به المدّعين معه الها غيره الغفار لذنوب من تاب منهم ومن غيرهم من كفره ومعاصيه فأناب الى الايمان به والطاعة له بالانتهاء الى أمره ونهيه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لى من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون ان يوحى الىّ الا أنما أنا نذير مبين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لقومك المكذبين بك فيما جئتهم به من عند الله من هذا القرآن القائلين لك فيه ان هذا الا اختلاق هو نبأ عظيم يقول هذا القرآن خبر عظيم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الأعلى بن واصل الأسدى قال ثنا أبو أسامة عن شبل بن عباد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون قال القرآن حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا هشام عن ابن سيرين عن شريح أن رجلا قال له أتقضى علىّ بالنبأ قال فقال له شريح أوليس القرآن نبأ قال وتلا هذه الآية قل هو نبأ عظيم قال وقضى عليه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون قال القرآن وقوله أنتم عنه معرضون يقول أنتم عنه منصرفون لا تعملون به ولا تصدقون بما فيه من حجج الله وآياته وقوله ما كان لى من علم بالملا الأعلى يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك ما كان لى من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون فى شأن آدم من قبل أن يوحى الىّ ربى فيعلمنى ذلك

فى اعادتها فلنذكر ما يختص بالمقام قوله (خلقت بيدى) كلام المجسمة فيه ظاهر وغيرهم حملوه على وجوه منها أن اليد عبارة عن القدرة يقال مالى بهذا الأمر يد أى قوة وطاقة ومنها أنها النعمة ومنها أنها التأكيد ولبدل على عدم الواسطة كما مر فى قوله مما عملت أيدينا وقد يقال فى حق من جنى بلسانه وان لم يكن له يد هذا مما كسبت يداك والحق فيه أن السلطان العظيم لا يقدر على عمل شئ بيديه الا اذا كانت عنايته مصروفة الى ذلك العمل بحيث كانت العناية الشديدة من لوازم العمل باليد أمكن جعله مجازا عنها ومنها قول أرباب التأويل انه اشارة الى صفتى اللطف والقهر وهما يشملان جميع الصفات فلا مخلوق الا وهو مظهر لاحدى الصفتين كالملك فانه مظهر اللطف وكالشيطان فانه مظهر القهر الا الانسان فانه مظهر لكليتهما وبذلك استحق الخلافة ومسجودية الملائكة ولهذا جاء فى الأحاديث القدسية لا أجعل ذرية من خلقت بيدى كمن قلت له كن فكان قوله (أستكبرت أم كنت من العالين) أى أطلبت الكبر من غير استحقاق أم كنت ممن علوت وفقت فأجاب بأنه من العالين حيث (قال أنا خير منه) وقيل استكبرت الآن أو لم تزل منذ كنت من المتكبرين ومعنى الهمزة التقرير قوله (فالحق) من قرأ بالرفع فعلى أنه خبر لما مر أو مبتدأ محذوف الخبر مثل لعمرك أى فالحق قسمى لأملان والحق أقوله وهو اعتراض ومن نصبهما فعلى أن الثانى تأكيد للاول أو على أن الأول للاغراء أى اتبعوا الحق وهو الله سبحانه أو الحق الذى هو نقيض الباطل وقوله (منك) أى من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) أى من ذرية آدم و (أجمعين) تأكيد للتابعين والمتبوعين ثم ختم السورة بما يدل على الاحتياط والاجتهاد فى طلب هذا الدين لأن النظر اما الى الداعى أو الى المدعو اليه أما الداعى فلا يسأل أجرا على ما يدعو اليه وهو القرآن أو الوحى أو النبأ ومن الظاهر

---

يقول ففى إخبارى لكم عن ذلك دليل واضح على أن هذا القرآن وحى من الله وتنزيل من عنده لأنكم تعلمون أن علم ذلك لم يكن عندى قبل نزول هذا القرآن ولا هو مما شاهدته فعاينته ولكنى علمت ذلك باخبار الله اياى به ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ما كان لى من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون قال الملأ الأعلى الملائكة حين شوورا فى خلق آدم فاختصموا فيه وقالوا لا تجعل فى الأرض خليفة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى بالملا الأعلى اذ يختصمون هو اذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان لى من علم بالملا الأعلى قال هم الملائكة كانت خصومتهم فى شأن آدم حين قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين حتى بلغ ساجدين وحين قال انى جاعل فى الأرض خليفة حتى بلغ ويسفك الدماء ففى هذا اختصم الملأ الأعلى وقوله ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قريش ما يوحى الله الى علم ما لا علم لى به من نحو العلم بالملا الأعلى واختصامهم فى أمر آدم اذ أراد خلقه الا لأنى انما أنا نذير مبين فانما على هذا التأويل فى موضع خفض على قول من كان يرى أن مثل هذا الحرف الذى ذكرنا لا بد له من حرف خافض فسواء اسقاط خافضه منه واثباته وأما على قول من رأى أن مثل هذا ينصب اذا أسقط منه الخافض فانه على مذهبه نصب وقد بينا ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد يتجه لهذا الكلام وجه آخر وهو أن يكون معناه ما يوحى الله الا انذاركم واذا وجه الكلام الى هذا المعنى كانت أنما فى موضع رفع لأن الكلام يصير حينئذ بمعنى ما يوحى الى الا الانذار قوله الا أنما أنا نذير مبين يقول الا أنى نذير لكم مبين لكم انذاره اياكم وقيل الا أنما أنا ولم يقل الا أنما أنك والخبر من محمد عن الله لأن الوحى قول فصار فى معنى الحكاية كما يقال فى الكلام أخبرونى أنى مسىء وأخبرونى أنك مسىء بمعنى واحد كما قال الشاعر

رجلان من ضبة أخبرانا * أنا رأينا رجلا عريانا

بمعنى أخبرانا أنهما رأيا وجاز ذلك لأن الخبر أصله حكاية ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من الكافرين﴾ وقوله اذ قال ربك من صلة قوله اذ يختصمون وتأويل الكلام ما كان لى من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون حين قال ربك يا محمد للملائكة انى خالق بشرا من طين يعنى بذلك خلق آدم وقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحى يقول تعالى ذكره فاذا سويت خلقه وعدلت صورته ونفخت فيه من روحى قيل عنى بذلك ونفخت فيه من قدرتى ذكر من قال ذلك حدثت عن المسيب بن شريك عن أبى روق عن الضحاك ونفخت فيه من روحى قال من قدرتى فقعوا له ساجدين يقول فاسجدوا له وخروا له سجدا وقوله فسجد الملائكة كلهم أجمعون يقول تعالى ذكره فلما سوى الله خلق ذلك البشر وهو آدم ونفخ فيه من روحه سجد له الملائكة كلهم أجمعون يعنى بذلك الملائكة الذين هم فى السموات والارض

أن الكذاب لا ينقطع طمعه عن طلب المال البتة وأما المدعو اليه فقوله (وما أنا من المتكلفين) الذين يتحلون ما ليس عندهم ولا دليل لهم على وجوده بل العقل الصريح يشهد بصحته فانى أدعوكم الى الاقرار بالله أولا  ثم الى تنزيهه عما لا يليق به ثانيا ثم الى وصفه بنعوت الجمال والجلال ثالثا ومن جملة ذلك التوحيد ونفى الانداد والأضداد ثم أدعو الى تعظيم الأرواح الطاهرة وهم الملائكة والأنبياء رابعا ثم الى الشفقة على خلق الله خامسا ثم أدعو الى الاقرار بالبعث والقيامة سادسا ليجزى الذين أساؤا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى فهذه أصول معتبرة فى دين الاسلام يشهد بحسنها بداية العقول ويحكم ببعدها عن الباطل كل من يرجع الى محصول وهو المراد بقوله (ان هو الا ذكر للعالمين) عن النبى صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى ما لا ينال ويقول ما لا يعلم (ولتعلمن نبأه بعد حين) أى خبر حقيقة القرآن وما أدعو اليه بعد حين هو الموت لان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقيل هو القيامة وقيل هو حين ظهور الاسلام ولا يخفى ما فيه من التهديد

* (سورة الزمر مكية الا ثلاث آيات نزلت فى وحشى بن حرب وأصحابه يا عبادى الذين أسرفوا الى آخرهن حروفها أربعة آلاف وسبعمائة وثمانية وكلمها ألف ومائة وسبعون آياتها ٧٥) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار

والأرض الا ابليس استكبر يقول غيرا بليس فانه لم يسجد استكبر عن السجود له تعظما وتكبرا وكان من الكافرين يقول وكان بتعظمه ذلك وتكبره على ربه ومعصيته أمره ممن كفر فى علم الله السابق فحدر بو بيته وأنكر ما عليه الاقرار له به من الاذعان له بالطاعة كما حدثنا أبو كريب قال قال أبو بكر فى الا ابليس استكبر وكان من الكافرين قال قال ابن عباس كان فى علم الله من الكافرين ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت من العالين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لابليس اذ لم يسجد لآدم وخالف أمره يا ابليس ما منعك أن تسجد يقول أى شئ منعك من السجود لما خلقت بيدى يقول لخلق يدى يخبر تعالى ذكره بذلك أنه خلق آدم بيديه كما حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال أخبرنى عبيد المكتب قال سمعت مجاهدا يحدث عن ابن عمر قال خلق الله أربعة بيده العرش وعدن والقلم وآدم ثم قال لكل شئ كن فكان وقوله أستكبرت يقول لا بليس تعظمت عن السجود لآدم فتركت السجود له استكبارا عليه ولم تكن من المتكبرين العالين قبل ذلك أم كنت من العالين يقول أم كنت كذلك من قبل ذا علو وتكبر على ربك قال أنا خير منه خلقتنى من نار يقول جل ثناؤه قال ابليس لربه فعلت ذلك فلم أسجد للذى أمرتنى بالسجود له لأنى خير منه وكنت خيرا منه لأنك خلقتنى من نار وخلقته من طين والنار تأكل الطين وتحرقه فالنار خير منه يقول لم أفعل ذلك استكبارا عليك ولا لأنى كنت من العالين ولكنى فعلته من أجل أنى أشرف منه وهذا تقريع من الله للمشركين الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وأبوا الانقياد له واتباع ما جاءهم به من عند الله استكبارا عن أن يكونوا اتباعا لرجل منهم حين قالوا أأنزل عليه الذكر من بيننا وهل هذا الا بشر مثلكم فقص عليهم تعالى ذكره قصة ابليس واهلاكه باستكباره عن السجود لآدم بدعواه أنه خير منه من أجل أنه خلق من نار وخلق آدم من طين حتى صار شيطانا رجيما وحقت عليه من الله لعنته محذرهم بذلك أن يستحقوا باستكبارهم على محمد وتكذيبهم اياه فيما جاءهم به من عند الله حسدا وتعظما من اللعن منه والسخط ما استحقه ابليس بتكبره عن السجود لآدم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون﴾ يقول تعالى ذكره لابليس فاخرج منها يعنى من الجنة فانك رجيم يقول فانك مرجوم بالقول مشتوم ملعون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاخرج منها فانك رجيم قال والرجيم اللعين حدثت عن المحاربى عن جويبر عن الضحاك بمثله وقوله وان عليك لعنتى يقول وان لك طردى من الجنة الى يوم الدين يعنى الى يوم مجازاة العباد ومحاسبتهم قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون يقول تعالى ذكره قال ابليس لربه رب فاذ لعنتنى وأخرجتنى من جنتك فأنظرنى يقول فأخرنى فى الأجل ولا تهلكنى الى يوم يبعثون يقول الى يوم تبعث خلقك من قبورهم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين﴾ يقول تعالى ذكره قال الله لابليس فانك ممن أنظرته الى يوم الوقت المعلوم وذلك الوقت الذى جعله الله أجلا لهلاكه وقد بينت وقت ذلك فيما مضى على اختلاف أهل العلم فيه وقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين يقول تعالى ذكره قال ابليس فبعزتك أى بقدرتك وسلطانك وقهرك ما دونك من خلقك

خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الألباب قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه يعنى مصفرا ثم يجعله حطاما إن فى ذلك لذكرى لأولى الألباب أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم

لأغوينهم أجمعين يقول لأضلن بنى آدم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين يقول الا من أخلصته منهم لعبادتك وعصمته من اضلالى فلم تجعل لى عليه سبيلا فانى لا أقدر على اضلاله واغوائه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين قال علم عدو الله أنه ليست له عزة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ﴿اختلفت القراء فى قراءة قوله قال فالحق والحق أقول فقرأه بعض أهل الحجاز وعامة الكوفيين برفع الحق الأول ونصب الثانى وفى رفع الحق الأول اذا قرئ كذلك وجهان أحدهما رفعه بضمير الله الحق أو أنا الحق وأقول الحق والثانى أن يكون مرفوعا بتأويل قوله لأملأن فيكون معنى الكلام حينئذ فالحق أن أملأ جهنم منك كما يقول عزمة صادقة لآتينك فرفع عزمة بتأويل لآتينك لأن تأويله أن آتيك كما قال ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه فلا بد لقوله بدا لهم من مرفوع وهو مضمر فى المعنى وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين بنصب الحق الأول والثانى كليهما بمعنى حقا لأملأن جهنم والحق أقول ثم أدخلت الألف واللام عليه وهو منصوب لأن دخولهما اذا كان كذلك معنى الكلام وخروجهما منه سواء كما سواء قولهم حمدا لله والحمد لله عندهم اذا نصب وقد يحتمل أن يكون نصبه على وجه الاغراء بمعنى الزموا الحق واتبعوا الحق والأول أشبه لأنه خطاب من الله لا بليس بما هو فاعل به ومتبّاعه * وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال انهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الأمصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لصحة معنييهما وأما الحق الثانى فلا اختلاف فى نصبه بين قراء الامصار كلهم بمعنى وأقول الحق وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد فى قوله فالحق والحق أقول يقول الله أنا الحق والحق أقول وحدثت عن ابن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد فالحق والحق أقول يقول الله الحق منى وأقول الحق حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون قال ثنا أبان بن تغلب عن طلحة اليامى عن مجاهد أنه قرأها فالحق بالرفع والحق أقول نصبا وقال يقول الله أنا الحق والحق أقول حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله الحق والحق أقول قال قسم أقسم الله به وقوله لأملأن جهنم منك يقول لا بليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك من بنى آدم أجمعين وقوله قل ما أسألكم عليه من أجر يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك القائلين لك أأنزل عليه الذكر من بيننا ما أسألكم على هذا الذكر وهو القرآن الذى أتيتكم به من عند الله أجرا يعنى ثوابا وجزاء وما أنا من المتكلفين يقول وما أنا ممن يتكلف تخرصه وافتراءه فتقولون ان هذا الا افك افتراه وان هذا الا اختلاق كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل ما أسألكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين قال لا أسألكم على القرآن أجرا تعطونى شيئا وما أنا من المتكلفين أتخرص وأتكلف ما لم يأمرنى الله به ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين ﴿يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين من قومك ان هو

يعني ما هذا القرآن الا ذكر يقول الا تذكير من الله للعالمين من الجن والانس ذكرهم ربهم ارادة استنقاذ من آمن به منهم من الهلكة وقوله ولتعلمن نبأه بعد حين يقول ولتعلمن أيها المشركون بالله من قريش نبأه يعني نبأ هذا القرآن وهو خبره يعني حقيقة ما فيه من الوعد والوعيد بعد حين * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولتعلمن نبأه قال صدق هذا الحديث نبأ ما كذبوا به وقيل نبأه حقيقة أمر محمد صلى الله عليه وسلم أنه نبي ثم اختلفوا في مدة الحين الذي ذكره الله في هذا الموضع ما هي وما نهايتها فقال بعضهم نهايتها الموت ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولتعلمن نبأه بعد حين أي بعد الموت وقال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين وقال بعضهم كانت نهايتها الى يوم بدر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ولتعلمن نبأه بعد حين قال يوم بدر وقال بعضهم يوم القيامة وقال بعضهم نهايتها القيامة ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولتعلمن نبأه بعد حين قال يوم القيامة يعلمون نبأ ما كذبوا به بعد حين من الدنيا وهو يوم القيامة وقرأ لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون قال وهذا أيضا الآخرة يستقر فيها الحق ويبطل الباطل * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أعلم المشركين المكذبين بهذا القرآن أنهم يعلمون نبأه بعد حين من غير حد منه لذلك الحين بحد وقد علم نبأه من أحيائهم الذين عاشوا الى ظهور حقيقته ووضوح صحته في الدنيا ومنهم من علم حقيقة ذلك بهلاكه ببدر وقبل ذلك ولا حد عند العرب للحين لا يجاوز ولا يقصر عنه فاذ كان ذلك كذلك فلا قول فيه أصح من أن يطلق كما أطلقه الله من غير حصر ذلك على وقت دون وقت * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب قال قال عكرمة سئلت عن رجل حلف أن لا يصنع كذا وكذا الى حين فقلت ان من الحين حينا لا يدرك ومن الحين حين يدرك فالحين الذي لا يدرك قوله ولتعلمن نبأه بعد حين والحين الذي يدرك قوله تؤتي أكلها كل حين باذن ربها وذلك من حين تصرم النخلة الى حين تطلع وذلك ستة أشهر

آخر تفسير سورة ص

## ﴿ تفسير سورة الزمر ﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

القول في تأويل قوله عز وجل ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون﴾ يقول تعالى ذكره تنزيل الكتاب الذي نزلناه عليك يا محمد من الله العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبيره خلقه لا من غيره فلا

يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾

القراآت يرضه بالاشباع ابن كثير وعلي والمفضل وعباس واسماعيل وابن ذكوان وخلف يرضه باختلاس ضمة الهاء يزيد وسهل ويعقوب ونافع وعاصم غير يحيى وحماد والمفضل وحمزة وهشام وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان اتباقون يرضه بسكون الهاء ليضل بفتح الياء ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب الباقون بالضم أمن هو بتخفيف الميم نافع وابن كثير وحمزة وأبو زيد يا عبادي الذين بفتح الياء الشموني والبرجمي والوقف بالياء اني أمرت فبشر عبادي بفتح ياء المتكلم فيهما شجاع وأبو شعيب وعباس والشموني والبرجمي والوقف بالياء اني أخاف بالفتح أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو سالما بالالف ابن كثير وأبو عمرو والآخرون بفتح السين واللام من غير ألف ﴿ الوقوف الحكيم ه

له الدين ه ط الخالص ط أولياء ه التقدير



يقولون ولو وصل لأوهم أن ما نعبدهم اخبار من الله قاله السجاوندي وعندي أن هذا وهم بعيد والاولى أن لا يوقف لئلا يفصل بين المبتدا

وخبره زلفى ج لاحتمال أن خبر المبتدا هو ما بعده يختلفون ٥ ط كفار ٥ ما يشاء ز لتعجيل التنزيه سبحانه ط القهار ٥ ز بالحق ج لاحتمال كون ما بعده حالا والاستئناف أفضل والقمر ط مسمى ط الغفار ٥ أزواج ط ثلاث ط الملك ط تصرفون ٥ الكفر ج لعطف جملتي الشرط مع وقوع العارض لكم ط أخرى ط لأن ثم لترتيب الاخبار تعملون ٥ الصدور ٥ سبيله ط قليلا ز ص والاولى الوصل أو التقدير فانك النار ٥ رحمة ربه ط لا يعلمون ٥ الألباب ٥ ربكم ط حسنة ط واسعة ط حساب ٥ له الدين ٥ ط المسلمين ٥ عظيم ٥ ديني ٥ لا دونه ط يوم القيامة ط المبين ٥ ومن تحتهم ظلل ط عباده ط فاتقون ٥ البشرى ج لانقطاع النظم مع فاء التعقيب عباد ٥ لا احسنه ط الالباب ٥ العذاب ٥ في النار ٥ ج للآية مع الاستدراك مبنية لا لأن ما بعده وصف الأنهار ط وعد الله ط الميعاد ٥ حطاما ط الالباب ٥ من ربه ط لحذف جواب الاستفهام من ذكر الله ط مبين ٥ وجهم ج لان الجملة ليست من صفة الكتاب مع العطف ذكر الله ط من يشاء ط هاد ٥ يوم القيامة ط لحق الحذف كما مر تكسبون ٥ لا يشعرون ٥ الدنيا ج للام الابتداء مع العطف أكبر ٥ يعلمون ٥ يتذكرون ٥ ج لاحتمال كون قرآنا نصبا على المدح أو على الحال المؤكدة كما يجيء يتقون ٥ متشاكسون ٥ لرجل ط مثلا ط الله ج للاضراب مع اتفاق الجملتين لا يعلمون ٥ ميتون ٥ تختصمون ٥ ❁ التفسير (تنزيل الكتاب) مبتدأ وخبره (من الله) وقيل أصله هذا تنزيل الكتاب والجار صلة والاولى أقوى لان الاضمار خلاف الاصل ولأنه يلزم مجاز آخر محمد وهو كون التنزيل بمعنى المنزل فان هذا اشارة الى القرآن أو الى جزء منه وهو هذه السورة وفيه ابطال ما يقوله المشركون من ان محمدا يقوله

تكونن في شك من ذلك و رفع قوله تنزيل بقوله من الله وتأويل الكلام من الله العزيز الحكيم تنزيل الكتاب وجائز رفعه باضمار هذا كما قيل سورة أنزلناها غير أن الرفع في قوله تنزيل الكتاب بما بعده أحسن من رفع سورة بما بعدها لان تنزيل وان كان فعلا فانه الى المعرفة أقرب اذ كان مضافا الى معرفة فحسن رفعه بما بعده وليس ذلك بالحسن في سورة لأنه نكرة وقوله انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا أنزلنا اليك يا محمد الكتاب يعني بالكتاب القرآن بالحق يعني بالعدل يقول أنزلنا اليك هذا القرآن يأمر بالحق والعدل ومن ذلك الحق والعدل أن تعبد الله مخلصا له الدين لأن الدين له لا للاوثان التي لا تملك ضرا ولا نفعا * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله الكتاب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا أنزلنا اليك الكتاب بالحق يعني القرآن وقوله فاعبد الله مخلصا له الدين يقول تعالى ذكره فاخشع لله يا محمد بالطاعة وأخلص له الألوهة وأفرده بالعبادة ولا تجعل له في عبادتك اياه شريكا كما فعلت عبدة الأوثان * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا يعقوب عن حفص عن شمر قال يؤتى بالرجل يوم القيامة للحساب وفي صحيفته أمثال الجبال من الحسنات فيقول رب العزة جل وعز صليت يوم كذا وكذا فيقال صلى فلان أنا الله لا اله الا أنا الى الدين الخالص صمت يوم كذا وكذا فيقال صام فلان أنا الله لا اله الا أنا الى الدين الخالص تصدقت يوم كذا وكذا فيقال تصدق فلان أنا الله لا اله الا أنا الى الدين الخالص فما يزال يمحو شيأ بعد شيء حتى تبقى صحيفته ما فيها شيء فيقول ملكاه يا فلان ألغير الله كنت تعمل **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي أما قوله مخلصا له الدين فالتوحيد والدين منصوب بوقوع مخلصا عليه وقوله ألا لله الدين الخالص يقول تعالى ذكره ألا لله العبادة والطاعة وحده لا شريك له خالصة لا شرك لأحد معه فيها فلا ينبغي ذلك لأحد لأن كل ما دونه ملكه وعلى المملوك طاعة مالكه لا من لا يملك منه شيأ وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ألا لله الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وقوله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى يقول تعالى ذكره والذين اتخذوا من دون الله أولياء يتولونهم ويعبدونهم من دون الله يقولون لهم ما نعبدكم أيها الآلهة الا لتقربونا الى الله زلفى قربة ومنزلة وتشفعوا لنا عنده في حاجاتنا وهي فيما ذكر في قراءة أبي ما نعبدكم وفي قراءة عبد الله قالوا ما نعبدهم وانما حسن ذلك لأن الحكاية اذا كانت بالقول مضمرا كان أو ظاهرا جعل الغائب أحيانا كالمخاطب ويترك أخرى كالغائب وقد بينت ذلك في موضعه فيما مضى **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال هي في قراءة عبد الله قالوا ما نعبدهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال قريش تقوله للاوثان ومن قبلهم يقوله للملائكة ولعيسى بن مريم ولعزير **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قالوا ما نعبد هؤلاء الا ليقربونا الا ليشفعوا لنا عند الله **حدثنا**

من تلقاء نفسه وفى قوله من الله اشارة الى الذات المستحق للعبادة والطاعة كقولك هذا كتاب من فلان تعظم به شأن الكتاب وفى قوله (العزيز) اشارة الى أن هذا الكتاب يحق قبوله فكتاب العزيز عزيز وفيه أنه غنى  عن ارسال الكتاب والاستكمال به وانما ينتفع به المرسل اليهم وفى قوله (الحكيم) اشارة الى أنه مشتمل على الفوائد الدينية والدنيوية لا على العبث والباطل وقوله (انا أنزلنا اليك) ليس تكرارا من وجهين أحدهما أن التنزيل للتدريج والانزال دفعى كما مر مرارا والثانى أن الاول كعنوان الكتاب والثانى يقرر ما فى الكتاب وقوله (بالحق) يعنى أن كل ما أودعنا فيه من اثبات التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع التكاليف فهو حق وصدق مؤيد بالبرهان العقلى وهو مطابقته للعقول الصحيحة و بالدليل الحسى وهو أن الفصحاء عجزوا عن معارضته ثم اشتغل ببيان بعض ما فيه من الحق وهو الاقبال على عبادته بالاخلاص والالتفات عما سواه بالكلية أما الاول فهو قوله (فاعبد الله) أى أنت أو أمتك (مخلصا له الدين) وآية الاخلاص أن يكون الداعى الى العبادة هو مجرد الامر لا طلب مرغوب أو هرب مكروه وأما الثانى فذلك قوله (ألا لله الدين الخالص) أى واجب اختصاصه بالطاعة من غير أن يشوب ذلك دعاء أو شرك ظاهر وخفى وخصصه قتادة فقال الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وحين حث على التوحيد والاخلاص ذم طريقة الشرك والتقليد فقال (والذين اتخذوا) الضمير للمشركين ولكن الموصول يحتمل أن يكون عبارة عن المشركين والخبر ما أضمر من القول أو قوله ان الله يحكم بينهم والقول المضمر حال أو بدل فلا يكون له محل كالمبدل وأن يكون عبارة عن الشركاء والخبر ان الله يحكم بينهم والقول المضمر للحال أو بدل وتقدير الكلام على الاول والمشركون الذين اتخذوا من دونه أولياء يقولون ما نعبدهم الا ليقربونا أو المشركون الذين اتخذوا من دونه أولياء قائلين أو يقولون ما نعبدهم

محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال هى منزلة **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ٣ وقوله ولو شاء الله ما أشركوا يقول سبحانه لو شئت لجمعتهم على الهدى أجمعين **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى قال قالوا هم شفعاؤنا عند الله وهم الذين يقربونا الى الله زلفى يوم القيامة للاوثان والزلفى القرب وقوله ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون يقول تعالى ذكره ان الله يفصل بين هؤلاء الأحزاب الذين اتخذوا فى الدنيا من دون الله أولياء يوم القيامة فيما هم فيه يختلفون فى الدنيا من عبادتهم ما كانوا يعبدون فيها بأن يصليهم جميعا جهنم الا من أخلص الدين لله فوحده ولم يشرك به شيأ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار ﴾ يقول تعالى ذكره ان الله لا يهدى الى الحق ودينه الاسلام والاقرار بوحدانيته فيوفقه له من هو كاذب مفتر على الله يتقول عليه الباطل و يضيف اليه ما ليس من صفته و يزعم أن له ولدا افتراء عليه كفارا لنعمه جحودا لربوبيته وقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا يقول تعالى ذكره لو شاء الله اتخاذ ولد ولا ينبغى له ذلك لاصطفى مما يخلق ما يشاء يقول لاختار من خلقه ما يشاء وقوله سبحانه هو الله الواحد القهار يقول تنزيها الله عن أن يكون له ولد وعما أضاف اليه المشركون به من شركهم هو الله يقول هو الذى يعبده كل شئ ولو كان له ولد لم يكن له عبدا يقول فالاشياء كلها له ملك فأنى يكون له ولد وهو الواحد الذى لا شريك له فى ملكه وسلطانه والقهار لخلقه بقدرته فكل شئ له متذلل ومن سطوته خاشع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار ﴾ يقول تعالى ذكره واصفا نفسه بصفتها خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل يقول يغشى هذا على هذا وهذا على هذا كما قال يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل يقول يحمل الليل على النهار **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يكور الليل على النهار قال يدهوره **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل قال يغشى هذا هذا و يغشى هذا هذا **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل قال يجىء بالنهار و يذهب بالليل و يجىء بالليل و يذهب بالنهار **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يكور الليل على النهار و يكور النهار على الليل حين يذهب بالليل و يكور النهار عليه و يذهب بالنهار و يكور الليل عليه وقوله وسخر الشمس والقمر يقول تعالى ذكره وسخر الشمس والقمر لعباده ليعلموا بذلك عدد

الاليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم وعلى الثانى والشركاء الذين اتخذهم المشركون أولياء قائلين أو يقولون كذا ان الله يحكم بينهم واذا عرفت التقادير فنقول المراد بالاولياء هنا الملائكة وعيسى واللات والعزى قال ابن عباس كانوا يرجون شفاعتهم وتقربهم الى الله أما الملائكة وعيسى فظاهر وأما الاصنام فلانهم اعتقدوا أنها تماثيل الكواكب والارواح السماوية أو الصالحين ومعنى حكم الله بينهم أنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة ويدخلهم مع الاصنام النار واختلافهم أن الملائكة وعيسى موحدون وهم مشركون والاصنام يكفرون يوم القيامة بشركهم وهم يرجون نفعهم وشفاعتهم ويجوز أن يرجع الضمير فى بينهم الى الفريقين المؤمن والمشرك ولا يخفى ما فى الآية من التهديد ثم سجل عليهم بالكذب والكفران فقال (ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار) فكذبهم هو زعمهم شفاعة الأصنام وكفرانهم أنهم تركوا عبادة المنعم الحق وأقبلوا على عبادة من لا يملك لهم ضرا ولا نفعا ومن جملة كذبهم قولهم الملائكة بنات الله فلذلك نعبد صورها فاحتج على ابطال معتقدهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) وهو الأفضل يعنى البنين لا الأنقص وهن البنات وقال جار الله معناه لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما شاء من خلقه وهم الملائكة لأن اتخاذ الولد ممتنع وفيه توبيخ لهم على أنهم حسبوا الاصطفاء اتخاذ الأولاد بل البنات وأقول انه تعالى أراد ابطال قولهم بطريق برهان وهو صورة قياس استثنائى كقوله لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى لأجل الاتخاذ مما يخلق ما يشاء لكنه ما اصطفى ينتج أنه لم يرد أما الشرطية فظاهرة بعد تسليم كمال قدرته وأما الثانية فاشار اليها بقوله (سبحانه هو الله الواحد القهار) فقوله سبحانه اشارة الى استحالة اصطفائه شيأ لأجل اتخاذ الولد وقوله هو الله الواحد القهار اشارة الى البرهان

---

السنين والحساب ويعرفوا الليل من النهار لمصلحة معاشهم كل يجرى لأجل مسمى يقول كل ذلك يعنى الشمس والقمر يجرى لأجل مسمى يعنى الى قيام الساعة وذلك الى أن تكور الشمس وتتكدر النجوم وقيل معنى ذلك أن لكل واحد منهما منازل لا تعدوه ولا تقصر دونه ألا هو العزيز الغفار يقول تعالى ذكره ألا ان الله الذى فعل هذه الافعال وأنعم على خلقه هذه النعم هو العزيز فى انتقامه من عاداه الغفار لذنوب عباده التائبين اليه منها بعفوه لهم عنها ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون﴾ يقول تعالى ذكره خلقكم أيها الناس من نفس واحدة يعنى من آدم ثم جعل منها زوجها يقول ثم جعل من آدم زوجه حوّاء وذلك أن الله خلقها من ضلع من أضلاعه ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خلقكم من نفس واحدة يعنى آدم ثم خلق منها زوجها حواء خلقها من ضلع من أضلاعه فان قال قائل وكيف قيل خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وانما خلق ولد آدم من آدم وزوجته ولا شك أن الوالدين قبل الولد فان فى ذلك أقوالا أحدها أن يقال قيل ذلك لأنه روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله لما خلق آدم مسح ظهره فأخرج كل نسمة هى كائنة الى يوم القيامة ثم أسكنه بعد ذلك الجنة وخلق بعد ذلك حواء من ضلع من أضلاعه فهذا قول والآخر أن العرب ربما أخبر الرجل منهم عن رجل بفعلين فيرد الأول منهما فى المعنى ثم اذا كان من خبر المتكلم كما يقال قد بلغنى ما كان منك اليوم ثم ما كان منك أمس أعجب فذلك نسق من خبر المتكلم والوجه الآخر أن يكون خلقه الزوج مردودا على واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدها ثم جعل منها زوجها فيكون فى واحدة معنى خلقها وحدها كما قال الراجز

أعددته للخصم ذى التعدّى * كوّحته منك بدون الجهد

بمعنى الذى اذا تمدى كوّحته ومعنى كوّحته غلبته والقول الذى يقوله أهل العلم أولى بالصواب وهو القول الأول الذى ذكرت أنه يقال ان الله أخرج ذرية آدم من صلبه قبل أن يخلق حواء وبذلك جاءت الرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والقولان الآخران على مذاهب أهل العربية وقوله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يقول تعالى ذكره وجعل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الابل زوجين ومن البقر زوجين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين كما قال جل ثناؤه ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله من الأنعام ثمانية أزواج قال من الابل والبقر والضأن والمعز حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الابل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين من كل واحد زوج حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وأنزل لكم من

على استحالة ذلك وتقريره من ثلاثة أوجه الأول أنه هو الله وهو اسم للمعبود الواجب الذات الجامع لجميع نعوت الجمال والجلال واتخاذ الولد يدل على الحاجة والفقر حتى يقوم الولد بعده مقامه أو على الاستئناس  والاتخاذ بوجوده أو لغير ذلك من الاغراض

الأنعام ثمانية أزواج يعني من المعزاثنين ومن الضأن اثنين ومن البقر اثنين ومن الابل اثنين وقوله يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق يقول تعالى ذكره يبتدئ خلقكم أيها الناس في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق وذلك أنه يحدث فيها نطفة ثم يجعلها علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم يكسو العظام لحما ثم ينشئه خلقا آخر تبارك الله وتعالى فذلك خلقه اياه خلقا بعد خلق كما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك عن عكرمة يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال نطفة ثم علقة ثم مضغة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله خلقا من بعد خلق قال نطفة ثم ما يتبعها حتى تم خلقه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاما ثم لحما ثم أنبت الشعر أطوارا الخلق حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة في قوله يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال يعني بخلق بعد الخلق علقة ثم مضغة ثم عظاما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال يكونون نطفا ثم يكونون علقا ثم يكونون مضغا ثم يكونون عظاما ثم ينفخ فيهم الروح حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق خلق نطفة ثم علقة ثم مضغة * وقال آخرون بل معنى ذلك يخلقكم في بطون أمهاتكم من بعد خلقه اياكم في ظهر آدم قالوا فذلك هو الخلق من بعد الخلق ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال خلقا في البطون من بعد الخلق الأول الذي خلقهم في ظهر آدم * وأولى القولين في ذلك بالصواب القول الذي قاله عكرمة ومجاهد ومن قال في ذلك مثل قولهما لأن الله جل وعز أخبر أنه يخلقنا خلقا من بعد خلق في بطون أمهاتنا في ظلمات ثلاث ولم يخبر أنه يخلقنا في بطون أمهاتنا من بعد خلقنا في ظهر آدم وذلك نحو قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة الآية وقوله في ظلمات ثلاث يعني في ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الأحوص عن سماك عن عكرمة في ظلمات ثلاث قال الظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سماك عن عكرمة في ظلمات ثلاث قال البطن والمشيمة والرحم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس في ظلمات ثلاث قال يعني بالظلمات الثلاث بطن أمه والرحم والمشيمة حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله في ظلمات ثلاث قال البطن والرحم والمشيمة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في ظلمات ثلاث المشيمة والرحم والبطن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في ظلمات ثلاث قال ظلمة المشيمة

وكل ذلك ينافي الوجوب الذاتي والاستغناء المطلق الثاني أنه هو الواحد الحقيقي كما مر ذكره مرارا والولد انما يحصل من جزء من أجزاء الوالد ومن شرطه أن يكون مماثلا لوالده في تمام الماهية حتى تكون حقيقة الوالد حقيقة نوعية محمولة على شخصين ويكون تعين كل منهما معلوما لسبب منفصل وكل ذلك ينافي التعين الذاتي والوحدة المطلقة وأيضا ان حصول الولد من الزوج يتوقف على الزوجة عادة وهي لابد أن تكون من جنس الزوج فلا يكون الزوج مما ينحصر نوعه في شخصه الثالث أنه هو القهار والمحتاج الى الولد هو الذي يموت فيقوم الولد مقامه والميت مقهور لا قاهر فثبت بهذه الدلائل أنه تعالى ما اصطفى شيأ لان يتخذه ولدا فصح أنه لم يرد ذلك ونفي ارادة الاتخاذ أبلغ من نفي الاتخاذ فقد يراد ولا يتخذ لمانع كعجزه ونحوه هذا ما وصل اليه فهمي في تفسير هذه الآية والله تعالى أعلم بأسرار كلامه وحين طعن في الهية الأصنام عدد الصفات التي بها يستدل على الالهية الحقة وهي أصناف أولها قوله (خلق السموات والارض بالحق) اى متلبسا بالغاية الصحيحة وقد مر مرارا الثاني (يكور الليل على النهار) وانتكويرا للف واللي يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفي التشبيه أوجه منها أن الليل والنهار متعاقبان اذا غشي أحدهما مكان الآخر فكأنما ألبسه ولف عليه ومنها أنه شبه كل منهما اذا غيب صاحبه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن الأبصار ومنها أن كلا منهما يكر على الآخر كرورا متتابعا كتتابع أكوار العمامة وقيل أراد أنه يزيد في كل واحد منهما بقدر ما ينقص من الآخر من قوله صلى الله عليه وسلم نعوذ بالله من الحور بعد الكور

اى من الادبار بعد الاقبال الثالث قوله (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى) وقدم مثله فى فاطر وغيره وحيث كان الأجل المسمى شاملا للقيامة عقبه بقوله (ألا هو العزيز الغفار) وفيه ترهيب مع ترغيب الرابع والخامس قوله (خلقكم



من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها) وهما آيتان أولهما تشعيب الخلق الثالث للحصر من نفس آدم والثانية خلق حواء من ضلعه ومعنى ثم ترتيب الأخبار لأن الأولى عادة مستمرة دون الثانية اذ لم يخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل فى كونها آية وأجلب لعجب السامع وقيل هو متعلق بواحدة فى المعنى كأنه قيل خلقكم من نفس واحدة ثم شفعها الله بزوج منها وقيل انه خلق آدم وأخرج ذريته من ظهره ثم ردهم الى مكانهم ثم خلق بعد ذلك حواء وقيل ثم قد يأتى مع الجملة دالا على التقدم كقوله ثم اهتدى ثم كان من الذين آمنوا وكقوله صلى الله عليه وسلم فليكفر عن يمينه ثم ليفعل الذى هو خير السادس قوله (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) أما الأزواج فهى المذكورة فى سورة الأنعام من الضأن اثنين الذكر والأنثى ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين وأما وصفها بالانزال فقيل أنزلها من الجنة وقيل أراد انزال ماهو سبب فى وجودها وهو المطر الذى به قوام النبات الذى به يعيش الحيوان وقيل أنزل بمعنى قضى وقسم لأن قضاياه وقسمه مكتوبة فى اللوح ومن هناك ينزل وفى هذه العبارة نوع فخامة وتعظيم لافادتها معنى الرفعة والاعتلاء ولهذا يقال رفعت القضية الى الأمير وان كان الأمير فى سرب وخصت هذه الأزواج بالذكر لكثرة منافعها من اللبن واللحم والجلد والشعر والوبر والركوب والحمل والحرث وغير ذلك السابع قوله (يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق) والمقصود ذكر تخليق الحيوان على الاطلاق بعد ذكر تخليق الانسان والأنعام

وظلمة الرحم وظلمة البطن حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فى ظلمات ثلاث قال المشيمة فى الرحم والرحم فى البطن حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله فى ظلمات ثلاث الرحم والمشيمة والبطن والمشيمة التى تكون على الولد اذا خرج وهى من الدواب السلى وقوله ذلكم الله ربكم يقول تعالى ذكره هذا الذى فعل هذه الافعال أيها الناس هو ربكم لا من لا يجلب لنفسه نفعا ولا يدفع عنها ضرا ولا يسوق اليكم خيرا ولا يدفع عنكم سوأ من أوثانكم وآلهتكم وقوله له الملك يقول جل وعز لربكم أيها الناس الذى صفته ما وصف لكم وقدرته ما بين لكم الملك ملك الدنيا والآخرة وسلطانهما لا لغيره فأما ملوك الدنيا فانما يملك أحدهم شيأ دون شئ فانما له خاص من الملك وأما الملك التام الذى هو الملك بالاطلاق فلله الواحد القهار وقوله لا اله الا هو فأنى تصرفون يقول تعالى ذكره لا ينبغى أن يكون معبود سواه ولا تصلح العبادة الا له فأنى تصرفون يقول تعالى ذكره فأنى تصرفون أيها الناس فتذهبون عن عبادة ربكم الذى هذه الصفة صفته الى عبادة من لا ضر عنده لكم ولا نفع * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأنى تصرفون قال كقوله تؤفكون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فأنى تصرفون قال للمشركين أنى تصرف عقولكم عن هذا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون انه عليم بذات الصدور﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر فقال بعضهم ذلك خاص من الناس ومعناه ان تكفروا أيها المشركون بالله فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده المؤمنين الذين أخلصهم لعبادته وطاعته الكفر ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر يعنى الكفار الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم فيقولوا لا اله الا الله ثم قال ولا يرضى لعباده الكفر وهم عباده المخلصون الذين قال ان عبادى ليس لك عليهم سلطان فألزمهم شهادة أن لا اله الا الله وحببها اليهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولا يرضى لعباده الكفر قال لا يرضى لعباده المؤمنين أن يكفروا * وقال آخرون بل ذلك عام لجميع الناس ومعناه أيها الناس ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لكم أن تكفروا به والصواب من القول فى ذلك ما قال الله جل وعز ان تكفروا بالله أيها الكفار به فان الله غنى عن ايمانكم وعبادتكم اياه ولا يرضى لعباده الكفر بمعنى ولا يرضى لعباده أن يكفروا به كما يقال لست أحب الظلم وان أحببت أن يظلم فلان فلانا فيعاقب وقوله وان تشكروا يرضه لكم يقول وان تؤمنوا بربكم وتطيعوه يرض شكركم له وذلك هو ايمانهم به وطاعتهم اياه فكنى عن الشكر ولم يذكر وانما ذكر الفعل الدال عليه وذلك نظير قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا بمعنى فزادهم قول الناس لهم ذلك ايمانا وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا

الا أنه غلب أولى العقل لشرفهم و يحتمل أن يكون ذكر الانعام اعتراضا حسن موقعه ذكر الأزواج بعد قوله جعل منها زوجها ليعلم أن كل حيوان ذو زوج و ترتيب التخليق مذكور مرارا كقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله أحسن الخالقين والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه أفعاله (ربكم له الملك) وقد مر اعرابه فى فاطر (لا اله الا هو) اذ لا موصوف بهذه الصفات الا هو (فأنى تصرفون) أى كيف يعدل بكم عن طريق الحق بعد هذا البيان ثم بين أنه غنى عن طاعات المطيعين وأنها لا تفيد الا أنفسهم فقال (ان تكفروا فان الله غنى عنكم) قالت المعتزلة فى قوله (ولا يرضى لعباده الكفر) دليل على أن الكفر ليس بقضائه والا لكان راضيا به وأجاب الأشاعرة بأنه قد علم من اصطلاح القرآن أن العباد المضاف الى الله أو الى ضميره هم المؤمنون قال وعباد الرحمن الذين يمشون عينا يشرب بها عباد الله فمعنى الآية ولا يرضى لعباده المخلصين الكفر وهذا مما لا نزاع فيه أو نقول سلمنا أن كفر الكافر ليس برضا الله بمعنى أنه لا يمدحه عليه ولا يترك اللوم والاعتراض الا أنا ندعى أنه بارادته وليس فى الآية دليل على ابطاله ثم بين غاية كرمه بقوله (وان تشكروا يرضه لكم) والسبب فى كلا الحكمين ما جاء فى الحديث القدسى سبقت رحمتى غضبى و باقى الآية مذكور مرارا مع وضوحه ثم حكى نهاية ضعف الانسان وتناقض آرائه بقوله (واذا مس) الى آخره وقد مر نظيره أيضا وقيل ان الانسان هو الكافر الذى تقدم ذكره وقيل أريد أقوام معينون كعتبة بن ربيعة وغيره

أسباط عن السدى وان تشكروا يرضه لكم قال ان تطيعوا يرضه لكم وقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى يقول لا تأثم آثمة إثم آثمة أخرى غيرها ولا تؤاخذ الا بإثم نفسها يعلم عز وجل عباده أن على كل نفس ما جنت وأنها لا تؤاخذ بذنب غيرها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولا تزر وازرة وزر أخرى قال لا يؤخذ أحد بذنب أحد وقوله ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون يقول تعالى ذكره ثم بعد اجتراحكم فى الدنيا ما اجترحتم من صالح وسيئ وايمان وكفر أيها الناس الى ربكم مصيركم من بعد وفاتكم فينبئكم يقول فيخبركم بما كنتم فى الدنيا تعملونه من خير وشر فيجازيكم على كل ذلك جزاءكم المحسن منكم باحسانه والمسيء بما يستحقه يقول عز وجل لعباده فاتقوا أن تلقوا ربكم وقد عملتم فى الدنيا بما لا يرضاه منكم فتهلكوا فانه لا يخفى عليه عمل عامل منكم وقوله انه عليم بذات الصدور يقول تعالى ذكره ان الله لا يخفى عليه ما أضمرته صدوركم أيها الناس مما لا تدركه أعينكم فكيف بما أدركته العيون ورأته الأبصار وانما يعنى جل وعز بذلك الخبر عن أنه لا يخفى عليه شيء وأنه محص على عباده أعمالهم ليجازيهم بها كى يتقوه فى سر أمورهم وعلانيتها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعوا اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار﴾ يقول تعالى ذكره واذا مس الانسان بلاء فى جسده من مرض أو عاهة أو شدة فى معيشته وجهد وضيق دعا ربه يقول استغاث بربه الذى خلقه من شدة ذلك ورغب اليه فى كشف ما نزل به من شدة ذلك وقوله منيبا اليه يقول تائبا اليه مما كان من قبل ذلك عليه من الكفر به واشراك الآلهة والأوثان به فى عبادته راجعا الى طاعته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا مس الانسان ضر قال الوجع والبلاء والشدة دعا ربه منيبا اليه قال مستغيثا به وقوله ثم اذا خوله نعمة منه يقول تعالى ذكره ثم اذا منحه ربه نعمة منه يعنى عافية فكشف عنه ضره وأبدله بالسقم صحة وبالشدة الرخاء والعرب تقول لكل من أعطى غيره من مال أو غيره قد خوله ومنه قول أبى النجم العجلى

أعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول

وحدثت عن أبى عبيدة معمر بن المثنى أنه قال سمعت أبا عمرو يقول فى بيت زهير

هنالك ان يستخولوا المال يخولوا * وان يسئلوا يعطوا وان يسروا يغلوا

قال معمر قال يونس انما سمعناه * هنالك ان يستخبلوا المال يخبلوا * قال وهى بمعناها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ثم اذا خوله نعمة منه اذا أصابته عافية أو خير وقوله نسى ما كان يدعو اليه من قبل يقول ترك دعاءه الذى كان يدعو الى الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضر وجعل لله أندادا يعنى شركاء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى نسى يقول ترك هذا فى الكافر خاصة ولما التى فى قوله نسى ما كان وجهان أحدهما أن يكون بمعنى الذى ويكون معنى الكلام حينئذ ترك الذى

ومعنى خوله أعطاه لا لاستجرار العوض قال جار الله فى حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يتخول أصحابه بالموعظة أى يتعهد و يتكفل أحوالهم

ان راى منهم نشاطا فى الوعظ وعظهم والثانى أنه جعله يخول اى يفتخر كما قيل * ان الغنى طويل الذيل مياس * ومعنى نسى ما كان



يدعو اليه نسى الضر الذى كان يدعو الله الى كشفه أو نسى ربه الذى كان يتضرع اليه فما بمعنى من والمراد أنه نسى

أن لا منازع ولا الهه سواه وعاد الى اتخاذ الأنداد مع الله واللام فى ليضل لام العاقبة ثم هدده بقوله (تمتع بكفرك) كقوله اعملوا ما شئتم وفيه أن الكافر لا يتمتع بالدنيا الا قليلا ثم يؤول الى النار ثم أردفه بشرح حال المحقين الذين لا رجوع لهم الا الى الله ولا اعتماد لهم الا على فضله فقال (أمن هو قانت) قال ابن عباس القنوت الطاعة وقال ابن عمر لا أعلم القنوت الا قراءة القرآن وطول القيام والمشهور أنه الدعاء فى الصلاة والقيام بما يجب عليه من الطاعة وعن قتادة (آناء الليل) أوله ووسطه وآخره وفيه تنبيه على فضل قيام الليل ولا يخفى أنه كذلك لبعده عن الرياء ولمزيد الحضور وفراغ الحواس من الشواغل الخارجية ولأن الليل وقت الراحة فالعبادة فيه أشق على النفس فيكون ثوابه أكثر والواو فى قوله (ساجدا وقائما) للجمع بين الصفتين وفى قوله (يحذر الآخرة) أى عذابها (ويرجو رحمة ربه) اشارة الى أن العابد يتقلب بين طورى القهر واللطف ويتردد بين حالى القبض والبسط ولا يخفى أن فى الكلام حذفا فمن قرأ أمن بالتخفيف فالخبر محذوف والمعنى أمن هو مطيع كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وبيان عدم الاستواء بين العالم والجاهل بعده ومن قرأ بالتشديد فالمحذوف جملة استفهامية والمذكور معطوف على المبتدا والمعنى هذا أفضل أم من هو قانت وقيل الهمزة على قراءة التخفيف للنداء كما تقول فلان لا يصلى ولا يصوم فيا من تصلى وتصوم ابشر وقيل متروكا المنادى هو رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل قوله (قل هل يستوى الذين يعلمون) الآية قال جار الله أراد بالذين يعلمون الذين سبق ذكرهم

كان يدعوه فى حال الضر الذى كان به يعنى به الله تعالى ذكره فتكون ما موضوعة عند ذلك موضع من كما قيل ولا أنتم عابدون ما أعبد يعنى به الله وكما قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء والثانى أن يكون بمعنى المصدر على ما ذكرت واذا كانت بمعنى المصدر كان فى الهاء التى فى قوله اليه وجهان أحدهما أن يكون من ذكر ما والآخر من ذكر الرب وقوله وجعل لله أندادا يقول وجعل لله أمثالا وأشباها ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى جعلوها فيه له أندادا فقال بعضهم جعلوها له أندادا فى طاعتهم اياهم فى معاصى الله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وجعل لله أندادا قال الأنداد من الرجال يطيعونهم فى معاصى الله * وقال آخرون عنى بذلك أنه عبد الأوثان فجعلها لله أندادا فى عبادتهم اياها * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال عنى به أنه أطاع الشيطان فى عبادة الأوثان فجعل له الأوثان أندادا لأن ذلك فى سياق عتاب الله اياهم على عبادتها وقوله ليضل عن سبيله يقول ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده والاقرار به والدخول فى الاسلام وقوله قل تمتع بكفرك قليلا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لفاعل ذلك تمتع بكفرك بالله قليلا الى أن تستوفى أجلك فنأتيك منيتك انك من أصحاب النار أى انك من أهل النار الماكثين فيها وقوله تمتع بكفرك وعيد من الله وتهدد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب ﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله أمن فقرأ ذلك بعض المكيين وبعض المدنيين وعامة الكوفيين أمن بتخفيف الميم ولقراءتهم ذلك كذلك وجهان أحدهما أن يكون الألف فى أمن بمعنى الدعاء يراد بها يا من هو قانت آناء الليل والعرب تنادى بالالف كما تنادى بيا فتقول أزيد أقبل ويا زيد أقبل ومنه قول أوس بن حجر

أبنى لبينى لستم بيد * الا يد ليست لها عضد

واذا وجهت الالف الى النداء كان معنى الكلام قل تمتع أيها الكافر بكفرك قليلا انك من أصحاب النار ويا من هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما انك من أهل الجنة ويكون فى النار عما للفريق الكافر عند الله من الجزاء فى الآخرة الكفاية عن بيان ما للفريق المؤمن اذ كان معلوما اختلاف أحوالهما فى الدنيا ومعقولا أن أحدهما اذا كان من أصحاب النار لكفره بربه أن الآخر من أصحاب الجنة فحذف الخبر عما له اكتفاء بفهم السامع المراد منه من ذكره اذ كان قد دل على المحذوف بالمذكور والثانى أن تكون الالف التى فى قوله أمن ألف استفهام فيكون معنى الكلام أهذا كالذى جعل لله أندادا ليضل عن سبيله ثم اكتفى بما قد سبق من خبر الله عن فريق الكفر به من أعدائه اذ كان مفهوما المراد بالكلام كما قال الشاعر

فأقسم لو شئ أتانا رسوله * سواك ولكن لم نجد لك مدفعا

فحذف لدفعناه وهو مراد فى الكلام اذ كان مفهوما عند السامع مراده وقرأ ذلك بعض قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة أمن بتشديد الميم بمعنى أم من هو ويقولون انما هى أم استفهام اعترض فى الكلام بعد كلام قد مضى بفاء بأم فعلى هذا التأويل يجب أن يكون جواب الاستفهام

وهم القانتون فكأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقتنون فيها ثم يفتنون بالدنيا و يجوز أن يراد على وجه التشبيه أى كما لا يستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون قيل نزلت فى عمار بن ياسر وأمثاله والظاهر العموم وفى قوله (انما يتذكر أولو الألباب) اشارة الى أن هذا التفاوت العظيم بين العالم والجاهل لا يعرفه الا أرباب العقول كما قيل

انما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه  وقيل لبعض العلماء انكم تزعمون أن العلم

متروكا من أجل أنه قد جرى الخبر عن فريق الكفر وما أعد له فى الآخرة ثم أتبع الخبر عن فريق الايمان فعلم بذلك المراد فاستغنى بمعرفة السامع بمعناه من ذكره اذ كان معقولا أن معناه هذا أفضل أم هذا والقول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان قرأ بكل واحدة علماء من القراء مع صحة كل واحدة منهما فى التأويل والاعراب فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد ذكرنا اختلاف المختلفين والصواب من القول عندنا فيما مضى قبل فى معنى القانت بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع غير أنا نذكر بعض أقوال أهل التأويل فى ذلك فى هذا الموضع ليعلم الناظر فى الكتاب اتفاق معنى ذلك فى هذا الموضع وغيره فكان بعضهم يقول هو فى هذا الموضع قراءة القارئ قائما فى الصلاة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى عن عبيد الله أنه قال أخبرنى نافع عن ابن عمر أنه كان اذا سئل عن القنوت قال لا أعلم القنوت الا قراءة القرآن وطول القيام وقرأ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما * وقال آخرون هو الطاعة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أمن هو قانت يعنى بالقنوت الطاعة وذلك أنه قال ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون الى كل له قانتون قال مطيعون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما قال القانت المطيع وقوله آناء الليل يعنى ساعات الليل كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أمن هو قانت آناء الليل أوله وأوسطه وآخره حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى آناء الليل قال ساعات الليل وقد مضى بياننا عن معنى الآناء بشواهده وحكاية أقوال أهل التأويل فيها بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله ساجدا وقائما يقول يقنت ساجدا أحيانا وأحيانا قائما يعنى يطيع والقنوت عندنا الطاعة ولذلك نصب قوله ساجدا وقائما لأن معناه أمن هو يقنت آناء الليل ساجدا طورا وقائما طورا فهما حال من قانت وقوله يحذر الآخرة يقول يحذر عذاب الآخرة كما حدثنى على بن الحسن الأزدى قال ثنا يحيى بن اليمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله يحذر الآخرة قال يحذر عقاب الآخرة و يرجو رحمة ربه يقول و يرجو أن يرحمه الله فيدخله الجنة وقوله قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون يقول تعالى ذكره قل يا محمد لقومك هل يستوى الذين يعلمون ما لهم فى طاعتهم ربهم من الثواب وما عليهم فى معصيتهم اياه من التبعات والذين لا يعلمون ذلك فهم يخبطون فى عشواء لا يرجون بحسن أعمالهم خيرا ولا يخافون بسيئها شرا يقول ما هذان بمتساويين وقد روى عن أبى جعفر محمد بن على فى ذلك ما حدثنى محمد بن خلف قال ثنى نصر بن مزاحم قال ثنا سفيان الجريرى عن سعيد بن أبى مجاهد عن جابر عن أبى جعفر رضوان الله عليه هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون قال نحن الذين يعلمون وعدونا الذين

أفضل من المال ونحن نرى العلماء مجتمعين على أبواب الملوك دون العكس فأجاب بأن هذا ايضا من فضيلة العلم لأن العلماء علموا ما فى المال من المنافع فطلبوه والجهال لم يعرفوا ما فى العلم من المنافع فتركوه وحين بين عدم الاستواء بين من يعلم و بين من لا يعلم أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يخاطب المؤمنين بأنواع من الكلام النوع الأول (قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم) قال أهل السنة أمر المؤمنين أن يضموا الى الايمان التقوى وفيه دلالة على أن الايمان يبقى مع المعصية وقالت المعتزلة أمرهم بالتقوى لئلا يحبطوا ايمانهم بارتكاب الكبائر بل يزيدوا فى الايمان حتى يتصفوا بصفة الاتقاء ثم بين للمؤمنين فائدة الاتقاء قائلا (للذين أحسنوا) الآية وقوله (فى هذه الدنيا) إما أن يكون صلة لما قبله أو صلة لما بعده وهو قول السدى ومعناه على الاول الذين أحسنوا فى هذه الدنيا لهم حسنة فى الآخرة وهى الجنة والتنكير للتعظيم أى حسنة لا يصل العقل الى كنهها وعلى الثانى الذين أحسنوا فلهم فى هذه الدنيا حسنة قال جار الله فالظرف بيان لمكان الحسنة ويحتمل أن يقال انه نصب على الحال لأنه نعت للنكرة قدم عليها

 والقائلون بهذا القول فسروا الحسنة بالصحة والعافية وضم بعضهم اليها الامن والكفاية ورجح الاول بأن هذه الامور قد تحصل للكفار على الوجه الأتم فكيف تجعل جزاء للمؤمن المتقى وقيل هى الثناء الجميل وقيل الظفر والغنيمة وقيل نور القلب و بهاء الوجه وفى قوله (وأرض الله واسعة) اشارة الى أن أسباب التقوى ان لم تتيسر فى أرض وجبت الهجرة الى أرض يتيسر ذلك فيها فيكون كقوله ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وعن أبى مسلم هى أرض الجنة لانه حين بين

أن المتقى له الجنة وصف أرض الجنة بالسعة ترغيبا فيها كما قال نتبوأ من الجنة حيث نشاء (انما يوفى الصابرون) على مفارقة الأوطان وتجرع الغصص واحتمال البلايا فى طاعة الله وتكاليفه (أجرهم بغير حساب) أى لا يحاسبون أو بغير حصر قال جار الله عن النبى صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان (١٠٦) ويصب عليهم الاجر صبا ثم تلا الآية وقال حتى يتمنى أهل العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل النوع الثانى (قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) قال مقاتل ان كفار قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم ما يحملك على هذا الدين الذى أتيتنا به ألا تنظر الى ملة أبيك وجدتك وسادة قومك يعبدون اللات والعزى فأنزل الله هذه الآية وكأنه اشارة الى الأمر المذكور فى أول السورة فاعبد الله مخلصا له الدين وقوله (وأمرت لأن أكون) ليس بتكرار لان اللام للعلة والمأمور به محذوف يدل عليه ماقبله والمعنى أمرت باخلاص الدين وأمرت بذلك لأجل أن أكون أول المسلمين أى مقدمهم وسابقهم فى الدارين ٣ فتقول فائدة التكرار أن ذكر التعليل مع نوع تأكيد وقيل اللام بدل من الباء أى أمرت بأن أكون أول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره ليصح الاقتداء بى فى قولى وفعلى ولعل الاخلاص اشارة الى عمل القلب والاسلام الى عمل الجوارح فان النبى صلى الله عليه وسلم فسر الاسلام فى خبر جبريل بالأعمال الظاهرة وفيه أنه صلى الله عليه وسلم ليس مثل الملوك الجبابرة الذين يأمرون الناس بأشياء وهم لا يفعلونها بل له سابقة فى كل ما يأمر به وينهى عنه وحين بين أن الله أمره باخلاص القلب وبأعمال الجوارح وكان الأمر يحتمل الوجوب والندب بين أن لا ذلك الأمر للوجوب فقال (قل انى أخاف) الآية وذلك أن خوف العقاب لا يترتب الا على ترك الواجب واذا كان النبى صلى الله عليه وسلم مع جلالة قدره خائفا من العصيان فغيره أولى قيل المراد به أمته وقيل نزلت قبل أن يغفر الله له وقالت الأشاعرة فيه دليل على أن صاحب الكبيرة قد يعفى عنه لأنه بين ان اللازم عند حصول المعصية خوف العقاب لا نفس العقاب النوع الثالث (قل الله أعبد مخلصا له دينى)

لا يعلمون وقوله انما يتذكر أولوا الالباب يقول تعالى ذكره إنما يعتبر حجج الله فيتعظ ويتفكر فيها ويتدبرها أهل العقول والحجى لا أهل الجهل والنقص العقول ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لعبادى الذين آمنوا يا عبادى الذين آمنوا بالله وصدقوا رسوله اتقوا ربكم بطاعته واجتناب معاصيه للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ثم اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معناه للذين أطاعوا الله حسنة فى هذه الدنيا وقال فى من صلة حسنة وجعل معنى الحسنة الصحة والعافية ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة قال العافية والصحة * وقال آخرون فى من صلة أحسنوا ومعنى الحسنة الجنة وقوله وأرض الله واسعة يقول تعالى ذكره وأرض الله فسيحة واسعة فهاجروا من أرض الشرك الى دار الاسلام كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وأرض الله واسعة فهاجروا واعتزلوا الأوثان وقوله انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب يقول تعالى ذكره انما يعطى الله أهل الصبر على ما لقوا فيه فى الدنيا أجرهم فى الآخرة بغير حساب يقول ثوابهم بغير حساب وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب لا والله ما هنا كم مكيال ولا ميزان حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قال فى الجنة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك ان الله أمرنى أن أعبده مفردا له الطاعة دون كل ما تدعون من دونه من الآلهة والأنداد وأمرت لأن أكون أول المسلمين يقول وأمرنى ربى جل ثناؤه بذلك لأن أكون بفعل ذلك أول من أسلم منكم فخضع له بالتوحيد وأخلص له العبادة وبرئ من كل ما دونه من الآلهة وقوله تعالى قل انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهم انى أخاف ان عصيت ربى فيما أمرنى به من عبادته مخلصا له الطاعة ومفرده بالربوبية عذاب يوم عظيم يعنى عذاب يوم القيامة وذلك هو اليوم الذى يعظم هوله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك الله أعبد مخلصا مفردا له طاعتى وعبادتى

وليس بتكرار لما قبله وذلك ان الاول للاخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة الخالصة عن الشرك الجلى والخفى وهذا اخبار بأن الذى أمر به فانه قد أتى به على أكمل الوجوه ولهذا أخر الفعل وضم الى مضمونه التهديد بقوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) النوع الرابع (قل ان الخاسرين) الكاملين فى الخسران الجامعين لوجوهه هم (الذين خسروا أنفسهم) لوقوعها فى هلكة الاخلاد بعذابها (و) خسروا (أهليهم) لان أهلهم وأولادهم ان كانوا فى النار فلا فائدة لهم منهم لانهم محجوبون عنهم (١٣١) أولان كلا منهم مشغول بهمه وان كانوا من أهل الجنة فما أبعد ما بينهم وقيل أهلوهم الحور العين فى الجنة لو آمنوا قال أهل البيان فى قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) تفظيع لشأنهم حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل وعرف الخسران ووصفه بالمبين قلت التحقيق فيه أن للانسان قوتين يستكمل باحداهما علما وبالأخرى عملا والآلة الواسطة فى القسم الأول هى العلوم المسماة بالبديهيات وترتيبها على الوجه المؤدى الى النتائج وهو بمنزلة الربح يشبه تصرف التاجر فى رأس المال بالبيع والشراء والآلة فى القسم العملى هى القوى البدنية وغيرها من الاسباب الخارجية المعينة عليها واستعمال تلك القوى فى وجوه أعمال البر التى هى بمنزلة الربح يشبه التجارة فكل من أعطاه الله العقل والصحة والتمكين ثم انه لم يستفد منها معرفة الحق ولا عمل الخير فاذا مات فقد فات ربحه وضاع رأس ماله ووقع فى عذاب الجهل وألم البعد عن عالمه والقرب مما يضاده أبد الآباد فلا خسران فوق هذا ولا حرمان أبين منه وقد أشار الى هذا بقوله (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) أى أطباق من النار من ظلل الآخرين فان لجهنم دركات كما أن للجنة درجات وقال المفسرون سمى النار ظلة بغلظها وكثافتها فصارت محيطة بهم من جميع الجوانب حائلة من النظر الى شئ آخر قلت ان كانوا فى كرة النار فوجهه ظاهر ونظيره فى الاحوال النفسانية احاطة نار الجهل والحرص وسائر الأخلاق الذميمة بالانسان وقد مر فى قوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم وقيل الظلة ما علا الانسان فسمى ما تحتهم بالظلة اطلاقا لأحد الضدين على الآخر أولأن التحتانية مشابهة للفوقانية فى الحرارة والاحراق و (ذلك) العذاب المعد للكفار (يخوف الله به عباده) المؤمنين وقد مر أن العباد فى القرآن

---

لا أجعل له فى ذلك شريكا ولكنى أفرده بالألوهة وأبرأ مما سواه من الأنداد والآلهة فاعبدوا أنتم أيها القوم ما شئتم من الأوثان والأصنام وغير ذلك مما تعبدون من سائر خلقه فستعلمون وبال عاقبة عبادتكم ذلك اذا لقيتم ربكم وقوله قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهم ان الهالكين الذين غبنوا أنفسهم وهلكت بعذاب الله أهلوهم مع أنفسهم فلم يكن لهم اذ دخلوا النار فيها أهل وقد كان لهم فى الدنيا أهلون * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة قال هم الكفار الذين خلقهم الله للنار وخلق النار لهم فزالت عنهم الدنيا وحرمت عليهم الجنة قال الله خسر الدنيا والآخرة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة قال هؤلاء أهل النار خسروا أنفسهم فى الدنيا وخسروا الأهلين فلم يجدوا فى النار أهلا وقد كان لهم فى الدنيا أهل حدثت عن ابن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد قال غبنوا أنفسهم وأهليهم قال يخسرون أهليهم فلا يكون لهم أهل يرجعون اليهم ويخسرون أنفسهم فيهلكون فى النار فيموتون وهم أحياء فيخسرونهما وقوله ألا ذلك هو الخسران المبين يقول تعالى ذكره ألا ان خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة وذلك هلاكها هو الخسران المبين يقول تعالى ذكره هو الهلاك الذى يبين لمن عاينه وعلمه أنه الخسران ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ يقول تعالى ذكره هؤلاء الخاسرين يوم القيامة فى جهنم من فوقهم ظلل من النار وذلك كهيئة الظلل المبنية من النار ومن تحتهم ظلل يقول ومن تحتهم من النار ما يعلوهم حتى يصير ما يعلوهم منها من تحتهم ظللا وذلك نظير قوله جل ثناؤه لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش يغشاهم مما هو تحتهم فيها من المهاد وقوله ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون يقول تعالى ذكره هذا الذى أخبرتكم أيها الناس به مما للخاسرين يوم القيامة من العذاب تخويف من ربكم لكم يخوفكم به لتحذروه فتجتنبوا معاصيه وتنيبوا من كفركم الى الايمان به وتصديق رسوله واتباع أمره ونهيه فتنجوا من عذابه فى الآخرة فاتقون يقول فاتقون بأداء فرائضى عليكم واجتناب معاصى لتنجوا من عذابى وسخطى وقوله والذين اجتنبوا الطاغوت أى اجتنبوا عبادة كل ما عبد من دون الله من شئ وقد بينا معنى الطاغوت فيما مضى قبل بشواهده بذلك وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وذكرنا أنه فى هذا الموضع الشيطان وهو فى هذا الموضع وغيره بمعنى واحد عندنا ذكر

اذا كان مضافا الى ضمير الله اختص بأهل الايمان عند اهل السنة وعندى أنه لا مانع من التعميم ههنا ثم عقب الوعيد بالوعد قائلا (والذين اجتنبوا الطاغوت) وهو كل ما عبد من دون الله كما مر فى آية الكرسى وقوله (أن يعبدوها) بدل اشتمال منه (وأنابوا الى الله) رجعوا بالكلية الى تحصيل رضاه فالاول تخلية والثانى تحلية وحقيقة الاعراض عما سوى الله والاقبال على الله هى أن يعرف أن كل ما سواه فانه ممكن الوجود لذاته فقير فى نفسه وهو سبحانه  واجب الوجود لذاته غنى على الاطلاق لا حكم الا له ولا تدبير الا به وبأمره

من قال ماذكرنا فى هذا الموضع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله والذين اجتنبوا الطاغوت قال الشيطان حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها قال الشيطان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها قال الشيطان هو ههنا واحد وهى جماعة والطاغوت على قول ابن زيد هذا واحد مؤنث ولذلك قيل أن يعبدوها وقيل انما أنثت لأنها فى معنى جماعة وقوله وأنابوا الى الله يقول وتابوا الى الله ورجعوا الى الاقرار بتوحيده والعمل بطاعته والبراءة مما سواه من الآلهة والانداد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنابوا الى الله وأقبلوا الى الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله وأنابوا الى الله قال أجابوا اليه وقوله لهم البشرى يقول لهم البشرى فى الدنيا بالجنة فى الآخرة فبشر عبادى الذين يستمعون القول يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فبشر يا محمد عبادى الذين يستمعون القول من القائلين فيتبعون أرشده وأهداه الى الحق وأدله على توحيد الله والعمل بطاعته ويتركون ما سوى ذلك من القول الذى لا يدل على رشاد ولا يهدى الى سداد وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فيتبعون أحسنه وأحسنه طاعة الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فيتبعون أحسنه قال أحسن ما يؤمرون به فيعملون به وقوله أولئك الذين هداهم الله يقول تعالى ذكره الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الذين هداهم الله يقول وفقهم الله للرشاد واصابة الصواب لا الذين يعرضون عن سماع الحق ويعبدون ما لا يضر ولا ينفع وقوله وأولئك هم أولوا الألباب يعنى أولوا العقول والحجى وذكر أن هذه الآية نزلت فى رهط معروفين وحدوا الله وبرئوا من عبادة كل ما دون الله قبل أن يبعث نبى الله فأنزل الله هذه الآية على نبيه يمدحهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها الآيتين حدثنى أبى أن هاتين الآيتين نزلتا فى ثلاثة نفر كانوا فى الجاهلية يقولون لا اله الا الله زيد بن عمرو وأبى ذر الغفارى وسلمان الفارسى نزل فيهم والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها فى جاهليتهم وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه لا اله الا الله أولئك الذين هداهم الله بغير كتاب ولا نبى وأولئك هم أولوا الألباب ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله

(لهم البشرى) أى هم مخصوصون بالبشارة المطلقة وهى الخبر الاول الصدق الموجب للسرور بزوال المكاره وحصول الأمانى ووقتها الموت الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وعند دخول الجنة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم وعند لقاء الله تحيتهم يوم يلقونه سلام وسماع هذه البشارات فى الدنيا على ألسنة الرسل لا يخرجها عن كونها بشارة فى هذه الأوقات لانها فى الاول عامة للمكلفين مبهمة فيهم ولا تتعين الا فى هذه الاحوال وقيل هذه أنواع أخر من السعادات فوق ما عرفوها أو سمعوها نسأل الله الفوز بها قال ابن زيد نزلت فى ثلاثة نفر كانوا يقولون فى الجاهلية لا اله الا الله زيد بن عمرو وأبو ذر الغفارى وسلمان الفارسى وعن ابن عباس أن أبا بكر آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن وطلحة والزبير وسعد وسعيد فسألوه فأخبرهم بايمانه فآمنوا فأنزل الله (فبشر عبادى الذين يستمعون القول) أى من أبى بكر (فيتبعون أحسنه) وهو لا اله الا الله وقال أهل النظم لما بين أن الذين اجتنبوا وأنابوا لهم البشرى وكان ذلك درجة عالية لا يصل اليها الا الأقلون جعل الحكم أعم اظهارا للرحمة فقال كل من اختار الأحسن فى كل باب كان من زمرة السعداء أهلا للبشارة وقال جار الله أراد بعباده الذين أفمن يستمعون القول الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم أى هم الذين ضموا هذه الخصلة الى تلك ولهذا وضع الظاهر فى موضع المضمر وفى الآية دلالة على وجوب النظر والاستدلال وأنه اذا اعترض أمران واجب وندب فالأولى اختيار الواجب وكذا الكلام فى المباح والندب كالقصاص والعفو وكل ما هو أحوط فى الدين مثاله فى الاصول القول بأن للعالم صانعا حيا قديما عليما قادرا متصفا بنعوت الجلال والاكرام

وصفات الكمال والتمام أولى وأحوط من انكاره وكذا الاقرار بالبعث والجزاء أحوط من الانكار وفى الفروع الصلاة المشتملة على القراءة والتشهد والتسليم وغيرها من الأركان والابعاض المختلف فيها أجود من الصلاة الفارغة عنها أو عن بعضها وقال العارفون يسمعون من النفس الدعوة الى الشهوات ومن الشيطان قول الباطل والغرور ومن الملك الالهامات ومن الله ورسوله الدعاء الى دار السلام فيقبلون كلام الله ورسوله والخواطر الحسنة دون غيرها وعن ابن عباس هو الرجل  يجالس مع القوم فيستمع الحديث فيه محاسن ومساوئ فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الواقفين من يقف على قوله فبشر عبادى ويبتدئ الذين يستمعون وخبره (أولئك الذين هداهم) وهو اشارة الى الفاعل (وأولئك هم أولوا الألباب) اشارة الى أن جواهر نفوسهم قابلة لفيض الهداية بخلاف من لم يكن له قابلية ذلك وهو قوله (أفمن حق عليه كلمة العذاب) قال جار الله أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه فهى جملة شرطية دخل عليها الهمزة للانكار وكررت الفاء الثانية للجزاء تأكيدا لمعنى الانكار ووضع من فى النار موضع الضمير تصريحا بجزائهم وأما الفاء الأولى فللعطف على محذوف يدل عليه سياق الكلام تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق الى آخره وجوز أن يكون الكلام بعد المحذوف جملتين شرطية جزاؤها محذوف أيضا ثم حملية والتقدير أفمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من فى النار قلت فالكلام على هذا التقدير يشتمل على أربع جمل ثنتان بعد همزتى الانكار محذوفتان والباقيتان ظاهرتان ومن زعم أن الفاء بعد الهمزة لمزيد الانكار لا للعطف فمجموع الآية شرطية كما ذكرنا أو هى مع حملية ثم صرح بجزاء المتقين فقال (لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف) وهو كالمقابل لما مر فى وعيد الكفار لهم من فوقهم ظلل ومعنى قوله (مبنية) والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التى على الارض وسويت تسويتها وجعلت متساوية فى أسباب النزاهة من الاشجار والانهار لا مثل أبنية الدنيا فان الفوقانى منها يكون أضعف من التحتانى وأخف والتحتانى قد يجرى من تحتها الانهار وأما الفوقانى فلا يمكن فيها ذلك قال حكماء الاسلام الغرف المبنية بعضها فوق بعض هى العلوم المكتسبة المبنية على الفطريات وأنها تكون فى المتانة واليقين كالعلوم الغريزية البديهية

أفمن حق عليه كلمة العذاب أفمن وجبت عليه كلمة العذاب فى سابق علم ربك يا محمد بكفره به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن حق عليه كلمة العذاب بكفره وقوله أفأنت تنقذ من فى النار يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفأنت تنقذ يا محمد من هو فى النار من حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه فاستغنى بقوله تنقذ من فى النار عن هذا وكان بعض نحويى الكوفة يقول هذا مما يراد به استفهام واحد فيسبق الاستفهام الى غير موضعه فيرد الاستفهام الى موضعه الذى هو له وانما المعنى والله أعلم أفأنت تنقذ من فى النار من حقت عليه كلمة العذاب قال ومثله من غير الاستفهام أبعدكم أنكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون فردد أنكم مرتين والمعنى والله أعلم أبعدكم أنكم مخرجون اذا متم ومثله قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وكان بعضهم يستخطئ القول الذى حكيناه عن البصريين ويقول لا تكون فى قوله أفأنت تنقذ من فى النار كناية عمن تقدم لا يقال القوم ضربت من قام يقول المعنى ألتجرئة أفأنت تنقذ من فى النار منهم وانما معنى الكلمة أفأنت تهدى يا محمد من قد سبق له فى علم الله أنه من أهل النار الى الايمان فتنقذه من النار بالايمان لست على ذلك بقادر وقوله لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية يقول تعالى ذكره لكن الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب محارمه لهم فى الجنة غرف من فوقها غرف مبنية علالى بعضها فوق بعض تجرى من تحتها الأنهار يقول تعالى ذكره تجرى من تحت أشجار جناتها الأنهار وقوله وعد الله يقول جل ثناؤه وعدنا هذه الغرف التى من فوقها غرف مبنية فى الجنة هؤلاء المتقين لا يخلف الله الميعاد يقول جل ثناؤه والله لا يخلفهم وعده ولكنه يوفى بوعده ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان فى ذلك لذكرى لأولى الألباب ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء ماء وهو المطر فسلكه ينابيع فى الأرض يقول فأجراه عيونا فى الأرض واحدها ينبوع وهو ما جاش من الارض وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن الشعبى فى قوله فسلكه ينابيع فى الارض قال كل ندى وماء فى الارض من السماء نزل * قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن جابر عن الحسن بن مسلم بن يبان قال ثم أنبت بذلك الماء الذى أنزله من السماء فجعله فى الأرض عيونا زرعا مختلفا ألوانه يعنى أنواعا مختلفة من بين حنطة وشعير وسمسم وأرز ونحو ذلك من الأنواع المختلفة ثم يهيج فتراه مصفرا يقول ثم ييبس ذلك الزرع من بعد خضرته يقال للارض اذا يبس ما فيها من الخضر وذوى هاجت الارض وهاج الزرع وقوله فتراه مصفرا يقول فتراه من بعد خضرته ورطوبته قد يبس فصار أصفر وكذلك الزرع اذا يبس اصفر

وحين وصف الآخرة بصفات توجب الرغبة فيها أراد أن يصف الدنيا بما يقتضي النفرة عنها فقدم لذلك مقدمة يستدل بها على حقية الصانع أيضا فقال (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه) أي أدخله في الارض حال كون ذلك الماء (ينابيع) مثل الدم في العروق والينابيع جمع ينبوع وهو كل ماء يخرج من الارض وقيل هو الموضع الذي يخرج منه الماء كالعيون والآبار فينصب على الظرف وقوله (ثم يخرج) على لفظ المستقبل تصويرا لتلك الحالة (١٣٤) العجيبة الشأن وهي اخراج النبت المختلف الألوان والأصناف والخواص

ثم يجعله حطاما والحطام فتات التبن والحشيش يقول ثم يجعل ذلك الزرع بعد ما صار رطبا فتاتا متكسرا وقوله ان في ذلك لذكرى لأولي الألباب يقول تعالى ذكره ان في فعل الله ذلك كالذي وصف لذكرى وموعظة لأهل العقول والحجى يتذكرون به فيعلمون أن من فعل ذلك فلن يتعذر عليه إحداث ما شاء من الأشياء وانشاء ما أراد من الأجسام والأعراض وإحياء من هلك من خلقه من بعد مماته واعادته من بعد فنائه كهيئته قبل فنائه كالذي فعل بالأرض التي أنزل عليها من بعد موتها الماء فأنبت بها الزرع المختلف الألوان بقدرته ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾ يقول تعالى ذكره أفمن فسح الله قلبه لمعرفته والاقرار بوحدانيته والاذعان لربوبيته والخضوع لطاعته فهو على نور من ربه يقول فهو على بصيرة مما هو عليه ويقين بتنويره الحق في قلبه فهو لذلك لأمر الله متبع وعما نهاه عنه منته فيما يرضيه كمن أقسى الله قلبه وأخلاه من ذكره وضيقه عن استماع الحق واتباع الهدى والعمل بالصواب وترك ذكر الذي أقسى الله قلبه وجواب الاستفهام اجتزاء بمعرفة السامعين المراد من الكلام اذ ذكر أحد الصنفين وجعل مكان ذكر الصنف الآخر الخبر عنه بقوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه يعني كتاب الله هو المؤمن به يأخذ واليه ينتهي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله أفمن شرح الله صدره للاسلام قال وسع صدره للاسلام والنور الهدى حدثت عن ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد أفمن شرح الله صدره للاسلام قال ليس المنشرح صدره مثل القاسي قلبه قوله فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله يقول تعالى ذكره فويل للذين جفت قلوبهم ونأت عن ذكر الله وأعرضت يعني عن القرآن الذي أنزله تعالى ذكره مذكرا به عباده فلم يؤمن به ولم يصدق بما فيه وقيل من ذكر الله والمعنى عن ذكر الله فوضعت من مكان عن كما يقال في الكلام آلمت من طعام أكلته وعن طعام أكلته بمعنى واحد وقوله أولئك في ضلال مبين يقول تعالى ذكره هؤلاء القاسية قلوبهم من ذكر الله في ضلال مبين لمن تأمله وتدبره بفهم أنه في ضلال عن الحق جائر ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ يقول تعالى ذكره الله نزل أحسن الحديث كتابا يعني به القرآن متشابها يقول يشبه بعضه بعضا لا اختلاف فيه ولا تضاد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي كتابا متشابها قال المتشابه يشبه بعضه بعضا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن يعقوب عن جعفر

بسبب الماء المخالط للارض (ثم يهيج) أي يتم جفافه قال الاصمعي لانه اذا تم جفافه جاز له أن يثور عن منابته ويذهب (ثم يجعله حطاما) أي فتاتا متكسرا (ان في ذلك) الذي ذكر من انزال الماء واخراج الزرع بسببه (لذكرى) لتذكيرا وتنبيها على وجود الصانع (لاولي الالباب) وفيه أن الانسان وان طال عمره فلا بد له من الانتهاء الى حالة اصفرار اللون وتحطم الأجزاء والأعضاء بل الى الموت والفناء وانما قال ههنا ثم يجعله حطاما وفي الحديد ثم يكون حطاما لان الفعل هناك مسند الى النبات وهو قوله أعجب الكفار نباته وههنا مسندا الى الله من قوله أنزل الى آخره وحين بالغ في تقرير البينات الدالة على وجوب الاقبال على طاعة الله والاعراض عن الدنيا الفانية بين أن ذلك البيان لا يكمل الانتفاع به الا اذا شرح الله صدره ونور قلبه فقال (أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه) ولا يخفى ما في لفظة على من فائدة الاستعلاء والتمكن كما مر في قوله أولئك على هدى والخبر محذوف كما ذكرنا في قوله أمن هو قانت يعني هذا الشخص المنشرح الصدر كمن طبع الله على قلبه يدل عليه ما بعده (فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله) أي من أجل سماع القرآن وانما عدى بمن لان قسوة القلب تدل على خلوه من فوائد القرآن ويجوز أن يكون من للتعليل وذلك أن جواهر النفوس مختلفة فبعضها تكون مشرقة بنور الله يزيدها نور القرآن بهاء وضياء وبعضها تكون مظلمة كدرة لا ينعكس نور الذكر اليها ولا تظهر صور الحق فيها كالمرآة الصدئة ثم أكد وصف القرآن وكيفية تأثيره في النفوس بقوله (الله نزل أحسن الحديث) عن ابن عباس وابن مسعود ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت الآية والحديث كلام يتضمن الخبر عن حال متقدمة

ووصفه بالحدوث من حيث النزول لاينافى قدمه من حيث انه كلام نفسى ووجه كونه أحسن لفظا ومعنى مما لايخفى على ذى طبع فضلا عن ذى لب وقوله (كتابا) بدل من أحسن أوحال موطئة ومعنى (متشابها) أنه يشبه بعضه بعضا فى الاعجاز اللفظى والمعنوى والنظم الانيق والاسلوب العجيب والاشتمال على الغيوب وعلى أصول العلوم كما مر فى أول البقرة فى تفسير قوله وان كنتم فى ريب وقيل هو من قوله وأخر متشابهات فيكون صفة لبعض القرآن وقيل يشبه اللفظ  اللفظ والمعنى مختلف وقوله مثانى جمع مثنى ومثنى بمعنى مكرر لما ثنى من قصصه وأحكامه ومواعظه أو لانه يثنى فى التلاوة فلا يورث ملالا كقوله ولا يخلق على كثرة الرد وقيل المثانى لآى القرآن كالقوافى للشعر وقد مر بعض هذه الاقوال فى مقدمات الكتاب وفى سورة الحجر فى قوله ولقد آتيناك سبعا من المثانى ومعنى اقشعرار الجلد تقبضه قال جار الله تركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها الراء ليصير رباعيا دالا على معنى زائد وهو تمثيل لشدة الخوف أو حقيقة سببه الخوف قال المفسرون أرادانهم عند سماع آيات العذاب يخافون فتقشعر جلودهم وعند سماع آيات الرحمة والاحسان أو تذكرهم لرأفته وأن رحمته سبقت غضبه تلين جلودهم وقلوبهم ومعنى الى فى قوله (الى ذكر الله) هو أنه ضمن لان معنى سكن واطمأن وقال العارفون اذا نظروا الى عالم الجلال طاشوا وان راح لهم أثر من عالم الجمال عاشوا وقال أهل البرهان اذا اعتبر العقل موجودا لا أول له ولا آخر ولا حين ولا جهة وقع فى بادية التحير والهيبة واذا اعتبر الدلائل القاطعة على وجود موجود واجب لذاته واحد فى صفاته وأفعاله اطمأن قلبه اليه قال جار الله انما ذكرت الجلود أولا وحدها لان الخشية تدل على القلوب لانها محل الخشية فكأنه قيل تقشعر جلودهم بعد خشية قلوبهم ثم اذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم ويحتمل أن يقال المكاشفة فى مقام الرجاء أكمل منها فى مقام الخوف ومحل المكاشفات هو القلب فلذلك اختص ذكر القلب بجانب الرجاء ثم أشار الى الكتاب المذكور بقوله (ذلك هدى الله) كقوله هدى للمتقين ثم بين أن للقاسية قلوبهم حالين أما فى الدنيا فالضلال العام وهو قوله ومن يضلل الله فماله من هاد وأما فى الآخرة فقوله

عن سعيد بن جبير فى قوله كتابا متشابها قال يشبه بعضه بعضا ويصدق بعضه بعضا ويدل بعضه على بعض وقوله مثانى يقول تثنى فيه الأنباء والأخبار والقضاء والاحكام والحجج ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبى رجاء عن الحسن فى قوله الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى قال تثنى القضاء فيه تكون السورة فيها الآية فى سورة أخرى آية تشبهها وسئل عنها عكرمة (١) حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله كتابا متشابها مثانى قال فى القرآن كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مثانى قال ثنى الله فيه الفرائض والقضاء والحدود حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله مثانى قال كتاب الله مثانى ثنى فيه الأمر مرارا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله مثانى قال كتاب الله مثانى ثنى فيه الأمر مرارا حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله مثانى ثنى فى غير مكان حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مثانى مرددد ردد موسى فى القرآن وصالح وهود والانبياء فى أمكنة كثيرة وقوله تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم يقول تعالى ذكره تقشعر من سماعه اذا تلى عليهم جلود الذين يخافون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله يعنى الى العمل بما فى كتاب الله والتصديق به وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل أن أصحابه سألوه الحديث ذكر الرواية بذلك حدثنا نصر بن عبد الرحمن الأودى قال ثنا حكام بن سلم عن أيوب ابن موسى عن عمرو الملائى عن ابن عباس قالوا يا رسول الله لو حدثتنا قال فنزلت الله نزل أحسن الحديث حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أيوب بن سيار أبى عبد الرحمن عن عمرو بن قيس قال قالوا يا نبى الله فذكر مثله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء يقول تعالى ذكره هذا الذى يصيب هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم عند سماعهم القرآن من اقشعرار جلودهم ثم لينها ولين قلوبهم الى ذكر الله من بعد ذلك هدى الله يعنى توفيق الله اياهم وفقههم له يهدى به من يشاء يقول يهدى تبارك وتعالى بالقرآن من يشاء من عباده وقد يتوجه معنى قوله ذلك هدى الى أن يكون ذلك من ذكر القرآن فيكون معنى الكلام هذا القرآن بيان الله يهدى به من يشاء يوفق للايمان به من يشاء وقوله ومن يضلل الله فماله من هاد يقول تعالى ذكره ومن يخذله الله عن الايمان بهذا القرآن والتصديق بما فيه فيضله عنه فماله من هاد يقول فماله من موفق له ومسدد يسدده فى اتباعه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾

(١) الذى فى الدر وسئل عنها عكرمة فقال ثنى الله فيه القضاء كتبه مصححه

(أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب) أى شدته والخبر محذوف وهو كمن أمن العذاب واتقاء العذاب بوجهه اما حقيقة بأن تكون يداه مغلولة
الى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقى النار الا بوجهه  واما أن يكون كناية عن عجزه عن الاتقاء وذلك أن الانسان اذا وقع فى نوع
من العذاب فانه يجعل يديه وقاية لوجهه الذى هو أشرف الأعضاء فكأنه قيل لا يقدرون على الاتقاء الا بالوجه والاتقاء بالوجه غير ممكن فلا اتقاء أصلا (وقيل للظالمين) القائلون هم خزنة النار قوله (كذب الذين من قبلهم) تصوير لحال أمثالهم من الامم الخالية بيناهم آمنون اذ أخذهم العذاب والخزى فى الدنيا كالمسخ والقتل ونحوهما ثم بين بقوله (ولقد ضربنا) الى آخر الآيتين أن هذه البيانات بلغت فى الكمال الى حيث لا مزيد عليه ثم ضرب من أمثال القرآن مثلا لقبح طريقة أهل الشرك وهو رجل من المماليك قد اشترك (فيه شركاء متشاكسون) أى كلهم يسىء خلقه فى استخدامه أو هم مختلفون فى ذلك يأمره هذا بشئ وينهاه الآخر عن ذلك الشئ بعينه والشكاسة سوء الخلق والاختلاف (ورجلا سالما لرجل) أى خالصا من الشرك ومن قرأ بغير ألف فعلى حذف المضاف أى ذا سلامة وذا خلوص من الشركة وقال جار الله وانما جعله رجلا ليكون أفطن لما شق به أو سعد فان المرأة والصبى قد يغفلان عن ذلك قلت لا ريب أن الرجل أصل فى كل باب فجعله مضرب المثل أولى نظيره وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم ثم استفهم على سبيل الانكار بقوله (هل يستويان مثلا) وهو تمييز أى هل يستوى حالاهما وصفتاهما واقتصر فى التمييز على الواحد لقصد الجنس والمراد تجهيل من يجعل المعبود متعددا فليس رضا واحد كطلب رضا جماعة مختلفين وحاصله يرجع الى دليل التمانع كما مر فى قوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقال أهل العرفان الشركاء المتشاكسون تجاذب شغل الدنيا وشغل العيال

اختلف أهل التأويل فى صفة اتقاء هذا الضال بوجهه سوء العذاب فقال بعضهم هو أن يرمى به فى جهنم مكبوبا على وجهه فذلك اتقاؤه اياه ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب قال يخر على وجهه فى النار يقول هو مثل أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة * وقال آخرون هو أن ينطلق به الى النار مكتوفا ثم يرمى به فيها فأول ما تمس النار وجهه وهذا قول يذكر عن ابن عباس من وجه كرهت أن أذكره لضعف سنده وهذا أيضا مما ترك جوابه استغناء بدلالة ما ذكر من الكلام عليه عنه ومعنى الكلام أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة خير أم من ينعم فى الجنان وقوله وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون يقول ويقال يومئذ للظالمين أنفسهم باكسابهم اياها سخط الله ذوقوا اليوم أيها القوم وبال ما كنتم فى الدنيا تكسبون من معاصى الله وقوله كذب الذين من قبلهم يقول تعالى ذكره كذب الذين من قبل هؤلاء المشركين من قريش من الامم الذين مضوا فى الدهور الخالية رسلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون يقول فجاءهم عذاب الله من الموضع الذى لا يشعرون أى لا يعلمون بمجيئه منه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأذاقهم الله الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره فعجل الله لهؤلاء الأمم الذين كذبوا رسلهم الهوان فى الدنيا والعذاب قبل الآخرة ولم ينظرهم اذ عتوا عن أمر ربهم ولعذاب الآخرة أكبر يقول ولعذاب الله اياهم فى الآخرة اذا أدخلهم النار فعذبهم بها أكبر من العذاب الذى عذبهم به فى الدنيا لو كانوا يعلمون يقول لو علم هؤلاء المشركون من قريش ذلك ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذى عوج لعلهم يتقون﴾ يقول تعالى ذكره ولقد مثلنا لهؤلاء المشركين بالله من كل مثل من أمثال القرون الامم الخالية تخويفا منا لهم وتحذيرا لعلهم يتذكرون يقول ليتذكروا فيتزجروا عما هم عليه مقيمون من الكفر بالله وقوله قرآنا عربيا يقول تعالى ذكره لقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل قرآنا عربيا غير ذى عوج يعنى ذى لبس كما حدثنى محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قرآنا عربيا غير ذى عوج غير ذى لبس ونصب قوله قرآنا عربيا على الحال من قوله هذا القرآن لأن القرآن معرفة وقوله قرآنا عربيا نكرة وقوله لعلهم يتقون يقول جعلنا قرآنا عربيا اذ كانوا عربيا ليفهموا ما فيه من المواعظ حتى يتقوا ما حذرهم الله فيه من بأسه وسطوته فينيبوا الى عبادته وافراد الألوهة له ويتبرؤا من الأنداد والآلهة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره مثل الله مثلا للكافر بالله الذى يعبد آلهة شتى ويطيع جماعة من الشياطين والمؤمن الذى لا يعبد الا الله الواحد يقول تعالى ذكره ضرب الله مثلا لهذا الكافر رجلا فيه شركاء يقول هو بين جماعة مالكين متشاكسين يعنى مختلفين متنازعين

متنازعين سيئة أخلاقهم من قولهم رجل شكس اذا كان سيئ الخلق وكل واحد منهم يستخدمه بقدر نصيبه وملكه فيه ورجلا سلما لرجل يقول ورجلا خلوصا لرجل يعني المؤمن الموحد الذي أخلص عبادته لله لا يعبد غيره ولا يدين لشئ سواه بالربوبية واختلفت القراء في قراءة قوله ورجلا سلما فقرأ ذلك بعض قراء أهل مكة والبصرة ورجلا سالما الرجل وتأولوه بمعنى رجلا خالصا لرجل وقد روى ذلك أيضا عن ابن عباس حدثنا أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنا حجاج عن هرون عن جرير بن حازم عن حميد عن مجاهد عن ابن عباس أنه قرأها سالما الرجل يعني بالالف وقال ليس فيه لأحد شئ وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ورجلا سلما لرجل بمعنى صلحا * والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان معروفتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن السلم مصدر من قول القائل سلم فلان لله سلما بمعنى خلص له خلوصا تقول العرب ربح فلان في تجارته ربحا وربح ربحا وسلم سلما وسلما وسلامة وأن السالم من صفة الرجل وسلم مصدر من ذلك وأما الذي توهمه من رغب عن قراءة ذلك سالما من أن معناه صلحا فلا وجه للصلح في هذا الموضع لان الذي تقدم من صفة الآخر انما تقدم بالخبر عن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربه بشئ من الاشياء فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفه بخلوصه لواحد لا شريك له فيه ولا موضع للخبر عن الحرب والصلح في هذا الموضع وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل قال هذا مثل الله الباطل وإله الحق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون قال هذا المشرك تتنازعه الشياطين لا يقر به بعضهم لبعض ورجلا سالما لرجل قال هو المؤمن أخلص الدعوة لله والعبادة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون الى قوله بل أكثرهم لا يعلمون قال الشركاء المتشاكسون الرجل الذي يعبد آلهة شتى كل قوم يعبدون الها يرضونه ويكفرون بما سواه من الآلهة فضرب الله هذا المثل لهم وضرب لنفسه مثلا يقول رجل سلم لرجل يقول يعبدون الها واحدا لا يختلفون فيه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون قال مثل لأوثانهم التي كانوا يعبدون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل قال أرأيت الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون كلهم سيئ الخلق ليس منهم واحد الا تلقاه آخذا بطرف من مال لاستخدامه أسواءهم والذي لا يملكه الا واحد فانما هذا مثل ضربه الله لهؤلاء الذين يعبدون الآلهة وجعلوا لها في أعناقهم حقوقا فضرب به الله مثلا لهم وللذي يعبده وحده هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون وفي قوله ورجلا سالما لرجل يقول ليس معه شرك وقوله هل يستويان مثلا يقول تعالى ذكره هل يستوي مثل هذا الذي يخدم جماعة شركاء سيئة أخلاقهم مختلفة فيه لخدمته مع منازعته شركاءه فيه والذي يخدم واحدا لا ينازعه فيه منازع اذا أطاعه عرف له موضع طاعته وأكرمه واذا أخطأ صفح له عن خطئه يقول فأي هذين أحسن حالا وأروح جسما وأقل تعبا

وغير ذلك من الاشغال فأين ذلك الرجل ممن ليس له في الدنيا نصيب ولا له في الخلق نسيب وهو عن الآخرة غريب والى الله قريب قوله (الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون) كما مر في لقمان قوله (انك ميت) وجه النظم أنه سبحانه كأنه قال ان هؤلاء الاقوام انما لم يلتفتوا الى هذه الدلائل القاهرة بسبب استيلاء الحرص والحسد عليهم في الدنيا فلا تبال يا محمد بهذا فانك ستموت وهم أيضا يؤلون الى الموت

ونصبا كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون يقول من اختلف فيه خير أم من لم يختلف فيه وقوله الحمد لله يقول الشكر الكامل والحمد التام لله وحده دون كل معبود سواه وقوله بل أكثرهم لا يعلمون يقول جل ثناؤه وما يستوي هذا المشترك فيه والذي هو منفرد ملكه لواحد بل أكثرهؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أنهما لا يستويان فهم بجهلهم بذلك يعبدون آلهة شتى من دون الله وقيل هل يستويان مثلا ولم يقل مثلهن لانهما كلاهما ضربا مثلا واحدا فجرى المثل بالتوحيد كما قال جل ثناؤه وجعلنا ابن مريم وأمه آية اذ كان معناهما واحدا في الآية والله أعلم

قلوانهم يتربصون بك الموت فان الموت يعم الكل فلا معنى لشماتة المرء بعدوفاة صاحبه (ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون) تحتج عليهم بانك قد بلغت وهم يعتذرون بالاطائل تحته وقد يخاصم الكفار بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي وقد يقع الاختصام بين أهل الملة في الدماء والمظالم التي بينهم والله أعلم

﴿تم الجزء الثالث والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبري ويليه الجزء الرابع والعشرون أوله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى (انك ميت وانهم ميتون)﴾

تنبيه

وقع بجزء ٢٤ صحيفة ١٠ سطر ٨ (أسرافوا) وهو خطأ وصوابه (أسرفوا)

# فهـــــرس

## الجـــزء الثـالث والعشرين

## من تفســـير الامام ابن جرير الطـــبرى

﴿ فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾


| صحيفة | |
|---|---|
| ٢ | تأويل قوله تعالى وما أنزلنا على قومه و بيان الصواب فى معنى الجند بعد ذكر الخلاف فيه |
| ٣ | تأويل قوله يا حسرة على العباد و بيان أن الحسرة من العباد على أنفسها |
| ٥ | بيان معنى سلخ الليل من النهار وما ورد فى الشمس وغروبها وسجودها |
| ٥ | تأويل قوله والقمر قدرناه منازل الآية و بيان وجه تشبيه القمر بالعرجون |
| ٨ | بيان المراد بالمثل فى قوله وخلقنا لهم الخ |
| ٩ | تأويل قوله واذا قيل لهم اتقوا الآية و بيان أن المراد بما بين الأيدى هى الذنوب |
| ١٠ | بيان الصور والنفخات الثلاث التى تنفخ فيه |
| ١٣ | بيان نعيم أهل الجنة الذى هو شغل لهم |
| ١٤ | تأويل قوله هم وأزواجهم الآية و بيان السلام الذى يكون لأهل الجنة من الله |
| ١٦ | بيان ما يأمر الله به جهنم يوم القيامة وما يخاطب به أهل الموقف |
| ١٧ | بيان كيفية الحساب الواقع يوم القيامة للمؤمن والكافر |
| ١٨ | تأويل قوله ومن نعمره الآية و بيان أن القرآن مستبين أمره لمن كان غير ميت الفؤاد بليد |
| ١٩ | بيان ما يطلق عليه النعم من الحيوان |
| ٢٠ | تأويل قوله أولم ير الانسان و بيان سبب نزول الآية |
| ٢٢ | ﴿ تفسير سورة الصافات ﴾ |
| ٢٣ | بيان عدد مشارق الشمس ومغاربها |
| ٢٥ | بيان ما كانت تفعله الشياطين من استراق السمع وما فعلته بعد منعها |
| ٢٧ | بيان العذاب المرسل على من يسترق السمع الآذن من الشياطين |
| ٢٨ | بيان ما تفعله العرب من ابدال بعض الحروف ببعض والشواهد على ذلك |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٢٩ | بيان أن القراءتين ربما يختلف معناهما ولا يلزم من ذلك التنزيل مرتين |
| ٣١ | تأويل قوله احشروا الذين ظلموا الآية و بيان المراد من الأزواج |
| ٣٢ | ذكر ما يتجلى الله به لليهود والنصارى يوم القيامة |
| ٣٢ | تأويل قوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين و بيان ما يجرى بين الانس والجن من التحاور يوم القيامة |
| ٣٤ | ذكر صفة شراب أهل الجنة |
| ٣٧ | ذكر الصواب فى لون نساء أهل الجنة |
| ٣٨ | تأويل قوله قال قائل منهم الآية وسوق قصة شريكين اكتسبا مالا فتصدق أحدهما و بخل الآخر |
| ٤٠ | بيان الشجرة التى أوردها المشركون على شجرة الزقوم وما رد الله به عليهم |
| ٤١ | تأويل قوله ثم ان لهم عليها لشوبا الآية و بيان معنى الشوب |
| ٤٣ | بيان نسبة أصناف العالم الى نوح |
| ٤٥ | بيان ما فعله ابراهيم عليه السلام حين قال انى سقيم من اظهار الاعتلال وكسر الأصنام |
| ٤٨ | تأويل قوله فبشرناه بغلام حليم و بيان أن المبشر به اسحق |
| ٥١ | تأويل قوله وفديناه بذبح عظيم و بيان الخلاف فى الذبيح وذكر الدلائل لكل |
| ٥٤ | ذكر ما اختاره المفسر من أن الذبيح اسحق وسوق الأدلة على ذلك |
| ٥٨ | ذكر الياس ومبعثه وسوق طرف من تاريخه |
| ٦٣ | تأويل قوله وان يونس الآية وسوق طرف من تاريخه |
| ٦٨ | تأويل قوله وجعلوا بينه و بين الجنة نسبا و بيان القول الذى كانوا يقولونه |
| ٧١ | بيان ما ورد من أن السموات مملوءة بالملائكة |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٧٤ | ﴿ تفسير سورة ص ﴾ |
| ٧٦ | تأويل قوله كم أهلكنا قبلهم من قرن وذكر الشواهد على عمل لات |
| ٧٩ | بيان ما قالته قريش لأبي طالب فى شأن رسول الله وما فعلوه حين اجتمع بهم عند عمه |
| ٨٣ | بيان السبب فى تسمية فرعون ذى الأوتاد |
| ٨٤ | تأويل قوله وما ينظر هؤلاء وذكر الخلاف فى المراد بالقط |
| ٨٦ | تأويل قوله اصبر على ما يقولون وذكر طرف من تاريخ ملك داود |
| ٨٩ | ذكر ما حصل لنبي الله داود من دخول الملائكة عليه وما قيل فى أسباب ذلك |
| ٩٨ | تأويل قوله ووهبنا لداود سليمن وذكر ما عرض على نبي الله سليمن |
| ١٠٠ | ذكر ما قيل فى فتنة نبي الله سليمن |
| ١٠٢ | ذكر ما أعطيه نبي الله سليمن |
| ١٠٦ | تأويل قوله واذكر عبدنا أيوب وذكر ما حصل له من المرض وما تم له بعد ذلك |
| ١٠٩ | تأويل قوله واذكر عبادنا ابراهيم الآية وبيان معنى خالصة الدار |
| ١١٣ | بيان طرف من عذاب أهل النار |
| ١١٧ | تأويل قوله قل هو نبأ عظيم الآية وبيان اختصام الملا الأعلى فى أمر آدم |
| ١١٨ | بيان من سجد من الملائكة لآدم |
| ١٢١ | ﴿ تفسير سورة الزمر ﴾ |
| ١٢٢ | بيان ما كانت تقوله المشركون فى عبادتهم لآلهتهم |
| ١٢٤ | تأويل قوله خلقكم من نفس واحدة وبيان الصواب فى الظلمات الثلاث |
| ١٣٤ | تأويل قوله أفمن شرح الله صدره وبيان وجه ترك المقابل فى الآية |


﴿ تم فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش تفسير ابن جرير ﴾


| صحيفة | |
|---|---|
| ٢ | تفسير سورة يس والقرآن الحكيم الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها |
| ٦ | بيان سبب نزول قوله انا جعلنا فى أعناقهم الآية وما حصل لأبى جهل وآخر |
| ٨ | بيان الآثار التى تكتب للشخص |
| ٩ | ذكر تاريخ أصحاب القرية وارسال رسل عيسى اليهم |
| ١٣ | بيان الفرق بين ما حصل لأصحاب حبيب النجار وما حصل لمن حاربهم النبي يوم بدر وغيره |
| ١٥ | بيان أن الأرض ليست آية للعارف |
| ١٦ | بيان مستقر الشمس |
| ١٧ | بيان حركة النيرين |
| ١٩ | تأويل تلك الآيات |
| ٢٠ | تفسير قوله واذا قيل لهم اتقوا الآيات وبيان القرا آت والوقوف فيها |
| ٢٣ | بيان ما عليه المعاند من غاية الجهالة |
| ٢٤ | بيان شبهة البخلاء القائلين أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وبيان الرد عليهم |
| ٢٦ | بيان أن للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم |
| ٢٧ | بيان شرائط السماع |
| ٣٢ | بيان أنه لم ينف عن النبي الشعر ولم ينف عنه السحر ولا الكهانة |
| ٣٥ | بيان قول المشركين فى البعث واستبعاده والرد عليهم |
| ٣٦ | بيان أن الحياة والموت يتعاقبان على العظم |
| ٣٧ | بيان أن المعدوم شئ أم لا |
| ٣٨ | تأويل تلك الآيات |
| ٣٩ | ﴿ تفسير سورة والصافات ﴾ |
| ٤٢ | بيان معنى كون الملائكة صفوفا |
| ٤٥ | بيان أشكال النجوم المختلفة |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٤٦ | بيان ما أورد على استراق الشياطين السمع وردّه |
| ٤٧ | بيان ما يصيب الشيطان المسترق للسمع |
| ٤٩ | بيان ما قاله أبو جهل يوم بدر |
| ٥٠ | بيان محتملات اليمين فى قوله انكم كنتم تأتوننا عن اليمين |
| ٥١ | بيان أن التوحيد دين كل الأنبياء |
| ٥٢ | بيان أن أجسام أهل الجنة مخلوقة للابد مستغنية عن حفظ الصحة بالأقوات |
| ٥٤ | بيان أن فى الجنة كوى ينظر منها أهلها الى أهل النار |
| ٥٥ | بيان شجرة الزقوم |
| ٥٧ | بيان أن أهل النار يخرجون من الجحيم الى موضع فيه الزقوم والحميم |
| ٥٨ | تأويل تلك الآيات |
| ٥٩ | تفسير قوله وان من شيعته لابراهيم و بيان القراآت والوقوف فيها |
| ٦٣ | بيان من كان بين نوح وابراهيم عليهما السلام من الانبياء |
| ٦٤ | بيان ما قيل فى حديث لم يكذب ابراهيم الا ثلاث كذبات |
| ٦٦ | بيان ما طلبه ابراهيم من الولد واستجابة الله له |
| ٦٧ | بيان الخلاف فى الذبيح من هو وذكر الدلائل لكل |
| ٧٣ | بيان الياس وذكر ما قيل فى الصنم المعبود لقومه |
| ٧٣ | بيان خبر يونس |
| ٧٩ | بيان فضل سبحان ربك |
| ٨٠ | ﴿تفسير سورة ص﴾ |
| ٨٢ | بيان ما قيل فى معنى ص |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٨٤ | بيان ما فعلته قريش عند اسلام عمر رضى الله عنه |
| ٨٥ | بيان ما ترتب على حسدهم من القول الفاسد |
| ٨٦ | بيان لم سمى فرعون بذى الأوتاد |
| ٨٨ | بيان أن مجامع ما ذكر الله فى قصة داود ثلاثة أنواع |
| ٨٩ | بيان ما شدد الله به ملك داود عليه السلام |
| ٩٠ | بيان ما أوتيه من الحكمة وفصل الخطاب |
| ٩٣ | بيان ما قيل من أن الخصمين اللذين أتيا داود كانا من الانس |
| ٩٤ | بيان ما أورد على أن الخصمين كانا ملكين وردّه |
| ٩٧ | بيان ما يلزم من ابتلى بخصم جاهل مصرّ متعصب |
| ٩٨ | بيان تقرير واقعتى داود وسليمان على وجه لا يقدح فى العصمة |
| ١٠٤ | تأويل تلك الآيات |
| ١٠٦ | تفسير قوله واذكر عبدنا أيوب الآيات و بيان القراآت والوقوف فيها |
| ١٠٩ | ذكر أيوب و زمن بلائه وما قيل فيه |
| ١١٧ | بيان ما يختصم فيه الملأ الأعلى |
| ١١٨ | بيان معنى اليد المضافة اليه تعالى |
| ١١٩ | ﴿تفسير سورة الزمر﴾ |
| ١٢٣ | بيان كون القرآن حقا و بيان الأولياء الذين اتخذهم المشركون |
| ١٢٤ | بيان الدليل على استحالة اتخاذه تعالى ولدا |
| ١٢٨ | بيان فضيلة قيام الليل |
| ١٣١ | بيان أن للانسان قوتين يستكمل باحداهما عالما وبالاخرى عملا |
| ١٣٢ | بيان ما فى الآية من الدلالة على وجوب النظر والاستدلال |


﴿تم فهرست الجزء الثالث والعشرين من تفسير النيسابورى﴾

# الجزء الرابع والعشرون

## من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت الأمة على تقدمه في التفسير

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه « أي الطبري » أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

( الطبعة الاولى )
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه
سنة ١٣٢٨ هجريه

﴿فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذي انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون قل ياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون

## الجزء الرابع والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انك يا محمد ميت عن قليل وان هؤلاء المكذبيك من قومك والمؤمنين منهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون يقول ثم ان جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم ويفصل بين جميعكم بالحق واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم عنى به اختصام المؤمنين والكافرين واختصام المظلوم والظالم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون يقول يخاصم الصادق الكاذب والمظلوم الظالم والمهتدي الضال والضعيف المستكبر حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال أهل الاسلام وأهل الكفر حدثني ابن البرقي قال ثنا ابن أبي مريم قال ثنا ابن الدراوردي قال ثني محمد بن عمرو عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن عبد الله بن الزبير قال لما نزلت هذه الآية انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أينكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب فقال النبي صلى الله عليه وسلم نعم حتى يؤدي الى كل ذي حق حقه * وقال آخرون بل عنى بذلك اختصام أهل الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد عن ابن عمر

قال نزلت علينا هذه الآية وما ندري ما تفسيرها حتى وقعت الفتنة فقلنا هذا الذي وعدنا ربنا أن نختصم فيه ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابراهيم قال لما نزلت انك ميت وانهم ميتون ثم انكم الآية قالوا ما خصومتنا بيننا ونحن اخوان قال فلما قتل عثمان بن عفان قالوا هذه خصومتنا بيننا حدثت عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس عن أبي العالية في قوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال هم أهل القبلة * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال عني بذلك انك يا محمد ستموت وانكم أيها الناس ستموتون ثم ان جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم مؤمنكم وكافركم ومحقوكم ومبطلوكم وظالموكم ومظلوموكم حتى يؤخذ لكل منكم ممن لصاحبه قبله حق حقه وانما قلنا هذا القول أولى بالصواب لان الله عم بقوله ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون خطاب جميع عباده فلم يخصص بذلك منهم بعضا دون بعض فذلك على عمومه على ما عمه الله به وقد تنزل الآية في معنى ثم يكون داخلا في حكمها كل ما كان في معنى ما نزلت به وقوله فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه يقول تعالى ذكره فمن من خلق الله أعظم فرية ممن كذب على الله فادعى أن له ولدا وصاحبة أو أنه حرم ما لم يحرمه من المطاعم وكذب بالصدق اذ جاءه يقول وكذب بكتاب الله اذ أنزله على محمد وابتعثه الله به رسولا وأنكر قول لا اله الا الله وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكذب بالصدق اذ جاءه أي بالقرآن وقوله أليس في جهنم مثوى للكافرين يقول تبارك وتعالى أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله وامتنع من تصديق محمد صلى الله عليه وسلم واتباعه على ما يدعوه اليه مما أتاه به من عند الله من التوحيد وحكم القرآن ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين﴾ اختلف أهل التأويل في الذي جاء بالصدق وصدق به وماذلك فقال بعضهم الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا والصدق الذي جاء به لا اله الا الله والذي صدق به أيضا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله والذي جاء بالصدق يقول من جاء بلا اله الا الله وصدق به يعني رسوله * وقال آخرون الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه ذكر من قال ذلك حدثني أحمد بن منصور قال ثنا أحمد بن مصعد المروزي قال ثنا عمر بن ابراهيم بن خالد عن عبد الملك ابن عمير عن اسيد بن صفوان عن علي رضي الله عنه في قوله والذي جاء بالصدق قال محمد صلى الله عليه وسلم وصدق به قال أبو بكر رضي الله عنه * وقال آخرون الذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم والصدق القرآن والمصدقون به المؤمنون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذي جاء بالصدق قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالقرآن وصدق به المؤمنون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به المسلمون * وقال آخرون الذي جاء بالصدق جبريل والصدق القرآن الذي جاء به من عند الله وصدق به رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله والذي جاء بالصدق وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون الذي جاء بالصدق المؤمنون والصدق القرآن وهم المصدقون به ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد

قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هي فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيئات ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا وما هم بمعجزين أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين وينجي الله الذين

اتقوا بحفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا
بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله  تأمروني أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت
ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين ﴿ القراآت عباده على الجمع يزيد وحمزة وعلى وخلف أرادني الله بسكون الياء حمزة كاشفات بالتنوين ضره بالنصب وهكذا ممسكات رحمته أبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالاضافة فيهما قضى عليها الموت بالرفع السيآت
حمزة وعلى وخلف يا عبادي الذين أسرفوا بسكون الياء حمزة وعلى وخلف وأبو عمرو وسهل ويعقوب والوقف للجميع بالياء لا غير

قوله والذي جاء بالصدق وصدق به قال الذين يجيئون بالقرآن يوم القيامة فيقولون هذا الذي أعطيتمونا فاتبعناما فيه * قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد والذي جاء بالصدق وصدق به قال هم أهل القرآن يجيئون به يوم القيامة يقولون هذا الذي اعطيتمونا فاتبعنا ما فيه * والصواب من القول في ذلك أن يقال ان الله تعالى ذكره عنى بقوله والذي جاء بالصدق وصدق به كل من دعا الى توحيد الله وتصديق رسوله والعمل بما ابتعث به رسوله صلى الله عليه وسلم من بين رسول الله وأتباعه والمؤمنين به وأن يقال الصدق هو القرآن وشهادة أن لا اله الا الله والمصدق به المؤمنون بالقرآن من جميع خلق الله كائنا من كان من نبي الله وأتباعه وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لأن قوله تعالى ذكره والذي جاء بالصدق وصدق به عقيب قوله فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه وذلك ذم من الله للفترين عليه المكذبين بتنزيله ووحيه الجاحدين وحدانيته فالواجب أن يكون عقيب ذلك مدح من كان بخلاف صفة هؤلاء المذمومين وهم الذين دعوهم الى توحيد الله ووصفه بالصفة التي هو بها وتصديقهم بتنزيل الله ووحيه والذين هم كانوا كذلك يوم نزلت هذه الآية رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم القائمون في كل عصر وزمان بالدعاء الى توحيد الله وحكم كتابه لأن الله تعالى ذكره لم يخص وصفه بهذه الصفة التي في هذه الآية على أشخاص بأعيانهم ولا على أهل زمان دون غيرهم وانما وصفهم بصفة ثم مدحهم بها وهي المجيء بالصدق والتصديق به فكل من كان كذلك وصفه فهو داخل في جملة هذه الآية اذا كان من بني آدم ومن الدليل على صحة ما قلنا أن ذلك كذلك في قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به فقد بين ذلك من قراءته أن الذي من قوله والذي جاء بالصدق لم يعن بها واحد بعينه وأنه مراد بها جماع ذلك صفتهم ولكنها أخرجت بلفظ الواحد اذ لم تكن مؤقتة وقد زعم بعض أهل العربية من البصريين أن الذي في هذا الموضع جعل في معنى جماعة بمنزلة من ومما يؤيد ما قلنا أيضا قوله أولئك هم المتقون فجعل الخبر عن الذي جماعا لأنها في معنى جماع وأما الذين قالوا عنى بقوله وصدق به غير الذي جاء بالصدق فقول بعيد من المفهوم لان ذلك لو كان كما قالوا لكان التنزيل والذي جاء بالصدق والذي صدق به أولئك هم المتقون فكانت تكون الذي مكررة مع التصديق ليكون المصدق غير المصدق فأما اذ لم يكرر فان المفهوم من الكلام أن التصديق من صفة الذي جاء بالصدق لا وجه للكلام غير ذلك واذا كان ذلك كذلك وكانت الذي في معنى الجماع بما قد بينا كان الصواب من القول في تأويله ما بينا وقوله أولئك هم المتقون يقول جل ثناؤه هؤلاء الذين هذه صفتهم هم الذين اتقوا الله بتوحيده والبراءة من الاوثان والانداد وأداء فرائضه واجتناب معاصيه فخافوا عقابه كما حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس أولئك هم المتقون يقول اتقوا الشرك وقوله لهم ما يشاؤن عند ربهم يقول تعالى ذكره لهم عند ربهم يوم القيامة ما تشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم ذلك جزاء المحسنين يقول تعالى ذكره هذا الذي لهم عند ربهم جزاء من أحسن في الدنيا فأطاع الله فيها وأتمر لأمره وانتهى عما نهاه عنه فيها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وجزى هؤلاء المحسنين ربهم باحسانهم كي يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا في الدنيا من الاعمال فيما بينهم وبين ربهم بما كان منهم فيها من توبة وانابة مما اجترحوا من

ياحسرتاى بياء بعد الف يزيد الآخرون بالالف وحدها و ينجى الله بالتخفيف روح بمفازاتهم على الجمع حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص والمفضل تأمروني بتشديد النون وفتح الياء ابن كثير تأمرونى بنونين (٥) وسكون الياء ابن عامر تأمرونى بنون واحدة وفتح الياء أبو جعفر ونافع الباقون بتشديد النون وسكون الياء لتحبطن بالنون من الاحباط عملك بالنصب يزيد الآخرون على الغيبة وفتح العين عملك بالرفع وسيق بضم السين وكسر الياء ابن عامر وعلى ورويس فتحت بالتخفيف حمزة وعلى وخلف وعاصم غير المفضل فى الحرفين ۞ الوقوف اذجاءه ط للكافرين ٥ المتقون ٥ عندربهم ط المحسنين ٥ ج لاحتمال تعلق اللام بمحذوف كما يجيء يعملون ٥ عبده ط من دونه ط من هاد ٥ ج مضل ط انتقام ٥ ليقولن الله ط رحمته ط حسبى الله ط المتوكلون ٥ عامل ج لابتداء التهديد مع فاء التعقيب تعلمون ٥ لا مقيم ٥ بالحق ج لاختلاف الجملتين فلنفسه ج عليها ج للابتداء بالنفى مع العطف بوكيل ٥ ج فى منامها ج مسمى ط يتفكرون ٥ شفعاء ط يعقلون ٥ جميعا ط والارض ط بناء على أن ثم لترتيب الاخبار ترجعون ٥ بالآخرة ط ج فصلا بين الجملتين مع اتفاقهما نظما يستبشرون ٥ يختلفون ٥ القيامة ط يحتسبون ٥ يستهزؤن ٥ دعانا ز فصلا بين تناقض الحالين مع اتفاق الجملتين منا لا لأن ما بعده جواب على علم ط لا يعلمون ٥ يكسبون ٥ ما كسبوا الاولى ط ما كسبوا الثانية لا لان الواو للحال بمعجزين ٥ ويقدر ط يؤمنون ٥ رحمة الله ط جميعا ط الرحيم ٥ لاتنصرون ٥ لاتشعرون ٥ لا الساخرين ٥ لا المتقين ٥ لا المحسنين ٥ الكافرين ٥ مسودة ط للتكبرين ٥ بمفازتهم ز لاحتمال الاستئناف والحال أوجه يحزنون ٥ كل شئ ز للفصل بين الوصفين تعظيما مع اتفاق الجملتين وكيل ٥

السيآت فيها و يجزيهم أجرهم بقول ويثيبهم ثوابهم بأحسن الذى كانوا فى الدنيا يعملون مما يرضى الله عنهم دون أسوئها كما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ذنوب أى رب نعم لهم فيها ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذى عملوا و يجزيهم أجرهم بأحسن الذى كانوا يعملون وقرأ أئمة المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى أن بلغ ومغفرة لئلا ييئس من لهم الذنوب أن لا يكونوا منهم ورزق كريم وقرأ ان المسلمين والمسلمات الى آخر الآية ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أليس الله بكاف عبده و يخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد ومن يهد الله فما له من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ﴾ اختلفت القراء فى قراءة أليس الله بكاف عبده فقرأ ذلك بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة أليس الله بكاف عباده على الجماع بمعنى أليس الله بكاف محمدا وأنبياءه من قبله ما خوفتهم أممهم من أن تنالهم آلهتهم بسوء وقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة بكاف عبده على التوحيد بمعنى أليس الله بكاف عبده محمدا * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لصحة معنييهما واستفاضة القراءة بهما فى قرأة الامصار و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أليس الله بكاف عبده يقول محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أليس الله بكاف عبده قال بلى والله ليكفينه الله و يعزه وينصره كما وعده وقوله ويخوفونك بالذين من دونه يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ويخوفك هؤلاء المشركون يا محمد بالذين من دون الله من الاوثان والآلهة أن تصيبك بسوء بعراءتك منها وعيبك لها والله كافيك ذلك و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ويخوفونك بالذين من دونه الآلهة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى شعب(١) بسقام ليكسر العزى فقال سادنها وهو قيمها يا خالد أنا أحذركها ان لها شدة لا يقوم لها شئ فمشى اليها خالد بالفأس فهشم أنفها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ويخوفونك بالذين من دونه يقول بآلهتهم التى كانوا يعبدون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويخوفونك بالذين من دونه قال يخوفونك بآلهتهم التى من دونه وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد يقول تعالى ذكره ومن يخذله الله فيضله عن طريق الحق وسبيل الرشد فما له سواه من مرشد ومسدد الى طريق الحق وموفق للايمان بالله وتصديق رسوله والعمل بطاعته ومن يهد الله فما له من مضل يقول ومن يوفقه الله للايمان به والعمل بكتابه فما له من مضل يقول فما له من مزيغ يزيغه عن الحق الذى هو عليه الى الارتداد الى الكفر أليس الله بعزيز ذى انتقام يقول جل ثناؤه أليس الله يا محمد بعزيز فى انتقامه من كفرة خلقه ذى انتقام من أعدائه الجاحدين وحدانيته ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين العادلين بالله الاوثان والاصنام من خلق السموات والارض ليقولن

(١) سقام كغراب واد بالحجاز حمته قريش للعزى يضاهؤن به حرم الكعبة اه من معجم ياقوت

والارض ط الخاسرون ٥ الجاهلون ٥ من قبلك ج لحق القسم المحذوف الخاسرين ٥ الشاكرين ٥ يمينه ط
يشركون ٥ من شاء الله ج بيانا للراجي (٦) النفحة الثانية عن الاولى مع اتفاق الجملتين ينظرون ٥ لا يظلمون ٥ يفعلون ٥
زمرا ط هذا ط الكافرين ٥ فيها ج المتكبرين ٥ زمرا ط خالدين ٥ نشاء ج العاملين ٥
ربهم ج لان الماضي لا ينعطف على المستقبل ولاحتمال جعله حالا وقد قضى بين الزمرين العالمين ٥
﴿ التفسير لما ضرب لعبدة الاصنام مثلا أشار الى نوع آخر من قبائح أفعالهم وهو أنهم يضمون على كذبهم على الله باضافة الشريك والولد اليه تكذيبهم بالصدق يعني الأمر الذي هو الصدق بعينه أي القرآن ومعنى (اذ جاءه) أنه لم يراع طريقة أهل الانصاف والتدبر لكنه لما سمع به فاجأه بالتكذيب واللام في قوله (للكافرين) لهؤلاء المعهودين الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق قال جار الله ويحتمل أن يكون للعموم فيشملهم وغيرهم من الكفرة وحين بين وعيدهم عقبه بوعد الصادقين المصدقين وهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل الرسول وأبو بكر والتعميم أولى لقوله (أولئك هم المتقون) قوله (ليكفر) ظاهره تعلقه بيشاؤن فتكون لام العاقبة ويحتمل تعلقه بمحذوف اى جزاؤهم واكرامهم لاجل ذلك قال جار الله الأسوأ ههنا ليس للتفضيل وانما هو كقولهم الأشج أعدل بني مروان وفائدة صيغة التفضيل استعظامهم المعصية حتى ان الصغائر عندهم أسوأ أعمالهم وقال بعض المفسرين أراد به الكفر السابق الذي يمحوه الايمان واستدل مقاتل وكان شيخ المرجئة بهذه الآية فانها تدل على أن من صدق الانبياء فانه تعالى يكفر عنه أسوأ الاعمال التي أتى بها بعد الايمان فيمسك والوصف بالتقوى وفيه نظر ثم انهم كانوا يخوفون المؤمنين والنبي صلى الله عليه وسلم برفض آلهتهم وتحقيرها ويروى أنه بعث خالدا الى العزى

الذي خلقهن الله فاذا قالوا ذلك فقل أفرأيتم أيها القوم هذا الذي تعبدون من دون الله من الاصنام والآلهة ان أرادني الله بضر يقول بشدة في معيشتي هل هن كاشفات عني ما يصيبني به ربي من الضر أو أرادني برحمة يقول ان أرادني ربي ان يصيبني سعة في معيشتي وكثرة مالي ورخاء وعافية في بدني هل هن ممسكات عني ما أراد أن يصيبني به من تلك الرحمة وترك الجواب لاستغناء السامع بمعرفة ذلك ودلالة ما ظهر من الكلام عليه والمعنى فانهم سيقولون لا فقل حسبي الله مما سواه من الاشياء كلها اياه أعبد واليه أفزع في أموري دون كل شئ سواه فانه الكافي وبيده الضر والنفع لا الى الاصنام والاوثان التي لا تضر ولا تنفع عليه يتوكل المتوكلون يقول على الله يتوكل من هو متوكل وبه فليثق لا بغيره وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله حتى بلغ كاشفات ضره يعني الاصنام أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته واختلفت القراء في قراءة كاشفات ضره وممسكات رحمته فقرأه بعضهم بالاضافة وخفض الضر والرحمة وقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء البصرة بالتنوين ونصب الضر والرحمة * والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وهو نظير قوله كيد الكافرين في حال الاضافة والتنوين ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركي قومك الذين اتخذوا الاوثان والاصنام آلهة يعبدونها من دون الله اعملوا أيها القوم على تمكنكم من العمل الذي تعملون ومنازلكم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على مكانتكم قال على ناحيتكم اني عامل كذلك على تؤدة على عمل من سلف من أنبياء الله قبلي فسوف تعلمون اذا جاءكم بأس الله من المحق منا من المبطل والرشيد من الغوي وقوله من يأتيه عذاب يقول تعالى ذكره من يأتيه عذاب يخزيه ما أتاه من ذلك العذاب يعني يذله ويهينه ويحل عليه عذاب مقيم يقول ويثبت عليه عذاب دائم لا يفارقه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم انا أنزلنا عليك يا محمد الكتاب تبيانا للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه يقول فمن عمل بما في الكتاب الذي أنزلناه اليك واتبعه فلنفسه يقول فانما عمل بذلك لنفسه واياها بغى الخير لا غيرها لانه أكسبها رضا الله والفوز بالجنة والنجاة من النار ومن ضل يقول ومن جار عن الكتاب الذي أنزلناه اليك والبيان الذي بيناه لك فضل عن قصد المحجة وزال عن سواء السبيل فانما يجور على نفسه واليها يسوق العطب والهلاك لانه يكسبها سخط الله وأليم عقابه والخزي الدائم وما أنت عليهم بوكيل يقول تعالى ذكره وما أنت يا محمد على من أرسلتك اليه من الناس برقيب ترقب أعمالهم وتحفظ عليهم أفعالهم انما أنت رسول وانما عليك البلاغ وعلينا الحساب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما أنت عليهم بوكيل أي بحفيظ حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وما أنت عليهم بوكيل قال بحفيظ ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها

ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد ان لها شدة فعمد خالد اليها فهشم أنفها فأنزل الله تعالى (أليس الله بكاف عبده) أى نبيه بدليل قوله (ويخوفونك) ومن قرأ على الجمع فهى للعموم والآيات الى قوله بوكيل  ظاهرة مع أنها تعلم مما سبق ذكرها مرارا

فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن الدلالة على أن الالوهة لله الواحد القهار خالصة دون كل ماسواه أنه يميت ويحيى ويفعل مايشاء ولا يقدر على ذلك شئ سواه فجعل ذلك خبرا نبههم به على عظيم قدرته فقال الله يتوفى الانفس حين موتها فيقبضها عند فناء أجلها وانقضاء مدة حياتها ويتوفى أيضا التى لم تمت فى منامها كالتى ماتت عند مماتها فيمسك التى قضى عليها الموت ذكر أن أرواح الاحياء والاموات تلتقى فى المنام فيتعارف ماشاء الله منها فاذا أراد جميعها الرجوع الى أجسادها أمسك الله أرواح الاموات عنده وحبسها وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع الى أجسادها الى أجل مسمى وذلك الى انقضاء مدة حياتها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها الآية قال يجمع بين أرواح الاحياء وأرواح الاموات فيتعارف منها ماشاء الله أن يتعارف فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجسادها حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها قال تقبض الارواح عند نيام النائم فتقبض روحه فى منامه فتلقى الارواح بعضها بعضا أرواح الموتى وأرواح النيام فتلتقى فتساءل قال فيخلى عن أرواح الاحياء فترجع الى أجسادها وتريد الأخرى أن ترجع فيحبس التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى قال الى بقية آجالها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها قال فالنوم وفاة فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى التى لم يقبضها الى أجل مسمى وقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان فى قبض الله نفس النائم والميت وارساله بعد نفس هذا ترجع الى جسمها وحبسه لغيرها عن جسمها العبرة وعظة لمن تفكر وتدبر وبيانا له أن الله يحيى من يشاء من خلقه اذا شاء ويميت من شاء اذا شاء ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون ﴾ يقول تعالى ذكره أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله من دونه آلهتهم التى يعبدونها شفعاء تشفع لهم عند الله فى حاجاتهم وقوله قل أولو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهم أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا ولا يعقلون شيأ قل لهم ان تكونوا تعبدونها لذلك وتشفع لكم عند الله فأخلصوا عبادتكم لله وأفردوه بالالوهة فان الشفاعة جميعا له لا يشفع عنده الا من أذن له ورضى له قولا وأنتم متى أخلصتم له العبادة فدعوتموه شفعكم له ملك السموات والارض يقول له سلطان السموات والارض وملكها وما تعبدون أيها المشركون من دونه ملك له يقول فاعبدوا الملك لا المملوك الذى لا يملك شيأ ثم اليه ترجعون يقول ثم الى الله مصيركم وهو معاقبكم على اشراككم به ان متم على شرككم ومعنى الكلام لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض فاعبدوا المالك الذى له ملك السموات والارض الذى يقدر على نفعكم فى الدنيا وعلى ضركم فيها وعند مرجعكم اليه بعد مماتكم فانكم اليه ترجعون وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم اتخذوا من دون الله شفعاء الآلهة قل أولو كانوا لا يملكون شيأ الشفاعة

والعذاب الخزى عذاب يوم بدر والعذاب المقيم العذاب الدائم فى الآخرة ومدار هذه الآى على تسلية النبى صلى الله عليه وسلم ثم أكد كون الهداية والضلال من الله تعالى بقوله (الله يتوفى الانفس) وذلك أن الحياة واليقظة تشبه الهداية والموت والنوم يضاهى الضلال فكما أن الحياة والموت واليقظة والنوم لا يحصلان الا بتخليق الله وتكوينه فكذلك الهداية والضلال والعارف بهذه الدقيقة عارف بسر الله فى القدر ومن عرف سر الله فى القدر هانت عليه المصائب ففيه تسلية أخرى للنبى صلى الله عليه وسلم وقيل فى وجه النظم انه تعالى أراد أن يذكر حجة أخرى على اثبات الاله العليم القدير ليعلم أنه أحق بالعبادة من كل ماسواه فضلا عن الاصنام ومعنى الآية أن الله تعالى يتوفى الأنفس حين موتها قال جار الله أراد بالأنفس الجملة كما هى لانها هى التى تنام وتموت (و) يتوفى الانفس (التى لم تمت فى منامها) أى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى كقوله وهو الذى يتوفاكم بالليل والحاصل أنه يتوفى الانفس مرتين مرة عند موتها ومرة عند نومها فتكون فى متعلقة بيتوفى والتوفى مستعمل فى الاول حقيقة وفى الثانى مجازا ولم يجوزه كثير من أئمة الاصول وقال الفراء فى متعلقة بالموت وتقديره ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها عند انقضاء حياتها ثم بين الفرق بين الحالين بقوله (فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى) من غير غلط وقال حكماء الاسلام النفس الانسانية جوهر مشرق نورانى اذا تعلق بالبدن حصل ضوءه فى جميع الاعضاء ظاهرها وباطنها

وهو الحياة واليقظة وأما في وقت النوم فان ضوءه لا يقع الا على باطن البدن وينقطع عن ظاهره فتبقى نفس الحياة التي بها النفس وعمل القوى البدنية في الباطن ويفنى ما به التمييز  والعقل واذا انقطع هذا الضوء بالكلية عن البدن فهو الموت ومثل هذا التدبير العجيب لا يمكن صدوره الا من القدير الخبير الذي لا شريك له في ملكه ولا نظير ولهذا ختم الآية بقوله (ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) ثم كان للمشرك أن يقول انما نعبد الاصنام لانها تماثيل أشخاص كانوا عند الله مقربين فنحن نرجو شفاعتهم فأنكر الله عليهم بقوله (أم اتخذوا من دون الله) أي من دون اذنه (شفعاء) وأم بمعنى بل والهمزة الانكارية وتقرير الانكار أن هؤلاء الكفار اما أن يطمعوا في شفاعة تلك التماثيل واما في شفاعة من هذه التماثيل تماثيلهم والاول باطل لان هذه الاصنام جمادات لا تملك شيأ ولا تعقل وأشار الى هذا المعنى بقوله (قل أولو كانوا) يعني أيشفعون ولو كانوا بحيث (لا يملكون شيأ ولا يعقلون) والثاني أيضا مستحيل لان يوم القيامة لا يشفع أحد الا باذن الله وهو المراد بقوله (قل لله الشفاعة) وانتصب (جميعا) على الحال ولو كان تأكيدا للشفاعة لقيل جميعا وحين قرر أنه لا شفاعة لاحد الا باذن الله برهن على ذلك بقوله (له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون) يوم القيامة ولا ملك في ذلك اليوم الا له ثم ذكر نوعا آخر من قبائح أفعال المشركين فقال (واذا ذكر الله وحده) أي منفردا ذكره عن ذكر آلهتهم (اشمأزت) أي نفرت وانقبضت منه (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه) سواء ذكر الله معهم أو لم يذكر (اذا هم يستبشرون) أي فاجأ وقت ذكر ذلك آلهتهم وقت استبشارهم وفي الآية طباق ومقابلة لان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى يظهر أثره في بشرته والاشمئزاز أن يمتلئ غما

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله قل لله الشفاعة جميعا قال لا يشفع عنده أحد الا باذنه ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون﴾ يقول تعالى ذكره واذا أفرد الله جل ثناؤه بالذكر فدعي وحده وقيل لا اله الا الله اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالمعاد والبعث بعد الممات وعنى بقوله اشمأزت نفرت من توحيد الله واذا ذكر الذين من دونه يقول واذا ذكر الآلهة التي يدعونها من دون الله مع الله فقيل تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى اذا الذين لا يؤمنون بالآخرة يستبشرون بذلك ويفرحون كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة أي نفرت قلوبهم واستكبرت واذا ذكر الذين من دونه الآلهة اذا هم يستبشرون حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله اشمأزت قال انقبضت قال وذلك يوم قر أعليهم النجم عند باب الكعبة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله اشمأزت قال نفرت واذا ذكر الذين من دونه أوثانهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد الله خالق السموات والارض عالم الغيب والشهادة الذي لا تراه الأبصار ولا تحسه العيون والشهادة الذي تشهده أبصار خلقه وتراه أعينهم أنت تحكم بين عبادك فتفصل بينهم بالحق يوم تجمعهم لفصل القضاء بينهم فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون من القول فيك وفي عظمتك وسلطانك وغير ذلك من اختلافهم بينهم فتقضي يومئذ بيننا وبين هؤلاء المشركين الذين اذا ذكرت وحدك اشمأزت قلوبهم واذا ذكر من دونك استبشروا بالحق ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فاطر السموات والارض فاطر قال خالق وفي قوله عالم الغيب قال ما غاب عن العباد فهو يعلمه والشهادة ما عرف العباد وشهدوا فهو يعلمه ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ يقول تعالى ذكره ولو أن لهؤلاء المشركين بالله يوم القيامة وهم الذين ظلموا أنفسهم ما في الارض جميعا في الدنيا من أموالها وزينتها ومثله معه مضاعفا فقبل ذلك منهم عوضا من أنفسهم لفدوا بذلك كله أنفسهم عوضا منها لينجوا من سوء عذاب الله الذي هو معذبهم به يومئذ وبدا لهم من الله يقول وظهر لهم يومئذ من أمر الله وعذابه الذي كان أعده لهم ما لم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعد لهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره وظهر لهؤلاء المشركين يوم القيامة سيآت ما كسبوا من الاعمال في الدنيا اذ أعطوا كتبهم بشمائلهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ووجب عليهم حينئذ فلزمهم عذاب الله الذي كان نبي الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم فكانوا به يسخرون انكارا أن يصيبهم

وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه وذلك لاحتباس الروح الحيوانى فى القلب وقيل معنى الآية أنه اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لأن فيه نفيا لآلهتهم وفى بعض التفاسير أن هذا اشارة الى ما روى أنه (٩) صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة النجم وسوس الشيطان اليه بقوله تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فاستبشر المشركون وسجدوا ولما حكى عنهم هذا الجهل الغليظ والحمق الشديد وهو الاشمئزاز عن ذكر من ذكره رأس السعادات وعنوان الخيرات والاستبشار بذكر أخس الاشياء وهى الجمادات أمر رسوله بهذا الدعاء (اللهم فاطر السموات والارض) وهو وصفه بالقدرة التامة (عالم الغيب والشهادة) وهو نعته بالعلم الكامل وانما قدم وصفه بالقدرة على وصفه بالعلم لان العلم بكونه قادرا متقدم على العلم بكونه عالما كما بين فى أصول الدين وقد أشرنا الى ذلك فيما سلف (أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) يعنى أن نفرتهم عن التوحيد وفرحهم بالشرك أمر معلوم الفساد ببديهة العقل فلا حيلة فى ازالته الا باستعانة القدير العليم عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفتتح صلاته بالليل فيقول اللهم رب جبرائيل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدى الى صراط مستقيم وعن الربيع ابن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين عليه السلام وقالوا الآن يتكلم فازداد على أن قال آه أوقدفعلوا وقرأ هذه الآية وروى أنه قال على اثره قتل من كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه فى فيه ثم ذكر وعيدهم على ذلك المذهب الباطل بقوله (ولو أن للذين ظلموا) أى بالشرك وقد مر نظير الآية مرارا أو لها فى

ذلك أو بنا لهم تكذيبا منهم به وأحاط ذلك بهم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هى فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ يقول تعالى ذكره فاذا أصاب الانسان بؤس وشدة دعانا مستغيثا بنا من جهة ما أصابه من الضر ثم اذا خولناه نعمة منا يقول ثم اذا أعطيناه فرجا مما كان فيه من الضر بأن أبدلناه بالضر رخاء وسعة وبالسقم صحة وعافية فقال انما أعطيت الذى أعطيت من الرخاء والسعة فى المعيشة والصحة فى البدن والعافية على علم منى عندى يعنى على علم من الله بأنى له أهل لشرف ورضاه بعملى عندى يعنى فيما عندى كما يقال أنت محسن فى هذا الامر عندى أى فيما أظن وأحسب ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم اذا خولناه نعمة منا حتى بلغ على علم ٣ عندى أى على خير عندى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اذا خولناه نعمة منا قال أعطيناه. وقوله أوتيته على علم أى على شرف أعطانيه وقوله بل هى فتنة يقول تعالى ذكره بل عطيتنا اياهم تلك النعمة من بعد الضر الذى كانوا فيه فتنة لهم يعنى بلاء ابتليناهم به واختبارا اختبرناهم به ولكن أكثرهم لجهلهم وسوء رأيهم لا يعلمون لأى سبب أعطوا ذلك * ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أى بلاء

﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيآت ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وما هم بمعجزين﴾ يقول تعالى ذكره قد قال هذه المقالة يعنى قولهم لنعمة الله التى خولهم وهم مشركون أوتيناه على علم عندنا الذين من قبلهم يعنى الذين من قبل مشركى قريش من الامم الخالية لرسلها تكذيبا منهم لهم واستهزاء بهم وقوله فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول فلم يغن عنهم حين أتاهم بأس الله على تكذيبهم رسل الله واستهزائهم بهم ما كانوا يكسبون من الأعمال وذلك عبادتهم الاوثان يقول لم تنفعهم خدمتهم اياها ولم تشفع آلهتهم لهم عند الله حينئذ ولكنها أسلمتهم وتبرأت منهم وقوله فأصابهم سيآت ما كسبوا يقول فأصاب الذين قالوا هذه المقالة من الامم الخالية وبال سيآت ما كسبوا من الاعمال فعوجلوا بالخزى فى دار الدنيا وذلك كقارون الذى قال حين وعظ انما أوتيته على علم عندى فخسف الله به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين يقول الله جل ثناؤه والذين ظلموا من هؤلاء يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذين كفروا بالله يا محمد من قومك وظلموا أنفسهم وقالوا هذه المقالة سيصيبهم أيضا وبال سيآت ما كسبوا كما أصاب الذين من قبلهم بقيلهموها وما هم بمعجزين يقول وما يفوتون ربهم ولا يسبقونه هربا فى الارض من عذابه اذا نزل بهم ولكنه يصيبهم سنة الله فى الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ففعل الله ذلك بهم فأحل بهم خزيه فى عاجل الدنيا فقتلهم بالسيف يوم بدر ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قد قالها الذين من قبلهم الامم الماضية والذين ظلموا من هؤلاء قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿أولم يعلموا أن الله يبسط

(٢ - (ابن جرير) - الرابع والعشرون) الآية * روى أنه قال على اثره قتل من كان النبى صلى الله عليه وسلم يجلسه فى

آل عمران وفيه قوله (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون) نظير قوله في أهل الوعد فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هي سيئات يروى أن محمد بن المنكدر جزع عند موته فقيل له في ذلك فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لي من الله مالم يكن في حسباني وعن سفيان الثوري أنه قرأها فقال ويل لأهل الرياء ثم صرح بما أبهم قائلا (وبدا لهم سيئات ما كسبوا) وما موصولة أو مصدرية أي ظهرت لهم سيئات أعمالهم التي اكتسبوها أو سيئات كسبهم وذلك عند عرض الصحائف أو غير ذلك من المواقف وجوز أهل البيان أن يراد بالسيئات جزاء افعالهم كقوله وجزاء سيئة سيئة وانما قال في الجاثية سيئات ما عملوا لمناسبة ألفاظ العمل وههنا قد وقع من ألفاظ الكسب ثم حكى نوعا آخر من قبيح أعمالهم قائلا (فاذا مس الانسان) وقد مر مثله في مواضع أقربها أول السورة الا أنه ذكرههنا بفاء التعقيب لان هذا مناقض لما حكي عنهم عن قريب وهو أنهم يتمرّون عن ذكر الله وحده فكيف التجؤا اليه وحده عند ضر يصيبهم ومعنى (أوتيته على علم) أوتيته على علم لله بكوني مستحقا لذلك أو على علم عندي صار سببا لهذه المزية ككسب وصنعة ونحو ذلك ولا شك أن هذا نوع من الغرور فلهذا قال سبحانه (بل هي فتنة) بلاء واختبار يتميز بها الشاكر عن الكافر ذكر الضمير أولا بتأويل المحوّل وأنثه ثانيا بتأويل النقمة ثم أشار بقوله (قد قالها) أي مجموع الكلمة التي صدرت عنهم و (الذين من قبلهم) هم قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندي وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون في الامم الخالية قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) قد من الاموال أو من المعاصي وأشار بقوله (هؤلاء) الى أهل مكة أصابهم قتل في يوم بدر وغيره وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط

---

الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ) يقول تعالى ذكره أولم يعلم يا محمد هؤلاء الذين كشفنا عنهم ضرهم فقالوا انما أوتيناه على علم منا أن الشدة والرخاء والسعة والضيق والبلاء بيد الله دون كل من سواه يبسط الرزق لمن يشاء فيوسعه عليه ويقدر ذلك على من يشاء من عباده فيضيقه وأن ذلك من حجج الله على عباده ليعتبروا به ويتذكروا ويعلموا أن الرغبة اليه والرهبة دون الآلهة والانداد ان في ذلك لآيات يقول ان في بسط الله الرزق لمن يشاء وتقتيره على من أراد لآيات يعني دلالات وعلامات لقوم يؤمنون يعني يصدقون بالحق فيقرون به اذا تبينوه وعلموا حقيقته أن الذي يفعل ذلك هو الله دون كل ما سواه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ﴾ اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها قوم من أهل الشرك قالوا لما دعوا الى الايمان بالله كيف نؤمن وقد أشركنا وزنينا وقتلنا النفس التي حرم الله والله يعدنا على ذلك النار فما ينفعنا مع ما قد سلف منا الايمان فنزلت هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وذلك أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أنه من عبد الأوثان ودعا مع الله الها آخر وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا الآلهة وقتلنا النفس التي حرم الله ونحن أهل الشرك فأنزل الله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله يقول لا تيأسوا من رحمتي ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له وانما يعاتب الله أولي الالباب وانما الحلال والحرام لأهل الايمان فاياهم عاتب واياهم أمر ان أسرف أحدهم على نفسه أن لا يقنط من رحمة الله وأن يتوب ولا يتبطئ بالتوبة من ذلك الاسراف والذنب الذي عمل وقد ذكر الله في سورة آل عمران المؤمنين حين سألوا الله المغفرة فقالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا فينبغي أن يعلم أنهم قد كانوا يصيبون الاسراف فأمرهم بالتوبة من اسرافهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله الذين أسرفوا على أنفسهم قال قتل النفس في الجاهلية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق عن بعض أصحابه عن عطاء بن يسار قال نزلت هذه الآيات الثلاث بالمدينة في وحشي وأصحابه يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الى قوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني أبو صخر قال قال زيد بن أسلم في قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال انما هي للمشركين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم حتى بلغ الذنوب جميعا قال ذكر لنا أن ناسا أصابوا ذنوبا عظاما في الجاهلية فلما جاء الاسلام أشفقوا أن لا يتاب عليهم فدعاهم الله بهذه الآية يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم قال هؤلاء المشركون من أهل مكة قالوا كيف نجيبك وأنت تزعم أنه من زنى أو قتل أو أشرك بالرحمن كان هالكا من أهل النار فكل هذه الاعمال

لهم قحطوا سبع سنين فقيل لهم أولم يعلموا أن الباسط والقابض هو الله وحده وذلك أن انتهاء الحوادث المتسلسلة يجب أن يكون الى ارادته ومشيئته ولا ينافى هذا توسيط عالم الاسباب وأن يكون للكواكب كلها تأثيرات (١١) فى عالمنا هذا باذن مبدعها وفاطرها وقول الشاعر

فلا السعد يقضى به المشترى
ولا النحس يقضى علينا زحل
ولكنه حكم رب السماء
وقاضى القضاة تعالى وجل

كلام من غير تبين واستبصار بسر القدر والذى يشكك به الامام فخر الدين الرازى من أنه قد يولد انسانان فى طالع واحد ثم يصير أحدهما فى غاية السعادة والآخر فى غاية الشقاوة كلام غير محقق لانا لو سلمنا وقوع ذلك فلاختلاف القابل وليس تأثير العامل السماوى فى طالع ولد السلطان مثله فى طالع ولد الحمامى وكذا اختلافات أخر لانهاية لها نعم لو ادعى عسر ادراك جميع الجزئيات فلا نزاع فى ذلك الا المنتفع بما ينتفع به عليه أن يقنع بما يصل اليه فهمه فلكل شئ حد وفوق كل ذى علم عليم وحين أطنب فى الوعيد أردفه ببيان كمال رحمته ومغفرته فقال (ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم) عن ابن عباس أن أهل مكة قالوا يزعم محمد أن من عبد الاوثان وقتل النفس التى حرم الله لن يغفر له ونحن قد عبدنا الاوثان وقتلنا الانفس فأنزل الله هذه الآية وعن ابن عمر نزلت فى عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين أسلموا ثم عذبوا فارتدوا فنزلت فيهم وكان عمر كاتبا فكتبها الى عياش والوليد والى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت بالمدينة فى وحشى وقد سبق ثم ان قلنا العباد

قد عملنا ها فأنزلت فيهم هذه الآية ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال كان قوم مسخوطين فى أهل الجاهلية فلما بعث الله نبيه قالوا لو اتينا محمدا صلى الله عليه وسلم فآمنا به واتبعناه فقال بعضهم لبعض كيف يقبلكم الله ورسوله فى دينه فقالوا ألا نبعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فلما بعثوا نزل القرآن قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقرأ حتى بلغ فأكون من المحسنين حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الشعبى قال تجالس شتير بن شكل ومسروق فقال شتير إما أن تحدث ما سمعت من ابن مسعود فأصدقك واما أن أحدث فتصدقنى فقال مسروق لا بل حدث فأصدقك فقال سمعت ابن مسعود يقول ان أكبر آية فرجا فى القرآن ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله فقال مسروق صدقت * وقال آخرون بل عنى بذلك أهل الاسلام وقالوا تأويل الكلام ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء قالوا وهى كذلك فى مصحف عبد الله وقالوا انما نزلت هذه الآية فى قوم صدهم المشركون عن الهجرة وفتنوهم فأشفقوا أن لا يكون لهم توبة ذكر من قال ذلك حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا يحيى بن سعيد الاموى عن ابن اسحق عن نافع عن ابن عمر قال قال يعنى عمر كنا نقول ما لمن افتتن من توبة وكانوا يقولون ما الله بقابل منا شيأ تركنا الاسلام ببلاء أصابنا بعد معرفته فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله فيهم ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال عمر فكتبتها بيدى ثم بعثت بها الى هشام بن العاص قال هشام فلما جاءنى جعلت أقرؤها ولا أفهمها فوقع فى نفسى أنها أنزلت فينا لما كنا نقول فجلست على بعيرى ثم لحقت بالمدينة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى محمد بن اسحق عن نافع عن ابن عمر قال انما أنزلت هذه الآيات فى عياش ابن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا أسلموا ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا كانا نقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا قوم أسلموا ثم تركوا دينهم بعذاب عذبوه فنزلت هؤلاء الآيات وكان عمر بن الخطاب كاتبا قال فكتبها بيده ثم بعث بها الى عياش بن أبى ربيعة والوليد ابن الوليد والى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا يونس عن ابن سيرين قال قال على رضى الله عنه أى آية فى القرآن أوسع فجعلوا يذكرون آيات من القرآن ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ونحوها فقال على ما فى القرآن آية أوسع من ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الى آخر الآية حدثنا أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سعيد الازدى عن أبى الكنود قال دخل عبد الله المسجد فاذا قاص يذكر النار والأغلال قال فجاء حتى قام على رأسه فقال يامذكر أتقنط الناس ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن القرظى أنه قال فى هذه الآية ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله قال هى للناس أجمعين حدثنى زكريا بن يحيى بن أبى زائدة قال ثنا حجاج قال ثنا ابن لهيعة عن أبى قبيل قال سمعت أبا عبد الرحمن المزنى يقول ثنى أبو عبد الرحمن الجلانى أنه سمع ثوبان مولى رسول الله صلى الله

عام فالاسراف على النفس يعم الشرك ولا نزاع أن عدم اليأس من الرحمة يكون مشروطا بالتوبة والايمان وان قلنا العباد المضاف فى عرف القرآن مختص بالمؤمنين فالاسراف اما بالصغائر ولا خلاف فى أنها مكفرة ما اجتنبت الكبائر واما بالكبائر وحينئذ يبقى النزاع بين

الفريقين فالمعتزلة شرطوا التوبة والاشاعرة العفو وقد مر مرارا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت  ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات رواه في الكشاف وعلى هذا يكون

عليه وسلم يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بهذه الآية ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ألا ومن أشرك ألا ومن أشرك ثلاث مرات * وقال آخرون نزل ذلك في قوم كانوا يرون أهل الكبائر من أهل النار فأعلمهم الله بذلك أنه يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء ذكر من قال ذلك حدثني ابن البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال ثنا أبو معاذ الخراساني عن مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول انه ليس شئ من حسناتنا الا وهي مقبولة حتى نزلت هذه الآية أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذه الآية قلنا ما هذا الذي يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر والفواحش قال فكنا اذا رأينا من أصاب شيأ منها قلنا قد هلك حتى نزلت هذه الآية ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلما نزلت هذه الآية كففنا عن القول في ذلك فكنا اذا رأينا أحدا أصاب منها شيأ خفنا عليه وان لم يصب منها شيأ رجونا له * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال عني تعالى ذكره بذلك جميع من أسرف على نفسه من أهل الايمان والشرك لان الله عم بقوله ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم جميع المسرفين فلم يخصص به مسرفا دون مسرف فان قال قائل فيغفر الله الشرك قيل نعم اذا تاب منه المشرك وانما عنى بقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء كما قد ذكرنا قبل أن ابن مسعود كان يقرؤه وأن الله قد استثنى منه الشرك اذا لم يتب منه صاحبه فقال ان الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فأخبر أنه لا يغفر الشرك الا بعد توبة بقوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا فأما ما عداه فان صاحبه في مشيئة ربه ان شاء تفضل عليه فعفا له عنه وان شاء عدل عليه فجازاه به وأما قوله لا تقنطوا من رحمة الله فانه يعني لا تيأسوا من رحمة الله كذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وقد ذكرنا ما في ذلك من الروايات قبل فيما مضى و بينا معناه وقوله ان الله يغفر الذنوب جميعا يقول ان الله يستر على الذنوب كلها بعفوه عن أهلها وتركه عقوبتهم عليها اذا تابوا منها انه هو الغفور الرحيم بهم أن يعاقبهم عليها بعد توبتهم منها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون﴾ يقول تعالى ذكره وأقبلوا أيها الناس الى ربكم بالتوبة وارجعوا اليه بالطاعة له واستجيبوا له الى ما دعاكم اليه من توحيده وافراد الالوهة له واخلاص العبادة له كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأنيبوا الى ربكم أي أقبلوا الى ربكم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وأنيبوا قال أجيبوا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأنيبوا الى ربكم قال الانابة الرجوع الى الطاعة والنزوع عما كانوا عليه ألا تراه يقول منيبين اليه واتقوه وقوله وأسلموا له يقول واخضعوا له بالطاعة والاقرار بالدين الحنيفي من قبل أن يأتيكم العذاب من عنده على كفركم به ثم لا تنصرون يقول ثم لا ينصركم ناصر فينقذكم من عذابه النازل بكم وقوله واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم يقول تعالى ذكره واتبعوا أيها الناس ما أمركم به ربكم

مخصوصا بشرط الايمان ولا يخفى ما في الآية من مؤكدات الرحمة أولها تسمية المذنب عبدا والعبودية تشعر بالاختصاص مع الحاجة واللائق بالكريم الرحيم افاضة الجود والرحمة على المساكين وثانيها من جهة الاضافة الموجبة للتشريف وثالثها من جهة وصفهم بقوله الذين أسرفوا على أنفسهم كأنه قال يكفيهم من تلك الذنوب عود مضرتها عليهم لا علي ورابعها نهاهم عن القنوط والكريم اذا أمر بالرجاء فلا يليق به الا الكرم وخامسها قوله من رحمة الله مع امكان الاقتصار على الضمير بأن يقول من رحمتي فايراد أشرف الاسماء في هذا المقام يدل على أعظم أنواع الكرم واللطف وسادسها تكرير اسم الله تعالى في قوله (ان الله يغفر الذنوب جميعا) مع تصدير الجملة بان ومع ايراد صيغة المضارع المنبئة عن الاستمرار ومع تأكيد الذنوب بقوله جميعا أي حال كونها مجموعة وسابعها ارداف الجملة بقوله انه هو الغفور الرحيم ومع ما فيه من أنواع المؤكدات ومع جميع ذلك لم يخل الترغيب عن الترهيب ليكون رجاء المؤمن مقرونا بخوفه فقال (وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له) وذلك أن الاشاعرة أيضا يجوزون أن يدخل صاحب الكبيرة النار مدة ثم يخرج منها ومع احتمال هذا العذاب يجب الميل الى الانابة والاخلاص لله في العمل على أن الخوف للتقصير في الطاعة يكفي عن الخوف للتصريح بالمعصية وللصديقين في الاول منزوحة عن الثاني وقال بعضهم ان الكلام قدتم على الآية الاولى في ثم خاطب الكفار بهذه الآيات من قوله (وأنيبوا) والمراد بالعذاب اما عذاب الدنيا كالملام السابقة واما الموت لانه أول أهوال الآخرة

وقوله (أحسن ما أنزل اليكم) كقوله يستمعون القول فيتبعون أحسنه وقد مر الاقوال فيه وحين خوفهم بالعذاب حكى عنهم أنهم بتقدير نزول العذاب ماذا يقولون فذكر ثلاثة أنواع من الكلمات الاول أن تقول والتقدير (١٣) أنذرناكم العذاب المذكور كراهة أن تقول

في تنزيله واجتنبوا مانهاكم فيه عنه وذلك هو أحسن ما أنزل الينا من ربنا فان قال قائل ومن القرآن شئ هو احسن من شئ قيل له القرآن كله حسن وليس معنى ذلك ماتوهمت وانما معناه واتبعوا ما أنزل اليكم ربكم من الامر والنهى والخبر والمثل والقصص والجدل والوعد والوعيد أحسنه وأحسنه أن تأتمروا لأمره وتنتهوا عما نهى عنه لان النهى مما أنزل فى الكتاب فلو عملوا بما نهوا عنه كانوا عاملين بأقبحه فذلك وجهه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم يقول ما أمرتم به فى الكتاب من قبل أن يأتيكم العذاب وقوله من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة يقول من قبل أن يأتيكم عذاب الله فجأة وأنتم لا تشعرون يقول وأنتم لا تعلمون به حتى يغشاكم فجأة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أن تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين ﴾ يقول تعالى ذكره وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له أن تقول نفس بمعنى لئلا تقول نفس ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله وهو نظير قوله وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم بمعنى أن لا تميد بكم فان اذ كان ذلك معناه فى موضع نصب وقوله ياحسرتا يعنى أن تقول يا ندما كما حدثنى محمد بن الحسين قال ثنى أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ياحسرتا قال الندامة والالف فى قوله ياحسرتاهى كناية المتكلم وانما أريد ياحسرتى ولكن العرب تحول الياء التى فى كناية اسم المتكلم فى الاستغاثة ألفا فتقول ياويلتا ويا ندما فيخرجون ذلك على لفظ الدعاء وربما قيل ياحسرة على العباد كما قيل يالهف ويالهفا عليه وذكر الفراء أن أبا ثروان أنشده

تزورونها ولا أزور نساءكم * ألهف لأولاد الاماء الحواطب

خفضا كما يخفض فى النداء اذا أضافه المتكلم الى نفسه وربما أدخلوا الهاء بعد هذه الألف فيخفضونها أحيانا ويرفعونها أحيانا وذكر الفراء أن بعض بنى أسد أنشد

يارب يارباه اياك أسأل * عفراء يا رباه من قبل الأجل

خفضا قال والخفض أكثر فى كلامهم الا فى قولهم ياهناه ويا هناتاه فان الرفع فيهما أكثر من الخفض لانه كثير فى الكلام حتى صار كأنه حرف واحد وقوله على ما فرطت فى جنب الله يقول على ما ضيعت من العمل بما أمرنى الله به وقصرت فى الدنيا فى طاعة الله وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله يقول فى أمر الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله على ما فرطت فى جنب الله قال فى أمر الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله على ما فرطت فى جنب الله قال تركت من أمر الله وقوله وان كنت لمن الساخرين يقول وان كنت لمن المستهزئين بأمر الله وكتابه ورسوله والمؤمنين به وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله أن تقول نفس ياحسرتا

أو لئلا تقول قال جار الله انما نكرت نفس لان المراد بها بعض الأنفس وهى نفس الكافر أو نوع من الأنفس متميزة بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم وجوز أن يكون التنكير لأجل التكثير كقوله رب وقد أكرمته (ياحسرتا على ما فرطت) أى قصرت والتفريط اهمال ما ينبغى أن يقدم (فى جنب الله) واعلم أن بعض أهل التجسيم يحكمون بورود هذا اللفظ على اثبات هذا العضو لله سبحانه ولا يدرى أنه بعد التسليم لا معنى للتفريط فيه فالمصير الى التأويل والصحيح ماذهب اليه علماء البيان أن هذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الشئ فى مكان الرجل وحيزه وجانبه وناحيته فقد أثبته فيه كقوله

ان السماحة والمروءة والندى
فى قبة ضربت على ابن الحشرج

وتقول لمكانك فعلت كذا أى لأجلك وفى الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل ولا بد من تقدير مضاف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر وللمفسرين فيه عبارات قال ابن عباس أى ضيعت من ثواب الله وقال مقاتل ضيعت من ذكر الله وقال مجاهد فى أمر الله وقال الحسن فى طاعة الله وعن سعيد بن جبير فى حق الله وقيل فى قرب الله من الجنة من قوله والصاحب بالجنب وقال ابن جبير فى جانب هدى الله لان الطريق متشعب الى الهدى والضلال فكل واحد جانب وجنب والتحقيق فى المسئلة أن الشئ الذى يكون من لوازم الشئ ومن توابعه كأنه حد من حدوده وجانب من جوانبه فلما حصلت المشابهة بين الجنب الذى هو العضو وبين ما يكون لازما للشئ وتابعا له لا جرم حسن اطلاق لفظ الجنب فى الآية على أحد هذه المضافات قال الشاعر وهو سابق البربرى

اما المتقين الله فى جنب عاشق * له كبد حرى عليك تقطع ثم زاد فى التحسر بقوله (وان كنت لمن الساخرين) اى المستهزئين بالقرآن والنبى والمؤمنين ان مخففة واللام فارقة والواو تحتمل العطف والحال قال قتادة لم يكفه ما ضيع من أمر الله حتى سخر من المصدقين

على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين قال فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله قال هذا قول صنف منهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وان كنت لمن الساخرين يقول من المستهزئين بالنبى صلى الله عليه وسلم و بالكتاب وبما جاء به ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين﴾ يقول تعالى ذكره وأنيبوا الى ربكم أيها الناس وأسلموا له أن لا تقول نفس يوم القيامة يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله فى أمر الله وأن لا تقول نفس أخرى لو أن الله هدانى للحق فوفقنى للرشاد لكنت ممن اتقاه بطاعته واتباع رضاه أو أن لا تقول أخرى حين ترى عذاب الله فتعاينه لو أن لى كرة تقول لو أن لى رجعة الى الدنيا فأكون من المحسنين الذين أحسنوا فى طاعة ربهم والعمل بما أمرتهم به الرسل * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله الآية قال هذا قول صنف منهم أو تقول لو أن الله هدانى الآية قال هذا قول صنف آخر أو تقول حين ترى العذاب الآية يعنى بقوله لو ان لى كرة رجعة الى الدنيا قال هذا صنف آخر حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله قال أخبر الله ما العباد قائلوه قبل أن يقولوه وعملهم قبل أن يعملوه قال ولا ينبئك مثل خبير أن تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله أو تقول لو أن الله هدانى الى قوله فأكون من المحسنين يقول من المهتدين فأخبر الله سبحانه أنهم لو ردوا لم يقدروا على الهدى وقال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقال ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة قال ولو ردوا الى الدنيا لحيل بينهم و بين الهدى كما حلنا بينهم و بينه أول مرة وهم فى الدنيا وفى نصب قوله فأكون وجهان أحدهما أن يكون نصبه على أنه جواب لو والثانى على الرد على موضع الكرة وتوجيه الكرة فى المعنى الى لو أن لى أكر كما قال الشاعر

فمالك منها غير ذكرى وحسرة * وتسأل عن ركبانها أين يمموا

فنصب تسأل عطفا بها على موضع الذكرى لان معنى الكلام فمالك (١) يرسل على موضع الوحى فى قوله الا وحيا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره مكذبا للقائل لو أن الله هدانى لكنت من المتقين وللقائل لو أن لى كرة فأكون من المحسنين ما القول كما تقولون بلى قد جاءتك أيها المتمنى على الله الرد الى الدنيا لتكون فيها من المحسنين آياتى يقول قد جاءتك حجتى من بين رسول أرسلته اليك وكتاب أنزلته يتلى عليك ما فيه من الوعد والوعيد والتذكير فكذبت بآياتى واستكبرت عن قبولها واتباعها وكنت من الكافرين يقول وكنت ممن يعمل عمل الكافرين و يستن بسنتهم و يتبع منهاجهم * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد

(١) فيه سقط من الناسخ ولعل الاصل فمالك غير أن تذكر وتسأل ونظيره وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل فعطف بيرسل الخ تأمل كتبه مصححه

النوع الثانى من كلمات النفس المعذبة (لو أن الله هدانى) يجوز أن يقول مرة هذا ومرة ذلك أو يكون قائل كل من الكلمتين بعد أخرى والمعنى لو أرشدنى الى دينه (لكنت من المتقين) النوع الثالث قوله عند رؤية العذاب (لو أن لى كرة فأكون من المحسنين) قال جار الله لما حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب وهو الثانى صح أن تقع بلى جوابا له مع أنه غير مبنى لان قوله لو أن الله هدانى فى معنى ما هديت قلت هذا يصلح جوابا للقولين الثانى والثالث أى بلى قد هديت بالوحى فكذبت واستكبرت عن قبوله فلا فائدة فى الرجعة فان عدم القابلية وكونه واقعا فى جانب القهر لن يزول عنه ثم صرح ببعض أنواع العذاب قائلا (و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله) وقوله (وجوههم مسودة) مفعول ثان ان كانت الرؤية القلبية والا فموضعه نصب على الحال والظاهر أن الكذب على الله هو المشار اليه فى قوله فكذبت بها و يشمل الكذب عليه باتخاذ الشريك والولد ونسبته الى العجز عن الاعادة ونسبة القرآن الى كونه مختلقا ونحو ذلك وأما المسائل الاجتهادية التى يختلف فيها كل فريق اسلامى ولاسيما الفروعية فالظاهر أنها لا تدخل فيها والله أعلم وأما سواد الوجه فان كان فى الصورة فظاهر و يكون كسائر أوصاف أهل النار من زرقة العيون وغيره وان كان المراد به الخجل وشدة الحياء ونحو ذلك فالله تعالى أعلم بمراده ولا ريب أن الجهل والاخبار على خلاف ما عليه الامر ونحو ذلك من الاخلاق الذميمة كلها ظلمات كما أن العلم والصدق ونحوهما أنوار كلها وفى ذلك العالم تظهر

حقيقة كل شئ على المكلف هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت ثم حكى حال المتقين يومئذ قائلا (وينجى الله الذين اتقوا) الشرك أو المعاصى كبائر وصغائر (بمفازتهم) هى مفعلة من الفوز فمن وحد فلأنه مصدر ومن جمع  فلاختلاف أجناسها فلكل متق مفازة وهى الفلاح ولا شك أن الباء هى التى فى نحو قولك كتبت بالقلم فقال جار الله تارة تفسير المفازة هى قوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون فلا محل للجملة لانه كأنه قيل وما مفازتهم فقيل (لا يمسهم السوء) أى فى أبدانهم (ولا هم يحزنون) يتألمون قلبا على ما فات وقال أخرى يجوز أن يراد بسبب فلاحهم أو منجاتهم وهو العمل الصالح وذلك أن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لانه سببها وعلى هذه الوجوه يكون قوله لا يمسهم منصوبا على الحال وعن الماوردى أن المفازة ههنا البرية أى بما سلكوا مفازة الطاعات الشاقة وهو غريب وحين تم الوعد والوعيد أتبعه شيأ من دلائل المالكية قائلا (الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل) وقد مر فى الأنعام ثم أكده بقوله (له مقاليد السموات والارض) وهو كقوله فى الانعام وعنده مفاتح الغيب والمقاليد المفاتيح أيضا فقيل لا واحد لها من لفظها وقيل مقليد أو مقلد أو اقليد والظاهر أنه فى الاصل فارسى والتعريب جعله من قبيل العربى ويروى أنه سأل عثمان رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير الآية فقال يا عثمان ما سألنى عنها أحد قبلك تفسير المقاليد لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير وقال العلماء يعنى أن هذه الكلمات مفاتيح خيرات السموات والارض وقد يوحد الله بها ويحمد قال أهل العرفان بيده مفاتيح خزائن اللطف والقهر فيفتح على من يشاء أبواب خزائن لطفه فى قلبه فتخرج ينابيع الحكمة وجواهر

---

قال ثنا سعيد عن قتادة يقول الله ردا لقولهم وتكذيبا لهم يعنى لقول القائلين لو أن الله هدانى والصنف الآخر بلى قد جاءتك آياتى الآية وبفتح الكاف والتاء من قوله قد جاءتك آياتى فكذبت على وجه المخاطبة للمذكور قرأه القراء فى جميع أمصار الاسلام وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قرأ ذلك بكسر جميعه على وجه الخطاب للنفس كأنه قال أنت تقول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله بلى قد جاءتك أيها النفس آياتى فكذبت بها أجرى الكلام كله على النفس اذ كان ابتداء الكلام بها جرى والقراءة التى لا أستجيز خلافها ما جاءت به قراء الامصار مجمعة عليه نقلا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الفتح فى جميع ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم القيامة ترى يا محمد هؤلاء الذين كذبوا على الله من قومك فزعموا أن له ولدا وأن له شريكا وعبدوا آلهة من دونه وجوههم مسودة والوجوه وان كانت مرفوعة بمسودة فان فيها معنى نصب لانها مع خبرها تمام ترى ولو تقدم قوله مسودة قبل الوجوه كان نصبا ولو نصب الوجوه المسودة ناصب فى الكلام لا فى القرآن اذا كانت المسودة مؤخرة كان جائزا كما قال الشاعر

ذرينى ان امرك لن يطاعا * وما ألفيتنى حلمى مضاعا

فنصب الحلم والمضاع على تكرير ألفيتنى وكذلك تفعل العرب فى كل ما احتاج الى اسم وخبر مثل ظن وأخواتها وفى مسودة للعرب لغتان مسودة ومسوادة وهى فى أهل الحجاز يقولون فيما ذكر عنهم قد اسوادّ وجهه واحمارّ واشهاب وذكر بعض نحويى البصرة عن بعضهم أنه قال لا يكون افعال الا فى ذى اللون الواحد نحو الأشهب قال ولا يكون فى نحو الاحمر لان أشهب لون يحدث والاحمر لا يحدث وقوله أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين يقول أليس فى جهنم مأوى ومسكن لمن تكبر على الله فامتنع من توحيده والانتهاء الى طاعته فيما أمره ونهاه عنه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل ﴾ يقول تعالى ذكره وينجى الله من جهنم وعذابها الذين اتقوه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فى الدنيا بمفازتهم يعنى بفوزهم وهى مفعلة منه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل وان خالفت ألفاظ بعضهم اللفظة التى قلناها فى ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم قال بفضائلهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم قال بأعمالهم قال والآخرون يحملون أوزارهم يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة وبعض قراء مكة والبصرة بمفازتهم على التوحيد وقرأته عامة قراء الكوفة بمفازاتهم على الجماع والصواب عندى من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب لاتفاق معنييهما والعرب توحد مثل ذلك أحيانا وتجمع بمعنى واحد فيقول أحدهم سمعت صوت القوم وسمعت أصواتهم كما قال جل ثناؤه ان أنكر الاصوات لصوت الحمير ولم يقل أصوات الحمير ولو جاء ذلك كذلك كان صوابا وقوله لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون يقول تعالى

ذكره لا يمس المتقين من أذى جهنم شئ وهو السوء الذى أخبر جل ثناؤه أنه لن يمسهم ولا هم يحزنون يقول ولا هم يحزنون على ما فاتهم من آراب الدنيا اذصاروا الى كرامة الله ونعيم الجنان وقوله الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل يقول تعالى ذكره الله الذى له الالوهة من كل خلقه الذى لا تصلح العبادة الا له خالق كل شئ لا ما لا يقدر على خلق شئ وهو على كل شئ وكيل يقول وهو على كل شئ قيم بالحفظ والكلاءة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون ﴾ يقول تعالى ذكره له مفاتيح خزائن السموات والارض يفتح منها على من يشاء ويمسكها عمن أحب من خلقه واحدها مقليد وأما الاقاليد فواحد الاقاليد ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله مقاليد السموات والارض مفاتيحها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله له مقاليد السموات والارض أى مفاتيح السموات والارض حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله له مقاليد السموات والارض قال خزائن السموات والارض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله له مقاليد السموات والارض قال المقاليد المفاتيح قال له مفاتيح خزائن السموات والارض وقوله والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون يقول تعالى ذكره والذين كفروا بحجج الله فكذبوا بها وأنكروها أولئك هم المغبونون حظوظهم من خيرات السموات التى بيده مفاتيحها لانهم حرموا ذلك كله فى الآخرة بخلودهم فى النار وفى الدنيا بخذلانهم عن الايمان بالله عز وجل ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه قل يا محمد لمشركى قومك الداعيك الى عبادة الاوثان أفغير الله أيها الجاهلون بالله تأمرونى أن أعبد ولا تصلح العبادة لشئ سواه واختلف أهل العربية فى العامل فى قوله أفغير النصب فقال بعض نحويى البصرة قل أفغير الله تأمرونى يقول أفغير الله أعبد تأمرونى كأنه أراد الالغاء والله أعلم كما تقول ذهب فلان يدرى جعله على معنى فما يدرى وقال بعض نحويى الكوفة غير منتصبة بأعبد وأن تحذف وتدخل لانها علم للاستقبال كما تقول أريد أن أضرب وأريد أضرب وعسى أن أضرب وعسى أضرب فكانت فى طلبها الاستقبال كقولك زيدا سوف أضرب فلذلك حذفت وعمل ما بعدها فيما قبلها ولا حاجة بنا الى اللغو وقوله ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك يقول تعالى ذكره ولقد أوحى اليك يا محمد ربك والى الذين من قبلك من الرسل لئن أشركت ليحبطن عملك يقول لئن أشركت بالله شيأ يا محمد ليبطلن عملك ولا تنال به ثوابا ولا تدرك به جزاء الاجزاء من أشرك بالله وهذا من المؤخر الذى معناه التقديم ومعنى الكلام ولقد اوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين والى الذين من قبلك بمعنى والى الذين من قبلك من الرسل من ذلك مثل الذى أوحى اليك منه فاحذر أن تشرك بالله شيأ فتهلك ومعنى قوله ولتكونن من الخاسرين ولتكونن من الهالكين بالاشراك بالله ان أشركت به شيأ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله

الاخلاق الحسنة وللآخر بالضد قال فى الكشاف قوله (والذين كفروا) متصل بقوله و ينجى وما بينهما اعتراض دل على انه خالق الاشياء كلها فيهيمن عليها لا يخفى عليه أعمال المكلفين وجزاؤها فان كل شئ فى السموات والارض فان مفاتحه بيده وهذا والظاهر أنه لا حاجة الى هذا التقدير البعيد حتى يعطف جملة اسمية على جملة فعلية والأقرب أنه لما وصف نفسه بصفات الملكية والقدرة ذكر بعده والذين كفروا بدلائل ملكه وملكه مع كونها ظاهرة باهرة فلا أخسر منهم لانهم عمى فى الدارين فاقدون لأشرف المطالب ولذلك و بخ أهل الشرك بقوله (قل أفغير الله) أى قل لهم بعد هذا البيان أفغير الله وهو منصوب بأعبد و (تأمرونى) اعتراض والمعنى أفغير الله (أعبد) بأمركم وذلك أن المشركين دعوه الى دين آبائه وجوز جار الله أن ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمرونى أعبد لانه فى معنى تعبدونى غير الله وتقولون لى اعبد والاصل تأمرونى أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل ويمكن أن يعترض عليه بأن صلة أن كيف تتقدم عليه ويحتمل أن يجاب بأن العامل هو ما دل عليه الجملة كما قلنا لا قوله أن أعبد وقيل التقدير أفبعبادة غير الله تأمرونى وقوله (أيها الجاهلون) لا يكون أليق بالمقام منه لانه لا جهل أشد من جهل من نهى عن عبادة أشرف الاشياء وأمر بعبادة أخس الاشياء ثم هدد الامة على الشرك مخاطبا نبيه بقوله (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك) من الانبياء مثله (لئن اشركت) فاقتصر على الاول ويجوز أن يراد ولقد أوحى اليك والى كل واحد ممن قبلك لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أى كل واحد منا وقدم نظير هذه الآية بقوله ولئن اتبعت أهواءهم و بينا أن ذلك على سبيل الفرض والشرطية لا حاجة فى صدقها عليه الى صدق جزايها أو المراد الأمة كما قلنا وفى قوله (ولتكونن من الخاسرين) اشارة الى أن منصب النبوة الذى هو أشرف مراتب الانسانية

واقربها من الله اذا بدل بضده الذى هو البعد عن الحضرة الالهية لم يكن خسران وراء ذلك ثم رده صلى الله عليه وسلم الى ما هو الحق الثابت فى نفس الامر وهو تخصيص الله بالعبادة فقال (بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) على ذلك لان توفيق العبادة منه وحده ولذا جعله مظهرا للطف حتى صار سيد ولد آدم ثم بين أنهم لما جعلوا هذه الاشياء الخسيسة مشاركة فى العبادة ما عرفوا الله حق معرفته وقدر فى الانعام والحج ثم أردفه بما يدل على كمال عظمته قائلا (والارض جميعا قبضته) قال جار الله الغرض من هذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة واليمين الى جهة حقيقة أو الى جهة مجاز وكذلك حكم ما يروى عن عبد الله بن مسعود أن رجلا من أهل الكتاب جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال وانزل الله الآية تصديقا له وقال جار الله وانما ضحك أفصح العرب وتعجب لأنه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شئ من غير ذلك ولكن فهمه وقع أول شئ وآخره على الزبدة والخلاصة التى هى الدلالة على القدرة الباهرة وأن الافعال العظام التى لا تكتنهها الاوهام هينة عليه ثم ذكر كلاما آخر طويلا واعترض عليه الامام فخر الدين الرازى بأن هذا الكلام الطويل لا طائل تحته لانه هل يسلم أن الاصل فى الكلام حمله على حقيقته أم لا وعلى الثانى يلزم خروج القرآن بكليته عن كونه حجة فان لكل أحد حينئذ أن يؤول الآية بما شاء وعلى الاول وهو الذى عليه الجمهور يلزمه بيان أنه لا يمكن

عليه وسلم لا تعبدما أمرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد بعبادته بل الله فاعبد دون كل ما سواه من الآلهة والأوثان والأنداد وكن من الشاكرين لله على نعمته عليك بما أنعم عليك من الهداية لعبادته والبراءة من عبادة الأصنام والأوثان ونصب اسم الله بقوله فاعبد وهو بعده لأنه رد كلام ولو نصب بمضمر قبله اذ كانت العرب تقول زيدا فليقم وزيدا فليقم رفعا ونصبا الرفع على فلينظر زيد فليقم والنصب على انظر وازيدا فليقم كان صحيحا جائزا وقوله وما قدروا الله حق قدره يقول تعالى ذكره وما عظم الله حق عظمته هؤلاء المشركون بالله الذين يدعونك الى عبادة الاوثان * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما قدروا الله حق قدره قال هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدرة الله عليهم فمن آمن أن الله على كل شئ قدير فقد قدر الله حق قدره ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وما قدروا الله حق قدره ما عظموا الله حق عظمته وقوله والأرض جميعا قبضته يوم القيامة يقول تعالى ذكره والارض كلها قبضته فى يوم القيامة والسموات كلها مطويات بيمينه فالخبر عن الارض منتاه عند قوله يوم القيامة والارض مرفوعة بقوله قبضته ثم استأنف الخبر عن السموات فقال والسموات مطويات بيمينه وهى مرفوعة بمطويات وروى عن ابن عباس وجماعة غيره أنهم كانوا يقولون الارض والسموات جميعا فى يمينه يوم القيامة ذكر الرواية بذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة يقول قد قبض الارضين والسموات جميعا بيمينه ألم تسمع أنه قال مطويات بيمينه يعنى الارض والسموات بيمينه جميعا قال ابن عباس وانما يستعين بشماله المشغولة يمينه حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى ابى عن عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال ما السموات السبع والارضون السبع فى يد الله الا كخردلة فى يد أحدكم * قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة قال ثنا النضر بن أنس عن ربيعة الجرشى قال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه قال ويده الاخرى خلو ليس فيها شئ حدثنى على بن الحسن الازدى قال ثنا يحيى بن يمان عن عمار ابن عمرو عن الحسن فى قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة قال كأنها جوزة بقضها وقضيضها حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة يقول السموات والارض مطويات بيمينه جميعا وكان ابن عباس يقول انما يستعين بشماله المشغولة يمينه وانما الارض والسموات كلها بيمينه وليس فى شماله شئ حدثنا الربيع قال ثنا ابن وهب قال أخبرنى أسامة بن زيد عن أبى حازم عن عبد الله بن عمر أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب الناس فمر بهذه الآية وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ السموات والارضين السبع فيجعلها فى كفه ثم يقول بهما كما يقول الغلام بالكرة أنا الله الواحد أنا الله العزيز حتى لقد رأينا المنبر وانه ليكاد أن يسقط به حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان قال ثنى منصور وسليمن عن ابراهيم عن عبيدة السلمانى عن عبد الله قال جاء

يهودى الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ان الله يمسك السموات على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والخلائق على اصبع ثم يقول أنا الملك قال فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه وقال وما قدروا الله حق قدره **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن ابراهيم عن عبيدة عن عبدالله قال فضحك النبى صلى الله عليه وسلم تعجبا وتصديقا **حدثنى** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى عن منصور عن خيثمة بن عبدالرحمن عن علقمة عن عبدالله بن مسعود قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاءه حبر من أحبار اليهود فجلس اليه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم حدثنا قال ان الله تبارك وتعالى اذا كان يوم القيامة جعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والماء والشجر على اصبع وجميع الخلائق على اصبع ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك قال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقا لما قال ثم قرأ هذه الآية وما قدروا الله حق قدره الآية **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى نحو ذلك **حدثنى** سليمن بن عبدالجبار وعباس بن أبى طالب قالا ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس قال مر يهودى بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو جالس فقال يا يهودى حدثنا فقال كيف تقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله السماء على ذه والارض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره الآية **حدثنى** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله قال أتى النبى صلى الله عليه وسلم رجل من أهل الكتاب فقال يا أبا القاسم أبلغك أن الله يحمل الخلائق على اصبع والسموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع قال فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فأنزل الله وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته الى آخر الآية * وقال آخرون بل السموات فى يمينه والارضون فى شماله ذكر من قال ذلك **حدثنا** على بن داود قال ثنا ابن أبى مريم قال أخبرنا ابن أبى حازم قال ثنى أبو حازم عن عبيدالله بن مقسم أنه سمع عبدالله بن عمر يقول رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر يقول يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيديه وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه وجعل يقبضهما ويبسطهما قال ثم يقول أنا الرحمن أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون وتمايل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شئ منه حتى انى لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنى** أبو علقمة الفروى عبدالله بن محمد قال ثنى عبدالله بن نافع عن عبدالعزيز بن أبى حازم عن أبيه عن عبيد بن عمير عن عبدالله بن عمر أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأخذ الجبار سماواته وأرضه بيده وقبض يده فجعل يقبضها ويبسطها ثم يقول أنا الجبار أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون قال ويميل رسول صلى الله عليه وسلم عن يمينه وعن شماله حتى نظرت الى المنبر يتحرك من أسفل شئ منه حتى انى لأقول أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنى** الحسن بن على بن عياش الحمصى قال ثنا بشر ابن شعيب قال أخبرنى أبى قال ثنا محمد بن مسلم بن شهاب قال أخبرنى سعيد بن المسيب عن

حمل اللفظ الثلاثى على معناه الحقيقى لتعين المصير الى التأويل ثم ان كان هناك مجازان وجب اقامة الدليل على تعيين أحدهما ففى هذه السورة لاشك أن لفظ القبضة واليمين مشعر بهذه الجوارح الا أن الدلائل العقلية قامت على امتناع الاعضاء والجوارح لله تعالى فوجب المصير الى التأويل صونا للنص عن التعطيل ولا تأويل الا أن يقال المراد كونها تحت تدبيره وتسخيره كما يقال فلان فى قبضة فلان وقال تعالى وما ملكت أيمانهم ويقال هذه الدار فى يد فلان ويمينه وفلان صاحب اليد وأنا أقول هذا الذى ذكره الامام طريق أصولى والذى ذكره جار الله طريق بيانى وأنهم يحيلون كثيرا من المسائل الى الذوق فلا منافاة بينهما ولا يرد اعتراض الامام وتشنيعه وقدمر لنا فى هذا الكتاب الاصل الذى كان يعمل به السلف فى باب المتشابهات فى مواضع فتذكر ولنرجع الى الآية قوله والارض قالوا المراد بها الارضون لوجهين أحدهما قوله جميعا فانه يجعله فى معنى الجمع كقوله كل الطعام وقوله والنخل باسقات والثانى قوله والسموات ولقائل أن يقول كل ماهو ذو أجزاء حسا أو حكما فانه يصح تأكيده بالجميع وعطف السموات على الارض فى القرآن كثير نعم قيل ان الموضع موضع تعظيم وتفخيم فهو مقتض للمبالغة وليس ببعيد والقبضة بالفتح المرة من القبض يعنى والارضون جميعا مع عظمهن لا يبلغن الا قبضة واحدة من قبضاته فهن ذوات قبضته وعندى أن المراد منه تصرفه يوم القيامة فيها بتبديلها كقوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات مطويات بيمينه كقوله يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب وقيل معنى مطويات كونها مستولى عليها استيلاءك على الشئ المطوى عندك بيدك وقيل معنى مطويات كونها مستولى عليها بيمينه أى بقسمه لانه تعالى حلف أن يطويها ويفنيها فى الآخرة وفى الآية اشارة الى كمال استغنائه

وأنه اذا حاول تخريب الارض والسموات وتبديلها وذلك فى يوم القيامة سهل عليه كل السهولة ولذلك نزه نفسه عن الشركاء بقوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) ثم ذكر سائر أهوال القيامة وأحوالها بقوله (ونفخ فى الصور فصعق) الظاهر أن نفخ الصور مرتان وبعضهم روى أنه ثلاث نفخات الاولى للفزع كما جاء فى النمل والثانية للموت وهو معنى الصعق والثالثة للاعادة والاظهر أن الفزع يتقدم الصعق فلا يلزم منه اثبات نفختين وقدمر فى النمل تفسير باقى الآية قال جار الله تقدير الكلام ونفخ فى الصور نفخة واحدة (ثم نفخ فيه أخرى) وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها فى غير مكان ومعنى (ينظرون) يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب أو ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجهود تحيرا ثم وصف أرض القيامة بقوله (وأشرقت الارض بنور ربها) الظاهر أن هذا نور تجليه سبحانه وقدمر شرح هذا النور فى تفسير قوله الله نور السموات والارض وفى غيره من المواضع وقال علماء البيان افتتح الآية بذكر العدل كما اختتم الآية بنفى الظلم ويقال للملك العادل أشرقت الآفاق بنور عدلك وأضاءت الدنيا بقسطك وفى ضده أظلمت الدنيا بجوره وأهل الظاهر من المفسرين لم يستبعدوا أن يخلق الله فى ذلك اليوم للارض نورا مخصوصا وقيل أراد أرض الجنة ثم ان أهل البيان أكدوا قولهم بأنه أتبعه قوله (ووضع الكتاب) الى آخره وكل ذلك من الامور الدالة على غاية العدل والمراد بالكتاب اما اللوح المحفوظ يقابل به صحف الاعمال أو الصحف

---

أبى هريرة أنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبض الله عز وجل الارض يوم القيامة ويطوى السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض حدثت عن حرملة بن يحيى قال ثنا ادريس بن يحيى القائد قال أخبرنا حيوة عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبض الارض يوم القيامة بيده ويطوى السماء بيمينه ويقول أنا الملك حدثنى محمد بن عوف قال ثنا أبو المغيرة قال ثنا ابن أبى مريم قال ثنا سعيد بن ثوبان الكلاعى عن أبى أيوب الانصارى قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حبر من اليهود قال أرأيت اذ يقول الله فى كتابه والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه فأين الخلق عند ذلك قال هم فيها كرقم الكتاب حدثنا ابراهيم بن سعيد الجوهرى قال ثنا أبو أسامة قال ثنا عمرو بن حمزة قال ثنى سالم عن أبيه أنه أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يطوى الله السموات فيأخذهن بيمينه ويطوى الارض فيأخذها بشماله ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون * وقيل ان هذه الآية نزلت من أجل يهودى سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صفة الرب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق عن محمد عن سعيد قال أتى رهط من اليهود نبى الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلقه فغضب النبى صلى الله عليه وسلم حتى انتقع لونه ثم ساورهم غضبا لربه فجاءه جبريل فسكنه وقال اخفض عليك جناحك يا محمد وجاءه من الله جواب ما سألوه عنه قال يقول الله تبارك وتعالى قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد فلما تلاها عليهم النبى صلى الله عليه وسلم قالوا صف لنا ربك كيف خلقه وكيف عضده وكيف ذراعه فغضب النبى صلى الله عليه وسلم أشد من غضبه الاول ثم ساورهم فأتاه جبريل فقال مثل مقالته وأتاه بجواب ما سألوه عنه وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال تكلمت اليهود فى صفة الرب فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره ثم بين للناس عظمته فقال والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون بجعل صفتهم التى وصفوا الله بها شركا وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه يقول فى قدرته نحو قوله وما ملكت أيمانكم أى وما كانت لكم عليه قدرة وليس الملك لليمين دون سائر الجسد قال وقوله قبضته نحو قولك للرجل هذا فى يدك وفى قبضتك والأخبار التى ذكرناها عن رسول الله وعن أصحابه وغيرهم تشهد على بطول هذا القول حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن عنبسة عن حبيب بن أبى عمرة عن مجاهد عن ابن عباس عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة فأين الناس يومئذ قال على الصراط وقوله سبحانه وتعالى عما يشركون يقول تعالى ذكره تنزيها وتبرئة لله وعلوا وارتفاعا عما يشرك به هؤلاء المشركون من قومك يا محمد القائلون لك اعبد الأوثان من دون الله واسجد لآلهتنا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم

---

نفسها ولكنه اكتفى باسم الجنس (وجىء بالنبيين) ليسألهم ربهم عن تبليغ الرسالة ويجيب قومهم بما يجيبون والمراد بالشهداء الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار ومن الجوارح والمكان والزمان أيضا وقيل هم الذين قتلوا فى سبيل الله ولعله ليس فى تخصيصهم

بالذكر فائدة وحين بين أنه يحضر في محفل القيامة جميع ما يحتاج اليه في فصل الخصومات ذكر أنه يوصل أهل النار وختم السورة بذكر أهل الجنة فقال وسيق وهو على عادة  اخبار الله تعالى والزمر الافواج المتفرقة واحدها زمرة وكذلك في صفة أهل الجنة وذلك أنه يحشر أمة بعد أمة مع امامها الى الجنة أو النار أو بعضهم قبل الحساب وبعضهم بعد الحساب على اختلاف المراتب والطبقات فلا ريب أن الناس محقين أو مبطلين فرق ذاهبون في طرق شتى جماعة جماعة والخزنة جمع خازن والمراد بكلمة العذاب قوله لأملأن جهنم أو علم الله السابق وكان القياس التكلم الا أنه عدل الى الظاهر فقيل على الكافرين ليعلم سبب العذاب * سؤال السوق في الكفار له وجه لانهم أهل الطرد والعنف فما وجهه في أهل الجنة الجواب من وجوه قال جار الله المضاف هنا محذوف أي وسيق مراكب الذين اتقوا لانهم لا يذهبون الا راكبين كالوافدين على ملوك الدنيا وحثها اسراع لهم الى دار الكرامة والرضوان وقيل طباق وقيل أكثر أهل الجنة البله فيحتاجون الى السوق لانهم لا يعرفون ما فيه صلاحهم وقيل انهم يقولون لا أدخلها حتى يدخلها أحبائي فيتأخرون لهذا السبب وحينئذ يحتاجون الى أن يساقوا الى الجنة وقال أهل العرفان المتقون قد عبدوا الله لا للجنة فيصير شدة استغراقهم في مشاهدة مطالع الجمال والجلال مانعة لهم عن الرغبة في الجنة فلا جرم يفتقرون الى السوق وقال الحكيم كل خصلة ذميمة أو شريفة في الانسان فانها تجره من غير اختياره شاء أم أبى الى ما يضاهيه حاله فذاك معنى السوق * سؤال آخر لم قيل في صفة أهل النار فتحت أبوابها من غير واو وفي صفة أهل الجنة وفتحت أبوابها بالواو والجواب البحث عن مثل هذه الواو قد يقال له واو الثمانية قدم في قوله التائبون العابدون وفي سورة الكهف الا أن الذي اختص بالمقام

قيام ينظرون ﴿ يقول تعالى ذكره ونفخ اسرافيل في القرن وقد بينا معنى الصور فيما مضى بشواهده وذكرنا اختلاف أهل العلم فيه والصواب من القول فيه بشواهده فأغنى ذلك عن اعادته في هذا الموضع وقوله فصعق من في السموات ومن في الارض يقول مات وذلك في النفخة الاولى كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض قال مات وقوله الا من شاء الله اختلف أهل التأويل في الذي عنى الله بالاستثناء في هذه الآية فقال بعضهم عنى به جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت حدثني هرون بن ادريس الاصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا الفضل بن عيسى عن عمه يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فقيل من هؤلاء الذين استثنى الله يا رسول الله قال جبرائيل وميكائيل وملك الموت فاذا قبض أرواح الخلائق قال يا ملك الموت من بقي وهو أعلم قال يقول سبحانك تباركت ربي ذا الجلال والاكرام بقي جبريل وميكائيل وملك الموت قال يقول يا ملك الموت خذ نفس ميكائيل قال فيقع كالطود العظيم قال ثم يقول يا ملك الموت من بقي فيقول سبحانك ربي ياذا الجلال والاكرام بقي جبريل وملك الموت قال فيقول يا ملك الموت مت قال فيموت قال ثم يقول يا جبريل من بقي قال فيقول جبريل سبحانك ربي ياذا الجلال والاكرام بقي جبريل وهو من الله بالمكان الذي هو به قال فيقول يا جبريل لا بد من موتة قال فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت ياذا الجلال والاكرام أنت لباق وجبريل الميت الفاني قال ويأخذ روحه في الخلقة التي خلق منها قال فيقع على ميكائيل ان فضل خلقه على خلق ميكائيل كفضل الطود العظيم على الظرب من الظراب * وقال آخرون عنى بذلك الشهداء ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن عمارة عن ذي حجر اليحمدي عن سعيد بن جبير في قوله فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال الشهداء ثنية الله حول العرش متقلدين السيوف * وقال آخرون عنى بالاستثناء في الفزع الشهداء وفي الصعق جبريل وملك الموت وحملة العرش ذكر من قال ذلك والخبر الذي جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربي عبد الرحمن بن محمد عن اسماعيل بن رافع المدني عن يزيد عن رجل من الانصار عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الانصار عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في الصور ثلاث نفخات الاولى نفخة الفزع والثانية نفخة الصعق والثالثة نفخة القيام لرب العالمين تبارك وتعالى يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع فتفزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله قال أبو هريرة يا رسول الله فمن استثنى حين يقول ففزع من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله قال أولئك الشهداء وانما يصل الفزع الى الاحياء أولئك أحياء عند ربهم يرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم ثم يأمر الله اسرافيل بنفخة الصعق فيقول انفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات

والارض الا من شاء الله فاذا هم خامدون ثم يأتى ملك الموت الى الجبار تبارك وتعالى فيقول يارب قدمات أهل السموات والارض الا من شئت فيقول له وهو أعلم فمن بقى فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقى حملة عرشك وبقى جبريل وميكائيل فيقول الله له اسكت انى كتبت الموت على من كان تحت عرشى ثم يأتى ملك الموت فيقول يارب قدمات جبريل وميكائيل فيقول الله وهو أعلم فمن بقى فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقى حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله فليمت حملة العرش فيموتون ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور فيقول أى رب قدمات حملة عرشك فيقول من بقى وهو أعلم فيقول بقيت أنت الحى الذى لا يموت وبقيت أنا قال فيقول الله أنت من خلق خلقتك لما رأيت فمت لا تحيى فيموت وهذا القول الذى روى فى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالصحة لان الصعقة فى هذا الموضع الموت والشهداء وان كانوا عند الله أحياء كما أخبر الله تعالى ذكره فانهم قد ذاقوا الموت قبل ذلك وانما عنى جل ثناؤه بالاستثناء فى هذا الموضع الاستثناء من الذين صعقوا عند نفخة الصعق لا من الذين قد ماتوا قبل ذلك بزمان ودهر طويل وذلك أنه لو جاز أن يكون المراد بذلك من قد هلك وذاق الموت قبل وقت نفخة الصعق وجب أن يكون المراد بذلك من قد هلك فذاق الموت من قبل ذلك لانه ممن لا يصعق فى ذلك الوقت اذ كان الميت لا يحدث له موت آخر فى تلك الحال * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله قال الحسن يستثنى الله ومايدرع أحدا من أهل السموات ولا أهل الارض الا أذاقه الموت قال قتادة قد استثنى الله والله أعلم الى ما صارت ثنيته قال ذكر لنا أن نبى الله قال أتانى ملك فقال يا محمد اختر نبيا ملكا أو نبيا عبدا فأومأ الى أن تواضع قال نبيا عبدا قال فأعطيت خصلتين أن جعلت أول من تنشق عنه الارض وأول شافع فأرفع رأسى فأجد موسى آخذا بالعرش فالله أعلم أصعق بعد الصعقة الاولى أم لا حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة بن سليمن قال ثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبى هريرة قال قال يهودى بسوق المدينة والذى اصطفى موسى على البشر قال فرفع رجل من الانصار يده فصك بها وجهه فقال تقول هذا وفينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفخ فى الصور فصعق من السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون فأكون أنا أول من يرفع رأسه فاذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أرفع رأسه قبلى أو كان ممن استثنى الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء عن الحسن قال قال النبى صلى الله عليه وسلم كأنى أنفض رأسى من التراب أول خارج فألتفت فلا أرى أحدا الا موسى متعلقا بالعرش فلا أدرى أمن استثنى الله أن لا تصيبه النفخة أو بعث قبلى وقوله ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون يقول تعالى ذكره ثم نفخ فى الصور نفخة أخرى والهاء التى فى فيه من ذكر الصور كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ثم نفخ فيه أخرى قال فى الصور وهى نفخة البعث وذكر أن بين النفختين أربعين سنة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين النفختين أربعون قالوا يا أبا هريرة أربعون يوما قال أبيت قالوا أربعون شهرا

هو أن بعضهم قالوا ان ابواب جهنم مغلقة لا تفتح الا عند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فتتقدم فتحها لقوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جىء بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها وعلى هذا فجواب حتى اذا محذوف وحق موقعه ما بعد خالدين أى كان ما كان من أصناف الكرامات والسعادات وقيل حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها أى مع فتح أبوابها وقيل لاهل التأويل أن يقولوا ان أبواب الجنة وهى أسباب حصول الكمالات مفتوحة بمعنى أنها غير ممنوع عنها بل مندوب اليها مرغب فيها وأبواب جهنم مغلقة بمعنى أن أسبابها ممنوع عنها على لسان الشرع والعقل جميعا ومعنى تسليم الخزنة الاكرام والتهنئة بأنهم سلموا من أحوال الدنيا وأهوال القيامة ومعنى (طبتم) قيل اخبارهم عن كونهم طيبين فى الدنيا بالافعال الصالحة والاخلاق الفاضلة أو طبتم نفسا بما نلتم من الجنة ونعيمها وقيل ان أهل الجنة اذا انتهوا الى بابها وجدوا عنده عينين تجريان من ساق شجرة فيتطهرون من احداهما فتجرى عليهم نضرة النعيم فلن تتغير أبشارهم بعدها أبدا ويشربون من الأخرى فيذهب ما فى بطونهم من أذى وقذى فيقول لهم الخزنة طبتم وقال جار الله أرادوا طبتم من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا ولهذا عقبه بقوله (فادخلوها خالدين) ليعلم أن الطهارة عن المعاصى هى السبب فى دخول الجنة والخلود فيها لانها دار طهرها الله من كل دنس فلا يدخلها الا من هو موصوف بصفتها رزقنا الله تعالى بعميم فضله وحسن توفيقه نسبة توجب ذلك ثم حكى قول المتقين فى الجنة فقال (وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده) أى الوعد بدخول الجنة (وأورثنا الارض) أرض الجنة عبر عن التمليك بالايراث وقد مر مرارا نتبوأ منها حيث نشاء لان لكل متق جنة لا توصف سعة فيتبوأ من جنته كما يريد من غير منازع وقال حكماء الاسلام الجنات الجسمانية كذلك أما الروحانية فلا مانع فيها

من المشاركة وأن يحصل لغيره ما يحصل لبعض الاشخاص ثم وصف مآب الملائكة المقربين بعد بعثهم فقال (وترى) أيها الرائى أو النبى (الملائكة حافين) محدقين وهو نصب على الحال (٣٢) قال الفراء لا واحد له لانه لا بد فيه من الجمعية وأقول لعله عنى من حيث الاستعمال

وقيل الحاف بالشئ الملازم له وقوله من حول العرش من زائدة أو ابتدائية أى مبتدأ خوفهم من هنالك الى حيث شاء الله أو متصل بالرؤية (يسبحون بحمد ربهم) تلذذا لا تعبدا وكان جوانب العرش دار ثواب الملائكة وانها ملاصقة لجوانب الجنة والضمير فى قوله (وقضى بينهم) للعباد كلهم لقرائن ذكر القيامة فان ادخال بعضهم النار و بعضهم الجنة لا يكون الا قضاء بينهم بالحق والعدل وقيل بين الانبياء وأممهم وقيل تكرار لقوله و جىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل هو حال وقد مقدرة معه أى يسبحون بحمد ربهم وقد قضى بينهم يعنى بين الملائكة على أن ثوابهم ليس على سنن واحد ويحتمل عندى أن يعود الضمير الى البشر والملائكة جميعا والقضاء بينهم هو انزال البشر مقامهم من الجنة أو النار وانزال الملائكة حول العرش ثم ختم السورة بقوله (وقيل الحمد لله) والقائل المقضى بينهم وهم جميع العباد كقوله وآخر دعواهم أن الحمد لله أو جميع الملائكة حمدوا الله على انزال كل منزلته

* (سورة المؤمن وهى مكية الا آية قوله ان الذين يجادلون حروفها أربعة آلاف وتسعمائة وسبعون كلمها الف ومائتان غير كلمة آياتها خمس وثمانون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد كذبت التأويل قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب

قال أبيت قالوا أربعون سنة قال أبيت ثم ينزل الله من السماء ماء فتنبتون كما ينبت البقل قال وليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة حدثنا يحيى بن واضح قال ثنا البلخى بن اياس قال سمعت عكرمة يقول فى قوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض الآية قال الاولى من الدنيا والأخيرة من الآخرة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون قال نبى الله بين النفختين أربعون قال قال أصحابه فما سألناه عن ذلك ولا زادنا على ذلك غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة وذكر لنا أنه يبعث فى تلك الاربعين مطر يقال له مطر الحياة حتى تطيب الارض وتهتز وتنبت أجساد الناس نبات البقل ثم ينفخ فيه الثانية فاذا هم قيام ينظرون قال ذكر لنا أن معاذ بن جبل سأل نبى الله صلى الله عليه وسلم كيف يبعث المؤمنون يوم القيامة قال يبعثون جردا مردا مكحلين بنى ثلاثين سنة وقوله فاذا هم قيام ينظرون يقول فاذا من صعق عند النفخة التى قبلها وغيرهم من جميع خلق الله الذين كانوا أمواتا قبل ذلك قيام من قبورهم وأما كنهم من الارض أحياء كهيئتهم قبل مماتهم ينظرون أمر الله فيهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فاذا هم قيام ينظرون قال حين يبعثون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ﴾ يقول تعالى ذكره فأضاءت الارض بنور ربها يقال أشرقت الشمس اذا صفت وأضاءت وشرقت اذا طلعت وذلك حين يبرز الرحمن لفصل القضاء بين خلقه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأشرقت الارض بنور ربها قال فما يتضارون فى نوره الا كما يتضارون فى الشمس فى اليوم الصحو الذى لا دخن فيه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأشرقت الارض بنور ربها قال أضاءت وقوله ووضع الكتاب يعنى كتاب أعمالهم لمحاسبتهم ومجازاتهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ووضع الكتاب قال كتاب أعمالهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ووضع الكتاب قال الحساب وقوله وجىء بالنبيين والشهداء يقول وجىء بالنبيين ليسألهم ربهم عما أجابتهم به أممهم وردت عليهم فى الدنيا حين أتتهم رسالة الله والشهداء يعنى بالشهداء أمة محمد صلى الله عليه وسلم يستشهدهم ربهم على الرسل فيما ذكرت من تبليغها رسالة الله التى أرسلهم بها ربهم الى أممها اذ جحدت أممهم أن يكونوا أبلغوهم رسالة الله والشهداء جمع شهيد وهذا نظير قول الله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا وقيل عنى بقوله الشهداء الذين قتلوا فى سبيل الله وليس لما قالوا من ذلك فى هذا الموضع كبير معنى لان عقيب قوله وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وفى ذلك دليل واضح على صحة ما قلنا من أنه انما دعى بالنبيين والشهداء للقضاء بين الانبياء وأممها وأن الشهداء انما هى جمع شهيد الذين يشهدون للانبياء على أممهم كما ذكرنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل

وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات

التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وجئ بالنبيين والشهداء فانهم ليشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وبتكذيب الامم اياهم ذكر من قال ما حكينا قوله من القول لآخر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وجئ بالنبيين والشهداء الذين استشهدوا فى طاعة الله وقوله وقضى بينهم بالحق يقول تعالى ذكره وقضى بين النبيين وأممها بالحق وقضاؤه بينهم بالحق أن لا يحمل على أحد ذنب غيره ولا يعاقب نفسا الا بما كسبت ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ووفى الله حينئذ كل نفس جزاء عملها من خير وشر وهو أعلم بما يفعلون فى الدنيا من طاعة أو معصية ولا يعزب عنه علم شئ من ذلك وهو مجازيهم عليه يوم القيامة فمثيب المحسن باحسانه والمسئ بما أساء وقوله وسيق الذين كفروا الى جهنم يقول وحشر الذين كفروا بالله الى ناره التى أعدها لهم يوم القيامة جماعات جماعة جماعة وحزبا حزبا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله زمرا قال جماعات جماعات وقوله حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها السبعة وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم يعنى كتاب الله المنزل على رسله وحججه التى بعث بها رسله الى أممهم وينذرونكم لقاء يومكم هذا يقول وينذرونكم ما تلقون فى يومكم هذا وقد يحتمل أن يكون معناه وينذرونكم مصيركم الى هذا اليوم قالوا بلى يقول قال الذين كفروا مجيبين لخزنة جهنم بلى قد أتتنا الرسل منا فأنذرتنا لقاءنا هذا اليوم ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين يقول قالوا ولكن وجبت علينا كلمة الله أن عذابه لاهل الكفر به علينا بكفرنا به كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين بأعمالهم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ يقول تعالى ذكره فتقول خزنة جهنم للذين كفروا حينئذ ادخلوا أبواب جهنم السبعة على قدر منازلكم فيها خالدين فيها يقول ماكثين فيها لا يتحولون عنها الى غيرها فبئس مثوى المتكبرين يقول فبئس مسكن المتكبرين على الله فى الدنيا أن يوحدوه ويفردوا له الالوهة جهنم يوم القيامة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ يقول تعالى ذكره وحشر الذين اتقوا ربهم بأداء فرائضه واجتناب معاصيه فى الدنيا وأخلصوا له فيها الالوهة وأفردوا له العبادة فلم يشركوا فى عبادتهم اياه شيأ الى الجنة زمرا يعنى جماعات فكان سوق هؤلاء الى منازلهم من الجنة وفدا على ما قد بينا قبل فى سورة مريم على نجائب من نجائب الجنة وسوق الآخرين الى النار دعا وورودا كما قال الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل وقد ذكرنا ذلك فى أماكنه من هذا الكتاب وقد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا وفى قوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا قال كان سوق أولئك عنفا وتعبا ودفعا

عدن التى وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو السميع البصير أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب﴾ ﴿القرآت حم وما بعده بالامالة حمزة وعلى وخلف ويحيى وحماد وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وقرأ أبو جعفر ونافع بين الفتح والكسر والى الفتح أقرب وذلك طبعا لا اختلافا لمعان مذكورة فى ص كلمات ربك على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر لتنذر

بالتاء الفوقانية على أن الضمير للروح وقد تؤنث أو على خطاب الرسول يعقوب غير رويس التلاقى بالياء فى الحالين ابن كثير ويعقوب وافق يزيد وورش وسهل وعباس فى الوصل والذين تدعون على الخطاب نافع وهشام غير الرازى وابن مجاهد والنقاش وابن ذكوان أشد منكم ابن عامر الباقون منهم ۞ الوقوف حم ط كوفى العليم ٥ لا الطول ط الاهو ط المصير ٥ البلاد ٥ من بعدهم ص لعطف الجملتين المتفقتين فأخذتهم ط للابتداء بالتهديد عقاب ٥ النار م لئلا يتوهم أن ما بعده صفة أصحاب النار آمنوا ج لحق القول المحذوف الجحيم ٥ وذرياتهم ط الحكيم ٥ وقد يوصل للعطف السيئات ط رحمته ط العظيم ٥ فتكفرون ٥ سبيل ٥ كفرتم ج للابتداء بالشرط مع العطف تؤمنوا ط الكبير ٥ رزقا ط ينيب ٥ الكافرون ٥ ذو العرش ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال التلاق ٥ لا بارزون ج لاحتمال الاستئناف وتعلقه بالظرف شئ ط اليوم ط فصلا بين السؤال والجواب القهار ٥ كسبت ط اليوم ط الحساب ٥ كاظمين ط يطاع ٥ ط الصدور ٥ بالحق ط بشئ ط البصير ٥ من قبلهم ط واق ٥ فأخذهم الله ط العقاب ٥ ۞ التفسير حم اسم الله الأعظم وقيل حم ما هو كائن أى قدر وروى أن اعرابيا قال للنبى صلى الله عليه وسلم ما حم فقال أسماء وفواتح سور وقد تقدم القول فى حواميم فى مقدمات الكتاب وفى أول البقرة ومن جملة تلك التقادير أن يقال السورة المسماة بحم (تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم) وقد مر نظيره فى أول الزمر ثم وصف نفسه بما يجمع الوعد والوعيد فقال (غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول) قالت المعتزلة معناه فى أنه غافر الذنب اذا استحق غفرانه اما بالتوبة ان كان كبيرا أو بطاعة أعظم منه ثوابا ان كان صغيرا وقال الاشعرى انه قد يعفو عن الكبائر بدون

وقرأ يوم يدعون الى نار جهنم دعا قال يدفعون دفعا وقرأ فذلك الذى يدع اليتيم قال يدفعه وقرأ ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ونحشر المتقين الى الرحمن وفدا ثم قال فهؤلاء وفد الله *حدثنا* مجاهد ابن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا شريك بن عبد الله عن أبى اسحق عن عاصم بن ضمرة عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قوله وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا انتهوا الى بابها اذا هم بشجرة يخرج من أصلها عينان فعمدوا الى احداهما فشربوا منها كأنما أمروا بها فخرج ما فى بطونهم من قذر أو أذى أو قذى ثم عمدوا الى الاخرى فتوضؤا منها كأنما أمروا به فجرت عليهم نضرة النعيم فلن تشعث رؤسهم بعدها أبدا ولن تبلى ثيابهم بعدها ثم دخلوا الجنة فتلقتهم الولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون فيقولون أبشر أعد الله لك كذا وأعد لك كذا وكذا ثم ينظر الى تأسيس بنيانه جندل اللؤلؤ الاحمر والاصفر والاخضر يتلألأ كأنه البرق فلولا أن الله قضى أن لا يذهب بصره لذهب ثم يأتى بعضهم الى بعض أزواجه فيقول أبشرى قد قدم فلان بن فلان فيسميه باسمه واسم أبيه فتقول أنت رأيته أنت رأيته فيستخفها الفرح حتى تقوم فتجلس على أسكفة بابها فيدخل فيتكئ على سريره ويقرأ هذه الآية الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله الآية *حدثنا* محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال ذكر أبو اسحق عن الحرث عن على رضى الله عنه قال يساقون الى الجنة فينتهون اليها فيجدون عندها شجرة فى أصل ساقها عينان تجريان فيعمدون الى احداهما فيغتسلون منها فتجرى عليهم نضرة النعيم فلن تشعث رؤسهم بعدها أبدا ولن تغبر جلودهم بعدها أبدا كأنما دهنوا بالدهان ويعمدون الى الأخرى فيشربون منها فيذهب ما فى بطونهم من قذى أو أذى ثم يأتون باب الجنة فيستفتحون فيفتح لهم فتتلقاهم خزنة الجنة فيقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون قال وتتلقاهم الولدان المخلدون يطيفون بهم كالطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم اذا جاء من الغيبة يقولون أبشر أعد الله لك كذا وأعد لك كذا فينطلق أحدهم الى زوجته فيبشرها به فيقول قد قدم فلان باسمه الذى كان يسمى به فى الدنيا وقال فيستخفها الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها وتقول أنت رأيته أنت رأيته قال فيقول نعم قال فيجىء حتى يأتى منزله فاذا أصوله من جندل اللؤلؤ من بين أصفر وأحمر وأخضر قال فيدخل فاذا الأكواب موضوعة والنمارق مصفوفة والزرابى مبثوثة قال ثم يدخل الى زوجته من الحور العين فلولا أن الله أعدها له لالتمع بصره من نورها وحسنها قال فاتكأ عند ذلك ويقول الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله قال فتناديهم الملائكة أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون *حدثنا* محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط قال ذكر السدى نحوه أيضا غير أنه قال لها أهدى الى منزله فى الجنة منه الى منزله فى الدنيا ثم قرأ السدى ويدخلهم الجنة عرفها لهم واختلف أهل العربية فى موضع جواب اذا التى فى قوله حتى اذا جاؤها فقال بعض نحويى البصرة يقال ان قوله وقال لهم خزنتها فى معنى قال لهم كأنه يلغى الواو وقد جاء فى الشعر شئ يشبه أن تكون الواو زائدة كما قال الشاعر

فاذا وذلك يا كبيشة لم يكن * الا توهم حالم بخيال

فيشبه أن يكون يريد فاذا ذلك لم يكن قال وقال بعضهم فاضمر الخبر واضمارا لخبر أيضا أحسن

التوبة لئلا يلزم التكرار بقوله قابل التوب وليفيد المدح المطلق ويؤيده ادخال الواو بين هذين الوصفين فقط كأنه قيل الجامع بين المغفرة
ان كانت بدون توبة وبين القبول ان كانت بتوبة فقد جمع للذنب بين رحمتين  بحسب الحالتين وقيل غافر الذنب الصغير

في الآية واضمار الخبر في الكلام كثير وقال آخر منهم هو مكفوف عن خبره قال والعرب تفعل مثل هذا قال عبد مناف بن ربع في آخر قصيدة

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة * شلا كما تطرد الجمالة الشردا

وقال الأخطل في آخر قصيدة

خلا أن حيا من قريش تفاضلوا * على الناس أو أن الاكارم نهشلا

وقال بعض نحويي الكوفة أدخلت في حتى اذا وفي فلما الواو وفي جوابها وأخرجت فأما من أخرجها فلا شئ فيه ومن أدخلها شبه الأوائل بالتعجب فجعل الثاني نسقا على الاول وان كان الثاني جوابا كأنه قال أتعجب لهذا وهذا * وأولى الاقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال الجواب متروك وان كان القول الآخر غير مدفوع وذلك أن قوله وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين يدل على أن في الكلام متروكا اذ كان عقيبه وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده واذا كان ذلك كذلك فمعنى الكلام حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين دخلوها وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ومعنى بقوله سلام عليكم أمنة من الله لكم أن ينالكم بعد مكروه أو أذى وقوله طبتم يقول طابت أعمالكم في الدنيا فطاب اليوم مثواكم وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله طبتم قال كنتم طيبين في طاعة الله وقوله وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده يقول وقال الذين سيقوا زمرا ودخلوها الشكر خالص لله الذي صدقنا وعده الذي كان وعدناه في الدنيا على طاعته فحققه بانجازه لنا اليوم وأورثنا الارض يقول وجعل أرض الجنة التي كانت لاهل النار لو كانوا أطاعوا الله في الدنيا فدخلوها ميراثا لنا عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأورثنا الارض قال أرض الجنة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وأورثنا الارض أرض الجنة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأورثنا الارض قال أرض الجنة وقرأ أن الارض يرثها عبادي الصالحون وقوله نتبوأ من الجنة حيث نشاء يقول نتخذ من الجنة بيتا ونسكن منها حيث نحب ونشتهي كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي نتبوأ منها حيث نشاء نتزل منها حيث نشاء وقوله فنعم أجر العاملين يقول فنعم ثواب المطيعين لله العاملين له في الدنيا الجنة لمن أعطاه الله اياها في الآخرة ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره وترى يا محمد الملائكة محدقين من حول عرش الرحمن ويعني بالعرش السرير ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وترى الملائكة حافين من حول العرش محدقين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وترى الملائكة حافين من حول العرش قال محدقين حول العرش قال العرش السرير واختلف أهل العربية في وجه دخول من في قوله حافين من حول العرش والمعنى حافين حول العرش وفي قوله ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك فقال بعض

وقابل التوب عن الكبير أو غافر الذنب باسقاط العقاب وقابل التوب بايجاب الثواب ثم ان قبول التوبة واجب على الله أم لا فيه بحث أيضا للفريقين فالمعتزلة أوجبوه والأشعري يقول انه على سبيل التفضل والا لم يتمدح به والظاهر أن التوب مصدر وقيل جمع توبة أي ماذنب تاب منه العبد الا قبل توبته وقد ذكر أهل الاعراب ههنا سؤالا وهو أن غافر الذنب وقابل التوب يمكن توجيههما بأنهما معرفتان كما سبق في مالك يوم الدين وهو أنهما بمعنى الماضي أو الاستمرار فيصح وقوعهما صفتين لله الا أن قوله شديد العقاب لا يمكن فيه هذا الوجه لانه في معنى شديد عقابه فان قلنا انه صفة لزم وقوع النكرة صفة للمعرفة وان قلنا انه بدل لزم نبو ظاهر للزوم بدل واحد فيما بين صفات كثيرة وأجيب على تقدير أن لا يكون الكل أبدالا بأن الالف واللام من شديد محذوف لمناسبة ماقبله مع الامن من اللبس ومن جهالة الموصوف أو تعمد تنكيره من بين الصفات للابهام والدلالة على فرط الشدة وجوزوا أن تكون هذه النكتة سببا لجعله بدلا من بين سائر أخواته هذا ماقاله صاحب الكشاف وعندي أنه لا مانع من جعل شديد العقاب أيضا للاستمرار والدوام حتى يصير اضافة حقيقية قوله (ذي الطول) أي ذي الفضل بسبب ترك العقاب وقد مر في قوله ومن

 لم يستطع منكم طولا وانما أورد هذا الوصف بعد وصفه نفسه
بشدة العقاب ليعلم أن خاتمة أمره مبنية على التفضل كما أن فاتحته مبنية على الغفران وقبول التوبة وقد تقع عقوبة في الوسط أعاذنا الله منها

الا أنه لا يبقى مؤمن فى النار خالدا ببركة قوله لا اله الا الله وهو المبدأ وسبب علمه أنه اليه المصير وهو المعاد وفيه أن من آمن بالمبدا والمعاد فان أخل فى الوسط ببعض التكاليف كان مرجوا أن (٣٦) يغفر الله له ويقبل توبته ثم بين أحوال من لا يقبل هذه التقريرات ولا يخضع لها فقال (ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا) والجدال فى آياته نسبتها الى الشعر تارة والى السحر أخرى الى غير ذلك من المطاعن وفضول الكلام فأما البحث عنها لاستنباط حقائقها والوقوف على دقائقها وحل مشكلاتها فنوع من الجهاد فى سبيل الله ولمكان الفرق بين هذين الجدالين قال صلى الله عليه وسلم ان جدالا فى القرآن كفر فنكر الجدال ليشمل أحد نوعيه فقط وهو الجدال بالباطل كما يجىء فى قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ثم عقب الكلام بقوله (فلا يغررك) ليعلم أن جدالهم الصادر عن البطر والاشر والجاه والخدم لا اعتبار به وكذا (تقلبهم فى البلاد) للتجارات والمكاسب فان قريشا كانت أصحاب أموال منجرين الى الشام واليمن مترفين بأموالهم مستكبرين عن قبول الحق لذلك ثم مثل حالهم بحال الامم السالفة الذين تحزبوا على الرسل وكادوا يقتلونهم فأهلكهم الله ودمرهم ونجى الرسل ثم بين بقوله (وكذلك حقت) أنهم فى الآخرة أيضا معذبون وقوله (أنهم أصحاب النار) بدل من كلمة ربك أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم فى الآخرة من أصحاب النار وجوز جار الله أن يكون أنهم فى محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل وقوله الذين كفروا قريش أى كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لأن العلة الجامعة وهى أنهم أصحاب النار واحدة فى الفريقين ومن قرأ كلمات على الجمع أراد بها علم الله السابق أو معلوماته التى لا نهاية لها أو الآيات الواردة فى وعيد الكفار وحين بين أن الكفار بالغوا فى اظهار عداوة المؤمنين حكى أن أشرف طبقات أكثر

---

نحو يى البصرة أدخلت من فى هذين الموضعين توكيدا والله أعلم كقولك ما جاءنى من أحد وقال غيره قبل وحول وما أشبههما ظروف تدخل فيها من وتخرج نحو أتيتك قبل زيد ومن قبل زيد وطفنا حولك ومن حولك وليس ذلك من نوع ما جاءنى من أحد لأن موضع من فى قولهم ما جاءنى من أحد رفع وهو اسم * والصواب من القول فى ذلك عندى أن من فى هذه الأماكن أعنى فى قوله من حول العرش ومن قبلك وما أشبه ذلك وان كانت دخلت على الظروف فانها بمعنى التوكيد وقوله يسبحون بحمد ربهم يقول يصلون حول عرش الله شكرا له والعرب تدخل الباء أحيانا فى التسبيح وتحذفها أحيانا فتقول سبح بحمد الله وسبح حمد الله كما قال جل ثناؤه سبح اسم ربك الأعلى وقال فى موضع آخر فسبح باسم ربك العظيم وقوله وقضى بينهم بالحق يقول وقضى الله بين النبيين الذين جيء بهم والشهداء وأممها بالعدل فأسكن أهل الايمان بالله وبما جاءت به رسله الجنة وأهل الكفر به وبما جاءت به رسله النار وقيل الحمد لله رب العالمين يقول وختمت خاتمة القضاء بينهم بالشكر للذى ابتدأ خلقهم الذى له الالوهية وملك جميع ما فى السموات والارض من الخلق من ملك وجن وانس وغير ذلك من أصناف الخلق وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يسبحون بحمد ربهم الآية كلها قال فتح أول الخلق بالحمد لله فقال الحمد لله الذى خلق السموات والارض وختم بالحمد فقال وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

آخر تفسير سورة الزمر

## ﴿ تفسير سورة المؤمن ﴾

### ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى قوله حم فقال بعضهم هو حروف مقطعة من اسم الله الذى هو الرحمن الرحيم وهو الحاء والميم منه ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الله بن أحمد بن شبويه المروزى قال ثنا على بن الحسن قال ثنى أبى عن يزيد عن عكرمة عن ابن عباس الر وحم ون حروف الرحمن مقطعة * وقال آخرون هو قسم أقسمه الله وهو اسم من أسماء الله ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قال حم قسم أقسمه الله وهو اسم من أسماء الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله حم من حروف أسماء الله * وقال آخرون بل هو اسم من أسماء القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حم قال اسم من أسماء القرآن * وقال آخرون هو حروف هجاء * وقال آخرون بل هو اسم واحتجوا لقولهم ذلك بقول شريح بن أوفى العبسى

يذكرنى حم والرمح شاجر * فهلا تلاحم قبل التقدم

المخلوقات وهم حملة العرش والحافون حوله يبالغون فى محبتهم ونصرتهم كأنه قيل ان كان هؤلاء الاراذل يعادونهم فلا تبال بهم ولا تقم لهم وزنا فان الاشراف يحابونهم روى صاحب الكشاف أن حملة العرش  أرجلهم فى الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت

وبقول الكميت

وجدنا لكم فى آل حم آية * تأولها منا تقى ومعرب

وحدثت عن معمر بن المثنى أنه قال قال يونس يعنى الجرمى ومن قال هذا القول فهو منكر عليه لان السورة حم ساكنة الحروف فخرجت مخرج التهجى وهذه أسماء سور خرجت متحركات واذا سميت سورة بشئ من هذه الأحرف الجوزمة دخله الاعراب * والقول فى ذلك عندى نظير القول فى أخواتها وقد بينا ذلك فى قوله الم فنغنى ذلك كفاية عن اعادته فى هذا الموضع اذ كان القول فى حم وجميع ماجاء فى القرآن على هذا الوجه أعنى حروف التهجى قولا واحدا وقوله تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم يقول الله تعالى ذكره من الله العزيز فى انتقامه من أعدائه العليم بما يعملون من الاعمال وغيرها تنزيل هذا الكتاب فالتنزيل مرفوع بقوله من الله وفى قوله غافر الذنب وجهان أحدهما أن يكون بمعنى يغفر ذنوب العباد واذا أريد هذا المعنى كان خفض غافر وقابل من وجهين أحدهما من نية تكرير من فيكون معنى الكلام حينئذ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم من غافر الذنب وقابل التوب لأن غافر الذنب نكرة وليس بالأفصح أن يكون نعتا للمعرفة وهو نكرة والآخر أن يكون أجرى فى اعرابه وهو نكرة على اعراب الاول كالنعت له لوقوعه بينه وبين قوله ذى الطول وهو معرفة وقد يجوز أن يكون أتبع اعرابه وهو نكرة اعراب الاول اذ كان مدحا وكان المدح يتبع اعرابه ماقبله أحيانا ويعدل به عن اعراب الاول أحيانا بالنصب والرفع كما قال الشاعر

لايبعدن قومى الذين هم * سم العداة وآفة الجزر

النازلين بكل معترك * والطيبين معاقد الأزر

وكما قال جل ثناؤه وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد فرفع فعل وهو نكرة محضة وأتبع اعراب الغفور الودود والآخر أن يكون معناه أن ذلك من صفته تعالى اذ كان لم يزل لذنوب العباد غفورا من قبل نزول هذه الآية وفى حال نزولها ومن بعد ذلك فيكون عند ذلك معرفة صحيحة ونعتا على الصحة وقال غافر الذنب ولم يقل الذنوب لانه أريد به الفعل وأما قوله وقابل التوب فان التوب قد يكون جمع توبة كما يجمع الدومة دوما والعومة عوما من عومة السفينة كما قال الشاعر * عوم السفين فلما حال دونهم * وقد يكون مصدر تاب يتوب توبا وقد

حدثنى محمد بن عبيد المحاربى قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى اسحق قال جاء رجل الى عمر فقال انى قتلت فهل لى من توبة قال نعم اعمل ولا تيأس ثم قرأ حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب وقوله شديد العقاب يقول تعالى ذكره شديد عقابه لمن عاقبه من أهل العصيان له فلا تتكلوا على سعة رحمته ولكن كونوا منه على حذر باجتناب معاصيه وأداء فرائضه فانه كما أنه لا يؤيس أهل الأجرام والآثام من عفوه وقبول توبة من تاب منهم من جرمه كذلك لا يؤمنهم من عقابه وانتقامه منهم بما استحلوا من محارمه وركبوا من معاصيه وقوله ذى الطول يقول ذى الفضل والنعم المبسوطة على من شاء من خلقه يقال منه ان فلانا الذ وطول على أصحابه اذا كان ذا فضل عليهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ذى الطول يقول ذى

العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا فى عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه فى الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وهو طائر صغير شبه العصفور وروى أن الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وعدد حملة العرش يوم القيامة ثمانية لقوله عزوجل ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية أما فى غير ذلك الوقت فلا يعلم به الا الله أما الذين حول العرش فقيل سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر وهذه الآثار كلها منقولة من كتاب الكشاف * سؤال ما فائدة قوله (ويؤمنون به) ولا يخفى أن حملة العرش ومن حوله مؤمنون أجاب فى الكشاف بأن فائدته التنبيه على شرف الايمان والترغيب فيه وأيضا فيه تكذيب المجسمة فان الامر لو كان على زعمهم لكانت الملائكة يشاهدونه فلا يوصفون بالايمان به لانه لا يوصف بالايمان الا الغائب فعلم أن ايمانهم كايمان أهل الارض والكل سواء فى أن ايمانهم بطريق النظر والاستدلال واستحسن

هذا الكلام الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير حتى ترحم عليه وقال لولم يكن فى كتابه الا هذه النكتة لكفى به فخرا وشرفا وأنا أقول لانسلم أن الايمان لا يكون الا بالغائب والا لم

يكن الايتان بالنبى وقت تحديه بالقرآن وان شئت فتأمل قوله تعالى الذين

يؤمنون بالغيب فلولم يكن ايمان بالشهادة لم يكن لقوله بالغيب فائدة على أنه يحتمل أن يشاهد الرب وينكر كونه الها ويمكن أن يكون محمول الشئ محجوبا عن ذلك الشئ فمن أين يلزم تكذيب المجسمة وقال بعضهم فى الجواب أراد أنهم يسبحون تسبيح تلفظ لا تسبيح دلالة وزعم فخر الدين أن فى الآية دلالة أخرى على ابطال قول أهل التجسيم ان الاله على العرش فانه لو كان كما زعموا وحامل الشئ حامل لكل ما على ذلك الشئ لزم أن تكون الملائكة حاملين لاله العالم حافظين له والحافظ أولى بالالهية من المحفوظ قلت لاشك أن هذه مغالطة فان جاز الحمل لاجل العظمة واظهار الكبرياء على ما يزعم الخصم فى المسئلة كيف يلزم منه ذلك وهل يزعم عاقل أن الحمار أشرف من الانسان الراكب عليه من جهة الركوب عليه وانما ذكرت ما ذكرت لكونه واردا على كلام الامامين مع وفور فضلهما وبعد غورهما لا لانى مائل فى المسئلة على ما يزعم الخصم الى غير معتقدهما قال جار الله وقد روعى التناسب فى قوله ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن فى مثل حالهم وفيه أنهم بعد التعظيم لأمر الله يقبلون على الشفقة على خلق الله ولا سيما المؤمنين لان الايمان جامع لا أجمع منه يجذب السماوى الى الارضى والروحانى الى العنصرى احتج كثير من العلماء بالآية على أفضلية الملك قالوا لانها تدل على أنه لا معصية للملائكة والا لزم بحكمها بدأ بنفسك أن يستغفروا أولا لأنفسهم قال الله تعالى واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات وقال نوح رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا قلت لا نزاع بالنسب



السعة والغنى حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله ذى الطول الغنى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذى الطول أى ذى النعم * وقال بعضهم الطول القدرة ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ذى الطول قال الطول القدرة ذاك الطول وقوله لا اله الا هو اليه المصير يقول لا معبود تصلح له العبادة الا الله العزيز العليم الذى صفته ما وصف جل ثناؤه فلا تعبدوا شيأ سواه اليه المصير يقول تعالى ذكره الى الله مصيركم ومرجعكم أيها الناس فاياه فاعبدوا فانه لا ينفعكم شئ عبدتموه عند ذلك سواه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ما يجادل فى آيات الله الا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم فى البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ يقول تعالى ذكره ما يخاصم فى حجج الله وأدلته على وحدانيته بالانكار لها الا الذين جحدوا توحيده وقوله فلا يغررك تقلبهم فى البلاد يقول جل ثناؤه فلا يخدعك يا محمد تصرفهم فى البلاد وبقاؤهم ومكثهم فيها مع كفرهم بربهم فتحسب أنهم انما أمهلوا وتقلبوا فانتصروا فى البلاد مع كفرهم بالله ولم يعاجلوا بالنقمة والعذاب على كفرهم لانهم على شئ من الحق فانا لم نمهلهم لذلك ولكن ليبلغ الكتاب أجله ولتحق عليهم كلمة العذاب عذاب ربك كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلا يغررك تقلبهم فى البلاد أسفارهم فيها ومجيئهم وذهابهم ثم قص على رسول الله صلى الله عليه وسلم قصص الأمم المكذبة رسلها وأخبره أنهم كانوا من جدالهم لرسله على مثل الذى عليه قومه الذين أرسل اليهم وأنه أحل بهم من نقمته عند بلوغهم أمدهم بعد اعذار رسله اليهم وانذارهم بأسه ما قد ذكر فى كتابه إعلاما منه بذلك نبيه أن سنته فى قومه الذين سلكوا سبيل أولئك فى تكذيبه وجداله سنته من احلال نقمته بهم وسطوته بهم فقال تعالى ذكره كذبت قبل قومك المكذبين لرسالتنا اليهم رسولا المجادليك بالباطل قوم نوح والأحزاب من بعدهم وهم الامم الذين تحزبوا وتجمعوا على رسلهم بالتكذيب لها كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وأشباههم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم قال الكفار وقوله وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه يقول تعالى ذكره وهمت كل أمة من هذه الامم المكذبة رسلها المتحزبة على أنبيائها برسولهم الذى أرسل اليهم ليأخذوه فيقتلوه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه أى ليقتلوه وقيل برسولهم وقد قيل كل أمة فوجهت الهاء والميم الى الرجل دون لفظ الامة وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله برسولها يعنى برسول الأمة وقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق يقول وخاصموا رسولهم بالباطل من الخصومة ليبطلوا بجدالهم اياه وخصومتهم له الحق الذى جاءهم به من عند الله من الدخول فى طاعته والاقرار بتوحيده والبراءة من عبادة ما سواه كما يخاصمك كفار قومك يا محمد بالباطل وقوله فأخذتهم فكيف كان عقاب يقول تعالى ذكره فأخذت الذين هموا برسولهم ليأخذوه بالعذاب من عندى فكيف كان

عقابى ايا شم ألم أهلكهم فأجعلهم للخلق عبرة ولمن بعدهم عظة وأجعل ديارهم ومساكنهم منهم خلاء وللوحوش ثواء وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأخذتهم فكيف كان عقاب قال شديد والله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وكذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾ يقول تعالى ذكره وكما حق على الامم التى كذبت رسلها التى قصصت عليك يا محمد قصصها عذابى وحل بها عقابى بتكذيبهم رسلهم وجدالهم اياهم بالباطل ليدحضوا به الحق كذلك وجبت كلمة ربك على الذين كفروا بالله من قومك الذين يجادلون فى آيات الله وقوله أنهم أصحاب النار اختلف أهل العربية فى موضع قوله أنهم فقال بعض نحويى البصرة معنى ذلك حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار أى لأنهم أو بأنهم وليس أنهم فى موضع مفعول ليس مثل قولك أحققت أنهم لو كان كذلك كان أيضا أحققت لأنهم وكان غيره يقول أنهم بدل من الكلمة كأنه أحقت الكلمة حقا أنهم أصحاب النار * والصواب من القول فى ذلك أن قوله أنهم ترجمة عن الكلمة بمعنى وكذلك حق عليهم عذاب النار الذى وعد الله أهل الكفر به ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ يقول تعالى ذكره الذين يحملون عرش الله من ملائكته ومن حول عرشه ممن يحف به من الملائكة يسبحون بحمد ربهم يقول يصلون لربهم يحمده وشكره ويؤمنون به يقول ويقرون بالله أنه لا اله لهم سواه ويشهدون بذلك لا يستكبرون عن عبادته ويستغفرون للذين آمنوا يقول ويسألون ربهم أن يغفر للذين أقروا بمثل اقرارهم من توحيد الله والبراءة من كل معبود سواه ذنوبهم فيعفوها عنهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستغفرون للذين آمنوا لأهل لا اله الا الله وقوله ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما وفى هذا الكلام محذوف وهو يقولون ومعنى الكلام ويستغفرون للذين آمنوا يقولون يا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما ويعنى بقوله وسعت كل شئ رحمة وعلما وسعت رحمتك وعلمك كل شئ من خلقك فعلمت كل شئ فلم يخف عليك شئ ورحمت خلقك ووسعتهم برحمتك وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب الرحمة والعلم فقال بعض نحويى البصرة انتصاب ذلك كانتصاب لك مثله عبد لانك قد جعلت وسعت كل شئ وهو مفعول له والفاعل التاء وجاء بالرحمة والعلم تفسيرا وقد شغلت عنهما الفعل كما شغلت المثل بالهاء فلذلك نصبته تشبيها بالمفعول بعد الفاعل وقال غيره هو من المنقول وهو مفسر وسعت رحمته وعلمه ووسع هو كل شئ رحمة كما تقول طابت به نفسى وطبت به نفسا وقال أما لك مثله عبدا فان المقادير لا تكون الا معلومة مثل عندى رطل زيتا والمثل غير معلوم ولكن لفظه لفظ المعرفة والعبد نكرة فلذلك نصب العبد وله أن يرفع واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر

ما فى معد والقبائل كلها * قحطان مثلك واحد معدود

وقال رد الواحد على مثل لانه نكرة قال ولو قلت ما مثلك رجل ومثلك رجل ومثلك رجلا جاز لأن مثل يكون نكرة وان كان لفظها معرفة وقوله فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك يقول فاصفح عن جرم من تاب من الشرك بك من عبادك فرجع الى توحيدك واتبع أمرك ونهيك كما حدثنا بشر

(ربنا وسعت كل شئ رحمة) ونو باعطاء الوجود (وعلما) وقدم فى الانعام اشارة الى أن الحمد والثناء ينبغى أن يكون مقدما على الدعاء وفى لفظ ربنا خاصية قوية فى تقديم الدعاء كما ذكرنا فى آخر آل عمران كأن الداعى يقول كنت نفيا صرفا وعدما محضا فأخرجتنى الى الوجود وربيتنى فاجعل تربيتك لى شفيعا اليك ولا ريب أن ذكر الله أول كل شئ بمنزلة الاكسير الاعظم للنحاس من حيث انه يقوى جوهر الروح ويكسبه اشراقا وصفاء وفى تقديم الرحمة على العلم فائدة هى أن مطلوب الملائكة فى هذا المقام هو أن يرحم المؤمنين فكأنهم قالوا ارحم من علمت منه التوبة واتباع الدين قالت علماء المعتزلة الفائدة فى استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون طلب مزيد الكرامة والثواب فهو بمنزلة الشفاعة واذا ثبت شفاعة الملائكة لاهل الطاعة فكذلك شفاعة الانبياء ضرورة أنه لا قائل بالفرق وقال علماء السنة ان مراد الملائكة (فاغفر للذين تابوا) عن الكفر (واتبعوا سبيلك) الايمان وهذا لا ينافى كون المستغفر لهم مذنبين ومما يؤيد ما قلنا أن الاستغفار طلب المغفرة والمغفرة لا تذكر الا فى اسقاط العذاب أما طلب النفع الزائد فانه لا يسمى استغفارا قال أهل التحقيق هذا الاستغفار من الملائكة يجرى مجرى الاعتذار من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها أما قوله (وقهم عذاب الجحيم) فتصريح بالمطلوب بعد الرمز لان دلالة المغفرة على الوقاية من العذاب كالضمنية وحين طلبوا لاجلهم اسقاط العذاب ضمنا وصريحا طلبوا ايصال الثواب اليهم بقولهم (ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم) قال علماء السنة كل أهل الايمان موعودون بالجنة وان

كانوا من أهل الكبائر غاية ذلك انهم يعذبون بالنار مدة ان لم يكن عفوا وشفاعة ثم يخرجون الى الجنة قال الفراء والزجاج قوله (ومن صلح) يجوز أن يكون معطوفا على الضمير في وأدخلهم (٣٠) فيكون دعاء من الملائكة بادخال هؤلاء الاصناف الجنة تكميلا لأنس الاولين وتمما لابتهاجهم واشفاقا على هؤلاء أيضا ويجوز أن يكون عطفا على الضمير في وعدتهم لانه تعالى قال في سورة الرعد أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم وعلى هذا لا يشمل دعاء الملائكة هؤلاء الأصناف اللهم الا ضمنا قال أهل السنة المراد بمن صلح أهل الايمان منهم وان كانوا ذوي كبائر ثم ختم الآية بقوله (انك أنت العزيز الحكيم) لانه ان لم يكن غالبا على الكل لم يصح منه وقوع المطلوب كما يراد وان لم يكن حكيما أمكن منه وضع الشئ في غير موضعه ثم قالوا (وقهم السيئات) فقيل يعني العقوبات أو عذاب السيئات على حذف المضاف واعترض بأنهم قالوا مرة وقهم عذاب الجحيم فيلزم التكرار وأجيب بأن الاول دعاء للاصول وهذه لفروعهم وهم الاصناف الثلاثة أو الاول مخصوص بعذاب النار وهذا شامل لعذاب الموقف وعذاب الحساب وعذاب السؤال أو المراد بالسيئات العقائد الفاسدة والاعمال الضارة وعلى هذا يكون يومئذ في قوله (ومن تق السيئات يومئذ) اشارة الى الدنيا وقوله (فقد رحمته) يجوز أن يكون في الدنيا وفي الآخرة قال في الكشاف السيئات هي الصغائر والكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة ثم انه تعالى عاد الى شرح أحوال الكفرة المجادلين في آياته وأنهم سيعترفون يوم القيامة بما كانوا ينكرونه في الدنيا من البعث وذلك اذا عاينوا النشأة وتذكروا النشأة الاولى فقال بالله (ان الذين كفروا ينادون) أي يوم القيامة وفي الآية حذف وفيها تقديم وتأخير أما الحذف فالتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم

قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاغفر للذين تابوا من الشرك وقوله واتبعوا سبيلك يقول وسلكوا الطريق الذي أمرتهم أن يسلكوه ولزموا المنهاج الذي أمرتهم بلزومه وذلك الدخول في الاسلام * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتبعوا سبيلك أي طاعتك وقوله وقهم عذاب الجحيم يقول واصرف عن الذين تابوا من الشرك واتبعوا سبيلك عذاب النار يوم القيامة ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن دعاء ملائكته لأهل الايمان به من عباده تقول يا ربنا وأدخلهم جنات عدن يعني بساتين اقامة التي وعدتهم يعني التي وعدت أهل الانابة الى طاعتك أن تدخلهموها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم يقول وأدخل مع هؤلاء الذين تابوا واتبعوا سبيلك جنات عدن من صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فعمل بما يرضيك عنه من الاعمال الصالحة في الدنيا وذكر أنه يدخل مع الرجل أبواه وولده وزوجته الجنة وان لم يكونوا عملوا عمله بفضل رحمة الله اياه كما حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى بن يمان العجلي قال ثنا شريك عن سعيد قال يدخل الرجل الجنة فيقول أين أبي أين أمي أين ولدي أين زوجتي فيقال لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت أعمل لي ولهم فيقال أدخلوهم الجنة ثم قرأ جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم فمن اذا اذ كان ذلك معناه في موضع نصب عطفا على الهاء والميم في قوله وأدخلهم وجائز أن يكون نصبا على العطف على الهاء والميم في وعدتهم انك أنت العزيز الحكيم يقول انك أنت يا ربنا العزيز في انتقامه من أعدائه الحكيم في تدبيره خلقه ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم﴾ يعني تعالى ذكره بقوله مخبرا عن قيل ملائكته وقهم اصرف عنهم سوء عاقبة سيئاتهم التي كانوا أتوها قبل توبتهم وانابتهم يقولون لا تؤاخذهم بذلك فتعذبهم به ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته يقول ومن تصرف عنه سوء عاقبة سيئاته بذلك يوم القيامة فقد رحمته فنجيته من عذابك وذلك هو الفوز العظيم لانه من نجا من النار وأدخل الجنة فقد فاز وذلك لا شك هو الفوز العظيم * وبنحو الذي قلنا في معنى السيئات قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقهم السيئات أي العذاب حدثنا ابن بشار قال ثنا معمر بن بشير قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن قتادة عن مطرف قال وجدنا أنصح العباد للعباد الملائكة وأغش العباد للعباد الشياطين وتلا الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال مطرف وجدنا أغش عباد الله لعباد الله الشياطين ووجدنا أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون الى الايمان فتكفرون قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من سبيل﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين كفروا بالله ينادون في النار يوم القيامة اذا دخلوها فمقتوا بدخولهموها أنفسهم حين عاينوا ما أعد الله لهم فيها من أنواع العذاب فيقال لهم لمقت الله اياكم أيها القوم في الدنيا اذ تدعون فيها الى الايمان

فاستغنى بذكرها مرة وأما التقديم والتأخير فهو أن قوله اذتدعون منصوب بالمقت الاول وفى المقت وجوه الاول كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الأنبياء يدعونكم الى الايمان فتأبون وذلك (٣١) أشد من مقتكم أنفسكم اليوم فى النار اذ أوقعتكم

بالله فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم لما حل بكم من سخط الله عليكم * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لمقت الله أكبر قال مقتوا أنفسهم حين رأوا أعمالهم ومقت الله اياهم فى الدنيا اذيدعون الى الايمان فيكفرون أكبر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذتدعون الى الايمان فتكفرون يقول لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الايمان فى الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوا أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله ان الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم فى النار اذتدعون الى الايمان فى الدنيا فتكفرون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ينادون لمقت الله الآية قال لما دخلوا النار مقتوا أنفسهم فى معاصى الله التى ركبوها فنودوا ان مقت الله اياكم حين دعاكم الى الاسلام أشد من مقتكم أنفسكم اليوم حين دخلتم النار واختلف أهل العربية فى وجه دخول هذه اللام فى قوله لمقت الله أكبر فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة هى لام الابتداء كأن ينادون يقال لهم لان النداء قول قال ومثله فى الاعراب يقال لزيد أفضل من عمرو وقال بعض نحويى الكوفة المعنى فيه ينادون أن مقت الله اياكم ولكن اللام تكفى من أن تقول فى الكلام ناديت أن زيدا قائم قال ومثله قوله ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين اللام بمنزلة أن فى كل كلام ضارع القول مثل ينادون و يخبرون وأشباه ذلك * وقال آخر غيره منهم هذه لام اليمين تدخل مع الحكاية وما ضارع الحكاية لتدل على أن ما بعدها ائتناف قال ولا يجوز فى جوابات الأيمان أن تقوم مقام اليمين لان اللام كانت معها النون أو لم تكن فاكتفى بها من اليمين لانها لا تقع الا معها وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال دخلت لتؤذن أن ما بعدها ائتناف وأنها لام اليمين وقوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قد أتينا عليه فى سورة البقرة فأغنى ذلك عن اعادته فى هذا الموضع ولكان ذكر بعض ما قال بعضهم فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فأحياهم الله فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهما حياتان وموتتان وحدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين هو قول الله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال هو كقوله كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا الآية حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى اسحق عن أبى الأحوص عن عبد الله فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال هى كالتى فى البقرة وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم حدثنى أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال خلقتنا

فيها بانباعكم هواهن وفيه توبيخ ولاريب أن سخط الله و بغضه الشديد لانسبة له الى سخط غيره ولهذا أوردهم النار الثانى عن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا بلسان خزنة جهنم لمقت الله وهو قريب من الاول الثالث قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهم فى النار بقوله وما كان لى عليكم من سلطان الى قوله ولوموا أنفسكم وفى هذه الحالة مقتوا أنفسهم فلعل المعنى لمقت الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض ومن لعنه اياه وأما قول الكفرة فى الجواب (ربنا أمتنا اثنتين) أى اماتتين اثنتين (وأحييتنا احياءتين (اثنتين) فللعلماء فى تعيين كل من الاثنتين خلاف أما فى الكشاف فذهب الى أن الاماتتين احداهما خلقهم أولا أمواتا ثم نطفة ثم علقة الخ كما فى الآية الأخرى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا ونسب هذا القول الى ابن عباس ووجهه بأنه كقولك للخفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من كبر الى صغر أو بالعكس وانما أردت الانشاء على هذه الصفة والسبب فى صحته أن كلا النعتين جائز على المصنوع الواحد وللصانع ان يختار أحدهما قلت ومما يؤيد قوله أنه بدأ بالاماتة والا كان الاظهر أن يبدأ بالاحياء قال والاماتة الثانية هى التى فى الدنيا والاحياءة الاولى هى التى فى الدنيا والثانية هى التى بعد البعث وأورد على هذا القول أنه يلزم أن لا تكون الاحياءة فى القبر والاماتة فيه مذكورتين فى القرآن بل تكونان منفيتين مع ورودهما فى الحديث أجاب بعضهم بأن حياة القبر والاماتة ممنوعة لانه تعالى لم يذكرها والاحاديث الواردة فيها آحاد ولان الذى افترسه السبع لو أعيد حيا لزم نقصان شئ من السبع

وليس بمحسوس ولان الذى مات لو تركناه ظاهرا بحيث يراه كل احد لم يحس منه حياة وتجويز ذلك مع عدم الرؤية سفسطة وفتح لباب الجهالات وزيف هذا الجواب أهل الاعتبار (٣٢) بأن عدم ذكر الشئ لا يدل على عدمه والاحاديث فى ذلك الباب صحيحة مقبولة

ولم نكن شيأ ثم أمتنا ثم أحيينا حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك فى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قالوا كانوا أمواتا فأحياهم الله ثم أماتهم ثم أحياهم * وقال آخرون فيما حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى قبورهم فسئلوا أو خوطبوا ثم أميتوا فى قبورهم ثم أحيوا فى الآخرة * وقال آخرون فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين قال خلقهم من ظهر آدم حين أخذ عليهم الميثاق وقرأ واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم فقرأ حتى بلغ المبطلون قال فنسوا هم الفعل وأخذ عليهم الميثاق قال وانتزع ضلعا من أضلاع آدم القصرى فخلق منه حواء ذكره عن النبى صلى الله عليه وسلم قال وذلك قول الله يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء قال بث منهما بعد ذلك فى الارحام خلقا كثيرا وقرأ يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق قال خلقا بعد ذلك قال فلما أخذ عليهم الميثاق أماتهم ثم خلقهم فى الارحام ثم أماتهم ثم أحياهم يوم القيامة فذلك قول الله ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا وقرأ قول الله وأخذنا منهم ميثاقا غليظا قال يومئذ وقرأ قول الله واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا وقوله فاعترفنا بذنوبنا يقول فأقررنا بما عملنا من الذنوب فى الدنيا فهل الى خروج من سبيل يقول فهل الى خروج من النار لنا سبيل نرجع الى الدنيا فنعمل غير الذى كنا نعمل فيها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهل الى خروج من سبيل فهل الى كرة الى الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير ﴾ وفى هذا الكلام متروك استغنى بدلالة الظاهر من ذكره عليه وهو فأجيبوا أن لا سبيل الى ذلك هذا الذى لكم من العذاب أيها الكافرون بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم فأنكرتم أن تكون الالوهة له خالصة وقلتم أجعل الآلهة الها واحدا وان يشرك به تؤمنوا يقول وان يجعل لله شريك تصدقوا من جعل ذلك له فالحكم لله العلى الكبير يقول فالقضاء لله العلى على كل شئ الكبير الذى كل شئ دونه متصاغرا له اليوم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ هو الذى يريكم آياته وينزل لكم من السماء رزقا وما يتذكر الا من ينيب فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ﴾ يقول تعالى ذكره الذى يريكم أيها الناس حججه وأدلته على وحدانيته وربوبيته ينزل لكم من السماء رزقا يقول ينزل لكم من أرزاقكم من السماء بادرار الغيث الذى يخرج به أقواتكم من الارض وغذاء أنعامكم عليكم وما يتذكر الا من ينيب يقول وما يتذكر حجج الله التى جعلها أدلة على وحدانيته فيعتبر بها ويتعظ ويعلم حقيقة ما تدل عليه الا من ينيب يقول الا من يرجع الى توحيده ويقبل على طاعته كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى الا من ينيب قال من يقبل الى طاعة الله وقوله فادعوا الله مخلصين له الدين يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به فاعبدوا الله أيها المؤمنون له مخلصين له الطاعة غير مشركين به شيأ مما دونه ولو كره الكافرون يقول ولو كره عبادتكم اياه مخلصين له الطاعة الكافرون المشركون فى عبادتهم اياه الأوثان والأنداد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده

واذا كان الانسان جوهرا نورانيا مشرقا مدبرا للبدن فى كل طور على حد معلوم كما ورد فى الشريعة الحقة زالت سائر الاشكالات ولا يلزم قياس ما بعد الموت على ما قبله وللشرع فى اخفاء هذه الامور عن نظر المكلفين حكم ظاهرة حققناها لك مرات وقال بعضهم فى الجواب هذا كلام الكفار فلا يكون حجة وضعف بأنه لو لم يكن صادقا لأنكر الله عليهم وقيل ان مقصودهم تعديد أوقات البلاء والمحنة وهى أربعة الموتة الاولى والحياة فى القبر والموتة الثانية والحياة فى القيامة فأما الحياة فى الدنيا فانها وقت ترفههم وتنعمهم فلهذا السبب لم يذكروها وقيل أهملوا ذكر حياة القبر لقصر مدتها أو لانهم لم يموتوا بعد ذلك بل يبقون أحياء فى الشقاوة حتى اتصل بها حياة القيامة وكانوا من جملة المستثنين فى قوله فصعق من فى السموات ومن فى الارض الا من شاء الله ولا يخفى أن أكثر هذه الاقوال متكلفة ولا سيما الاخير فان قوله الذين كفروا عام ولو فرض أنه مخصوص بكفار معهودين فتخصيصهم بالحياة فى القبر حتى يكونوا من المستثنين بعيد جدا وقد يدوم فى الخلد أن هذا النداء يحتمل أن يكون فى القبر وعلى هذا لا يبقى اشكال لان الاماتة والاحياء التى بعد ذلك تخرج من غير تكلف وثبت سؤال القبر كما جاء فى الحديث والله تعالى أعلم بمراده وقوله (فهل الى خروج من سبيل) أى الى نوع من الخروج والرد من القبر الى الدنيا خروج سريع أو بطئ من سبيل قط أم اليأس الكلى واقع وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وكان الجواب الصريح أن يقال لا أو نعم الا أنه سبحانه رمز الى عدم الخروج بقوله (ذلكم) أى ذلكم اليأس وأن

لاسبيل لكم الى خروج قط بسبب كفركم فى وقت التمكن من التوحيد أوان التكليف (فالحكم لله العلى الكبير) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمدى وكما يناسب عظمته وكبرياءه قيل ان تحكيم الحرورية وهو قولهم  لاحكم الا لله مأخوذ من هذه الآية ثم أراد أن يذكر طرفا من دلائل وحدانيته وكماله فقال (هو الذى يريكم آياته) من الريح والسحاب والرعد والبرق (وينزل لكم من السماء) ماء هو سبب الرزق (وما يتذكر الا من ينيب) أى ما يعتبر الا الذى أناب الى الله وأعرض عن الشرك لينفتح عليه أبواب الانوار والمكاشفات ثم قال للمنيبين (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) قال جار الله قوله (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة على الاول وهو قوله الذى يريكم أو أخبار مبتدا محذوف وهى مختلفة تعريفا وتنكيرا أوسطها معرفة ثم ان الرفيع اما أن يكون بمعنى الرافع أو بمعنى المرتفع وعلى الاول فاما أن يراد رافع درجات الخلق فى العلم والأخلاق الفاضلة كما قال يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات وكذا فى الرزق والاجل بل جعل للملائكة مقامات معينة وللاجسام البسيطة العلوية والسفلية درجات معينة كما يشهد به علم الهيئة وقد أشرنا الى ذلك فى أثناء هذا الكتاب أو يراد رافع درجات الانبياء والاولياء فى الجنة وأما على الثانى فلا ريب أنه سبحانه أشرف الموجودات وأجلها رتبة من جهة استغنائه فى وجوده وفى جميع صفات وجوده عن كل ماسواه وافتقار كل ماسواه اليه فى الوجود وفى توابع الوجود واعلم أن كمال كبرياء الله لا يصل اليه عقول البشر فالطريق فى تعريفه أن يؤيد المعقول بنحو من المحسوس فلهذا عقب الله تعالى هذه الصفة بصفتين أخريين وذلك أن ماسوى الله اما جسمانيات واما روحانيات أما الجسمانيات فأعظمها العرش فأشار بقوله ذو العرش

لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴿ يقول تعالى ذكره هو رفيع الدرجات ورفع قوله رفيع الدرجات على الابتداء ولو جاء نصبا على الرد على قوله فادعوا الله كان صوابا ذو العرش يقول ذو السرير المحيط بما دونه وقوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده يقول ينزل الوحى من أمره على من يشاء من عباده * وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الروح فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى به الوحى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يلقى الروح من أمره قال الوحى من أمره * وقال آخرون عنى به القرآن والكتاب ذكر من قال ذلك حدثنى هرون بن ادريس الأصم قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن جويبر عن الضحاك فى قوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده قال يعنى بالروح الكتاب ينزله على من يشاء حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده وقرأ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا قال هذا القرآن هو الروح أوحاه الله الى جبريل وجبريل روح نزل به على النبى صلى الله عليه وسلم وقرأ نزل به الروح الامين قال فالكتب التى أنزلها الله على أنبيائه هى الروح لينذر بها ما قال الله بوم التلاق يوم يقوم الروح والملائكة صفا قال الروح القرآن كان أبى يقوله قال ابن زيد يقومون له صفا بين السماء والارض حين ينزل جل جلاله * وقال آخرون عنى به النبوة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قول الله يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده قال النبوة على من يشاء وهذه الاقوال متقاربات المعانى وان اختلفت ألفاظ أصحابها بها وقوله لينذر يوم التلاق يقول لينذر من يلقى الروح عليه من عباده من أمر الله بانذاره من خلقه عذاب يوم تلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وهو يوم التلاق وذلك يوم القيامة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يوم التلاق من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم التلاق يوم تلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض والخالق والخلق حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى يوم التلاق تلتقى أهل السماء وأهل الارض حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد يوم التلاق قال يوم القيامة قال يوم تتلاقى العباد وقوله يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ يعنى بقوله يوم هم بارزون يعنى المنذرين الذين أرسل الله اليهم رسله لينذروهم وهم ظاهرون يعنى للناظرين لا يحول بينهم وبينهم جبل ولا شجر ولا يستر بعضهم عن بعض ساتر ولكنهم بقاع صفصف لا أمت فيه ولا عوج وهم من قوله يوم هم فى موضع رفع بما بعده كقول القائل فعلت ذلك يوم الحجاج أمير واختلف أهل العربية فى العلة التى من أجلها لم تخفض هم بيوم وقد أضيف اليه فقال بعض نحويى البصرة أضاف يوم الى هم فى المعنى فلذلك لا ينون اليوم كما قال يوم هم على النار يفتنون وقال هذا يوم لا ينطقون ومعناه هذا يوم فتنتهم ولكن لما ابتدأ بالاسم وبنى عليه لم يقدر على جره وكانت الاضافة فى المعنى الى الفتنة وهذا انما يكون اذا كان اليوم فى معنى اذ والا فهو قبيح

الى استيلائه على كلية عالم الاجسام وأما الروحانيات فأشار الى كونها تحت تسخيره بقوله يلقى الروح أى الوحى (من أمره) أى من عالم أمره
(على من يشاء من عباده) وقدمر نظيره  فى الآية فى أول سورة النحل وقيل من أمره حال ثم بين الغرض من الالقاء بقوله
(لينذر يوم التلاق) ووجه التسمية ظاهر لتلاقى الاجساد والارواح فيه أو لتلاقى أهل السماء والارض كما قال عز من قائل ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ولأن كل واحد يلاقى جزاء عمله وقال ميمون بن مهران يوم يلتقى فيه الظالم والمظلوم فر بما ظلم رجل رجلا وانفصل عنه ولم يمكن التلاقى أو استضعف المظلوم ففى يوم القيامة لابد أن يتلاقيا وقوله (يوم هم بارزون) بدل من الاول ومعنى البروز مامر فى آخر سورة ابراهيم فى قوله وبرزوا لله الواحد القهار وقوله (لايخفى على الله منهم شئ) تأكيد لذلك وهذا وان كان عاما فى جميع الاحوال وشاملا للدنيا والآخرة الا أنه خصص بالآخرة لانهم فى الدنيا كانوا يظنون أن بعض الأعمال تخفى على الله عند الاستتار بالحجب كما قال ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فهو نظير قوله مالك يوم الدين ثم أكد تفرده فى ذلك اليوم بالحكم والقضاء بقوله (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) ولاريب أن الكلام مشتمل على جواب وسؤال وليس فى لفظ الآية مايدل على تعيين السائل ولا المجيب فقال جم من المفسرين ومن أرباب القلوب اذا هلك كل من فى السموات ومن فى الارض يقول الرب تعالى لمن الملك اليوم فلا يجيبه أحد فهو سبحانه يجيب عن نفسه فيقول لله الواحد القهار وأما الذين ألغوا

ألا ترى أنك تقول لقيتك زمن زيد أمير أى اذ زيد أمير ولو قلت ألقاك زمن زيد أمير لم يحسن وقال غيره معنى ذلك أن الاوقات جعلت بمعنى اذ واذا فلذلك بقيت على نصبها فى الرفع والخفض والنصب فقال ومن خزى يومئذ فنصبوا والموضع خفض وذلك دليل على أنه جعل موضع الأداة ويجوز أن يعرب بوجوه الاعراب لانه ظهر ظهور الاسماء ألا ترى أنه لا يعود عليه العائد كما يعود على الاسماء فان عاد العائد نون وأعرب ولم يضف فقيل أعجبنى يوم فيه تقوم لما أن خرج من معنى الأداة وعاد عليه الذكر صار اسما صحيحا قال وجائز فى اذ أن تقول أتيتك اذ تقوم كما تقول أتيتك يوم يجلس القاضى فيكون زمنا معلوما فأما أتيتك يوم تقوم فلا مؤنة فيه وهو جائز عند جميعهم وقال وهذه التى تسمى اضافة غير محضة * والصواب من القول عندى فى ذلك أن نصب يوم وسائر الأزمنة فى مثل هذا الموضع نظير نصب الأدوات لوقوعها مواقعها واذ أعربت بوجوه الاعراب فلأنها ظهرت ظهور الاسماء فعوملت معاملتها وقوله لايخفى على الله منهم ولا من أعمالهم التى عملوها فى الدنيا شئ وكان قتادة يقول فى ذلك ما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شئ ولكنهم برزوا له يوم القيامة فلا يسترون بجبل ولا مدر وقوله لمن الملك اليوم يعنى بذلك يقول الرب لمن الملك اليوم وترك ذكر يقول استغناء بدلالة الكلام عليه وقوله لله الواحد القهار وقد ذكرنا الرواية الواردة بذلك فيما مضى قبل ومعنى الكلام يقول الرب لمن السلطان اليوم وذلك يوم القيامة فيجيب نفسه فيقول لله الواحد الذى لا مثل له ولا شبيه القهار لكل شئ سواه بقدرته الغالب بعزته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيله يوم القيامة حين يبعث خلقه من قبورهم لموقف الحساب اليوم تجزى كل نفس بما كسبت يقول اليوم يثاب كل عامل بعمله فيوفى أجر عمله فعامل الخير يجزى الخير وعامل الشر يجزى جزاءه وقوله لا ظلم اليوم يقول لا بخس على أحد فيما استوجبه من أجر عمله فى الدنيا فينقص منه ان كان محسنا ولا حمل على مسىء اثم ذنب لم يعمله فيعاقب عليه ان الله سريع الحساب يقول ان الله ذو سرعة فى محاسبة عباده يومئذ على أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ذكر أن ذلك اليوم لا ينتصف حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار وقد فرغ من حسابهم والقضاء بينهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو السميع البصير ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه وأنذر يا محمد مشركى قومك يوم الآزفة يعنى يوم القيامة أن يوافوا الله فيه بأعمالهم الخبيثة فيستحقوا من الله عقابه الأليم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله يوم الآزفة قال يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأنذرهم يوم الآزفة يوم القيامة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأنذرهم يوم الآزفة قال يوم القيامة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن

صرف المعقول من أهل الاصول فقد أنكروا هذا القول انكارا شديدا لانه تعالى بين أن هذا النداء فى يوم التلاقى زيد والبروز يوم تجزى كل نفس بما كسبت وكل هذا ينافى كون الخلق هالكين وقتئذ ولأن التكلم من غير سامع ولا مجيب عبث الا أن يكون

هنالك ملائكة يسمعون ذلك النداء لكن المفروض فناء كل المخلوقين فاما أن يكون حكاية لما يسأل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به وذلك
ان ينادى منادٍ فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار  يقوله المؤمن تلذذا والكافر هوانا وتحسرا على أن فاتتهم

زيد فى قوله وأنذرهم يوم الآزفة قال يوم القيامة وقرأ أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة
وقوله اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين يقول تعالى ذكره اذ قلوب العباد من مخافة عقاب الله لدى
حناجرهم قد شخصت من صدورهم فتعلقت بحلوقهم كاظميها يرومون ردّها الى مواضعها
من صدورهم فلا ترجع ولا هى تخرج من أبدانهم فيموتوا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذ
القلوب لدى الحناجر قال قد وقعت القلوب فى الحناجر من المخافة فلا هى تخرج ولا تعود الى أمكنتها
حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى اذ القلوب لدى الحناجر
كاظمين قال شخصت أفئدتهم عن أمكنتها فنشبت فى حلوقهم فلم تخرج من أجوافهم فيموتوا
ولم ترجع الى أمكنتها فتستقر واختلف أهل العربية فى وجه نصب كاظمين فقال بعض نحويى
البصرة انتصابه على الحال كأنه أراد اذ القلوب لدى الحناجر فى هذه الحال وكان بعض نحويى
الكوفة يقول الألف واللام بدل من الاضافة كأنه قال اذ قلوبهم لدى حناجرهم فى حال كظمهم
وقال آخرمنهم هو نصب على القطع من المعنى الذى يرجع من ذكرهم فى القلوب والحناجر المعنى
اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين قال فان شئت جعلت قطعه من الهاء التى فى قوله وأنذرهم
قال والاول أجود فى العربية وقد تقدم بيانى وجه ذلك وقوله ما للظالمين من حميم ولا شفيع
يقول جل ثناؤه ما للكافرين بالله يومئذ من حميم يحم لهم فيدفع عنهم عظيم ما نزل بهم من عذاب الله
ولا شفيع يشفع لهم عند ربهم فيطاع فيما شفع ويجاب فيما سأل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ما للظالمين
من حميم ولا شفيع قال من يعنيه أمرهم ولا شفيع لهم وقوله يطاع صلة للشفيع ومعنى الكلام
ما للظالمين من حميم ولا شفيع اذا شفع أطيع فيما شفع فأجيب وقبلت شفاعته له وقوله يعلم خائنة
الأعين يقول جل ذكره مخبرا عن صفة نفسه يعلم ربكم ما خانت أعين عباده وما أخفته صدورهم
يعنى وما أضمرته قلوبهم يقول لا يخفى عليه شئ من أمورهم حتى ما يحدّث به نفسه ويضمره قلبه
اذا نظر ماذا يريد بنظره وما ينوى ذلك بقلبه والله يقضى بالحق يقول والله تعالى ذكره يقضى
فى الذى خانته الأعين بنظرها وأخفته الصدور عند نظر العيون بالحق فيجزى الذين أغمضوا
أبصارهم وصرفوها عن محارمه حذار الموقف بين يديه ومسئلته عنه بالحسنى والذين ردّدوا النظر
وعزمت قلوبهم على مواقعة الفواحش اذا قدرت جزاءها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى عبد الله بن أحمد المروزى قال ثنا على بن حسين بن
واقد قال ثنى أبى قال ثنا الأعمش قال ثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس يعلم خائنة
الأعين اذا نظرت اليها تريد الخيانة أم لا وما تخفى الصدور اذا قدرت عليها أتزنى بها أم لا قال ثم
سكت ثم قال ألا أخبركم بالتى تليها قلت نعم قال والله يقضى بالحق قادر على أن يجزى بالحسنة
الحسنة وبالسيئة السيئة ان الله هو السميع البصير قال الحسن فقلت للأعمش حدثنى به الكلبى
الا أنه قال ان الله قادر على أن يجزى بالسيئة السيئة وبالحسنة عشرا فقال الأعمش لو أن الذى
عند الكلبى عندى ما خرج منى الا بحقير حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا

هذه المعرفة فى الدنيا فان الملك كان
له من الازل الى الابد وفائدة
تخصيص هذا النداء يوم القيامة
كما عرفت فى مالك يوم الدين يحكى
أن نصر بن أحمد لما دخل نيسابور
وضع التاج على رأسه ودخل عليه
الناس فخطر بباله شئ فقال هل فيكم
من يقرأ آية فقرأ رجل رؤاس رفيع
الدرجات ذو العرش فلما بلغ قوله
لمن الملك اليوم نزل الامير عن
سريره ورفع التاج عن رأسه
وسجد لله تعالى وقال لك الملك لا لى
فلما توفى الرؤاس رؤى فى المنام
فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى
وقال لى انك عظمت ملكى فى عين
عبدى فلان يوم قرأت تلك الآية
فغفرت لك وله ومما يدل على تفرده
سبحانه قوله (لله الواحد القهار) فان
كل واحد من الأسماء الثلاثة ينبئ
عن غاية الجلال والعظمة كما مر
مرارا وباقى الآية أيضا مما سلف
تفسيره مرات ثم وصف يوم
القيامة بأنواع أخر من الصفات
الهائلة فقال (وأنذرهم يوم الآزفة)
وهى فاعلة من أزف الأمر أزوفا اذا
دنا ولا ريب أن القيامة قريبة وان
استبعد الناس مداها لأن كل ما هو
كائن فهو قريب قال جار الله يجوز
أن يريد بيوم الآزفة وقت لحظة
الآزفة وهى مشارفتهم دخول النار
فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارّها
فتلصق بحناجرهم فلا هى تخرج
فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها
فيتنفسوا وقال أبو مسلم يوم الآزفة
يوم المنية وحضور الأجل لانه

تعالى ذكر يوم القيامة فى قوله يوم التلاق يوم هم بارزون فناسب أن يكون هذا اليوم غير ذلك اليوم ولأنه تعالى وصف يوم الموت بنحو هذه
الصفة فى مواضع أخر قال فلولا اذا بلغت الحلقوم كلا اذا بلغت التراقى ولا ريب أن الرجل عند معاينة أمارات الموت يعظم خوفه فلو جعلنا

كون القلوب لدى الحناجر كناية عن شدة الخوف جاز ولو حملناه على ظاهره فلا بأس وقوله (كاظمين) أى مكروبين والكاظم الساكت حال امتلائه غما وغيظا قال عزمن قائل  والكاظمين الغيظ وانتصابه على أنه حال عن أصحاب القلوب كأنه قيل اذقلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها أوعن القلوب وجمع جمع السلامة بناء على أن الكظم من أفعال العقلاء كقوله فظلت أعناقهم لها خاضعين أوعن ضمير المفعول فى وأنذرهم أى وأنذرهم مقتدرين أومشارفين الكظم فيكون حالا مقدرة وفى قوله مالظالمين من حميم ولا شفيع بحث بين الاشاعرة والمعتزلة حيث حمله الأولون على أهل الشرك والآخرون على معنى أعم حتى يشمل أصحاب الكبائر وقد مر مرارا ولاسيما فى قوله ومالظالمين من أنصار ومعنى قوله (يطاع) يجاب أى لاشفاعة ولا اجابة كقوله

* ولاترى الضب بها ينجحر *

وذلك أنه لايشفع أحد فى ذلك اليوم الا باذن الله فان أذن له أجيب والا فلا يوجد شئ من الامرين والفائدة فى ذكر هذه الصفة أن يعلم أن الغرض من الشفيع منتف فى حقهم وان فرض شفيع على مايزعم أهل الشرك من أن الاصنام يشفعون لهم وقوله (يعلم خائنة الاعين) خبر آخر لقوله هو الذى يريكم آياته الا أنه فصل بالتعليل وهو قوله لينذر وذكر وصف القيامة استطرادا قال جار الله هى صفة للنظرة أومصدر بمعنى الخيانة كالعافية والمراد استراق النظر الى مالايحل كما يفعل أهل الريب قال ولايحسن أن تكون الخائنة صفة للاعين مضافة اليها نحو جرد قطيفة أى يعلم العين الخائنة لأن قوله وماتخفى الصدور لايساعد عليه قلت يعنى أن عطف العرض على الجوهر والمعنى على العين غير مناسب وقيل هى قول الانسان رأيت ولم يرومارأيت ورأى ومضمرات الصدور ذكره أى القلوب فيها لانها فيها قيل هى مايستره الانسان من امانة وخيانة وقيل الوسوسة وقال ابن عباس ماتخفى الصدور بعد النظر اليها

عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد يعلم خائنة الأعين قال نظر الأعين الى مانهى الله عنه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله خائنة الأعين أى يعلم همزه بعينه وغمامضه فيما لايحب الله ولا يرضاه وقوله والذين يدعون من دونه لايقضون بشئ يقول والاوثان والآلهة التى يعبدها هؤلاء المشركون بالله من قومك من دونه لايقضون بشئ لانها لاتعلم شيأ ولاتقدر على شئ يقول جل ثناؤه لهم فاعبدوا الذى يقدر على كل شئ ولايخفى عليه شئ من أعمالكم فيجزى محسنكم بالاحسان والمسيء بالاساءة لا مالا يقدر على شئ ولا يعلم شيأ فيعرف المحسن من المسيء فيثيب المحسن ويعاقب المسيء وقوله ان الله هو السميع البصير يقول ان الله هو السميع لما تنطق به ألسنتكم أيها الناس البصير بما تفعلون من الافعال محيط بكل ذلك محصيه عليكم ليجازى جميعكم جزاءه يوم الجزاء واختلفت القراء فى قراءة قوله والذين يدعون من دونه فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والذين تدعون من دونه بالتاء على وجه الخطاب وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة بالياء على وجه الخبر والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾ يقول تعالى ذكره أولم يسر هؤلاء المقيمون على شركهم بالله المكذبون رسوله من قريش فى البلاد فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم يقول فيروا ما الذى كان خاتمة أمم الذين كانوا من قبلهم من الامم الذين سلكوا سبيلهم فى الكفر بالله وتكذيب رسله كانوا هم أشد منهم قوة يقول كانت تلك الامم الذين كانوا من قبلهم أشد منهم بطشا وأبقى فى الارض آثارا فلم تنفعهم شدة قواهم وعظم أجسامهم اذ جاءهم أمر الله وأخذهم بما أجرموا من معاصيه واكتسبوا من الآثام ولكنه أباد جمعهم وصارت مساكنهم خاوية منهم بما ظلموا وما كان لهم من الله من واق يقول وما كان لهم من عذاب الله اذ جاءهم من واق يقيهم فيدفعه عنهم كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كان لهم من الله من واق يقيهم ولاينفعهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى فعلت بهؤلاء الامم الذين من قبل مشركى قريش من اهلاكهم بذنوبهم فعلنا بهم بأنهم كانت تأتيهم رسل الله اليهم بالبينات يعنى بالآيات الدالات على حقيقة ماتدعوهم اليه من توحيد الله والانتهاء الى طاعته فكفروا يقول فأنكروا رسالتها وجحدوا توحيد الله وأبوا أن يطيعوا الله فأخذهم الله يقول فأخذهم الله بعذابه فأهلكهم انه قوى شديد العقاب يقول ان الله ذو قوة لايقهره شئ ولا يغلبه ولا يعجزه شئ أراده شديد عقابه من عاقب من خلقه وهذا وعيد من الله مشركى قريش المكذبين رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم يقول لهم جل ثناؤه فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم فى تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم وجحود توحيد الله ومخالفة أمره ونهيه فيسلك بكم فى تعجيل الهلاك لكم مسلكهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب﴾ يقول تعالى

ذكره مسليا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مشركى قومه من قريش باعلامه مالقى موسى ممن أرسل اليه من التكذيب ومخبره أنه معليه عليهم وجاعل دائرة السوء على من حاده وشاقه كسنته فى موسى صلوات الله عليه اذ أعلاه وأهلك عدوه فرعون ولقد أرسلنا موسى بآياتنا يعنى بأدلته وسلطان مبين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وسلطان مبين أى عذر مبين يقول وحجته المبينة لمن يراها أنها حجة محققة مايدعو اليه موسى الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب يقول فقال هؤلاء الذين أرسل اليهم موسى لموسى هو ساحر يسحر العصا فيرى الناظر اليها أنها حية تسعى كذاب يقول يكذب على الله ويزعم أنه أرسله الى الناس رسولا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا فى ضلال﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاء موسى هؤلاء الذين أرسله الله اليهم بالحق من عندنا وذلك مجيئه اياهم بتوحيد الله والعمل بطاعته مع اقامة الحجة عليهم بأن الله ابتعثه اليهم بالدعاء الى ذلك قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا بالله معه من بنى اسرائيل واستحيوا نساءهم يقول واستبقوا نساءهم للخدمة ۞ فان قال قائل وكيف قيل فلما جاءهم موسى بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وانما كان قتل فرعون الولدان من بنى اسرائيل حذار المولود الذى كان أخبر أنه على رأسه ذهاب ملكه وهلاك قومه وذلك كان فيما يقال قبل أن يبعث الله موسى نبيا قيل ان هذا الامر بقتل أبناء الذين آمنوا مع موسى واستحياء نسائهم كان أمرا من فرعون وملئه من بعد الامر الأول الذى كان من فرعون قبل مولد موسى كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم قال هذا قتل غير القتل الاول الذى كان وقوله وما كيد الكافرين الا فى ضلال يقول وما احتيال أهل الكفر لأهل الايمان بالله الا فى جور عن سبيل الحق وصد عن قصد المحجة وأخذ على غير هدى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الارض الفساد﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون لملئه ذرونى أقتل موسى وليدع ربه الذى يزعم أنه أرسله الينا فيمنعه منا انى أخاف أن يبدل دينكم يقول انى أخاف ان يغير دينكم الذى أنتم عليه بسحره واختلفت القراء فى قراءة قوله أو أن يظهر فى الارض الفساد فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والشام والبصرة وأن يظهر فى الارض الفساد بغير ألف وكذلك ذلك فى مصاحف أهل المدينة وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة أو أن بالالف وكذلك ذلك فى مصاحفهم يظهر فى الارض بفتح الياء ورفع الفساد ۞ والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار متقاربتا المعنى وذلك أن الفساد اذا أظهره مظهر كان ظاهرا واذا ظهر فباظهار مظهره يظهر ففى القراءة باحدى القراءتين فى ذلك دليل واضح على صحة معنى الاخرى وأما القراءة فى أو أن يظهر بالالف وبحذفها فانهما أيضا متقاربتا المعنى وذلك أن الشئ اذا بدل الى خلافه فلا شك أن خلافه المبدل اليه الاول هو الظاهر دون المبدل فسواء عطف على خبره عن خوفه من موسى أن يبدل دينهم بالواو أو بأو لأن تبديل دينهم كان عنده هو ظهور الفساد وظهور الفساد كان عنده هو تبديل الدين فتأويل الكلام اذا انى أخاف من موسى أن يغير دينكم الذى أنتم عليه أو أن

ففى قوله يعلم خائنة الأعين اشارة الى واذا علمت هذه الصفة وقد عرفت من الاوصاف السابقة كمال قدرته واستغنائه لم يبق شك فى حقية قضائه فلذلك قال (والله يقضى بالحق) ثم وبخهم على عبادة من لا قضاء له ولا سمع ولا بصر بقوله (والذين يدعون) الخ ثم وعظهم بالنظر فى أحوال الامم السالفة وقد مر نظير الآية فى مواضع وانما قال فى هذه السورة (ذلك بأنهم كانت) وفى التغابن ذلك بأنه كانت موافقة لضمير الفصل فى قوله كانوا هم أشد ۞ التأويل الحاء والميم حرفان من وسط اسم الرحمن ومن وسط اسم محمد ففى ذلك اشارة الى سر بينه وبين حبيبه صلى الله عليه وسلم لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبى مرسل غافر الذنب للظالم وقابل التوب للمقتصد شديد العقاب للكافر ذى الطول للسابق وقهم عذاب الجحيم أى عن موجباتها كالرياء واتباع الهوى لمقت الله اياكم حين حكم عليكم بالبعد والحرمان أكبر من مقتكم أنفسكم لو كنتم تمقتونها فى الدنيا فانها أعدى عدوكم ومقتها منعها من هواها ولا ريب أن عذاب البعد الابدى أشد من رياضة أيام معدودة قلائل ذو العرش عرش القلوب استوى عليها بجميع الصفات وهم العلماء بالله المستغرقون فى بحر معرفته ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا فى ضلال وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الارض الفساد وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله

وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب ياقوم
لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا  من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد

وقال الذى آمن ياقوم انى أخاف
عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب
قوم نوح وعاد وثمود والذين من
بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم
انى أخاف عليكم يوم التناد يوم
تولون مدبرين مالكم من الله من
عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد
ولقد جاءكم يوسف من قبل
بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به
حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من
بعده رسولا كذلك يضل الله من
هو مسرف مرتاب الذين يجادلون
فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر
مقتا عند الله وعند الذين آمنوا
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر
جبار وقال فرعون ياهامان ابن لى
صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب
السموات فأطلع الى اله موسى وانى
لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون
سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد
فرعون الا فى تباب وقال الذين آمن
ياقوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد
ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع
وان الآخرة هى دار القرار من عمل
سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل
صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن
فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها
بغير حساب ويا قوم مالى أدعوكم
الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى
لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى
به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار
لا جرم أنما تدعوننى اليه ليس له
دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن
مردنا الى الله وأن المسرفين هم
أصحاب النار فستذكرون ما أقول
لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون بعض
عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا

يظهر فى أرضكم أرض مصر عبادة ربه الذى يدعوكم الى عبادته وذلك كان عنده هو الفساد
* وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة انى أخاف أن يبدل دينكم أى أمركم الذى أنتم عليه أو أن يظهر
فى الارض الفساد والفساد عنده أن يعمل بطاعة الله ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وقال موسى
انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون
يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه
كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب﴾ يقول تعالى
ذكره وقال موسى لفرعون وملئه انى استجرت أيها القوم بربى وربكم من كل متكبر عليه تكبر عن
توحيده والاقرار بألوهته وطاعته لا يؤمن بيوم يحاسب الله فيه خلقه فيجازى المحسن باحسانه
والمسىء بماساء وانما خص موسى صلوات الله وسلامه عليه الاستعاذة بالله ممن لا يؤمن بيوم
الحساب لأن من لم يكن بيوم الحساب مصدقا لم يكن للثواب على الاحسان راجيا ولا للعقاب
على الاساءة وقبيح ما يأتى من الافعال خائفا ولذلك كان استجارته من هذا الصنف من الناس
خاصة وقوله وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه اختلف أهل العلم فى هذا الرجل
المؤمن فقال بعضهم كان من قوم فرعون غير أنه كان قد آمن بموسى وكان يسر ايمانه من فرعون
وقومه خوفا على نفسه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن
السدى وقال رجل مؤمن من آل فرعون قال هو ابن عم فرعون ويقال هو الذى نجا مع موسى فمن
قال هذا القول وتأول هذا التأويل كان صوابا الوقف اذا أراد القارئ الوقف على قوله من
آل فرعون لأن ذلك خبر مبتدأ قد تم * وقال آخرون بل كان الرجل اسرائيليا ولكنه كان يكتم
ايمانه من آل فرعون والصواب على هذا القول لمن أراد الوقف أن يجعل وقفه على قوله يكتم
ايمانه لان قوله من آل فرعون صلة لقوله يكتم ايمانه فتمامه قوله يكتم ايمانه وقد ذكر أن اسم
هذا الرجل المؤمن من آل فرعون جبريل كذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن
اسحق * وأولى القولين فى ذلك بالصواب عندى القول الذى قاله السدى من أن الرجل المؤمن
كان من آل فرعون قد أصغى لكلامه واستمع منه ما قاله وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله
وقيله ما قال وقال له ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد ولو كان اسرائيليا لكان حريا
أن يعاجل هذا القائل له ولملئه ما قال بالعقوبة على قوله لأنه لم يكن يستنصح بنى اسرائيل
لاعتداده اياهم أعداءه فيكف بقوله عن قتل موسى لو وجد اليه سبيلا ولكنه لما كان من ملا
قومه استمع قوله وكف عما كان هم به فى موسى وقوله أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله يقول
أتقتلون أيها القوم موسى لأن يقول ربى الله فأن فى موضع نصب لما وصفت وقد جاءكم بالبينات
يقول وقد جاءكم بالآيات الواضحات على حقيقة ما يقول من ذلك وتلك البينات من الآيات يده
وعصاه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقد جاءكم بالبينات من ربكم بعصاه
وبيده وقوله وان يك كاذبا فعليه كذبه يقول وان يك موسى كاذبا فى قيله ان الله أرسله اليكم
يأمركم بعبادته وترك دينكم الذى أنتم عليه فانما اثم كذبه عليه دونكم وان يك صادقا يصبكم

فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء (٣٩) الكافرين الا فى ضلال ۞ القراآت ذرونى

بعض الذى يعدكم يقول وان يك صادقا فى قيله ذلك أصابكم الذى وعدكم من العقوبة على مقامكم على الدين الذى أنتم عليه مقيمون فلا حاجة بكم الى قتله فتريدوا ربكم بذلك الى سخطه عليكم بكفركم سخطا ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب يقول ان الله لا يوفق للحق من هو متعد الى فعل ما ليس له فعله كذاب عليه يكذب ويقول عليه الباطل وغيره الحق وقد اختلف أهل التأويل فى معنى الاسراف الذى ذكره المؤمن فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى به الشرك وأراد ان الله لا يهدى من هو مشرك به مفتر عليه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب مشرك أسرف على نفسه بالشرك * وقال آخرون عنى به من هو قتال سفاك للدماء بغير حق ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب قال المسرف هو صاحب الدم ويقال هم المشركون * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله أخبر عن هذا المؤمن أنه عم بقوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب والشرك من الاسراف وسفك الدم بغير حق من الاسراف وقد كان مجتمعا فى فرعون الامران كلاهما فالحق أن يعم ذلك كما أخبر جل ثناؤه عن قائله أنه عم القول بذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض يعنى أرض مصر يقول لكم السلطان اليوم والملك ظاهرين أنتم على بنى اسرائيل فى أرض مصر فمن ينصرنا من بأس الله يقول فمن يدفع عنا بأس الله وسطوته ان حل بنا وعقوبته ان جاءتنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى يقول قال فرعون مجيبا لهذا المؤمن الناهى عن قتل موسى ما أريكم أيها الناس من الرأى والنصيحة الا ما أرى لنفسى ولكم صلاحا وصوابا وما أهديكم الا سبيل الرشاد يقول وما أدعوكم الا الى طريق الحق والصواب فى أمر موسى وقتله فانكم ان لم تقتلوه بدل دينكم وأظهر فى أرضكم الفساد ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم وما الله يريد ظلما للعباد ﴾ يقول تعالى ذكره وقال المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه يا قوم انى أخاف عليكم بقتلكم موسى ان قتلتموه مثل يوم الاحزاب الذين تحزبوا على رسل الله نوح وهود وصالح فأهلكهم الله بتجرئهم عليهم فيهلككم كما أهلكهم وقوله مثل دأب قوم نوح يقول يفعل ذلك بكم فيهلككم مثل سنته فى قوم نوح وعاد وثمود وفعله بهم وقد بينا معنى الدأب فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادته مع ذكر أقوال أهل التأويل فيه وقد حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس مثل دأب قوم نوح يقول مثل حال حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مثل دأب قوم نوح قال مثل ما أصابهم وقوله والذين من بعدهم يعنى قوم ابراهيم وقوم لوط وهم أيضا من الاحزاب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين من بعدهم قال هم الأحزاب وقوله وما الله يريد ظلما للعباد يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وملئه وما أهلك الله هذه الاحزاب من هذه

بفتح الياء ابن كثير انى أخاف بفتح الياء ابن كثير وأبو جعفر ونافع وأبو عمرو أو بصيغة الترديد عاصم وحمزة وعلى وخلف وسهل ويعقوب الباقون بواو العطف يظهر بضم الياء وكسر الهاء من الاظهار الفساد بالنصب أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب والمفضل وحفص الآخرون بفتحهما ورفع الفساد عذت مدغما أبو عمرو وحمزة وعلى وخلف ويزيد واسمعيل وهشام التنادى بالياء فى الحالين ابن كثير ويعقوب وافق يزيد وورش وسهل وعباس فى الوصل قلب متكبر بالتنوين فيهما على الوصف أبو عمرو وقتيبة وابن ذكوان الباقون على الاضافة لعلى أبلغ الاسباب بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر فأطلع بالنصب حفص اتبعونى بالياء فى الحالين سهل وابن كثير ويعقوب وافق أبو عمرو ويزيد والاصفهانى عن ورش واسمعيل وابو نشيط عن قالون فى الوصل مالى بفتح الياء أبو عمرو وأبو جعفر ونافع أمرى الى الله بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو تقوم بتاء التأنيث الرازى عن هشام أدخلوا من الادخال أبو جعفر ونافع ويعقوب وحمزة وعلى وخلف وحفص وعلى هذه القراءة الخطاب للزبانية وانتصب آل وأشد على أنهما مفعول بهما وعلى القراءة الاخرى هو لآل فرعون وانتصب آل على النداء لا على أنه مفعول به

۞ الوقوف مبين ه لا كذاب ه نساءهم ط ضلال ه ربه ج لاحتمال اللام مؤمن قف قد قيل بناء على أن الجار يتعلق بالفعل بعده والوصل أصح لانه كان من القبط ولو فرض أنه لم يكن منهم فالجملة وصف له من ربكم ج لانتهاء الاستفهام الى الابتداء بالشرط كذبه ج

للعطف والشرط يعدكم ط كذاب ٥ فى الارض ز لابتداء الاستفهام والوجه الوصل لان المقصود الوعظ به جاءنا ط الرشاد ٥ الأحزاب ٥ لا لأن مابعده بدل بعدهم ط (٤٠) للعباد ٥ التناد ٥ ط لاجل البدل مدبرين ج لأن مابعده يصلح حالا واستئنافا من عاصم ج لاحتمال كون مابعده ابتداء اخبار من الله سبحانه وكونه من كلام المؤمن من هاد ٥ جاءكم به ط رسولا ط مرتاب ٥ ج لاحتمال البدل فان من فى معنى الجمع أو الاستئناف أى هم الذين أو أعنى أنهم آمنوا ط جبار ٥ الاسباب ٥ لا كاذبا ط السبيل ط تباب ٥ الرشاد ج لان النداء يبدأ به مع أنه تكرار للاول متاع ز للفصل بين تنافى الدارين مع اتفاق الجملتين القرار ٥ مثلها ج لعطف جملتى الشرط حساب ٥ النار ٥ ج لانتهاء الاستفهام الى الاخبار ولاحتمال ابتداء استفهام آخر الغفار ٥ النار ٥ لكم ط الى الله ط بالعباد ٥ العذاب ٥ ج لاحتمال البدل والابتداء وعشيا ج لاحتمال مابعده العطف والاستئناف الساعة قف لحق القول المحذوف أى يقال لهم أولزبانية العذاب ٥ من النار ٥ العباد ٥ من العذاب ٥ بالبينات ط بلى ط فادعوا ج لاحتمال أن مابعده من قول الخزنة أو ابتداء اخبار من الله تعالى ضلال ٥ ﴿ التفسير لما وبخ الكفار بعدم السير فى الارض للنظر والاعتبار أو بعدم النظر فى أحوال الماضين مع السير فى الاقطار وقد وصف الماضين بكثرة العدد والآثار الباقية أراد أن يصرح بقصة واحدة من قصصهم تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وزيادة توبيخ وتذكير لهم وكان فى قصة موسى وفرعون من العجائب مافيها فلاجرم أوردها ههنا مع فوائد زائدة على مافى المواضع السبعة الأخر منها ذكر مؤمن آل فرعون وماوعظ ونصح به قومه ولان القصة قد تكررت مرارا فلنقتصر فى التفسير على مايختص بالمقام

الامم ظلما منه لهم بغير جرم اجترموه بينهم وبينه لانه لا يريد ظلم عباده ولا يشاؤه ولكنه أهلكهم باجرامهم وكفرهم به وخلافهم أمره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لفرعون وقومه ويا قوم انى أخاف عليكم بقتلكم موسى ان قتلتموه عقاب الله يوم التناد واختلفت القراء فى قراءة قوله يوم التناد فقرأ ذلك عامة قراء الامصار يوم التناد بتخفيف الدال وترك اثبات الياء بمعنى التفاعل من تنادى القوم تناديا كما قال جل ثناؤه ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم وقال ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء فلذلك تأوله قارؤ ذلك كذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن بشار قال ثنا محمد بن عبد الله الانصارى قال ثنا سعيد عن قتادة أنه قال فى هذه الآية يوم التناد قال يوم ينادى أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم ينادى أهل الجنة أهل النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا وينادى أهل النار أهل الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم التناد قال يوم القيامة ينادى أهل الجنة أهل النار * وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى معنى ذلك على هذه القراءة تأويل آخر على غير هذا الوجه وهو ماحدثنا به أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى عن اسمعيل بن رافع المدنى عن يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن رجل من الانصار عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يأمر الله اسرافيل بالنفخة الاولى فيقول انفخ نفخة الفزع ففزع أهل السموات وأهل الارض الا من شاء الله ويأمره الله أن يديمها ويطولها فلا يفتر وهى التى يقول الله وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فواق فيسير الله الجبال فتكون سرابا فترج الارض بأهلها رجا وهى التى يقول الله يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة فتكون كالسفينة المرتعة فى البحر تضربها الامواج تكفأ بأهلها أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجه الارواح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة حتى تأتى الاقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع ويولى الناس مدبرين ينادى بعضهم بعضا وهو الذى يقول الله يوم التناد يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم فعلى هذا التأويل معنى الكلام ويا قوم انى أخاف عليكم يوم ينادى الناس بعضهم بعضا من فزع نفخة الفزع * وقرأ ذلك آخرون يوم التناد بتشديد الدال بمعنى التفاعل من التد وذلك اذا هربوا فندوا فى الارض كما تند الابل اذا شردت على أربابها ذكر من قال ذلك كذلك وذكر المعنى الذى قصد بقراءته ذلك كذلك حدثنى موسى بن عبد الرحمن المسروقى قال ثنا أبو أسامة عن الاجلح قال سمعت الضحاك بن مزاحم قال اذا كان يوم القيامة أمر الله السماء الدنيا فتشققت بأهلها ونزل من فيها من الملائكة فأحاطوا بالارض ومن عليها ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة فصفوا صفا دون صف ثم ينزل الملك الأعلى على مجنبته اليسرى جهنم فاذا رآها أهل الارض ندوا فلا يأتون قطرا من أقطار الارض الا وجدوا

قوله (بالحق) أى بالمعجزات الظاهرة وقوله (اقتلوا) يريد به اعادة القتل كما مر فى الاعراف فى قوله سنقتل أبناءهم قوله (الا فى ضلال) أى فى ضياع واضمحلال فان كان اللام فى الكافرين للجنس فظاهر لأن وبال كيدهم  يعود بالآخرة عليهم حين يهلكون ويدخلون النار

السبعة صفوف من الملائكة فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه فذلك قول الله انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين وذلك قوله وجاء ربك والملك صفا صفا وجىء يومئذ بجهنم وقوله يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وذلك قوله وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله يوم التناد قال تندون وروى عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك يوم التنادى باثبات الياء وتخفيف الدال * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار وهو تخفيف الدال وبغير اثبات الياء وذلك أن ذلك هو القراءة التى عليها الحجة مجمعة من قراء الامصار وغير جائز خلافها فيما جاءت به نقلا فاذا كان ذلك هو الصواب فمعنى الكلام ويا قوم انى أخاف عليكم يوم ينادى الناس بعضهم بعضا امامن هول ما قد عاينوا من عظيم سلطان الله وفظاعة ما غشيهم من كرب ذلك اليوم وإما لتذكير بعضهم بعضا انجاز الله اياهم الوعد الذى وعدهم فى الدنيا واستغاثة من بعضهم ببعض مما لقى من عظيم البلاء فيه وقوله يوم تولون مدبرين فتأويله على التأويل الذى ذكرنا من الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يولون هاربين فى الارض حذار عذاب الله وعقابه عند معاينتهم جهنم وتأويله على التأويل الذى قاله قتادة فى معنى يوم التناد يوم تولون منصرفين عن موقف الحساب الى جهنم * وبنحو ذلك روى الخبر عنه وعمن قال نحو مقالته فى معنى يوم التناد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يوم تولون مدبرين أى منطلقا بكم الى النار * وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان الذى قاله قتادة فى ذلك غير بعيد من الحق وبه قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يوم تولون مدبرين قال فارين غير معجزين وقوله مالكم من الله من عاصم يقول مالكم من الله مانع يمنعكم وناصر ينصركم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مالكم من الله من عاصم أى من ناصر وقوله ومن يضلل الله فما له من هاد يقول ومن يخذله الله فلم يوفقه لرشده فما له من موفق يوفقه له ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد جاءكم يوسف ابن يعقوب يا قوم من قبل موسى بالواضحات من حجج الله كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولقد جاءكم يوسف من قبل قال قبل موسى وقوله فما زلتم فى شك مما جاءكم به يقول فلم تزالوا مرتابين فيما أتاكم به يوسف من عند ربكم غير موقنى القلوب بحقيقته حتى اذا هلك يقول حتى اذا مات يوسف قلتم أيها القوم لن يبعث الله من بعد يوسف اليكم رسولا بالدعاء الى الحق كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب يقول هكذا يصد الله عن اصابة الحق وقصد السبيل من هو كافر به مرتاب شاك فى حقيقة أخبار رسله ﴿ القول

وان كان للعهد وهم فرعون وقومه فظهر كما قص عليك من حديث اغراقهم واستيلاء موسى وقومه على ديارهم قوله (ذرونى أقتل موسى) ظاهره مشعر بأن قومه كانوا يمنعونه من قتله وفيه احتمالات الأول لعله كان فيهم من يعتقد نبوة موسى فيأتى بوجوه الحيل فى منع فرعون الثانى قال الحسن ان أصحابه قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكنه أن يغلب سحرتك وان قتلته أدخلت الشبهة على الناس وقالوا انه كان محقا وعجز واعن جوابه فقتله الثالث لعل مراد أمر ائه أن يكون فرعون مشغول القلب بأمر موسى حتى انهم يكونون فى أمن وسعة قال جار الله ان فرعون كان فيه خب وجريرة وكان قتالا سفاكا للدماء فى أهون شئ فكيف لا يقصد قتل من أحس بأن فى وجوده هدم ملكه وتغيير ما هو عليه من عبادة أصنامه كما قال (انى أخاف أن يبدل) الآية ولكنه كان قد استيقن أنه نبى وكان يخاف انهم بقتله أن يعاجل بالهلاك قال وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه من دعوة ربه وقال غيره هو على سبيل الاستهزاء يعنى ان أقتله فليقل لربه الذى يدعى وجوده حتى يخلصه ومعنى تبديل الدين تغيير عبادة الاصنام كما مر فى الأعراف فى قوله ويذرك وآلهتك والفساد التهارج والتنازع واختلاف الآراء والأهواء

أراد أنه يحدث لا محالة من ابقائه فساد الدين والدنيا جميعا أو أحد الامرين على



القراءتين ثم حكى ما ذكره موسى فى دفع شر فرعون وهو العوذ بالله وفى تصدير الجملة بان دلالة على أن الطريق المعتبر فى دفع الآفات الاستغاثة

والاستعاذة برب الارض والسموات وفى قوله (بربى) اشارة الى أن الذى ربانى والى درجات الخير رقانى سيعصمنى من شر هذا المارد الجانى وفى قوله (وربكم) احتراز عن أن يظن ظان أنه يريد به فرعون لأنه رباه فى صغره ألم نربك فينا وليدا وفيه بعث لقوم موسى على أن يقتدوا به فى الاستعاذة فان اجتماع النفوس له تأثير قوى وفى قوله (من كل متكبر) أى متكبر عن قبول الحق على سبيل العموم فائدتان احداهما شمول الدعاء فيدخل فيه فرعون بالتبعية والثانية أن فرعون زاد فى الصغر فلعله راعى حسن الأدب فى عدم تعيينه وأما وصف المتكبر بقوله (لا يؤمن بيوم الحساب) فلأن الموجب لايذاء الناس أمران أحدهما قسوة القلب والثانى عدم اعتقاد بالجزاء والحساب ولا ريب أنه اذا اجتمع الامران كان الخطب أفظع لاجتماع المقتضى وارتفاع المانع ثم شرع فى قصة مؤمن آل فرعون والأصح أنه كان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا واسمه سمعان أو حبيب أو خربيل وقيل كان اسرائيليا وزيف بأن المؤمنين من بنى اسرائيل لم يعتلوا ولم يعزوا لقوله اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه فما الوجه فى تخصيصه ولقائل أن يقول الوجه تخصيصه بالوعظ والنصيحة الا أن قوله (فمن ينصرنا من بأس الله) وقوله ياقوم على رأس كل نصيحة يغلب على الظن أنه ينتصح لقومه ومعنى (أن يقول) لاجل قوله أو وقت أن يقول كأنه قال منكرا عليهم أترتكبون الفعلة الشنعاء وهى قتل نفس محرمة أى نفس كانت لاجل كلمة حقة وهى قوله (ربى الله) والدليل على حقيتها اظهار الخوارق والمعجزات وفى قوله (من ربكم) استدراج لهم الى الاعتراف بالله ثم احتج عليهم بالتقسيم العقلى أنه لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا على الاول يعود وبال كذبه عليه وعلى الثانى أصابكم ما يتوعدكم به من العقاب واعترض على الشق الاول بأن الكاذب يجب دفع شره بامالته الى الحق أو بقتله ولهذا أجمع العلماء

---

فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم فقوله الذين مردود على من فى قوله من هو مسرف وتأويل الكلام كذلك يضل الله أهل الاسراف والغلو فى ضلالهم بكفرهم بالله واجترائهم على معاصيه المرتابين فى أخبار رسله الذين يخاصمون فى حججه التى أتتهم بها رسله ليدحضوها بالباطل من الحجج بغير سلطان أتاهم يقول بغير حجة أتتهم من عند ربهم يدفعون بها حقيقة الحجج التى أتتهم بها الرسل والذين اذا كان معنى الكلام ماذكرنا فى موضع نصب ردا على من وقوله كبر مقتا عند الله يقول كبر ذلك الجدال الذى يجادلونه فى آيات الله مقتا عند الله وعند الذين آمنوا بالله وانما نصب قوله مقتا لما فى قوله كبر من ضمير الجدال وهو نظير قوله كبرت كلمة تخرج من أفواههم فنصب كلمة من نصبها لانه جعل فى قوله كبرت ضمير قولهم اتخذ الله ولدا وأما من لم يضمر ذلك فانه رفع الكلمة وقوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار يقول كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر على الله أن يوحده ويصدق رسله جبار يعنى متعظم عن اتباع الحق واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار خلا أبى عمرو بن العلاء على كل قلب متكبر باضافة القلب الى المتكبر بمعنى الخبر عن أن الله طبع على قلوب المتكبرين كلها ومن كان ذلك قراءته كان قوله جبار من نعت متكبر وقد روى عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك كذلك يطبع الله على قلب كل متكبر جبار حدثنى بذلك ابن يوسف قال ثنا القاسم قال ثنى حجاج عن هرون أنه كذلك فى حرف ابن مسعود وهذا الذى ذكر عن ابن مسعود من قراءته يحقق قراءة من قرأ ذلك باضافة قلب الى المتكبر لأن تقديم كل قبل القلب وتأخيرها بعده لا يغير المعنى بل معنى ذلك فى الحالتين واحد وقد حكى عن بعض العرب سماعا هو يرجل شعره يوم كل جمعة يعنى كل يوم جمعة وأما أبو عمرو فقرأ ذلك بتنوين القلب وترك اضافته الى متكبر وجعل المتكبر والجبار من صفة القلب * وأولى القراءتين فى ذلك عندى بالصواب قراءة من قرأه باضافة القلب الى المتكبر لأن التكبر فعل الفاعل بقلبه كما أن القاتل اذا قتل قتيلا وان كان قتله بيده فان الفعل مضاف اليه وانما القلب جارحة من جوارح المتكبر وان كان بها التكبر فان الفعل الى فاعله مضاف نظير الذى قلنا فى القتل وذلك وان كان كما قلنا فان الاخرى غير مدفوعة لأن العرب لا تمنع أن تقول بطشت يد فلان ورأت عيناه كذا وفهم قلبه فتضيف الأفعال الى الجوارح وان كانت فى الحقيقة لأصحابها

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال فرعون ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون لما وعظه المؤمن من آله بما وعظه به وزجره عن قتل موسى نبى الله وحذره من بأس الله على قيله أقتاله ما حذره لوزيره وزير السوء هامان ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب يعنى بناء وقد بينا معنى الصرح فيما مضى بشواهده بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع لعلى أبلغ الأسباب اختلف أهل التأويل فى معنى الاسباب فى هذا الموضع فقال بعضهم أسباب السموات طرقها ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن هشام

على أن الزنديق الذى يدعو الناس الى دينه يجب قتله وعلى الشق الثانى بأنه أوعدهم بأشياء والنبى صادق فى مقالته لامحالة فلم قال يصبكم بعض الذى يعدكم ولم يقل كل الذى والجواب عن الاول أنه انما تردد بين الامرين بناء على أن أمره مشكوك فيما بينهم والزمان زمان الفترة والحيرة فأين هذا من زماننا الذى وضح الحق فيه وضوح الفجر الصادق بل ظهور الشمس فى ضحوة النهار وعن الثانى أنه من كلام المنصف كأنه قال ان لم يصبكم كل ما أوعدكم فلا أقل من أن يصيبكم بعضه أو أراد عذاب الدنيا وكان موسى أوعدهم عذاب الدنيا والآخرة جميعا وعن أبى عبيدة أن البعض ههنا بمعنى الكل وأنشد قول لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها
أو يرتبط بعض النفوس حمامها

وخطأه جار الله وكثير من أهل العربية وقالوا انه أراد ببعض النفوس نفسه فقط ثم أكد حقية أمر موسى بقوله (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) وقد هداه الله الى المعجزات الباهرة فهو اذن ليس بمجاوز عن حد الاعتدال ولا بكذاب وقيل انه كلام مستأنف من الله عز وجل وفيه تعريض بأن فرعون مسرف فى عزمه على قتل موسى كذاب فى ادعاء الالهية فلا يهديه الله الى شئ من خيرات الدارين ويزيل ملكه ويدفع شره وقد يلوح من هذه النصيحة وما يتلوها من المواعظ أن مؤمن آل فرعون كان يكتم ايمانه الى أن قصدوا قتل موسى وعند ذلك أظهر الايمان وترك التقية مجاهدا فى سبيل الله بلسانه ثم ذكرهم نعمة الله عليهم وخوفهم زوالها بقوله (يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض) أى غالبين على أرض مصر ومن فيها من بنى اسرائيل والقبط (فمن ينصرنا من بأس الله) من يخلصنا من عذابه (ان جاءنا) وذلك لشؤم تكذيب نبيه (قال فرعون ما أريكم الا ما أرى) أى ما أشير عليكم برأى الا ما أرى من قبله (وما أهديكم) بهذا الرأى (الا سبيل الرشاد) وصلاح الدين والدنيا أو ما أعلمكم من الصواب ولا أسر خلاف ما أظهر قال جار الله

---

هشام قال ثنا عبد الله بن موسى عن اسرائيل عن السدى عن أبى صالح أسباب السموات قال طرق السموات حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أبلغ الاسباب أسباب السموات قال طرق السموات * وقال آخرون عنى بأسباب السموات أبواب السموات ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا وكان أول من بنى بهذا الآجر وطبخه لعلى ابلغ الاسباب اسباب السموات أى أبواب السموات * وقال آخرون بل عنى به منزل السماء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات قال منزل السماء وقد بينا فيما مضى قبل أن السبب هو كل ما تسبب به الى الوصول الى ما يطلب من حبل وسلم وطريق وغير ذلك * فأولى الأقوال بالصواب فى ذلك أن يقال معناه لعلى أبلغ من أسباب السموات أسبابا أتسبب بها الى رؤية اله موسى طرقا كانت تلك الأسباب منها أو أبوابا أو منازل أو غير ذلك وقوله فأطلع الى اله موسى اختلفت القراء فى قراءة قوله فأطلع فقرأت ذلك عامة قراء الامصار فأطلع بضم العين ردّا على قوله أبلغ الأسباب وعطفا به عليه وذكر عن حميد الأعرج أنه قرأ فأطلع نصبا جوابا للعلى وقد ذكر الفراء أن بعض العرب أنشده

على صروف الدهر أو دولاتها * يديلننا اللمة من لماتها * فتستريح النفس من زفراتها

فنصب فتستريح على أنها جواب للعل والقراءة التى لا أستجيز غيرها الرفع فى ذلك لاجماع الحجة من القراء عليه وقوله وانى لأظنه كاذبا يقول وانى لأظن موسى كاذبا فيما يقول ويدّعى من أنه فى السماء ربا أرسله الينا وقوله وكذلك زين لفرعون سوء عمله يقول الله تعالى ذكره وهكذا زين الله لفرعون حين عتا عليه وتمرد قبيح عمله حتى سوّلت له نفسه بلوغ أسباب السموات ليطلع الى اله موسى وقوله وصدّ عن السبيل اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة وصدّ عن السبيل بضم الصاد على وجه ما لم يسم فاعله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وصدّ عن السبيل قال فعل ذلك به زين له سوء عمله وصدّ عن السبيل وقرأ ذلك حميد وأبو عمرو وعامة قراء البصرة وصدّ بفتح الصاد بمعنى وأعرض فرعون عن سبيل الله التى ابتعث بها موسى استكبارا * والصواب من القول فى ذلك أن يقال انهما قراءتان معروفتان فى قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله وما كيد فرعون الا فى تباب يقول تعالى ذكره وما احتيال فرعون الذى يحتال للاطلاع الى اله موسى الا فى خسار وذهاب مال وغبن لانه ذهبت نفقته التى أنفقها على الصرح باطلا ولم ينل بما أنفق شيأ مما أراده فذلك هو الخسار والتباب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما كيد فرعون الا فى تباب يقول فى خسران حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى تباب قال خسار حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كيد فرعون الا فى تباب أى فى ضلال وخسار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وما كيد

وقد كذب فقد كان مستشعرا الخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد وحكى أبو الليث أن الرشاد اسم من أسماء أصنامه قوله (مثل دأب) قال جار الله صاحب الكشاف لابد من  حذف مضاف أى مثل جزاء دأبهم وهو عادتهم المستمرة فى الكفر والتكذيب ثم قال انه عطف بيان للاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى أعلام فسرى ذلك الحكم الى أول المضافات قلت لا بأس من جعله بدلا كما مر وقوله (وما الله يريد ظلما للعباد) أبلغ من قوله وما ربك بظلام للعبيد لأن نفى الارادة آكد من نفى الفعل ولتنكير الظلم فى سياق النفى وفيه أن تدميرهم كان عدلا وقسطا وقيل معناه أنه لا يريد لهم أن يظلموا فدمرهم لكونهم ظالمين وحين خوفهم عذاب الدنيا خوفهم عذاب الآخرة أيضا فقال (ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد) أما اليوم فيمكن انتصابه على الظرفية كأنه أخبر عن خوفه فى ذلك اليوم لما يلحقهم من العذاب والاولى أن يكون مفعولا به أى أحذركم عذاب ذلك اليوم وفى تسمية يوم القيامة يوم التناد وجوه منها أن أهل الجنة ينادون أهل النار وبالعكس كما مر فى سورة الاعراف ومنها أنه من قوله يوم ندعو كل أناس بامامهم ومنها أن بعض الظالمين ينادى بعضا بالويل والثبور قائلين يا ويلنا ومنها أنهم ينادون الى المحشر ومنها أنه ينادى المؤمن هاؤم اقرؤا كتابيه والكافر يا ليتنى لم أوت كتابيه ومنها أنه يجاء بالموت على صورة كبش أملح ثم يذبح وينادى فى أهل القيامة لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا على فرح وأهل النار حزنا على حزن وقال أبو على الفارسى التناد مخفف من التناد مشددا وأصله من ند اذا هرب نظيره يوم يفر المرء من أخيه وأمه الخ اياه ويؤيده قراءة ابن عباس مشددا وتفسيره بأنهم يندون كما تند الابل وقوله بعد ذلك (يوم تولون مدبرين) أنهم اذا سمعوا زفير النار ندوا هاربين

فرعون الا فى تباب قال التباب والضلال واحد ﴿ القول فى تأويل قوله ﴿ وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن المؤمن بالله من آل فرعون وقال الذى آمن من قوم فرعون لقومه يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يقول ان اتبعتمونى فقبلتم منى ما أقول لكم بينت لكم طريق الصواب الذى ترشدون اذا أخذتم فيه وسلكتموه وذلك هو دين الله الذى ابتعث به موسى يقول انما هذه الحياة الدنيا متاع يقول لقومه ما هذه الحياة الدنيا العاجلة التى عجلت لكم فى هذه الدار الا متاع تستمتعون بها الى أجل أنتم بالغوه ثم تموتون وتزول عنكم وان الآخرة هى دار القرار يقول وان الدار الآخرة هى دار القرار التى تستقرون فيها فلا تموتون ولا تزول عنكم يقول فلها فاعملوا وإياها فاطلبوا * وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله وان الآخرة هى دار القرار قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وان الآخرة هى دار القرار استقرت الجنة بأهلها واستقرت النار بأهلها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ يقول من عمل بمعصية الله فى هذه الحياة الدنيا فلا يجزيه الله فى الآخرة الا سيئة مثلها وذلك أن يعاقبه بها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى يقول ومن عمل بطاعة الله فى الدنيا وأتمر لأمره وانتهى فيها عما نهاه عنه من رجل أو امرأة وهو مؤمن بالله فأولئك يدخلون الجنة يقول فالذين يعملون ذلك من عباد الله يدخلون فى الآخرة الجنة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها أى شركا السيئة عند قتادة شرك ومن عمل صالحا أى خيرا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن وقوله يرزقون فيها بغير حساب يقول يرزقهم الله فى الجنة من ثمارها وما فيها من نعيمها ولذاتها بغير حساب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يرزقون فيها بغير حساب قال لا والله ما هناكم مكيال ولا ميزان ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل هذا المؤمن لقومه من الكفرة مالى أدعوكم الى النجاة من عذاب الله وعقوبته بالايمان به واتباع رسوله موسى وتصديقه فيما جاءكم به من عند ربه وتدعوننى الى النار يقول وتدعوننى الى عمل أهل النار * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله مالى أدعوكم الى النجاة قال الايمان بالله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار قال هذا مؤمن آل فرعون قال يدعونه الى دينهم والاقامة معهم وقوله تدعوننى لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لى به علم يقول وأشرك بالله فى عبادته أوثانا لست أعلم أنه يصلح لى عبادتها واشراكها فى عبادة الله لأن الله لم يأذن لى فى ذلك بخبر ولا عقل وقوله وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار يقول وأنا أدعوكم الى عبادة العزيز فى انتقامه ممن كفر به الذى لا يمنعه اذا انتقم من عدو له شئ الغفار لمن تاب اليه بعد معصيته

فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فيرجعون الى المكان الذى كانوا فيه وقال قتادة معنى تولون مدبرين انصرافهم عن موقف الحساب الى النار ثم أكد التهديد بقوله (مالكم من الله) الآية ثم ذكر مثالا (٤٥) لمن لا يهديه الله بعد اضلاله وهو قوله (ولقد جاءكم يوسف) وفيه أقوال ثلاثة أحدها أنه يوسف بن يعقوب وفرعون موسى هو فرعون يوسف والبينات اشارة الى ما روى أنه مات لفرعون فرس قيمته ألوف فدعا يوسف فأحياه الله وأيضا كسفت الشمس فدعا يوسف فكشفها الله ومعجزاته فى باب تعبير الرؤيا مشهورة فآمن فرعون ثم عاد الى الكفر بعد مات يوسف والثانى هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم عشرين سنة قاله ابن عباس وقال النقاش فى تفسيره ان الله بعث اليهم رسولا من الجن اسمه يوسف وأورده أقضى القضاة أيضا وفيه بعد قال المفسرون فى قوله (لن يبعث الله من بعده رسولا) ليس اشارة الى أنهم صدقوا يوسف لقوله (فما زلتم فى شك) وانما الغرض بيان أن تكذيبهم لموسى مضموم الى تكذيب يوسف ولهذا ختم الآية بقوله (كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب) قلت هذا انما يصح اذا لم يكن فرعون يوسف قد آمن به لكنه مروى كما قلنا اللهم الا أن يقال لولا شكه فى امره لما كفر بعد موته قال جار الله فاعل كبر ضمير عائد الى من هو مسرف لانه موحد اللفظ وان كان مجموع المعنى وجوز أن يكون الذين يجادلون مبتدأ على تقدير حذف المضاف أى جدال الذين يجادلون كبر وجوز آخرون أن يكون التقدير الذين يجادلون كبر جدالهم على حذف الفاعل للقرينة وفى قوله (وعند الذين آمنوا) اشارة الى أن شهادة المؤمنين عند الله بمكان حتى قرنها الى شهادة نفسه والمقصود التعجب والاستعظام لجدالهم وخروجه عن حد أشكاله من الكبائر ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما أو باعتبار صاحبه ومن قرأ بالاضافة فظاهر الا أنه قيل فيه قلب والاصل على قلب

---

اياه لعفوه عنه فلا يضره شئ مع عفوه عنه يقول فهذا الذى هذه الصفة صفته فاعبدوا لا ما لا ضر عنده ولا نفع ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿لا جرم أنما تدعونني اليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار﴾ يقول حقا أن الذى تدعونى اليه من الأوثان ليس له دعاء فى الدنيا ولا فى الآخرة لأنه جماد لا ينطق ولا يفهم شيأ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ليس له دعوة فى الدنيا قال الوثن ليس بشئ حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة أى لا ينفع ولا يضر حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة (١) وقوله وأن مردنا الى الله يقول وأن مرجعنا ومنقلبنا بعد مماتنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار يقول وأن المشركين بالله المتعدين حدوده القتلة النفوس التى حرم الله قتلها هم أصحاب نار جهنم عند مرجعنا الى الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى معنى المسرفين فى هذا الموضع فقال بعضهم هم سفاكو الدماء بغير حقها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبى بزة عن مجاهد فى قوله وأن المسرفين هم أصحاب النار قال السفاكون الدماء بغير حقها حدثنا على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد فى قول الله وأن المسرفين هم أصحاب النار قال هم السفاكون الدماء بغير حقها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وأن المسرفين قال السفاكون الدماء بغير حقها هم أصحاب النار حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأن المسرفين هم أصحاب النار قال سماهم الله مسرفين فرعون ومن معه * وقال آخرون هم المشركون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأن المسرفين هم أصحاب النار أى المشركون وقد بينا معنى الاسراف فيما مضى قبل بما فيه الكفاية من اعادته فى هذا الموضع وانما اخترنا فى تأويل ذلك فى هذا الموضع ما اخترنا لأن قائل هذا القول لفرعون وقومه انما قصد فرعون به لكفره وما كان هم به من قتل موسى وكان فرعون عاليا عاتيا فى كفره بالله سفاكا للدماء التى كان محرما عليه سفكها وكل ذلك من الاسراف فلذلك اخترنا ما اخترنا من التأويل فى ذلك ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ﴿فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل المؤمن من آل فرعون لفرعون وقومه فستذكرون أيها القوم اذا عاينتم عقاب الله قد حل بكم وما لقيتموه لقيتم صدق ما أقول وحقيقة ما أخبركم به من أن المسرفين هم أصحاب النار كما حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فستذكرون

---

(١) سقط التفسير من قلم الناسخ والذى فى ابن كثير عنه لا يجيب داعيه لا فى الدنيا ولا فى الآخرة اه

كل متكبر كما يقال فلان يصوم كل يوم جمعة اى يوم كل جمعة ثم اخبر الله سبحانه عن بناء فرعون ليطلع على السماء وقد تقدم ذكره فى سورة القصص قال أهل اللغة الصرح مشتق من التصريح (٤٦) الاظهار وأسباب السموات طرقها كما مر فى أول ص فليرتقوا فى الاسباب

ما أقول لكم فقلت له أو ذلك فى الآخرة قال نعم وقوله وأفوض أمرى الى الله يقول وأسلم أمرى الى الله وأجعله اليه وأتوكل عليه فانه الكافى من توكل عليه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأفوض أمرى الى الله قال أجعل أمرى الى الله وقوله ان الله بصير بالعباد يقول ان الله عالم بامور عباده ومن المطيع منهم والعاصى له والمستحق جميل الثواب والمستوجب سيئ العقاب وقوله فوقاه الله سيئات ما مكروا يقول تعالى ذكره فدفع الله عن هذا المؤمن من آل فرعون بايمانه وتصديق رسوله موسى مكروه ما كان فرعون ينال به أهل الخلاف عليه من العذاب والبلاء فنجاه منه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله سيئات ما مكروا قال وكان قبطيا من قوم فرعون فنجا مع موسى قال وذكر لنا أنه بين يدى موسى يومئذ يسير ويقول أين أمرت يا نبى الله فيقول أمامك فيقول له المؤمن وهل أمامى الا البحر فيقول موسى لا والله ما كذبت ولا كذبت ثم يسير ساعة ويقول أين أمرت يا نبى الله فيقول أمامك فيقول وهل أمامى الا البحر فيقول لا والله ما كذبت ولا كذبت حتى أتى على البحر فضربه بعصاه فانفلق اثنى عشر طريقا لكل سبط طريق وقوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب يقول وحل بآل فرعون ووجب عليهم وعنى بآل فرعون فى هذا الموضع تباعه وأهل طاعته من قومه كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قول الله وحاق بآل فرعون سوء العذاب قال قوم فرعون وعنى بقوله سوء العذاب ما ساءهم من عذاب الله وذلك نار جهنم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ يقول تعالى ذكره مبينا عن سوء العذاب الذى حل بهؤلاء الاشقياء من قوم فرعون ذلك الذى حاق بهم من سوء عذاب الله النار يعرضون عليها انهم لما هلكوا وغرقهم الله جعلت أرواحهم فى أجواف طير سود فهى تعرض على النار كل يوم مرتين غدوا وعشيا الى أن تقوم الساعة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى قيس عن الهذيل بن شرحبيل قال أرواح آل فرعون فى أجواف طير سود تغدو وتروح على النار وذلك عرضها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال بلغنى أن أرواح قوم فرعون فى أجواف طير سود تعرض على النار غدوا وعشيا حتى تقوم الساعة حدثنا عبد الكريم بن أبى عمير قال ثنا حماد بن محمد الفزارى البلخى قال سمعت الاوزاعى وسأله رجل فقال رحمك الله رأينا طيورا تخرج من البحر تأخذ ناحية الغرب بيضا فوجا فوجا لا يعلم عددها الا الله فاذا كان العشى رجع مثلها سودا قال وفطنتم الى ذلك قالوا نعم قال ان تلك الطير فى حواصلها أرواح آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا فترجع الى وكورها وقد احترقت ريشها وصارت سودا فتنبت عليها من الليل ريش بيض وتتناثر السود ثم تغدو يعرضون على النار غدوا وعشيا ثم ترجع الى وكورها فذلك دأبها فى الدنيا فاذا كان يوم القيامة قال الله أدخلوا آل فرعون أشد العذاب قالوا وكانوا يقولون انهم ستمائة ألف مقاتل حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى حرملة عن سليمن بن حميد قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول ليس فى الآخرة ليل ولا نصف نهار وانما هو بكرة وعشى

فائدة بناء الكلام على الابدال هى فائدة الاجمال ثم التفصيل والابهام ثم التوضيح من تشويق السامع وغيره من قرأ فأطلع بالرفع فعلى العطف أى لعلى أبلغ فأطلع ومن قرأ بالنصب فعلى تشبيه الترجى بالتمنى والتباب الخسران والهلاك كما مر فى قوله وما زادوهم غير تتبيب استدل كثير من المشبهة بالآية على أن الله فى السماء قالوا ان بديهة فرعون قد شهدت بأنه فى ذلك الصوب وأنه سمع من موسى أنه يصف الله بذلك والا لما رام بناء الصرح والجواب أن بديهة فرعون لا حجة فيها وسماعه ذلك من موسى ممنوع وقد يطعن بعض اليهود ويل كلهم فى الآية بأن تواريخ بنى اسرائيل تدل على أن هامان لم يكن موجودا فى زمان موسى وفرعون وانما ولد بعدهما بزمان طويل ولو كان مثل هذا الشخص موجودا فى عصرهما لنقل لتوفرت الدواعى على نقله والجواب أن الطعن بتاريخ اليهود المنقطع الوسط لكثرة زمان الفترة أولى من الطعن فى القرآن المعجز المتواتر أولا ووسطا وآخرا ثم عاد سبحانه الى حكاية قول المؤمن وأنه أجمل النصيحة أولا بقوله اتبعون أهدكم ثم استأنف مفصلا قائلا (انما هذه الحياة الدنيا متاع) يتمتع به أياما قلائل ثم يترك عند الموت ان لم يزل نعيمها قبل ذلك (وان الآخرة هى دار القرار) المنزل الذى يستقر فيه ثم بين أنه كيف تحصل المجازاة فى الآخرة وفيه اشارة الى أن جانب الرحمة أرجح ومعنى الرزق بغير حساب أنه لا نهاية لذلك الثواب أو أنه يعطى بعد الجزاء وذلك شيئا زائدا على سبيل التفضل غير مندرج تحت الحساب ثم صرح بأنهم يدعونه الى النار وهو يدعوهم الى الخلاص عنها وفسر هذه الجملة بقوله

(تدعونني لأكفر بالله) الآية ليعلم أن الشرك بالله أعظم موجبات النار والتوحيد ضده وفي قوله مالي أدعوكم من غير أن يقول مالكم مع أن الانكار يتوجه في الحقيقة الى دعائهم لا الى المجموع ولا الى دعائه سلوك  لطريق الانصاف ووجه تخصيص العزيز الغفار بالمقام أنه غالب على من أشرك به غفور لمن تاب عن كفره قوله (لا جرم) لا رد لكلامهم و جرم بمعنى كسب أو وجب أولا بد وقد سبق في هود والنحل ومعنى (ليس له دعوة) أنه لا يقدر في الدنيا على أن يدعو الناس الى نفسه لانه جماد ولا في الآخرة لانه اذا أنطقه الله فيها تبرأ من عابديه ويجوز أن يكون على حذف المضاف أي ليس له استجابة دعوة كقوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء عن قتادة المسرفين هم المشركون ومجاهد السفاكون للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم وقيل الذين جاوزوا في المعصية حد الاعتدال كالمداوم والاصرار وكيفما بالشناعة وخلع العذار (فستذكرون) أي في الدنيا عند حلول العذاب أو في الآخرة عند دخول النار (وأفوض أمري الى الله) قاله لأنهم توعدوه وفيه وفي قوله (فوقاه الله) دليل واضح على أنه أظهر الايمان وقت هذه النصائح قال مقاتل لما تم هذه الكلمات قصدوا قتله فهرب منهم الى الجبل فطلبوه فلم يقدروا عليه قوله (وحاق بآل فرعون) معناه أنه رجع وبال مكرهم عليهم فأغرقوا ثم أدخلوا نارا ولا يلزم منه أن يكونوا قد هموا بايصال مثل هذا السوء اليه ولئن سلم أن الجزاء يلزم فيه المماثلة لعل فرعون قد هم باغراقه أو باحراقه كما فعل نمرود قوله (يعرضون عليها) أي يحرقون بها

وذلك في القرآن في آل فرعون يعرضون عليها غدوا وعشيا وكذلك قال لأهل الجنة لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا * وقيل عني بذلك أنهم يعرضون على منازلهم في النار تعذيبا لهم غدوا وعشيا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة النار يعرضون عليها غدوا وعشيا قال يعرضون عليها صباحا ومساء يقال لهم يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا ونقمة وصغارا لهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله غدوا وعشيا قال ما كانت الدنيا * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أن آل فرعون يعرضون على النار غدوا وعشيا وجائز أن يكون ذلك العرض على النار على نحو ما ذكرناه عن الهذيل ومن قال مثل قوله وأن يكون كما قال قتادة ولا خبر يوجب الحجة بأن ذلك المعنى به فلا في ذلك الا ما دل عليه ظاهر القرآن وهو أنهم يعرضون على النار غدوا وعشيا وأصل الغدو والعشي مصادر جعلت أوقاتا وكان بعض نحويي البصرة يقول في ذلك انما هو مصدر كما تقول أتيته ظلاما جعله ظرفا وهو مصدر قال ولو قلت موعدك غدوة أو موعدك ظلام فرفعته كما تقول موعدك يوم الجمعة لم يحسن لان هذه المصادر وما أشبهها من نحو سحر لا تجعل الا ظرفا قال والظرف كله ليس بمتمكن وقال نحوي الكوفة لم يسمع في هذه الاوقات وان كانت مصادر الا التعريب موعدك يوم موعدك صباح ورواح كما قال جل ثناؤه غدوها شهر ورواحها شهر فرفع وذكروا أنهم سمعوا انما الطيلسان شهران قالوا ولم يسمع في الاوقات النكرات الا الرفع الا قولهم انما سخاؤك أحيانا وقالوا انما جاز ذلك لانه بمعنى انما سخاؤك الحين بعد الحين فلما كان تأويله الاضافة نصب وقوله ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم وأبي عمرو ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون بفتح الألف من أدخلوا في الوصل والقطع بمعنى الامر بادخالهم النار واذا قرئ ذلك كذلك كان الآل نصبا بوقوع أدخلوا عليه وقرأ ذلك عاصم وأبو عمرو ويوم تقوم الساعة ادخلوا بوصل الالف وسقوطها في الوصل من اللفظ وبضمها اذا ابتدئ بعد الوقف على الساعة ومن قرأ ذلك كذلك كان الآل على قراءته نصبا بالنداء لان معنى الكلام على قراءته ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب * والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال انهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى قد قرأ بكل واحدة منهما جماعة من القراء فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فمعنى الكلام اذا ويوم تقوم الساعة يقال لآل فرعون ادخلوا يا آل فرعون أشد العذاب فهذا على قراءة من وصل الالف من ادخلوا ولم يقطع ومعناه على القراءة الاخرى ويوم تقوم الساعة يقول الله للملائكته أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين واذ يتحاجون في النار يقول واذ يتخاصمون في النار وعني بذلك اذ يتخاصم الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بانذارهم من مشركي قومه في النار فيقول الضعفاء منهم وهم المتبعون على الشرك بالله انا كنا لكم تبعا تقول لرؤسائهم الذين اتبعوهم على الضلالة انا كنا لكم في الدنيا تبعا على الكفر بالله فهل

يقال عرض الامام الاساري على السيف اذا قتلهم به وقوله (غدوا وعشيا) اما للدوام كما مر في صفة أهل الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا واما لانه اكتفى في القبر بايصال العذاب اليهم في هذين الوقتين وفي سائر الاوقات اما أن يبقى أثر ذلك وألمه عليهم واما أن يكون فترة

أنتم مغنون اليوم عنا نصيبا من النار يعنون حظا فتخففونه عنا فقد كنا نسارع فى محبتكم فى الدنيا ومن قبلكم أتينا لولا أنتم لكنا فى الدنيا مؤمنين فلم يصبنا اليوم هذا البلاء والتبع يكون واحدا وجماعة فى قول بعض نحويى البصرة وفى قول بعض نحويى الكوفة جمع لا واحد له لانه كالمصدر قال وان شئت كان واحده تابع فيكون مثل خائل وخول وغائب وغيب * والصواب من القول فى ذلك عندى أنه جمع واحده تابع وقد يجوز أن يكون واحدا فيكون جمعه أتباع فأجابهم المتبوعون بما أخبر الله عنهم قال الذين استكبروا وهم الرؤساء المتبوعون على الضلالة فى الدنيا انا أيها القوم وأنتم كلنا فى هذه النار مخلدون لا خلاص لنا منها ان الله قد حكم بين العباد بفصل قضائه فأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار فلا نحن مما نحن فيه من البلاء خارجون ولا هم مما هم فيه من النعيم منتقلون ورفع قوله كل بقوله فيها ولم ينصب على النعت وقد اختلف فى جواز النصب فى ذلك فى الكلام وكان بعض نحويى البصرة يقول اذا لم يضف كل لم يجز الاتباع وكان بعض نحويى الكوفة يقول ذلك جائز فى الحذف وغير الحذف لان أسماءها اذا حذفت اكتفى بها منها وقد بينا الصواب من القول فى ذلك فيما مضى بما أغنى عن اعادته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا ومادعاء الكافرين الا فى ضلال﴾ يقول تعالى ذكره وقال أهل جهنم لخزنتها وقوامها استغاثة بهم من عظيم ما هم فيه من البلاء ورجاء أن يجدوا من عندهم فرجا ادعوا ربكم لنا يخفف عنا يوما واحدا يعنى قدر يوم واحد من أيام الدنيا من العذاب الذى نحن فيه وانما قلنا معنى ذلك قدر يوم من أيام الدنيا لأن الآخرة يوم لا ليل فيه فيقال خفف عنهم يوما واحدا وقوله قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات يقول تعالى ذكره قالت خزنة جهنم لهم أولم تك تأتيكم فى الدنيا رسلكم بالبينات من الحجج على توحيد الله فتوحدوه وتؤمنوا به وتتبرؤا مما دونه من الآلهة قالوا بلى قد أتتنا رسلنا بذلك وقوله قالوا فادعوا يقول جل ثناؤه قالت الخزنة لهم فادعوا اذا ربكم الذى أتتكم الرسل بالدعاء الى الايمان به وقوله ومادعاء الكافرين الا فى ضلال يقول قد دعوا ومادعاؤهم الا فى ضلال لانه دعاء لا ينفعهم ولا يستجاب لهم بل يقال لهم اخسؤا فيها ولا تكلمون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ يقول القائل وما معنى انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا وقد علمنا أن منهم من قتله أعداؤه ومثلوا به كشعياء ويحيى بن زكريا وأشباههما ومنهم من هم بقتله قومه فكان أحسن أحواله أن يخلص منهم حتى فارقهم ناجيا بنفسه كابراهيم الذى هاجر الى الشام من أرضه مفارقا لقومه وعيسى الذى رفع الى السماء اذ أراد قومه قتله فأين النصرة التى أخبرنا أنه ينصرها رسله والمؤمنين به فى الحياة الدنيا وهؤلاء أنبياؤه قد نالهم من قومهم ما قد علمت وما نصروا على من نالهم بما نالهم به قيل ان لقوله انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا وجهين كلاهما صحيح معناه أحدهما أن يكون معناه انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا اما بانجاز اعلائنا هم على من كذبنا واظفارنا هم بهم حتى يقهروهم غلبة ويذلوهم بالظفر ذلة كالذى فعل من ذلك بداود وسليمن فأعطاهما من الملك والسلطان ما قهرا به كل كافر وكالذى فعل بمحمد صلى الله عليه وسلم باظهاره على من كذبه من قومه واما بانتقامنا ممن حاد الله

عن الظاهر من غير دليل ولما انجر الكلام الى شرح أحوال أهل النار عقبه بذكر المناظرات التى تجرى فيما بين الرؤساء والأتباع والمعنى اذكر يا محمد وقت تخاجهم وقدر نظير ذلك مرارا وفى قولهم (ان الله قد حكم بين العباد) أى قضى لكل فريق بما يستحقه اشارة الى الاقناط الكلى ولهذا رجوا من حاجة المتبوعين الى الالتماس من خزنة النار أن يدعوا الله بتخفيف العذاب عنهم زمانا قال المفسرون انما لم يقل لخزنتها لان جهنم اسم لقعر النار فكأن لخزنتها قربا من الله وهم أعظم درجة من سائر الخزنة فلذلك خصوهم بالخطاب أما قول الخزنة لهم (فادعوا) ودعاء الكافر لا يسمع فالمراد به التوبيخ والتنبيه على اليأس كأنهم قالوا الشفاعة مشروطة بشيئين كون المشفوع له مؤمنا والشافع مأذونا له فيها والامران ههنا مفقودان على أن الحجة قد لزمتهم والبينة ألجأتهم ثم أكدوا ذلك بقولهم (ومادعاء الكافرين الا فى ضلال) أى لا أثر له البتة ﴿انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لاولى الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر وشاقهم الناس لا يعلمون وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون ان الساعة لآتية لا ريب فيها

ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين الله الذى
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن (٤٩) أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق

وشاقهم بإهلاكهم وانجاء الرسل ممن كذبهم وعاداهم كالذى فعل تعالى ذكره بنوح وقومه من
تغريق قومه وانجائه منهم وكالذى فعل بموسى وفرعون وقومه اذ أهلكهم غرقا ونجى موسى
ومن آمن به من بنى اسرائيل وغيرهم ونحو ذلك أو بانتقامنا فى الحياة الدنيا من مكذبيهم بعد وفاة
رسولنا من بعد مهلكهم كالذى فعلنا من نصرتنا شعياء بعد مهلكه بتسليطنا على قتلته من
سلطنا حتى انتصرنا بهم من قتلته وكفعلنا بقتلة يحيى من تسليطنا بختنصر عليهم حتى انتصرنا به
من قتلته له وكانتصارنا لعيسى من مريدى قتله بالروم حتى أهلكناهم بهم فهذا أحد وجهيه وقد
كان بعض أهل التأويل يوجه معنى ذلك الى هذا الوجه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد
ابن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قول الله انا لننصر رسلنا والذين
آمنوا فى الحياة الدنيا قد كانت الأنبياء والمؤمنون يقتلون فى الدنيا وهم منصورون وذلك أن تلك
الأمة التى تفعل ذلك بالانبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوما فينتصر بهم لأولئك الذين
قتلوا منهم والوجه الآخر أن يكون هذا الكلام على وجه الخبر عن الجميع من الرسل والمؤمنين
والمراد واحد فيكون تأويل الكلام حينئذ انا لننصر رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم والذين آمنوا به
فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد كما بينا فيما مضى أن العرب تخرج الخبر بلفظ الجميع والمراد
واحد اذا لم تنصب لخبر شخصا بعينه واختلفت القراء فى قراءة قوله ويوم يقوم الاشهاد يوم لا ينفع
الظالمين معذرتهم فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والكوفة ويوم يقوم بالياء وينفع أيضا بالياء وقرأ ذلك
بعض أهل مكة وبعض قراء البصرة تقوم بالتاء وتنفع بالتاء * والصواب من القول فى ذلك أنهما
قراءتان معروفتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد بينا فيما مضى أن العرب تذكر فعل
جمع الرجل وتؤنث اذا تقدم بما أغنى عن اعادته وعنى بقوله ويوم يقوم الأشهاد يوم يقوم الأشهاد
من الملائكة والانبياء والمؤمنين على الامم المكذبة رسلها بالشهادة بأن الرسل قد بلغتهم رسالات
ربهم وأن الامم كذبتهم والأشهاد جمع شهيد كالأشراف جمع شريف * وبنحو الذى قلنا فى
ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة ويوم يقوم الاشهاد من ملائكة الله وأنبيائه والمؤمنين به حدثنا محمد قال ثنا
أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ويوم يقوم الاشهاد يوم القيامة حدثنا ابن بشار
قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الأعمش عن مجاهد فى قول الله ويوم يقوم الاشهاد قال
الملائكة وقوله لا ينفع الظالمين معذرتهم يقول تعالى ذكره ذلك يوم لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم
لأنهم لا يعتذرون ان اعتذروا الا بباطل وذلك أن الله قد أعذر اليهم فى الدنيا وتابع عليهم الحجج
فيها فلا حجة لهم فى الآخرة الا الاعتصام بالكذب بأن يقولوا والله ربنا ما كنا مشركين وقوله ولهم
اللعنة يقول وللظالمين اللعنة وهى البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار يقول ولهم مع اللعنة من الله
شر مما فى الدار الآخرة وهو العذاب الأليم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى
الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب فاصبر ان وعد الله حق
واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى البيان
للحق الذى بعثناه به كما آتيناذلك محمدا فكذب به فرعون وقومه كما كذبت قريش محمدا وأورثنا

كل شئ لا اله الا هو فأنى تؤفكون
كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله
يجحدون الله الذى جعل لكم
الارض قرارا والسماء بناء وصوركم
فأحسن صوركم ورزقكم من
الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله
رب العالمين هو الحى لا اله الا هو
فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله
رب العالمين قل انى نهيت أن أعبد
الذين تدعون من دون الله لما جاءنى
البينات من ربى وأمرت أن أسلم
لرب العالمين هو الذى خلقكم
من تراب ثم من نطفة ثم من علقة
ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم
ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى
من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم
تعقلون هو الذى يحيى ويميت
فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن
فيكون ألم تر الى الذين يجادلون
فى آيات الله أنى يصرفون الذين
كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا
فسوف يعلمون اذ الاغلال
فى أعناقهم والسلاسل يسحبون
فى الحميم ثم فى النار يسجرون ثم قيل
لهم أين ما كنتم تشركون من دون الله
قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من
قبل شيئا كذلك يضل الله الكافرين
ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض
بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا
أبواب جهنم خالدين فيها فبئس
مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد الله
حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم
أو نتوفينك فالينا يرجعون ولقد
أرسلنا رسلا من قبلك منهم من
قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص

عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك
المبطلون الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون

ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون ﴿ القراآت ﴾ لا ينفع على التذكير نافع وحمزة وعلى وخلف وعاصم تتذكرون بتاء الخطاب عاصم وحمزة وعلى وخلف ادعونى أستجب بفتح الياء ابن كثير سيدخلون من الادخال مجهولا ابن كثير ويزيد وعباس ورويس وحماد وأبو بكر غير الشموني شيوخا بكسر الشين ابن كثير وابن عامر وحمزة وعلى وهبيرة والأعشى ويحيى وحماد ﴿ الوقوف ﴾ الأشهاد ه لا لأن يوم بدل من الاول الدار ه الكتاب ه لا الألباب ه والابكار ه أتاهم لا لأن مابعده خبر ان ماهم ببالغيه ج لاختلاف الجملتين بالله ط البصير ه لا يعلمون ه ولا المسيء ط تتذكرون ه لا يؤمنون ه أستجب لكم ط داخرين ه مبصرا ط لا يشكرون ه شئ لا لئلا يوهم أن مابعده صفة شئ وخطؤه ظاهر الاهوز لابتداء الاستفهام ورجحان الوصل لفاء التعقيب ولتمام مقصود الكلام تؤفكون ه يجحدون ه الطيبات ط العالمين ه الدين ه العالمين ه شيوخا ج لاختلاف الجملتين تعقلون ه وليمت ج لأجل الفاء مع الشرط فيكون ه فى آيات الله ط لانتهاء الاستفهام وابتداء آخر يصرفون ه ج لاحتمال كون الذين بدلا من الضمير فى يصرفون رسلنا قف ان لم تقف على يصرفون يعلمون ه لا لتعلق الظرف والسلاسل ط الصالحات لأن مابعده مستأنف وقيل والسلاسل مبتدأ والعائد محذوف أى والسلاسل يحرون بها فى الحميم يسجرون ه ج للآية مع العطف

بنى اسرائيل الكتاب يقول وأورثنا بنى اسرائيل التوراة فعلمناهموها وأنزلناها اليهم هدى يعنى بيانا لأمر دينهم وما ألزمناهم من فرائضها وذكرى لأولى الألباب يقول وتذكيرا منا لأهل الحجا والعقول منهم بها وقوله فاصبر ان وعد الله حق يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر يا محمد لأمر ربك وانفذ لما أرسلك به من الرسالة وبلغ قومك ومن أمرت بابلاغه ما أنزل اليك وأيقن بحقيقة وعد الله الذى وعدك من نصرتك ونصرة من صدقك وآمن بك على من كذبك وأنكر ما جئته به من عند ربك ان وعد الله حق لا خلف له وهو منجزه واستغفر لذنبك يقول وسله غفران ذنبك وعفو ذلك عنه وسبح بحمد ربك يقول وصل بالشكر منك لربك بالعشى وذلك من زوال الشمس الى الليل والابكار وذلك من طلوع الفجر الثانى الى طلوع الشمس وقد وجه قوم الابكار الى أنه من طلوع الشمس الى ارتفاع الضحى وخروج وقت الضحى والمعروف عند العرب التول الاول واختلف أهل العربية فى وجه عطف الابكار والباء غير حسن دخولها فيه على العشى والباء تحسن فيه فقال بعض نحوى البصرة معنى ذلك وسبح بحمد ربك بالعشى وفى الابكار وقال قد يقال بالدار زيد يراد فى الدار زيد وقال غيره انما قيل ذلك كذلك لان معنى الكلام صل بالحمد بهذين الوقتين وفى هذين الوقتين فادخال الباء وفى واحد فيهما ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم إلا كبر ما هم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير ﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين يخاصمونك يا محمد فيما أتيتهم به من عند ربك من الآيات بغير سلطان أتاهم يقول بغير حجة جاءتهم من عند الله بخاصمتك فيها ان فى صدورهم إلا كبر يقول ما فى صدورهم إلا كبر يتكبرون من أجله عن اتباعك وقبول الحق الذى أتيتهم به حسدا منهم على الفضل الذى آتاك الله والكرامة التى أكرمك بها من النبوة ما هم ببالغيه يقول الذى حسدوك عليه أمر ليسوا بمدركيه ولا نائليه لان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وليس بالأمر الذى يدرك بالأمانى وقد قيل ان معناه ان فى صدورهم إلا عظمة ما هم ببالغى تلك العظمة لان الله مذلهم ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان فى صدورهم إلا كبر قال عظمة * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم لم يأتهم بذلك سلطان وقوله فاستعذ بالله انه هو السميع البصير يقول تعالى ذكره فاستجر بالله يا محمد من شر هؤلاء الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان ومن الكبر أن يعرض فى قلبك منه شئ انه هو السميع البصير يقول ان الله هو السميع لما يقول هؤلاء المجادلون فى آيات الله وغيرهم من قول البصير بما تعمله جوارحهم لا يخفى عليه شئ من ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره لابتداع السموات والارض وانشاؤها من غير شئ أعظم أيها الناس عندكم ان كنتم مستعظمى خلق الناس وانشائهم من غير شئ من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن خلق جميع ذلك هين على الله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا

من دون الله ط شيأ ط الكافرين ٥ تمرحون ٥ خالدين فيها ج المتكبرين ٥ حق ٥ للشرط مع الفاء يرجعون ٥ نقصص عليك ط باذن الله ج المبطلون ٥ تأكلون ٥ ز للآية مع العطف  وشدة اتصال المعنى تحملون ٥ ط لأن ما بعده مستأنف ولا وجه للعطف تنكرون ٥ من قبلهم ط للفصل بين الاستخبار والاخبار يكسبون ٥ يستهزؤن ٥ مشركين ٥ بأسنا الثانى ط فى عباده ج لان الفعل المعطوف عليه مضمر وهو سن الكافرون ٥ ﴿ التفسير هذا من تمام قصة موسى وعود الى مقام انجر الكلام منه وذلك انه لما قيل فوقاه الله وكان المؤمن من أمة موسى علم منه ومما سلف مرارا أن موسى وسائر قومه قد نجوا وغلبوا على فرعون وقومه فلا جرم صرح بذلك فقال (انا لننصر رسلنا) الآية ونصرتهم فى الدنيا باظهار كلمة الحق وحصول الذكر الجميل واقتداء الناس بسيرتهم الى مدة ماشاء الله وقد ينصرون بعد موتهم كما أن يحيى بن زكريا لما قتل قتل به سبعون ألفا وأما نصرهم فى الآخرة فمن رفع الدرجات والتعظيم على رؤس الأشهاد من الحفظة والانبياء والمؤمنين وقد مر بانى تفسير الأشهاد فى أوائل هود ثم بين أن يوم القيامة لا اعتذار فيه لأهل الظلم والغواية وان فرض اعتذار فلا يقبل وسوء الدار عذاب الآخرة ثم أخبر عن اعطاء موسى التوراة وايراثها قومه بعده والمراد بكون الكتاب هدى أنه دليل فى نفسه وبكونه ذكرى أن يكون مذكرا للشئ المنسى وحين فرغ من قصة موسى وما تعلق بها خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم مسليا له بقوله (فاصبر ان وعد الله) بالنصر واعلاء كلمة الحق

الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون ﴾ وما يستوى الاعمى الذى لا يبصر شيأ وهو مثل الكافر الذى لا يتأمل حجج الله بعينيه فيتدبرها ويعتبر بها فيعلم وحدانيته وقدرته على خلق ما شاء من شئ ويؤمن به ويصدق والبصير الذى يرى بعينيه ما شخص لهما ويبصره وذلك مثل المؤمن الذى يرى بعينيه حجج الله فيتفكر فيها ويتعظ ويعلم ما دلت عليه من توحيد صانعه وعظيم سلطانه وقدرته على خلق ما يشاء يقول جل ثناؤه كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن والذين آمنوا وعملوا الصالحات يقول جل ثناؤه ولا يستوى أيضا كذلك المؤمنون بالله ورسوله المطيعون لربهم ولا المسيء وهو الكافر بربه العاصى له المخالف أمره قليلا ما تتذكرون يقول جل ثناؤه قليلا ما تتذكرون أيها الناس حجج الله فتعتبرون وتتعظون يقول لو تذكرتم آياته واعتبرتم لعرفتم خطأ ما أنتم عليه مقيمون من انكاركم قدرة الله على احيائه من فنى من خلقه من بعد الفناء واعادتهم لحياتهم من بعد وفاتهم وعلمتم قبح شرككم من تشركون فى عبادة ربكم واختلفت القراء فى قراءة قوله تتذكرون فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة يتذكرون بالياء على وجه الخبر وقرأته عامة قراء الكوفة تتذكرون بالتاء على وجه الخطاب والقول فى ذلك أن القراءة بهما صواب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الساعة لآتية لا ريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين ﴾ يقول تعالى ذكره ان الساعة التى يحيى الله فيها الموتى للثواب والعقاب لخائية أيها الناس لاشك فى مجيئها يقول فأيقنوا بمجيئها وأنكم مبعوثون من بعد مماتكم ومجازون بأعمالكم فتوبوا الى ربكم ولكن أكثر الناس لا يؤمنون يقول ولكن أكثر قريش لا يصدقون بمجيئها وقوله وقال ربكم ادعونى أستجب لكم يقول تعالى ذكره ويقول ربكم أيها الناس لكم ادعونى يقول اعبدونى وأخلصوا لى العبادة دون من تعبدون من دونى من الأوثان والأصنام وغير ذلك أستجب لكم يقول أجب دعاءكم فأعفو عنكم وأرحمكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا عبد الله قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ادعونى أستجب لكم يقول وحدونى أغفر لكم حدثنا عمرو بن على قال ثنا عبد الله بن داود عن الأعمش عن زر عن يسيع الحضرمى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى حدثنا محمد ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور والأعمش عن زر عن يسيع الحضرمى عن النعمان بن بشير قال سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول الدعاء هو العبادة وقال ربكم ادعونى أستجب لكم الآية حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن زر عن يسيع قال أبو موسى هكذا قال غندر عن سعيد عن منصور عن زر عن يسيع عن النعمان بن بشير قال قال النبى صلى الله عليه وسلم ان الدعاء هو العبادة وقال ربكم ادعونى أستجب لكم حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا شعبة عن منصور عن زر عن يسيع عن النعمان ابن بشير عن النبى صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا يوسف بن العرف الباهلى عن الحسن بن أبى جعفر عن محمد بن جحادة عن يسيع الحضرمى عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عبادتى دعائى ثم تلا هذه الآية وقال ربكم ادعونى

(حق) كما قص عليك من حال موسى وغيره ثم أمره باستغفار ذنبه وقد سبق البحث فى مثله مرارا والعشى والابكار صلاتا العصر والفجر أو المراد الدوام قوله (ان الذين يجادلون) عود الى ما انجر الكلام اليه من أول السورة الى ههنا وفيه بيان السبب الباعث لكفار

قريش على هذا الجدال وهو الكبر والحسد وحب الرياسة وأن يكون الناس تحت تصرفهم وتسخيرهم لا ان يكونوا تحت تصرف
غيرهم فان النبي صلى الله عليه وسلم لابد  أن تكون الامة تحت أمره ونهيه وذلك تخيل فاسد لان الغلبة لدين الاسلام ولهذا

قال (ماهم ببالغيه) ثم أمره أن يستعيذ في دفع شرورهم بالله السميع لأقوالهم البصير بأحوالهم فيجازيهم على حسب ذلك ثم انهم كانوا أكثر ما يجادلون في أمر البعث فاحتج الله تعالى عليهم بقوله (لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس) ومن قدر على الأصعب في نظر المخالف وقياسه كان على الأسهل أقدر فظاهر أن هؤلاء الكفار يجادلون في آيات الله بغير سلطان ولا برهان بل لمجرد الحسد والكبر بل لا يعرفون ما البرهان وكيف طريق النظر والاستدلال ولهذا قال (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم نبه على الفرق بين الجدال المستند على العناد والتقليد وبين الجدال المستند الى الحجة والدليل قائلا (وما يستوى الاعمى والبصير) وحين بين التفاوت بين الجاهل والعالم أراد أن يبين التفاوت بين المحسن والمسيء ثم قال (قليلا ما تتذكرون) وفيه مزيد توبيخ وتقريع وفيه أن هذا التفاوت مما يعثر عليه المكلف بأدنى تأمل لو لم يكن معاندا مصرا ثم صرح بوجود القيامة قائلا (ان الساعة لآتية) أدخل اللام في الخبر بخلاف ما في طه لأن المخاطبين ههنا شاكون بخلاف المخاطب هناك وهو موسى وهذه الآية كالنتيجة لما قبلها ومعنى (لا يؤمنون) لا يصدقون بالبعث ثم انه كان من المعلوم أن الانسان لا ينتفع في يوم القيامة الا بالطاعة فلاجرم أشار اليها بقوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) أكثر المفسرين على أن الدعاء ههنا بمعنى العبادة يقول والاستجابة بمعنى الاثابة يقوله سبحانه (ان الذين يستكبرون عن عبادتي) والدعاء بمعنى العبادة كثير في القرآن كقوله ان يدعون من

أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي قال عن دعائي **حدثنا** علي بن سهل قال ثنا مؤمل قال ثنا عمارة عن ثابت قال قلت لأنس يا أبا حمزة أبلغك أن الدعاء نصف العبادة قال لا بل هي العبادة كلها **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال أخبرنا منصور عن زر عن يسيع الحضرمي عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة ثم قرأ هذه الآية وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هاشم بن القاسم عن الأشجعي قال قيل لسفيان ادع الله قال ان ترك الذنوب هو الدعاء وقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي يقول ان الذين يتعظمون عن افرادي بالعبادة وافراد الالوهية لي سيدخلون جهنم داخرين بمعنى صاغرين وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الدخر بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقد قيل ان معنى قوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي ان الذين يستكبرون عن دعائي ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين يستكبرون عن عبادتي قال عن دعائي **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي داخرين قال صاغرين ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿الله الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ يقول تعالى ذكره الله الذي لا تصلح الألوهة الا له ولا تنبغي العبادة لغيره الذي صفته أنه جعل لكم أيها الناس الليل سكنا لتسكنوا فيه فتهدؤا من التصرف والاضطراب للمعاش والأسباب التي كنتم تتصرفون فيها في نهاركم والنهار مبصرا يقول وجعل النهار مبصرا من اضطرب فيه لمعاشه وطلب حاجاته نعمة منه بذلك عليكم ان الله لذو فضل على الناس يقول ان الله لمتفضل عليكم أيها الناس بما لا كفء له من الفضل ولكن أكثر الناس لا يشكرون يقول ولكن أكثرهم لا يشكرونه بالطاعة له واخلاص الالوهة والعبادة له ولا يد تقدمت له عنده استوجب بها منه الشكر عليها ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا اله الا هو فأنى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾ يقول تعالى ذكره الذي فعل هذه الأفعال وأنعم عليكم هذه النعم أيها الناس الله مالككم ومصلح أموركم وهو خالقكم وخالق كل شيء لا اله الا هو يقول لا معبود تصلح له العبادة غيره فأنى تؤفكون يقول فأى وجه تأخذون والى أين تذهبون عنه فتعبدون سواه وقوله كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون يقول كذا بكم عنه أيها القوم وانصرافكم عن الحق الى الباطل والرشد الى الضلال ذهب عنه الذين كانوا من قبلكم من الامم بآيات الله يعني بحجج الله وأدلته يكذبون فلا يؤمنون يقول فسلكتم أنتم معشر قريش مسلكهم وركبتم محجتهم في الضلال ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحي لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره الله الذي له الالوهة خالصة أيها الناس الذي جعل لكم الارض التي أنتم على ظهرها سكانا قرارا تستقرون عليها وتسكنون فوقها والسماء بناء بناها فرفعها فوقكم بغير عمد ترونها لمصالحكم وقوام دنياكم الى بلوغ آجالكم وصوركم فأحسن صوركم يقول وخلقكم فأحسن خلقكم ورزقكم من الطيبات يقول ورزقكم من حلال الرزق ولذيذات المطاعم والمشارب وقوله ذلكم الله ربكم

دونه الا اناثا روى النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدعاء العبادة وقرأ هذه الآية وجوز آخرون ان يكون الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويراد بعبادتي دعائي لأن الدعاء باب من العبادة يصدقه قول ابن عباس أفضل العبادة الدعاء

يقول تعالى ذكره فالذى فعل هذه الافعال وأنعم عليكم أيها الناس هذه النعم هو الله الذى لا تنبغى الألوهة الا له وربكم الذى لا تصلح الربوبية لغيره لا الذى لا ينفع ولا يضر ولا يخلق ولا يرزق فتبارك الله رب العالمين يقول فتبارك الله مالك جميع الخلق جنهم وانسهم وسائر أجناس الخلق غيرهم هو الحى يقول هو الحى الذى لا يموت الدائم الحياة وكل شئ سواه فمنقطع الحياة غير دائم الا له الا هو يقول لا معبود بحق تجوز عبادته وتصلح الالوهة له الا الله الذى هذه الصفات صفاته فادعوه أيها الناس مخلصين له الدين مخلصين له الطاعة مفردين له الالوهة لا تشركوا فى عبادته شيأ سواه من وثن وصنم ولا تجعلوا له ندا ولا عدلا الحمد لله رب العالمين يقول الشكر لله الذى هو مالك جميع أجناس الخلق من ملك وجن وانس وغيرهم لا للآلهة والأوثان التى لا تملك شيأ ولا تقدر على ضر ولا نفع بل هو مملوك ان ناله نائل بسوء لم يقدر له عن نفسه دفعا وكان جماعة من أهل العلم يأمرون من قال لا اله الا الله أن يتبع ذلك الحمد لله رب العالمين تأولا منهم هذه الآية بأنها أمر من الله بقيل ذلك ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن على بن الحسن ابن شقيق قال سمعت أبى قال أخبرنا الحسين بن واقد قال ثنا الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس قال من قال لا اله الا الله فليقل على اثرها الحمد لله رب العالمين فذلك قوله فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين حدثنا عبد الحميد بن بيان السكرى قال ثنا محمد بن يزيد عن اسمعيل عن سعيد بن جبير قال اذا قال أحدكم لا اله الا الله وحده لا شريك له فليقل الحمد لله رب العالمين ثم قرأ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين حدثنى محمد بن عبد الرحمن قال ثنا محمد ابن بشر قال ثنا اسمعيل بن أبى خالد عن سعيد بن جبير أنه كان يستحب اذا قال لا اله الا الله يتبعها الحمد لله ثم قرأ هذه الآية هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين حدثنى محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا اسمعيل بن أبى خالد عن عامر عن سعيد بن جبير قال اذا قال أحدكم لا اله الا الله وحده فليقل باثرها الحمد لله رب العالمين ثم قرأ فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ۞ القول فى قوله تعالى ﴿قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لمشركى قومك من قريش انى نهيت أيها القوم أن أعبد الذين تدعون من دون الله من الآلهة والأوثان لما جاءنى البينات من ربى يقول لما جاءنى الآيات الواضحات من عند ربى وذلك آيات كتاب الله الذى أنزله وأمرت أن أسلم لرب العالمين يقول وأمرنى ربى أن أذل لرب كل شئ ومالك كل خلق بالخضوع وأخضع له بالطاعة دون غيره من الاشياء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون﴾ يقول تعالى ذكره آمرا نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بتنبيه مشركى قومه على حجته عليهم فى وحدانيته قل يا محمد لقومك أمرت أن أسلم لرب العالمين الذى صفته هذه الصفات وهى أنه خلق أباكم آدم من تراب ثم خلقكم من نطفة ثم من علقة بعد أن كنتم نطفا ثم يخرجكم طفلا من بطون أمهاتكم صغارا ثم لتبلغوا أشدكم فتتكاملوا قواكم ويتناهى شبابكم وتمام خلقكم شيوخا ومنكم من يتوفى من

وقدمر تحقيق الدعاء فى سورة البقرة فى قوله أجيب دعوة الداع اذا دعان وقد فسره ابن عباس بمعنى آخر قال وحدونى أغفر لكم وفى الدعاء قال جار الله وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد ومعنى (داخرين) صاغرين وقال أهل التحقيق كل من دعا الله وفى قلبه مثقال ذرة من المال والجاه وغير ذلك فدعاؤه لسانى لا قلبى ولهذا قد لا يستجاب لأنه داع مدع على غير الله وفيه بشارة هى أن دعاء المؤمن وقت حلول أجله يكون مستجابا البتة لانقطاع تعلقه وقتئذ عما سوى الله ثم انه تعالى ذكر نعمته على الخلائق بوجود الليل والنهار وقدمر نظير الآية مرارا ولاسيما فى أواخر يونس وأواسط البقرة وكرر ذكر الناس نعيا عليهم وتخصيصا لكفران النعمة بهم من بين سائر المخلوقات وأما وجه النظم فكأنه يقول انى أنعمت عليك بهذه النعم الجليلة قبل السؤال فكيف لا أنعم عليك بما هو أقل منه بعد السؤال ففيه تحريض على الدعاء وأيضا الاشتغال بالدعاء مسبوق بمعرفة المدعو فلذلك ذكر فى عدة آيات دلائل باهرة من الآفاق والانفس على وحدانيته واتصافه بنعوت الكمال قوله (ذلكم الله) الى قوله الا هو قدمر فى الانعام قوله (كذلك يؤفك) أى كل من جحد بآيات الله ولم يكن طالبا للحق فانه مصروف عن الحق كما صرفوا قوله (فأحسن صوركم) كقوله ولقد كرمنا بنى آدم لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم قوله (الحمد لله رب العالمين) اما استئناف مدح من الله تعالى لنفسه واما بتقدير القول أى فادعوه مخلصين قائلين الحمد لله قوله (لما جاءنى البينات) شامل لأدلة العقل والنقل جميعا قوله (ثم لتبلغوا أشدكم) متعلق بمحذوف

أى ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما قوله (ولتبلغوا أجلا مسمى) فمتعلق بفعل آخر تقديره ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى هو الموت أو القيامة ورجاء منكم أن تعقلوا ما فى ذلك  من العبر وحيث انجر الكلام الى ذكر الأجل وصف نفسه بأن الاحياء والاماتة منه ثم أشار بقوله (فاذا قضى) الخ الى نفاذ قدرته فى الكائنات من غير افتقار فى شئ مما الى آلة وعدة وأشار الى أن الاحياء والاماتة ليسا من الأشياء التدريجية ولكنهما من الأمور الدفعية المتوقفة على أمر كن فقط وذلك أن الحياة تحصل بتعلق النفس الناطقة بالبدن والموت يحدث من قطع ذلك التعلق وكل من الأمرين يحصل فى آن واحد ويمكن أن يكون فيه اشارة الى خلق الانسان الاول وهو آدم كما قوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ثم عاد الى ذم المجادلين وذكر وعيدهم قائلا ألم تر الآية والكتاب القرآن وما أرسل به الرسل سائر الكتب وقوله (فسوف يعلمون اذ الأغلال فى أعناقهم) ليس كقول القائل سوف أصوم أمس بناء على أن سوف للاستقبال واذ للمضى لان اذ ههنا بمعنى اذا لا أنه ورد على عادة أخبار الله نحو وسيق ونادى وقال المبرد اذ صارت زمانا قبل سوف لأن العلم وقع منهم بعد ثبوت الأغلال والمعنى علموا من الاغلال الذى كانوا أوعدوه بعد أن حق بالوجود ومعنى (يسجرون) قال جار الله هو من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومعناه أنهم فى النار فهى محيطة بهم وهم مسجورون بها مملوءة أجوافهم منها والحاصل أنهم يعذبون مرة بالماء الشديد الحرارة ومرة بالنار وقال مقاتل فى الحميم يعنى فى حر النار (ثم قيل لهم) على سبيل التوبيخ (أينما كنتم) ما موصولة مبتدأ وأين خبرها ومعنى يقول (ضلوا) غابوا وضاعوا ولم يصل الينا ما كنا نرجوه من النفع والشفاعة وأكدوا هذا المعنى بقوله (بل لم نكن ندعو من قبل شيأ) يعتدبه

قبل أن يبلغ الشيخوخة ولتبلغوا أجلا مسمى يقول ولتبلغوا ميقاتا مؤقتا لحياتكم وأجلا محدودا لا تجاوزونه ولا تتقدمون قبله ولعلكم تعقلون يقول وكى تعقلوا حجج الله عليكم بذلك وتتدبروا آياته فتعرفوا بها أنه لا اله غيره فعل ذلك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد هو الذى يحيى ويميت يقول قل لهم ومن صفته جل ثناؤه أنه هو الذى يحيى من يشاء بعد مماته ويميت من يشاء من الأحياء بعد حياته واذا قضى أمرا يقول واذا قضى كون أمر من الامور التى يريد تكوينها فانما يقول له كن يعنى للذى يريد تكوينه كن فيكون ما أراد تكوينه موجودا بغير معاناة ولا كلفة مؤنة وقوله ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ألم تر يا محمد هؤلاء المشركين من قومك الذين يخاصمونك فى حجج الله وآياته أنى يصرفون يقول أى وجه يصرفون عن الحق ويعدلون عن الرشد كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أنى يصرفون أنى يكذبون ويعدلون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أنى يصرفون قال يصرفون عن الحق واختلف أهل التأويل فى الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها أهل القدر ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن داود بن أبى هند عن محمد بن سيرين قال ان لم تكن هذه الآية نزلت فى القدرية فانى لا أدرى فيمن نزلت ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون الى قوله لم نكن ندعو من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين حدثنى على بن سهل قال ثنا زيد بن أبى الزرقاء عن سفيان عن داود بن أبى هند عن ابن سيرين قال ان لم يكن أهل القدر الذين يخوضون فى آيات الله فلا علم لنا به حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى مالك بن أبى الخير الزيادى عن أبى قبيل قال أخبرنى عقبة بن عامر الجهنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيهلك من أمتى أهل الكتاب وأهل اللين فقال عقبة يا رسول الله وما أهل الكتاب قال قوم يتعلمون كتاب الله يجادلون الذين آمنوا فقال عقبة يا رسول الله وما أهل اللين قال قوم يتبعون الشهوات ويضيعون الصلوات قال أبو قبيل لا أحسب المكذبين بالقدر الا الذين يجادلون الذين آمنوا وأما أهل اللين فلا أحسبهم الا أهل العمود ليس عليهم امام جماعة ولا يعرفون شهر رمضان * وقال آخرون بل عنى به أهل الشرك ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون قال هؤلاء المشركون والصواب من القول فى ذلك ما قاله ابن زيد وقد بين الله حقيقة ذلك بقوله الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعو من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين﴾ يقول تعالى ذكره ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بكتاب الله وهو هذا القرآن والذين الثانية فى موضع خفض رد الها على الذين الاولى على وجه النعت وبما أرسلنا به رسلنا

كما تقول حسبت أن فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ أى ليس عنده خير ومن جوز الكذب على الكفار لم يحتج الى هذا التأويل وقال
انهم أنكروا عبادة الاصنام ثم قال (كذلك يضل الله الكافرين)  قالت الأشاعرة أى عن الحجة والايمان
وقالت المعتزلة عن طريق الجنة بالخذلان وقال فى الكشاف أى مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يجد أحدهما الآخر واعترض عليه بأنهم مقرونون بآلهتهم فى النار لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم والجواب أن كون الجميع فى النار لاينافى غيبة أحدهما عن الآخر وأجاب فى الكشاف باختلاف الزمان و بتفسير الضلال بعدم النفع (ذلكم) العذاب بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح أى النشاط (بغير الحق) وهو الشرك وعبادة الصنم ويجوز أن يكون القول محذوفا أى يقال لهم ادخلوا أبواب جهنم السبعة المقسومة لكل طائفة مقدرين الخلود فيها (فبئس مثوى المتكبرين) يعنى الذين مر ذكرهم فى قوله ان فى صدورهم الا كبر والمخصوص بالذم محذوف وهو مثواكم أو جهنم قال جار الله انما لم يقل فبئس مدخل المتكبرين حتى يكون مناسبا لقوله ادخلوا كقولك زر بيت الله فنعم المزار لان الدخول المؤقت بالخلود فى معنى الثواء وحين زيف طريقة المجادلين مرة بعد مرة أمر رسوله بالصبر على ايذائهم وايحاشهم الى انجاز الوعد بالنصرة قال (فاما نرينك بعض الذى نعدهم) من عذاب الدنيا فذاك (أو نتوفينك فالينا يرجعون) هذا التقدير ذكره جار الله وقدمر فى يونس مثله وأقول لا بأس أن يعطف قوله أو نتوفينك على نرينك و يكون الرجوع الى الله جزاء لهما جميعا ومعناه انا نجازيهم على أعمالهم يوم القيامة سواء عذبوا فى الدنيا أو لم يعذبوا ثم سلاه بحال الانبياء السابقة ليقتدى بهم فى الصبر والتماسك فقال (ولقد أرسلنا) الآية

يقول وكذبوا أيضا مع تكذيبهم بكتاب الله بما أرسلنا به رسلنا من اخلاص العبادة لله والبراءة مما يعبد من دونه من الآلهة والأنداد والاقرار بالبعث بعد الممات للثواب والعقاب وقوله فسوف يعلمون اذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل وهذا تهديد من الله المشركين به يقول جل ثناؤه فسوف يعلم هؤلاء الذين يجادلون فى آيات الله المكذبون بالكتاب حقيقة ما تخبرهم به يا محمد وصحة ما هم به اليوم مكذبون من هذا الكتاب حين تجعل الأغلال والسلاسل فى أعناقهم فى جهنم وقرأت قراء الأمصار والسلاسل برفعها عطفا بها على الاغلال على المعنى الذى بينت وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه والسلاسل يسحبون بنصب السلاسل فى الحميم وقد حكى أيضا عنه أنه كان يقول انما هو وهم فى السلاسل يسحبون ولا يجيز أهل العلم بالعربية خفض الاسم والخافض مضمر وكان بعضهم يقول فى ذلك لو أن متوهما قال انما المعنى اذ أعناقهم فى الاغلال وفى السلاسل يسحبون جاز الخفض فى السلاسل على هذا المذهب وقال مثله مما يرد الى المعنى قول الشاعر

قد سالم الحيات منه القدما * الأفعوان والشجاع الأرقما

فنصب الشجاع والحيات قبل ذلك مرفوعة لان المعنى قد سالمت رجله الحيات وسالمتها فلما احتاج الى نصب القافية جعل الفعل من القدم واقعا على الحيات والصواب من القراءة عندنا فى ذلك ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة عليه وهو رفع السلاسل عطفا بها على ما فى قوله فى أعناقهم من ذكر الاغلال وقوله يسحبون يقول يسحب هؤلاء الذين كذبوا فى الدنيا بالكتاب زبانية العذاب يوم القيامة فى الحميم وهو ما قد انتهى حره وبلغ غايته وقوله ثم فى النار يسجرون يقول ثم فى نار جهنم يحرقون يقول تسجرهم جهنم أى توقدهم * و بنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يسجرون قال يوقدبهم النار **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ثم فى النار يسجرون قال يحرقون فى النار **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم فى النار يسجرون قال يسجرون فى النار يوقد عليهم فيها وقوله ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله يقول ثم قيل أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم اياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم حتى يغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب فان المعبود يغيث من عبده وخدمه وانما يقال هذا لهم توبيخا وتقريعا على ما كان منهم فى الدنيا من الكفر بالله وطاعة الشيطان فأجاب المساكين عند ذلك فقالوا ضلوا عنا يقول عدلوا عنا فأخذوا غير طريقنا وتركونا فى هذا البلاء بل ما ضلوا عنا ولكنا لم نكن ندعو من قبل فى الدنيا شيأ أى لم نكن نعبد شيأ يقول الله تعالى ذكره كذلك يضل الله الكافرين يقول كما أضل هؤلاء الذين ضل عنهم فى جهنم ما كانوا يعبدون فى الدنيا من دون الله من الآلهة والاوثان آلهتهم وأوثانهم كذلك يضل الله أهل الكفر به عنه وعن رحمته وعبادته فلا يرحمهم فينجيهم من النار ولا يغيثهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء ❁ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾ يعنى تعالى ذكره

ذهب بعض المفسرين الى أن عدد الانبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا وقيل ثمانية آلاف نصف ذلك من بنى اسرائيل والباقى من سائر الناس ولعل الأصح أن عددهم لا يعلمه  الا الله لقوله تعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله لكن الايمان بالجميع واجب عن على رضى الله عنه بعث الله نبيا أسود لم يقص علينا قصته ثم ان قريشا كانوا يقترحون آيات تعنتا كما مر فى أواخر سبحان وأول الفرقان وغيرهما فلا جرم قال الله تعالى (وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله) بعذاب الدنيا أو بالقيامة وقال ابن بحر امر الله الآية التى اقترحوها وذلك أنه يقع الاضطرار عندها (وخسر هنالك) أى فى ذلك الوقت استعير المكان للزمان (المبطلون) وهم أهل الأديان الباطلة ثم عاد الى نوع آخر من دلائل التوحيد فقال (الله الذى جعل لكم الانعام لتركبوا) قال جار الله ظاهر النظم يقتضى ادخال لام الغرض فى القرائن الاربع أو خلو الكل عنها فيقال لتركبوا ولتأكلوا ولتصلوا الى منافع ولتبلغوا أو يقال منها تركبون ومنها تأكلون وتصلون وتبلغون الا أنه ورد على ما ورد لأن الركوب قد يجب كما فى الحج والغزو وكذلك السفر من بلد الى بلد للهجرة أو طلب علم لا أقل من الندب فصح أن يكونا غرضين وأما الأكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذى لا تتعلق به ارادته كثير تعلق شرع وانما قال (وعلى الفلك) ولم يقل وفى الفلك مع صحته اذ هى كالوعاء ازدواجا لقوله وعليها والحمل محمول على الظاهر وقيل هو من قول العرب حملت فلانا على الفرس اذا وهب له فرسا ثم وبخهم بقوله (ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون) ثم حرضهم وزاد توبيخهم بقوله (أفلم يسيروا) الآية وقد سبق وقوله (فما أغنى عنهم) ما نافية أو استفهامية ومحلها النصب وقوله (ما كانوا) مصدرية أو موصولة عبدا

بقوله ذلكم بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق هذا الذى فعلنا بكم أيها القوم اليوم من تعذيبنا كم العذاب الذى أنتم فيه بفرحكم الذى كنتم تفرحونه فى الدنيا بغير ما أذن الله لكم به من الباطل والمعاصى وبمرحكم فيها والمرح هو الأشر والبطر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق الى فبئس مثوى المتكبرين قال الفرح والمرح الفخر والخيلاء والعمل فى الارض بالخطيئة وكان ذلك فى الشرك وهو مثل قوله لقارون اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين وذلك فى الشرك **حدثنى** محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و**حدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله بما كنتم تفرحون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون قال تبطرون وتأشرون **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله تمرحون قال تبطرون وقوله ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها يقول تعالى ذكره لهم ادخلوا أبواب جهنم السبعة من كل باب منها جزء مقسوم منكم فبئس مثوى المتكبرين يقول فبئس منزل المتكبرين فى الدنيا على الله أن يوحدوه ويؤمنوا برسله اليوم جهنم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر يا محمد على ما يجادلك به هؤلاء المشركون فى آيات الله التى أنزلناها عليك وعلى تكذيبهم اياك فان الله منجز لك فيهم ما وعدك من الظفر عليهم والعلو عليهم واحلال العقاب بهم كستنا فى موسى بن عمران ومن كذبه فاما نرينك بعض الذى نعدهم يقول جل ثناؤه فاما نرينك يا محمد فى حياتك بعض الذى نعد هؤلاء المشركين من العذاب والنقمة أن يحل بهم أو نتوفينك قبل أن يحل ذلك بهم فالينا يرجعون يقول فالينا مصيرك ومصيرهم فنحكم عند ذلك بينك وبينهم بالحق بتخليدنا هم فى النار واكرامنا ك بجوارنا فى جنات النعيم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولقد أرسلنا يا محمد رسلا من قبلك الى أممها منهم من قصصنا عليك يقول من أولئك الذين أرسلنا الى أممهم من قصصنا عليك نبأهم ومنهم من لم نقصص عليك نبأهم وذكر عن أنس أنهم ثمانية آلاف ذكر الرواية بذلك **حدثنا** على بن شعيب السمسار قال ثنا معن بن عيسى قال ثنا ابراهيم بن المهاجر بن مسمار عن محمد ابن المنكدر عن يزيد بن أبان عن أنس بن مالك قال بعث النبى صلى الله عليه وسلم بعدة ثمانية آلاف من الانبياء منهم أربعة آلاف من بنى اسرائيل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا يونس عن عتبة بن عتبة البصرى العبدى عن أبى سهل عن وهب بن عبد الله بن كعب بن سور الازدى عن سلمان عن النبى صلى الله عليه وسلم قال بعث الله أربعة آلاف نبى **حدثنى** أحمد بن الحسين الترمذى قال ثنا آدم بن أبى اياس قال ثنا اسرائيل عن جابر عن عبد الله بن يحيى عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك قال بعث الله

عبدا حبشيا نبيا فهو الذى لم تقصص عليك وقوله وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله يقول تعالى ذكره وما جعلنا الرسول ممن أرسلناه من قبلك الذين قصصنا هم عليك والذين لم نقصصهم عليك الى أممها أن يأتى قومه بآية فاصلة بينه وبينهم الا باذن الله له بذلك فيأتيهم بها يقول جل ثناؤه لنبيه فلذلك لم يجعل لك أن تأتى قومك بما يسألونك من الآيات دون اذننا لك بذلك كما لم نجعل لمن قبلك من رسلنا الا أن نأذن له به فاذا جاء أمر الله قضى بالحق يعنى بالعدل وهو أن ينجى رسله والذين آمنوا معهم وخسر هنالك المبطلون يقول وهلك هنالك الذين أبطلوا فى قيلهم الكذب وافترائهم على الله وادّعائهم له شريكا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذى جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأى آيات الله تنكرون ﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى لا تصلح الألوهة الا له أيها المشركون به من قريش الذى جعل لكم الانعام من الابل والبقر والغنم والخيل وغير ذلك من البهائم التى يقتنيها أهل الاسلام لمركب أو لمطعم لتركبوا منها يعنى الخيل والحمير ومنها تأكلون يعنى الابل والبقر والغنم وقال لتركبوا منها ومعناه لتركبوا منها بعضا ومنها بعضا تأكلون فحذف استغناء بدلالة الكلام على ما حذف وقوله ولكم فيها منافع وذلك أن جعل لكم من جلودها بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين وقوله ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم يقول ولتبلغوا بالحمولة على بعضها وذلك الابل حاجة فى صدوركم لم تكونوا بالغيها لولاها الا بشق أنفسكم كما قال جل ثناؤه وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الأنفس * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم يعنى الابل تحمل أثقالكم الى بلد حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولتبلغوا عليها حاجة فى صدوركم لحاجتكم ما كانت وقوله وعليها يعنى وعلى هذه الابل وما جانسها من الانعام المركوبة وعلى الفلك يعنى وعلى السفن تحملون يقول تحملكم على هذه فى البر وعلى هذه فى البحر ويريكم آياته يقول ويريكم حججه فأى آيات الله تنكرون يقول فأى حجج الله التى يريكم أيها الناس فى السماء والارض تنكرون صحتها فتكذبون من أجل فسادها بتوحيد الله وتدعون من دونه الها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أفلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا فى الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ﴾ يقول تعالى ذكره أفلم يسر يا محمد هؤلاء المجادلون فى آيات الله من مشركى قومك فى البلاد فانهم أهل سفر فى الشام واليمن رحلتهم فى الشتاء والصيف فينظروا فيها وطؤا من البلاد الى وقائعنا بمن أوقعنا به من الامم قبلهم ويروا ما أحللنا بهم من بأسنا بتكذيبهم رسلنا وجحودهم آياتنا كيف كان عقبى تكذيبهم كانوا أكثر منهم يقول كان أولئك الذين من قبل هؤلاء المكذبيك من قريش أكثر عددا من هؤلاء وأشد بطشا وأقوى قوة وأبقى فى الارض آثارا لانهم كانوا ينحتون من الجبال بيوتا ويتخذون مصانع وكان مجاهد يقول فى ذلك ما حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وآثارا فى الارض المشى بأرجلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون يقول فلما جاءهم بأسنا وسطوتنا لم يغن عنهم ما كانوا يعملون من البيوت فى الجبال ولم يدفع عنهم ذلك شيأ ولكنهم بادوا جميعا فهلكوا وقد قيل ان معنى قوله فما أغنى عنهم فأى شئ أغنى عنهم وعلى هذا التأويل يجب أن يكون ما الاولى فى موضع نصب والثانية فى موضع رفع

أى كسبهم أو الذى كسبوا قوله (فرحوا) لا يخلو اما أن يكون الضمير عائدا الى الكفار أو الى الرسل وعنى الاول فيه وجوه منها أنه تهكم بعلمهم الذى يزعمون كقولهم وما أظن الساعة قائمة أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لفى خلق جديد ومنها أنه أراد بذلك شبهات الدهرية وبعض الفلاسفة كقولهم وما يهلكنا الا الدهر وكانوا اذا سمعوا بوحى الله دفعوه وحقروا علم الأنبياء بالنسبة الى علمهم كما يحكى عن سقراط أنه سمع بموسى عليه السلام فقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهديون فلا حاجة بنا الى من يهدينا ويروى أن جالينوس قال لعيسى عليه السلام بعثت لغيرنا ومنها أن يراد علمهم بظاهر المعاش كقوله يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم فرحوا به وأعرضوا عن علم الديانات وعلى الثانى يكون معناه أن الرسل لما رأوا جهل قومهم وسوء عاقبتهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ووجه آخر وهو أن يكون ضمير فرحوا للكفار وضمير عندهم للرسل أى فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء ثم بين أن ايمان البأس وهو حالة عيان العذاب أو أمارات نزول سلطان الموت غير نافع وقد مر مرارا ومعنى (فلم يك ينفعهم) لم يصح ولم يستقم لأن الالجاء ينافى التكليف وترادف الفاآت فى قوله فما أغنى فلما جاءتهم فلما رأوا فلم يك لترتيب الأخبار ولتعاقب المعانى من غير تراخ وقال جار الله

فما أغنى نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وقوله فلما جاءتهم جار مجرى البيان والتفسير لقوله فما أغنى وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك تابع لايمانهم بعد البأس قال أهل البرهان وانما قال ههنا (وخسر هنالك الكافرون) وفيما قبل المبطلون لانه قال هنالك قضى بالحق ونقيض الحق الباطل وههنا ذكر أن ايمان البأس غير مجد ونقيضه الكفر والله أعلم

* (سورة السجدة وهي مكية حروفها ثلاثة آلاف وثلثمائة وخمسون كلمها سبعمائة وأربع وتسعون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل انتا عاملون قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الي أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء

يقول فانهؤلاء المجادليك من قومك يا محمد في أولئك معتبران اعتبروا ومتعظ ان اتعظوا وان بأسنا اذا حل بالقوم المجرمين لم يدفعه دافع ولم يمنعه مانع وهو بهم ان لم ينيبوا الى تصديقك واقع ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره فلما جاءت هؤلاء الامم الذين من قبل قريش المكذبة رسلها رسلهم الذين أرسلهم الله اليهم بالبينات يعني بالواضحات من حجج الله عز وجل فرحوا بما عندهم من العلم يقول فرحوا جهلا منهم بما عندهم من العلم وقالوا لن نبعث ولن يعذبنا الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله فرحوا بما عندهم من العلم قال قولهم نحن أعلم منهم لن نعذب ولن نبعث **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فرحوا بما عندهم من العلم بجهالتهم وقوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول وحاق بهم من عذاب الله ما كانوا يستعجلون رسلهم به استهزاء به وسخرية * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ما جاءتهم به رسلهم من الحق ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾ يقول تعالى ذكره فلما رأت هذه الامم المكذبة رسلها بأسنا يعني عقاب الله الذي وعدتهم به رسلهم قد حل بهم كما **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فلما رأوا بأسنا قال النقمات التي نزلت بهم وقوله قالوا آمنا بالله وحده يقول قالوا أقررنا بتوحيد الله وصدقنا أنه لا اله غيره وكفرنا بما كنا به مشركين يقول وجحدنا الآلهة التي كنا قبل وقتنا هذا نشركها في عبادتنا الله ونعبدها معه ونتخذها آلهة فبرئنا منها ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾ يقول تعالى ذكره فلم يك ينفعهم تصديقهم في الدنيا بتوحيد الله عند معاينة عقابه قد نزل وعذابه قد حل لانهم صدقوا حين لا ينفع التصديق مصدقا اذ كان قد مضى حكم الله في السابق من علمه أن من تاب بعد نزول العذاب من الله على تكذيبه لم تنفعه توبته * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا لما رأوا عذاب الله في الدنيا لم ينفعهم الايمان عند ذلك وقوله سنة الله التي قد خلت في عباده يقول ترك الله تبارك وتعالى اقالتهم وقبول التوبة منهم ومراجعتهم الايمان بالله وتصديق رسلهم بعد معاينتهم بأسه قد نزل بهم سنته التي قد مضت في خلقه فلذلك لم يقلهم ولم يقبل توبتهم في تلك الحال كما **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سنة الله التي قد خلت في عباده يقول كذلك كانت سنة الله في الذين خلوا من قبل اذا عاينوا عذاب الله لم ينفعهم ايمانهم عند ذلك وقوله وخسر هنالك الكافرون يقول وهلك عند مجيء بأس الله فغبنت صفقته ووضع في بيعه الآخرة بالدنيا والمغفرة بالعذاب والايمان بالكفر الكافرون بربهم الجاحدون توحيد خالقهم المتخذون من دونه آلهة يعبدونهم من دون بارئهم

آخر تفسير سورة حم المؤمن

## ﴿ تفسير سورة حم السجدة ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾ قال أبو جعفر قد تقدم القول منا فيما مضى قبل فى معنى حم والقول فى هذا الموضع كالقول فى ذلك وقوله تنزيل من الرحمن الرحيم يقول تعالى ذكره هذا القرآن تنزيل من عند الرحمن الرحيم نزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كتاب فصلت آياته يقول كتاب بينت آياته كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله فصلت آياته قال بينت آياته وقوله قرآنا عربيا يقول تعالى ذكره فصلت آياته هكذا وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب القرآن فقال بعض نحويى البصرة قوله كتاب فصلت الكتاب خبر المبتدأ أخبر أن التنزيل كتاب ثم قال فصلت آياته قرآنا عربيا شغل الفعل بالآيات حتى صارت بمنزلة الفاعل فنصب القرآن وقال بشيرا ونذيرا على أنه صفة وان شئت جعلت نصبه على المدح كأنه حين ذكره أقبل فى مدحته فقال ذكرنا قرآنا عربيا بشيرا ونذيرا وذكرناه قرآنا عربيا وكان فيما مضى من ذكره دليل على ما أضمر وقال بعض نحويى الكوفة نصب قرآنا على الفعل أى فصلت آياته كذلك قال وقد يكون النصب فيه على القطع لان الكلام تام عند قوله آياته قال ولو كان رفعا على أنه من نعت الكتاب كان صوابا كما قال فى موضع آخر كتاب أنزلناه اليك مبارك وقال وكذلك قوله بشيرا ونذيرا فيه ما فى قرآنا عربيا وقوله لقوم يعلمون يقول فصلت آيات هذا الكتاب قرآنا عربيا لقوم يعلمون اللسان العربى بشيرا لهم يبشرهم ان هم آمنوا به وعملوا بما أنزل فيه من حدود الله وفرائضه بالجنة ونذيرا يقول ومنذرا من كذب به ولم يعمل بما فيه بأمر الله فى عاجل الدنيا وخلود الأبد فى نار جهنم فى آجل الآخرة وقوله فأعرض أكثرهم يقول تعالى ذكره فاستكبر عن الاصغاء له وتدبر ما فيه من حجج الله وأعرض عنه أكثر هؤلاء القوم الذين أنزل هذا القرآن بشيرا لهم ونذيرا وهم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم لا يسمعون يقول فهم لا يصغون له فيسمعوه اعراضا عنه واستكبارا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا قلوبنا فى أكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل انا عاملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون المعرضون عن آيات الله من مشركى قريش اتدعانا محمد نبى الله الى الاقرار بتوحيد الله وتصديق ما فى هذا القرآن من أمر الله ونهيه وسائر ما أنزل فيه قلوبنا فى أكنة يقول فى أغطية مما تدعونا يا محمد اليه من توحيد الله وتصديقك فيما جئتنا به لا نفقهه ما تقول وفى آذاننا وقر وهو الثقل لا نسمع ما تدعونا اليه استثقالا لما يدعو اليه وكراهة له وقد مضى البيان قبل عن معانى هذه الأحرف بشواهده وذكر ما قال أهل التأويل فيه فكرهنا اعادة ذلك فى هذا الموضع وقد حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله قلوبنا فى أكنة قال عليها أغطية كالجعبة للنبل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله وقالوا قلوبنا فى أكنة قال عليها أغطية وفى آذاننا وقر قال صمم وقوله ومن بيننا وبينك حجاب يقولون ومن بيننا وبينك يا محمد ساتر لا نجتمع من أجله نحن وأنت فيرى بعضنا بعضا وذلك الحجاب هو اختلافهم فى الدين لان دينهم كان عبادة الاوثان ودين محمد صلى الله عليه وسلم عبادة الله وحده لا شريك له فذلك هو

وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾ القراآت سواء بالرفع يزيد وقرأ يعقوب بالجر الباقون بالنصب نحسات بسكون الحاء

الحجاب الذى زعموا أنه بينهم وبين نبى الله وذلك هو خلاف بعضهم بعضا فى الدين وقوله فاعمل انا عاملون يقول قالوا له صلى الله عليه وسلم فاعمل يا محمد بدينك وما تقول انه الحق انا عاملون بديننا وما تقول انه الحق ودع دعاءنا الى ما تدعونا اليه من دينك فانا ندع دعاءك الى ديننا وأدخلت من فى قوله ومن بيننا وبينك حجاب والمعنى وبيننا وبينك حجاب توكيد الكلام ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ أنما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾ يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهؤلاء المعرضين عن آيات الله من قومك أيها القوم ما أنا الا بشر من بنى آدم مثلكم فى الجنس والصورة والهيئة لست بملك يوحى الىّ يقول يوحى الله الىّ أن لا معبود لكم تصلح عبادته الا معبود واحد فاستقيموا اليه يقول فاستقيموا اليه بالطاعة ووجهوا اليه وجوهكم بالرغبة والعبادة دون الآلهة والأوثان واستغفروه يقول وسلوه العفو لكم عن ذنوبكم التى سلفت منكم بالتوبة من شرككم يتب عليكم ويغفر لكم وقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون يقول تعالى ذكره وصديد أهل النار وما يسيل منهم للذين لله شريكا العابدين الاوثان دونه الذين لا يؤتون الزكاة اختلف أهل التأويل فى ذلك فقال بعضهم معناه الذين لا يعطون الله الطاعة التى تطهرهم وتزكى أبدانهم ولا يوحدونه وذلك قول يذكر عن ابن عباس ذكر الرواية بذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال هم الذين لا يشهدون أن لا اله الا الله حدثنى سعد ابن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة الذين لا يقولون لا اله الا الله * وقال آخرون بل معنى ذلك الذين لا يقرون بزكاة أموالهم التى فرضها الله فيها ولا يعطونها أهلها وقد ذكرنا أيضا قائلى ذلك قبل وقد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال لا يقرون بها ولا يؤمنون بها وكان يقال ان الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك وقد كان أهل الردة بعد نبى الله قالوا أما الصلاة فنصلى وأما الزكاة فوالله لا نغصب أموالنا قال فقال أبو بكر والله لا أفرق بين شئ جمع الله بينه والله لو منعونى عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة قال لو زكوا وهم مشركون لم ينفعهم * والصواب من القول فى ذلك ما قاله الذين قالوا معناه لا يؤدّون زكاة أموالهم وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة وأن فى قوله وهم بالآخرة هم كافرون دليلا على أن ذلك كذلك لأن الكفار الذين عنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا اله الا الله فلو كان قوله الذين لا يؤتون الزكاة مرادا به الذين لا يشهدون أن لا اله الا الله لم يكن لقوله وهم بالآخرة هم كافرون معنى لانه معلوم أن من لا يشهد أن لا اله الا الله لا يؤمن بالآخرة وفى إتباع الله قوله وهم بالآخرة هم كافرون قوله الذين لا يؤتون الزكاة ما ينبئ عن أن الزكاة فى هذا الموضع معنى بها زكاة الاموال وقوله وهم بالآخرة هم كافرون يقول وهم بقيام الساعة وبعث الله خلقه أحياء من قبورهم من بعد بلائهم وفنائهم منكرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله به ورسوله وانتهوا عما نهاهم عنه وذلك هو الصالحات من



أبن كثير وابو عمرو ونافع وسهل ويعقوب وأما ثمود بالنصب المنفصل تحشر بالنون أعداء بالنصب نافع ويعقوب الآخرون بالياء مجهولا أعداء مرفوعا ۞ الوقوف حم كوفى الرحيم ه ج لأن قوله كتاب يصلح أن يكون بدلا من تنزيل وأن يكون خبر مبتدإ محذوف أى هو كتاب ويجوز أن يكون تنزيل هو مع وصفه مبتدأ وكتاب خبره يعلمون ه ج لأن بشيرا صفة أخرى لقرآنا ونذيرا ه ج لاختلاف الجملتين لا يسمعون ه عاملون ه واستغفروه ج للشركين ه لا كافرون ه ممنون ه وأندادا ط العالمين ه لا للآية مع العطف أيام ط لمن نصب سواء أو رفع ومن خفض لم يقف للسائلين ه كرها ط طائعين ه أمرها ج للعدول بمصابيح ج لحق المحذوف اى وحفظناها حفظا ولعل الوصل أولى لما يجىء وحفظا ه العليم ه وثمود ه بناء على أن اذ يتعلق بمحذوف هو اذكر أو بمعنى الفعل فى الصاعقة أى يصعقون اذ ذاك ولا يجوز أن يتعلق بأنذرتكم الا الله ط كافرون ه مناقوة ط منهم قوة ط للفصل بين الاخبار والاستخبار يجحدون ه الدنيا ج لا ينصرون ه يكسبون ه يتقون ه يوزعون ه يعملون ه علينا ط ترجعون ه تعملون ه الخاسرين ه مثوى لهم ط المعتبين ه ۞ التفسير حم قال بعضهم الحاء من الحكمة والميم من المنة أى من على عباده بتنزيل الحكمة من الرحمن فى الأزل الرحيم فى الأبد وهى (كتاب فصلت آياته) أى ميزت أمثالا ومواعظ وأحكاما وقصصا الى غير ذلك

الاعمال لهم أجر غير ممنون يقول لمن فعل ذلك أجر غير منقوص عما وعدهم أن يأجرهم عليه وقد اختلف فى تأويل ذلك اهل التأويل وقد بيناه فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى لهم أجر غير ممنون قال بعضهم غير منقوص وقال بعضهم غير ممنون عليهم حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله أجر غير ممنون يقول غير منقوص حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لهم أجر غير ممنون قال محسوب وقوله أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وذلك يوم الأحد ويوم الاثنين وبذلك جاءت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالته العلماء وقد ذكرنا كثيرا من ذلك فيما مضى قبل ونذكر بعض ما لم نذكره قبل ان شاء الله ذكر بعض ما لم نذكره فيما مضى من الاخبار بذلك حدثنا هناد بن السرى قال ثنا أبو بكر بن عياش عن أبى سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال هنا دقرأت سائر الحديث على أبى بكر ان اليهود أتت النبى صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والارض قال خلق الله الارض يوم الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء ومافيهن من منافع وخلق يوم الاربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والخراب فهذه أربعة ثم قال ائنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين لمن سأل قال وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت منه فخلق فى أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال حين يموت من مات وفى الثانية ألقى الآفة على كل شئ مما ينتفع به الناس وفى الثالثة آدم وأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها فى آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو أتممت قالوا ثم استراح فغضب النبى صلى الله عليه وسلم غضبا شديدا فنزل ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون حدثنا تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق عن شريك عن غالب بن غلاب عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس قال ان الله خلق يوما واحدا فسماه الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس قال فخلق الارض فى يومين الاحد والاثنين وخلق الجبال يوم الثلاثاء فذلك قول الناس هو يوم ثقيل وخلق مواضع الانهار والاشجار يوم الاربعاء وخلق الطير والوحوش والهوام والسباع يوم الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة ففرغ من خلق كل شئ يوم الجمعة حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى خلق الارض فى يومين فى الأحد والاثنين وقد قيل غير ذلك وذلك ما حدثنى القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن على قالا ثنا حجاج عن ابن جريج قال أخبرنى اسمعيل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبى هريرة قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فقال خلق الله التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء وخلق النور يوم الاربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة آخر خلق فى آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر الى الليل وقوله وتجعلون له أندادا يقول وتجعلون لمن خلق ذلك كذلك أندادا وهم الأكفاء من الرجال تطيعونهم فى معاصى الله وقد بينا معنى التنديد بشواهده فيما مضى قبل وقوله ذلك رب العالمين يقول الذى فعل هذا الفعل وخلق

وقدمر فى أول هود وانتصب قرآنا على المدح والاختصاص أو على الحال الموطئة (لقوم يعلمون) أى لقوم عرب يفهمون معانيه يعنى بالاصالة وللباقين بعدهم وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم منهم فالدعوة تحصل أولا لهم والأظهر عندى انه كقوله هدى للمتقين وذلك أنه لا ينتفع بالقرآن الا أهل العلم به قال أهل السنة الصفات المذكورة ههنا للقرآن توجب شدة الاهتمام بمعرفته والوقوف على معانيه بيانه أن كونه نازلا من الرحمن الرحيم دليل على أن تنزيله رحمة للعالمين وفيه شفاء لأمراض القلوب وكونه كتابا والتركيب يدور على الجمع كما سبق فى أول الكتاب يدل على أن فيه علوم الاولين والآخرين وقوله فصلت آياته دليل على أنه فى غاية الكشف والبيان وكونه قرآنا عربيا ولغة العرب أفصح اللغات مما يوجب أن تتوفر عليه الرغبات ولاسيما للعرب ومن داناهم وكونه بشيرا ونذيرا يدل على أن الاحتياج اليه من أهم المهمات لأنه سعى فى معرفة ما يوصل الى الثواب الابدى ويخلص من العقاب السرمدى فاذا علم المخاطبون هذه الفوائد ثم أعرض أكثرهم عن القرآن ولم يسمعوه سماع قبول دل ذلك على أن المهدى من هداه الله ومن يضلله فلا هادى له ثم أكد بيان اعراضهم بقوله (وقالوا قلوبنا فى أكنة) ولا يخفى أنه سبحانه ذكر هذا فى معرض الذم فوجه الجمع بينه وبين قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفى آذانهم وقرا هو أن الذم انما يتوجه على اعتقادهم أنهم اذا كانوا كذلك لم يجز تكليفهم

ولاخطابهم بالأمر والنهى اوانهم
قالوا ذلك على سبيل الاستهزاء
قال جار الله فائدة من فى قوله (ومن
بيننا وبينك حجاب) دون أن يقول
و بيننا هو أن العبارة الثانية تدل
على مطلق الحجاب ولكن العبارة
الواردة فى القرآن تفيد أن المسافة
التى بينهم وبين رسول الله مملوءة
من الحجاب لافراغ فيها كأنه قيل
ان الحجاب ابتدأ منا ومنك ثم حكى
عنهم ماقالوا على سبيل التهديد أو
التحلية (فاعمل) أى على دينك او
فى ابطال ديننا (انناعاملون) على ديننا
أوفى ابطال أمرك ثم أمر رسوله
صلى الله عليه وسلم أن يجيب عن
شبهتهم بقوله (انما أنا بشر مثلكم)
وتوجيه النظم انى لاأقدر أن
أحملكم على الايمان جبرا فانى بشر
مثلكم ولا امتياز الا أنى أوحى الىّ
التوحيد والأمر به فعلىّ البلاغ
وحده ثم ان قبلتم قولى أثابكم الله
والا عاقبكم قال فى الكشاف أراد
ان نبوتى صحت بالوحى واذا صحت
وجب اتباعى ومن جملة ذلك القول
بالتوحيد ثم بين أن خلاصة
الوحى ترجع الى أمرين الاستقامة
والاقامة على التوحيد المتوجهين
الى الله والاستغفار من تقصير قد
يقع فى الطاعة ثم هدّد أهل الشرك
بقوله (وو يل للمشركين) وقرن منع
الزكاة بالكفر بالله أولا و بالآخرة
ثانيا لأن المال شقيق الروح و به
و ببذله فى سبيل الله يعرف الموافق
من المنافق ففيه بعث شديد لأهل
الايمان على أداء الزكاة وفيه أن
الشفقة على خلق الله قرينة التعظيم
لأمر الله وقيل كانت قريش
يطعمون الحاج ولا يطعمون
المؤمنين فنزلت قاله الفراء وقيل

الارض فى يومين مالك جميع الجن والانس وسائر أجناس الخلق وكل مادونه مملوك له فكيف يجوز أن يكون له تدوهل يكون المملوك العاجز الذى لا يقدر على شئ نداً لمالكه القادر عليه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ وجعل فيها رواسى من فوقها و بارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا اوكرها قالتا أتينا طائعين ﴿يقول تعالى ذكره وجعل فى الارض التى خلق فى يومين جبالا رواسى وهى الثوابت فى الارض من فوقها يعنى من فوق الأرض على ظهرها وقوله و بارك فيها يقول و بارك فى الارض بجعلها دائمة الخير لأهلها وقد ذكر عن السدى فى ذلك ما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى و بارك فيها قال أنبت شجرها وقدر فيها أقواتها اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك فقال بعضهم وقدر فيها أقوات أهلها بمعنى أرزاقهم ومعايشهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن وقدر فيها أقواتها قال أرزاقها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله وقدر فيها أقواتها قال قدر فيها أرزاق العباد ذلك الأقوات حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى وقدر فيها أقواتها يقول أقواتها لأهلها * وقال آخرون بل معناه وقدر فيها مايصلحها ذكر من قال ذلك حدثنى على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم عن خليد بن دعلج عن قتادة قوله وقدر فيها أقواتها قال صلاحها * وقال آخرون بل معنى ذلك وقدر فيها جبالها وأنهارها وأشجارها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقدر فيها أقواتها خلق فيها جبالها وأنهارها و بحارها وشجرها وساكنها من الدواب كلها حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وقدر فيها أقواتها قال جبالها ودوابها وأنهارها و بحارها * وقال آخرون بل معنى ذلك وقدر فيها أقواتها من المطر ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وقدر فيها أقواتها قال من المطر * وقال آخرون بل معنى ذلك وقدر فى كل بلدة منها ما لم يجعله فى الآخر منها لمعاش بعضهم من بعض بالتجارة من بلدة الى بلدة ذكر من قال ذلك حدثنى الحسين ابن محمد الذارع قال ثنا أبو محصن قال ثنا حسين عن عكرمة فى قوله وقدر فيها أقواتها قال اليمانى باليمن والسابرى بسابور حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا أبو محصن عن حصين قال قال عكرمة وقدر فيها أقواتها اليمانية باليمن والسابرية بسابور وأشباه هذا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت حصينا عن عكرمة فى قوله وقدر فيها أقواتها قال فى كل أرض قوت لا يصلح فى غيرها اليمانى باليمن والسابرى بسابور حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله وقدر فيها أقواتها قال البلد يكون فيه القوت أو الشئ لا يكون لغيره ألا ترى أن السابرى انما يكون بسابور وأن العصب انما يكون باليمن ونحو ذلك حدثنى اسمعيل بن سيف قال ثنا ابن عبد الواحد بن زياد عن خصيف عن مجاهد فى قوله وقدر فيها أقواتها قال السابرى بسابور والطيالسة من الرى حدثنى اسمعيل قال ثنا أبو النضر صاحب البصرى قال ثنا أبو عوانة عن مطرف عن الضحاك فى قوله وقدر فيها أقواتها قال السابرى من سابور والطيالسة من الرى والخبر من اليمن * والصواب من القول فى ذلك أن يقال ان الله تعالى أخبر أنه قدر فى الارض أقوات أهلها وذلك مايقوتهم من الغذاء

و يصلحهم من المعاش ولم يخصص جل ثناؤه بقوله وقدر فيها أقواتها أنه قدر فيها قوتا دون قوت بل عم الخبر عن تقديره فيها جميع الاقوات ومما يقوت أهلها مما لا يصلحهم غيره من الغذاء وذلك لا يكون الا بالمطر والتصرف فى البلاد لما خص به بعضا دون بعض ومما أخرج من الجبال من الجواهر ومن البحر من المآكل والحلى ولا قول فى ذلك أصح مما قال جل ثناؤه قدر فى الارض أقوات أهلها لما وصفنا من العلة وقال جل ثناؤه فى أربعة أيام لما ذكرنا قبل من الخبر الذى رويناعن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فرغ من خلق الارض وجميع أسبابها ومنافعها من الاشجار والماء والمدائن والعمران والخراب فى أربعة أيام أوطن يوم الاحد وآخرهن يوم الاربعاء حدثنى موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى قال خلق الجبال فيها وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغى لها فى يومين فى الثلاثاء والاربعاء وقال بعض نحويى البصرة قال خلق الارض فى يومين ثم قال فى أربعة أيام لانه يعنى أن هذا مع الاول أربعة أيام كما تقول تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين واحداهما التى تزوجتها أمس وقوله سواء للسائلين اختلف أهل التأويل فى تأويله فقال بعضهم تأويله سواء لمن سأل عن مبلغ الأجل الذى خلق الله فيه الأرض وجعل فيها الرواسى من فوقها والبركة وقدر فيها الأقوات بأهلها وجده كما أخبر الله أربعة أيام لا يزدن على ذلك ولا ينقصن منه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة سواء للسائلين من سأل عن ذلك وجده كما قال الله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة سواء للسائلين قال من سأل فهو كما قال الله حدثنا موسى بن هرون قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدى فى أربعة أيام سواء للسائلين يقول من سأل فهكذا الامر * وقال آخرون بل معنى ذلك سواء لمن سأل ربه شيأ مما به الحاجة اليه من الرزق فان الله قد قدر له من الاقوات فى الارض على قدر مسألة كل سائل منهم لو سأله لما نفذ من علمه فيهم قبل أن يخلقهم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سواء للسائلين قال قدر ذلك على قدر مسائلهم يعلم ذلك أنه لا يكون من مسائلهم شئ الا شئ قد علمه قبل أن يكون واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار غير أبى جعفر والحسن البصرى سواء بالنصب وقرأه أبو جعفر القارئ سواء بالرفع وقرأ الحسن سواء بالجر والصواب من القراءة فى ذلك ما عليه قراء الامصار وذلك قراءته بالنصب لاجماع الحجة من القراء عليه ولصحة معناه وذلك أن معنى الكلام وقدر فيها أقواتها سواء لسائليها على ما بهم اليه الحاجة وعلى ما يصلحهم وقد ذكر عن ابن مسعود أنه كان يقرأ ذلك وقسم فيها أقواتها وقد اختلف أهل العربية فى وجه نصب سواء فقال بعض نحويى البصرة من نصبه جعله مصدرا كأنه قال استواء قال وقد قرئ بالجر وجعل اسما للستويات أى فى أربعة أيام تامة وقال بعض نحويى الكوفة من خفض سواء جعلها من نعت الايام وان شئت من نعت الاربعة ومن نصبها جعلها متصلة بالاقوات قال وقد ترفع كأنه ابتداء كأنه قال ذلك سواء للسائلين يقول لمن أراد علمه * والصواب من القول فى ذلك أن يكون نصبه اذا نصب حالا من الاقوات اذ كانت سواء قد شبهت بالاسماء النكرة فقيل مررت بقوم سواء فصارت تتبع النكرات واذا تبعت النكرات انقطعت من المعارف فنصبت فقيل مررت بأخوتك سواء وقد يجوز أن يكون اذا لم يدخلها تثنية ولا جمع أن تشبه بالمصادر وأما اذا رفعت فانما ترفع ابتداء بضمير ذلك ونحوه واذا جرت فعلى الاتباع للايام أو للاربعة وقوله ثم استوى الى السماء وهى

أراد بالزكاة ههنا الايمان لانه يزكى النفس من درن الشرك ثم ذكر جزاء المطيعين وهو ظاهر والممنون المقطوع وقيل هو من المنة قال جمع من المفسرين نزلت فى المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون لما حكى بعض قباح المشركين وسائر الكفرة أراد أن يورد دليلا على التوحيد فأمر رسوله أن يوبخهم بقوله (أئنكم لتكفرون بالذى) سمعتم ممن تصدقونهم من أهل الكتاب غيركم أنه (خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا) عمم الكفر أولا ثم خصص بنوع الشرك (وجعل فيها رواسى) ومعنى (من فوقها) أى بالنسبة الى سكان المعمورة تذكيرا لنعمة فوق نعمة فان الجبال منافعها أكثر من أن تحصى يعرف بعضها أهلها ولعلنا قد عددنا فى أول البقرة طرفا منها (وبارك فيها) بوضع الخيرات الكثيرة فيها قال ابن عباس يريد شق الأنهار وخلق الجبال والاشجار والحيوانات وكل ما يحتاج اليه (وقدر فيها أقواتها) عن مجاهد يعنى المطر فانه بمنزلة الغذاء للارض به حياتها وعن محمد ابن كعب أراد أقوات أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وقيل لا حاجة الى الاضمار فان الاضافة تحسن لأدنى ملابسة أى وقدر فيها أقواتها التى يختص حدوثها بها (فى أربعة أيام) يعنى مع اليومين الاولين فيكون ايجاد نفس الارض فى يومين وايجاد هذه الأشياء فى يومين آخرين والمجموع أربعة أيام وخلق السماء فى تتمة ستة فتكون هذه الآية موافقة لسائر الآيات وقد سبق هذا المعنى فى أول سورة البقرة

دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين يعني تعالى ذكره ثم استوى الى السماء ثم ارتفع الى السماء وقد بينا أقوال أهل العلم في ذلك فيما مضى قبل وقوله فقال لها وللارض ائتيا طوعا أوكرها يقول جل ثناؤه فقال الله للسماء والارض جيئا بما خلقت فيكما أما أنت يا سماء فأطلعي ما خلقت فيك من الشمس والقمر والنجوم وأما أنت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من الأشجار والثمار والنبات وتشققي عن الانهار قالتا أتينا طائعين جئنا بما أحدثت فينا من خلائقك مستجيبين لأمرك لانعصي أمرك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن سليمن بن موسى عن مجاهد عن ابن عباس فقال لها وللارض ائتيا طوعا أوكرها قالتا أتينا طائعين قال قال الله للسموات أطلعي شمسي وقمري وأطلعي نجومي وقال للارض شققي أنهارك وأخرجي ثمارك فقالتا أعطينا طائعين حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن جريج عن سليمن الاحول عن طاوس عن ابن عباس في قوله ائتيا أعطيا وفي قوله قالتا أتينا قالتا أعطينا وقيل قالتا أتينا طائعين ولم يقل طائعتين والسماء والارض مؤنثتان لان النون والالف اللتين هما كناية أسمائهما في قوله أتينا نظيرة كناية أسماء المخبرين من الرجال عن أنفسهم فأجري قوله طائعين على ما جرى به الخبر عن الرجال كذلك وقد كان بعض أهل العربية يقول ذهب به الى السموات والارض ومن فيهن * وقال آخرون منهم قيل ذلك كذلك لأنهما لما تكلمتا أشبهتا الذكور من بني آدم ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فقضاهن سبع سموات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم ﴾ يقول تعالى ذكره ففرغ من خلقهن سبع سموات في يومين وذلك يوم الخميس ويوم الجمعة كما حدثني موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي قال استوى الى السماء وهي دخان من تنفس الماء حين تنفس فجعلها سماء واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة وانما سمي يوم الجمعة لانه جمع فيه خلق السموات والارض وقوله وأوحى في كل سماء أمرها يقول وألقى في كل سماء من السموات السبع ما أراد من الخلق * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وأوحى في كل سماء أمرها قال ما أمر الله به وأراده حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا اسباط عن السدي وأوحى في كل سماء أمرها قال خلق في كل سماء خلقها من الملائكة والخلق الذي فيها من البحار وجبال البرد وما لا يعلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأوحى في كل سماء أمرها خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها وقوله وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا يقول تعالى ذكره وزينا السماء الدنيا اليكم أيها الناس بالكواكب وهي المصابيح كما حدثنا موسى قال ثنا عمرو قال ثنا أسباط عن السدي زينا السماء الدنيا بمصابيح قال ثم زين السماء بالكواكب فجعلها زينة وحفظا من الشياطين واختلف أهل العربية في وجه نصبه قوله وحفظا فقال بعض نحويي البصرة نصب بمعنى وحفظناها حفظا كأنه قال ونحفظها حفظا لأنه حين قال زينا ها بمصابيح قد أخبر أنه قد نظر في أمرها وتعهدها فهذا يدل على الحفظ كأنه قال وحفظناها حفظا وكان بعض نحويي الكوفة يقول نصب ذلك على معنى وحفظا زيناها لأن الواو لو سقطت لكان

من قرأ سواء بالرفع فعلى انه خبر مبتدا محذوف أي هي سواء ثم ان كان الضمير للاربعة فمعناه أن تلك الأيام مستوية في الطول والقصر كأيام خط الاستواء أو هي تامة غير ناقصة بشئ فقد يطلق لفظ الكل على الأكثر وهذا احدى فوائد العدول عن العبارة الصريحة وهي أن لو قال في يومين آخرين وقال بعضهم من فوائده أنه لا يجوز عطف قوله وجعل على خلق لان قوله وتجعلون معطوف على لتكفرون ولا يجوز أن يحال بين صلة الموصول وما يعطف عليه بأجنبي لا يقال جاءني الذي يكتب وجلس ويقرأ فلا بد من اضمار فعل مثل الاول فتقدير الكلام ذلك أن رب العالمين خلق الارض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام وهو كلام لا يرد عليه سؤال أصلا ومن قرأ بالجر فعلى وصف الاربعة بالاستواء والمعنى كما مر ومن قرأ بالنصب فعلى المصدر أي استوت استواء ثم ان كان الضمير للاربعة فالمعنى كما قلنا وان كان للاقوات وكذا في قراءة الرفع احتمل أن يكون للسائلين متعلقا به أي الاقوات والارزاق سواء لمن سأل ولمن لم يسأل لما روى عن ابن عباس قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم وأنا رديفه يقول خلق الله الأرواح قبل الاجساد بأربعة آلاف سنة وخلق الارزاق قبل الارواح بأربعة آلاف سنة سواء لمن سأل ولمن لم يسأل وأنا من الذين لم يسألوا الله الرزق ومن سأل فهو جهل منه واحتمل أن يكون قوله للسائلين متعلقا بقوله وقدر أي قدر فيها الاقوات

انا زينا السماء الدنيا حفظا وهذا القول الثانى أقرب عندنا للصحة من الاول وقد بينا العلة فى نظير ذلك فى غير موضع من هذا الكتاب فأغنى ذلك عن اعادته وقوله ذلك تقدير العزيز العليم يقول تعالى ذكره هذا الذى وصفت لكم من خلق السماء والأرض ومافيهما وتزيينى السماء الدنيا بزينة الكواكب على ما بينت تقدير العزيز فى نقمته من أعدائه العليم بسرائر عباده وعلانيتهم وتدبيرهم على مافيه صلاحهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون﴾ يقول تعالى ذكره فان أعرض هؤلاء المشركون عن هذه الحجة التى بينتها لهم يا محمد ونبهتهم عليها فلم يؤمنوا بها ولم يقروا أن فاعل ذلك هو الله الذى لا اله غيره فقل لهم أنذرتكم أيها الناس صاعقة تهلككم مثل صاعقة عاد وثمود وقد بينا فيما مضى أن معنى الصاعقة كل ما أفسد الشئ وغيره عن هيئته وقيل فى هذا الموضع عنى بها وقيعة من الله وعذاب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود قال يقول أنذرتكم وقيعة مثل وقيعة عاد وثمود قال عذاب مثل عذاب عاد وثمود وقوله اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم يقول قل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود التى أهلكتهم اذ جاءت عادا وثمود الرسل من بين أيديهم فقوله اذ من صلة صاعقة وعنى بقوله من بين أيديهم الرسل التى أتت آباء الذين هلكوا بالصاعقة من هاتين الأمتين وعنى بقوله ومن خلفهم من خلف الرسل الذين بعثوا الى آبائهم رسلا اليهم وذلك أن الله بعث الى عاد هودا فكذبوه من بعد رسل قد كانت تقدمته الى آبائهم أيضا فكذبوهم فأهلكوا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فان أعرضوا الى قوله ومن خلفهم قال الرسل التى كانت قبل هود والرسل الذين كانوا بعده بعث الله قبله رسلا وبعث من بعده رسلا وقوله ألا تعبدوا الا الله يقول تعالى ذكره جاءتهم الرسل بأن لا تعبدوا الا الله وحده لا شريك له قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة يقول جل ثناؤه فقالوا لرسلهم اذ دعوهم الى الاقرار بتوحيد الله لو شاء ربنا أن نوحده ولا نعبد من دونه شيأ غيره لأنزل الينا ملائكة من السماء رسلا بما تدعوننا أنتم اليه ولم يرسلكم وأنتم بشر مثلنا ولكنه رضى عبادتنا ما نعبد فلذلك لم يرسل الينا بالنهى عن ذلك ملائكة وقوله فانا بما أرسلتم به كافرون يقول قالوا لرسلهم فانا بالذى أرسلكم به ربكم الينا جاحدون غير مصدقين به ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ يقول تعالى ذكره فأما عاد قوم هود فاستكبروا على ربهم وتجبروا فى الارض تكبرا وعتوا بغير ما أذن الله لهم به وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم وأعطاهم ما أعطاهم من عظم الخلق وشدة البطش هو أشد منهم قوة فيحذروا عقابه ويتقوا سطوته لكفرهم به وتكذيبهم رسله وكانوا بآياتنا يجحدون يقول وكانوا بأدلتنا وحججنا عليهم يجحدون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾ يقول تعالى ذكره فأرسلنا على عاد ريحا صرصرا واختلف أهل التأويل فى معنى الصرصر فقال بعضهم عنى بذلك أنها ريح شديدة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح

لأجل الطالبين لها المحتاجين اليها وهم فى الاحتياج سواء وقيل انه متعلق بمحذوف كأنه قيل هذا الحصر والبيان لأجل من سأل فى كم خلقت الأرض وما فيها لأن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك قوله (ثم استوى الى السماء) أى توجه بداعى الحكمة بعد خلق الارض لادحوها الى خلق السماء وقدمر فى أول البقرة قوله وهى (دخان) ذكر أصحاب الأثر وجاء فى أول توراة اليهود أن عرش الله قبل خلق السموات والارض كان على الماء فأحدث فى ذلك الماء سخونة فارتفع زبد ودخان أما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق الله منه الأرض واما الدخان فارتفع وعلا فخلق الله منه السموات وزعم المتكلمون أن الله سبحانه خلق الأجزاء التى لا تتجزأ

عن مجاهد قوله ريحا صرصرا قال شديدة حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ريحا صرصرا شديدة السموم عليهم * وقال آخرون بل عنى بها أنها باردة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا قال الصرصر الباردة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله ريحا صرصرا قال باردة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا احمد قال ثنا أسباط عن السدي ريحا صرصرا قال باردة ذات الصوت حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله ريحا صرصرا يقول ريحا فيها برد شديد * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد وذلك أن قوله صرصرا انما هو صوت الريح اذا هبت بشدة فسمع لها كقول القائل صرر ثم جعل ذلك من أجل التضعيف الذي في الراء فقال ثم أبدلت احدى الراآت صادا لكثرة الراآت كما قيل في ردده ردرده وفي نهنهه نهنه كما قال رؤبة

فاليوم قد نهنهني تنهنهي * وأولى حلم ليس بالمسفه

وكما قيل في كفففه كفكفه كما قال النابغة

أكفكف عبرة غلبت عداتي * اذا نهنهتها عادت ذباحا

وقد قيل ان النهر الذي يسمى صرصرا انما سمي بذلك لصوت الماء الجاري فيه وانه (١) فعلل من صر نظير الريح الصرصر وقوله في أيام نحسات اختلف أهل التأويل في تأويل النحسات فقال بعضهم عنى بها المتتابعات ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله في أيام نحسات قال أيام متتابعات أنزل الله فيهن العذاب * وقال آخرون عنى بذلك المشائيم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أيام نحسات قال مشائيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في أيام نحسات أيام والله كانت مشؤمات على القوم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال النحسات المشؤمات النكدات حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في أيام نحسات قال أيام مشؤمات عليهم * وقال آخرون معنى ذلك أيام ذات شر ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أيام نحسات قال النحس الشر أرسل عليهم ريح شر ليس فيها من الخير شئ * وقال آخرون النحسات الشداد ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في أيام نحسات قال شداد * وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال عنى بها أيام مشائيم ذات نحوس لأن ذلك هو المعروف من معنى النحس في كلام العرب وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الأمصار غير نافع وأبي عمرو في أيام نحسات بكسر الحاء وقرأه نافع وأبو عمرو نحسات بسكون الحاء وكان أبو عمرو فيما ذكر لنا عنه يحتج لتسكينه الحاء بقوله يوم نحس مستمر وأن الحاء فيه ساكنة والصواب من القول في ذلك أن يقال انهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما قراء علماء مع اتفاق معنييهما وذلك أن تحريك الحاء وتسكينها في ذلك لغتان معروفتان يقال هذا يوم نحس و يوم نحس بكسر الحاء وسكونها قال الفراء أنشدني بعض العرب

أبلغ جذاما وخما أن اخوتهم * طيا وبهراء قوم نصرهم نحس

فكانت مظلمة عديمة النور ثم ركبها وجعلها سموات وكواكب وشمسا وقمرا وأحدث صفة الضوء فيها فحينئذ صارت مستنيرة فصحت تسمية تلك الأجزاء قبل استنارتها بالدخان لانه لا معنى للدخان الا أنها أجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور واعلم أن ظاهر قوله ثم استوى يدل على أن خلق السماء متأخر عن خلق الارض وقد جاء مثله في آيات أخر وفي الآثار الا أن الواحدي نقل في البسيط عن مقاتل أنه قال خلق الله السماء قبل الأرض فتأول الآية بان لفظة كان مضمرة اى ثم كان قد استوى كما في قوله تعالى ان يسرق فقد اى ان يكن يسرق وزيف بأن الجمع بين ثم الدال على التأخر و بين اضمار كان الدال على التقدم جمع بين النقيضين و يمكن ان يجاب بأن ثم ههنا للترتيب

(١) لعله فعل يعنى بالتشديد مثل صر ثم قلبت الراء من جنس الفاء تأمل كتبه مصححه

وأما من السكون فقول الله يوم نحس ومنه قول الراجز

يومين غيمين ويوما شمسا * نحسين بالسعد ونجما نحسا

فمن كان فى لغته يوم نحس قال فى أيام نحسات ومن كان فى لغته يوم نحس قال فى أيام نحسات وقد قال بعضهم النحس بسكون الحاء هو الشؤم نفسه وان اضافة اليوم الى النحس انما هو اضافة الى الشؤم وان النحس بكسر الحاء نعت لليوم بأنه مشؤم ولذلك قيل فى أيام نحسات لانها أيام مشائيم وقوله لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا يقول جل ثناؤه ولعذابنا اياهم فى الآخرة أخزى لهم وأشد اهانة واذلالا وهم لا ينصرون يقول وهم يعنى عادا لا ينصرهم من الله يوم القيامة اذا عذبهم ناصر فينقذهم منه أو ينتصر لهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ يقول تعالى ذكره فبينا لهم سبيل الحق وطريق الرشد كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وأما ثمود فهديناهم أى بينا لهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وأما ثمود فهديناهم بينا لهم سبيل الخير والشر حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأما ثمود فهديناهم بينا لهم حدثنى يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وأما ثمود فهديناهم قال أعلمناهم الهدى والضلالة ونهيناهم أن يتبعوا الضلالة وأمرناهم أن يتبعوا الهدى وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله ثمود فقرأته عامة القراء من الأمصار غير الأعمش وعبد الله بن أبى اسحق برفع ثمود وترك اجرائها على أنها اسم للامة التى تعرف بذلك وأما الأعمش فانه ذكر عنه أنه كان يجرى ذلك فى القرآن كله الا فى قوله وآتينا ثمود الناقة مبصرة فانه كان لا يجريه فى هذا الموضع خاصة من أجل أنه فى خط المصحف فى هذا الموضع بغير ألف وكان يوجه ثمود الى انه اسم رجل بعينه معروف أو اسم جيل معروف وأما ابن اسحق فانه كان يقرؤه نصبا وأما ثمود بغير اجراء وذلك وان كان له فى العربية وجه معروف فان أفصح منه واصح فى الاعراب عند أهل العربية الرفع لطلب أما الأسماء وأن الافعال لا تليها وانما تعمل العرب الافعال التى بعد الاسماء فيها اذا حسن تقديمها قبلها والفعل فى أما لا يحسن تقديمه قبل الاسم ألا ترى أنه لا يقال وأما هديناه فثمود كما يقال وأما ثمود فهديناهم * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا الرفع وترك الاجراء أما الرفع فلما وصفت وأما ترك الاجراء فلأنه اسم للامة وقوله فاستحبوا العمى على الهدى يقول فاختاروا العمى على البيان الذى بينت لهم والهدى الذى عرفتهم بأخذهم طريق الضلال على الهدى يعنى على البيان الذى بينته لهم من توحيد الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فاستحبوا العمى على الهدى قال اختاروا الضلالة والعمى على الهدى حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى قال أرسل الله اليهم الرسل بالهدى فاستحبوا العمى على الهدى حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاستحبوا العمى يقول بينا لهم فاستحبوا العمى على الهدى حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فاستحبوا العمى على الهدى قال استحبوا الضلالة على الهدى وقرأ وكذلك زينا لكل أمة عملهم الى آخر الآية قال فزين لثمود عملها القبيح وقرأ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا فان الله يضل من يشاء الى آخر الآية وقوله فأخذتهم

الاخبار وقال الامام فخر الدين الرازى المختار عندى أن تكوين السماء مقدم على تكوين الارض والخلق الوارد فى الآية بمعنى التقدير كقوله خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فان ايجاد الموجود محال فمعنى الآية أنه قضى بحدوث الارض فى يومين أى حكم بأنه سيحدث كذا فى مدة كذا قلت لو لم يكن قوله تعالى وجعل فيها رواسى من فوقها الى قوله أربعة أيام لكان هذا التأويل له وجه وقال بعض الصوفية خلق أرض البشرية فى يومى الهواء والطبيعة وهما من الأنداد وجعل لها رواسخ العقل من فوقها لتستقر بها وبارك فيها بالحواس الخمسة وقدر فيها أقواتها من سائر القوى البشرية فى تتمة أربعة أيام يعنى فى يومى الروح الحيوانى والطبيعى ثم استوى الى سماء القلب وهى دخان نار الروحانية

صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون يقول فأهلكتهم من العذاب المذل المهين لهم مهلكة اذلتهم وأخزتهم والهون هو الهوان كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى عذاب الهون قال الهوان وقوله بما كانوا يكسبون من الآثام بكفرهم بالله قبل ذلك وخلافهم اياه وتكذيبهم رسله وقوله ونجينا الذين آمنوا يقول ونجينا الذين آمنوا من العذاب الذى أخذهم بكفرهم بالله الذين وحدوا الله وصدقوا رسله وكانوا يتقون يقول وكانوا يخافون الله أن يحل بهم من العقوبة على كفرهم لو كفروا ما حل بالذين هلكوا منهم فآمنوا اتقاء الله وخوف وعيده وصدقوا رسله وخلعوا الآلهة والانداد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾ يقول تعالى ذكره ويوم يجمع هؤلاء المشركون أعداء الله الى النار الى نار جهنم فهم يحبس أولهم على آخرهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فهم يوزعون قال يحبس أولهم على آخرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فهم يوزعون قال عليهم وزعة ترد أولاهم على أخراهم وقوله حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم يقول حتى اذا ما جاؤا النار شهد عليهم سمعهم بما كانوا يصغون به فى الدنيا اليه ويستمعون له وأبصارهم بما كانوا يبصرون به وينظرون اليه فى الدنيا وجلودهم بما كانوا يعملون وقد قيل عنى بالجلود فى هذا الموضع الفروج ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن الحكم الثقفى رجل من آل أبى عقيل رفع الحديث وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا انما عنى فروجهم ولكن كنى عنها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا حرملة أنه سمع عبيد الله بن أبى جعفر يقول حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم قال جلودهم الفروج وهذا القول الذى ذكرناه عمن ذكرناه عنه فى معنى الجلود وان كان معنى يحتمله التأويل فليس بالأغلب على معنى الجلود ولا بالأشهر وغير جائز نقل معنى ذلك المعروف على الشئ الأقرب الى غيره الا بحجة يجب التسليم لها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء الذين يحشرون الى النار من أعداء الله سبحانه لجلودهم اذ شهدت عليهم بما كانوا فى الدنيا يعملون لم شهدتم علينا بما كنا نعمل فى الدنيا فأجابتهم جلودهم أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ فنطقنا وذكر أن هذه الجوارح تشهد على أهلها عند استشهاد الله اياها عليهم اذا هم أنكروا الأفعال التى كانوا فعلوها فى الدنيا بما يسخط الله وبذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الاخبار التى رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أحمد بن حازم الغفارى قال أخبرنا على بن قادم الفزارى قال أخبرنا شريك عن عبيد المكتب عن الشعبى عن أنس قال ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى بدت نواجذه ثم قال ألا تسألونى مم ضحكت قالوا مم ضحكت يا رسول الله قال عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة قال يقول يا رب أليس وعدتنى أن لا تظلمنى قال فان لك ذلك قال فانى لا أقبل على شاهدا الا من نفسى قال أوليس كفى بى شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين قال فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل قال فيقول لهن بعدا لكن وسحقا عنكن كنت أجادل حدثنا ابن حميد قال ثنا مهران عن سفيان عن عبيد المكتب عن فضيل بن عمرو عن الشعبى عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنى عباس بن أبى طالب قال ثنا يحيى بن أبى بكر عن شبل قال سمعت أبا قزعة

يحدث

فقضى سماء القلب أطوارا سبعة كقوله وقد خلقكم أطوارا أولها الوسوسة ثم الخواجس ثم الرؤية ما كذب الفؤاد ما رأى ثم الحكمة ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه ثم ظهور المغيبات ثم المحبة ثم التجلى فى يومى الروح والالهام الربانى قوله (فقال لها وللارض ائتيا) الآية للمفسرين فيه قولان الاول اجراء الكلام على ظاهره فانه ليس بمستبعد من الله انطاق أى جسم فرض بل ايداع الحياة والفهم فيه ولهذا قال (طائعين) على لفظ جمع المذكر السالم فان جمع المؤنث السالم لا يختص بالعقلاء ووجه الجمع أن اقل الجمع اثنان أولأن كل واحد منهما سبع ومن هؤلاء من قال نطق من الارض موضع الكعبة ومن السماء ما يحاذيها بجعل الله لها حرمة على سائر الارض وعلى هذا

يحدث عمرو بن دينار عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وأشار بيده الى الشام قال ههنا الى ههنا تحشرون ركبانا ومشاة على وجوهكم يوم القيامة على أفواهكم الفدام ترون سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله وان أول ما يعرب من أحدكم فخذه حدثنا مجاهد ابن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تجيؤن يوم القيامة على أفواهكم الفدام وان أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مالي أمسك بحجزكم من النار ألا ان ربي داعي وانه سائلي هل بلغت عباده وانى قائل رب قد بلغتهم فيبلغ شاهدكم غائبكم ثم انكم مدعوون مفدمة افواهكم بالفدام ثم ان أول ما يبين عن أحدكم لفخذه وكفه حدثني محمد بن خلف قال ثنا الهيثم بن خارجة عن اسمعيل بن عياش عن ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن عقبة سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان أول عظم تكلم من الانسان يوم يختم على الافواه فخذه من الرجل الشمال وقوله وهو خلقكم أول مرة يقول تعالى ذكره والله خلقكم الخلق الاول ولم تكونوا شيأ واليه ترجعون يقول واليه مصيركم من بعد مماتكم وما كنتم تستترون في الدنيا أن يشهد عليكم يوم القيامة سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم واختلف أهل التأويل في معنى قوله وما كنتم تستترون فقال بعضهم معناه وما كنتم تستخفون ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وما كنتم تستترون أي تستخفون منها * وقال آخرون معناه وما كنتم تتقون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وما كنتم تستترون قال تتقون * وقال آخرون بل معنى ذلك وما كنتم تظنون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كنتم تستترون يقول وما كنتم تظنون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم حتى بلغ كثيرا مما كنتم (١) تعملون والله ان عليك يا ابن آدم لشهودا غير متهمة من بدنك فراقبهم واتق الله في سر أمرك وعلانيتك فانه لا يخفى عليه خافية الظلمة عنده ضوء والسر عنده علانية فمن استطاع ان يموت وهو بالله حسن الظن فليفعل ولا قوة الا بالله وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك وما كنتم تستخفون فتتركوا ركوب محارم الله في الدنيا حذرا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم اليوم وانما قلنا ذلك أولى الاقوال في ذلك بالصواب لان المعروف من معاني الاستتار الاستخفاء فان قال قائل وكيف يستخفي الانسان عن نفسه مما يأتي قيل قد بينا أن معنى ذلك انما هو الأمانى وفي تركه اتيانه اخفاؤه عن نفسه وقوله ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما (٢) كنتم تعملون يقول جل ثناؤه ولكن حسبتم حين ركبتم في الدنيا ما ركبتم من معاصي الله أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من أعمالكم الخبيثة فلذلك لم تستتروا أن يشهد عليكم سمعكم وأبصاركم وجلودكم فتتركوا ركوب ما حرم الله عليكم وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل نفر تدارؤا بينهم في علم الله بما يقولونه ويتكلمون سرا ذكر الخبر بذلك حدثني محمد ابن يحيى القطعي قال ثنا أبو داود قال ثنا قيس عن منصور عن مجاهد عن أبي معمر الازدي عن عبد الله بن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحوم بطونهما قليل فقه قلوبهما فتكلموا بكلام لم أفهمه فقال أحدهم

(١) و (٢) التلاوة مما تعملون

القول لابد أن يكون هذا التخاطب بعد الوجود فقالوا معناه أتينا بما خلقت فيكما أما أنت يا سماء فأطلعي الشمس والقمر والنجوم وأما انت يا أرض فأخرجي ما خلقت فيك من النبات فقالتا جئنا بما أحدثت فينا مستجيبين لأمرك ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما يقال أتى عمله مرضيا ويجوز أن يراد لتأت كل منكما صاحبتها الاتيان الذي تقتضيه الحكمة من كون الأرض قرارا والسماء سقفا لها وقوله طوعا أو كرها اظهار لكمال القدرة والتقدير أيتا أو شئتما كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو ابيت وانتصابهما على الحال بمعنى طائعين أو كارهين والقول الثاني أن هذا تمثيل لنفوذ قدرته فيهما ولا قول ثمة وعلى هذا لا يبعد أن يكون المقصود ايجادهما

أترون أن الله يسمع ما نقول فقال الرجلان اذا رفعنا أصواتنا سمع واذا لم نرفع لم يسمع فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فنزلت هذه الآية وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم الى آخر الآية **حدثنا** محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنى الأعمش عن عمارة بن عمير عن وهب بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود قال انى لمستتر بأستار الكعبة اذ دخل ثلاثة نفر ثقفى وختناه قرشيان قليل فقه قلوبهما كثير شحوم بطونهما فتحدثوا بينهم بحديث فقال أحدهم أترى الله يسمع ما نقول فقال الآخر انه يسمع اذا رفعنا ولا يسمع اذا خفضنا وقال الآخر اذا كان يسمع منه شيأ فهو يسمعه كله قال فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فنزلت هذه الآية وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم فقرأ حتى بلغ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يحيى قال ثنا سفيان قال ثنى منصور عن مجاهد عن أبى معمر عن عبد الله بنحوه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أردأكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾ يقول تعالى ذكره وهذا الذى كان منكم فى الدنيا من ظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون من قبائح أعمالكم ومساويها هو ظنكم الذى ظننتم بربكم فى الدنيا أردأكم يعنى أهلككم يقال منه أردى فلانا كذا وكذا اذا أهلكه وردى هو اذا هلك فهو يردى ردى ومنه قول الاعشى

أفى الطوف خفت على الردى * وكم من رد أهله لم يرم

يعنى وكم من هالك أهله لم يرم * ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله أردأكم قال أهلككم **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال تلا الحسن وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أردأكم فقال انما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم فأما المؤمن فأحسن بالله الظن فأحسن العمل وأما الكافر والمنافق فأساأ الظن فأساأ العمل قال ربكم وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم حتى بلغ الخاسرين قال معمر وحدثنى رجل أنه يؤمر برجل الى النار فيلتفت فيقول يارب ما كان هذا ظنى بك قال وما كان ظنك بى قال كان ظنى أن تغفر لى ولا تعذبنى قال فانى عند ظنك بى **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الظن ظنان فظن منج وظن مرد قال الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم قال انى ظننت أنى ملاق حسابيه وهذا الظن المنجى ظنا يقينا وقال ههنا وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أردأكم هذا ظن مرد وقوله وقال الكافرون ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ويروى ذلك عن ربه عبدى عند ظنه بى وانا معه اذا دعانى وموضع قوله ذلكم رفع بقوله ظنكم واذا كان ذلك كذلك كان قوله أردأكم فى موضع نصب بمعنى مردكم وقد يحتمل أن يكون فى موضع رفع بالاستئناف بمعنى مردكم كما قال تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة فى قراءة من قرأه بالرفع فمعنى الكلام هذا الظن الذى ظننتم بربكم من أنه لا يعلم كثيرا مما تعملون هو الذى أهلككم لانكم من أجل هذا الظن اجترأتم على محارم الله فقدمتم عليها وركبتم مانهاكم الله عنه فأهلككم ذلك وأردأكم فأصبحتم من الخاسرين يقول فأصبحتم اليوم من الهالكين قد غبنتم ببيعكم منازلكم من الجنة بمنازل أهل الجنة من النار ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين ﴾ يقول تعالى ذكره فان يصبر هؤلاء الذين يحشرون الى النار على النار فالنار مسكن لهم ومنزل وان يستعتبوا يقول وان يسألوا العتبى وهى الرجعة لهم الى الذى يحبون بتخفيف العذاب عنهم فما هم من المعتبين يقول فليسوا

على وفق ارادته وهما فى حيز العدم وأن يكون المراد ما تقدم وقال بعضهم الطوع يرجع الى السماء لان أحوالها على نهج واحد لا يختلف وشبه مكلف مطيع والكره يعود الى الارض لانها مكان تغيير الاحوال ومحل الحوادث والمكاره قلت لعل هذين الوصفين لها باعتبار سكانهما قوله (فقضاهن) قضاء الشئ اتمامه والفراغ منه مع الاتقان والضمير اما راجع الى السماء على المعنى لانها سموات سبع وانتصب (سبع سموات) على الحال واما مبهم مميز بما بعده يروى أنه خلق الارض فى يوم الاحد والاثنين وخلق سائر ما فى الارض فى يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها فى يوم الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وأسكنه الجنة

بالقوم الذين يرجع بهم الى الجنة فيخفف عنهم ماهم فيه من العذاب وذلك كقوله جل ثناؤه مخبرا عنهم قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا الى قوله ولا تكلمون وكقولهم لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب الى قوله وما دعاء الكافرين الا في ضلال ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وقيضنا لهم قرناء وبعثنا لهم نظراء من الشياطين فجعلناهم لهم قرناء قرناهم بهم يزينون لهم قبائح أعمالهم فزينوا لهم ذلك * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وقيضنا لهم قرناء قال الشيطان حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وقيضنا لهم قرناء قال شياطين وقوله فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم يقول فزين لهؤلاء الكفار قرناؤهم من الشياطين ما بين أيديهم من أمر الدنيا فحسنوا ذلك لهم وحببوه اليهم حتى آثروه على أمر الآخرة وما خلفهم يقول وحسنوا لهم أيضا ما بعد ممالتهم بأن دعوهم الى التكذيب بالمعاد وأن من هلك منهم فلن يبعث وأن لا ثواب ولا عقاب حتى صدقوهم على ذلك وسهل عليهم فعل كل ما يشتهونه وركوب كل ما يلتذونه من الفواحش باستحسانهم ذلك لأنفسهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فزينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الدنيا وما خلفهم من أمر الآخرة وقوله وحق عليهم القول يقول تعالى ذكره ووجب لهم العذاب بركوبهم ما ركبوا ممازين لهم قرناؤهم وهم من الشياطين كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وحق عليهم القول قال العذاب في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس يقول تعالى ذكره وحق على هؤلاء الذين قيضنا لهم قرناء من الشياطين فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم العذاب في أمم قد مضت قبلهم من ضرائهم حق عليهم من عذابنا مثل الذي حق على هؤلاء بعضهم من الجن وبعضهم من الانس انهم كانوا خاسرين يقول ان تلك الأمم الذين حق عليهم عذابنا من الجن والانس كانوا مغبونين ببيعهم رضا الله ورحمته بسخطه وعذابه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله ورسوله من مشركي قريش لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه يقول قالوا للذين يطيعونهم من أوليائهم من المشركين لا تسمعوا لقارئ هذا القرآن اذا قرأه ولا تصغوا له ولا تتبعوا ما فيه فتعملوا به كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون قال هذا قول المشركين قالوا لا تتبعوا هذا القرآن والهوا عنه وقوله والغوا فيه يقول الغطوا بالباطل من القول اذا سمعتم قارئه يقرؤه كيما لا تسمعوه ولا تفهموا ما فيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قول الله لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه قال المكاء والتصفير وتخليط من القول على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ قريش تفعله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله والغوا

وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة (وأوحى في كل سماء أمرها) أي أمر أهلها من العبادة والتكليف الخاص بكل منهم فبعضهم وقوف وبعضهم ركوع وبعضهم سجود وعلى هذا احتمل أن يكون خلق الملائكة مع السموات وقبلها وقيل الايحاء ههنا التكوين والايجاد وأمرها شأنها وما يصلحها وزينا السماء الدنيا بمصابيح أي بالنيرات المضيئة كالمصباح وحفظناها حفظا من الشياطين المسترقة للسمع كما مر مرارا وجوز جار الله أن يكون حفظا مفعولا له على المعنى كأنه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (ذلك تقدير العزيز العليم) فلكمال عزته قدر على خلق ما خلق ولشمول علمه دبر ما دبر ثم قال لنبيه عليه السلام (فان أعرضوا) عن التوحيد بعد هذا البيان الباهر

فيه قال بالمكاء والتصفير والتخليط فى المنطق على رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قرأ القرآن قريش تفعله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه اى اجحدوا به وأنكروه وعادوه قال هذا قول مشركى العرب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال قال بعضهم فى قوله والغوا فيه قال تحدثوا وصيحوا كيلا تسمعوه وقوله لعلكم تغلبون يقول لعلكم بفعلكم ذلك تصدون من أراد استماعه عن استماعه فلا يسمعه واذا لم يسمعه ولم يفهمه لم يتبعه فتغلبون بذلك من فعلكم محمدا قال الله جل ثناؤه فلنذيقن الذين كفروا يا الله من مشركى قريش الذين قالوا هذا القول عذابا شديدا فى الآخرة ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون يقول ولنثيبنهم على فعلهم ذلك وغيره من أفعالهم بأقبح جزاء أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون ﴾ يقول تعالى ذكره هذا الجزاء الذى يجزى به هؤلاء الذين كفروا من مشركى قريش جزاء أعداء الله ثم ابتدأ جل ثناؤه الخبر عن صفة ذلك الجزاء وما هو فقال هو النار فالنار بيان عن الجزاء وترجمة عنه وهى مرفوعة بالرد عليه ثم قال لهم فيها دار الخلد يعنى لهؤلاء المشركين بالله فى النار دار الخلد يعنى دار المكث واللبث الى غير نهاية ولا أمد والدار التى أخبر جل ثناؤه أنها لهم فى النار هى النار وحسن ذلك لاختلاف اللفظين كما يقال لك من بلدتك دار صالحة ومن الكوفة دار كريمة والدار هى الكوفة والبلدة فيحسن ذلك لاختلاف الالفاظ وقد ذكرنا أنها فى قراءة ابن مسعود ذلك جزاء أعداء الله النار دار الخلد ففى ذلك تصحيح ما قلنا من التأويل فى ذلك وذلك أنه ترجم بالدار عن النار وقوله جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون يقول فعلنا هذا الذى فعلنا بهؤلاء من مجازاتنا اياهم النار على فعلهم جزاء منا بجحودهم فى الدنيا آياتنا التى احتججنا بها عليهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴾ يقول تعالى ذكره وقال الذين كفروا بالله ورسوله يوم القيامة بعدما أدخلوا جهنم يا ربنا أرنا اللذين أضلانا من خلقك من جنهم وانسهم وقيل ان الذى هو من الجن ابليس والذى هو من الانس ابن آدم الذى قتل أخاه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ثابت المادعن (١) حبة العوفى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس قال ابليس الأبالسة وابن آدم الذى قتل أخاه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن مالك بن حصين عن أبيه عن على رضى الله عنه فى قوله ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس قال ابليس وابن آدم الذى قتل أخاه حدثنا ابن المثنى قال ثنى وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن سلمة بن كهيل عن أبى مالك وابن مالك عن أبيه عن على رضى الله عنه ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس قال ابن آدم الذى قتل أخاه وابليس الأبالسة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه فى قوله ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس الآية فانهما ابن آدم القاتل وابليس الأبالسة فأما ابن آدم فيدعو به كل صاحب كبيرة دخل النار من أجل الدعوة وأما ابليس فيدعو به كل صاحب شرك يدعوانهما فى النار حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور قال ثنا معمر عن قتادة ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس هو الشيطان وابن آدم الذى قتل أخاه وقوله نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين يقول نجعل هذين اللذين أضلانا تحت اقدامنا لأن أبواب جهنم بعضها أسفل من بعض وكل ما سفل منها فهو أشد على أهله وعذاب أهله

والبرهان القاهر (فقل أنذرتكم صاعقة) لان الاصرار على الجهل بعد وضوح الحق عناد ولا علاج للعاند سوى التأديب بما يناسبه يروى أن أبا جهل قال فى ملا من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة أنا لذلك فأتاه وقال أنت خير أم هاشم أنت خير ام عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا وعرض عليه الرياسة والنساء والاموال ان ترك ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم الى قوله مثل صاعقة عاد وثمود فهال عتبة بذلك وناشده بالرحم ورجع ولم يأت قريشا فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا اليه

(١) الذى فى الخلاصة والقاموس حبة العرنى أى بالراء والنون فلعل ما فى الاصل تصحيف كتبه مصححه

أغلظ ولذلك سأل هؤلاء الكفار ربهم أن يريهم اللذين أضلاهم ليجعلوهما أسفل منهم ليكونا في أشد العذاب في الدرك الأسفل من النار ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين قالوا ربنا الله وحده لا شريك له و برؤا من الآلهة والأنداد ثم استقاموا على توحيد الله ولم يخلطوا توحيد الله بشرك غيره به وانتهوا الى طاعته فيما أمر ونهى * و بنحو الذي قلنا في ذلك جاء الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاله أهل التأويل على اختلاف منهم في معنى قوله ثم استقاموا ذكر الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا عمرو ابن علي قال ثنا سالم بن قتيبة أبو قتيبة قال ثنا سهيل بن أبي حزم القطعي عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم فمن مات عليها فهو ممن استقام * وقال بعضهم معناه ولم يشركوا به شيأ ولكن تموا على التوحيد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن عامر بن سعد عن سعيد بن عمران قال قرأت عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه هذه الآية إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هم الذين لم يشركوا بالله شيأ حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان باسناده عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه مثله * قال ثنا جرير بن عبد الحميد وعبد الله بن ادريس عن الشيباني عن أبي بكر بن أبي موسى عن الاسود بن هلال عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال لأصحابه ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال قالوا ربنا الله ثم عملوا بها قال لقد حملتموها على غير المحمل الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الذين لم يعدلوا بالله شركا ولا غيره حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا الشيباني عن أبي بكر ابن ابي موسى عن الاسود بن هلال المحاربي قال قال أبو بكر ما تقولون في هذه الآية ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال فقالوا ربنا الله ثم استقاموا من ذنب قال فقال أبو بكر لقد حملتم على غير المحمل قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلم يلتفتوا الى اله غيره حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن ليث عن مجاهد ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال أي على لا اله الا الله * قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن مجاهد ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال أسلموا ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به * قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال هم الذين قالوا ربنا الله ثم لم يشركوا به حتى لقوه * قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن منصور عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال مثل ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال تموا على ذلك حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال استقاموا على شهادة أن لا اله الا الله * وقال آخرون معنى ذلك ثم استقاموا على طاعته ذكر من قال ذلك حدثنا أحمد بن منيع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال ثنا يونس بن يزيد عن الزهري قال تلا عمر رضي الله عنه على المنبر ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال استقاموا والله بطاعته ولم يروغوا روغان الثعالب حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال استقاموا على طاعة الله وكان الحسن اذا تلاها قال اللهم فأنت ربنا فارزقنا الاستقامة حدثني علي قال ثنا عبد الله قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ان الذين قالوا

فقال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود ناشدته بالرحم أن يكف ولقد علمتم أن محمدا اذا قال شيأ لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب فان قيل كيف يصح هذا الانذار وقد أخبر الله سبحانه في قوله وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وان هذه الامة آمنون من العذاب قلنا الأنفال مدنية وهذه مكية قوله (اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم) قيل الضمير ان عائدان الى الرسل أي جاءهم رسل بعد الرسل وقيل من بين أيديهم أي حذروهم الدنيا (ومن خلفهم) الآخرة وقيل من بين أيديهم

ربنا الله ثم استقاموا يقول على أداء فرائضه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا قال على عبادة الله وعلى طاعته وقوله تتنزل عليهم الملائكة يقول تتهبط عليهم الملائكة عند نزول الموت بهم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن محمد ابن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا قال عند الموت حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي تتنزل عليهم الملائكة قال عند الموت وقوله أن لا تخافوا ولا تحزنوا يقول تتنزل عليهم الملائكة بأن لا تخافوا ولا تحزنوا فأن في موضع نصب اذا كان ذلك معناه وقد ذكر عن عبد الله أنه كان يقرأ ذلك تتنزل عليهم الملائكة لا تخافوا ولا تحزنوا بمعنى تتنزل عليهم قائلة لا تخافوا ولا تحزنوا وعنى بقوله لا تخافوا ما تقدمون عليه من بعدما تكم ولا تحزنوا على ما تخلفونه وراءكم * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي أن لا تخافوا ولا تحزنوا قال لا تخافوا ما أمامكم ولا تحزنوا على ما بعدكم حدثني يونس قال أخبرنا يحيى بن حسان عن مسلم بن خالد عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا قال لا تخافوا ما تقدمون عليه من أمر الآخرة ولا تحزنوا على ما خلفتم من دنياكم من أهل وولد فانا نخلفكم في ذلك كله * وقيل ان ذلك في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة فذلك في الآخرة وقوله وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون يقول وسروا بأن لكم في الآخرة الجنة التي كنتم توعدونها في الدنيا على ايمانكم بالله واستقامتكم على طاعته كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون في الدنيا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل ملائكته التي تتنزل على هؤلاء المؤمنين الذين استقاموا على طاعته عند موتهم نحن أولياؤكم أيها القوم في الحياة الدنيا كنا نتولاكم فيها وذكر أنهم الحفظة الذين كانوا يكتبون أعمالهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا ونحن أولياؤكم في الآخرة وقوله وفي الآخرة يقول وفي الآخرة أيضا نحن أولياؤكم كما كنا لكم في الدنيا أولياء ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم يقول ولكم في الآخرة عند الله ما تشتهي أنفسكم من اللذات والشهوات وقوله ولكم فيها ما تدعون يقول ولكم في الآخرة ما تدعون وقوله نزلا من غفور رحيم يقول أعطاكم ذلك ربكم نزلا لكم من رب غفور لذنوبكم رحيم بكم أن يعاقبكم بعد توبتكم ونصب نزلا على المصدر من معنى قوله ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون لأن في ذلك تأويل أنزلكم ربكم بما تشتهون من النعيم نزلا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾ يقول تعالى ذكره ومن أحسن أيها الناس قولا ممن قال ربنا الله ثم استقام على الايمان به والانتهاء

الذين عاينوهم ومن خلفهم الذين وصل اليهم خبرهم وكتبهم وحقيقة بين يديه أن يستعمل للشئ الحاضر ومجازه أن يستعمل للشئ الماضي بزمان قريب وقال بعض المحققين معناه أتاهم الرسل من كل جهة وأعملوا في ارشادهم كل حيلة (أن لا تعبدوا) ويجوز أن تكون أن مفسرة أو مخففة وضمير الشأن مقدر والفاء في قوله (فانا) للجزاء كأنه قيل فاذا أنتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وقولهم ربنا وكذا بما أرسلتم أي على زعمكم أو أرادوا التهكم ثم فصل حال كل فريق قائلا (فأما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق) وهذا اخلال بالشفقة

الى أمره ونهيه ودعا عباد الله الى ما قال وعمل به من ذلك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر قال تلا الحسن ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين قال هذا حبيب الله هذا ولى الله هذا صفوة الله هذا خيرة الله هذا أحب الخلق الى الله أجاب الله فى دعوته ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا فى اجابته وقال انني من المسلمين فهذا خليفة الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله الآية قال هذا عبد صدق قوله عمله وموله مخرجه وسره علانيته وشاهده مغيبه وان المنافق عبد خالف قوله عمله وموله مخرجه وسره علانيته وشاهده مغيبه واختلف أهل العلم فى الذى اريد بهذه الصفة من الناس فقال بعضهم عنى بها نبى الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله قال محمد صلى الله عليه وسلم حين دعا الى الاسلام حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون عنى به المؤذن ذكر من قال ذلك حدثنى داود بن سليمن بن يزيد المكتب البصرى قال ثنا عمرو بن جرير البجلى عن اسمعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم فى قول الله ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله قال المؤذن وعمل صالحا قال الصلاة ما بين الاذان الى الاقامة وقوله وقال انني من المسلمين يقول وقال انني ممن خضع لله بالطاعة وذل له بالعبودة وخشع له بالايمان بوحدانيته وقوله ولا تستوى الحسنة ولا السيئة يقول تعالى ذكره ولا تستوى حسنة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فأحسنوا فى قولهم واجابتهم ربهم الى ما دعاهم اليه من طاعته ودعوا عباد الله الى مثل الذى أجابوا ربهم اليه وسيئة الذين قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فكذلك لا تستوى عند الله أحوالهم ومنازلهم ولكنها تختلف كما وصف جل ثناؤه أنه خالف بينهما وقال جل ثناؤه ولا تستوى الحسنة ولا السيئة فكررلا والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة لان كل ما كان غير مساو شيأ فالشئ الذى هو له غير مساو غير مساو به كما أن كل ما كان مساويا لشئ فالآخر الذى هو له مساو مساو له فيقال فلان مساو فلانا وفلان له مساو فكذلك فلان ليس مساويا لفلان ولا فلان مساويا له فلذلك كررت لا مع السيئة ولو لم تكن مكررة معها كان الكلام صحيحا وقد كان بعض نحويى البصرة يقول يجوز أن يقال الثانية زائدة يريد لا يستوى عبد الله وزيد فزيدت لا توكيدا كما قال لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون أى لأن يعلم وكما قال لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وقد كان بعضهم ينكر قوله هذا فى لئلا يعلم أهل الكتاب وفى قوله لا أقسم فيقول لا الثانية فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب أن لا يقدرون ردت الى موضعها لأن النفى انما لحق يقدرون لا العلم كما يقال لا أظن زيدا لا يقوم بمعنى أظن زيدا لا يقوم قال وربما استوثقوا بجاؤا به أولا وآخرا وربما اكتفوا بالاول من الثانى وحكى سماعا من العرب ما كأنى أعرفها أى كأنى لا أعرفها قال وأما لا فى قوله لا أقسم فانما هو جواب والقسم بعدها مستأنف ولا يكون حرف الجحد مبتدأ صلة وانما عنى بقوله ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ولا يستوى الايمان بالله والعمل بطاعته والشرك به والعمل بمعصيته وقوله ادفع بالتى هى أحسن يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ادفع يا محمد بحلمك جهل من جهل عليك وبعفوك عمن أساء اليك اساءة المسيء

على الخلق (وقالوا من أشد منا قوة) وهذا اخلال بالتعظيم لامر الله ولهذا وبخهم بقوله (أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) لان الفاعل والعلة أقوى من القابل والمعلول والقوة فى الانسان نتيجة صحة البنية والاعتدال وحقيقتها زيادة القدرة فلذلك جاز ان يقال الله أقوى منهم كما صح ان يقال الله أقدر الله أكبر وان كان لا نسبة للمتناهى الى غير المتناهى وقوله (وكانوا بآياتنا يجحدون) معطوف على قوله فاستكبروا وقالوا ان التوبيخ المذكور وقع اعتراضا فى البين ثم أخبر عن اهلاكهم والصرصر الريح الباردة الشديدة

وبصبرك عليهم مكروه ما تجد منهم ويلقاك من قبلهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى تأويله ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله ادفع بالتى هى أحسن قال أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب والحلم والعفو عند الاساءة فاذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم كأنه ولى حميم * وقال آخرون معنى ذلك ادفع بالسلام على من أساء اليك اساءته ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عامر قال ثنا سفيان عن طلحة بن عمرو عن عطاء ادفع بالتى هى أحسن قال بالسلام حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن عبد الكريم الجزرى عن مجاهد ادفع بالتى هى أحسن قال السلام عليك اذا لقيته وقوله فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم يقول تعالى ذكره افعل هذا الذى أمرتك به يا محمد من دفع سيئة المسىء اليك باحسانك الذى أمرتك به اليه فيصير المسىء اليك الذى بينك وبينه عداوة كأنه من ملاطفته اياك وبره لك ولى لك من بنى أعمامك قريب النسب بك والحميم هو القريب كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كأنه ولى حميم أى كأنه ولى قريب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم وامّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم﴾ يقول تعالى ذكره وما يعطى دفع السيئة بالحسنة الا الذين صبروا لله على المكاره والأمور الشاقة وقال وما يلقاها ولم يقل وما يلقاه لأن معنى الكلام وما يلقى هذه الفعلة من دفع السيئة بالتى هى أحسن وقوله وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم يقول وما يلقى هذه إلا ذو نصيب وجدّ له سابق فى المبرات عظيم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم ذو جدّ * وقيل ان ذلك الحظ الذى أخبر الله جل ثناؤه فى هذه الآية أنه لهؤلاء القوم هو الجنة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما يلقاها الا الذين صبروا الآية والحظ العظيم الجنة ذكر لنا أن أبا بكر رضى الله عنه شتمه رجل ونبى الله صلى الله عليه وسلم شاهد فعفا عنه ساعة ثم ان أبا بكر جاش به الغضب فردّ عليه فقام النبى صلى الله عليه وسلم فاتبعه أبو بكر فقال يا رسول الله شتمنى الرجل فعفوت وصفحت وأنت قاعد فلما أخذت أنتصر قمت يا نبى الله فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم انه كان يردّ عنك ملك من الملائكة فلما قربت تنتصر ذهب الملك وجاء الشيطان فوالله ما كنت لأجالس الشيطان يا أبا بكر حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم يقول الذين أعدّ الله لهم الجنة وقوله وامّا ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الآية يقول تعالى ذكره وامّا يلقين الشيطان يا محمد فى نفسك وسوسة من حديث النفس إرادة حملك على مجازاة المسىء بالاساءة ودعائك الى مساءته فاستجر بالله واعتصم من خطواته ان الله هو السميع لاستعاذتك منه واستجارتك به من نزغاته ولغير ذلك من كلامك وكلام غيرك العليم بما ألقى فى نفسك من نزغاته وحدثتك به نفسك ومما يذهب ذلك من قلبك وغير ذلك من أمورك وأمور خلقه كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وامّا ينزغنك من الشيطان نزغ قال وسوسة وحديث النفس فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وامّا ينزغنك من الشيطان نزغ قال هذا الغضب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر

واسجدوا

ضوعفت من الصر بالكسر وهو البرد الذى يصر أى يجمع ويقبض أو من صرير الباب والتركيب يدور على الضم والجمع عن ابن عباس أن الله تعالى ما أرسل على عاد من الريح الا قدر خاتمى ومع ذلك أهلكت الكل والايام النحسات هى التى فسرها الله سبحانه فى الحاقة بقوله سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام والنحس بالسكون ضد السعد وهو اما مخفف نحس بالكسر أو هو أصل فى نفسه كضخم أو وصف لمصدر واستدل به بعض الاحكاميين على ان بعض الايام يصح وصفه بالسعادة وبعضها بضدها وأجاب بعض المتكلمين بأن المراد بالنحوسة

واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجج الله تعالى على خلقه ودلالته على وحدانيته وعظيم سلطانه اختلاف الليل والنهار ومعاقبة كل واحد منهما صاحبه والشمس والقمر لا الشمس تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون لا تسجدوا أيها الناس للشمس ولا للقمر فانهما وان جريا فى الفلك بمنافعكم فانما يجريان بها لكم باجراء الله اياهما لكم طائعين له فى جريهما ومسيرهما لا بأنهما يقدران بأنفسهما على سير وجرى دون اجراء الله اياهما وتسييرهما أو يستطيعان لكم نفعا أو ضرا وانما الله مسخرهما لكم لمنافعكم ومصالحكم فله فاسجدوا واياه فاعبدوا دونهما فانه ان شاء طمس ضوء هما فتركتم حيارى فى ظلمة لا تهتدون سبيلا ولا تبصرون شيأ وقيل واسجدوا لله الذى خلقهن بجمع بالهاء والنون لان المراد من الكلام واسجدوا لله الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر وذلك جمع وأنث كنايتهن وان كان من شأن العرب اذا جمعوا الذكر الى الانثى أن يخرجوا كنايتهما بلفظ كناية المذكر فيقولوا أخواك وأختاك كلموني ولا يقولوا كلمتني لان من شأنهم أن يؤنثوا أخبار الذكور من غير بنى آدم فى الجمع فيقولوا رأيت مع عمرو أتوا بافاخذتهن منه وأعجبنى خواتيم لزيد فقبضتهن منه وقوله ان كنتم اياه تعبدون يقول ان كنتم تعبدون الله وتذلون له بالطاعة وان من طاعته أن تخلصوا له العبادة ولا تشركوا فى طاعتكم اياه وعبادتكموه شيأ سواه فان العبادة لا تصلح لغيره ولا تنبغى لشئ سواه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ﴾ يقول تعالى ذكره فان استكبر يا محمد هؤلاء الذين أنت بين أظهرهم من مشركى قريش وتعظموا عن أن يسجدوا لله الذى خلقهم وخلق الشمس والقمر فان الملائكة الذين عند ربك لا يستكبرون عن ذلك ولا يتعظمون عنه بل يسبحون له ويصلون ليلا ونهارا وهم لا يسأمون يقول وهم لا يفترون عن عبادته ولا يملون الصلاة له * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار قال يعنى محمدا يقول عبادى ملائكة صافون يسبحون ولا يستكبرون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت ان الذى أحياها لمحيى الموتى انه على كل شئ قدير ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجج الله أيضا وأدلته على قدرته على نشر الموتى من بعد بلاها واعادتها لهيئتها كما كانت من بعد فنائها أنك يا محمد ترى الارض دارسة غبراء لا نبات بها ولا زرع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة أى غبراء متهشمة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ومن آياته أنك ترى الارض خاشعة قال يابسة متهشمة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت يقول تعالى ذكره فاذا أنزلنا من السماء غيثا على هذه الارض الخاشعة اهتزت بالنبات يقول تحركت به كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله اهتزت قال بالنبات وربت يقول انتفخت كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وربت انتفخت حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت يعرف الغيث فى سحتها وربوها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وربت للنبات

كونها ذات غبار وتراب وبرد والانصاف أنه تكلف خارج عن قانون اللغة والاضافة فى قوله (عذاب الخزى) كهى فى قولك رجل صدق وقوله (ولعذاب الآخرة أخزى) من الاسناد المجازى فان الذل والهوان لصاحبه قوله (وأما ثمود) مرتفع على الابتداء قوله (فهديناهم) خبره قال سيبويه هذا أفصح لأن أما من مظان وقوع المبتدإ بعده وقرئ بالنصب اضمارا على شريطة التفسير واتفقوا على أن المراد بالهداية ههنا الدلالة المجردة لقوله بعده (فاستحبوا العمى) يعنى عمى البصيرة وهى الضلالة (على الهدى) الا أن المعتزلة تأولوه بأنه

قال ارتفعت قبل أن تنبت وقوله ان الذى أحياها لمحيى الموتى يقول تعالى ذكره ان الذى أحيا هذه الارض الدارسة فأخرج منها النبات وجعلها تهتز بالزرع من بعد يبسها ودثورها بالمطر الذى أنزل عليها القادر أن يحيى أموات بنى آدم من بعد مماتهم بالماء الذى ينزل من السماء لاحيائهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال كما يحيى الارض بالمطر كذلك يحيى الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين يعنى بذلك تأويل قوله ان الذى أحياها لمحيى الموتى وقوله انه على كل شئ قدير يقول تعالى ذكره ان ربك يا محمد على احياء خلقه بعد مماتهم وعلى كل ما يشاء ذو قدرة لا يعجزه شئ أراده ولا يتعذر عليه فعل شئ شاءه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير ﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله ان الذين يلحدون فى آياتنا ان الذين يميلون عن الحق فى حجتنا وأدلتنا ويعدلون عنها تكذيبا بها وجحودا لها وقد بينت فيما مضى معنى اللحد بشواهده المغنية عن اعادته فى هذا الموضع وسنذكر بعض اختلاف المختلفين فى المراد به من معناه فى هذا الموضع اختلف أهل التأويل فى المراد به من معنى الالحاد فى هذا الموضع فقال بعضهم أريد به معارضة المشركين القرآن باللغط والصفير استهزاء به ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا قال المكاء وما ذكر معه * وقال بعضهم أريد به الخبر عن كذبهم فى آيات الله ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان الذين يلحدون فى آياتنا قال يكذبون فى آياتنا * وقال آخرون أريد به يعاندون ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ان الذين يلحدون فى آياتنا قال يشاقون يعاندون * وقال آخرون أريد به الكفر والشرك ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا قال هؤلاء أهل الشرك وقال الالحاد الكفر والشرك * وقال آخرون أريد به الخبر عن تبديلهم معانى كتاب الله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ان الذين يلحدون فى آياتنا لا يخفون علينا قال هو أن يوضع الكلام على غير موضعه وكل هذه الاقوال التى ذكرناها فى تأويل ذلك قريبات المعانى وذلك أن اللحد والالحاد هو الميل وقد يكون ميلا عن آيات الله وعدولا عنها بالتكذيب بها ويكون بالاستهزاء مكاء وتصدية ويكون مفارقة لها وعنادا ويكون تحريفا لها وتغييرا لمعانيها ولا قول أولى بالصحة فى ذلك مما قلناه وأن يعم الخبر عنهم بأنهم ألحدوا فى آيات الله كما عم ذلك ربنا تبارك وتعالى وقوله لا يخفون علينا يقول تعالى ذكره نحن بهم عالمون لا يخفون علينا ونحن لهم بالمرصاد اذا وردوا علينا وذلك تهديد من الله جل ثناؤه لهم بقوله سيعلمون عند ورودهم علينا ماذا يلقون من أليم عذابنا ثم أخبر جل ثناؤه عما هو فاعل بهم عند ورودهم عليه فقال أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة يقول تعالى ذكره لهؤلاء الذين يلحدون فى آياتنا اليوم فى الدنيا يوم القيامة عذاب النار ثم قال الله أفهذا الذى يلقى فى النار خير أم الذى يأتى يوم القيامة آمنا من عذاب الله لايمانه بالله جل جلاله هذا الكافر انه ان آمن بآيات الله واتبع أمر الله ونهيه أمنه يوم القيامة مما حذره منه من عقابه ان ورد

انما شاع استعماله فى الدلالة المجردة لانه مكنهم وأزاح علتهم فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها على أتم المراد المعقولة ونقيضها وقدمر هذا البحث فى أول البقرة فى قوله هدى للمتقين وصاعقة العذاب داهيته وقارعته والهون مصدر بمعنى الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه وكسبهم شركهم وتكذيبهم صالحا وعقرهم الناقة ثم بين أحوال الذين آمنوا واتقوا المعاصى بقوله (ونجينا) الآية وحين بين عقوبتهم فى الدنيا أخبر عن عذابهم وعذاب أمثالهم فى الآخرة فقال (ويوم يحشر) الآية والعامل فيه اذكر

عليه يومئذ به كافرا وقوله اعملوا ما شئتم وهذا أيضا وعيد لهم من الله خرج مخرج الامر وكذلك كان مجاهد يقول حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اعملوا ما شئتم قال هذا وعيد وقوله انه بما تعملون بصير يقول جل ثناؤه ان الله أيها الناس بأعمالكم التي تعملونها ذو خبرة وعلم لا يخفى عليه منها ولا من غيرها شئ ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين جحدوا هذا القرآن وكذبوا به لما جاءهم وعنى بالذكر القرآن كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا بالقرآن وقوله وانه لكتاب عزيز يقول تعالى ذكره وان هذا الذكر لكتاب عزيز باعزاز الله اياه وحفظه من كل من أراد له تبديلا أو تحريفا أو تغييرا من انسيّ وجنيّ وشيطان مارد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانه لكتاب عزيز يقول أعزه الله لأنه كلامه وحفظه من الباطل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وانه لكتاب عزيز قال عزيز من الشيطان وقوله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم معناه لا يأتيه النكير من بين يديه ولا من خلفه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال النكير من بين يديه ولا من خلفه * وقال آخرون معنى ذلك لا يستطيع الشيطان أن ينقص منه حقا ولا يزيد فيه باطلا قالوا والباطل هو الشيطان وقوله من بين يديه من قبل الحق ولا من خلفه من قبل الباطل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الباطل ابليس لا يستطيع أن ينقص منه حقا ولا يزيد فيه باطلا * وقال آخرون معناه أن الباطل لا يطيق أن يزيد فيه شيأ من الحروف ولا ينقص منه شيأ منها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يزيد فيه حرفا ولا ينقص * وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال معناه لا يستطيع ذو باطل بكيده تغييره بكيده وتبديل شئ من معانيه عما هو به وذلك هو الاتيان من بين يديه ولا الحاق ما ليس منه فيه وذلك اتيانه من خلفه وقوله تنزيل من حكيم حميد يقول تعالى ذكره هو تنزيل من عند ذي حكمة بتدبير عباده وصرفهم فيما فيه مصالحهم حميد يقول محمود على نعمه عليهم بأياديه عندهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما يقول لك هؤلاء المشركون المكذبو ما جئتهم به من عند ربك الا ما قد قاله من قبلهم من الامم لرسلهم الذين كانوا من قبلك يقول له فاصبر على ما نالك من أذى منهم كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تكن كصاحب الحوت * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون يقول كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن

محذوفا أو هو ظرف لما يدل عليه يوزعون كأنه قيل يمنعون يوم يحشر فيحبس أوائلهم حتى يلحق بهم أواخرهم قال جار الله هو عبارة عن كثرة أهل النار قلت وذلك لان الايزاع لا يحتاج اليه الا عند كثرة العدد كما مر في النحل وما الابهامية في قوله (حتى اذا ما جاؤها) تفيد التأكيد وهو أن عند وقت مجيئهم لا بد أن تحصل هذه الشهادة وشهادة الجلود بملامسة ما هو محرم وعن ابن عباس المراد شهادة الفروج فيكون كناية وعن النبي صلى الله عليه وسلم أول ما يتكلم من الآدمي فخذه وكفه وفيه وعيد شديد في فعل الزنا

السدى فى قوله ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من قبلك قال ما يقولون الا ما قد قال المشركون للرسل من قبلك وقوله ان ربك لذو مغفرة يقول ان ربك لذو مغفرة لذنوب التائبين اليه من ذنوبهم بالصفح عنهم وذو عقاب أليم يقول وهو ذو عقاب مؤلم لمن أصر على كفره وذنوبه فمات على الاصرار على ذلك قبل التوبة منه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾ يقول تعالى ذكره ولو جعلنا هذا القرآن الذى أنزلناه يا محمد أعجميا لقال قومك من قريش لولا فصلت آياته يعنى هلا بينت أدلته وما فيه من آية فنفقهه ونعلم ما هو وما فيه أأعجمى يعنى أنهم كانوا يقولون انكارا له أأعجمى هذا القرآن ولسان الذى أنزل عليه عربى * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه الآية لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قال لو كان هذا القرآن أعجميا لقالوا القرآن أعجمى ومحمد عربى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى محمد بن أبى عدى عن داود بن أبى هند عن جعفر بن أبى وحشية عن سعيد بن جبير فى هذه الآية لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قال الرسول عربى واللسان أعجمى حدثنا ابن المثنى قال ثنى عبد الأعلى قال ثنا داود عن سعيد بن جبير فى قوله ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى قرآن أعجمى واسان عربى حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن محمد بن أبى موسى عن عبد الله بن مطيع بنحوه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لولا فصلت آياته يجعل عربيا أعجمى الكلام وعربى الرجل حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته يقول ينت آياته أأعجمى وعربى نحن قوم عرب ما لنا وللعجمة * وقد خالف هذا القول الذى ذكرناه عن هؤلاء آخرون فقالوا معنى ذلك لولا فصلت آياته بعضها عربى وبعضها عجمى وهذا التأويل على تأويل من قرأ أعجمى بترك الاستفهام فيه وجعله خبرا من الله تعالى عن قيل المشركين ذلك يعنى هلا فصلت آياته منها عجمى تعرفه العجم ومنها عربى تفقهه العرب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال قالت قريش لولا أنزل هذا القرآن أعجميا وعربيا فأنزل الله وقالوا لولا فصلت آياته أعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء فأنزل الله بعد هذه الآية كل لسان فيه حجارة من سجيل قال فارسية أعربت سنك وكل وقرأت قراء الامصار أأعجمى وعربى على وجه الاستفهام وذكر عن الحسن البصرى أنه قرأ ذلك أعجمى بهمزة واحدة على غير مذهب الاستفهام على المعنى الذى ذكرناه عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا القراءة التى عليها قراء الامصار لاجماع الحجة عليها على مذهب الاستفهام وقوله قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء يقول تعالى ذكره قل يا محمد لهم هو يعنى بقوله هو القرآن للذين آمنوا بالله ورسوله وصدقوا بما جاءهم به من عند ربهم هدى يعنى بيان للحق وشفاء يعنى أنه شفاء من الجهل * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء قال جعله الله نورا وبركة وشفاء للمؤمنين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء قال القرآن وقوله والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى يقول تعالى ذكره

والذين

لان مقدمته تحصل بالكف ونهايته تكون بمساعدة الفخذ قوله (أنطق كل شئ) من العمومات المخصوصة أى ممن يصح النطق منه والمراد أن القادر على خلقكم وانطاقكم فى المرة الاولى فى الدنيا ثم خلقكم وانطاقكم مرة أخرى وثالثة فى القبر وفى القيامة كيف يستبعد منه انطاق الجوارح والاعضاء وقدم تمام البحث فى يس عن ابن مسعود قال كنت مستترا بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى فقال أحدهم أترون الله يسمع ما نقول فقال آخر اذا رفعنا أصواتنا يسمع والا لم يسمع وقال الآخر إن كان يسمع

والذين لا يؤمنون بالله ورسوله وما جاءهم به من عند الله فى آذانهم ثقل عن استماع هذا القرآن وصمم لا يستمعونه ولكنهم يعرضون عنه وهو عليهم عمى يقول وهذا القرآن على قلوب هؤلاء المكذبين به عمى عنه فلا يبصرون حجته عليهم وما فيه من مواعظه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى عموا وصموا عن القرآن فلا ينتفعون به ولا يرغبون فيه حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر قال صمم وهو عليهم عمى قال عميت قلوبهم عنه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وهو عليهم عمى قال العمى الكفر وقرأت قراء الامصار وهو عليهم عمى بفتح الميم وذكر عن ابن عباس أنه قرأ وهو عليهم عم بكسر الميم على وجه النعت للقرآن والصواب من القراءة فى ذلك عندنا ما عليه قراء الامصار وقوله أولئك ينادون من مكان بعيد اختلف أهل التأويل فى معناه فقال بعضهم معنى ذلك تشبيه من الله جل ثناؤه لعمى قلوبهم عن فهم ما أنزل فى القرآن من حجته ومواعظه بعيد فهم سامع صوت من بعيد نودى فلم يفهم ما نودى كقول العرب للرجل القليل الفهم انك لتنادى من بعيد وكقولهم للفهم انك لتأخذ الامور من قريب ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن بعض أصحابه عن مجاهد أولئك ينادون من مكان بعيد قال بعيد من قلوبهم حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أولئك ينادون من مكان بعيد قال ضيعوا أن يقبلوا الامر من قريب يتوبون ويؤمنون فيقبل منهم فأبوا * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم ينادون يوم القيامة من مكان بعيد منهم بأشنع أسمائهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن أجلح عن الضحاك بن مزاحم أولئك ينادون من مكان بعيد قال ينادى الرجل باشنع اسمه واختلف أهل العربية فى موضع تمام قوله ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم فقال بعضهم تمامه أولئك ينادون من مكان بعيد وجعل قائلو هذا القول خبر ان الذين كفروا بالذكر أولئك ينادون من مكان بعيد وقال بعض نحويى البصرة ويجوز ذلك ويجوز أن يكون على الأخبار التى فى القرآن يستغنى بها كما استغنت أشياء عن الخبر اذا طال الكلام وعرف المعنى نحو قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض وما أشبه ذلك قال وحدثنى شيخ من أهل العلم قال سمعت عيسى بن عمر يسأل عمرو بن عبيد ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم أين خبره فقال عمرو معناه فى التفسير ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم كفروا به وانه لكتاب عزيز فقال عيسى أجدت يا أبا عثمان وكان بعض نحويى الكوفة يقول ان شئت جعلت جواب ان الذين كفروا بالذكر أولئك ينادون من مكان بعيد وان شئت كان جوابه فى قوله وانه لكتاب عزيز فيكون جوابه معلوما فترك فيكون أعرب الوجهين وأشبههما بما جاء فى القرآن * وقال آخرون بل ذلك مما انصرف عن الخبر عما ابتدئ به الى الخبر عن الذى بعده من الذكر فعلى هذا القول ترك الخبر عن الذين كفروا بالذكر وجعل الخبر عن الذكر فتمامه على هذا القول وانه لكتاب عزيز فكان معنى الكلام عند قائل هذا القول ان الذكر الذى كفر به هؤلاء المشركون لما جاءهم وانه لكتاب عزيز وشبهه بقوله والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن * وأولى الاقوال فى ذلك عندى بالصواب أن يقال هو مما ترك خبره اكتفاء بمعرفة السامعين بمعناه لما تطاول الكلام

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك

اذا رفعنا أصواتنا يسمع اذا خفضنا فذكرت ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فنزل (وما كنتم تستترون) الآية وذلك أنهم كانوا يستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب القبائح فقيل لهم ما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم هذه لأن ذلك غير ممكن فانها متصلة بكم وهى أعوانكم ومع ذلك لم يكن استتاركم فى اعتقادكم أنها تشهد عليكم ولكنكم استترتم لظنكم أن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون وهو الخفيات من أعمالكم وفيه رد على بعض الجهلة الذين يستخفون من الناس ولا يمكنهم الاستخفاء من الله وفيه تنبيه

لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا موسى الكتاب يا محمد يعنى التوراة كما آتيناك الفرقان فاختلف فيه يقول فاختلف فى العمل بما فيه الذين أوتوه من اليهود ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم يقول ولولا ما سبق من قضاء الله وحكمه فيهم أنه أخر عذابهم الى يوم القيامة لقضى بينهم يقول لعجل الفصل بينهم فيما اختلفوا فيه باهلاكه المبطلين منهم كما حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولولا كلمة سبقت من ربك قال أخروا الى يوم القيامة وقوله وانهم لفى شك منه مريب يقول وان الفريق المبطل منهم لفى شك مما قالوا فيه مريب يقول يريبهم قولهم فيه ما قالوا لأنهم قالوا بغير ثبت وانما قالوه ظنا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ يقول تعالى ذكره من عمل بطاعة الله فى هذه الدنيا فأتمر لأمره وانتهى عما نهاه عنه فلنفسه يقول فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل لانه يجازى عليه جزاءه فيستوجب فى المعاد من الله الجنة والنجاة من النار ومن أساء فعليها يقول ومن عمل بما عصى الله فيها فعلى نفسه جنى لانه أكسبها بذلك سخط الله والعقاب الأليم وما ربك بظلام للعبيد يقول تعالى ذكره وما ربك يا محمد بحامل عقوبة ذنب مذنب على غير مكتسبه بل لا يعاقب أحدا الا على جرمه الذى اكتسبه فى الدنيا أو على سبب استحقه به منه

والله أعلم

﴿ تم الجزء الرابع والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الخامس والعشرون اوله ﴾ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ اليه يرد علم الساعة ﴾

على أن المؤمن يجب عليه أن يكون فى أوقات خلواته أهيب لربه وأوفر احتشاما ومراقبة ثم أخبر (فان يصبروا فالنار مثوى لهم) ولا ينتج الصبر لهم فرجا وخلاصا (وان يستعتبوا) يطلبوا من الله الرضا عنهم (فما هم من المعتبين) أى من المرضيين والمراد أنهم باقون فى مكروههم أبدا سكتوا أو نطقوا قال الضعيف مؤلف الكتاب اذا كان هذا وعيد من ظن أنه يمكن اخفاء بعض الاعمال من الله بالاستار والحجب فما ظنكم بوعيد من جزم انه سبحانه غير عالم بالجزئيات نعوذ بالله من هذا الاعتقاد

والله أعلم

## ﴿ فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾


صحيفة

٢ تأويل قوله انك ميت وانهم ميتون وبيان الخصام الذى يكون يوم القيامة
٣ تأويل والذى جاء بالصدق وبيان أن الآية عامة
٥ بعث خالد بن الوليد لكسر العزى
٧ بيان ما يحصل للانسان وقت نومه
٨ تأويل واذا ذكر الله وحده وبيان معنى الاشمئزاز
١٠ تأويل قوله قل ياعبادى الذين أسرفوا الآية وبيان من أنزلت فيه وأسباب نزولها
١٤ بيان أن الناس يوم القيامة يكونون أصنافا
١٥ تأويل قوله وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم
١٦ بيان أن الشرك يحبط العمل فى سائر الشرائع
١٦ تأويل قوله بل الله فاعبد الآيات وبيان معنى اليمين فى حقه تعالى وسبب النزول
٢٠ بيان النفخات التى تنفخ فى الصور ومن الموكل بها وما يجرى عند فناء الخلق وبعثهم
٢٢ تأويل قوله وأشرقت الارض بنورربها وبيان أن يوم القيامة يوم صحو لا دخن فيه
٢٣ بيان حشر المتقين على نجائب وسوق غيرهم دعًّا
٢٥ تأويل قوله وترى الملائكة حافين الآية

٢٦ ﴿ تفسير سورة المؤمن ﴾

٣٠ بيان أنه يدخل الجنة مع الرجل زوجته وأبواه وولده وان لم يكونوا عملوا عمله
٣٠ بيان أن أنصح العباد للعباد الملائكة وأغشهم لهم الشياطين
٣١ بيان أن للانسان حياتين وموتتين
٣٣ بيان أن الخلق يوم القيامة بارزون لا يحجبهم شئ
٣٤ تأويل قوله وأنذرهم يوم الآزفة الآية وبيان ما للقاء الله يوم القيامة من شدة الفزع
٣٨ بيان مؤمن آل فرعون وذكر الخلاف فيه
٤٠ تأويل قوله ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد الآية وبيان ما يحصل عند النفخة وبعدها
٤١ بيان أن يوسف بن يعقوب رسول الى أهل مصر

صحيفة

٤٣ طلب فرعون لبناء الصرح وانه أول من طبخ الآجر
٤٥ تأويل قوله فستذكرون الآية وبيان ما صنعه مؤمن آل فرعون مما يدل على يقينه الكامل
٤٧ بيان كيفية عذاب قوم فرعون فى الدنيا وبيان أن الآخرة لا ليل فيها ولا نهار
٤٧ تأويل قوله واذ يتحاجون فى النار وبيان أن ضعف الأصاغر لا يكون عذرا لهم فى الكفر
٤٨ تأويل قوله انا لننصر رسلنا الآية وبيان معنى نصر الرسل فى الدنيا بجملة وجوه
٥٠ بيان معنى العشى والابكار والخلاف فى ذلك
٥١ بيان أن الدعاء يطلق على العبادة
٥٣ بيان الدليل على أنه يطلب من قائل لا اله الا الله أن يضم اليها الحمد لله
٥٤ تأويل قوله الذين كذبوا بالكتاب الآية وبيان كيفية عذابهم يوم القيامة

٥٩ ﴿ تفسير سورة حم السجدة ﴾

٦٠ تأويل قوله قل انما أنا بشر مثلكم وبيان الخلاف فى معنى الزكاة هنا وذكر الصواب فى ذلك
٦١ بيان الأيام التى خلقت فيها السموات والأرض وذكر بعض خواص الأيام
٦٦ بيان الريح المرسلة على عاد والأيام النحسات
٦٨ تأويل قوله ويوم يحشر أعداء الله الآية وذكر الخلاف فى معنى الجلود التى تشهد
٦٨ تأويل قوله وقالوا لجلودهم الآية وبيان أول ما يشهد على المرء
٧٠ بيان أن عمل الانسان على حسب علمه به
٧٢ تأويل قوله وقال الذين كفروا الآية وبيان الفريق المضل من الانس والجن
٧٣ تأويل قوله ان الذين قالوا ربنا الله الآية وبيان الخلاف فى الاستقامة
٨٠ تأويل قوله ولو جعلناه قرآنا أعجميا وبيان كون القرآن شفاء

﴿ فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير النيسابورى الموضوع بهامش تفسير ابن جرير ﴾


| صحيفة | |
|---|---|
| ٢ | تفسير قوله فمن أظلم ممن كذب على الله الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها |
| ٧ | بيان النفس عند الحكماء وكيفية تعلقها بالبدن فى حال الصحو والنوم |
| ٨ | بيان نوع آخر من قبائح المشركين |
| ٩ | بيان ما كان يفتتح به النبى صلاته الليلية من الدعاء |
| ١١ | بيان أن انتهاء الحوادث الى الله لا ينافى أن يكون للكواكب تأثيرات فى عالمنا باذن الله وبيان ما للفخر من التشكيك فى الطوالع والرد عليه |
| ١٢ | بيان ما فى آية قل يا عبادى الذين أسرفوا من مؤكدات الرحمة |
| ١٤ | بيان أن الجبال وكل قبيح يكون فى القيامة ظلمات والعلم وما ماثله يكون نورا |
| ١٥ | بيان ما قيل فى مقاليد السموات والارض |
| ١٧ | بيان معنى كون الأرض فى قبضته تعالى على طريق الاصوليين والبيانيين |
| ٢٠ | بيان وجه التعبير بالسوق للذين اتقوا |
| ٢١ | بيان أن الجنات الجسمانية لا مشاركة فيها وأما الروحانية فلا مانع من المشاركة فيها |
| ٢٢ | ﴿ تفسير سورة المؤمن ﴾ |
| ٢٤ | بيان معنى غفران الذنوب عند الاشاعرة والمعتزلة |
| ٢٦ | بيان الجدال المذموم والحسن ومعنى قوله عليه السلام ان جدالا فى القرآن كفر |
| ٢٧ | بيان أن الملائكة يؤمنون بالله نظرا واستدلالا والرد على المجسمة |
| ٢٩ | بيان معنى طلب الملائكة الغفران للمؤمنين والمراد من التوبة عند المعتزلة والاشاعرة |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٣١ | الكلام على أن للانسان حياتين وموتتين وعلى حياة القبر والشبه الواردة عليها ودفعها |
| ٣٣ | بيان أن كمال كبرياء الله لا تصل اليه عقول البشر وبيان الطريق الى معرفته |
| ٣٤ | بيان ما يقوله سبحانه عند فناء الخلق وطعن بعض أرباب المعقول فى ذلك |
| ٣٧ | تفسير قوله ولقد أرسلنا موسى الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها |
| ٤٢ | بيان مؤمن آل فرعون |
| ٤٤ | بيان أنه لم سمى يوم القيامة يوم التناد |
| ٤٥ | بيان يوسف الذى أرسل الى فرعون وقومه |
| ٤٦ | بيان طعن اليهود فى وجود هامان زمن فرعون وموسى المستفاد من القرآن والرد عليهم |
| ٤٨ | تفسير قوله انا لننصر رسلنا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها |
| ٥١ | بيان نصر الرسل فى الحياة الدنيا |
| ٥٣ | بيان أن من دعا الى الله وفى قلبه مثقال ذرة من المال أو الجاه فدعاؤه لساني وأن دعاء المؤمن مستجاب عند موته |
| ٥٦ | بيان ما قيل فى عدد الانبياء |
| ٥٨ | ﴿ تفسير سورة حم السجدة ﴾ |
| ٦٤ | بيان المدة التى خلقت فيها الارواح والارزاق قبل الاجساد |
| ٦٥ | بيان ما كان عليه عرش الرحمن وكيفية خلق السموات والارض |
| ٧٢ | بيان مجىء عتبة للنبى وسماعه القرآن وقوله فيه |
| ٧٦ | بيان ما استدل به بعض الأحكاميين على أنه يصح وصف الايام بالسعادة وضدها |


﴿ تم فهرست الجزء الرابع والعشرين من تفسير النيسابورى ﴾

﴿ تنبيه ﴾

وقع فى صلب صحيفة ٤٣ سطر ١٥ يدلنا وهو خطأ وصوابه يدلنا كتبه مصححه

# الجزء الخامس والعشرون

## من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن

تأليف

الامام الكبير والمحدّث الشهير من أطبقت الأمّة على تقدمه في التفسير

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠ هجرية

رحمه الله وأثابه رضاه آمين

وبهامشه

تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان

للعلامة نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدّست أسراره

« في كشف الظنون » قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه «أي الطبري» أجلّ التفاسير وأعظمها فانه يتعرّض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفسير الأقدمين وقال النووي أجمعت الامة على أنه لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

تنبيه

طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

( الطبعة الاولى )

بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٩ هجريه

﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن ان كنتم اياه تعبدون فان استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت

## الجزء الخامس والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرة من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد﴾ يقول تعالى ذكره الى الله يرد العالمون به علم الساعة فانه لا يعلم ما قيامها غيره وما تخرج من ثمرة من أكمامها يقول وما تظهر من ثمرة شجرة من أكمامها التي هي متغيبة فيها فتخرج منها بارزة وما تحمل من أنثى يقول وما تحمل من أنثى من حمل حين تحمله ولا تضع ولدها الا بعلم من الله لا يخفى عليه شيء من ذلك * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله وما تخرج من ثمرة من أكمامها قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله من أكمامها قال حين تطلع

حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وما تخرج من ثمرة من أكمامها قال من طلعها والأكمام جمع كمة وهو كل ظرف لشيء أو غيره والعرب تدعو قشر الكفراة كما واختلفت القراء في قراءة قوله من ثمرة فقرأت ذلك قراء المدينة من ثمرات على الجماع وقرأته قراء الكوفة من ثمرة على لفظ الواحدة وبأي القراءتين قرئ ذلك فهو عندنا صواب لتقارب معنييهما مع شهرتهما في القراءة وقوله ويوم يناديهم أين شركائي يقول تعالى ذكره ويوم ينادي الله هؤلاء المشركين به في الدنيا الأوثان والأصنام أين شركائي الذين كنتم تشركونهم في عبادتكم اياي قالوا آذناك يقول قالوا أعلمناك ما منا من شهيد يقول قال هؤلاء المشركون لربهم يومئذ ما منا

من شهيد يشهد أن لك شريكا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله آذناك يقول
أعلمناك حدثنى محمد قال ثنا أبو صالح قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله آذناك ما منا
من شهيد قالوا (١) أطعناك ما منا من شهيد على أن لك شريكا ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ وضل
عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص لا يسأم الانسان من دعاء الخير وان مسه
الشر فيؤس قنوط ﴿يقول تعالى ذكره وضل عن هؤلاء المشركين يوم القيامة آلهتهم التى كانوا
يعبدونها فى الدنيا فأخذ بها طريق غير طريقهم فلم تنفعهم ولم تدفع عنهم شيأ من عذاب الله الذى
حل بهم وقوله وظنوا ما لهم من محيص يقول وأيقنوا حينئذ ما لهم من ملجأ أى ليس لهم ملجأ
يلجؤن اليه من عذاب الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وظنوا ما لهم من محيص استيقنوا
أنه ليس لهم ملجأ واختلف أهل العربية فى المعنى الذى من أجله أبطل عمل الظن فى هذا الموضع
فقال بعض أهل البصرة فعل ذلك لأن معنى قوله وظنوا استيقنوا قال وما ههنا حرف وليس باسم
والفعل لا يعمل فى مثل هذا فلذلك جعل الفعل ملغى وقال بعضهم ليس يلغى الفعل وهو عامل
فى المعنى الا نعلة قال والعلة أنه حكاية فاذا وقع على ما لم يعمل فيه كان حكاية وتمنيا واذا عمل
فهو على أصله وقوله لا يسأم الانسان من دعاء الخير يقول تعالى ذكره لا يمل الكافر بالله من
دعاء الخير يعنى من دعائه بالخير ومسألته اياه ربه والخير فى هذا الموضع المال وصحة الجسم
يقول لا يمل من طلب ذلك وان مسه الشر يقول وان ناله ضر فى نفسه من سقم أو جهد فى معيشته
أو احتباس من رزقه فيؤس قنوط يقول فانه ذو يأس من روح الله وفرجه قنوط من رحمته
ومن أن يكشف ذلك الشر النازل به عنه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من
قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى لا يسأم الانسان من دعاء
الخير يقول الكافر وان مسه الشر فيؤس قنوط قانط من الخير حدثنى يونس قال أخبرنا
ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يسأم الانسان قال لا يمل وذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله
لا يسأم الانسان من دعاء بالخير ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴾ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى
فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴿يقول تعالى ذكره ولئن نحن كشفنا
عن هذا الكافر ما أصابه من سقم فى نفسه وضر وشدة فى معيشته وجهد رحمة منا فوهبنا له العافية
فى نفسه بعد السقم ورزقناه مالا فوسعنا عليه فى معيشته من بعد الجهد والضر ليقولن هذا لى عند الله
لأن الله راض عنى برضاه عملى وما أنا عليه مقيم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد ليقولن هذا لى أى بعملى أو أنا محقوق بهذا وما أظن الساعة قائمة يقول وما أحسب
القيامة قائمة يوم تقوم ولئن رجعت الى ربى يقول وان قامت أيضا القيامة وردت الى الله حيا
بعد مماتى ان لى عنده للحسنى يقول ان لى عنده غنى ومالا كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال
ثنا أسباط عن السدى فى قوله ان لى عنده للحسنى يقول غنى فلننبئن الذين كفروا بما عملوا
يقول تعالى ذكره فلنخبرن هؤلاء الكفار بالله المتمنين عليه الأباطيل يوم يرجعون اليه بما عملوا
فى الدنيا من المعاصى واجترحوا من السيئات ثم لنجازينهم جميعهم على ذلك جزاءهم ولنذيقنهم

ان الذى أحياها لمحى الموتى انه على
كل شئ قدير ان الذين يلحدون
فى آياتنا لا يخفون علينا أفمن يلقى
فى النار خير أمن يأتى آمنا يوم القيامة
اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير
ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد ما يقال لك الا ما قد قيل
للرسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة
وذو عقاب أليم ولو جعلناه قرآنا
أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته
ءأعجمى وعربى قل هو للذين آمنوا
هدى وشفاء والذين لا يؤمنون
فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك
ينادون من مكان بعيد ولقد آتينا
موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا
كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم
وانهم لفى شك منه مريب من عمل
صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها
وما ربك بظلام للعبيد ﴿اليه يرد علم
الساعة وما تخرج من ثمرات من
أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع
الا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائى
قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل
عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا
ما لهم من محيص لا يسأم الانسان
من دعاء الخير وان مسه الشر فيؤس
قنوط ولئن أذقناه رحمة منا من بعد
ضراء مسته ليقولن هذا لى وما أظن
الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربى
ان لى عنده للحسنى فلننبئن الذين
كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب
غليظ واذا أنعمنا على الانسان
أعرض ونأى بجانبه واذا مسه
الشر فذو دعاء عريض قل أرأيتم
ان كان من عند الله ثم كفرتم به

(١) لعله أطلعناك ليكون فيه معنى
العلم وحرر كتبه مصححه

من عذاب غليظ وذلك العذاب الغليظ تخليدهم فى نار جهنم لا يموتون فيها ولا يحيون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وإذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض ﴾ يقول تعالى ذكره وإذا نحن أنعمنا على الكافر فكشفنا ما به من ضر ورزقناه غنى وسعة وهبناله صحة جسم وعافية أعرض عما دعوناه اليه من طاعتنا وصد عنه ونأى بجانبه يقول وبعد من اجابتنا الى ما دعوناه اليه ويعنى بجانبه بناحيته * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله أعرض ونأى بجانبه يقول أعرض صد بوجهه ونأى بجانبه يقول تباعد وقوله وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض يعنى بالعريض الكثير كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فذو دعاء عريض يقول كثير وذلك قول الناس أطال فلان الدعاء اذا أكثر وكذلك أعرض دعاءه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للمكذبين بما جئتهم به من عند ربك من هذا القرآن أرأيتم أيها القوم ان كان هذا الذى تكذبون به من عند الله ثم كفرتم به أنتم فى فراق للحق وبعد من الصواب فجعل مكان التفريق الخبر فقال من أضل ممن هو فى شقاق بعيد اذ كان مفهوما معناه وقوله من أضل ممن هو فى شقاق بعيد يقول قل لهم من أشد ذهابا عن قصد السبيل وأسلك لغير طريق الصواب ممن هو فى فراق لأمر الله وخلاف له بعيد من الرشاد ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ﴾ يقول تعالى ذكره سنرى هؤلاء المكذبين ما أنزلنا على محمد عبدنا من الذكر آياتنا فى الآفاق واختلف أهل التأويل فى معنى الآيات التى وعد الله هؤلاء القوم أن يريهم فقال بعضهم عنى بالآيات فى الآفاق وقائع النبى صلى الله عليه وسلم بنواحى بلد المشركين من أهل مكة وأطرافها وبقوله وفى أنفسهم فتح مكة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن عمرو بن دينار عن عمرو بن أبى قيس عن المنهال فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق قال ظهور محمد صلى الله عليه وسلم على الناس حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى سنريهم آياتنا فى الآفاق يقول ما نفتح لك يا محمد من الآفاق وفى أنفسهم فى أهل مكة يقول نفتح لك مكة * وقال آخرون بل عنى بذلك أنه يريهم نجوم الليل وقمره وشمس النهار وذلك ما وعدهم أنه يريهم فى الآفاق وقالوا عنى بالآفاق آفاق السماء ويقوله وفى أنفسهم سبيل الغائط والبول ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم قال آفاق السموات نجومها وشمسها وقمرها اللاتى يجرين وآيات فى أنفسهم أيضا * وأولى القولين فى ذلك بالصواب القول الأول وهو ما قاله السدى وذلك أن الله عز وجل وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرى هؤلاء المشركين الذين كانوا به مكذبين آيات فى الآفاق وغير معقول أن يكون تهددهم بأن يريهم ما هم راؤه بل الواجب أن يكون ذلك وعدا منه لهم أن يريهم ما لم يكونوا رأوه قبل من ظهور نبى الله صلى الله عليه وسلم على أطراف بلدهم وعلى بلدهم فأما النجوم والشمس والقمر فقد كانوا يرونها كثيرا قبل وبعد ولا وجه لتهددهم بأنه يريهم ذلك وقوله حتى يتبين لهم أنه الحق يقول جل ثناؤه أرى هؤلاء المشركين وقائعنا بأطرافهم وبهم حتى يعلموا حقيقة ما أنزلنا الى محمد وأوحينا اليه من الوعد له بأنا مظهره وما بعثناه به من الدين على الأديان كلها ولو كره

المشركون

من أضل ممن هو فى شقاق بعيد سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شئ محيط ﴿ القراآت ربنا أرنا بسكون الراء ابن كثير وابن عامر وأبو بكر وحماد ورويس أبو عمرو بالاختلاس الآخرون بكسر الراء اللذين بتشديد النون ابن كثير يلحدون بفتح الياء والحاء حمزة الباقون بضم الياء وكسر الحاء أعجمى بهمزة واحدة هشام وقرأ بتحقيق الهمزتين حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص الا الخزاز والباقون بالمد ثمرات على الجمع أبو جعفر ونافع وابن عامر وحفص والمفضل شركاى مثل من وراى على وزن عصاى قدمر فى سورة مريم الى ربى بفتح الياء أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ونأى بجانبه قدمر فى سورة سبحان الذى أسرى ﴿ الوقوف والانس ج للابتداء بان مع احتمال كونه جواب القسم فى حق خاسرين ٥ تغلبون ٥ يعملون ٥ النار ج لأن ما بعده يصلح مستأنفا وحالا أى كائنا لهم فيها دار الخلد ج يجحدون ٥ الأسفلين ٥ توعدون ٥ وفى الآخرة ج لانقطاع النظم بتقدير الجار مع اتحاد المقول تدعون ٥ ط لحق المحذوف أى أصبتم أو وجدتم نزلا رحيم ٥ المسلمين ٥ السيئة ط حميم ٥ صبروا ج لاتفاق الجملتين مع تكرارها للتوكيد عظيم ٥ بالله ط العليم ٥ والقمر ط تعبدون ٥ يسأمون ٥ سجدة اهتزت وربت ط الموتى ط

المشركون وقوله أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد يقول تعالى ذكره أولم يكف بربك يا محمد أنه شاهد على كل شئ مما يفعله خلقه لا يعزب عنه علم شئ منه وهو مجازيهم على أعمالهم المحسن بالاحسان والمسئ بجزائه وفى قوله أنه وجهان أحدهما أن يكون فى موضع خفض على وجه تكرير الباء فيكون معنى الكلام حينئذ أولم يكف بربك بأنه على كل شئ شهيد والآخر أن يكون فى موضع رفع رفعا بقوله يكف فيكون معنى الكلام أولم يكف بربك شهادته على كل شئ ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم ألا إنه بكل شئ محيط ﴾ يقول تعالى ذكره ألا إن هؤلاء المكذبين بآيات الله فى شك من لقاء ربهم يعنى أنهم فى شك من البعث بعد الممات ومعادهم الى ربهم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم يقول فى شك وقوله ألا إنه بكل شئ محيط يقول تعالى ذكره ألا ان الله بكل شئ مما خلق محيط علما بجميعه وقدرة عليه لا يعزب عنه علم شئ منه أراده فيفوته ولكنه المقتدر عليه العالم بمكانه

آخر تفسير سورة حم السجدة والحمد لله وحده

## ﴿ تفسير سورة حمعسق ﴾

### ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ حمعسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ﴾ قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فى معانى حروف الهجاء التى افتتحت بها أوائل ما افتتح بها من سور القرآن وبينا الصواب من قول لم فى ذلك عندنا بشواهده المغنية عن اعادتها فى هذا الموضع اذ كانت هذه الحروف نظيرة الماضية منها وقد ذكرنا عن حذيفة فى معنى هذه خاصة قولا وهو ما حدثنا به أحمد بن زهير قال ثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطى قال ثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج الحمصى عن أرطاة بن المنذر قال جاء رجل الى ابن عباس فقال له وعنده حذيفة بن اليمان أخبرنى عن تفسير قول الله حم عسق. قال فأطرق ثم أعرض عنه ثم كرر مقالته فأعرض فلم يجبه بشئ وكره مقالته ثم كررها الثالثة فلم يجبه شيأ فقال له حذيفة أنا أنبئك بها قد عرفت بم كرهها نزلت فى رجل من أهل بيته يقال له عبد الاله أو عبد الله ينزل على نهر من أنهار المشرق تبنى عليه مدينتان يشق النهر بينهما شقا فاذا أذن الله فى زوال ملكهم وانقطاع دولتهم ومدتهم بعث الله على احداهما نارا ليلا فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت كأنها لم تكن مكانها وتصبح صاحبتها متعجبة كيف أفلتت فباهوالا بياض يومها ذلك حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم ثم يخسف الله بها وبهم جميعا فذلك قوله حم عسق يعنى عزيمة من الله وفتنة وقضاء حم عين يعنى عدلا منه سين يعنى سيكون وقاف يعنى واقع بهاتين المدينتين وذكر عن ابن عباس أنه كان يقرؤه حم سق بغير عين ويقول ان السين عمر كل فرقة كائنة وان القاف كل جماعة كائنة ويقول ان عليا انما كان يعلم العين بها وذكر أن ذلك فى مصحف عبد الله على مثل الذى ذكر عن ابن عباس من قراءته من غير عين وقوله كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم يقول تعالى ذكره هكذا يوحى اليك يا محمد والى الذين من قبلك من أنبيائه

قدير ٥ علينا ط القيامة ط شئتم ٥ لا ليكون ما بعده دالا على أنه أمر تهديد يصير ٥ لما جاءهم ج لأن خبر ان محذوف فيتقدر ههنا أو بعد قوله من خلفه كما يجئ عن عزيز ٥ لا لاتصال الصفة من خلفه ط حميد ٥ من قبلك ط أليم ٥ آياته ط وعربيّ ط وشفاء ط عمى ط بعيد ٥ فيه ط بينهم ط مريب ٥ فعليها ط للعبيد ٥ الساعة ط بعلمه ط ج شركائى لا لان قالوا عامل يوم آذناك لا لأنه فى معنى القول وقع على الجملة بعده من شهيد ٥ ج للآية مع العطف محيص ٥ الخير ز لاختلاف الجملتين الا أن مقصود الكلام يتم بهما قنوط ٥ هذا لى لا تحرزا عما لا يقوله مسلم قائمة كذلك للحسنى ٥ ج لابتداء الامر بالتوكيد مع فاء التعقيب عملوا ج امها لا للذكر فى الحالتين مع اتفاق الجملتين غليظ ٥ بجانبه ج فصلا بين تناقض الحالين مع اتفاق الجملتين عريض ٥ بعيد ٥ الحق ط شهيد ٥ ربهم ج محيط ٥ ﴿ التفسير لما ذكر وعيد الكفار أردفه بذكر السبب الذى لأجله وقعوا فى ذلك الكفر ومعنى (قيضنا) سببنا لهم من حيث لا يحتسبون أو قدرنا أو سلطنا وأصله من القيض وهو البدل والمقايضة المعاوضة كأن القرينين يصلح كل منهما أن يقوم مقام الآخر والقرناء اخوانهم من الشياطين جمع قرين (فزينوا لهم ما بين أيديهم) وهو الدنيا وما فيها من الشهوات (وما خلفهم) وهو الآخرة بأن لا جنة ولا نار ولا بعث ولا حساب وقيل

وقيل ان حم عين سين ق أوحيت الى كل نبي بعث كما أوحيت الى نبينا صلى الله عليه وسلم ولذلك قيل كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره خلقه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ألا ان الله هو الغفور الرحيم﴾ يقول تعالى ذكره لله ملك ما فى السموات وما فى الارض من الاشياء كلها وهو العلى يقول وهو ذو علو وارتفاع على كل شئ والاشياء كلها دونه لانهم فى سلطانه جارية عليهم قدرته ماضية فيهم مشيئته العظيم الذى له العظمة والكبرياء والجبرية وقوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهن يقول تعالى ذكره تكاد السموات يتشققن من فوق الارضين من عظمة الرحمن وجلاله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهن قال يعنى من ثقل الرحمن وعظمته تبارك وتعالى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله تكاد السموات يتفطرن من فوقهن أى من عظمة الله وجلاله حدثنى محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة مثله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى تكاد السموات يتفطرن قال يتشققن فى قوله منفطر به قال منشق به حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يتفطرن من فوقهن يقول يتصدعن من عظمة الله حدثنا محمد بن منصور الطوسى قال ثنا حسين بن محمد عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال جاء رجل الى كعب فقال يا كعب أين ربنا فقال له الناس دق الله تعالى أفتسأل عن هذا فقال كعب دعوه فان يك عالما ازداد وان يك جاهلا تعلم سألت أين ربنا وهو على العرش العظيم متكئ واضع احدى رجليه على الأخرى ومسافة هذه الارض التى أنت عليها خمسمائة سنة ومن الارض الى الارض مسيرة خمسمائة سنة وكثافتها خمسمائة سنة حتى تم سبع أرضين ثم من الارض الى السماء مسيرة خمسمائة سنة وكثافتها خمسمائة سنة والله على العرش متكئ ثم تفطر السموات ثم قال كعب اقرؤا ان شئتم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن الآية وقوله والملائكة يسبحون بحمد ربهم يقول تعالى ذكره والملائكة يصلون بطاعة ربهم وشكرهم له من هيبة جلاله وعظمته كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنا أبى عن أبيه عن ابن عباس والملائكة يسبحون بحمد ربهم قال والملائكة يسبحون له من عظمته وقوله ويستغفرون لمن فى الارض يقول ويسألون ربهم المغفرة لذنوب من فى الارض من أهل الايمان به كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ويستغفرون لمن فى الارض قال للمؤمنين يقول الله عز وجل ألا ان الله هو الغفور لذنوب مؤمنى عباده الرحيم بهم أن يعاقبهم بعد توبتهم منها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم والذين اتخذوا يا محمد من مشركى قومك من دون الله آلهة يتولونها ويعبدونها الله حفيظ عليهم يحصى عليهم أفعالهم ويحفظ أعمالهم ليجازيهم بها يوم القيامة جزاءهم وما أنت عليهم بوكيل يقول ولست أنت يا محمد بالوكيل عليهم بحفظ أعمالهم وانما أنت منذر فبلغهم ما أرسلت به اليهم فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا اليك قرآنا

ما بين أيديهم أعمالهم التى عملوها وما خلفهم ما عزموا على فعله وزينوا لهم فعل مفسدى زمانهم والذين تقدم عصرهم والآية على مذهب الاشاعرة واضحة وقالت المعتزلة معناها أنه خذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين ومعنى (فى أمم) كائنين فى جملة أمم وقدمر فى أوائل الاعراف كانوا يقولون اذا سمعتم القرآن من محمد فارفعوا أصواتكم باللغو وهو الساقط من الكلام فنزلت (وقال الذين كفروا) الآية يقال لغى بكسر الغين يلغى بالفتح ولغا يلغو فلهذا قرئ بالضم أيضا والمقصود أنهم علموا أن القرآن كلام كامل لفظا ومعنى وكل من سمعه ووقف على معانيه وأنصف حكم بأنه واجب القبول فدبروا هذا التدبير الفاسد وهو قول بعضهم لبعض (لا تسمعوا لهذا القرآن) اذا قرئ وتشاغلوا عن قراءته برفع الصوت بالمكاء والهذيان والرجز (لعلكم تغلبون) القارئ على قراءته فلا يحصل غرضه من التفهيم والارشاد وحين حكى حيلتهم ذكر وعيدهم بقوله (فلنذيقن) الآية والمضاف فى قوله (أسوأ) محذوف أى جزاء أسوأ الذى ولذلك أشار اليه بقوله (ذلك جزاء أعداء الله) وقوله (النار) بدل من الجزاء أو خبر مبتدا مضمر و (دار الخلد) موضع المقام قال الزجاج هو كما يقول لك فى هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها وقد وضع قوله (بما كانوا بآياتنا يجحدون) موضع أن لو قال بما كانوا يلغون اقامة للسبب

عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴾ يقول تعالى ذكره وهكذا أوحينا اليك يا محمد قرآنا عربيا بلسان العرب لان الذين أرسلناك اليهم قوم عرب فأوحينا اليك هذا القرآن بألسنتهم ليفهموا ما فيه من حجج الله وذكره لانا لا نرسل رسولا إلا بلسان قومه ليبين لهم لتنذر أم القرى وهى مكة ومن حولها يقول ومن حول أم القرى من سائر الناس * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله لتنذر أم القرى قال مكة وقوله وتنذر يوم الجمع يقول عز وجل وتنذر عقاب الله فى يوم الجمع عباده لموقف الحساب والعرض وقيل وتنذر يوم الجمع والمعنى وتنذرهم يوم الجمع كما قيل يخوف أولياءه والمعنى يخوفكم أولياءه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وتنذر يوم الجمع قال يوم القيامة وقوله لا ريب فيه يقول لا شك فيه وقوله فريق فى الجنة وفريق فى السعير يقول منهم فريق فى الجنة وهم الذين آمنوا بالله واتبعوا ما جاءهم به رسوله صلى الله عليه وسلم وفريق فى السعير يقول ومنهم فريق فى الموقدة من نار الله المسعورة على أهلها وهم الذين كفروا بالله وخالفوا ما جاءهم به رسوله وقد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن أبى قبيل المعافرى عن شفى الأصبحى عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى يده كتابان فقال هل تدرون ما هذا فقلنا لا الا أن تخبرنا يا رسول الله قال هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولا ينقص منهم أبدا وهذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد ولا ينقص منهم أبدا قال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيم اذا نعمل ان كان هذا أمرا قد فرغ منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم له بعمل الجنة وان عمل أى عمل وصاحب النار يختم له بعمل النار وان عمل أى عمل فرغ ربكم من العباد ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بيديه فنبذهما فرغ ربكم من الخلق فريق فى الجنة وفريق فى السعير قالوا سبحان الله فلم نعمل ونتصب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العمل الى خواتمه حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى عمرو بن الحرث وحيوة بن شريح عن يحيى بن أبى أسيد أن أبا فراس حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو يقول ان الله تعالى ذكره لما خلق آدم نفضه نفضة المزود فأخرج منه كل ذرية نخرج أمثال النغف فقبضهم قبضتين ثم قال شقى وسعيد ثم ألقاهما ثم قبضهما فقال فريق فى الجنة وفريق فى السعير * قال أخبرنى عمرو بن الحرث عن أبى شبويه حدثه عن ابن حجيرة أنه بلغه أن موسى قال يا رب خلقك الذين خلقتهم جعلت منهم فريقا فى الجنة وفريقا فى السعير لو ما أدخلتهم كلهم الجنة قال يا موسى ارفع زرعك فرفع قال قد رفعت قال ارفع فرفع فلم يترك شيأ قال يا رب قد رفعت قال ارفع قال قد رفعت إلا ما لا خير فيه قال كذلك أدخل خلقى كلهم الجنة الا ما لا خير فيه وقيل فريق فى الجنة وفريق فى السعير فرفع وقد تقدم الكلام قبل ذلك بقوله لتنذر أم القرى ومن حولها بالنصب لانه أريد به الابتداء كما يقال رأيت العسكر مقتول أو منهزم بمعنى منهم مقتول ومنهم منهزم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير ﴾ يقول تعالى ذكره ولو أراد الله أن يجمع خلقه على هدى ويجعلهم على ملة واحدة لفعل

مقام المسبب ثم حكى عنهم ما سيقولون فى النار وهو قولهم (ربنا أرنا) أى بصرنا الشيطانين (اللذين أضلانا من الجن والانس) وذلك أن الشياطين ضربان جنى وانسى وقد ورد فى القرآن كثيرا وقيل هما ابليس الذى سن الكفر وقابيل الذى سن القتل ومن قرأ بسكون الراء فلثقل الكسرة وقد يقال معناه اذ ذاك أعطناه وحكوا عن الخليل أنك اذا قلت أرنى ثوبك بالكسر فمعناه بصرنيه واذا قلت بالسكون فهو بمعنى الاعطاء ونظيره اشتهار الايتاء فى معنى الاعطاء وأصله الاحضار (نجعلهما تحت أقدامنا) أى نطأهما اذلالا واهانة (ليكونا من الاسفلين) الأذلين وقيل فى الدرك الاسفل وتأوله بعض حكماء الاسلام بأنهما الشهوة والغضب المشار اليهما فى قوله أنجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء كأنهم سألوا توفيق أن يجعلوا القرينين تحت قدم النفس الناطقة وحين أطنب فى الوعيد أردفه بالوعد على العادة المستمرة فقوله (ربنا الله) اشارة الى العلوم النظرية التى هذه المسألة رأسها وأصلها وقوله (ثم استقاموا) اشارة الى الحكمة العملية وجملتها الاستقامة على الوسط دون الميل الى أحد شقى الافراط والتفريط كما سبق تقرير ذلك فى تفسير قوله اهدنا الصراط المستقيم ومعنى ثم تراخى الاستقامة فى الرتبة عن الاقرار وفيه أن حصول العلوم النظرية بدون القسم العملى كشجرة بلا ثمرة وقال أهل العرفان قالوا ربنا الله يوم الميثاق

ولجعلهم أمة واحدة يقول أهل ملة واحدة وجماعة مجتمعة على دين واحد ولكن يدخل من يشاء في رحمته يقول لم يفعل ذلك فيجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء من عباده في رحمته يعني أنه يدخله في رحمته بتوفيقه اياه للدخول في دينه الذي ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير يقول والكافرون بالله ما لهم من ولي يتولاهم يوم القيامة ولا نصير ينصرهم من عقاب الله حين يعاقبهم فينقذهم من عذابه ويقتص لهم ممن عاقبهم وانما قيل هذا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسلية له عما كان يناله من الهم بتولية قومه عنه وأمر الله بترك ادخال المكروه على نفسه من أجل ادبار من أدبر عنه منهم فلم يستجب لما دعاه اليه من الحق واعلاما له أن أمور عباده بيده وأنه الهادي الى الحق من شاء والمضل من أراد دونه ودون كل أحد سواه ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب ﴾ يقول تعالى ذكره أم اتخذ هؤلاء المشركون بالله أولياء من دون الله يتولونهم فالله هو الولي يقول فالله هو ولي أوليائه واياه فليتخذوا وليا لا الآلهة والأوثان ولا ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا وهو يحيي الموتى يقول والله يحيي الموتى من بعد مماتهم فيحشرهم يوم القيامة وهو على كل شئ قدير يقول والله القادر على احياء خلقه من بعد مماتهم وعلى غير ذلك انه ذو قدرة على كل شئ وقوله وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله يقول تعالى ذكره وما اختلفتم أيها الناس فيه من شئ فتنازعتم بينكم فحكمه الى الله يقول فان الله هو الذي يقضي فيه بينكم ويفصل فيه الحكم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله قال ابن عمرو في حديثه فهو يحكم فيه وقال الحرث فالله يحكم فيه وقوله ذلكم الله ربي عليه توكلت يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لهؤلاء المشركين بالله هذا الذي هذه الصفات صفاته ربي لا آلهتكم التي تدعون من دونه التي لا تقدر على شئ عليه توكلت في أموري واليه فوضت أسبابي وبه وثقت واليه أنيب يقول واليه أرجع في أموري وأتوب من ذنوبي ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير ﴾ يقول تعالى ذكره فاطر السموات والارض خالق السموات السبع والارض كما حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله فاطر السموات والارض قال خالق وقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا يقول تعالى ذكره زوجكم ربكم من أنفسكم أزواجا وانما قال جل ثناؤه من أنفسكم لانه خلق حواء من ضلع آدم فهو من الرجال ومن الأنعام أزواجا يقول جل ثناؤه وجعل لكم من الأنعام أزواجا من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ذكورا واناثا ومن كل جنس من ذلك يذرؤكم فيه يقول يخلقكم فيما جعل لكم من أزواجكم ويعيشكم فيما جعل لكم من الانعام وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله يذرؤكم فيه في هذا الموضع فقال بعضهم معنى ذلك يخلقكم فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله يذرؤكم فيه قال نسل بعد نسل من الناس والانعام حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله يذرؤكم قال يخلقكم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عنبسة

عن

في عالم الارواح ثم استقاموا على ذلك في عالم الاشباح وعن أبي بكر الصديق معناه لم يلتفتوا الى الله غيره (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت أو عنده وفي القبر وفي القيامة ألا تخافوا من أمر الآخرة مفسرة أو مخففة ولقد فسرنا الخوف والحزن مرارا والابشار لازم قال الجوهري يقال بشرته بمولود فأبشر ابشارا وقوله (ألا تخافوا ولا تحزنوا) اشارة الى رفع المضار في المآل وفي الحال وقوله (وأبشروا) اخبار عن حصول المنافع وقوله (نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا) يقابل قوله وقيضنا لهم قرناء فالملائكة تأثيرات في الارواح بالالهامات الحسنة والخواطر الشريفة كما للشياطين تأثيرات بالقاء الوساوس والهواجس وقد تقدم في أول الكتاب في تفسير الاستعاذة واذا كانت هذه الولاية ثابتة في الدنيا بحكم المناسبة النورية كانت بعد الموت أقوى وأظهر لزوال العلائق الجسمانية وقيل في الحياة الدنيا بالاستغفار (وفي الآخرة) بالشفاعة وقيل كنا نحفظكم في الدنيا ولا نفارقكم في الآخرة حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم) يعني الحظوظ الجسمانية (ولكم فيها ما تدعون) أي تمنون من المواهب الروحانية وقد مر في بس سائر الوجوه والنزل ما يهيأ للضيف وقد مر وفي ذكر الغفور الرحيم ههنا مناسبة لا تخفى قال أهل النظم ان القوم لما أتوا بأنواع السفاهة والايذاء كقولهم قلوبنا غلف لا تسمع لهذا القرآن حرض سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم على مواظبة التبليغ والدعوة

عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله يذرؤكم فيه قال نسلا بعد نسل من الناس والأنعام حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور أنه قال في هذه الآية يذرؤكم فيه قال يخلقكم * وقال آخرون بل معناه يعيشكم فيه ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه يقول يجعل لكم فيه معيشة تعيشون بها حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة يذرؤكم فيه قال يعيشكم فيه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يذرؤكم فيه قال عيش من الله يعيشكم فيه وهذان القولان وان اختلفا في اللفظ من قائليهما فقد يحتمل توجيههما الى معنى واحد وهو أن يكون القائل في معناه يعيشكم فيه أراد بقوله ذلك يحييكم بعيشكم به كما يحيي من لم يخلق بتكوينه اياه ونفخه الروح فيه حتى يعيش حيا وقد بينت معنى ذرء الله الخلق فيما مضى بشواهده المغنية عن اعادته وقوله ليس كمثله شئ فيه وجهان أحدهما أن يكون معناه ليس هو كشئ وأدخل المثل في الكلام توكيد الكلام اذا اختلف اللفظ به و بالكاف وهما بمعنى واحد كما قيل

* ما إن نديت بشئ أنت تكرهه *

فأدخل على ما وهي حرف جحد إن وهي أيضا حرف جحد لاختلاف اللفظ بهما وان اتفق معناهما توكيد الكلام وكما قال أوس بن حجر

وقتلى كمثل جذوع النخيل * تغشاهم مسبل منهمر

ومعنى ذلك كجذوع النخيل وكما قال الآخر

سعد بن زيد اذا أبصرت فضلهم * ما ان كمثلهم في الناس من أحد

والآخر أن يكون معناه ليس مثله شئ وتكون الكاف هي المدخلة في الكلام كقول الراجز

* وصاليات ككما يؤثفين *

فأدخل على الكاف كافا توكيدا للتشبيه وكما قال الآخر

تنفي الغياديق على الطريق * قلص عن كبيضة في نيق

فأدخل الكاف مع عن وقد بينا هذا في موضع غير هذا المكان بشرح هو أبلغ من هذا الشرح فلذلك تجوزنا في البيان عنه في هذا الموضع وقوله وهو السميع البصير يقول جل ثناؤه واصفا نفسه بما هو به وهو يعني نفسه السميع لما تنطق به خلقه من قول البصير لأعمالهم لا يخفى عليه من ذلك شئ ولا يعزب عنه علم شئ منه وهو محيط بجميعه بمحص صغيره وكبيره لتجزي كل نفس بما كسبت من خير أو شر ذكر القول في تأويل قوله تعالى ﴿له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم﴾ يعني تعالى ذكره بقوله له مقاليد السموات والارض له مفاتيح خزائن السموات والارض وبيده مغاليق الخير والشر ومفاتيحها فما يفتح من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد له مقاليد السموات والارض قال مفاتيح بالفارسية حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة له مقاليد السموات والأرض قال مفاتيح السموات والارض وعن الحسن بمثل ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي له مقاليد السموات والارض قال خزائن السموات والارض وقوله يبسط

واحتمال أعباء الرسالة والتزام السيرة الفاضلة اظهار المزينة على الجهال وتحصيلا للغرض بالرفق واللطف ما أمكن فقال (ومن أحسن قولا) ووجه آخر في النظم وهو أنه لما مدح الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وذكر جزاءهم وهم أهل الكمال أراد أن يبين حال المشتغلين بتكميل الناقصين زعم بعض المفسرين أن المراد بهذا الدعاء الاذان والعمل الصالح الصلاة بين الأذان والاقامة ورفعوه الى عائشة والأصح أنه عام لجميع الأئمة والدعاة الى طاعة الله وتوحيده ولا ريب أن مصطفانا هم ومقتداهم هو رسول الله صلى الله عليه وآله و بعده العلماء بالله وهم الحكماء المتألهون و بعدهم العلماء بصفات الله وهم الاصوليون ثم العلماء بأحكام الله وهم الفقهاء ثم الملوك العادلون الذين يدعون الى الله بالسيف والسيف وفي الاستفهام الانكاري دلالة على أنه لا قول أحسن من الدعاء الى الله فمن زعم أنه الأذان ذهب الى أنه واجب والا لكان الواجب أحسن منه ونوقض بأنا نعلم بالدلائل اليقينية أن الدعوة الى الدين القويم بالحجة أو السيف أحسن من الاذان فلا يدخل الأذان تحت الآية قال جار الله ليس معنى قوله وقال اني من المسلمين أنه تكلم بهذا الكلام ولكن المراد أنه جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبي حنيفة وقال آخرون أراد به التلفظ به تفاخرا بالاسلام وتمدحا وزعموا أن فيه ابطال قول من جوز أنا مسلم ان شاء الله فانه لو كان ذلك معتبرا لورد في الآية كذلك ولا يخفى ضعفه

فان التجويز غير الايجاب ثم صبر رسوله صلى الله عليه وسلم على سفاهة الكفار وعلمه الادب الجميل فى باب الدعاء الى الدين بل فى مطلق أمور التمدن فقال (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) لازائدة لتأكيد نفى الاستواء والمعنى لا تستوى الحسنة والسيئة قط ومثالهما الايمان والشرك والحلم والغضب والطاعة والمعصية واللطف والعنف ثم ان سائلا كأنه سأل فكيف نصنع فأجيب (ادفع بالتى هى أحسن) فان الحسنة أحسن من السيئة كما يقال الصيف أحر من الشتاء وذهب صاحب الكشاف الى أن لا غير مزيدة والمعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة مثالها رجل أساء اليك فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته قال ومن جعل لا مزيدة فالقياس على تفسيره أن يقال ادفع بالتى هى حسنة ولكنه وضع أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ لأن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها قال العارفون الحسنة التوجه الى الله بصدق الطلب والسيئة الالتفات الى غيره (فاذا الذى) اذا فعلت ذلك انقلب عدوك وليا مصافيا قال مقاتل نزلت فى ابى سفيان وكان مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار يتحاب بعد ذلك لما رأى من لطف رسول الله صلى الله عليه وسلم وعطفه ثم مدح هذه السيرة وأهلها بقوله (وما يلقاها الا الذين صبروا) أى لا يعمل بها

الرزق لمن يشاء ويقدر يقول يوسع رزقه وفضله على من يشاء من خلقه و يبسط له و يكثر ماله و يغنيه و يقدر يقول و يقتر على من يشاء منهم فيضيقه و يفقره انه بكل شئ عليم يقول ان الله تبارك وتعالى بكل ما يفعل من توسيعه على من يوسع وتقتيره على من يقتر ومن الذى يصلحه البسط عليه فى الرزق و يفسده من خلقه والذى يصلحه التقتير عليه و يفسده وغير ذلك من الامور ذو علم لا يخفى عليه موضع البسط والتقتير وغيره من صلاح تدبير خلقه يقول تعالى ذكره فالى من له مقاليد السموات والأرض الذى صفته ما وصفت لكم فى هذه الآيات أيها الناس فارغبوا واياه فاعبدوا مخلصين له الدين لا الأوثان والآلهة والأصنام التى لا تملك لكم ضرا ولا نفعا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه من يشاء و يهدى اليه من ينيب ﴾ يقول تعالى ذكره شرع لكم ربكم أيها الناس من الدين ما وصى به نوحا أن يعمله والذى أوحينا اليك يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وشرع لكم من الدين الذى أوحينا اليك يا محمد فأمرناك به وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين يقول شرع لكم من الدين أن أقيموا الدين فان اذ كان ذلك معنى الكلام فى موضع نصب على الترجمة بها عن ما التى فى قوله ما وصى به نوحا ويجوز أن تكون فى موضع خفض ردا على الهاء التى فى قوله به وتفسيرا عنها فيكون معنى الكلام حينئذ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه وجائز أن تكون فى موضع رفع على الاستئناف فيكون معنى الكلام حينئذ شرع لكم من الدين ما وصى به وهو أن أقيموا الدين واذ كان معنى الكلام ما وصفت فمعلوم أن الذى أوصى به جميع هؤلاء الانبياء وصية واحدة وهى اقامة الدين الحق ولا تتفرقوا فيه * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ما وصى به نوحا قال ما أوصاك به وأنبياءه كلهم دين واحد حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا قال هو الدين كله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا بعث نوح حين بعث بالشريعة بتحليل الحلال وتحريم الحرام وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا قال الحلال والحرام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الى آخر الآية قال حسبك ما قيل لك وعنى بقوله أن أقيموا الدين أن اعملوا به على ما شرع لكم وفرض كما قد بينا فيما مضى قبل فى قوله أقيموا الصلاة * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله أن أقيموا الدين قال اعملوا به وقوله ولا تتفرقوا فيه يقول ولا تختلفوا فى الدين الذى أمرتم بالقيام به كما اختلف الأحزاب من قبلكم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تتفرقوا فيه تعلموا أن الفرقة هلكة وأن الجماعة نجاة وقوله كبر على المشركين ما تدعوهم اليه يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم اليه من اخلاص العبادة لله وافراده بالالوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة كبر على المشركين ما تدعوهم اليه قال أنكرها المشركون وكبر عليهم شهادة أن لا اله الا الله فصادمها بليس وجنوده وأبى الله تبارك وتعالى الا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها وقوله الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب يقول الله يصطفي اليه من يشاء من خلقه ويختار لنفسه وولايته من أحب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب يقول ويوفق للعمل بطاعته واتباع ما بعث به نبيه عليه السلام من الحق من أقبل الى طاعته وراجع التوبة من معاصيه كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ويهدي اليه من ينيب من يقبل الى طاعة الله ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وما تفرقوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب ﴾ يقول تعالى ذكره وما تفرق المشركون بالله في أديانهم فصاروا أحزابا إلا من بعد ما جاءهم العلم بأن الذي أمرهم الله به وبعث به نوحا هو إقامة الدين الحق وأن لا تتفرقوا فيه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم فقال اياكم والفرقة فانها هلكة بغيا بينهم يقول بغيا من بعضكم على بعض وحسدا وعداوة على طلب الدنيا ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى يقول جل ثناؤه ولولا قول سبق يا محمد من ربك لا يعاجلهم بالعذاب ولكنه أخر ذلك الى أجل مسمى وذلك الأجل المسمى فيما ذكر يوم القيامة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى قال يوم القيامة وقوله لقضي بينهم يقول لفرغ ربك من الحكم بين هؤلاء المختلفين في الحق الذي بعث به نبيه نوحا من بعد علمهم به باهلاكه أهل الباطل منهم واظهاره أهل الحق عليهم وقوله وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم يقول وان الذين آتاهم الله من بعد هؤلاء المختلفين في الحق كتابه التوراة والانجيل لفي شك منه مريب يقول لفي شك من الدين الذي وصى الله به نوحا وأوحاه اليك يا محمد وأمرك باقامته مريب * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم قال اليهود والنصارى ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير ﴾ يقول تعالى ذكره فالى ذلك الدين الذي شرع لكم ووصى به نوحا وأوحاه اليك يا محمد فادع عباد الله واستقم على العمل به ولا تزغ عنه واثبت عليه كما أمرك ربك بالاستقامة وقيل فلذلك فادع والمعنى فالى ذلك فوضعت اللام موضع الى كما قيل بأن ربك أوحى لها وقد بينا ذلك في غير موضع من كتابنا هذا وكان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك في قوله فلذلك فادع الى معنى هذا ويقول معنى الكلام فالى هذا القرآن فادع واستقم والذي قال من هذا القول قريب المعنى مما قلناه غير أن الذي قلنا في ذلك أولى بتأويل الكلام لأنه في سياق خبر الله جل ثناؤه عما شرع لكم من الدين لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم باقامته ولم يأت من الكلام ما يدل على انصرافه عنه

الا كل صبار على تجرع المكاره (وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) من قوة جوهر النفس الناطقة بحيث لا يتأثر من الواردات الخارجية وقد يفسر الحظ العظيم بالثواب الجزيل وعن الحسن ما عظم حظ دون الجنة ثم ذكر طريقا آخر في دفع الغضب والانتقام قائلا (وإما ينزغنك) وقدمر في آخر الأعراف والمعنى ان صرفك الشيطان عما أمرت به فاستعذ بالله من شره وانما قال ههنا (انه هو السميع العليم) بالفصل وتعريف الخبر ليكون مناسبا لما تقدمه من قوله وما يلقاها مؤكدا بالتكرار وبالنفي والاثبات ولم يكن هذا المقتضى في الأعراف فجاء على أصل الاسم معرفة والخبر نكرة وحين ذكر أن أحسن الأقوال هو الدعوة الى الله بين الدلائل على وجوده فقال (ومن آياته) الخ والضمير في (خلقهن) للآيات او الليل وما عطف عليه ولم يغلب المذكر لان ذلك قياس مع العقلاء وفي قوله (ان كنتم اياه تعبدون) تزييف لطريقة الصابئين وسائر عبدة الكواكب جهلا منهم وزعما أنها الواسطة بين الخلق والاله فنهوا عن هذا التوسيط لان ذلك مظنة العبادة المستقلة لرفعة شأنها وارتفاع مكانها وهذا بخلاف التوجه في الصلاة الى القبلة فان الحجر قلما يظن به أنه معبود بالحق والجزم حاصل بأنه لتوحيد متوجهات المصلين عند صلاتهم مع أن للبيت شرفا ظاهرا في نفسه (فان استكبروا) عن قبول قولك يا محمد في النهي عن السجود للشمس والقمر

(فالذين عند ربك) عندية بالشرف والرتبة وهم الملائكة المقربون (يسبحون له بالليل والنهار) أى على الدوام والاستمرار (وهم لا يسأمون) من السآمة والملالة والحاصل أنهم ان لم يمتثلوا ما أمروا به ونهوا عنه وأبوا الا الواسطة فدعهم وشأنهم فان ربك لا يعدم عابدا مخلصا وللفرغ من تقرير الآيات السماوية شرع فى الدلائل الارضية فقال (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) وأصل الخشوع التذلل فاستعير للارض التى لا خضرة بها ولا نفع فيها كما وصفها بالهمود وقد مر فى سورة الحج وذلك أنها اذا اهتزت وربت أى انتفخت حين يهم النبت بالخروج منها كانت بمنزلة المختال فى زيه وهى قبل ذلك كالفقير الكاسف البال المتلبس بثوب أطمار وبعد تقرير الدلائل الباهرة ذكر وعيد الملحدين فى آياته المنحرفين عن الجادة والوعيد قوله (لا يخفون علينا) وكفى به وعيدا ثم أكده بالاستفهام على سبيل التقرير وهو قوله (أفمن يلقى) الخ وقوله (يوم القيامة) ظرف لآمنا أو لياتى ثم هددهم بقوله (اعملوا ما شئتم) الخ ثم أبدل من قوله ان الذين كفروا بالذكر أى القرآن لانهم بكفرهم به طعنوا فيه وحرفوا معانيه وعلى هذا فالخبر هو ما تقدم من قوله لا يخفون وانه كلام مستأنف وعلى هذا فاختلفوا فى خبر ان فالاكثرون على انه أولئك ينادون وما بينهما اعتراض من تتمة الذكر وقيل خبره ما يقال اذ التقدير ما يقولون لك وقيل هو محذوف ثم اختلفوا فقال قوم ان الذين كفروا بالذكر كفروا

الى غيره وقوله ولا تتبع أهواءهم يقول تعالى ذكره ولا تتبع يا محمد أهواء الذى شكوا فى الحق الذى شرعه الله لكم من الدين أو رثوا الكتاب من بعد القرون الماضية قبلهم فتشك فيه كالذى شكوا فيه وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب يقول تعالى ذكره وقل لهم يا محمد صدقت بما أنزل الله من كتاب كائنا ما كان ذلك الكتاب توراة كان أو انجيلا أو زبورا أو صحف ابراهيم لا أكذب بشئ من ذلك تكذيبكم بعضه معشر الأحزاب وتصديقكم بعض وقوله وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم يقول تعالى ذكره وقل لهم يا محمد وأمرنى ربى أن أعدل بينكم معشر الأحزاب فأسير فيكم جميعا بالحق الذى أمرنى به وبعثنى بالدعاء اليه كالذى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأمرت لأعدل بينكم قال أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يعدل فعدل حتى مات صلوات الله وسلامه عليه والعدل ميزان الله فى الأرض به يأخذ للمظلوم من الظالم وللضعيف من الشديد وبالعدل يصدق الله الصادق ويكذب الكاذب وبالعدل يرد المعتدى ويوبخه ذكر لنا أن نبى الله داود عليه السلام كان يقول ثلاث من كن فيه أعجبنى جدا القصد فى الفاقة والغنى والعدل فى الرضا والغضب والخشية فى السر والعلانية وثلاث من كن فيه أهلكته شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وأربع من أعطين فقد أعطى خير الدنيا والآخرة لسان ذاكر وقلب شاكر وبدن صابر وزوجة مؤمنة * واختلف أهل العربية فى معنى اللام التى فى قوله وأمرت لأعدل بينكم فقال بعض نحويى البصرة معناها كى وأمرت كى أعدل وقال غيره معنى الكلام وأمرت بالعدل والامر واقع على ما بعده وليست اللام التى فى لأعدل بشرط قال وأمرت تقع على أن وعلى كى واللام أمرت أن أعبد وكى أعبد ولأعبد قال وكذلك كل ما طالب الاستقبال ففيه هذه الأوجه الثلاثة والصواب من القول فى ذلك عندى أن الأمر عامل فى معنى لأعدل لأن معناه وأمرت بالعدل بينكم وقوله الله ربنا وربكم يقول الله ما لكنا وما لكم معشر الأحزاب من أهل الكتابين التوراة والانجيل لنا أعمالنا ولكم أعمالكم يقول لنا ثواب ما اكتسبنا من الأعمال ولكم ثواب ما اكتسبتم منها وقوله لا حجة بيننا وبينكم يقول لا خصومة بيننا وبينكم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله لا حجة بيننا وبينكم قال لا خصومة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله عز وجل لا حجة بيننا وبينكم لا خصومة بيننا وبينكم وقرأ ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الى آخر الآية وقوله الله يجمع بيننا يقول الله يجمع بيننا يوم القيامة فيقضى بيننا بالحق فيما اختلفنا فيه واليه المصير يقول واليه المعاد والمرجع بعد مماتنا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد ﴾ يقول تعالى ذكره والذين يخاصمون فى دين الله الذى ابتعث به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم من بعد ما استجاب له الناس فدخلوا فيه من الذين أورثوا الكتاب حجتهم داحضة يقول خصومتهم التى يخاصمون فيه باطلة ذاهبة عند ربهم وعليهم غضب يقول وعليهم من الله غضب ولهم فى الآخرة عذاب شديد وهو عذاب النار وذكر أن هذه الآية نزلت فى قوم من اليهود خاصموا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دينهم وطمعوا أن يصدوهم عنه ويردوهم عن الاسلام الى الكفر ذكر الرواية عمن ذكر ذلك عنه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس

قوله والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد قال هم أهل الكتاب كانوا يجادلون المسلمين ويصدونهم عن الهدى من بعد ما استجاب الله وقال هم أهل الضلالة كان استجيب لهم على ضلالتهم وهم يتربصون بأن تأتيهم الجاهلية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له قال طمع رجال بأن تعود الجاهلية حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له قال بعد ما دخل الناس فى الاسلام حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم قال هم اليهود والنصارى قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله والذين يحاجون فى الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة الآية قال هم اليهود والنصارى حاجوا أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم فقالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن أولى بالله منكم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله والذين يحاجون فى الله الى آخر الآية قال نهاه عن الخصومة ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد ﴾ يقول تعالى ذكره الله الذى أنزل هذا الكتاب يعنى القرآن بالحق والميزان يقول وأنزل الميزان وهو العدل ليقضى بين الناس بالانصاف ويحكم فيهم بحكم الله الذى أمر به فى كتابه * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أنزل الكتاب بالحق والميزان قال العدل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله الذى أنزل الكتاب بالحق والميزان قال الميزان العدل وقوله وما يدريك لعل الساعة قريب يقول تعالى ذكره وأى شئ يدريك ويعلمك لعل الساعة التى تقوم فيها القيامة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يقول يستعجلك يا محمد بمجيئها الذين لا يوقنون بمجيئها ظنا منهم أنها غير جائية والذين آمنوا مشفقون منها يقول والذين صدقوا بمجيئها ووعد الله اياهم الحشر فيها مشفقون منها يقول رجاؤن من مجيئها خائفون من قيامها لأنهم لا يدرون ما الله فاعل بهم فيها ويعلمون أنها الحق يقول ويوقنون أن مجيئها الحق اليقين لا يمترون فى مجيئها ألا ان الذين يمارون فى الساعة يقول تعالى ذكره ألا ان الذين يخاصمون فى قيام الساعة ويجادلون فيه لفى ضلال بعيد يقول لفى جور عن طريق الهدى وزيغ عن سبيل الحق والرشاد بعيد من الصواب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوى العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب ﴾ يقول تعالى ذكره الله ذو لطف بعباده يرزق من يشاء فيوسع عليه ويقتر على من يشاء منهم وهو القوى الذى لا يغلبه ذو أيد لشدته ولا يمتنع عليه اذا أراد عقابه بقدرته العزيز فى انتقامه اذا انتقم من أهل معاصيه من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه يقول تعالى ذكره من كان يريد بعمله الآخرة

لما جاءهم وقال آخرون هلكوا أو يجازون بكفرهم ونحو ذلك وهذا يمكن تقديره بعد قوله لما جاءهم وبعد قوله من خلفه وبعد قوله حميد والعزيز معناه الغالب القاهر بقوة حجته على ما سواه من الكتب والمراد أنه عديم النظير لأن الاولين والآخرين عجزوا عن معارضته ثم أكد هذا الوصف بقوله (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) قال جار الله هو تمثيل أى لا يتطرق البطلان اليه بجهة من الجهات فلا ينقص منه شئ ولا يزاد عليه شئ وقيل أراد أنه لا تكذبه الكتب المتقدمة كالتوراة والانجيل ولن يجئ بعده ما يخالفه وقد يحتج أبو مسلم بالآية على عدم وقوع النسخ فى القرآن زعما منه أن النسخ نوع من البطلان ولا يخفى ضعفه فان بيان انتهاء حكم لا يقتضى ابطاله فانه حق فى نفسه ومأمور به فى وقته (تنزيل) اى هو منزل (من) الله (حكيم) فى جميع أفعاله (حميد) الى جميع خلقه بسبب كثرة نعمه ثم سلى نبيه عليه السلام بقوله (ما يقال لك) وفيه وجهان أحدهما ما يقول لك كفار قريش الا مثل ما قال للرسل كفار قومهم من المطاعن فيهم وفى كتبهم (ان ربك لذو مغفرة) للمحقين (وذو عقاب أليم) للمبطلين ففوض الامر الى الله واشتغل بما أمرت به من الدعاء الى دينه وثانيهما ما يقول لك الله الا مثل ما قال لغيرك من الرسل من الصبر على سفاهة الاقوام وايذائهم ويجوز أن يكون المقول هو قوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب فمن حقه أن يرجوه اهل طاعته ويخشاه

نزدله فى حرثه يقول نزده له فى عمله الحسن فنجعل له بالواحدة عشرا الى ماشاء ربنا من الزيادة ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها يقول ومن كان يريد بعمله الدنيا ولما يسعى للآخرة نؤته منها ماقسمناله منها وماله فى الآخرة من نصيب يقول وليس لمن طلب بعمله الدنيا ولم يرد الله به فى ثواب الله لاهل الاعمال التى أرادوه بأعمالهم فى الدنيا حظ * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه الى وماله فى الآخرة من نصيب قال يقول من كان انما يعمل للدنيا نؤته منها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا الآية يقول من آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيبا فى الآخرة الا النار ولم نزده بذلك من الدنيا شيأ الا رزقا قد فرغ منه وقسم له حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه قال من كان يريد الآخرة وعملها نزدله فى عمله ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها الى آخر الآية قال من أراد الدنيا وعملها آتيناه منها ولم نجعل له فى الآخرة من نصيب الحرث العمل من عمل للآخرة أعطاه الله ومن عمل للدنيا أعطاه الله حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله من كان يريد حرث الآخرة نزدله فى حرثه قال من كان يريد عمل الآخرة نزدله فى عمله وقوله وماله فى الآخرة من نصيب قال للكافر عذاب أليم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره أم لهؤلاء المشركين بالله شركاء فى شركهم وضلالتهم شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله يقول ابتدعوا لهم من الدين مالم يبح الله لهم ابتداعه ولولا كلمة الفصل لقضى بينهم يقول تعالى ذكره ولولا السابق من الله فى أنه لا يعجل لهم العذاب فى الدنيا وأنه مضى من قبله أنهم مؤخرون بالعقوبة الى قيام الساعة لفرغ من الحكم بينكم وبينهم بتعجيلنا العذاب لهم فى الدنيا ولكن لهم فى الآخرة من العذاب الأليم كما قال جل ثناؤه وان الظالمين لهم عذاب أليم يقول وان الكافرين بالله لهم يوم القيامة عذاب مؤلم موجع ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ترى يا محمد الكافرين بالله يوم القيامة مشفقين مما كسبوا يقول وجلين خائفين من عقاب الله على ما كسبوا فى الدنيا من أعمالهم الخبيثة وهو واقع بهم يقول والذى هم مشفقون منه من عذاب الله نازل بهم وهم ذائقوه لا محالة وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات يقول تعالى ذكره والذين آمنوا بالله وأطاعوه فيما أمر ونهى فى الدنيا فى روضات البساتين فى الآخرة ويعنى بالروضات جمع روضة وهى المكان الذى يكثر نبته ولا تقول العرب لمواضع الاشجار رياض ومنه قول أبى النجم

والقص مثل الاجرب المدحل * حدائق الروض التى لم تحلل

يعنى بالروض جمع روضة وانما عنى جل ثناؤه بذلك الخبر عما هم فيه من السرور والنعيم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات الى آخر الآية قال فى رياض الجنة ونعيمها وقوله لهم مايشاؤن عند ربهم يقول للذين آمنوا وعملوا الصالحات عند ربهم فى الآخرة ما تشتهيه أنفسهم



أذنى عصيانه كانوا يقولون لولا انزل القرآن بلغة العجم تعنتا منهم فأجابهم الله بقوله (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا) معترضين منكرين (لولا فصلت آياته) أى بينت بلسان نفهمه أقرآن أعجمى ورسول عربى أو مرسل اليه عربى وانما جاز هذا التقدير الثانى مع أن المرسل اليهم كثيرون وهم غير امة العرب لأن الغرض بيان تنافر حالتى القرآن والذين أنزل القرآن اليهم من العجمية والعربية لا بيان أنهم جمع أو واحد كما تقول وقد رأيت لباسا طويلا على أمرأة قصيرة اللباس طويل واللابس قصير ولو قلت واللابسة قصيرة حسنت بما هو أفضل ومن قرأ بغير همزة الاستفهام فعلى حذفها أو على الاخبار بأن القرآن أعجمى والرسول أو المرسل اليه عربى والغرض أنهم لعنادهم لا ينفكون عن المراء والاعتراض سواء كان القرآن عربيا أو أعجميا وفيه الحام لهم وجواب عن قولهم قلوبنا فى أكنة فان القرآن اذا كان بلغتهم وهم فصحاء وبلغاء فكيف لا يفهمونه الا اذا كان هناك مانع المى ولذلك قال (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) لداء الجهل (والذين) أى وللذين (لا يؤمنون فى آذانهم وقر) وهذا التقدير عند من يجوز العطف على عاملين ومن لم يجوز زعم أن الرابط محذوف تقديره والذين لا يؤمنون هو فى آذانهم وقر أو فى آذانهم منه وقر أو والذين لا يؤمنون به الخ والحاصل أنهم لعدم انتفاعهم بالقرآن كأنهم صم عمى ثم أكد هذا المعنى بقوله (أولئك ينادون من مكان بعيد) فلهذا لا يسمعون النداء

وتلذه أعينهم ذلك هو الفضل الكبير يقول تعالى ذكره هذا الذى أعطاهم الله من هذا النعيم وهذه الكرامة فى الآخرة هو الفضل من الله عليهم الكبير الذى يفضل كل نعيم وكرامة فى الدنيا من بعض أهلها على بعض ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى ومن يقترف حسنة نزدله فيها حسنا ان الله غفور شكور ﴾ يقول تعالى ذكره هذا الذى أخبرتكم أيها الناس أنى أعددته للذين آمنوا وعملوا الصالحات فى الآخرة من النعيم والكرامة البشرى التى يبشر الله عباده الذين آمنوا به فى الدنيا وعملوا بطاعته فيها قل لا أسألكم عليه أجرا يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين يماروننى فى الساعة من مشركى قومك لا أسألكم أيها القوم على دعايتكم الى ما أدعوكم اليه من الحق الذى جئتكم به والنصيحة التى أنصحكم ثوابا وجزاء وعوضا من أموالكم تعطونيه إلا المودة فى القربى واختلف أهل التأويل فى معنى قوله إلا المودة فى القربى فقال بعضهم معناه إلا أن تودونى فى قرابتى منكم وتصلوا رحمى بينى وبينكم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب ويعقوب قالا ثنا اسمعيل بن ابراهيم عن داود بن أبى هند عن الشعبى عن ابن عباس فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال لم يكن بطن من بطون قريش إلا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قرابة فقال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودونى فى القرابة التى بينى وبينكم حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو أسامة قال ثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة عن طاوس فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال سئل عنها ابن عباس فقال ابن جبير هم قربى آل محمد فقال ابن عباس عجلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من بطون قريش إلا وله فيهم قرابة قال فنزلت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال إلا القرابة التى بينى وبينكم أن تصلوها حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة فى جميع قريش فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه قال يا قوم اذ أبيتم أن تبايعونى فاحفظوا قرابتى فيكم لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظى ونصرتى منكم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم قال لقريش لا أسألكم من أموالكم شيئا ولكن أسألكم أن لا تؤذونى لقرابتى ما بينى وبينكم فانكم قومى وأحق من أطاعنى وأجابنى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن عكرمة قال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان واسطا فى قريش كان له فى كل بطن من قريش نسب فقال لا أسألكم على ما أدعوكم اليه إلا أن تحفظونى فى قرابتى قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسط النسب من قريش ليس حى من أحياء قريش إلا وقد ولدوه قال فقال الله عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى إلا أن تودونى لقرابتى منكم وتحفظونى حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس قال ثنا عبثر قال ثنا حصين عن أبى مالك فى هذه الآية قل لا أسألكم عليه اجرا إلا المودة فى القربى قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم وأمه من بنى زهرة وأم أبيه من بنى مخزوم فقال احفظونى فى قرابتى حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمى قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن عكرمة فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال تعرفون

أى مثلهم كمثل الشخص الذى ينادى من بعد فلا يسمع وان سمع لم يفهم ثم شبه حال القرآن بحال الكتب المتقدمة فى أنها اختلف فيها كما اختلف فيه الا أنه خص كتاب موسى بالذكر لكثرة أحكامه وعجيب قصته والكلمة السابقة هى العدة بالقيامة وتأخر العذاب والقضاء بين المصدقين والمكذبين الى وقتئذ ثم ذكر أن جزاء كل أحد يختص به سواء كان له أو عليه وان الله لا يظلم أحدا ثم كان لسائل أن يسأل متى القيامة التى يتعلق بها الجزاء فقال (اليه) لا الى غيره (يرد علم الساعة) أى اذا سأل عنها قيل لا يعلمها الا هو ثم عمم بعد هذا التخصيص وذكر مثالين يعرف منهما ان علم جميع الحوادث المستقبلة فى أوقاتها المعينة ليس الا له سبحانه والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة ثم ذكر من أحوال القيامة طرفا آخر فقال (ويوم يناديهم اين شركائى) وهو نداء تهكم أو توبيخ كما مر مرارا (قالوا آذناك) قال ابن عباس أى أسمعناك من أذن بالكسر أذنا بالفتح اذا استمع وقال الكلبى أعلمناك قال الامام فخر الدين الرازى هو بعيد لأن أهل القيامة يعلمون أنه تعالى يعلم الاشياء علما واجبا فالاعلام فى حقه محال قلت لو أريد أظهرنا معلومك أين الاستبعاد والمعنى ظهر وحصل فى الواقع من جهة قولنا ما كان ثابتا فى علمك القديم أنا نستقوله كقوله ولما يعلم الله الذين جاهدوا أى لم يحصل بعد معلومه فى الواقع وقدمر وقولهم آذناك ماض فى معنى المستقبل على عادة القرآن أو انشاء فلا يذان

قرابتي وتصدقوني بما جئت به وتمنعوني حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى وان الله تبارك وتعالى أمر محمدا صلى الله عليه وسلم أن لا يسأل الناس على هذا القرآن أجرا الا أن يصلوا ما بينه وبينهم من القرابة وكل بطون قريش قد ولدته وبينه وبينهم قرابة حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله إلا المودة في القربى أن تتبعوني وتصدقوني وتصلوا رحمي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى قال لم يكن بطن من بطون قريش الا ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ولادة فقال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني لقرابتي منكم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى يعني قريشا يقول انما أنا رجل منكم فأعينوني على عدوي واحفظوا قرابتي وان الذي جئتكم به لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى أن تودوني لقرابتي وتعينوني على عدوي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى قال يقول إلا أن تودوني لقرابتي كما تواذون في قرابتكم وتواصلون بها ليس هذا الذي جئت به يقطع ذلك عني فلست أبتغي على الذي جئت به أجرا آخذه على ذلك منكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن عطاء بن دينار في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى يقول لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودوني في قرابتي منكم وتمنعوني من الناس حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى قال كل قريش كانت بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة فقال قل لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني بالقرابة التي بيني وبينكم * وقال آخرون بل معنى ذلك قل لمن تبعك من المؤمنين لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودوا قرابتي ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمارة قال ثنا اسمعيل ابن أبان قال ثنا الصباح بن يحيى المري عن السدي عن أبي الديلم قال لما جيء بعلي بن الحسين رضي الله عنهما أسيرا فأقيم على درج دمشق قام رجل من أهل الشام فقال الحمد لله الذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرني الفتنة فقال له علي بن الحسين رضي الله عنه أقرأت القرآن قال نعم قال أقرأت آل حم قال قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم قال ما قرأت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى قال وانكم لأنتم هم قال نعم حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا عبد السلام قال ثنا يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس قال قالت الانصار فعلنا وفعلنا فكأنهم فخروا فقال ابن عباس أو العباس شك عبد السلام لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبوني قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أولم يكذبوك فصدقناك أولم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله قال فنزلت قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى حدثني يعقوب قال ثنا مروان عن يحيى بن كثير عن أبي العالية عن سعيد بن جبير في قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة

أو اخبارا عما قيل لهم قبل ذلك فانه يمكن أن يعاد عليهم هذا الاستفهام مرات لمزيد التوبيخ ومعنى (ما منا من شهيد) ليس منا من يشهد اليوم بأنهم شركاؤك لأنا عرفنا عيانا أنه لا شريك لك أو هو كلام الشركاء أحياها الله وأنطقها فبرأ مما أضيف اليها من الشركة ومعنى الضلال على هذا التفسير عدم النفع ويجوز أن يراد ما منا من أحد يشاهدهم لأنهم غابوا عنا ومعنى (يدعون) يعبدون والظن بمعنى اليقين والمحيص المهرب وحين بين أن الكفار تبرؤا في الآخرة من شركائهم بعد أن كانوا مصرين في الدنيا على عبادتهم بين أن الكافر تبدله في حالاته كلها أو أكثرها ففي حالة الاقبال لا يسأم من طلب الجاه والمال وفي حالة الادبار يصير في غاية اليأس والانكسار وان عاودته النعمة بعد يأسه فلا بد أن يقول هذا انما وجدته باستحقاق لي وهذا لا يزول عني ويبقى علي وعلى عقبي وأنكر البعث وعلى فرض وجوده زعم بل جزم أن له عند الله الحالة الحسنى قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا ونظير الآية ما سبق في سورة الكهف ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا فلا جرم خيب الله أمله وعكس ما تصوره بقوله (فلننبئن) وحين حكى قول الكافر أخبر عن أفعاله بقوله (واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه) أي تعظم وتجبر وقد سلف في سبحان واستعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وقد يستعار الطول لكثرة الدعاء ودوامه أيضا وان لم يكن الشئ ذا جرم كما استعير الغلظ لشدة العذاب فان قيل كيف قال أولا

فى القربى قال هى قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عمارة الأسدى ومحمد ابن خلف قالا ثنا عبيد الله قال أخبرنا اسرائيل عن أبى اسحق قال سألت عمرو بن شعيب عن قول الله عز وجل قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال قربى النبى صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل معنى ذلك قل لا أسألكم أيها الناس على ما جئتكم به أجرا إلا أن تودوا الى الله وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة ذكر من قال ذلك حدثنى على بن داود ومحمد بن داود أخوه أيضا قالا ثنا عاصم بن على قال ثنا قزعة بن سويد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قل لا أسألكم على ما أتيتكم به من البينات والهدى أجرا إلا أن تودوا الله وتتقربوا اليه بطاعته حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور بن زاذان عن الحسن أنه قال فى هذه الآية قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال القربى الى الله حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قال الا التقرب الى الله والتودد اليه بالعمل الصالح حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الحسن فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى قل لا أسألكم على ما جئتكم به وعلى هذا الكتاب أجرا إلا المودة فى القربى الا أن تودوا الى الله بما يقربكم اليه وعمل بطاعته * قال بشر قال يزيد وحدثنيه يونس عن الحسن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة فى القربى إلا أن تودوا الى الله فيما يقربكم اليه * وقال آخرون بل معنى ذلك الا أن تصلوا قرابتكم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا أبو عامر قال ثنا قرة عن عبد الله بن القاسم فى قوله إلا المودة فى القربى قال أمرت أن تصل قرابتك * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب وأشبهها بظاهر التنزيل قول من قال معناه قل لا أسألكم عليه أجرا يا معشر قريش إلا أن تودونى فى قرابتى منكم وتصلوا الرحم التى بينى وبينكم وانما قلت هذا التأويل أولى بتأويل الآية لدخول فى فى قوله إلا المودة فى القربى ولو كان معنى ذلك على ما قاله من قال الا أن تودوا قرابتى أو تقربوا الى الله لم يكن لدخول فى فى الكلام فى هذا الموضع وجه معروف ولكان التنزيل إلا مودة القربى أن عنى به الأمر بمودة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو إلا المودة بالقربى أو ذا القربى ان عنى به التودد والتقرب وفى دخول فى فى الكلام أوضح الدليل على أن معناه إلا مودتى فى قرابتى منكم وأن الألف واللام فى المودة أدخلتا بدلا من الاضافة كما قيل فان الجنة هى المأوى وقوله إلا فى هذا الموضع استثناء منقطع ومعنى الكلام قل لا أسألكم عليه أجرا لكنى أسألكم المودة فى القربى فالمودة منصوبة على المعنى الذى ذكرت وقد كان بعض نحويى البصرة يقول هى منصوبة بمضمر من الفعل بمعنى إلا أن أذكر مودة قرابتى وقوله ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا يقول تعالى ذكره ومن يعمل حسنة وذلك أن يعمل عملا يطيع الله فيه من المؤمنين نزد له فيها حسنا يقول نضاعف عمله ذلك الحسن فنجعل له مكان الواحد عشرا الى ما شئنا من الجزاء والثواب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قول الله عز وجل ومن يقترف حسنة قال يعمل حسنة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا قال من يعمل خيرا نزد له الاقتراف العمل وقوله ان الله غفور شكور يقول ان الله غفور لذنوب عباده شكور لحسناتهم وطاعتهم اياه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

فيؤس قنوط ثم قال (فذو دعاء عريض) قلنا أراد أنه يؤس بالقلب دعاء باللسان أو قنوط من الصنم دعاء لله أو الأول فى قوم والثانى فى آخرين ولما ذكر مرات فى السورة مبالغة الكفار فى العداوة والنفرة من اتباع الرسول والقرآن أرشدهم الى طريق أحوط مما هم فيه فقال (قل أرأيتم) الآية وتقريره أنكم كما سمعتم القرآن أعرضتم عنه ثم كفرتم به حتى قلتم قلوبنا فى أكنة لا تسمعوا لهذا القرآن ومن المعلوم أن هذا ليس ببديهى فقبل الدليل يحتمل أن يكون صحيحا وحينئذ يلزم أن يكون بعدم قبوله العقاب الابدى وقوله (ممن هو فى شقاق بعيد) من وضع الظاهر مقام المضمر وهو منكم بيانا لبعد شوطهم فى الشقاق والخلاف قاله فى الكشاف وأقول جواب الشرط بالحقيقة محذوف وهو قوله مثلا فمن أضل منكم وانما قال فى الأحقاف وكفرتم بالواو لان معناه فى السورة كان عاقبة أمركم بعد الامهال للنظر الكفر فحسن دخول ثم مع أنها تفيد التراخى فى الرتبة وهناك عطف عليه قوله وشهد شاهد فلم يحسن الا الواو ثم بين أن الاسلام يعلو ولا يعلى وأن الغلبة والنصرة تكون لذويه فقال (سنريهم آياتنا فى الآفاق) وهى الفتوح الواقعة على ايدى الخلفاء الراشدين والتى ستقع على أيدى أنصار دينه الى يوم القيامة (وفى أنفسهم) وهى فتح مكة وسائر الفتوح التى وجدت فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم (حتى يتبين لهم أنه) أى محمد أو القرآن أو الدين (الحق) ووجه التبين أن هذا اخبار

سعيد عن قتادة ان الله غفور للذنوب شكور للحسنات يضاعفها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان الله غفور شكور قال غفر لهم الذنوب وشكر لهم نعما هو أعطاهم اياها وجعلها فيهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور﴾ يقول تعالى ذكره أم يقول هؤلاء المشركون بالله افترى محمد على الله كذبا فجاءهم بهذا الذى يتلوه علينا اختلافا من قبل نفسه وقوله فان يشأ الله يا محمد يطبع على قلبك فتنس هذا القرآن الذى أنزل اليك * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك فينسيك القرآن **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فان يشأ الله يختم على قلبك قال ان يشأ أنساك ما قد أتاك **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قول الله عز وجل فان يشأ الله يختم على قلبك قال يطبع وقوله ويمح الله الباطل يقول ويذهب الله بالباطل فيمحقه ويحق الحق بكلماته التى أنزلها اليك يا محمد فيثبته وقوله ويمح الله الباطل فى موضع رفع بالابتداء ولكنه حذفت منه الواو فى المصحف كما حذفت من قوله سندع الزبانية ومن قوله ويدع الانسان بالشر وليس بجزم على العطف على يختم وقوله انه عليم بذات الصدور يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما فى صدور خلقه وما تنطوى عليه ضمائرهم لا يخفى عليه من أمورهم شئ يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم لو حدثت نفسك أن تفترى على الله كذبا لطبعت على قلبك وأذهبت الذى آتيتك من وحيى لانى أمحو الباطل فأذهبه وأحق الحق وانما هذا اخبار من الله الكافرين به الزاعمين أن محمدا افترى هذا القرآن من قبل نفسه فأخبرهم أنه ان فعل لفعل به ما أخبر به فى هذه الآية ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفوا عن السيئات ويعلم ما تفعلون﴾ يقول تعالى ذكره والله الذى يقبل مراجعة العبد اذا راجع توحيد الله وطاعته من بعد كفره ويعفو عن السيئات يقول ويعفو له أن يعاقبه على سيئاته من الأعمال وهى معاصيه التى تاب منها ويعلم ما تفعلون اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة يفعلون بالياء بمعنى ويعلم ما يفعل عباده وقرأته عامة قراء الكوفة تفعلون بالتاء على وجه الخطاب * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب غير أن الياء أعجب الىّ لأن الكلام من قبل ذلك جرى على الخبر وذلك قوله وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعنى جل ثناؤه بقوله ويعلم ما يفعلون ويعلم ربكم أيها الناس ما تفعلون من خير وشر لا يخفى عليه من ذلك شئ وهو مجازيكم على كل ذلك جزاءه فاتقوا الله فى أنفسكم واحذروا أن تركبوا ما تستحقون به منه العقوبة **حدثنا** تميم بن المنتصر قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن شريك عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم النخعى عن همام بن الحرث قال أتينا عبد الله نسأله عن هذه الآية وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون قال فوجدنا عنده أناسا أو رجالا يسألونه عن رجل أصاب من امرأة حراما ثم تزوجها فتلا هذه الآية وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد﴾ يقول تعالى ذكره ويجيب الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا بما أمرهم الله به وانتهوا عما نهاهم عنه لبعضهم دعاء بعض * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

عن الغيب فاذا وقع مطابقا دل على صدق المخبر بل اعجازه وواحد الآفاق أفق وهو الناحية من نواحى الارض والسماء وعند المحققين الآيات الآفاقية هى الخارجة عن حقيقة الانسان وبدنه كالأفلاك والكواكب والظلم والانوار والعناصر والموالید سواه ولا ريب أن العجائب المودعة فى هذه الأشياء مما لا نهاية لها وانما يوقف عليها حينا بعد حين وقد أكثر الله تعالى من تقرير تلك الدلائل فى القرآن بعضها فى السور المكيات وكثير منها فى المدنيات والآيات النفسية هى التى أودعها فى تركيب الانسان وفى ربط روحه العلوى ببدنه السفلى كقوله وفى أنفسكم أفلا تبصرون وفى قوله سنريهم دلالة على أن رؤية الأدلة انما تكون باراءة الله قال جار الله معنى قوله (أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد) هو أن هذه الآيات الموعودة تكفيهم دلالة على أن القرآن منزل من عالم الغيب المطلع على كل شئ وقال حكماء الاسلام أراد بقوله أولم يكف توبيخ من ليس له رتبة الاستدلال بنفس الوجود على واجب الوجود فان هذا هو طريقة الصديقين وأما غيرهم فانهم يستدلون بالممكن على الواجب فيفتقرون الى النظر فى الآفاق وقال أهل المعرفة النظر فى الآفاق لأجل العوام والانفس للخواص وقوله أولم يكف لخواص الخواص وقيل أولم يكف الانسان من الزاجر والرادع عن المعاصى كون الله شهيدا عليهم وقيل أراد أنه لا يخلف ما وعد لاطلاعه على الاشياء كلها ثم ختم السورة

ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثام قال ثنا الأعمش عن شقيق بن سلمة عن سلمة بن سبرة قال خطبنا معاذ فقال أنتم المؤمنون وأنتم أهل الجنة والله انى لأرجو أن من تصيبون من فارس والروم يدخلون الجنة ذلك بأن أحدهم اذا عمل لأحدكم العمل قال أحسنت رحمك الله أحسنت غفر الله لك ثم قرأ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وقوله ويزيدهم من فضله يقول تعالى ذكره ويزيد الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع اجابته اياهم دعاءهم واعطائه اياهم مسئلتهم من فضله على مسئلتهم اياه بأن يعطيهم ما لم يسألوه وقيل ان ذلك الفضل الذى ضمن جل ثناؤه أن يزيدهموه هو أن يشفعهم فى اخوان اخوانهم اذا هم شفعوا فى اخوانهم فشفعوا فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابى قال ثنا عمرو ابن أبى سلمة عن سعيد بن بشير عن قتادة عن ابراهيم النخعى فى قول الله عز وجل ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات قال يشفعون فى اخوانهم ويزيدهم من فضله قال يشفعون فى اخوان اخوانهم وقوله والكافرون لهم عذاب شديد يقول جل ثناؤه والكافرون بالله لهم يوم القيامة عذاب شديد على كفرهم به واختلف أهل العربية فى معنى قوله ويستجيب الذين آمنوا فقال بعضهم أى استجاب فجعلهم هم الفاعلين فالذين فى قوله رفع والفعل لهم وتأويل الكلام على هذا المذهب واستجاب الذين آمنوا وعملوا الصالحات لربهم الى الايمان به والعمل بطاعته اذ دعاهم الى ذلك * وقال آخرون منهم بل معنى ذلك ويجيب الذين آمنوا وهذا القول يحتمل وجهين أحدهما الرفع بمعنى ويجيب الله الذين آمنوا والآخر ما قاله صاحب القول الذى ذكرنا وقال بعض نحوى الكوفة ويستجيب الذين آمنوا يكون الذين فى موضع نصب بمعنى ويجيب الله الذين آمنوا وقد جاء فى التنزيل فاستجاب لهم ربهم والمعنى فأجاب لهم ربهم الا أنك اذا قلت استجاب أدخلت اللام فى المفعول واذا قلت أجاب حذفت اللام ويكون استجابهم بمعنى استجاب لهم كما قال جل ثناؤه واذا كالوهم أو وزنوهم والمعنى والله أعلم واذا كالوا لهم أو وزنوا لهم يخسرون قال ويكون الذين فى موضع رفع أن يجعل الفعل لهم أى الذين آمنوا يستجيبون لله ويزيدهم على اجابتهم والتصديق به من فضله وقد بينا الصواب فى ذلك من القول على ما تأوله معاذ ومن ذكرنا قوله فيه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير﴾ ذكر أن هذه الآية نزلت من أجل قوم من أهل الفاقة من المسلمين تمنوا سعة الدنيا والغنى فقال جل ثناؤه ولو بسط الله الرزق لعباده فوسعه وكثره عندهم لبغوا فتجاوزوا الحد الذى حده الله لهم الى غيره الذى حده لهم فى بلاده بركوبهم فى الأرض ما حظره عليهم ولكنه ينزل رزقهم بقدر لكفايتهم الذى يشاء منه ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال أبو هانئ سمعت عمرو بن حريث وغيره يقولون انما أنزلت هذه الآية فى أصحاب الصفة ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء ذلك بأنهم قالوا لو أن لنا فتمنوا حدثنا محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو عبد الرحمن المقرى قال ثنا حيوة قال أخبرنى أبو هانئ أنه سمع عمرو بن حريث يقول انما نزلت هذه الآية ثم ذكر مثله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض الآية قال كان يقال خير الرزق ما لا يطغيك ولا يلهيك وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف على أمتى زهرة الدنيا وكثرتها فقال له قائل يا نبى الله هل يأتى الخير بالشر فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل يأتى الخير بالشر فأنزل الله عليه عند ذلك وكان اذا نزل عليه كرب

بتوبيخ الشاكين فى امر البعث وبالنعى عليهم وأوعدهم بأنه عالم بكل شئ فيجازى كلا على حسب ما يستحقه والله أعلم

﴿ سورة حمعسق وهى مكية الا أربع آيات قل لا أسألكم عليه أجرا الى آخرهن حروفها ثلاثة آلاف وثمانية وثمانون كلمها ثمانمائة وست وستون آياتها ثلاث وخمسون ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ حم عسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ألا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة ولكن يدخل من يشاء فى رحمته والظالمون ما لهم من ولى ولا نصير أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولى وهو يحيى الموتى وهو على كل شئ قدير وما اختلفتم فيه من شئ فحكمه الى الله ذلكم الله ربى عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه ليس كمثله شئ وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شئ عليم شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا

والذى أوحينا اليك وما وصينا به
ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا
الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على
المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبى اليه
من يشاء ويهدى اليه من ينيب
وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم
بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من
ربك الى أجل مسمى لقضى بينهم
وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم
لفى شك منه مريب فلذلك فادع
واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم
وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب
وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا
وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم
لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا
واليه المصير والذين يحاجون فى الله
من بعد ما استجيب له حجتهم
داحضة عند ربهم وعليهم غضب
ولهم عذاب شديد الله الذى أنزل
الكتاب بالحق والميزان وما يدريك
لعل الساعة قريب يستعجل بها
الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا
مشفقون منها ويعلمون أنها الحق
ألا ان الذين يمارون فى الساعة
لفى ضلال بعيد الله لطيف بعباده
يرزق من يشاء وهو القوى العزيز
من كان يريد حرث الآخرة نزد له
فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا
نؤته منها وما له فى الآخرة من نصيب
أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين
ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل
لقضى بينهم وان الظالمين لهم عذاب
أليم ترى الظالمين مشفقين مما
كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا
وعملوا الصالحات فى روضات
الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك
هو الفضل الكبير ذلك الذى يبشر الله
عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات

لذلك وتربد وجهه حتى اذا سرى عن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال هل يأتى الخير بالشر يقولها
ثلاثا ان الخير لا يأتى الا بالخير يقولها ثلاثا وكان صلى الله عليه وسلم وتر الكلام ولكنه والله
ما كان ربيع قط الا أخصب أو ألم فأما عبد أعطاه الله مالا فوضعه فى سبيل الله التى افترض
وارتضى فذلك عبد أريد به خير وعزم له على الخير وأما عبد أعطاه الله مالا فوضعه فى شهواته
ولذاته وعدل عن حق الله عليه فذلك عبد أريد به شر وعزم له على شر وقوله انه بعباده خبير بصير
يقول تعالى ذكره ان الله بما يصلح عباده ويفسدهم من غنى وفقر وسعة واقتار وغير ذلك من
مصالحهم ومضارهم ذو خبرة وعلم بصير بتدبيرهم وصرفهم فيما فيه صلاحهم ۞ القول فى تأويل
قوله تعالى ﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد﴾ يقول
تعالى ذكره والله الذى ينزل المطر من السماء فيغيثكم به أيها الناس من بعد ما قنطوا يقول من بعد
ما يئس من نزوله ومجيئه وينشر رحمته يقول وينشر فى خلقه رحمته ويعنى بالرحمة الغيث الذى
ينزله من السماء * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن
عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أنه قيل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه
أجدبت الأرض وقنط الناس قال مطروا اذا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد قوله من بعد ما قنطوا قال يئسوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد
عن قتادة قال ذكر لنا أن رجلا أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال يا أمير المؤمنين قحط المطر
وقنط الناس قال مطرتم وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وقوله وهو الولى
الحميد يقول وهو الذى يليكم باحسانه وفضله الحميد بأياديه عندكم ونعمه عليكم فى خلقه ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم
اذا يشاء قدير﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجته عليكم أيها الناس أنه القادر على احيائكم بعد فنائكم
وبعثكم من قبوركم من بعد بلائكم خلقه السموات والارض وما بث فيهما من دابة يعنى وما فرق
فى السموات والأرض من دابة كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى
وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله
وما بث فيهما من دابة قال الناس والملائكة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير يقول وهو على جمع
ما بث فيهما من دابة اذا شاء جمعه ذو قدرة لا يتعذر عليه كما لم يتعذر عليه خلقه وتفريقه يقول تعالى
ذكره فكذلك هو القادر على جمع خلقه بحشر يوم القيامة بعد تفرق أوصالهم فى القبور ۞ القول
فى تأويل قوله تعالى ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير وما أنتم بمعجزين
فى الارض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير﴾ يقول تعالى ذكره وما يصيبكم أيها الناس من
مصيبة فى الدنيا فى أنفسكم وأهليكم وأموالكم فبما كسبت أيديكم يقول فانما يصيبكم ذلك عقوبة
من الله لكم بما اجترمتم من الآثام فيما بينكم وبين ربكم ويعفو لكم ربكم عن كثير من أجرامكم فلا
يعاقبكم بها وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب
ابن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب قال قرأت فى كتاب أبى قلابة قال نزلت فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وأبو بكر رضى الله عنه يأكل فأمسك فقال
يا رسول الله انى لراء ما عملت من خير أو شر فقال أرأيت ما رأيت مما تكره فهو من مثاقيل ذر الشر
وتدخر مثاقيل الخير حتى تعطاه يوم القيامة قال قال أبو ادريس فأرى مصداقها فى كتاب الله

قال وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير * قال أبو جعفر حدث هذا الحديث الهيثم بن الربيع فقال فيه أيوب عن أبي قلابة عن أنس أن أبا بكر رضي الله عنه كان جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث وهو غلط والصواب عن أبي ادريس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم الآية ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا يصيب ابن آدم خدش عود ولا عثرة قدم ولا اختلاج عرق الا بذنب وما يعفو عنه أكثر حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت الآية قال يعجل للمؤمنين عقوبتهم بذنوبهم ولا يؤاخذون بها في الآخرة * وقال آخرون بل عني بذلك وما عوقبتم في الدنيا من عقوبة بحدود حددتموه على ذنب استوجبتموه عليه فبما كسبت أيديكم يقول فبما عملتم من معصية الله ويعفو عن كثير فلا يوجب عليكم فيها حدا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن وما أصابكم من مصيبة الآية قال هذا في الحدود وقال قتادة بلغنا أنه ما من رجل يصيبه عثرة قدم ولا خدش عود أو كذا وكذا الا بذنب أو يعفو وما يعفو أكثر وقوله وما أنتم بمعجزين في الأرض يقول وما أنتم أيها الناس بفائتي ربكم بأنفسكم اذا أراد عقوبتكم على ذنوبكم التي أذنبتموها ومعصيتكم اياه التي ركبتموها هاربا في الأرض فمعجزيه حتى لا يقدر عليكم ولكنكم حيث كنتم في سلطانه وقبضته جارية فيكم مشيئته وما لكم من دون الله من ولي يليكم بالدفاع عنكم اذا أراد عقوبتكم على معصيتكم اياه ولا نصير يقول ولا لكم من دونه نصير ينصركم اذا هو عاقبكم فينتصر لكم منه فاحذروا أيها الناس معاصيه واتقوه أن تخالفوه فيما أمركم أو نهاكم فانه لا دافع لعقوبته عمن أحلها به ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور ﴾ يقول تعالى ذكره ومن حجج الله أيها الناس عليكم بأنه القادر على كل ما يشاء وأنه لا يتعذر عليه فعل شيء أراده السفن الجارية في البحر والجواري جمع جارية وهي السائرة في البحر كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله الجواري في البحر قال السفن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ومن آياته الجواري في البحر قال الجواري السفن وقوله كالأعلام يعني كالجبال واحدها علم ومنه قول الشاعر

* كأنه علم في رأسه نار * يعني جبل ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد كالأعلام قال كالجبال حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال الأعلام الجبال وقوله ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره يقول تعالى ذكره ان يشأ الله الذي قد أجرى هذه السفن في البحر أن لا تجري فيه أسكن الريح التي تجري بها فيه فثبتن في موضع واحد ووقفن على ظهر الماء لا تجري فتتقدم ولا تتأخر * ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن آياته الجواري في البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره سفن هذا البحر تجري بالريح فاذا أمسكت عنها الريح ركدت قال الله عز وجل ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور حدثنا محمد قال ثنا أحمد

قل لا أسئلكم عليه أجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور ﴿ القراآت يوحي على البناء للمفعول ابن كثير وعباس يكاد بالياء التحتانية نافع وعلى تنفطرن بالنون أبو عمرو وسهل ويعقوب وأبو بكر وحماد والمفضل ابراهام كنظائره يبشر الله مخففا من البشارة ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وعلى ﴿ الوقوف حم عسق كوفي من قبلك ط لمن قرأ يوحي مجهولا كأنه قيل من الموحي فقال الله أي هو الله الحكيم ٥ في الأرض ط العظيم ٥ لمن في الأرض ط الرحيم ٥ عليهم ز والوصل أوجه لأن نفي ما بعده تقرير لاثبات ما قبله بوكيل ٥ لا ريب فيه ط السعير ٥ رحمته ط نصير ٥ أولياء ج للفصل بين الاستخبار والاخبار مع دخول الفاء الموتى ط فصلا بين المقدور المخصوص وبين القدرة على العموم مع اتفاق الجملتين قدير ٥ الى الله ط أنيب ٥ والأرض ط ازواجا الثاني ط لان ضمير فيه يحتمل أن يعود الى الازدواج الذي في مدلول الأزواج أو الى التدبير وان لم يسبق ذكره فيه ط شئ ج لعطف الجملتين المختلفتين البصير ٥ والأرض ج لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال والعامل معنى الفعل في له أو في الملك ويقدر ط عليم ٥ فيه ط اليه ط ينيب ٥ بينهم ط كذلك ما بعده ط مريب ٥ فادع ج كما أمرت ج أهواءهم ج كتاب ج كل ذلك للترتيل في القراءة وان اتفقت الجملتان بينكم ط وربكم ط أعمالكم ط وبينكم ط بيننا ج

المصير ٥ شديد ٥ والميزان ط قريب ٥ بها ج لعطف الجملتين المختلفتين منها ج للعطف أو الحال الحق ط بعيد ٥ من يشاء ج لاحتمال عطف وهو على جملة قوله الله لطيف وهما متفقتان العزيز ٥ في حرثه ج لعطف جملتي الشرط نصيب ٥ به الله ط بينهم ط أليم ٥ بهم ط الجنات ط لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال ربهم ط الكبير ٥ الصالحات ط في القربى ط حسنا ط شكور ٥

﴿ التفسير الكلام في حم كما سبق وأما عسق فقد قيل أنه مع حم اسم للسورة وقيل رموز الى فتن كان على يعرفها وقيل الحاء حكم الله والميم ملكه والعين علمه والسين سناؤه والقاف قدرته وقيل الحاء حرب على ومعاوية والميم ولاية المروانية والعين ولاية العباسية والسين ولاية السفيانية والقاف قدرة المهدى وهذه الأقاويل مما لا معول عليها وقال أهل التصوف حاء حبه وميم محبوبيه محمد وعين عشقه وقاف قربه الى سيده أقسم أنه يوحى اليه والى سائر الأنبياء من قبله أنه محبوب في الأزل وبتبعيته خلق الكائنات والأولى تفويض علمها الى الله كسائر الفواتح وانما فصل حم من عسق حتى عدا آيتين خلاف كهيعص لتقدم حم قبله واستقلالها بنفسها ولأن جميعها ذكر الكتاب بعدها صريحا الا هذه فانها دلت عليه دلالة التضمن بذكر الوحى الذى يرجع الى الكتاب روى عن ابن عباس أنه لا نبي صاحب كتاب الا أوحى الله اليه حم عسق والله أعلم بصحة هذه الرواية والأظهر أن يقال

قال ثنا أسباط عن السدى إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره لا تجرى **حدثني** على قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن على عن ابن عباس قوله فيظللن رواكد على ظهره يقول وقوفا وقوله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور يقول ان في جرى هذه الجوارى في البحر بقدرة الله لعظة وعبرة وحجة بينة على قدرة الله على ما يشاء لكل ذى صبر على طاعة الله شكور لنعمه وأياديه عنده ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أو يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ يقول تعالى ذكره أو يوبق هذه الجوارى في البحر بما كسبت ركبانها من الذنوب واجترموا من الآثام وجزم يوبقهن عطفا على يسكن الريح ومعنى الكلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره أو يوبقهن ويعنى بقوله أو يوبقهن أو يهلكهن بالغرق * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** على قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن على عن ابن عباس قوله أو يوبقهن يقول يهلكهن **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله أو يوبقهن أو يهلكهن **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أو يوبقهن قال يغرقهن بما كسبوا * وبنحو الذى قلنا في قوله بما كسبوا قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو يوبقهن بما كسبوا أى بذنوب أهلها **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أو يوبقهن بما كسبوا قال بذنوب أهلها **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو يوبقهن بما كسبوا قال يوبقهن بما كسبت أصحابهن وقوله ويعف عن كثير يقول ويصفح تعالى ذكره عن كثير من ذنوبكم فلا يعاقب عليها وقوله ويعلم الذين يجادلون في آياتنا يقول جل ثناؤه ويعلم الذين يخاصمون رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم من المشركين في آياته وعبره وأدلته على توحيده واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة ويعلم الذين رفعا على الاستئناف كما قال في سورة براءة ويتوب الله على من يشاء وقرأته قراء الكوفة والبصرة ويعلم الذين نصبا كما قال في سورة آل عمران ويعلم الصابرين على الصرف وكما قال النابغة

فان يهلك أبو قابوس يهلك * ربيع الناس والشهر الحرام

ونمسك بعده بذناب عيش * أجب الظهر ليس له سنام

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان ولغتان معروفتان متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ما لهم من محيص يقول تعالى ذكره ما لهم من محيد من عقاب الله اذا عاقبهم على ذنوبهم وكفرهم به ولا لهم منه ملجأ * وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قوله ما لهم من محيص ما لهم من ملجا وقوله فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره فما أعطيتم أيها الناس من شئ من رياش الدنيا من المال والبنين فمتاع الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره فهو متاع لكم تتمتعون به في الحياة الدنيا وليس من دار الآخرة ولا مما ينفعكم في معادكم وما عند الله خير وأبقى يقول تعالى ذكره والذى عند الله لأهل طاعته والايمان به في الآخرة خير مما أوتيتموه في الدنيا من متاعها وأبقى لأن ما أوتيتم في الدنيا فان نافد وما عند الله من النعيم في جنانه لأهل طاعته باق غير

نافد للذين آمنوا يقول وما عند الله للذين آمنوا به وعليه يتوكلون في أمورهم واليه يقومون في أسبابهم وبه يثقون خير وأبقى مما أوتيتموه من متاع الحياة الدنيا ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون﴾ يقول تعالى ذكره وما عند الله للذين آمنوا والذين يجتنبون كبائر الاثم وكبائر فواحش الاثم قد بينا اختلاف أهل التأويل فيها وبينا الصواب من القول عندنا فيها في سورة النساء فأغنى ذلك عن اعادته ههنا والفواحش قيل انها الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي والفواحش قال الفواحش الزنا * واختلفت القراء في قراءة قوله كبائر الاثم فقرأته عامة قراء المدينة على الجماع كذلك في النجم وقرأته عامة قراء الكوفة كبير الاثم على التوحيد فيهما جميعا وكأن من قرأ ذلك كذلك عنى بكبير الاثم الشرك كما كان القراء يقول كأني أستحب لمن قرأ كبائر الاثم أن يخفض الفواحش لتكون الكبائر مضافة الى مجموع اذ كانت جمعا وقال ما سمعت أحدا من القراء خفض الفواحش والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء على تقارب معنييهما فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون يقول تعالى ذكره واذا ما غضبوا على من اجترم اليهم جرما هم يغفرون لمن أجرم اليهم الجرم ذنبه ويصفحون عنه عقوبة ذنبه وقوله والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة يقول تعالى ذكره والذين أجابوا ربهم حين دعاهم الى توحيده والاقرار بوحدانيته والبراءة من عبادة كل ما يعبد دونه وأقاموا الصلاة المفروضة بحدودها في أوقاتها وأمرهم شورى بينهم يقول واذا حزبهم أمر تشاوروا بينهم ومما رزقناهم ينفقون يقول ومن الأموال التي رزقناهم ينفقون في سبيل الله ويؤدون ما فرض عليهم من الحقوق لأهلها من زكاة ونفقة على من تجب عليه نفقته وكان ابن زيد يقول عني بقوله والذين استجابوا لربهم الآية الأنصار حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وقرأ والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون قال فبدأ بهم والذين استجابوا لربهم الانصار وأقاموا الصلاة وليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم شورى بينهم ليس فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره والذين اذا بغى عليهم باغ واعتدى عليهم هم ينتصرون ثم اختلف أهل التأويل في الباغي الذي حمد تعالى ذكره المنتصر منه بعد بغيه عليه فقال بعضهم هو المشرك اذا بغى على المسلم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرني ابن وهب قال قال ابن زيد ذكر المهاجرين صنفين صنفا عفا وصنفا انتصر وقرأ والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون قال فبدأ بهم والذين استجابوا لربهم الى قوله ومما رزقناهم ينفقون وهم الانصار ثم ذكر الصنف الثالث فقال والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون من المشركين * وقال آخرون بل هو كل باغ بغى فحمد المنتصر منه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون قال ينتصرون ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا وهذا القول الثاني أولى في ذلك بالصواب لأن الله لم يخصص من ذلك معنى دون معنى بل حمد كل منتصر بحق ممن بغى عليه فان قال قائل وما في الانتصار من المدح قيل ان في اقامة الظالم على سبيل الحق وعقوبته بما هو له أهل تقويم له

مثل الكتاب المسمى بحم عسق يوحي الله اليك والى الأنبياء قبلك والمراد المماثلة في أصول الدين كالتوحيد والعدل والنبوة والمعاد وتقبيح أحوال الدنيا والترغيب في الآخرة كقوله ان هذا لفي الصحف الأولى صحف ابراهيم وموسى وفي ورود لفظ يوحي مستقبلا لا ماضيا اشارة الى أن ايحاء مثله عادته ثم بين سعة ملكه وأخبر عن غاية جلاله بقوله (له ما في السموات) الخ ثم أخبر عن فظاعة ما ارتكبه أهل الشرك فقال (تكاد السموات يتفطرن) وقد سبق في آخر سورة مريم ومعنى (من فوقهن) أن الانفطار يبتدئ من أعلى السموات أو ما فوقها من العرش والكرسي الى أن ينتهي الى السفلي وفي الابتداء من جهة الفوق زيادة تفظيع وتهويل قال جار الله كأنه قيل يتفطرن من الجهة التي فوقهن دع الجهة التي تحتهن وقيل معناه من الجهة التي حصلت هذه السموات فيها وفيه ضعف لانه كقول القائل السماء فوقنا وقيل الضمير للارض وقد تقدم ذكرها أي من فوق الأرضين وروى عكرمة عن ابن عباس يتفطرن من ثقل الرحمن فان صحت الرواية كان في الظاهر دليل المجسمة ولأهل السنة أن يتأولوا الثقل بالهيبة والجلال أو يقدروا مضافا محذوفا أي من ثقل ملائكة الرحمن كقوله صلى الله عليه وسلم أطت السماء أطا وحق لها أن تئط ما فيها موضع شبر الا وفيه ملك قائم أو راكع أو ساجد ثم انتقل من وصف الجسمانيات الى ذكر الروحانيات وأنهم بالوجه الذي لهم الى عالم الأرواح يسبحون

وفى ذلك أعظم المدح وقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وقد بينا فيما مضى معنى ذلك وأن معناه وجزاء سيئة المسىء عقوبته بما أوجبه الله عليه فهى وان كانت عقوبة من الله أوجبها عليه فهى مساءة له والسيئة انما هى الفعلة من السوء وذلك نظير قول الله عز وجل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وقد قيل ان معنى ذلك أن يجاب القائل الكلمة القزعة بمثلها ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب قال قال لى أبو بشر سمعت ابن أبى نجيح يقول فى قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها قال يقول أخزاه الله فيقول أخزاه الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها قال اذا شتمك بشتيمة فاشتمه مثلها من غير أن تعتدى وكان ابن زيد يقول فى ذلك بما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون من المشركين وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح الآية ليس أمركم أن تعفوا عنهم لانه أحبهم ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ثم نسخ هذا كله وأمره بالجهاد فعلى قول ابن زيد هذا تأويل الكلام وجزاء سيئة من المشركين اليكم سيئة مثلها منكم اليهم وان عفوتم وأصلحتم فى العفو فأجركم فى عفوكم عنهم الى الله انه لا يحب الكافرين وهذا على قوله كقول الله عز وجل فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله والذى قال من ذلك وجه غير أن الصواب عندنا أن تحمل الآية على الظاهر ما لم ينقله الى الباطن ما يجب التسليم له وأن لا يحكم لحكم فى آية بالنسخ الا بخبر يقطع العذر أو حجة يجب التسليم لها ولم تثبت حجة فى قوله وجزاء سيئة سيئة مثلها أنه مراد به المشركون دون المسلمين ولا بأن هذه الآية منسوخة فنسلم لها بأن ذلك كذلك وقوله فمن عفا وأصلح فأجره على الله يقول جل ثناؤه فمن عفا عمن أساء اليه اساءته اليه فغفرها له ولم يعاقبه بها وهو على عقوبته عليها قادر ابتغاء وجه الله فأجر عفوه ذلك على الله والله مثيبه عليه ثوابه انه لا يحب الظالمين يقول ان الله لا يحب أهل الظلم الذين يتعدون على الناس فيبسيؤن اليهم بغير ما أذن الله لهم فيه ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون فى الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره ولمن انتصر ممن ظلمه من بعد ظلمه اياه فأولئك ما عليهم من سبيل يقول فأولئك المنتصرون منهم لا سبيل للمنتصر منهم عليهم بعقوبة ولا أذى لانهم انتصروا منهم بحق ومن أخذ حقه ممن وجب ذلك له عليه ولم يتعد لم يظلم فيكون عليه سبيل وقد اختلف أهل التأويل فى المعنى بذلك فقال بعضهم عنى به كل منتصر ممن أساء اليه مسلما كان المسىء أو كافرا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الله بن بزيع قال ثنا معاذ قال ثنا ابن عون قال كنت أسأل عن الانتصار ولمن انتصر بعد ظلمه الآية فحدثنى على ابن زيد بن جدعان عن أم محمد امرأة أبيه قال ابن عون زعموا أنها كانت تدخل على أم المؤمنين قالت قالت أم المؤمنين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا زينب بنت جحش فجعل يصنع بيده شيئا ولم يفطن لها فقلت بيده حتى فطنته لها فأمسك وأقبلت زينب تقحم لعائشة فنهاها فأبت أن تنتهى فقال لعائشة سبيها فسبتها وغلبتها وانطلقت زينب فأتت عليا فقالت ان عائشة تقع بكم وتفعل بكم فجاءت فاطمة فقال لها انها حبة أبيك ورب الكعبة فانصرفت وقالت لعلى انى قلت له كذا وكذا فقال كذا وكذا قال وجاء على الى النبى صلى الله عليه وسلم فكلمه فى ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولمن انتصر بعد ظلمه الآية قال هذا فى الحمش يكون بين الناس حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله

ولمن

وبالوجه الذى لهم الى عالم الأجسام يستغفرون فقال (والملائكة) قيل هو عام وقيل حملة العرش كما مر فى أول سورة المؤمن الا أنه عمم ههنا فقال (لمن فى الأرض) أى يطلبون أن لا يعاجل الله أهل الأرض بالعذاب طمعا فى توبة الكفار والفساق منهم وقيل هو مخصوص بمؤمن أى يستغفرون للمؤمنين منهم ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن المشركين انما يحاسبهم الله وما عليك الا البلاغ قوله (وكذلك أوحينا) قال ابن بحر هو الكلام الأول أعيد لما اعترض بين الكلامين ما اعترض وقال جار الله الكاف مفعول به لأوحينا وذلك اشارة الى المذكور قبله من أن الله هو عليهم الرقيب وما أنت عليهم برقيب وقد كرر الله هذا المعنى فى كتابه فى مواضع و(قرآنا عربيا) حال والمعنى مثل ذلك المذكور أوحينا اليك وهو قرآن عربى بين لا لبس فيه ليفهم معناه ولا يتجاوز حد الانذار ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى الايحاء أى كما أوحينا الى الرسل قبلك أوحينا اليك فيجوز أن تكون الماثلة بالحروف المفردة وأن تكون بأصول الدين كما مر قال أهل اللغة يقال أنذرته كذا وبكذا من الاستعمال الثانى قوله (لتنذر أم القرى) أى أهل مكة على حذف المضاف والمفعول الثانى وهو القرآن محذوف ومن الاستعمال الاول قوله (وتنذر يوم الجمع) والمفعول الاول محذوف وتنذر الناس يوما تجمع فيه الخلائق أو يجمع فيه بين الارواح والاجساد أو بين كل عامل وعمله قلت ومن الجائز أن يكون الكل من الاستعمال

ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل قال هذا فيما يكون بين الناس من القصاص فأما لو ظلمك رجل لم يحل لك أن تظلمه * وقال آخرون بل عنى به الانتصار من أهل الشرك وقال هذا منسوخ ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل قال لمن انتصر بعد ظلمه من المؤمنين انتصر من المشركين وهذا قد نسخ وليس هذا في أهل الاسلام ولكن في أهل الاسلام الذي قال الله تبارك وتعالى ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * والصواب من القول أن يقال انه معني به كل منتصر من ظالمه وأن الآية محكمة غير منسوخة للعلة التي بينت في الآية قبلها وقوله انما السبيل على الذين يظلمون الناس يقول تبارك وتعالى انما الطريق لكم أيها الناس على الذين يتعدون على الناس ظلما وعدوانا بأن يعاقبوهم بظلمهم لا على من انتصر ممن ظلمه فأخذ منه حقه وقوله ويبغون في الارض بغير الحق يقول ويتجاوزون في أرض الله الحد الذي أباح لهم ربهم الى ما لم يأذن لهم فيه فيفسدون فيها بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم يقول فهؤلاء الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق لهم عذاب من الله يوم القيامة في جهنم مؤلم موجع ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الامور ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل﴾ يقول تعالى ذكره ولمن صبر على اساءة من أساء اليه وغفر للمسيء اليه جرمه اليه فلم ينتصر منه وهو على الانتصار منه قادر ابتغاء وجه الله وجزيل ثوابه ان ذلك لمن عزم الامور يقول ان صبره ذلك وغفرانه ذنب المسيء اليه لمن عزم الامور التي ندب اليها عباده وعزم عليهم العمل به ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده يقول ومن خذله الله عن الرشاد فليس له من ولي يليه فيهديه لسبيل الصواب ويسدده من بعد اضلال الله اياه وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وترى الكافرين بالله يا محمد يوم القيامة لما عاينوا عذاب الله يقولون لربهم هل لنا يا رب الى مرد من سبيل وذلك كقوله ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا الآية استعتب المساكين في غير حين الاستعتاب * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله هل الى مرد من سبيل يقول الى الدنيا واختلف أهل العربية في وجه دخول ان في قوله ان ذلك لمن عزم الامور مع دخول اللام في قوله ولمن صبر وغفر فكان نحوي أهل البصرة يقول في ذلك أما اللام التي في قوله ولمن صبر وغفر فلام الابتداء وأما ان ذلك فمعناه والله أعلم ان ذلك منه من عزم الامور وقال قد تقول مررت بالدار الذراع بدرهم أي الذراع منها بدرهم ومررت ببرقفيز بدرهم أي قفيز منه بدرهم قال وأما ابتداء ان في هذا الموضع فمثل قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم يجوز ابتداء الكلام وهذا اذ طال الكلام في هذا الموضع وكان بعضهم يستخطئ هذا القول ويقول ان العرب اذا أدخلت اللام في أوائل الجزاء أجابته بجوابات الأيمان بما ولا وإن واللام قال وهذا من ذاك كما قال لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الأدبار ثم لا ينصرون فجاء بلا وبالام جوابا للام الاولى قال ولو قال لئن قمت اني لقائم لجاز ولا حاجة به الى العائد لان الجواب في اليمين قد يكون فيه العائد وقد لا يكون ألا ترى أنك تقول لئن قمت لأقومن ولا أقوم واني لقائم فلا تأتي بعائد قال وأما قولهم مررت بدار الذراع بدرهم وببرقفيز بدرهم فلا بد من أن يتصل بالاول بالعائد وانما يحذف العائد فيه لان الثاني تبعيض للاول مررت

الاول ولا حذف الا أن قوله وتنذر يكون مكررا للمبالغة والتقدير الاصلي لتنذر أم القرى يوم الجمع وقدمر في القصص في قوله حتى يبعث في أمها أن مكة لم سميت أم القرى وقوله (ومن حولها) يحتمل عمرم أطراف الارض لأن مكة في وسطها ويحتمل أن يكون المراد به سائر جزيرة العرب ويدخل باقي الامم بالتبعية أو بنص آخر كقوله وما أرسلناك الا كافة للناس وقوله (لا ريب فيه) اعتراض لا محل له أو صفة للجمع بناء على أن التعريف الجنسي قريب من النكرة وقوله (فريق) مبتدأ محذوف الخبر أي منهم فريق كذا ومنهم فريق كذا أي هذا مآل حالهم بعد الحشر والاجتماع ثم بين بقوله (ولو شاء الله) الخ أن السعادة والشقاوة والهداية والضلالة متعلق بمشيئته وارادته وهذا على مذهب أهل السنة ظاهر وتأوله المعتزلة بمشيئة القسر والالجاء وقدمر نظائره مرارا والظاهر أن المراد بكونهم أمة واحدة أن يكونوا مسلمين كلهم وقيل أن يكونوا أهل ضلالة قياسا على قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة ثم أنكر على أهل الشرك بأم المنقطعة قائلا (أم اتخذوا من دونه أولياء) ان أرادوا أولياء بحق (فالله هو الولي) الذي يجب أن يعتقد أنه المولى والسيد لا ولي سواه ومن شأنه أنه (يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير) وهو الحقيق بأن يتخذ وليا وحين منع الرسول صلى الله عليه وسلم من التحزن على من كفر أراد أن يمنع المؤمنين من الاختلاف والتنازع فقال (وما اختلفتم) والتقدير قل يا محمد كذا

بدليل قوله (ذلكم الله ربي) الآية والمراد أن الذي اختلفتم أنتم والكفرة فيه من أمور الدين حكم ذلك الاختلاف فيه مفوض الى الله وهو تابة المحقين ومعاقبة المبطلين وقيل وما اختلفتم فيه فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من الآيات المتشابهات فارجعوا في بيانه الى المحكمات أو الى الظاهر من السنة وقيل ما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بالتكاليف فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح وغيره قال في الكشاف ولا يندرج فيه اختلاف المجتهدين لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم قلت ان لم يجز بحضرته فانه جائز بعده وقوله وما اختلفتم شامل لجميع الامة الى يوم القيامة مثل يا أيها الناس ومثل أقيموا الصلاة والأظهر أن اختلافهم يدخل فيه وأن المراد بحكمه تعريفه من بيان الله سواء كان ذلك البيان بالنص أو بالقياس أو بالاجتهاد فان قيل المقصود من التحاكم قطع الاختلاف ولا قطع مع القياس ولا مع الاجتهاد قلنا اذا كان القياس مأمورا به وكذا الاجتهاد بل يكون كل مجتهد مصيبا كانت المخالفة في حكم الموافقة ولهذا قال اختلاف أمتي رحمة ثم وصف نفسه بأوصاف الكمال ونعوت الجلال تأكيدا لصحة أحكامه فقال (فاطر السموات والأرض) وهو أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدا محذوف ومعنى (ومن الانعام أزواجا) أنه خلق للانعام أيضا

يبر بعضه بدرهم وبعضه بدرهم فلما كان المعنى التبعيض حذف العائد قال وأما ابتداء ان في كل موضع اذا طال الكلام فلا يجوز أن تبتدئ الا بمعنى قل أن الموت الذي تفرون منه فانه جواب للجزاء كأنه قال ما فررتم منه من الموت فهو ملاقيكم وهذا القول الثاني عندي أولى في ذلك بالصواب للعلل التي ذكرناها ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي﴾ وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين في عذاب مقيم﴾ يقول تعالى ذكره وترى يا محمد الظالمين يعرضون على النار خاشعين من الذل يقول خاضعين متذللين كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الخشوع الخوف والخشية لله عز وجل وقرأ قول الله عز وجل لما رأوا العذاب الى قوله خاشعين من الذل قال قد أذلهم الخوف الذي نزل بهم وخشعوا له حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله خاشعين قال خاضعين من الذل وقوله ينظرون من طرف خفي يقول ينظر هؤلاء الظالمون الى النار حين يعرضون عليها من طرف خفي واختلف أهل التأويل في معنى قوله من طرف خفي فقال بعضهم معناه من طرف ذليل وكأن معنى الكلام من طرف قد خفي من ذله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل الى قوله من طرف خفي يعني بالخفي الذليل حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى و حدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله عز وجل من طرف خفي قال ذليل * وقال آخرون بل معنى ذلك أنهم يسارقون النظر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ينظرون من طرف خفي قال يسارقون النظر حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي من طرف خفي قال يسارقون النظر واختلف أهل العربية في ذلك فقال بعض نحويي البصرة في ذلك جعل الطرف العين كأنه قال ونظرهم من عين ضعيفة والله أعلم قال وقال يونس ان من طرف مثل بطرف كما تقول العرب ضربته في السيف وضربته بالسيف * وقال آخرون منهم انما قيل من طرف خفي لانه لا يفتح عينيه انما ينظر ببعضها * وقال آخرون منهم انما قيل من طرف خفي لانهم ينظرون الى النار بقلوبهم لانهم يحشرون عميا والصواب من القول في ذلك القول الذي ذكرناه عن ابن عباس ومجاهد وهو أن معناه أنهم ينظرون الى النار من طرف ذليل وصفه الله جل ثناؤه بالخفاء للذلة التي قد ركبتهم حتى كادت أعينهم أن تغور فتذهب وقوله وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة يقول تعالى ذكره وقال الذين آمنوا بالله ورسوله ان المغبونين الذين غبنوا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة في الجنة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة قال غبنوا أنفسهم وأهليهم في الجنة وقوله ألا ان الظالمين في عذاب مقيم يقول تعالى ذكره ألا ان الكافرين يوم القيامة في عذاب لهم من الله مقيم عليهم ثابت لا يزول عنهم ولا يبيد ولا يخف ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجا يومئذ وما لكم من نكير﴾ يقول تعالى ذكره ولم يكن لهؤلاء الكافرين حين يعذبهم الله يوم القيامة أولياء يمنعونهم من عذاب الله ولا ينتصرون لهم من ربهم على ما نالهم به من العذاب من دون الله ومن يضلل الله فما له

من سبيل يقول ومن يخذله عن طريق الحق فما له من طريق الى الوصول اليه لان الهداية والاضلال بيده دون كل أحد سواه وقوله استجيبوا لربكم يقول تعالى ذكره للكافرين به أجيبوا أيها الناس داعي الله وآمنوا به واتبعوه على ما جاءكم به من عند ربكم من قبل أن يأتي يوم لامرد له من الله يقول لا شيء يرد مجيئه اذا جاء الله به وذلك يوم القيامة مالكم من ملجأ يومئذ يقول جل ثناؤه مالكم أيها الناس من معقل تحترزون فيه وتلجؤن اليه فتعتصمون به من النازل بكم من عذاب الله على كفركم به كان في الدنيا ومالكم من نكير يقول ولا أنتم تقدرون لما يحل بكم من عقابه يومئذ على تغييره ولا على انتصار منه اذا عاقبكم بما عاقبكم به * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله مالكم من ملجأ قال من محرز وقوله من نكير قال ناصر ينصركم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي مالكم من ملجأ يومئذ تلجؤن اليه ومالكم من نكير يقول من عز تعتزون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا إن عليك إلا البلاغ وإنا إذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور ﴾ يقول تعالى ذكره فان أعرض هؤلاء المشركون يا محمد عما أتيتهم به من الحق ودعوتهم اليه من الرشد فلم يستجيبوا لك وأبوا قبوله منك فدعهم فانا لن نرسلك اليهم رقيبا عليهم تحفظ عليهم أعمالهم وتحصيها إن عليك إلا البلاغ يقول ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم ما أرسلناك به اليهم من الرسالة فاذا بلغتهم ذلك فقد قضيت ما عليك وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها يقول تعالى ذكره فانا اذا أغنينا ابن آدم فأعطيناه من عندنا سعة وذلك هو الرحمة التي ذكرها جل ثناؤه فرح بها يقول سر بما أعطيناه من الغنى ورزقناه من السعة وكثرة المال وان تصبهم سيئة يقول وان أصابتهم فاقة وفقر وضيق عيش بما قدمت أيديهم يقول بما أسلفت من معصية الله عقوبة له على معصيته اياه جحد نعمة الله وأيس من الخير فان الانسان كفور يقول تعالى ذكره فان الانسان جحود نعم ربه يعدد المصائب ويجحد النعم وانما قال وان تصبهم سيئة فأخرج الهاء والميم مخرج كناية جمع الذكور وقد ذكر الانسان قبل ذلك بمعنى الواحد لانه بمعنى الجمع ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير ﴾ يقول تعالى ذكره لله سلطان السموات السبع والأرضين يفعل في سلطانه ما يشاء ويخلق ما يحب خلقه يهب لمن يشاء من خلقه من الولد الاناث دون الذكور بأن يجعل كل ما حملت زوجته من حمل منه أنثى ويهب لمن يشاء الذكور يقول ويهب لمن يشاء منهم الذكور بأن يجعل كل حمل حملته امرأته ذكرا لا أنثى فيهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو يزوجهم ذكرانا وإناثا قال يخلط بينهم يقول التزويج أن تلد المرأة غلاما ثم تلد جارية ثم تلد غلاما ثم تلد جارية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور قادر والله ربنا على ذلك أن يهب للرجل ذكورا ليست معهم أنثى وأن يهب للرجل ذكرانا وإناثا فيجمعهم له جميعا ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قول الله عز وجل يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ليست معهم

من أنفسها أزواجا (يذرؤكم فيه) يكثركم في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والانعام أزواجا حتى حصل بين الذكور والاناث التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم راجع الى المخاطبين والى الانعام وهو من الاحكام ذوات العلتين وذلك أن فيه تغليبين تغليب المخاطبين على الغائبين وهم من سيوجد الى يوم القيامة وتغليب العقلاء على غيرهم وعلة الاول الخطاب وعلة الثاني العقل وانما قال يذرؤكم فيه ولم يقل به لأنه جعل التدبير متبعا ومعدنا للتكثير كقوله ولكم في القصاص حياة أولأن حروف الجر يقام بعضها مقام البعض ومعنى (ليس كمثله شيء) نفي المثلية عنه بطريق الالتزام وذلك أنه لو كان له مثل والله تعالى شيء لكان مثل مثله شيء وهو خلاف نص المخبر الصادق وهذا المحال انما لزم من فرض وجود المثل له فوجود المثل محال وهو المطلوب ولعل هذا التقرير مختص بنا قال في الكشاف انه من باب الكناية كقولهم مثلك لا يبخل يعنون انت لا تبخل وكذا ههنا يريد ليس كالله شيء وجوز أن يكون تكرير حرف التشبيه للتأكيد وقد يستدل بالآية على نفي الجسمية ولوازمها عنه تعالى لأن الاجسام متماثلة في حقيقة الجسمانية قوله (له مقاليد السموات والارض) أي له مفاتيح خزائنها وقد مر في الزمر والباقي واضح وقد سبق أيضا وحين عظم وحيه الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله كذلك يوحى اليك الى آخره ذكر تفصيل ذلك فقال (شرع لكم) أي أوجب وبين لأجلكم (من الدين ما وصى به نوحا)

إناث أو يزوجهم ذكرانا وإناثا قال يهب لهم إناثا وذكرانا ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ويجعل من يشاء عقيما يقول لا يلقح حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ويجعل من يشاء عقيما لا يلد واحدا ولا اثنين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ليس فيهم أنثى أو يزوجهم ذكرانا وإناثا تلد المرأة ذكرا مرة وأنثى مرة ويجعل من يشاء عقيما لا يولد له وقال ابن زيد في معنى قوله أو يزوجهم ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أو يزوجهم ذكرانا وإناثا قال أو يجعل في الواحد ذكرا وأنثى توأما هذا قوله أو يزوجهم ذكرانا وإناثا وقوله انه عليم قدير يقول تعالى ذكره ان الله ذو علم بما يخلق وقدرة على خلق ما يشاء لا يعزب عنه علم شيء من خلقه ولا يعجزه شيء أراد خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم﴾ يقول تعالى ذكره وما ينبغي لبشر من بني آدم أن يكلمه ربه إلا وحيا يوحي الله اليه كيف شاء(١) أو إلهاما وإما غيره أو من وراء حجاب يقول أو يكلمه بحيث يسمع كلامه ولا يراه كما كلم موسى نبيه صلى الله عليه وسلم أو يرسل رسولا يقول أو يرسل الله من ملائكته رسولا إما جبرائيل وإما غيره فيوحي باذنه ما يشاء يقول فيوحي ذلك الرسول الى المرسل اليه باذن ربه ما يشاء ربه أن يوحيه اليه من أمر ونهي وغير ذلك من الرسالة والوحي * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله عز وجل وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا يوحي اليه أو من وراء حجاب موسى كلمه الله من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء قال جبرائيل يأتي بالوحي واختلفت القراء في قراءة قوله أو يرسل رسولا فيوحي فقرأته عامة قراء الامصار فيوحي بنصب الياء عطفا على يرسل ونصبوا يرسل عطفا بها على موضع الوحي ومعناه لان معناه وما كان لبشر أن يكلمه الله الا أن يوحي اليه أو يرسل اليه رسولا فيوحي باذنه ما يشاء وقرأ ذلك نافع المدني فيوحي بارسال الياء بمعنى الرفع عطفا به على يرسل و برفع يرسل على الابتداء وقوله انه علي حكيم يقول تعالى ذكره انه يعني نفسه جل ثناؤه ذو علو على كل شيء وارتفاع عليه واقتدار حكيم يقول ذو حكمة في تدبيره خلقه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الأمور﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا وكما كنا نوحي في سائر رسلنا كذلك أوحينا اليك يا محمد هذا القرآن روحا من أمرنا يقول وحيا ورحمة من أمرنا واختلف أهل التأويل في معنى الروح في هذا الموضع فقال بعضهم عنى به الرحمة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة عن الحسن في قوله روحا من أمرنا قال رحمة من أمرنا * وقال آخرون معناه وحيا من أمرنا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا قال وحيا من أمرنا وقد بينا معنى الروح فيما مضى بذكر اختلاف أهل التأويل فيها بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان

وهو أقدم الاديان بعد الطوفان (والذي أوحينا اليك) وهو ختمها (وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى) وهي الملل المعتبرة المتوسطة ثم فسر المشروع الذي اشترك فيه هؤلاء الاكابر من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين) الحنيفي ومحله نصب بدلا من مفعول شرع أو رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين يعني اقامة أصوله من التوحيد والنبوة والمعاد ونحو ذلك دون الفروع التي تختلف بحسب الاوقات لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وفي بناء الكلام على الغيبة ثم الالتفات الى التكلم في أوحينا والخطاب في اليك تفخيم شأن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حكى حسد أهل الشرك بقوله (كبر على المشركين) أي شق وعظم عليهم ما تدعوهم اليه من الدين المبرا من عبادة غير الله ثم أجاب عن شبهتهم بأن الاجتباء والاصطفاء يتعلق بمشيئة الله لا بتمنى كل واحد ولا بكثرة المال والجاه يقال اجتباه اليه أي اصطفاه لنفسه والتركيب يدل على الجمع والضم ويحتمل أن يراد يجتبي الى الدين ثم أخبر عن وقت تفرق كلمة اهل الكتاب وعن سبب ذلك فقال (وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم) ببعث محمد صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته كقوله في آل عمران وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقيل وما تفرق الأمم الذين تقدم ذكرهم الا بعد العلم بصحة ما أمروا به قال أهل البرهان لما ذكر مبدأ كفرهم وهو قوله

(١) كذا في الخط ولعله إما إلقاء أو إلهاما الخ تأمل كتبه مصححه

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ما كنت تدرى يا محمد أى شئ الكتاب ولا الايمان الذين أعطيناكهما ولكن جعلناه نورا يقول ولكن جعلنا هذا القرآن وهو الكتاب نورا يعنى ضياء للناس يستضيؤن بضوئه الذى بين الله فيه وهو بيانه الذى بين فيه مما لهم فيه فى العمل به الرشاد ومن النار النجاة نهدى به من نشاء من عبادنا يقول نهدى بهذا القرآن فالهاء فى قوله به من ذكر الكتاب ويعنى بقوله نهدى به من نشاء نسدد الى سبيل الصواب وذلك الايمان بالله من نشاء من عبادنا يقول نهدى به من نشاء هدايته الى الطريق المستقيم من عبادنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا يعنى بالقرآن وقال جل ثناؤه ولكن جعلناه فوحد الهاء وقد ذكر قبل الكتاب والايمان لانه قصد به الخبر عن الكتاب وقال بعضهم عنى به الايمان والكتاب ولكن وحد الهاء لان أسماء الافعال يجمع جميعها الفعل كما يقال اقبالك وادبارك يعجبنى فيوحد وهما اثنان وقوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك يا محمد لتهدى الى صراط مستقيم عبادنا بالدعاء الى الله والبيان لهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وانك لتهدى الى صراط مستقيم قال تبارك وتعالى ولكل قوم هاد داع يدعوهم الى الله عز وجل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وانك لتهدى الى صراط مستقيم قال لكل قوم هاد حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وانك لتهدى الى صراط مستقيم يقول تدعو الى دين مستقيم صراط الله الذى له ما فى السموات وما فى الارض يقول جل ثناؤه وانك لتهدى الى صراط مستقيم وهو الاسلام طريق الله الذى دعا اليه عباده الذى له ملك جميع ما فى السموات وما فى الارض لا شريك له فى ذلك والصراط الثانى ترجمة عن الصراط الاول وقوله جل ثناؤه ألا الى الله تصير الأمور يقول جل ثناؤه ألا الى الله أيها الناس تصير أموركم فى الآخرة فيقضى بينكم بالعدل فان قال قائل أوليست أمورهم فى الدنيا اليه قيل هى وان كان اليه تدبير جميع ذلك فان لهم حكاما وولاة ينظرون بينهم وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره فلذلك قيل اليه تصير الامور هنالك وان كانت الامور كلها اليه وبيده قضاؤها وتدبيرها فى كل حال

آخر تفسير سورة حم عسق

## ﴿ تفسير سورة الزخرف ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾ قد بينا فيما مضى قوله حم بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله والكتاب المبين قسم من الله تعالى أقسم بهذا الكتاب الذى أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقال والكتاب المبين لمن تدبره وفكر فى عبره وعظاته هداه ورشده وأدلته على حقيقته وأنه تنزيل من حكيم حميد لا اختلاق من محمد صلى الله عليه وسلم ولا افتراء من أحد ﴿ انا جعلناه قرآنا عربيا ﴾ يقول انا أنزلناه قرآنا عربيا

الا من بعد ما جاءهم العلم حسن ذكر نهاية إمهالهم وهو قوله الى أجل مسمى ليكون محدودا من الطرفين وانما ترك ذكر النهاية فى السورة المتقدمة لعدم ذكر البداية (وان الذين أورثوا الكتاب) هم العرب ورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتابين كتابهم أو هم أهل الكتاب المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل جاءهم أسباب العلم فلم ينظروا فيها لانه حكم عليهم فى آخر الآية بانهم فى شك من كتابهم وهو مع العلم غير مجتمعين (فلذلك) أى فلاجل تشعب الملل وتفرق الكلم (فادع) الى الملة الحنيفية وقيل اللام بمعنى الى والاشارة الى القرآن (واستقم) عليها كما أمرت (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة (وقل آمنت بما أنزل الله من) أى (كتاب) كان (وأمرت لأعدل بينكم) أى فى التبليغ أو اذا تحاكتم الىّ حتى لا أفرق بين نفسى ونفس غيرى ثم أشار الى ما هو أصل فى الدين فقال (الله ربنا وربكم لنا) جزاء (أعمالنا ولكم) جزاء (أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم) وليس المراد منه تحريم المحاجة فانه لولا الأدلة لما توجه التكليف بل المراد أنهم بعد أن وقفوا على الحجج الباهرة والدلائل الظاهرة على حقية دين الاسلام لم يبق معهم حجة لسانية وانما بقى السيف وقيل انه منسوخ بآية القتال وقوله (الله يجمع بيننا) اشارة الى المهاجرة التى اقتضاها اصرارهم على الباطل وتفويض للامر الى المجازى المنتقم ثم أخبر عن وعيد المخاصمين فى أمر دين الله (من بعد ما استجيب له)

بلسان العرب اذ كنتم أيها المنذرون به من رهط محمد صلى الله عليه وسلم عربا لعلكم تعقلون يقول لتعقلوا معانيه وما فيه من مواعظه ولم ينزله بلسان العجم فيجعله أعجميا فتقولوا نحن عرب وهذا كلام أعجمي لا نفقه معانيه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي حم والكتاب المبين هو هذا الكتاب المبين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حم والكتاب المبين مبين الله بركته وهداه ورشده ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ يقول تعالى ذكره وان هذا الكتاب في أصل الكتاب الذي منه نسخ هذا الكتاب عندنا لعلي يقول لذو علو ورفعة حكيم قد أحكمت آياته ثم فصلت فهو ذو حكمة * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائي عن القاسم بن أبي بزة قال ثنا عروة بن عامر أنه سمع ابن عباس يقول أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق قال والكتاب عنده قال وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت أبي عن عطية بن سعد في قول الله تبارك وتعالى وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم يعني القرآن في أم الكتاب الذي عند الله منه نسخ حدثني أبو السائب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت مالكا يروي عن عمران عن عكرمة وانه في أم الكتاب لدينا قال أم الكتاب القرآن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وانه في أم الكتاب لدينا قال أم الكتاب أصل الكتاب وجملته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانه في أم الكتاب أي جملة الكتاب أي أصل الكتاب حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وانه في أم الكتاب يقول في الكتاب الذي عند الله في الاصل وقوله لدينا لعلي حكيم وقد ذكرنا معناه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لدينا لعلي حكيم يخبر عن منزلته وفضله وشرفه ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معناه أفنضرب عنكم ونتركم أيها المشركون فيما تحسبون فلا نذكركم بعقابنا من أجل أنكم قوم مشركون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل أفنضرب عنكم الذكر صفحا قال تكذبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه حدثني محمد بن عمارة قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا سفيان عن اسمعيل عن أبي صالح في قوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا قال بالعذاب حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي أفنضرب عنكم الذكر صفحا قال أفنضرب عنكم العذاب حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين يقول أحسبتم أن نصفح عنكم ولما تفعلوا ما أمرتم به * وقال آخرون بل معنى ذلك أفنترك تذكيركم بهذا القرآن ولا نذكركم به لأن كنتم قوما مسرفين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين أي مشركين والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا فدعاهم اليه عشرين سنة أو ما شاء الله من ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى

أي من بعد ما استجاب له الناس وقبلوا دينه أو بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر (حجتهم داحضة) أي باطلة زائلة (عند ربهم) وذلك ان اليهود والنصارى كانوا يقولون كابنا قبل كابكم ونبينا قبل نبيكم فأنتم أولى باتباعنا وأيضا أنتم تقولون الاخذ بالمتفق عليه أولى من الاخذ بالمختلف فيه ونبوة موسى وحقية التوراة متفق عليها ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم مختلف فيها والجواب أن نبوة موسى انما صحت بالمعجزة فان كانت المعجزة في حقه صحيحة للنبوة ففي حق محمد صلى الله عليه وسلم كذلك والا فأنتم القادحون في نبوة نبيكم أيضا ثم حث على سلوك طريقة العدل حذرا من عقاب يوم القيامة فقال (الله الذي أنزل الكتاب) أي جنسه متلبسا بالغرض الصحيح (والميزان) أي أنزل العدل والسوية في كتبه أو ألهم اتخاذ الميزان وقيل هو العقل وقيل الميزان نفسه وذلك في زمن نوح وقيل هو محمد صلى الله عليه وسلم يقضي بينهم بالكتاب (وما يدريك) يا محمد أو أيها المكلف (لعل الساعة) أي مجيئها (قريب) أو ذكر بتأويل البعث أو الحشر ونحوه أو أراد شئ قريب ومتى كان الامر كذلك وجب على العاقل أن يجتهد في أداء ما عليه من التكاليف ولا يتوانى في سلوك سبيل الانصاف مع الخالق والخلق فانه لا يعلم أن القيامة متى تفاجئه ثم قبح طريقة منكري الساعة فقال (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها) يقولون على سبيل السخرية متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى تظهر لنا جلية الحال

قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا قال لو أن هذه الأمة لم يؤمنوا لضرب عنهم الذكر صفحا قال الذكر ما أنزل عليهم مما أمرهم الله به ونهاهم صفحا لا يذكر لكم منه شيأ ۞ وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب تأويل من تأوله أفنضرب عنكم العذاب فنتركك ونعرض عنكم لأن كنتم قوما مسرفين لا تؤمنون بربكم وانما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية لأن الله تبارك تعالى أتبع ذلك خبره عن الامم السالفة قبل الامم التى توعدها بهذه الآية فى تكذيبها رسلها وما أحل بها من نقمته ففى ذلك دليل على أن قوله أفنضرب عنكم الذكر صفحا وعيد منه للخاطبين به من أهل الشرك اذ سلكوا فى التكذيب بما جاءهم عن الله رسولهم مسلك الماضين قبلهم واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والكوفة ان كنتم بكسر الالف من إن بمعنى أفنضرب عنكم الذكر صفحا اذ كنتم قوما مسرفين وقرأه بعض قراء أهل مكة والكوفة وعامة قراء البصرة أن بفتح الألف من أن بمعنى لأن كنتم واختلف أهل العربية فى وجه فتح الالف من أن فى هذا الموضع فقال بعض نحويى البصرة فتحت لأن معنى الكلام لأن كنتم وقال بعض نحويى الكوفة من فتحها فكأنه أراد شيأ ماضيا فقال وأنت تقول فى الكلام أتيت أن حرمتنى تريد اذ حرمتنى ويكسر اذا اردت أتيت إن تحرمنى ومثله لا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم وان صدوكم بكسر وبفتح وقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا قال والعرب تنشد قول الفرزدق

أتجزع ان أذنا قتيبة حزتا * جهارا ولم تجزع لقتل ابن حازم

قال وينشد

أتجزع ان بان الخليط المودع * وحبل الصفا من عزة المتقطع

قال وفى كل واحد من البيتين ما فى صاحبه من الكسر والفتح * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن الكسر والفتح فى الالف فى هذا الموضع قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن العرب اذا تقدم ان وهى بمعنى الجزاء فعل مستقبل كسروا ألفها أحيانا فجحضوا لها الجزاء فقالوا أقوم ان قمت وفتحوها أحيانا وهم ينوون ذلك المعنى فقالوا أقوم أن قمت بتأويل لأن قمت فاذا كان الذى تقدمها من الفعل ماضيا لم يتكلموا الا بفتح الالف من أن فقالوا قمت أن قمت وبذلك جاء التنزيل وتتابع شعر الشعراء ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وكم أرسلنا من نبى فى الاولين وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزؤن﴾ يقول تعالى ذكره وكم أرسلنا من نبى يا محمد فى القرون الاولين الذين مضوا قبل قرنك الذى بعثت فيه كما أرسلناك فى قومك من قريش وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزؤن يقول وما كان يأتى قرنا من أولئك القرون وأمة من أولئك الامم الاولين لنا من نبى يدعوهم الى الهدى وطريق الحق الا كان الذين يأتيهم ذلك من تلك الامم نبيهم الذى أرسله اليهم يستهزؤن سخرية منهم بهم كاستهزاء قومك بك يا محمد يقول فلا يعظمن عليك ما يفعل بك قومك ولا يشقن عليك فانهم انما سلكوا فى استهزائهم بك مسلك أسلافهم ومناهج أئمتهم الماضين من أهل الكفر بالله ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين﴾ يقول تعالى ذكره فأهلكنا أشد من هؤلاء المستهزئين بأنبيائهم بطشا اذا بطشوا فلم يعجزونا بقواهم وشدة بطشهم ولم يقدروا على الامتناع من بأسنا اذ أتاهم فالذين هم أضعف منهم قوة أحرى أن لا يقدروا على الامتناع من نقمنا اذا حلت بهم ومضى مثل الاولين يقول جل ثناؤه ومضى لهؤلاء المشركين المستهزئين بك ولمن قبلهم من ضرائبهم

ثم مدح المقربين بأنهم يخافون القيامة هيبة من الله واجلالا له أو حذرا من تقصير وخلل وقع فى العمل الا أن خوفهم يجب أن يكون ممتزجا بالرجاء وقد مر تحقيقه مرارا ثم هدد الشاكين المجادلين فى أمر البعث بقوله (ألا ان الذين يمارون) وأصله من المرية الشك (لفى ضلال بعيد) عن الصواب لأن استيفاء حق المظلوم من الظالم واجب على فضله أو فى حكمه ولان فى انكاره نسبة الله سبحانه الى ضد العلم والقدرة ثم انه لا ريب فى أن انزال الكتاب والميزان لطف من الله على خلقه فلذلك قال (الله لطيف بعباده) عم البر ثم خصص بقوله (يرزق من يشاء) يعنى الزائد على مقدار الضرورة فلكم من انسان فاق أقرانه فى المال أو الجاه أو الاولاد أو فى العلم أو فى سائر أسباب المزية الا أن أحدا منهم لا يخلو من بره الذى يتعيش به كقوله أعطى كل شئ خلقه ثم هدى وقيل معنى لطيف يرزقهم من حيث لا يعلمون أو يلطف بهم فلا يعاجلهم بالعقوبة ليتوبوا وقد مر معناه فى الانعام بوجه آخر فى قوله وهو اللطيف الخبير وأما قوله (القوى العزيز) ففيه اشارة الى أن لطفه مقرون بقهره وحين ذكر أنه يرزق من يشاء الزائد على مقدار كفايته وكان فيه كسر قلوب أرباب الضنك والضيق جبر كسرهم بقوله (من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه) سماه حرثا تشبيها للعامل الطالب لثواب الآخرة أضعافا مضاعفة بالزارع الذى يلقى البذر فى الارض طلبا للزيادة والنماء ومن فضائل

مثلنا الذى مثلناه لهم فى أمثالهم من مكذبى رسلنا الذين أهلكناهم يقول فليتوقع هؤلاء الذين يستهزؤن بك يا محمد من عقوبتنا مثل الذى أحللناه بأولئك الذين أقاموا على تكذيبك وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومضى مثل الاولين قال عقوبة الأولين حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله مثل الاولين قال سنتهم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الأرض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون﴾ يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك من خلق السموات السبع والارضين فأحدثهن وأنشأهن ليقولن خلقهن العزيز فى سلطانه وانتقامه من أعدائه العليم بهن وما فيهن من الاشياء لا يخفى عليه شئ الذى جعل لكم الأرض مهادا يقول الذى مهد لكم الارض فجعلها لكم وطاء توطؤنها بأقدامكم وتمشون عليها بأرجلكم وجعل لكم فيها سبلا يقول وسهل لكم فيها طرقا تتطرقونها من بلدة الى بلدة لمعايشكم ومتاجركم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعل لكم فيها سبلا أى طرقا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى الذى جعل لكم الارض مهادا قال بساطا وجعل لكم فيها سبلا قال الطرق لعلكم تهتدون يقول لكى تهتدوا بتلك السبل الى حيث أردتم من البلدان والقرى والامصار لولا ذلك لم تطيقوا براح أفنيتكم ودوركم ولكنها نعمة أنعم بها عليكم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون﴾ يقول تعالى ذكره والذى نزل من السماء ماء بقدر يعنى ما نزل جل ثناؤه من الامطار من السماء بقدر يقول بمقدار حاجتكم اليه فلم يجعله كالطوفان فيكون عذابا كالذى أنزل على قوم نوح ولا جعله قليلا لا ينبت به النبات والزرع من قلته ولكنه جعله غيثا مغيثا وحيا للارض الميتة محييا فأنشرنا به بلدة ميتا يقول جل ثناؤه فأحيينا به بلدة من بلادكم ميتا يعنى مجدبة لا نبات بها ولا زرع قد درست من الجدوب وتعفت من القحوط كذلك تخرجون يقول تعالى ذكره كما أخرجنا بهذا الماء الذى نزلناه من السماء من هذه البلدة الميتة بعد جدوبها وقحوطها النبات والزرع كذلك أيها الناس تخرجون من بعد فنائكم ومصيركم فى الارض رفاتا بالماء الذى أنزله اليها لاحيائكم من بعد مماتكم منها أحياء كهيئتكم التى كنتم بها قبل مماتكم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والذى نزل من السماء ماء بقدر الآية كما أحيا الله هذه الارض الميتة بهذا الماء كذلك تبعثون يوم القيامة وقيل أنشرنا به لأن معناه أحيينا به ولو وصفت الارض بأنها أحييت قيل نشرت الارض كما قال الاعشى

حتى يقول الناس مما رأوا * يا عجبا للميت الناشر

وقوله والذى خلق الأزواج كلها يقول تعالى ذكره والذى خلق كل شئ فزوجه أن خلق الذكور من الاناث أزواجا والاناث من الذكور أزواجا وجعل لكم من الفلك وهى السفن والأنعام وهى البهائم ما تركبون يقول جعل لكم من السفن ما تركبونه فى البحار الى حيث قصدتم واعتمدتم فى سيركم فيها لمعايشكم ومطالبكم ومن الانعام ما تركبونه فى البرالى حيث أردتم من البلدان كالابل والخيل والبغال والحمير ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة



حرث الاخرة ان طالبها قد يحصل له الدنيا بالتبعية ويرى ثواب عمله أضعافا مضاعفة وطالب الدنيا لا تحصل له المطالب بأسرها ولهذا قال (نؤته منها) أى بعض ذلك (وماله فى الآخرة من نصيب) قط وفى زيادة لفظ الحرث فائدة أخرى وهى أن يعلم أن شيأ من القسمين لا يحصل الا بتحمل المتاعب والمشاق عن النبى صلى الله عليه وسلم من أصبح وهمه الدنيا شتت الله عليه همه وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وجعل غناه فى قلبه وأتته الدنيا وهى راغمة هذا لفظه أو لفظ هذا معناه وعن قتادة ان الله يعطى الدنيا على نية الآخرة ولا يعطى الآخرة على نية الدنيا وفى ظاهر اللفظ دلالة على أن من صلى لطلب الثواب أو لدفع العقاب فانه تصح صلاته لانه صلى لأجل ما يتعلق بالآخرة قال بعض أصحاب الشافعى اذا توضأ بغير نية لم يصح لأن هذا الانسان غفل عن الآخرة وعن ذكر الله والخروج عن عهدة الصلاة من باب منافع الآخرة فلا يحصل بالوضوء العارى عن النية وحيث بين القانون الاعظم والقسطاس الأقوم فى أعمال الدارين نبه على أحوال الضلال بقوله (أم لهم شركاء) وهى المنقطعة عند بعضهم وقال آخرون هى المعادلة لألف الاستفهام تقديره أفيقبلون ما شرع الله لهم من الدين أم لهم آلهة (شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) أى لم يأمر هم به أو لم يعلمه كقوله أتنبئون الله بما لا يعلم والأذن بالفتح العلم بالمسموعات وتحقيقه شرعوا ما ليس بشريعة اذ لو كان شريعة

ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون ؛ يقول تعالى ذكره كى تستووا على ظهوره ما تركبون واختلف أهل العربية فى وجه توحيد الهاء فى قوله على ظهوره وتذكيرها فقال بعض نحويى البصرة تذكيره يعود على ما تركبون وما هو مذكر كما يقال عندى من النساء من يوافقك ويسرك وقد تذكر الأنعام وتؤنث وقد قال فى موضع آخر مما فى بطونه وقال فى موضع آخر بطونها وقال بعض نحويى الكوفة أضيفت الظهور الى الواحد لأن ذلك الواحد فى معنى جمع بمنزلة الجند والجيش قال فان قيل فهلا قلت لتستووا على ظهره فجعلت الظهر واحدا اذا أضفته الى واحد قلت ان الواحد فيه معنى الجمع فردت الظهور الى المعنى ولم يقل ظهره فيكون كالواحد الذى معناه ولفظه واحد وكذلك تقول قد كثر نساء الجند وقلت ورفع الجند أعينه ولم يقل عينه قال وكذلك كل ما أضفت اليه من الاسماء الموصوفة فأخرجها على الجمع واذا أضفت اليه اسما فى معنى فعل جاز جمعه وتوحيده مثل قولك رفع العسكر صوته وأصواته أجود وجاز هذا لأن الفعل لا صورة له فى الاثنين الا الصورة فى الواحد * وقال آخرون منهم قيل لتستووا على ظهوره لأنه وصف للفلك ولكنه وحد الهاء لان الفلك بتأويل جمع فجمع الظهور ووحد الهاء لأن أفعال كل واحد تأويله الجمع توحد وتجمع مثل الجند منهزم ومنهزمون فاذا جاءت الاسماء خرج على الاسماء لا غير فقلت الجند رجال فلذلك جمعت الظهور ووحدت الهاء ولو كان مثل الصوت وأشباهه جاز الجند رافع صوته وأصواته قوله ثم تذكروا نعمة ربكم يقول تعالى ذكره ثم تذكروا نعمة ربكم التى أنعمها عليكم بتسخيره ذلك لكم مراكب فى البر والبحر اذا استويتم عليه فتعظموه وتمجدوه وتقولوا تنزيها لله الذى سخر لنا هذا الذى ركبناه من هذه الفلك والانعام مما يصفه به المشركون وتشرك معه فى العبادة من الأوثان والأصنام وما كنا له مقرنين * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب وعبيد بن اسمعيل الهبارى قالا ثنا المحاربى عن عاصم الأحول عن أبى هاشم عن أبى مجلز قال ركبت دابة فقلت سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فسمعنى رجل من أهل البيت قال أبو كريب والهبارى قال المحاربى فسمعت سفيان يقول هو الحسن بن على رضوان الله تعالى عليهما فقال أهكذا أمرت قال قلت كيف أقول قال تقول الحمد لله الذى هدانا للاسلام الحمد لله الذى منّ علينا بمحمد عليه السلام الحمد لله الذى جعلنا فى خير أمة أخرجت للناس فاذا أنت قد ذكرت نعما عظاما ثم تقول بعد ذلك سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا الى ربنا لمنقلبون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى هاشم عن أبى مجلز أن الحسن بن على رضى الله عنه رأى رجلا ركب دابة فقال الحمد لله الذى سخر لنا هذا ثم ذكر نحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه يعلمكم كيف تقولون اذا ركبتم فى الفلك تقولون بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم واذا ركبتم الابل قلتم سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون و يعلمكم ما تقولون اذا نزلتم من الفلك والانعام جميعا تقولون اللهم أنزلنا منزلا مباركا وأنت خير المنزلين حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه أنه كان اذا ركب قال اللهم هذا من منك وفضلك ثم يقول سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وقوله وما كنا له مقرنين وما كنا له مطيقين ولا ضابطين من قولهم قد أقرنت لهذا اذا صرت له قرنا وأطقته وفلان مقرن لفلان أى ضابط له مطيق

لعلمها الله (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأخير الجزاء (لقضى بينهم) والضمير للمؤمنين والكافرين أو المشركين والشركاء (ترى الظالمين) فى القيامة (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من الجرائم (وهو) أى وبال ذلك (واقع بهم) واصل اليهم لا محالة (والذين آمنوا وعملوا الصالحات فى روضات الجنات) أى منتزهاتها قالت الاشاعرة فيه دليل على أن غيرها من الاماكن فى الجنة لغير المذكورين وغيرهم ليس الا الذى آمن ولم يعمل صالحا وهو الفاسق ولقائل أن يقول لم لا يجوز أن يكون اضافة الروضات الى الجنات من اضافة العام الى الخاص فيكون الجنات كلها روضات ولكن الروضات قد لا تكون فى الجنة لثبوتها فى الدنيا والفضل الكبير قد تقدم فى فاطر (ذلك) المذكور أو الثواب أو التبشير هو (الذى يبشر الله) به (عباده) ثم حذف الجار ثم الراجع الى الموصول ثم أمر رسوله بأن يقول (لا أسألكم عليه) على هذا التبليغ (أجرا الا المودة) الكائنة (فى القربى) جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها ولهذا لم يقل مودة القربى أو المودة للقربى وهى مصدر بمعنى القرابة أى فى أهل القربى وفى حقهم فان قيل استثناء المودة من الاجر دليل على أنه طلب الاجر على تبليغ الوحى وذلك غير جائز كما جاء فى قصص سائر الانبياء ولا سيما فى الشعراء وقد جاء فى حق نبينا صلى الله عليه وسلم أيضا قل ما سألتكم من أجر فهو لكم وقل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين والمعقول منه أن التبليغ واجب عليه

وطلب الاجر على أداء الواجب لا يليق بالمروءة وأيضا انه يوجب التهمة وتنقصان الحشمة قلنا ان من جعل الآية منسوخة بالثانين لا استثناء فيهما فلا اشكال عليه وأما الآخرون فمنهم من قال الاستثناء متصل ولكنه من قبيل تأكيد المدح بما يشبه الذم كقوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم

بهن فلول من قراع الكتائب

والمعنى لا أطلب منكم أجرا الا هذا وهو في الحقيقة ليس أجرا لان حصول المودة بين المسلمين أمر واجب ولا سيما في حق الاقارب كما قال عز من قائل والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ومنهم من قال الاستثناء منقطع أي لا اسألكم عليه أجرا البتة ولكن أذكركم المودة في القربى وفي تفسير المودة في القربى أربعة أقوال الاول قال الشعبي أكثر الناس علينا في هذه الآية فكتبنا الى ابن عباس نسأله عن ذلك فأجاب بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان واسطة النسب في قريش ليس بطن من بطونهم الا وقد كان بينهم وبينه قرابة فقال الله قل لا أسألكم على ما أدعوكم اليه أجرا الا أن تودوني لقرابتي منكم يعني انكم قومي واحق من أجابني وأطاعني فاذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذوني ولا تهيجوا علي القول الثاني روى الكلبي عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كانت تنوبه نوائب وحقوق وليس في يده سعة فقال الانصار ان هذا الرجل قد هداكم الله على يده وهو ابن أختكم وجاركم في بلدكم فاجمعوا له طائفة من أموالكم ففعلوا ثم أتوه

* وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس وما كانا مقرنين يقول مطيقين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل مقرنين قال الابل والخيل والبغال والحمير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما كانا له مقرنين أي مطيقين لا والله لا في الأيدي ولا في القوة حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وما كانا له مقرنين قال في القوة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وما كانا له مقرنين قال مطيقين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله جل ثناؤه سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين قال لسنا له مطيقين قال لا نطيقها الا بك لو لا أنت ما قوينا عليها ولا أطقناها وقوله وانا الى ربنا لمنقلبون يقول جل ثناؤه وليقولوا أيضا وانا الى ربنا من بعد مماتنا لصائرون اليه راجعون ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم﴾ يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء المشركون لله من خلقه نصيبا وذلك قولهم للملائكة هم بنات الله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل وجعلوا له من عباده جزأ قال ولدا وبنات من الملائكة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وجعلوا له من عباده جزأ قال البنات * وقال آخرون عني بالجزء ههنا العدل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلوا له من عباده جزأ أي عدلا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله وجعلوا له من عباده جزأ أي عدلا وانما اخترنا القول الذي اخترناه في تأويل ذلك لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين توبيخا لهم على قولهم ذلك فكان معلوما أن توبيخه اياهم بذلك انما هو عما أخبر عنهم من قيلهم ما قالوا في اضافة البنات الى الله جل ثناؤه وقوله ان الانسان لكفور مبين يقول تعالى ذكره ان الانسان لذو جحد لنعم ربه التي أنعمها عليه مبين يقول بين كفرانه نعمه عليه لمن تأمله بفكر قلبه وتدبر حاله وقوله أم اتخذ مما يخلق بنات يقول جل ثناؤه موبخا هؤلاء المشركين الذين وصفوه بأن الملائكة بناته أتخذ بكم أيها الجاهلون مما يخلق بنات وأنتم لا ترضون لأنفسكم وأصفاكم بالبنين يقول وأخلصكم بالبنين فجعلهم لكم واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا يقول تعالى ذكره واذا بشر أحد هؤلاء المشركين الجاعلين لله من عباده جزأ بما ضرب للرحمن مثلا يقول بما مثل لله فشبهه شبها وذلك ما وصفه به من أن له بنات كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بما ضرب للرحمن مثلا قال ولدا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله بما ضرب للرحمن مثلا بما جعل لله وقوله ظل وجهه مسودا يقول تعالى ذكره ظل وجه هذا الذي بشر بما ضرب للرحمن مثلا من البنات مسودا من سوء ما بشر به وهو كظيم يقول وهو حزين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهو كظيم أي حزين ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿أو من ينشأ في الحلية وهو

فى الخصام غير مبين﴾ يقول تعالى ذكره أو من ينبت فى الحلية ويزين بها وهو فى الخصام يقول وهو فى مخاصمة من خاصمه عند الخصام غير مبين من خصمه ببرهان وحجة لعجزه وضعفه جعلتموه جزأ لله من خلقه وزعمتم أنه نصيبه منهم وفى الكلام متروك استغنى بدلالة ما ذكر منه وهو ما ذكرت واختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقال بعضهم عنى بذلك الجوارى والنساء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين قال يعنى المرأة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن علقمة عن مرثد عن مجاهد قال رخص للنساء فى الحرير والذهب وقرأ أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين قال يعنى المرأة حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين قال الجوارى جعلتموهن للرحمن ولدا كيف تحكمون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين قال الجوارى يسفههن بذلك غير مبين بضعفهن حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أو من ينشأ فى الحلية يقول جعلوا له البنات وهم اذا بشر أحدهم بهن ظل وجهه مسودا وهو كظيم قال وأما قوله وهو فى الخصام غير مبين يقول قلما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين قال النساء * وقال آخرون عنى بذلك أوثانهم التى كانوا يعبدونها من دون الله ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أو من ينشأ فى الحلية الآية قال هذه تماثيلهم التى يصورونها من فضة وذهب يعبدونها هم الذين أنشؤها صوروها من تلك الحلية ثم عبدوها وهو فى الخصام غير مبين قال لا يتكلم وقرأ فاذا هو خصيم مبين * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال عنى بذلك الجوارى والنساء لأن ذلك عقيب خبر الله عن اضافة المشركين اليه ما يكرهونه لأنفسهم من البنات وقلة معرفتهم بحقه وتحليتهم اياه من الصفات والبخل وهو خالقهم ومالكهم ورازقهم والمنعم عليهم النعم التى عددها فى أول هذه السورة مما لا يرضونه لأنفسهم فاتباع ذلك من الكلام ما كان نظيرا له أشبه وأولى من إتباعه مما لم يجر له ذكر واختلفت القراء فى قراءة قوله أو من ينشأ فى الحلية فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض المكيين والكوفيين أو من ينشأ بفتح الياء والتخفيف من نشأ ينشأ وقرأته عامة قراء الكوفة ينشأ بضم الياء وتشديد الشين من نشأه فهو ينشأ والصواب من القول فى ذلك عندنا أن يقال انهما قراءتان معروفتان فى قرأة الامصار متقاربتا المعنى لأن المنشأ من الانشاء ناشئ والناشئ منشأ فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقد ذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله أو من لا ينشأ الا فى الحلية وفى من وجوه من الاعراب الرفع على الاستئناف والنصب على اضمار يجعلون كأنه قيل أو من ينشأ فى الحلية يجعلون بنات الله وقد يجوز النصب فيه أيضا على الرد على قوله أم اتخذ مما يخلق بنات أو من ينشأ فى الحلية فيرد من على البنات والخفض على الرد على ما التى فى قوله واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون﴾ يقول تعالى ذكره وجعل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن واختلفت القراء

فردّه عليهم ونزلت الآية بحثهم على مودة أقاربهم وصلة أرحامهم القول الثالث عن الحسن الا أن تودّدوا الى الله وتتقربوا اليه بالطاعة والعمل الصالح الرابع عن سعيد ابن جبير لما نزلت هذه الآية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم لقرابتك فقال على وفاطمة وابناهما ولا ريب أن هذا فخر عظيم وشرف تام ويؤيده ما روى أن عليا رضى الله عنه شكا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس فيه فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذرياتنا خلف أزواجنا وعنه صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فانا أجازيه عليها غدا اذا لقينى يوم القيامة وكان يقول فاطمة بضعة منى يؤذينى ما يؤذيها وثبت بالنقل المتواتر أنه كان يحب عليا والحسن والحسين واذا كان ذلك وجب علينا محبتهم لقوله فاتبعوه وكفى شرفا لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخرا ختم التشهد بذكرهم والصلاة عليهم فى كل صلاة قال بعض المذكرين ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل أهل بيتى كمثل سفينة نوح من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق وعنه صلى الله عليه وسلم أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم فنحن نركب سفينة حب آل محمد صلى الله عليه وسلم ونضع أبصارنا على الكواكب النيرة أعنى آثار

الصحابة لتخلص من بحر التكليف وظلمة الجهالة ومن أمواج الشبه والضلالة ثم أكد ايصال الثواب على المودة بقوله (ومن يقترف حسنة) أى يكتسب طاعة قال بعض أهل اللغة الاقتراف مستعمل فى الشر فاستعاره ههنا للخير عن السدى أنها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى أبى بكر الصديق ومودته فيهم والظاهر العموم فى كل حسنة ولا شك أن هذه مرادة قصدا أوليا لذكرها عقيبها ومعنى زيادة حسنها تضعيف ثوابها (ان الله غفور) لمن أذنب (شكور) لمن أطاع الله والله أعلم ﴿ أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وما أنتم بمعجزين فى الارض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ومن آياته الجوار فى البحر كالأعلام ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره

فى قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة الذين هم عند الرحمن بالنون فكأنهم تأولوا فى ذلك قول الله جل ثناؤه ان الذين عند ربك لا يستكبرون فتأويل الكلام على هذه القراءة وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه ويقدسونه اناثا فقالوا لهم بنات الله جهلا منهم بحق الله وجرأة منهم على قيل الكذب والباطل وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا بمعنى جمع عبد فمعنى الكلام على قراءة هؤلاء وجعلوا ملائكة الله الذين هم خلقه وعباده بنات الله فأنثوهم بوصفهم اياهم بانهم اناث والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان فى قرأة الامصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وذلك أن الملائكة عباد الله وعنده واختلفوا أيضا فى قراءة قوله أشهدوا خلقهم فقرأ ذلك بعض قراء المدينة أشهدوا خلقهم بضم الالف على وجه ما لم يسم فاعله بمعنى أأشهد الله هؤلاء المشركين الجاعلين ملائكة الله اناثا خلق ملائكته الذين هم عنده فعلموا ما هم وأنهم اناث فوصفوهم بذلك لعلمهم بهم وبرؤيتهم اياهم ثم ردّ ذلك الى ما لم يسم فاعله وقرئ بفتح الالف بمعنى أشهدوا هم ذلك فعلموه والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان معروفتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ستكتب شهادتهم يقول تعالى ذكره ستكتب شهادة هؤلاء القائلين الملائكة بنات الله فى الدنيا بما شهدوا به عليهم ويسئلون عن شهادتهم تلك فى الآخرة أن يأتوا برهان على حقيقتها ولن يجدوا الى ذلك سبيلا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون من قريش لو شاء الرحمن ما عبدنا أوثاننا التى نعبدها من دونه وانما لم يحل بنا عقوبة على عبادتنا اياها لرضاه منا بعبادتناها كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لو شاء الرحمن ما عبدناهم للاوثان يقول الله عز وجل ما لهم بذلك من علم يقول ما هم بحقيقة ما يقولون من ذلك من علم وانما يقولونه تخرصا وتكذبا لأنهم لا خبر عندهم منى بذلك ولا برهان وانما يقولونه ظنا وحسبانا انهم الا يخرصون يقول ما هم الا متخرصون هذا القول الذى قالوه وذلك قولهم لو شاء الرحمن ما عبدناهم وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنا الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ان هم الا يخرصون ما يعلمون قدرة الله على ذلك وقوله أم آتيناهم كتابا من قبله يقول تعالى ذكره آتينا هؤلاء المتخرصين القائلين لو شاء الرحمن ما عبدنا الآلهة كتابا بحقيقة ما يقولون من ذلك من قبل هذا القرآن الذى أنزلناه اليك يا محمد فهم به مستمسكون يقول فهم بذلك الكتاب الذى جاءهم من عندى من قبل هذا القرآن مستمسكون يعملون به ويدينون بما فيه ويحتجون به عليك ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون ﴾ يقول تعالى ذكره ما آتينا هؤلاء القائلين لو شاء الرحمن ما عبدناهم هؤلاء الأوثان بالامر بعبادتها كتابا من عندنا ولكنهم قالوا وجدنا آباءنا الذين كانوا قبلنا يعبدونها فنحن نعبدها كما كانوا يعبدونها وعنى جل ثناؤه بقوله بل وجدنا آباءنا على أمة بل وجدنا آباءنا على دين وملة وذلك هو عبادتهم الأوثان * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو

قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله على أمة ملة حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله انا وجدنا آباءنا على أمة يقول وجدنا آباءنا على دين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله انا وجدنا آباءنا على أمة قال قد قال ذلك مشركو قريش انا وجدنا آباءنا على دين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة قال على دين واختلفت القراء في قراءة قوله على أمة فقرأته عامة قراء الأمصار على أمة بضم الألف بالمعنى الذي وصفت من الدين والملة والسنة وذكر عن مجاهد وعمر بن عبد العزيز أنهما قرآه على إمة بكسر الألف وقد اختلف في معناها اذا كسرت ألفها فكان بعضهم يوجه تأويلها اذا كسرت على أنها الطريقة وأنها مصدر من قول القائل أممت القوم فأنا أؤمهم إمة وذكر عن العرب سماعا أحسن عمته وإمته وجلسته اذا كان مصدرا ووجهه بعضهم اذا كسرت ألفها الى أنها الامة التي بمعنى النعيم والملك كما قال عدي ابن زيد

ثم بعد الفلاح والملك والامـ ـة وارتهم هناك القبور

وقال أراد امامة الملك ونعيمه وقال بعضهم الأمة بالضم والامة بالكسر بمعنى واحد * والصواب من القراءة في ذلك الذي لا أستجيز غيره الضم في الألف لاجماع الحجة من قراء الأمصار عليه وأما الذين كسروها فاني لا أراهم قصدوا بكسرها الا معنى الطريقة والمنهاج على ما ذكرناه قبل لا النعمة والملك لانه لا وجه لأن يقال انا وجدنا آباءنا على نعمة ونحن لهم متبعون في ذلك لان الاتباع انما يكون في الملل والأديان وما أشبه ذلك لا في الملك والنعمة لأن الاتباع في الملك ليس بالأمر الذي يصل اليه كل من أراده وقوله وانا على آثارهم مهتدون يقول وانا على آثار آبائنا فيما كانوا عليه من دينهم مهتدون يعني لهم متبعون على منهاجهم كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس وانا على آثارهم مهتدون يقول وانا على دينهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانا على آثارهم مهتدون يقول وانا متبعوهم على ذلك ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون ﴾ يقول تعالى ذكره وهكذا كما فعل هؤلاء المشركون من قريش فعل من قبلهم من أهل الكفر بالله وقالوا مثل قولهم لم نرسل من قبلك يا محمد في قرية يعني الى أهلها رسلا تنذرهم عقابنا على كفرهم بنا فأنذروهم وحذروهم سخطنا وحلول عقوبتنا بهم الا قال مترفوها وهم رؤساؤهم وكبراؤهم كما حدثنا محمد ابن عبد الأعلى قال ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة في قوله الا قال مترفوها قال رؤساؤهم وأشرافهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها قادتهم ورؤسهم في الشرك وقوله انا وجدنا آباءنا على أمة يقول قالوا انا وجدنا آباءنا على ملة ودين وانا على آثارهم يعني وانا على منهاجهم وطريقتهم مقتدون بفعلهم نفعل كالذي فعلوا ونعبد ما كانوا يعبدون يقول جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم فانما سلك مشركو قومك منهاج من قبلهم من اخوانهم من أهل الشرك بالله في اجابتهم اياك بما أجابوك به وردهم ما ردوا عليك من النصيحة واحتجاجهم بما احتجوا به لمقامهم على دينهم الباطل * وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال

ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور او يوبقهن بما كسبوا ويعف عن كثير ويعلم الذين يجادلون في آياتنا ما لهم من محيص فما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش واذا ما غضبوا هم يغفرون والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الأمور ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل الى مرد من سبيل وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين في عذاب مقيم وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من سبيل استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض

يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا
ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم
ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما
انه عليم قدير وما كان لبشر أن
يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب
أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
انه علي حكيم وكذلك اوحينا اليك
روحا من أمرنا ما كنت تدري
ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه
نورا نهدي به من نشاء من عبادنا
وانك لتهدي الى صراط مستقيم
صراط الله الذي له ما في السموات
وما في الارض ألا الى الله تصير
الأمور ۞ القراآت ما تفعلون على
الخطاب حمزة وعلي وحفص ينزل
الغيث بالتشديد أبو جعفر ونافع
وابن عامر وعاصم ينزل بالتخفيف
ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بما
كسبت بدون فاء الجزاء أبو جعفر
ونافع وابن عامر الباقون فبما كسبت
بالفاء الجواري بالياء في الحالين
ابن كثير وسهل ويعقوب وافق
أبو جعفر ونافع وأبو عمرو في الوصل
وقرأ قتيبة ونصير وأبو عمرو بالامالة
الرياح على الجمع أبو جعفر ونافع
ويعلم الذين بالرفع ابن عامر وأبو جعفر
ونافع الباقون بالنصب كبير الاثم
على التوحيد حمزة وعلي وخلف
أو يرسل بالرفع فيوحي بالاسكان
نافع وابن مجاهد والنقاش عن ابن
ذكوان الآخرون بالنصب فيهما
۞ الوقوف كذبا ج للشرط مع فاء
التعقيب قلبك ط لان ما بعده
مستأنف بكلماته ط الصدور ه
تفعلون ه لا فضله ط شديد ه
يشاء ط بصير ه رحمته ط
الحميد ه دابة ط قدير ه كثير ه
في الارض ط ولا نصير ه

ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا
عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله وانا على آثارهم مقتدون قال بفعلهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة وانا على آثارهم مقتدون فاتبعوهم على ذلك ۞ القول في تأويل قوله
تعالى ﴿قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون﴾ يقول
تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك القائلين انا وجدنا
آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون أولو جئتكم أيها القوم من عند ربكم بأهدى الى طريق الحق
وأدل لكم على سبيل الرشاد مما وجدتم أنتم عليه آباءكم من الدين والملة قالوا انا بما أرسلتم به كافرون
يقول فقال ذلك لهم فأجابوه بأن قالوا له كما قال الذين من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها لانبيائها
انا بما أرسلتم به يا أيها القوم كافرون يعني جاحدون منكرون وقرأ ذلك قراء الأمصار سوى أبي
جعفر قل أولو جئتكم بالتاء وذكر عن أبي جعفر القارئ أنه قرأه قل أولو جئنا كم بالنون والالف
والقراءة عندنا ما عليه قراء الامصار لاجماع الحجة عليه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فانتقمنا
منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ يقول تعالى ذكره فانتقمنا من هؤلاء المكذبة رسلها
من الأمم الكافرة بربها باحلالنا العقوبة بهم فانظر يا محمد كيف كان عقبى أمرهم اذ كذبوا بآيات
الله ويعني بقوله عاقبة المكذبين آخر أمر الذين كذبوا رسل الله الام صار يقول ألم نهلكهم
فنجعلهم عبرة لغيرهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فانتقمنا منهم
فانظر كيف كان عاقبة المكذبين قال شر والله أخذهم بخسف وغرق ثم أهلكهم فأدخلهم النار
۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني
فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ يقول تعالى ذكره واذ قال ابراهيم لأبيه
وقومه الذين كانوا يعبدون ما يعبده مشركو قومك يا محمد إنني براء مما تعبدون من دون الله فكذبوه
فانتقمنا منهم كما انتقمنا من قبلهم من الأمم المكذبة رسلها وقيل انني براء مما تعبدون فوضع البراء
وهو مصدر موضع النعت والعرب لا تثني البراء ولا تجمع ولا تؤنث فتقول نحن البراء والخلاء لما
ذكرت أنه مصدر واذا قالوا هو بريء منك ثنوا وجمعوا وأنثوا فقالوا هما بريئان منك وهم بريئون
منك وذكر أنها في قراءة عبد الله انني بريء بالياء وقد يجمع بريء برآء وأبراء الا الذي فطرني يقول
اني بريء مما تعبدون من شئ الا من الذي فطرني يعني الذي خلقني فانه سيهدين يقول فانه
سيقومني للدين الحق ويوفقني لاتباع سبيل الرشد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل
ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذ قال ابراهيم
لأبيه وقومه الآية قال كايدهم كانوا يقولون ان الله ربنا ولئن سألتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله فلم يبرأ من ربه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله
انني براء مما تعبدون يقول انني بريء مما تعبدون الا الذي خلقني حدثنا محمد قال ثنا أحمد
قال ثنا أسباط عن السدي الا الذي فطرني قال خلقني وقوله وجعلها كلمة باقية في عقبه
يقول تعالى ذكره وجعل قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وهو قول لا اله الا الله كلمة
باقية في عقبه وهم ذريته فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده واختلف أهل التأويل في معنى
الكلمة التي جعلها خليل الرحمن باقية في عقبه فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك ذكر من قال ذلك
حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ليث عن مجاهد وجعلها كلمة
باقية في عقبه قال لا اله الا الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلها

كلمة باقية قال شهادة أن لا اله الا الله والتوحيد لم يزل فى ذريته من يقولها من بعده حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وجعلها كلمة باقية فى عقبه قال التوحيد والاخلاص ولا يزال فى ذريته من يوحد الله ويعبده حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وجعلها كلمة باقية فى عقبه قال لا اله الا الله * وقال آخرون الكلمة التى جعلها الله فى عقبه اسم الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه فقرأ اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين قال جعل هذه باقية فى عقبه قال الاسلام وقرأ هو سماكم المسلمين من قبل فقرأوا جعلنا مسلمين لك * وبنحو ما قلنا فى معنى العقب قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فى عقبه قال ولده حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه قال يعنى من خلفه حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى عقبه قال فى عقب ابراهيم آل محمد صلى الله عليه وسلم حدثنى محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا ابن أبى فديك قال ثنا ابن أبى ذئب عن ابن شهاب أنه كان يقول العقب الولد وولد الولد حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى عقبه قال عقبه ذريته وقوله لعلهم يرجعون يقول ليرجعوا الى طاعة ربهم ويثوبوا الى عبادته ويتوبوا من كفرهم وذنوبهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لعلهم يرجعون أى يتوبون أو يذكرون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون﴾ يقول تعالى ذكره بل متعت يا محمد هؤلاء المشركين من قومك وآباءهم من قبلهم بالحياة فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم حتى جاءهم الحق يعنى جل ثناؤه بالحق هذا القرآن يقول لم أهلكهم بالعذاب حتى أنزلت عليهم الكتاب وبعثت فيهم رسولا مبينا يعنى بقوله ورسول مبين محمدا صلى الله عليه وسلم وبالمبين أنه يبين لهم بالحجج التى يحتج بها عليهم أنه لله رسول محق فيما يقول ولما جاءهم الحق يقول جل ثناؤه ولما جاء هؤلاء المشركين القرآن من عند الله ورسول من الله أرسله اليهم بالدعاء اليه قالوا هذا سحر يقول هذا الذى جاءنا به هذا الرسول سحر يسحرنا به ليس بوحى من الله وانا به كافرون يقول قالوا وانا به جاحدون نتكر أن يكون هذا من الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون قال هؤلاء قريش قالوا للقرآن الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هذا سحر ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون بالله من قريش لما جاءهم القرآن من عند الله هذا سحر فان كان حقا فهلا نزل على رجل عظيم من احدى هاتين القريتين مكة أو الطائف واختلف فى الرجل الذى وصفوه بأنه عظيم فقالوا هلا نزل عليه هذا القرآن فقال بعضهم هلا نزل على الوليد بن المغيرة المخزومى من أهل مكة أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى من أهل الطائف

كالأعلام ٥ ط على ظهره ط شكور ٥ لا كثير ٥ لا لمن رفع ويعلم ومن نصب فوقفه مجوز آياتنا ط محيص ٥ الدنيا ج لعطف جملتى الشرط ويحتمل أن يكون الوقف مطلقا بناء على أن الثانية اخبار مستأنف يتولون ٥ ط يغفرون ٥ ج الصلاة ص لانقطاع النظم واتصال المعنى واتحاد المقول بينهم ص لذلك ينفقون ٥ ج ينتصرون ٥ مثلها ج على الله ط الظالمين ٥ سبيل ٥ ط الحق ط أليم ٥ الامور ٥ بعده ط من سبيل ٥ ج للآية مع العطف خفى ط القيامة ط مقيم ٥ من دون الله ط سبيل ط من الله ط نكير ٥ حفيظا ط البلاغ ط بها ج كفور ٥ والارض ط مايشاء ط الذكور ٥ لا واناثا ج لاحتمال مابعده العطف والاستئناف أى وهو يجعل عقيما ٥ قدير ٥ مايشاء ط حكيم ٥ أمرنا ط عبادنا ط مستقيم ٥ ومافى الارض ط الامور ٥ ﴿التفسير لما ذكر فى أول السورة أن هذا القرآن انما حصل بوحى الله وانجر الكلام الى ههنا حكى شبهة القوم وهى زعمهم أنه مفترى وليس بوحى فقال (أم يقولون افترى) قال جار الله أم منقطعة ومعنى الهمزة فيه التوبيخ كأنه قيل أيتما لكون أن ينسبوا مثله الى أعظم أنواع الفرية وهو الافتراء على الله ثم أجابهم بقوله (فان يشأ الله يختم على قلبك) أى يجعلك من المختوم على قلوبهم فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان فى مثل حالهم والغرض المبالغة فى استبعاد

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال يعني بالعظيم الوليد بن المغيرة القرشي أو حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي و بالقريتين مكة والطائف * وقال آخرون بل عني به عتبة بن ربيعة من أهل مكة وابن عبد ياليل من أهل الطائف ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد على رجل من القريتين عظيم قال عتبة بن ربيعة من أهل مكة وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف * وقال آخرون بل عني به من أهل مكة الوليد ابن المغيرة ومن أهل الطائف ابن مسعود ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله رجل من القريتين عظيم قال الرجل الوليد بن المغيرة قال لو كان ما يقول محمد حقا أنزل على هذا أو على ابن مسعود الثقفي والقريتان الطائف ومكة وابن مسعود الثقفي من الطائف اسمه عروة بن مسعود حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم والقريتان مكة والطائف قال فذكر لنا ذلك مشركو قريش قال بلغنا أنه ليس فخذ من قريش الا قد ادّعته وقالوا هو منا فكنا نحدّث أن الرجلين الوليد بن المغيرة وعروة الثقفي أبو مسعود يقولون هلا كان أنزل على أحد هذين الرجلين حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال كان أحد العظيمين عروة بن مسعود الثقفي كان عظيم أهل الطائف * وقال آخرون بل عني به من أهل مكة الوليد بن المغيرة ومن أهل الطائف كنانة بن عبد بن عمرو ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال الوليد بن المغيرة القرشي وكنانة بن عبد بن عمرو بن عمير عظيم أهل الطائف * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه مخبرا عن هؤلاء المشركين وقالوا لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اذ كان جائزا أن يكون بعض هؤلاء ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عنوا منهم في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم والاختلاف فيه موجود على ما بينت وقوله أهم يقسمون رحمة ربك يقول تعالى ذكره أهؤلاء القائلون لو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يا محمد يقسمون رحمة ربك بين خلقه فيجعلون كرامته لمن شاؤا وفضله لمن أرادوا أم الله الذي يقسم ذلك فيعطيه من أحب ويحرمه من شاء * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا بشر بن عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس قال لما بعث الله محمدا رسولا أنكرت العرب ذلك ومن أنكر منهم فقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد قال فأنزل الله عز وجل أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وقال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا أهل الذكر يعني أهل الكتب الماضية أبشرا كانت الرسل التي أتتكم أم ملائكة فان كانوا ملائكة أتتكم وان كانوا بشرا فلا تنكروا أن يكون محمد رسولا قال ثم قال وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من أهل القرى أي ليسوا من أهل السماء كما قلتم قال فلما كذبوا الله عليهم الحجج قالوا واذ كان بشرا فغير محمد كان أحق بالرسالة فلو لا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يقولون أشرف من محمد صلى الله عليه وسلم يعنون الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يسمى ريحانة قريش هذا من مكة ومسعود بن

الافتراء من مثله والتعريض بأن من ينسبه الى الافتراء فهو مختوم على قلبه وقيل لأنساك ما أتاك من القرآن ولكنه لم يشأ فأثبته فيه وقيل لأماتك فان قلب الميت كالمختوم عليه ومثله لقطعنا منه الوتين قاله قتادة وقال مجاهد ومقاتل يربط على قلبك بالصبر على أذاهم فلا يدخل قلبك حزن مما قالوه ثم استأنف فقال ويمح الله الباطل أي من عادته ذلك فلو كان محمد صلى الله عليه وسلم مبطلا لفضحه وكشف عن باطله وحذف الواو من الخط لا للجزم كما في قوله ويدع الانسان سندع الزبانية وفي تفسير الجبائي أن الواو حذف للجزم والمعنى ان افتريت ختم على قلبك ومحا الباطل المفترى فالاستئناف على هذا من قوله ويحق الحق بكلماته أي يثبت ما هو الحق في نفسه بوحيه أو بقضائه ويجوز أن يكون وعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يمحو الباطل الذي هم عليه من البهت والتكذيب ويظهر الحق الذي أنت عليه وهو القرآن بحكمه السابق وبعلمه القديم (انه عليم بذات الصدور) فيجازي المبطل والمحق على حسب حاليهما وحين وبخهم على البهت والتكذيب ندبهم الى التوبة وعرفهم أنه يقبلها من كل مسيء والآية واضحة مما سلف تارات ولا سيما في أوائل البقرة في توبة آدم أما الضمير في قوله (ويستجيب) فعائد الى الله سبحانه وأصله ويستجيب لهم فحذف الجار والمراد أنه اذا دعوه استجاب لهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم تفضلا وقيل لا ضمير فيه وانما الظاهر بعده فاعله قال سعيد

عمرو بن عبيد الله الثقفي من أهل الطائف قال يقول الله عز وجل ردا عليهم أهم يقسمون رحمة ربك أنا أفعل ما شئت وقوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره بل نحن نقسم رحمتنا وكرامتنا بين من شئنا من خلقنا فنجعل من شئنا رسولا ومن أردنا صديقا ونتخذ من أردنا خليلا كما قسمنا بينهم معيشتهم التي يعيشون بها في حياتهم الدنيا من الأرزاق والأقوات فجعلنا بعضهم فيها أرفع من بعض درجة بل جعلنا هذا غنيا وهذا فقيرا وهذا مالكا وهذا مملوكا ليتخذ بعضهم بعضا سخريا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال قال الله تبارك وتعالى أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا فتلقاه ضعيف الحيلة عيي اللسان وهو مبسوط له في الرزق وتلقاه شديد الحيلة سليط اللسان وهو مقتور عليه قال الله جل ثناؤه نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا كما قسم بينهم صورهم وأخلاقهم تبارك ربنا وتعالى وقوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يقول ليستسخر هذا هذا في خدمته إياه وفي عود هذا على هذا بما في يديه من فضل يقول جعل تعالى ذكره بعضا لبعض سببا في المعاش في الدنيا وقد اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا فقال بعضهم معناه ما قلنا فيه ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال يستخدم بعضهم بعضا في السخرة حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا قال هم بنو آدم جميعا قال وهذا عبد هذا ورفع هذا على هذا درجة فهو يسخره بالعمل يستعمله به كما يقال سخر فلان فلانا * وقال بعضهم بل عنى بذلك ليملك بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا عبيد بن سليمان عن الضحاك في قوله ليتخذ بعضهم بعضا سخريا يعني بذلك العبيد والخدم سخرهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ملكة وقوله ورحمة ربك خير مما يجمعون يقول تعالى ذكره ورحمة ربك يا محمد بأدخالهم الجنة خير لهم مما يجمعون من الأموال في الدنيا * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ورحمة ربك خير مما يجمعون يعني الجنة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ورحمة ربك يقول الجنة خير مما يجمعون في الدنيا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ﴾ يقول تعالى ذكره ولولا أن يكون الناس أمة جماعة واحدة ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي لم يؤمن اجتماعهم عليه لو فعل ما قال جل ثناؤه وما به لم يفعله من أجله فقال بعضهم ذلك اجتماعهم على الكفر وقال معنى الكلام ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على الكفر فيصير جميعهم كفارا لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة يقول الله سبحانه لولا أن أجعل الناس كلهم كفارا لجعلت للكفار لبيوتهم سقفا من فضة حدثنا ابن بشار قال ثنا هوذة بن خليفة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة قال لولا أن يكون الناس كفارا أجمعون يميلون إلى الدنيا لجعل الله تبارك وتعالى الذي قال ثم قال والله لقد مالت الدنيا بأكثر أهلها وما فعل ذلك فكيف لو فعله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا

ابن جبير أراد أن المؤمنين يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن أدهم رضي الله عنه أنه قيل ما بالنا ندعو فلا نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه وقرأ والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا وحيث وعد الاستجابة للمؤمنين كان لسائل أن يقول انا نرى المؤمن في شدة وبلية وفقر ثم انه يدعو الله فلا يشاهد أثر الاجابة فلا جرم قال (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض) أي ظلم بعضهم بعضا وعصوا الله وهذه ليست بقضية كلية دائمة ولكنها أكثرية فان المال معين قوي على تحصيل المطالب ودفع ما لا يلائم النفس واذا كانت الآلة موجودة وداعية الشر في طبع الانسان مجبولة فقلما لا يقع مقتضاه في الخارج وأيضا ان أكثر الناس انما يخدم مثله ويتسخره طمعا في ماله أو جاهه التابع للمال غالبا فلو تساويا في المال استنكف كل منهما من الانقياد لصاحبه فارتفعت رابطة التعاون وانقطعت سلسلة التمدن وقيل ان الآية نزلت في العرب كانوا اذا أخصبوا اتجاروا وأغار بعضهم على بعض ولبعضهم شعر

قوم اذا نبت الربيع بأرضهم
نبتت عداوتهم مع البقل

وقال محمد بن جرير نزلت في أصحاب الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى وقوله (بقدر) أي على قدر المصلحة ووفق حال الشخص كقوله وما ننزله الا بقدر معلوم وحين بين أن حكمته اقتضت عدم توسيع الرزق على كل الخلق أراد أن يبين أنه لا يترك ما يحتاجون اليه وان بلغ أمرهم الى حد اليأس والقنوط فقال (وهو

سعيد عن قتادة قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة أى كفارا كلهم حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ولولا أن يكون الناس أمة واحدة قال لولا أن يكون الناس كفارا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة يقول كفارا على دين واحد * وقال آخرون اجتماعهم على طلب الدنيا وترك طلب الآخرة وقال معنى الكلام ولولا أن يكون الناس أمة واحدة على طلب الدنيا ورفض الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولولا أن يكون الناس أمة واحدة قال لولا أن يختار الناس دنياهم على دينهم لجعلنا هذا لأهل الكفر وقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة يقول تعالى ذكره لجعلنا لمن يكفر بالرحمن فى الدنيا سقفا يعنى أعالى بيوتهم وهى السطوح فضة كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لبيوتهم سقفا من فضة السقف أعلى البيوت واختلف أهل العربية فى تكرير اللام التى فى قوله لمن يكفر وفى قوله لبيوتهم فكان بعض نحويى البصرة يزعم أنها أدخلت فى البيوت على البدل وكان بعض نحويى الكوفة يقول ان شئت جعلتها فى لبيوتهم مكررة كما فى يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه وان شئت جعلت اللامين مختلفتين كأن الثانية فى معنى على كأنه قال جعلنا لهم على بيوتهم سقفا قال وتقول العرب للرجل فى وجهه جعلت لك لقومك الأعطية أى جعلته من أجلك لهم واختلفت القراء فى قراءة قوله سقفا فقرأته عامة قراء أهل مكة وبعض المدنيين وعامة البصريين سقفا بفتح السين وسكون القاف اعتبارا منهم ذلك بقوله نخر عليهم السقف من فوقهم وتوجيها منهم ذلك الى أنه بلفظ واحد معناه الجمع وقرأه بعض قراء المدينة وعامة قراء الكوفة سقفا بضم السين والقاف ووجهوها الى أنها جمع سقيفة أو سقوف واذا وجهت الى أنها جمع سقوف كانت جمع الجمع لان السقوف جمع سقف ثم تجمع السقوف سقفا فيكون ذلك نظير قراءة من قرأه فرهن مقبوضة بضم الراء والهاء وهى الجمع واحدها رهان ورهون وواحد الرهون والرهان رهن وكذلك قراءة من قرأ كلوا من ثمره بضم وكذلك قراءة من قرأ كلوا من ثمره بضم الثاء والميم ونظير قول الراجز * حتى اذا بلت حلاقيم الحلق * وقد زعم بعضهم أن السقف بضم السين والقاف جمع سقف والرهن بضم الراء والهاء جمع رهن فأغفل وجه الصواب فى ذلك وذلك أنه غير موجود فى كلام العرب اسم على تقدير فعل بفتح الفاء وسكون العين مجموعا على فعل فيجعل السقف والرهن مثله * والصواب من القول فى ذلك عندى أنهما قراءتان متقاربتا المعنى معروفتان فى قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله ومعارج عليها يظهرون يقول ومراقى ودرجا عليها يصعدون فيظهرون على السقف والمعارج هى الدرج نفسها كما قال المثنى بن جندل * يارب قرب البيت ذى المعارج * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ومعارج قال معارج من فضة وهى درج حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومعارج عليها يظهرون أى درجا عليها يصعدون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ومعارج عليها يظهرون قال المعارج المراقى حدثنا محمد قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ومعارج عليها يظهرون قال درج عليها يرفعون حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ومعارج عليها يظهرون قال درج عليها يصعدون الى الغرف

حدثنى

الذى ينزل الغيث) الآية ونشر الرحمة عموم المطر الارض أو هى عامة فى كل رحمة سوى المطر (وهو الولى) الذى يتولى أمور عباده (الحميد) على كل ما يفعله ولا ريب أن هذه من جملة دلائل القدرة فلذلك عطف عليها قوله (ومن آياته خلق السموات والارض) ومحل قوله (وما بث) اما مجرور عطفا على السموات أو مرفوع عطفا على خلق وانما قال (فيهما من دابة) مع أن الدواب فى الارض وحدها لان الشئ قد ينسب الى جميع المذكور وان كان متلبسا ببعضه كما يقال بنو فلان فعلوا كذا ولعله قد فعله واحد منهم فقط ويجوز أن يكون للملائكة مع الطيران مشى فيتصفوا بالدبيب كالانسان أو يكون فى السموات أنواع أخر من الخلائق يدبون كما يدب الحيوان فى الارض (وهو على جمعهم) أى احيائهم بعد الموت (اذا يشاء قدير) واذا يدخل على الماضى ومعنى الاستقبال فى يشاء يعود الى تعلق المشيئة لا الى نفس المشيئة القديمة ثم بين حال المكلفين وأن ما يصيبهم من ألم ومكروه وبلاء فهو عقوبة للعاصى التى اكتسبوها وأن الله يعفو عن كثير من الذنوب أو الناس فلا يعاجلهم بالعقوبة رحمة أو استدراجا قال الحسن أراد اقامة الحدود على المعاصى وأنه لم يجعل لبعض الذنوب حدا وقيل ان هذا فى يوم القيامة فان الدنيا دار تكليف لا دار جزاء ولقائل أن يقول كون الجزاء الأوفى على الاثم مخصوصا بالقيامة لا ينافى وصول بعض الجزاء الى المكلف فى الدنيا ولهذا قال على رضى الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين فى كتاب الله

حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومعارج عليها يظهرون قال المعارج درج من فضة ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين﴾ يقول تعالى ذكره وجعلنا لبيوتهم أبوابا من فضة وسررا من فضة كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وسررا قال سرر فضة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكؤن قال الابواب من فضة والسرر من فضة عليها يتكؤن يقول على السرر يتكؤن وقوله وزخرفا يقول ولجعلنا لهم مع ذلك زخرفا وهو الذهب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وزخرفا وهو الذهب حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وزخرفا قال الذهب وقال الحسن بيت من زخرف قال ذهب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وزخرفا والزخرف الذهب قال قد والله كانت تكره ثياب الشهرة وذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اياكم والحمرة فانها من أحب الزينة الى الشيطان حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وزخرفا قال الذهب حدثنا (١) أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وزخرفا قال الذهب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وزخرفا لجعلنا هذا الأهل الكفر يعنى لبيوتهم سقفا من فضة وماذكر معها قال والزخرف سمى هذا الذى سمى السقف والمعارج والابواب والسرر من الاثاث والفرش والمتاع حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وزخرفا يقول ذهبا والزخرف على قول ابن زيد هذا هو ما تتخذه الناس فى منازلهم من الفرش والامتعة والآلات وفى نصب الزخرف وجهان أحدهما أن يكون معناه لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومن زخرف فلما لم يكرر عليه من نصب على اعمال الفعل فيه ذلك والمعنى فيه فكأنه قيل وزخرفا يجعل ذلك لهم منه والوجه الثانى أن يكون معطوفا على السرر فيكون معناه لجعلنا لهم هذه الاشياء من فضة وجعلنا لهم مع ذلك ذهبا يكون لهم غنى يستغنون بها ولو كان التنزيل جاء بخفض الزخرف لكان لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومن زخرف فكان الزخرف يكون معطوفا على الفضة وأما المعارج فانها جمعت على مفاعل وواحدها معراج على جمع معرج كما يجمع المفتاح مفاتح على جمع مفتح لانهما لغتان معرج ومفتح ولو جمع معاريج كان صوابا كما يجمع المفتاح مفاتيح اذ كان واحده معراج وقوله وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا يقول تعالى ذكره وما كل هذه الاشياء التى ذكرت من السقف من الفضة والمعارج والابواب والسرر من الفضة والزخرف إلا امتاع يستمتع به أهل الدنيا فى الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين يقول تعالى ذكره وزين الدار الآخرة وبها ؤها عند ربك للمتقين الذين اتقوا الله فخافوا عقابه فجدوا فى طاعته وحذروا معاصيه خاصة دون غيرهم من خلق الله كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والآخرة عند ربك للمتقين خصوصا ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾ يقول تعالى ذكره ومن يعرض عن ذكر الله فلم يخف سطوته ولم يخش عقابه نقيض له شيطانا فهو له قرين يقول نجعل له شيطانا يغويه فهو له قرين يقول فهو للشيطان قرين أى يصير كذلك وأصل العشو النظر بغير ثبت لعلة

وذلك أنه تعالى قسم ذنوب المؤمنين صنفين صنف يكفره عنهم بالمصائب وصنف يعفو عنه وهو كريم لا يرجع فى عفوه نعم لو عكست القضية وقيل ما كسبت أيديكم فانه يصيبكم به ألم وعذاب فى الدنيا لكان هذا منافيا لكون الجزاء فى الآخرة ولحصول العفو أيضا روى عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقال ما عفا الله عنه فهو أعز وأكرم من أن يعود اليه فى الآخرة وما عاقب عليه فى الدنيا فالله أكرم من أن يعيد عليه العذاب فى الآخرة قال أهل التناسخ لولا أن الأطفال والبهائم لهم حالة كانوا عليها قبل هذه الحالة ما كانوا ليتألموا فانهم لا ذنوب لهم الآن وأجيب بالتزام أنهم لا يتألمون من المصائب والآلام وفيه بعد وبأن الخطاب فى الآية لذوى العقول البالغين وبأنها فى البالغين عقوبة أو زيادة درجة وفى الاطفال مثوبة لهم أو لوالديهم ثم خاطب المشركين بقوله (وما أنتم بمعجزين) الآية ثم ذكر دليلا آخر قائلا (ومن آياته الجوارى) أى السفن الجوارى (فى البحر كالأعلام) أى كالجبال فى العظم ولا شك أن جريانها بواسطة هبوب الرياح فلذلك قال (ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره) أى فيصرن واقفة على ظهر ماء البحر (ان فى ذلك لآيات لكل صبار) على البلاء (شكور) على الآلاء أو صبار فى السفينة شكور اذا خرج منها (أو) ان يشأ (يوبقهن) أى يهلك السفينة بما فيها بالغرق أو الكسر لعصوف الريح وغيره (بما كسبوا) من كفران نعم الله وعصيانه

(١) يظهر أن هذا مكرر فليحرر كتبه مصححه

(و يعف عن كثير) من الذنوب فلا يجازى عليها فى الدنيا ولا فى الآخرة والحاصل أنه ان يشأ يسكن الريح فتبقى الجوارى واقفة على متن البحر أو ان يشأ يهلك ناسا و ينج ناسا على طريق العفو عنهم من رفع (و يعلم) فعلى الاستئناف ومن نصب فللعطف على تعليل محذوف أى لينتقم منهم و يعلم قاله فى الكشاف وقال الكوفيون ومنهم الزجاج النصب باضمار أن لأن قبلها جزاء تقول ما تصنع أصنع وأكرمك ووجهه أن هذا فى تأويل المصدر معطوف على مصدر أصنع مقدرا ثم استأنف قوله (ما لهم من محيص) أى لا مهرب للمجادلين عن عقابه ثم رغب المكلفين عن الدنيا وفى الدنيا وفى الآخرة وقدم نظيره فى القصص الا أنه ذكر ههنا أن هذه الخيرية تحصل للموصوفين بصفات احداها الايمان والثانية التوكل على الرب والثالثة الاجتناب عن الكبائر والفواحش كقوله ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم ربى الفواحش ومن قرأ كبير على التوحيد فللجنس وفسره ابن عباس بالشرك الرابعة الغفران عند الغضب وهم تأكيد للضمير أو مبتدأ ما بعده خبره قال بعض العلماء يحتمل ان يراد بالكبائر ما يتعلق بالبدع والعقائد الفاسدة وهى من فساد القوة العقلية و بالفواحش فساد القوة الشهوية و بالأخيرة ما يتعلق بالقوة الغضبية قال المفسرون نزل قوله (والذين استجابوا لربهم) فى الانصار دعاهم الله و رسوله الى التوحيد فأطاعوا و رضوا بقضائه وواظبوا على الصلوات الخمس وكانوا قبل

فى العين يقال منه عشا فلان يعشو عشوا وعشوا اذا ضعف بصره وأظلمت عينه كأن عليه غشاوة كما قال الشاعر

متى تأته تعشو الى ضوء ناره * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

يعنى متى تفتقر فتأته يعنك وأما اذا ذهب البصر ولم يبصر فانه يقال فيه عشى فلان يعشى عشى منقوص ومنه قول الاعشى

رأت رجلا غائب الوافدين * ن مختلف الخلق أعشى ضريرا

يقال منه رجل أعشى وامرأة عشواء وانما معنى الكلام ومن لا ينظر فى حجج الله بالاعراض منه عنه الانظر اضعيفا كنظر من قد عشى بصره نقيض له شيطانا * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا يقول اذا أعرض عن ذكر الله نقيض له شيطانا فهو له قرين حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن قال يعرض وقد تأوله بعضهم بمعنى ومن يعم ومن تأول ذلك كذلك فيجب أن تكون قراءته ومن يعش بفتح الشين على ما بينت قبل ذكر من تأوله كذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن قال من يعم عن ذكر الرحمن وقوله وانهم ليصدونهم عن السبيل يقول تعالى ذكره وان الشياطين ليصدون هؤلاء الذين يعشون عن ذكر الله عن سبيل الحق فيزينون لهم الضلالة و يكرهون اليهم الايمان بالله والعمل بطاعته و يحسبون أنهم مهتدون يقول و يظن المشركون بالله بتحسين الشياطين لهم ما هم عليه من الضلالة أنهم على الحق والصواب يخبر تعالى ذكره عنهم أنهم من الذى هم عليه من الشرك على شك وعلى غير بصيرة وقال جل ثناؤه وانهم ليصدونهم عن السبيل فأخرج ذكرهم مخرج ذكر الجميع وانما ذكر قبل واحدا فقال نقيض له شيطانا لأن الشيطان وان كان لفظه واحدا ففى معنى جمع ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حتى اذا جاءنا قال ياليت بينى و بينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون﴾ اختلفت القراء فى قراءة قوله حتى اذا جاءنا فقرأته عامة قراء الحجاز سوى ابن محيصن و بعض الكوفيين و بعض الشاميين حتى اذا جآ نا على التثنية بمعنى حتى اذا جاءنا هذا الذى عشى عن ذكر الرحمن وقرينه الذى قيض له من الشياطين وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة وابن محيصن حتى اذا جاءنا على التوحيد بمعنى حتى اذا جاءنا هذا العاشى من بنى آدم عن ذكر الرحمن * والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان متقاربتا المعنى وذلك أن فى خبر الله تبارك وتعالى عن حال أحد الفريقين عند مقدمه عليه فيما أقر نا فيه فى الدنيا الكفاية للسامع عن خبر الآخر اذ كان الخبر عن حال أحدهما معلوما به خبر حال الآخر وهما مع ذلك قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب * و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا جآ نا هو وقرينه جميعا وقوله ياليت بينى و بينك بعد المشرقين يقول تعالى ذكره قال أحد هذين القرينين لصاحبه الآخر وددت أن بينى و بينك بعد المشرقين أى بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما قيل شبه القمرين وكما قال الشاعر

أخذنا بآفاق السماء عليكم * لنا قمراها والنجوم الطوالع

وكما قال الآخر

وبصرة الأزد منا والعراق لنا * والموصلان ومنا مصر والحرم

يعني الموصل والجزيرة فقال الموصلان فغلب الموصل وقد قيل عنى بقوله بعد المشرقين مشرق الشتاء ومشرق الصيف وذلك أن الشمس تطلع في الشتاء من مشرق وفي الصيف من مشرق غيره وكذلك المغرب تغرب في مغربين مختلفين كما قال جل ثناؤه رب المشرقين ورب المغربين وذكر أن هذا قول أحدهما لصاحبه عند لزوم كل واحد منهما صاحبه حتى يورده جهنم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن سعيد الجريري قال بلغني أن الكافر إذا بعث يوم القيامة من قبره سفع بيده الشيطان فلم يفارقه حتى يصيرهما الله إلى النار فذلك حين يقول يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين وأما المؤمن فيوكل به ملك فهو معه حتى قال إما يفصل بين الناس أو نصير إلى ما شاء الله وقوله ولن ينفعكم اليوم أيها العاشون عن ذكر الله في الدنيا إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون يقول لن يخفف عنكم اليوم من عذاب الله اشتراككم فيه لأن لكل واحد منكم نصيبه منه وأن من قوله أنكم في موضع رفع لما ذكرت أن معناه لن ينفعكم اشتراككم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أفأنت تسمع الصم من قد سلبه الله استماع حججه التي احتج بها في هذا الكتاب فأصمه عنه أو تهدي إلى طريق الهدى من أعمى الله قلبه عن إبصاره واستحوذ عليه الشيطان فزين له الردى ومن كان في ضلال مبين يقول أو تهدي من كان في جور عن قصد السبيل سالك غير سبيل الحق قد أبان ضلاله أنه عن الحق زائل وعن قصد السبيل جائر يقول جل ثناؤه ليس ذلك إليك إنما ذلك إلى الله الذي بيده صرف قلوب خلقه كيف شاء وإنما أنت منذر فبلغهم النذارة وقوله فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون اختلف أهل التأويل في المعنيين بهذا الوعيد فقال بعضهم عنى به أهل الإسلام من أمة نبينا عليه الصلاة والسلام ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله العنبري قال ثني أبي عن أبي الأشهب عن الحسن في قوله فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون قال لقد كانت بعد نبي الله نقمة شديدة فأكرم الله جل ثناؤه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يريه في أمته ما كان من النقمة بعده حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون فذهب الله بنبيه صلى الله عليه وسلم ولم ير في أمته إلا الذي تقر به عينه وأبقى الله النقمة بعده وليس من نبي إلا وقد رأى في أمته العقوبة أو قال ما لا يشتهي ذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى الذي لقيت أمته بعده فما زال منقبضا ما انبسط ضاحكا حتى لقي الله تبارك وتعالى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر قال تلا قتادة فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون فقال ذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقيت النقمة ولم ير الله نبيه صلى الله عليه وسلم في أمته شيئا يكرهه حتى مضى ولم يكن نبي قط إلا رأى العقوبة في أمته إلا نبيكم صلى الله عليه وسلم قال وذكر لنا أن النبي صلى الله عليه وسلم أرى ما يصيب أمته بعده فما رؤي ضاحكا منبسطا حتى قبضه الله * وقال آخرون بل عنى به أهل الشرك من قريش وقالوا قد أرى الله نبيه عليه الصلاة والسلام فيهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في قوله فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون كما انتقمنا من الأمم الماضية أو نرينك الذي وعدناهم فقد أراه الله ذلك وأظهره عليه وهذا القول الثاني

الإسلام متشاورين في كل أمر دهمهم غير منفردين برأي والشورى مصدر كالفتيا والمضاف محذوف أي ذو التشاور وليس بين قوله هم ينتصرون أي ينتقمون وبين قوله يغفرون منافاة فان هذه أخص من الاولى اذ البغي هو الذي يؤدي الى الفساد ولا يصير عفوه سببا للتسكين ثائرة الفتنة ولرجوع الجاني عن جنايته ويجوز أن يتوجه المدح في الانتصار الى كون المظلوم بحيث يراعي حد الشرع ولا يتجاوزه حتى لو زاد عليه لم يكن منتصرا ولا يستحق المدح فهذه خمس صفات أخرى للراغبين في الدار الآخرة ثم بين أن شرعة الانتصار مشروطة برعاية المماثلة فقال (وجزاء سيئة سيئة مثلها) حتى لو قال اخزاه الله لا يزيد في الجواب عليه شيأ وسمى الثانية سيئة ازدواجا للكلام أولأن السيئة هي التي يكرهها الانسان طبعا كالقصاص والقطع وسائر الحدود وقد لا يمكن رعاية المماثلة كما في قتل الانفس بنفس واحدة أو كقطع الايدي بواحدة اذا تعاونوا على قطعها وتعديد ذلك في الفقه وانما عرف ذلك بنص آخر أو بقياس جلي ثم حث مع ذلك على العفو والصبر قائلا (فمن عفى وأصلح) ما بينه وبين خصمه بالاغضاء والعفو (فأجره على الله) فان الانتصار حسن في نفسه ولا سيما اذا كان فيه مصلحة دينية كزجر وارتداع الا أن العفو أحسن لانه لا يكاد يؤمن في الانتصار التجاوز عن حد الاعتدال ولهذا حذر منه بقوله (انه لا يحب الظالمين) روي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من كان له أجر

على الله فليقم فيقوم خلق فيقال لهم ما اجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله ثم كرر أن الانتصار لا يؤاخذ به ولا سبيل للوم اليه لئلا يظن ان وعد الأجر على العفو يقتضي قبح الانتصار في نفسه فقال (وان انتصر) الآية وقوله (بعد ظلمه) من اضافة المصدر الى المفعول والباقي واضح الى قوله الامور وانما أدخل اللام في الخبر خلاف ما في لقمان لأن الصبر على المكروه الذي هو ظلم أشد من الصبر على الذي ليس بظلم وتكرير الحث على الصبر لمزيد التأكيد أيضا ثم ذكر أن الاضلال والهداية التي هي نقيضه انما تتعلق بمشيئته والمعتزلة يتأولون الاضلال بالخذلان أو بالاضلال عن طريق الجنة ثم حكى أن الكفار عند معاينة عذاب النار يتمنون الرجعة الى الدنيا ثم عقبه بذكر حالهم حين يعرضون على النار الخشوع بمعنى الهوان ولهذا علق بقوله من الذل وقد يعلق بينظرون أي لهذا السبب يبتدئ نظرهم من تحريك أجفانهم وهو ضعيف فان الناظر الى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها وقد يفسر الطرف الخفي بمعنى البصيرة بناء على أن الكفار يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم والاكثرون أجابوا عنه فقالوا العلهم يكونون في الابتداء هكذا ثم يجعلون عميا أو لعل هذا في قوم وذاك في قوم ثم حكى قول المؤمنين فيهم و (يوم القيامة) ظرف لخسروا كما في الزمر فيحتمل أن يكون قول المؤمنين فيه أو في الدنيا وجوز في الكشاف أن يكون ظرفا

أولى التأويلين في ذلك بالصواب وذلك أن ذلك في سياق خبر الله عن المشركين فلأن يكون ذلك تهديدا لهم أولى من أن يكون وعيدا لمن لم يجر له ذكر فمعنى الكلام اذ كان ذلك كذلك فان تذهب بك يا محمد من بين أظهر هؤلاء المشركين فنخرجك من بينهم فانا منهم منتقمون كما فعلنا ذلك بغيرهم من الامم المكذبة رسلها أو نرينك الذي وعدناهم يا محمد من الظفر بهم واعلائك عليهم فانا عليهم مقتدرون أن نظهرك عليهم ونخزيهم بيدك وأيدي المؤمنين بك ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فتمسك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه اليك ربك انك على صراط مستقيم ومنهاج سديد وذلك هو دين الله الذي أمر به وهو الاسلام كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم أي الاسلام حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فاستمسك بالذي أوحي اليك بالقرآن انك على صراط مستقيم وقوله وانه لذكر لك ولقومك يقول تعالى ذكره وان هذا القرآن الذي أوحي اليك يا محمد الذي أمرناك أن تستمسك به لشرف لك ولقومك من قريش وسوف تسئلون يقول وسوف يسألك ربك واياهم عما عملتم فيه وهل عملتم بما أمركم ربكم فيه وانتهيتم عما نهاكم عنه فيه * وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية عن علي عن ابن عباس قوله وانه لذكر لك ولقومك يقول ان القرآن شرف لك حدثني عمرو ابن مالك قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وانه لذكر لك ولقومك قال يقال للرجل من أنت فيقول من العرب فيقال من أي العرب فيقول من قريش حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانه لذكر لك ولقومك وهو هذا القرآن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي وانه لذكر لك ولقومك قال شرف لك ولقومك يعني القرآن حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وانه لذكر لك ولقومك قال أولم تكن النبوة والقرآن الذي أنزل على نبيه صلى الله عليه وسلم ذكرا له ولقومه ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾

اختلف اهل التأويل في معنى قوله واسأل من ارسلنا من قبلك من رسلنا ومن الذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسألتهم ذلك فقال بعضهم الذين أمر بمسألتهم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنو أهل الكتابين التوراة والانجيل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الأعلى بن واصل قال ثنا يحيى بن آدم عن ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال في قراءة عبد الله بن مسعود واسأل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا انها قراءة عبد الله سل الذين أرسلنا اليهم قبلك رسلنا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا يقول سل أهل التوراة والانجيل هل جاءتهم الرسل الا بالتوحيد أن يوحدوا الله وحده قال وفي بعض القراءة واسأل الذين أرسلنا اليهم رسلنا قبلك أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في بعض الحروف واسأل الذين أرسلنا اليهم قبلك من رسلنا سل أهل الكتاب أما كانت الرسل تأتيهم بالتوحيد أما كانت تأتي بالاخلاص حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله

واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا فى قراءة ابن مسعود سل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك يعنى مؤمنى أهل الكتاب * وقال آخرون بل الذين أمر بمسئلتهم ذلك الانبياء الذين جمعوا له ليلة أسرى به ببيت المقدس ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واسئل من أرسلنا من قبلك الآية قال جمعوا له ليلة أسرى به ببيت المقدس فأمهم وصلى بهم فقال الله له سلهم قال فكان أشد ايمانا ويقينا بالله وبما جاءه من الله من أن يسألهم وقرأ فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك قال فلم يكن فى شك ولم يسأل الانبياء ولا الذين يقرؤن الكتاب قال ونادى جبرائيل صلى الله عليه وسلم فقلت فى نفسى الآن يؤمنا أبونا ابراهيم قال فدفع جبرائيل فى ظهرى قال تقدم يا محمد فصل وقرأ سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام حتى بلغ لنريه من آياتنا * وأولى القولين بالصواب فى تأويل ذلك قول من قال عنى به سل مؤمنى أهل الكتابين فان قال قائل وكيف يجوز أن يقال سل الرسل فيكون معناه سل المؤمنين بهم وبكتابهم قيل جاز ذلك من أجل أن المؤمنين بهم وبكتبهم أهل بلاغ عنهم ما أتوهم به عن ربهم فالخبر عنهم وعما جاؤا به من ربهم اذا صح بمعنى خبرهم والمسئلة عما جاؤا به بمعنى مسألتهم اذا كان المسؤل من أهل العلم بهم والصدق عليهم وذلك نظير أمر الله جل ثناؤه ايانا برد ما تنازعنا فيه الى الله والى الرسول يقول فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والى الرسول ومعلوم أن معنى ذلك فردوه الى كتاب الله وسنة رسوله لأن الرد الى ذلك رد الى الله والرسول وكذلك قوله واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا انما معناه فاسأل كتب الذين أرسلنا من قبلك من الرسل فانك تعلم صحة ذلك من قبلها فاستغنى بذكر الرسل من ذكر الكتب اذ كان معلوما ما معناه وقوله أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون يقول أمرناهم بعبادة الآلهة من دون الله فيما جاؤهم به أو أتوهم بالامر بذلك من عندنا * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون أتتهم الرسل يأمرونهم بعبادة الآلهة من دون الله وقيل آلهة يعبدون فأخرج الخبر عن الآلهة مخرج الخبر عن ذكور بنى آدم ولم يقل تعبد ولا يعبدن فتؤنث وهى حجارة أو بعض الجماد كما يفعل فى الخبر عن بعض الجماد وانما فعل ذلك كذلك اذ كانت تعبد وتعظم تعظيم الناس ملوكهم وسراتهم فأجرى الخبر عنها مجرى الخبر عن الملوك والاشراف من بنى آدم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد أرسلنا يا محمد موسى بحججنا الى فرعون وأشراف قومه كما أرسلناك الى هؤلاء المشركين من قومك فقال لهم موسى انى رسول رب العالمين كما قلت أنت لقومك من قريش انى رسول الله اليكم فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون يقول فلما جاء موسى فرعون وملأه بحججنا وأدلتنا على صدق قوله فيما يدعوهم اليه من توحيد الله والبراءة من عبادة الآلهة اذا فرعون وقومه مما جاءهم به موسى من الآيات والعبر يضحكون كما أن قومك مما جئتهم به من الآيات والعبر يسخرون وهذا تسلية من الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من مشركى قومه واعلام منه له أن قومه من أهل الشرك لن يعدوا أن يكونوا كسائر الامم الذين كانوا على منهاجهم فى الكفر بالله وتكذيب رسله وندب منه نبيه صلى الله عليه وسلم الى الاستنان فى الصبر عليهم بسنن أولى العزم من الرسل واخبار منه له أن عقبى مردتهم الى البوار والهلاك كسنته فى المتمردين عليه قبلهم واظفاره بهم واعلائه أمره كالذى فعل بموسى عليه

لقال والنكير الانكار اى مالكم من مخلص ولا من قدرة أن تنكروا شيأ مما دون فى صحائف أعمالكم أو مالكم من ينكر علينا حتى يغير شيأ من أحوالكم ثم سلى نبيه بقوله فان أعرضوا ثم ذكر سبب اصرارهم على عقائدهم الفاسدة وهو الضعف الذى جبل عليه الانسان من البطر عند الغنى والفراغ فى زمن الصحة والأمن فى زمن الكفران ونسيان نعم الله عند البلاء وانما جمع قوله وان تصبهم لأن الانسان جنس يشمل أهل الغفلة كلهم وقوله (فان الانسان) من وضع الظاهر موضع الضمير وفائدته التسجيل على أن هذا الجنس من شأنه ذلك الا اذا أدب النفس وراضها ثم بين كمال قدرته بقوله (لله ملك السموات والارض) الآية والمقصود أن الانسان لا يغتر بما يملكه من الجاه والمال ولا يعتقد أنه حصل بجده أو جده فيعجب به ويعرض عن طاعة ربه ثم ذكر من أقسام تصرفه فى ملكه أنه يخص البعض من الحيوان بالاولاد الاناث والبعض بالذكور والبعض بالصنفين والبعض يجعله عديم الولد وقدم ذكر الاناث تطييبا لقلوب آبائهن أو لأنهن مكروهات عند العرب فناسب أن يقرن اللفظ الدال عليهن باللفظ الدال على البلاء أو لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاء لا ما يشاء الانسان فكان ذكر الاناث التى هى من جملة ما لا يشاء الانسان أهم وفيه نقل الانسان من الغم الى الفرح ولا ريب أن هذا أولى من العكس وفيه أن الانسان اذا رضى بالانثى فاذا أعطاه الذكر علم

أنه فضل من الله وفيه أن العجز كلما كان أتم كانت عناية الله به أوفر ثم أراد أن يتدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم فعرف الذكور لانه مع رعاية الفاصلة تنويه وتشهير كما قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام ثم قال (أو يزوجهم ذكرانا وإناثا) فأعطى كلا الجنسين حقه ونصبهما على الحال والضمير للاولاد أو على المفعولية والضمير لمن يشاء أى يجمع لهم كلا الصنفين سواء كانا متساويين فى العدد أم لا وقيل معناه أن تلد أولا غلاما ثم جارية ثم غلاما ثم جارية وهكذا قاله مجاهد وقيل أن تلد ذكرا وأنثى فى بطن واحد قاله ابن الحنفية وعن ابن عباس أن الآية نزلت فى الانبياء وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم عليه السلام ذكورا ولمحمد صلى الله عليه وسلم ذكورا وهم القاسم والطاهر وعبدالله وابراهيم واناثا هن فاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم وجعل يحيى وعيسى عقيما والحق أن هذا التقسيم وان كان مطابقا لحال هؤلاء الانبياء الا أن فى التخصيص ضيق عطن وان صحت الرواية عن ابن عباس فالعبرة بعموم اللفظ والمعنى لا بخصوص السبب وحمل بعض أهل التأويل الاناث على أمور الدنيا والذكور على أمور الآخرة وترويح الصنفين على الجامع بين الامرين والعقيم على من لا دين له ولا دنيا ثم أكد كمال القدرة بقوله (وما كان لبشر) أى وما صح لأحد (أن يكلمه الله الا) على أحد ثلاثة أنحاء الاول الوحى وهو الالهام أو المنام كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم عليه السلام

السلام وقومه الذين آمنوا به من اظهارهم على فرعون وملئه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون ﴾ يقول تعالى ذكره وما نرى فرعون وملأه آية يعنى حجة لنا عليه بحقيقة ما يدعوه اليه رسولنا موسى إلا هى أكبر من أختها يقول الا التى نريه من ذلك أعظم فى الحجة عليهم وأوكد من التى مضت قبلها من الآيات وأدل على صحة ما يأمره به موسى من توحيد الله وقوله وأخذناهم بالعذاب يقول وأنزلنا بهم العذاب وذلك كأخذه تعالى ذكره اياهم بالسنين ونقص من الثمرات وبالجراد والقمل والضفادع والدم وقوله لعلهم يرجعون يقول ليرجعوا عن كفرهم بالله الى توحيده وطاعته والتوبة مما هم عليه مقيمون من معاصيهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون أى يتوبون أو يذكرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك انا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال فرعون وملؤه لموسى يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك وعنوا بقولهم بما عهد عندك بعهده الذى عهد اليك أنا ان آمنا بك واتبعناك كشف عنا الرجز كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل بما عهد عندك قال لئن آمنا ليكشفن عنا العذاب ان قال لنا قائل وما وجه قيلهم يا أيها الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك وكيف سموه ساحرا وهم يسألونه أن يدعو لهم ربه ليكشف عنهم العذاب قيل ان الساحر كان عندهم معناه العالم ولم يكن السحر عندهم ذما وانما دعوه بهذا الاسم لان معناه عندهم كان يا أيها العالم وقوله انا لمهتدون يقول قالوا انا لمتبعوك فمصدقوك فيما جئتنا به وموحدو الله فمبصرو سبيل الرشاد * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الساحر ادع لنا ربك انا لمهتدون قال قالوا يا موسى ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك وقوله فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون يقول تعالى ذكره فلما رفعنا عنهم العذاب الذى أنزلنا بهم الذى وعدوا أنهم ان كشف عنهم اهتدوا لسبيل الحق اذا هم بعد كشفنا ذلك عنهم ينكثون العهد الذى عاهدونا يقول يغدرون ويصرون على ضلالهم ويتمادون فى غيهم * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذا هم ينكثون أى يغدرون ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ونادى فرعون فى قومه قال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون ﴾ يقول تعالى ذكره ونادى فرعون فى قومه من القبط فقال يا قوم أليس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون يعنى بقوله من تحتى من بين يدى فى الجنان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وهذه الانهار تجرى من تحتى قال كانت لهم جنات وأنهار ماء وقوله أفلا تبصرون يقول أفلا تبصرون أيها القوم ما أنا فيه من النعيم والخير وما فيه موسى من الفقر وعىّ اللسان افتخر بملكه مصر عدو الله وما قد مكن له من الدنيا استدراجا من الله له وحسب أن الذى هو فيه من ذلك ناله ببيده وحوله وأن موسى انما لم يصل الى الذى يصفه فنسبه من أجل ذلك الى المهانة محتجا على جهلة قومه بأن موسى عليه السلام لو كان محقا فيما يأتى به من الآيات والعبر ولم يكن ذلك سحرا لأكسب نفسه من الملك والنعمة مثل الذى هو فيه من ذلك جهلا بالله واغترارا منه باملائه اياه ۞ القول

في تأويل قوله تعالى ﴿أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين﴾ فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل فرعون لقومه بعد احتجاجه عليهم بملكه وسلطانه وبيان لسانه وتمام خلقه وفضل ما بينه وبين موسى بالصفات التي وصف بها نفسه وموسى أنا خير أيها القوم وصفتي هذه الصفة التي وصفت لكم أم هذا الذي هو مهين لا شيء له من الملك والأموال مع العلة التي في جسده والآفة التي بلسانه فلا يكاد من أجلها يبين كلامه وقد اختلف في معنى قوله أم في هذا الموضع فقال بعضهم معناه بل أنا خير وقالوا إذا خبرا استفهام ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قوله أم أنا خير من هذا الذي هو مهين قال بل أنا خير من هذا * وبنحو ذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة وقال بعض نحويي الكوفة هو من الاستفهام الذي جعل أم لاتصاله بكلام قبله قال وإن شئت رددته على قوله أليس لي ملك مصر وإذا وجه الكلام إلى أنه استفهام وجب أن يكون في الكلام محذوف استغني بذكر ما ذكر مما ترك ذكره ويكون معنى الكلام حينئذ أنا خير أيها القوم من هذا الذي هو مهين أم هو وذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ذلك أما أنا خير حدثت بذلك عن الفراء قال أخبرني بعض المشيخة أنه بلغه أن بعض القراء قرأ كذلك ولو كانت هذه القراءة قراءة مستفيضة في قرأة الأمصار لكانت صحيحة وكان معناها حسنا غير أنها خلاف ما عليه قراء الأمصار فلا أستجيز القراءة بها وعلى هذه القراءة لو صحت لا كلفة له في معناها ولا مؤنة * والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار وأولى التأويلات بالكلام إذا كان ذلك كذلك تأويل من جعل أم أنا خير من الاستفهام الذي جعل بأم لاتصاله بما قبله من الكلام ووجهه إلى أنه بمعنى أأنا خير من هذا الذي هو مهين أم هو ثم ترك ذكر أم هو لما في الكلام من الدليل عليه وعني بقوله من هذا الذي هو مهين من هذا الذي هو ضعيف لقلة ماله وأنه ليس له من الملك والسلطان ماله * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم أنا خير من هذا الذي هو مهين قال ضعيف حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي من هذا الذي هو مهين قال المهين الضعيف وقوله ولا يكاد يبين يقول ولا يكاد يبين الكلام من عي لسانه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يكاد يبين أي عيي اللسان حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ولا يكاد يبين الكلام وقوله فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب يقول فهلا ألقي على موسى ان كان صادقا أنه رسول رب العالمين أسورة من ذهب وهو جمع سوار وهو القلب الذي يجعل في اليد * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أسورة من ذهب يقول أقلبة من ذهب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أسورة من ذهب أي أقلبة من ذهب واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب وذكر عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه أسورة من ذهب وأولى القراءتين في ذلك بالصواب عندي ما عليه قرأة الأمصار وان كانت الأخرى صحيحة المعنى واختلف أهل العربية في واحد الأساورة والأسورة فقال بعض نحويي البصرة الأسورة جمع إسوار قال والأساورة جمع الأسورة وقال ومن قرأ ذلك أساورة فانه أراد أساوير والله أعلم فجعل الهاء عوضا

في ذبح ولده وعن مجاهد أن داود عليه السلام ألهمه الزبور فكتبه حفظا الثاني التكليم بلا واسطة ولكن من وراء حجاب والحجة استدلوا به على أنه تعالى في جهة فان الاحتجاب لا يصح الا من ذي جهة ومكان وأجيب بأن هذا مثل لأنه اذا سمع الصوت ولا يرى الشخص كان بمنزلة ما يسمع من وراء حجاب كما كلم موسى ويكلم الملائكة وقيل حجاب عن ادراك ذلك الكلام لا المتكلم وقيل حجاب لموضع الكلام الثالث أن يرسل رسولا كجبرئيل فيوحي الملك باذن الله الى النبي ما يشاؤه الله والأقسام الثلاثة كلها من قبيل الوحي ولكنه سبحانه جعل الوحي في الآية خاصا بالاول وتقدير الكلام وما صح أن يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا أو الا موحيا أو اسماعا أو ارسالا أو الا أن يوحي أو يسمع أو يرسل ومن قرأ بالرفع فعلى الاستئناف بمعنى أو هو يرسل أو على الحال بمعنى مرسلا عطفا على وحيا بمعنى موحيا وقيل الوحي هو الوحي الى الرسل بواسطة الملائكة وارسال الرسل ارسال الانبياء الى الامم فان الصحيح عند أهل الحق أن الشيطان لا يقدر على القاء الباطل في أثناء الوحي وقد يقال ان توجيه التكليف الى العبد لا يتم الا بثلاث مراتب من المعجزات وذلك أن التسلسل محال فلا بد من سماع الملك كلام الله بلا واسطة فالملك يحتاج الى معجزة تدل على أن ذلك الكلام كلام الله واذا بلغ الملك ذلك الكلام الى النبي فلا بد للنبي من مشاهدة معجزة تدل على

من الياء مثل الزنادقة صارت الهاء فيها عوضا من الياء التي في زناديق وقال بعض نحويي الكوفة من قرأ أساورة جعل واحدها إسوار ومن قرأ أسورة جعل واحدها اسوار وقال قد تكون الاساورة جمع أسورة كما يقال في جمع الاسقية الاساقي وفي جمع الأكرع الأكارع وقال آخر منهم قد قيل في سوار اليد يجوز فيه أسوار و إسوار قال فيجوز على هذه اللغة أن يكون أساورة جمعه وحكى عن أبي عمرو بن العلاء أنه كان يقول واحد الاساورة إسوار قال وتصديقه في قراءة أبي بن كعب فلولا ألقي عليه أساورة من ذهب فان كان ما حكي من الرواية من أنه يجوز أن يقال في سوار اليد إسوار فلا مؤنة في جمعه أساورة ولست أعلم ذلك صحيحا عن العرب برواية عنها وذلك أن المعروف في كلامهم من معنى الاسوار الرجل الرامي الحاذق بالرمي من رجال العجم وأما الذي يلبس في اليد فان المعروف من أسمائه عندهم سوار فاذا كان ذلك كذلك فالذي هو أولى بالأساورة أن يكون جمع أسورة على ما قاله الذي ذكرنا قوله في ذلك وقوله أو جاء معه الملائكة مقترنين يقول أو هلا ان كان صادقا جاء معه الملائكة مقترنين قد اقترن بعضهم ببعض فتتابعوا يشهدون له بأنه لله رسول اليهم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم في العبارة على تأويله فقال بعضهم يمشون معا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الملائكة مقترنين قال يمشون معا * وقال آخرون متتابعين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أو جاء معه الملائكة مقترنين أي متتابعين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة مثله * وقال آخرون يقارن بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي أو جاء معه الملائكة مقترنين قال يقارن بعضهم بعضا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ﴾ يقول تعالى ذكره فاستخف فرعون خلقا من قومه من القبط بقوله الذي أخبر الله تبارك وتعالى عنه أنه قاله لهم فقبلوا ذلك منه فأطاعوه وكذبوا موسى قال الله وانما أطاعوا فاستجابوا لما دعاهم اليه عدو الله من تصديقه وتكذيب موسى لأنهم كانوا قوما عن طاعة الله خارجين بخذلانه اياهم وطبعه على قلوبهم يقول الله تبارك وتعالى فلما آسفونا يعني بقوله آسفونا أغضبونا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله فلما آسفونا يقول أسخطونا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس فلما آسفونا يقول لما أغضبونا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فلما آسفونا أغضبونا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فلما آسفونا قال أغضبوا ربهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فلما آسفونا قال أغضبونا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فلما آسفونا قال أغضبونا وهو على قول يعقوب يا أسفى على يوسف قال يا حزني على يوسف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلما آسفونا انتقمنا منهم قال أغضبونا وقوله انتقمنا منهم يقول انتقمنا منهم بعاجل العذاب الذي عجلناه لهم فأغرقناهم جميعا في البحر ﴿ القول في تأويل

قوله

صدقه واذا بلغ الرسول لأمته فالامر كذلك وهذا الثالث مشهور متفق عليه وأما الاولان فعلمهما يعرفان بنور الباطن ولا يفتقر الى المعجزة لا في أول الامر ولا كل مرة قال أهل التصديق ان الاقسام الثلاثة اجتمعت لنبينا صلى الله عليه وسلم لأنه في بدء الاسلام كان يرى الرؤيا الصادقة كفلق الصبح وسمع الكلام من وراء الحجاب ليلة المعراج وكان يأتيه جبرائيل الى آخر عمره فلهذا قال عز من قائل (وكذلك أوحينا اليك) ويحتمل أن يراد كما أوحينا الى سائر الانبياء أوحينا اليك يعني بالطريق الاكثري وهو القسم الثالث ومعنى (روحا من أمرنا) قرآنا من عندنا أو من عالم أمرنا كقوله يلقي الروح من أمره و(ما كنت تدري) في المهد أو قبل البلوغ أو قبل الوحي (ما الكتاب ولا الايمان) يعني ما يتعلق بكمال الايمان مما لا يكفي في معرفته مجرد العقل والنظر و يتوقف على النقل واذن الشرع وقيل أراد أهل الايمان يعني من الذي يؤمن ومن الذي لا يؤمن والضمير في جعلناه للقرآن أو الايمان أو لهما جميعا ووحد كقوله واذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا اليها وهداية الله خاصة وهداية النبي عامة وهي الدعوة وصراط الله دينه ومصيرا لكل اليه عبارة عن رجوعهم الى حيث لا حكم لأحد سواه والله أعلم

* (سورة الزخرف وهي مكية حروفها ثلاثة آلاف وأربعمائة كلمها ثمانمائة وثلاث وثلاثون آياتها تسع وثمانون آية) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿ حم والكتاب المبين انا جعلناه

قوله تعالى ﴿فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين﴾ ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون ﴿ج﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم ﴿فجعلناهم﴾ سلفا بضم السين واللام توجيها ذلك منهم الى جمع سليف من الناس وهو المتقدم أمام القوم وحكى الفراء أنه سمع القاسم ابن معن يذكر أنه سمع العرب تقول مضى سليف من الناس وقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وعاصم ﴿فجعلناهم﴾ سلفا بفتح السين واللام واذا قرئ كذلك احتمل أن يكون مرادا به الجماعة والواحد والذكر والانثى لانه يقال للقوم أنتم لنا سلف وقد يجمع فيقال هم أسلاف ومنه الخبر الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يذهب الصالحون أسلافا وكان حميد الأعرج يقرأ ذلك ﴿فجعلناهم﴾ سلفا بضم السين وفتح اللام توجيها منه ذلك الى جمع سلفة من الناس مثل أمة منهم وقطعة * وأولى القراآت في ذلك بالصواب قراءة من قرأه بفتح السين واللام لانها اللغة الجوداء والكلام المعروف عند العرب وأحق اللغات أن يقرأ بها كتاب الله من لغات العرب أفصحها وأشهرها فيهم فتأويل الكلام اذا فجعلناهؤلاء الذين أغرقناهم من قوم فرعون في البحر مقدمة يتقدمون الى النار كفار قومك يا محمد من قريش وكفار قومك لهم بالأثر * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ﴿فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين﴾ قال قوم فرعون كفارهم سلفا لكفار أمة محمد صلى الله عليه وسلم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ﴿فجعلناهم سلفا﴾ في النار **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر ﴿فجعلناهم سلفا﴾ قال سلفا الى النار وقوله ومثلا للآخرين يقول وعبرة وعظة يتعظ بهم من بعدهم من الأمم فينتهوا عن الكفر بالله وبمثل الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومثلا للآخرين قال عبرة لمن بعدهم **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة ومثلا للآخرين أي عظة للآخرين **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومثلا للآخرين أي عظة لمن بعدهم **حدثنا** محمد قال ثنا احمد قال ثنا أسباط عن السدي ﴿فجعلناهم سلفا﴾ ومثلا قال عبرة وقوله ولما ضرب ابن مريم مثلا يقول تعالى ذكره ولما شبه الله عيسى في احداثه وانشائه اياه من غير فحل بآدم في شبهه به بأنه خلقه من تراب من غير فحل اذا قومك يا محمد من ذلك يضجون ويقولون ما يريد محمد منا الا أن نتخذه الها نعبده كما عبدت النصارى المسيح واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بنحو الذي قلنا فيه ذكر من قال ذلك **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل اذا قومك منه يصدون قال يضجون قال قالت قريش انما يريد محمد أن نعبده كما عبد قوم عيسى عيسى **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال لما ذكر عيسى بن مريم جزعت قريش من ذلك وقالوا يا محمد ما ذكرت عيسى بن مريم وقالوا ما يريد محمد الا أن نصنع به كما صنعت النصارى بعيسى بن مريم فقال الله عز وجل ما ضربوه لك الا جدلا **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال لما ذكر عيسى في القرآن قال مشركو قريش يا محمد ما أردت الى ذكر عيسى قال وقالوا انما يريد أن نعبده كما أحبت النصارى عيسى * وقال آخرون بل عنى بذلك قول الله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم

قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين وكم أرسلنا من نبي في الأولين وما يأتيهم من نبي الا كانوا به يستهزؤن فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذي نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذي خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون

أنتم لها واردون وقيل المشركين عند نزولها قد رضينا بأن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة لان كل هؤلاء مما يعبد من دون الله قال الله عز وجل ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون قال يعني قريشا لما قيل لهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون فقالت له قريش فما ابن مريم قال ذاك عبد الله ورسوله فقالوا والله ما يريد هذا الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى بن مريم ربا فقال الله عز وجل ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون واختلفت القراء في قراءة قوله يصدون فقرأته عامة قراء المدينة وجماعة من قراء الكوفة يصدون بضم الصاد وقرأ ذلك بعض قراء الكوفة والبصرة يصدون بكسر الصاد واختلف أهل العلم بكلام العرب في فرق ما بين ذلك اذا قرئ بضم الصاد واذا قرئ بكسرها فقال بعض نحويي البصرة ووافقه عليه بعض الكوفيين هما لغتان بمعنى واحد مثل يشد ويشد وينم وينم من النميمة وقال آخر منهم من كسر الصاد فجازها يضجون ومن ضمها فجازها يعدلون وقال بعض من كسرها فانه أراد يضجون ومن ضمها فانه أراد الصدود عن الحق وحدثت عن الفراء قال ثني أبو بكر بن عياش أن عاصما ترك يصدون من قراءة ابي عبد الرحمن وقرأ يصدون قال قال أبو بكر حدثني عاصم عن أبي رزين عن أبي يحيى أن ابن عباس لقي ابن أخي عبيد بن عمير فقال ان عمك لعربي فما له يلحن في قوله اذا قومك منه يصدون وانما هي يصدون * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان ولغتان مشهورتان بمعنى واحد ولم نجد أهل التأويل فرقوا بين معنى ذلك اذا قرئ بالضم والكسر ولو كان مختلفا معناه لقد كان الاختلاف في تأويله بين أهله موجودا وجودا اختلاف القراءة فيه باختلاف اللغتين ولكن لما لم يكن مختلف المعنى لم يختلفوا في أن تأويله يضجون ويجزعون فبأي القراءتين قرأ القارئ فصيب ذكر ما قلنا في تأويل ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله اذا قومك منه يصدون قال يضجون حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس اذا قومك منه يصدون يقول يضجون حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا أبو حمزة عن المغيرة الضبي عن الصعب بن عثمان قال كان ابن عباس يقرأ اذا قومك منه يصدون وكان يفسرها يقول يضجون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس اذا قومك منه يصدون قال يضجون حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس بمثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل اذا قومك منه يصدون قال يضجون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة اذا قومك منه يصدون أي يجزعون ويضجون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قرأها يصدون أي يضجون وقرأ علي رضي الله عنه يصدون حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله اذا قومك منه يصدون قال يضجون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي اذا قومك منه يصدون قال يضجون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴾ ﴿ وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد أنعمنا عليه

وجعلناه

فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون ﴿ القراآت في إم الكتاب بكسر الهمزة حمزة وعلي إن كنتم بالكسر أبو جعفر ونافع وعلي وحمزة وخلف الآخرون بالفتح أي لأن كنتم مهدا عاصم وحمزة وعلي وخلف وروح الباقون مهادا ميتا بالتشديد يزيد يخرجون من الخروج حمزة وعلي وخلف وابن ذكوان الآخرون من الاخراج ينشأ من باب التفعيل حمزة وعلي وخلف وحفص الباقون بالتخفيف والياء مفتوحة والنون ساكنة عباد الرحمن جمع عبد أو عابد أبو عمرو وعاصم وحمزة وعلي وخلف وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر عند الرحمن بالنون كقوله فالذين عند ربك الآخرون عبيد الرحمن اوشهدوا بقلب همزة الاشهاد واوا مضمومة ورش واسمعيل وقرأ يزيد وقالون مثله ولكن بالمد وقرأ المفضل بتحقيق الهمزتين الباقون بهمزة واحدة للاستفهام والشين مفتوحة قال أولو بالألف ابن عامر وحفص والمفضل جئنا كم يزيد ﴿ الوقوف حم ٥ كوف المبين ٥ لا ومن لم يقف على حم وقف على المبين لأن القسم متعلق بما قبله وهو هذه حم تعقلون ٥ ج حكيم ٥ ط مسرفين ٥ الاولين ٥ يستهزؤن ٥ الاولين ٥ العليم ٥ لا بناء على

وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون ؟ يقول تعالى ذكره وقال مشركو قومك يا محمد آلهتنا التي نعبدها خير أم محمد فنعبد محمدا ونترك آلهتنا وذكر أن ذلك في قراءة أبي بن كعب أآلهتنا خير أم هذا ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن في حرف أبي بن كعب وقالوا أآلهتنا خير أم هذا يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم * وقال آخرون بل عنى بذلك آلهتنا خير أم عيسى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون قال خاصموه فقالوا يزعم أن كل من عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة هؤلاء قد عبدوا من دون الله قال فأنزل الله براءة عيسى حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أآلهتنا خير قال عبد هؤلاء عيسى ونحن نعبد الملائكة وقوله ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون الى في الارض يخلفون وقوله تعالى ذكره ما ضربوه لك الا جدلا يقول تعالى ذكره ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد ولا قالوا لك هذا القول الا جدلا وخصومة يخاصمونك به بل هم قوم خصمون بقول جل ثناؤه ما بقومك يا محمد هؤلاء المشركين في محاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق بل هم قوم خصمون يلتمسون الخصومة بالباطل وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما ضل قوم عن الحق الا أوتوا الجدل ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا يعلى قال ثنا الحجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا الآية حدثني موسى بن عبد الرحمن الكندي وأبو كريب قالا ثنا محمد بن بشر قال ثنا حجاج بن دينار عن أبي غالب عن أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا أحمد بن عبد الرحمن عن عباد بن عباد عن جعفر بن القاسم عن أبي أمامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على الناس وهم يتنازعون في القرآن فغضب غضبا شديدا حتى كأنما صب على وجهه الخل ثم قال صلى الله عليه وسلم لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فانه ما ضل قوم قط الا أوتوا الجدل ثم تلا ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون وقوله ان هو الا عبد أنعمنا عليه يقول تعالى ذكره ما عيسى الا عبد من عبادنا أنعمنا عليه بالتوفيق والايمان وجعلناه مثلا لبني اسرائيل يقول وجعلناه آية لبني اسرائيل وحجة لنا عليهم بارسالناه اليهم بالدعاء الينا وليس هو كما تقول النصارى من أنه ابن الله تعالى الله عن ذلك وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان هو الا عبد أنعمنا عليه يعني بذلك عيسى بن مريم ما عدا ذلك عيسى ابن مريم ان كان الا عبدا أنعم الله عليه وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله وجعلناه مثلا لبني اسرائيل قالوا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن قتادة مثلا لبني اسرائيل أحسبه قال آية لبني اسرائيل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وجعلناه مثلا لبني اسرائيل أي آية قوله ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون يقول تعالى ذكره ولو نشاء معشر بني آدم أهلكناكم فأفنيناكم وجعلنا بدلا منكم في الارض ملائكة يخلفونكم فيها يعبدوننا وذلك نحو قوله تعالى ذكره ان يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا وكما قال ان يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل غير أن منهم من قال معناه يخلف بعضهم بعضا ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني

أن ما بعده وصف ولو كان نصبا او رفعا على المدح فالوقف تهتدون ٥ بقدر ج للالتفات مع انقضاء مبتدأ ج لانقطاع النظم مع تعلق التشبيه تخرجون ٥ تركبون ٥ لا مقرنين ٥ لا لأن ما بعده من تمام المقول لمنقلبون ٥ جزا ط مبين ٥ ط بالبنين ٥ كظيم ٥ مبين ٥ اناثا ط خلقهم ط ويسئلون ٥ ما عبدناهم ط يخرصون ٥ ط مستمسكون ٥ مهتدون ٥ مقتدون ٥ آباءكم ط كافرون ٥ المكذبين ٥ تعبدون ٥ لا سيهدين ٥ يرجعون ٥ مبين ٥ كافرون ٥

﴿ التفسير أقسم بجنس الكتاب أو بالقرآن الظاهر الاعجاز أو المفصح عن كل حكم يحتاج المكلف اليه أنه جعل القرآن بلغة العرب ليعقلوه وفي نسبة الجعل الى نفسه اشارة الى أنه ليس بمفترى كما زعمه الكفرة وقيل أراد ورب الكتاب وقيل الكتاب اللوح المحفوظ وقال ابن بحر هو الخط اقسم به تعظيما لنعمته فيه وقال ابن عيسى البيان ما يظهر به المعنى للنفس عند الادراك بالبصر والسمع وذلك على خمسة أوجه لفظ وخط واشارة وعقد وهيئة كالاعراض وتكليح الوجه وأم الكتاب بكسر الهمزة وبضمها اللوح المحفوظ لانه أصل كل كتاب والتقدير وانه لعلي حكيم في أم الكتاب لدينا والعلو علو الشأن في البلاغة والارشاد وغير ذلك والحكيم المشتمل على الحكمة ثم أنكر على مشركي قريش بقوله (أفنضرب) قال جار الله أراد أنهملكم فنضرب (عنكم الذكر) يقال ضرب عنه الذكر اذا أمسك عنه وأعرض عن ذكره

من ضرب فى الارض اذا أبعد و(صفحا) مصدر من غير لفظ الفعل والاصل فيه أن تولى الشئ صفحة عنقك وجوز جار الله أن يكون بمعنى جانبا من قولهم نظر اليه بصفح وجهه فينتصب على الظرف ويكون الذكر بمعنى الوعظ والقرآن والفحوى أفنتحيه عنكم وقيل ضرب الذكر رفع القرآن عن الارض أى افترفع القرآن عن الارض أى أفترفع القرآن من بين أظهركم لاشراككم مع علمنا بأنه سيأتى من يقبله ويعمل به قال السدى أفنتركم سدى لانأمركم ولانهاكم وهو قريب من الاول وقيل الذكر هو ان يذكروا بالعقاب ولا يخلو من مناسبة لقوله فأهلكنا أشد منهم بطشا من قرأ (ان كنتم) بالكسر فكقول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى يخيل فى كلامه أن تفريطه فى الخروج عن عهدة الاجر فعل من يشد فى الاستحقاق مع تحققه فى الخارج ثم سلى نبيه بقوله (وكم أرسلنا) الآيتين قوله (أشد منهم) قيل من زائدة والمراد أشدهم (بطشا) كعاد وثمود وقيل الضمير لقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصله أشد منكم الا أنه ورد على طريقة الالتفات كقوله حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم قوله (ومضى مثل الاولين) أى سلف ذكرهم وقصتهم العجيبة فى القرآن غير مرة ويحتمل أن يكون معناه كقوله وقد خلت سنة الاولين ثم بين بقوله (ولئن سألتهم) أن كفرهم كفر عناد ولجاج لانهم يعرفون الله ثم ينكرون رسوله وكتابه وقدرته على البعث وهذه الاوصاف من كلام

معاوية عن على عن ابن عباس قوله ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون يقول يخلف بعضهم بعضا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون قال يعمرون الارض بدلا منكم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ملائكة فى الارض يخلفون قال يخلف بعضهم بعضا مكان بنى آدم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة لو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون لو شاء الله لجعل فى الارض ملائكة يخلف بعضهم بعضا حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الارض يخلفون قال خلفا منكم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴾ وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ﴿ اختلف أهل التأويل فى الهاء التى فى قوله وانه وما المعنى بها ومن ذكر ما هى فقال بعضهم هى من ذكر عيسى وهى عائدة عليه وقالوا معنى الكلام وان عيسى ظهوره علم يعلم به مجىء الساعة لان ظهوره من أشراطها ونزوله الى الارض دليل على فناء الدنيا واقبال الآخرة ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبى رزين عن يحيى عن ابن عباس وانه لعلم الساعة قال خروج عيسى بن مريم حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس بمثله الا أنه قال نزول عيسى بن مريم حدثنى محمد بن اسمعيل الأحمسى قال ثنا غالب بن قائد قال ثنا قيس عن عاصم عن أبى رزين عن ابن عباس أنه كان يقرأ وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن فضيل بن مرزوق عن جابر قال كان ابن عباس يقول ما أدرى علم الناس بتفسير هذه الآية أم لم يفطنوا لها وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى ابن مريم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبى مالك وعوف عن الحسن أنهما قالا فى قوله وانه لعلم للساعة قالا نزول عيسى بن مريم وقرأها أحدهما وانه لعلم للساعة حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وانه لعلم للساعة قال آية للساعة خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم علم للساعة القيامة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم علم للساعة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وانه لعلم للساعة قال خروج عيسى بن مريم قبل يوم القيامة حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وانه لعلم للساعة يعنى خروج عيسى بن مريم ونزوله من السماء قبل يوم القيامة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وانه لعلم للساعة قال نزول عيسى بن مريم علم للساعة حين ينزل * وقال آخرون الهاء التى فى قوله وانه من ذكر القرآن وقالوا معنى الكلام وان هذا القرآن لعلم للساعة يعلمكم بقيامها ويخبركم عنها وعن أهوالها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول وانه لعلم للساعة هذا القرآن حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال كان ناس يقولون القرآن علم للساعة واجتمعت قراء الامصار

في قراءة قوله وانه لعلم للساعة على كسر العين من العلم وروى عن ابن عباس ماذكرت عنه في فتحها وعن قتادة والضحاك * والصواب من القراءة في ذلك الكسر في العين لاجماع الحجة من القراء عليه وقد ذكر أن ذلك في قراءة أبي وانه لذكر للساعة فذلك مصحح قراءة الذين قرؤا بكسر العين من قوله لعلم وقوله فلا تمترنّ بها يقول فلا تشكن فيها وفي مجيئها أيها الناس كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي فلا تمترنّ بها قال تشكون فيها وقوله واتبعون يقول تعالى ذكره وأطيعون فاعملوا بما أمرتكم به وانتهوا عما نهيتكم عنه هذا صراط مستقيم يقول اتبعوا عكم اياى أيها الناس في أمرى ونهيي صراط مستقيم يقول طريق لا اعوجاج فيه بل هو قويم وقوله ولا يصدنكم الشيطان يقول جل ثناؤه ولا يعدلنكم الشيطان عن طاعتي فيما آمركم وأنهاكم فتخالفوه الى غيره وتجوروا عن الصراط المستقيم فتضلوا إنه لكم عدو مبين يقول ان الشيطان لكم عدو يدعوكم الى ما فيه هلاككم ويصدكم عن قصد السبيل ليوردكم المهالك مبين قد أبان لكم عداوته بامتناعه من السجود لأبيكم آدم وادلائه بالغرور حتى أخرجه من الجنة حسدا وبغيا ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم ﴾ يقول تعالى ذكره ولما جاء عيسى بني اسرائيل بالبينات يعني بالواضحات من الأدلة وقيل عني بالبينات الانجيل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولما جاء عيسى بالبينات أي بالانجيل وقوله قال قد جئتكم بالحكمة قيل عني بالحكمة في هذا الموضع النبوة ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال قد جئتكم بالحكمة قال النبوة وقد بينت معنى الحكمة فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده وذكرت اختلاف المختلفين في تأويله فأغنى ذلك عن اعادته وقوله ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه يقول ولأبين لكم معشر بني اسرائيل بعض الذى تختلفون فيه من أحكام التوراة كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه قال من تبديل التوراة وقد قيل معنى البعض في هذا الموضع بمعنى الكل وجعلوا ذلك نظير قول لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها * أو يعتلق بعض النفوس حمامها

قالوا الموت لا يعتلق بعض النفوس وانما المعنى أو يعتلق النفوس حمامها وليس لما قال هذا القائل كبير معنى لان عيسى انما قال لهم ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه لانه قد كان بينهم اختلاف كثير في أسباب دينهم ودنياهم فقال لهم أبين لكم بعض ذلك وهو أمر دينهم دون ما هم فيه مختلفون من أمر دنياهم فلذلك خص ما أخبرهم أنه يبينه لهم وأما قول لبيد أو يعتلق بعض النفوس فانه انما قال ذلك أيضا كذلك لانه أراد أو يعتلق نفسه حمامها فنفسه من بين النفوس لاشك أنها بعض لا كل وقوله فاتقوا الله وأطيعون يقول فاتقوا ربكم أيها الناس بطاعته وخافوه باجتناب معاصيه وأطيعون فيما أمرتكم به من اتقاء الله واتباع أمره وقبول نصيحتي لكم وقوله ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه يقول ان الله الذى يستوجب علينا افراده بالالوهية واخلاص الطاعة له ربي وربكم جميعا فاعبدوه وحده لا تشركوا معه في عبادته شيئا فانه لا يصلح ولا ينبغي أن يعبد شيء سواه وقوله هذا صراط مستقيم يقول هذا الذى أمرتكم به من اتقاء الله وطاعتي وافراد الله بالالوهة هو الطريق

الله لا من قول الكفار بدليل قوله لكم ولم يقل لنا ولقوله فأنشرنا والمراد لينسبن خلقها الى الذى هذه أوصافه وقد مر في طه مثله وقوله (تهتدون) أى في الاسفار أو الى الايمان بالنظر والاعتبار وقوله (بقدر) أى بمقدار الحاجة لا مخربا مغرقا كما في الطوفان وقوله (ميتا) تذكيره بتأويل المكان والازواج الاصناف وقد مر في قوله سبحان الذى خلق الازواج والعائد الى ما في قوله ما تركبون محذوف فالك أن تقدره مؤنثا أو مذكرا باعتبارين قال في الكشاف يقال ركبت الانعام وركبت في الفلك الا أنه غلب المتعدى بغير واسطة على المتعدى بواسطة قلت يجوز أن يكون كقوله ويوم شهدناه والضمير في ظهوره عائد الى ما والاستواء في الآية بمعنى التمكن والاستقرار وذكر النعمة بالقلب ويحتمل كونه باللسان وهو تقديم الحمد لله يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا وضع رجله في الركاب قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا واذا ركب في السفينة قال بسم الله مجريها ومرساها ان ربي لغفور رحيم ومعنى (مقرنين) مطيقين أو ضابطين مع صعوبة خلقه وخلقه وقيل لا بطيق أن يقرن بعضها ببعض حتى يسيرها الى حيث يريد (وانا الى ربنا لمنقلبون) أى في آخر عمرنا كأنه يتذكر كوكب الجنازة أو عثور الدابة أو انكسار السفينة فليستعد للقاء الله عز وجل بخلاف من يركب الخيول والزوارق لأجل التنزه والاشتغال بالملاهي والمناهي

فيكون غافلا عن المبدا والمعاد عن بعضهم أنه أدخل اللام فى الخبر ههنا خلاف ما فى الشعراء لان ركوب الدابة أو السفينة أو الجنازة عام لكل أحد وما فى الشعراء خاص بالسحرة ثم عاد الى ما انجر الكلام منه وهو قوله (ولئن سألتهم) والمقصود التنبيه على سخافة عقولهم وقلة محصولهم فانهم مع الاقرار بأن خالق السموات والارض هو الله جعلوا له من عباده جزأ أى أثبتوا له ولدا وذلك أن ولد الرجل جزء منه قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة منى يؤذينى ما يؤذيها وفى قوله (من عباده) اشارة الى أن ما عداه ممكن الوجود فان الولد متأخر فى الوجود عن الاب والمتأخر عن الواجب ممكن والممكن مفتقر الى الواجب فى الوجود والبقاء والذات والصفات وقيل هو انكار على مثبتى الشركاء لأنهم جعلوا بعض العبادة لغير الله وفيه نوع تكلف والكفور البليغ الكفران لانه يجحد ربه وخالقه ولا يجتهد فى تنزيهه وتقديسه وحين وبخهم على اثبات الولد زاد فى توبيخهم وتجهيلهم والتعجيب من حالهم حيث جعلوا ذلك الولد بنتا مع أنها مكروهة عندهم فقال (أم اتخذ مما يخلق) وفائدة تنكير (بنات) وتعريف البنين كما مر فى آخر السورة المتقدمة فى تنكيرا ناثا وتعريف الذكور وقوله (بما ضرب للرحمن مثلا) اى بالجنس الذى جعله شبها لله لأن الولد لا يكون الا من جنس الوالد والمراد أنه اذا بشر بالانثى كما سبق فى النحل اغتم ويسود وجهه وملئ غيظا وكربا ثم زاد فى الانكار بتعديد طرف

المستقيم وهو دين الله الذى لا يقبل من أحد من عباده غيره ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴾ اختلف أهل التأويل فى المعنيين بالاحزاب الذين ذكرهم الله فى هذا الموضع فقال بعضهم عنى بذلك الجماعة التى تناظرت فى أمر عيسى واختلفت فيه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فاختلف الاحزاب من بينهم قال هم الاربعة الذين أخرجهم بنو اسرائيل يقولون فى عيسى * وقال آخرون بل هم اليهود والنصارى ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله فاختلف الاحزاب من بينهم قال اليهود والنصارى * والصواب من القول فى ذلك أن يقال معنى ذلك فاختلف الفرق المختلفون فى عيسى بن مريم من بين من دعاهم عيسى الى ما دعاهم اليه من اتقاء الله والعمل بطاعته وهم اليهود والنصارى ومن اختلف فيه من النصارى لأن جميعهم كانوا أحزابا مبتدئين مختلفى الأهواء مع بيانه لهم أمر نفسه وقوله لهم ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم وقوله فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم يقول تعالى ذكره فالوادى السائل من القيح والصديد فى جهنم للذين كفروا بالله الذين قالوا فى عيسى بن مريم بخلاف ما وصف عيسى به نفسه فى هذه الآية من عذاب يوم أليم يقول من عذاب يوم مؤلم ووصف اليوم بالايلام اذ كان العذاب الذى يؤلمهم فيه وذلك يوم القيامة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى من عذاب يوم أليم قال من عذاب يوم القيامة وقوله هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة يقول هل ينظر هؤلاء الأحزاب المختلفون فى عيسى بن مريم القائلون فيه الباطل من القول الا الساعة التى فيها تقوم القيامة فجأة وهم لا يشعرون يقول وهم لا يعلمون مجيئها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴾ يقول تعالى ذكره المتخالون يوم القيامة على معاصى الله فى الدنيا بعضهم لبعض عدو يتبرأ بعضهم من بعض الا الذين كانوا تخالوا فيها على تقوى الله * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فكل خلة على معصية الله فى الدنيا متعادون حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فكل خلة هى عداوة الا خلة المتقين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن أبى اسحق أن عليا رضى الله عنه قال خليلان مؤمنان وخليلان كافران فمات أحد المؤمنين فقال يارب ان فلانا كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك يارب فلا تضله بعدى واهده كما هديتنى وأكرمه كما أكرمتنى فاذا مات خليله المؤمن جمع بينهما فيقول ليثن أحدكما على صاحبه فيقول يارب انه كان يأمرنى بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالخير وينهانى عن الشر ويخبرنى أنى ملاقيك فيقول نعم الخليل ونعم الأخ ونعم الصاحب قال ويموت أحد الكافرين فيقول يارب ان فلانا كان ينهانى عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرنى بالشر وينهانى عن الخير ويخبرنى أنى غير ملاقيك فيقول بئس الأخ وبئس الخليل وبئس الصاحب وقوله ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون وفى هذا الكلام محذوف

استغنى بدلالة ماذكر عليه ومعنى الكلام الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين فانهم يقال لهم ياعبادى لاخوف عليكم اليوم من عقابى فانى قد أمنتكم منه برضاى عنكم ولا أنتم تحزنون على فراق الدنيا فان الذى قدمتم عليه خير لكم مما فارقتموه منها وذكر أن الناس ينادون هذا النداء يوم القيامة فيطمع فيها من ليس من أهلها حتى يسمع قوله الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين فيئس منها عند ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال ثنا المعتمر عن أبيه قال سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد الا فزع فينادى منادياعباد الله لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون فيرجوها الناس كلهم قال فيتبعها الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين قال فيئس الناس منها غير المسلمين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴾ وقوله الذين آمنوا بآياتنا يقول تعالى ذكره ياعبادى الذين آمنوا وهم الذين صدقوا بكتاب الله ورسله وعملوا بما جاءتهم به رسلهم وكانوا مسلمين يقول وكانوا أهل خضوع لله بقلوبهم وقبول منهم لما جاءتهم به رسلهم عن ربهم على دين ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم حنفاء لا يهود ولا نصارى ولا أهل أوثان وقوله ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يقول جل ثناؤه ادخلوا الجنة أنتم أيها المؤمنون وأزواجكم مغبوطين بكرامة الله مسرورين بما أعطاكم اليوم ربكم وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله تحبرون وقد ذكرنا ما قد قيل فى ذلك فيما مضى وبينا الصحيح من القول فيه عندنا بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع غير أنا نذكر بعض ما لم يذكر هنالك من أقوال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون أى تنعمون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله تحبرون قال تنعمون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله تحبرون قال تكرمون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أنتم وأزواجكم تحبرون قال تنعمون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴾ يقول تعالى ذكره يطاف على هؤلاء الذين آمنوا بآياته فى الدنيا اذا دخلوا الجنة فى الآخرة بصحاف من ذهب وهى جمع للكثير من الصحفة والصحفة القصعة * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى يطاف عليهم بصحاف من ذهب قال القصاع حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن أشعث ابن اسحق عن جعفر عن شعبة قال ان أدنى أهل الجنة منزلة من له قصر فيه سبعون ألف خادم فى يد كل خادم صحفة سوى ما فى يد صاحبها الوفتح بابه فضاقه أهل الدنيا لأوسعهم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد قال ان أخس أهل الجنة منزلا من له سبعون ألف خادم مع كل خادم صحفة من ذهب لو نزل به جميع أهل الارض لاوسعهم لا يستعين عليهم بشئ من غيره وذلك فى قول الله تبارك وتعالى لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد ولهم فيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الأعين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى أيوب الازدى عن عبد الله بن عمرو قال ما أحد من أهل الجنة الا يسعى عليه ألف غلام كل غلام على عمل ما عليه صاحبه وقوله وأكواب وهى جمع كوب والكوب الابريق المستدير الرأس الذى لا أذن له ولا خرطوم واياه عنى الاعشى بقوله

صريفية طيب طعمها * لها زبد بين كوب ودن

من نقصان الاناث قائلا (أومن ينشأ) والتقدير أهو كضده قال جار الله تقديره أو يجعل للرحمن من الولد من له هذه الصفة الدنيئة الذميمة وهى أنه يربى أو يتربى فى الزينة والنعومة وهو اذا احتاج الى المخاصمة لا يبين ولا يعرب عما فى ضميره لعجزه عن البيان ولقلة عقله قالت العقلاء قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تعرب عن حجتها الا نطقت بما هو حجة عليها وفيه أن النشء فى الزينة والامعان فى التنعم من خصائص ربات الحجال لا من خواص الرجال وانما ينبغى أن يكون تلبسهم بلباس التقوى وتزينهم باستعداد الزاد للدار الأخرى ثم خصص أن البنات التى نسبن اليه تعالى من أى جنس من بعدما عم فى قوله مما يخلق فقال (وجعلوا) أى سموا (الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا) وفى اثبات العبودية لهم نفى الجزئية عنهم كما مر آنفا وقوله (أشهدوا خلقهم) كقوله ما أشهدتهم خلق السموات والارض وفيه تهكم بهم لأنه لم يدل على ذلك عقل ولا نقل صحيح فلم يبق الا الاخبار عن المشاهدة يعنى مشاهدتهم خلق الله اياهم أو مشاهدة صور الملائكة ثم أوعدهم بقوله (ستكتب شهادتهم) على أنوثية الملائكة (ويسئلون) ثم حكى نوعا آخر من كفرهم وشبهاتهم وهو أنهم (قالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) أى الملائكة والاصنام نظير ما مر فى آخر الانعام سيقول الذين أشركوا الآية واستدلال المعتزلة به ظاهر لانه ذمهم بقوله (ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون)

أجاب الزجاج عنه بأن قوله ما لهم بذلك من علم عائد الى قولهم الملائكة بنات الله والمراد لو شاء الرحمن ما أمرنا بعبادتهم كقولهم والله أمرنا بها فلهذا أنكر الله عليهم قائله الواحدى فى بسيطه وقيل قالوها استهزاء وزيفه جار الله بأنه لا يتمشى فى أقوالهم المتقدمة والا كانوا صادقين مؤمنين وجعل هذا الأخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله تعويجا لكتاب الله وتمام البحث بين الفريقين مذكور فى الانعام وانما قال فى الجاثية ان هم الا يظنون لان هذا كذب محض وهناك خلطوا الصدق بالكذب صدقوا فى قولهم نموت ونحيى وكذبوا فى قولهم وما يهلكنا الا الدهر وكانوا شاكين فى أمر البعث ثم زادوا فى الانكار عليهم بقوله (أم آتيناهم كتابا من قبله) أى من قبل القرآن أو الرسول (فهم به مستمسكون) ثم أضرب عن ذلك وأخبر أنه لا مستند لهم فى عقائدهم وأقوالهم الفاسدة الا التقليد والامة الدين والطريقة التى تؤم أى تقصد ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم بأن هذا دأب أسلافهم وداء قديم فى جهال بنى آدم وانما قال أولا مهتدون وبعده مقتدون لان العرب كانوا يخاصمون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعمون الاهتداء ونعلم الأمم قبلهم لم يزعموا الا الاقتداء بالآباء دون الاهتداء ثم أخبر أن النذير (قال) أو أمر النذير أو محمدا أن يقول (أولو جئتكم) أى أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم فاصروا على التكذيب ولم يقبلوا فانتقم الله منهم

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وأكواب قال الأكواب التى ليست لها آذان ومعنى الكلام يطاف عليهم فيها بالطعام فى صحاف من ذهب وبالشراب فى أكواب من ذهب فاستغنى بذكر الصحاف والاكواب من ذكر الطعام والشراب الذى يكون فيها لمعرفة السامعين بمعناه وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين يقول تعالى ذكره لكم فى الجنة ما تشتهى نفوسكم أيها المؤمنون وتلذ أعينكم وأنتم فيها خالدون يقول وأنتم فيها ماكثون لا تخرجون منها أبدا كما حدثنا بشر قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن ابن سابط أن رجلا قال يا رسول الله انى أحب الخيل فهل فى الجنة خيل فقال ان يدخلك الجنة ان شاء فلا تشاء أن تركب فرسا من ياقوتة حمراء تطير بك فى أى الجنة شئت الا فعلت فقال أعرابى يا رسول الله انى أحب الابل فهل فى الجنة ابل فقال يا أعرابى ان يدخلك الله الجنة ان شاء الله ففيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا عمر بن عبد الرحمن الأبار عن محمد بن سعد الانصارى عن أبى ظبية السلفى قال ان السرب من أهل الجنة لتظلهم السحابة قال فتقول ما أمطركم قال فما يدعو داع من القوم بشئ الا أمطرتهم حتى ان القائل منهم ليقول أمطرينا كواعب أترابا حدثنا ابن عرفة قال ثنا مروان بن معاوية عن على بن أبى الوليد قال قيل لمجاهد فى الجنة سماع قال ان فيها لشجرا يقال له العيص له سماع لم يسمع السامعون الى مثله حدثنى موسى بن عبد الرحمن قال ثنا زيد ابن حباب قال أخبرنا معاوية بن صالح قال ثنى سليمن بن عامر قال سمعت أبا أمامة يقول ان الرجل من أهل الجنة ليشتهى الطائر وهو يطير فيقع متفلقا نضيجا فى كفه فيأكل منه حتى تنتهى نفسه ثم يطير ويشتهى الشراب فيقع الابريق فى يده ويشرب منه ما يريد ثم يرجع الى مكانه واختلفت القراء فى قراءة قوله وفيها ما تشتهيه الانفس فقرأته عامة قراء المدينة والشام ما تشتهيه بزيادة هاء وكذلك ذلك فى مصاحفهم وقرأ ذلك عامة قراء العراق تشتهى بغيرهاء وكذلك هو فى مصاحفهم * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان بمعنى واحد فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهم وهذه الجنة التى أورثكموها الله عن أهل النار الذين أدخلهم جهنم بما كنتم فى الدنيا تعملون من الخيرات لكم فيها يقول لكم فى الجنة فاكهة كثيرة من كل نوع منها منها تأكلون يقول من الفاكهة تأكلون ما اشتهيتم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين﴾ يقول تعالى ذكره ان المجرمين وهم الذين اجترموا فى الدنيا الكفر بالله فاجترموا به فى الآخرة فى عذاب جهنم خالدون يقول هم فيه ماكثون لا يفتر عنهم يقول لا يخفف عنهم العذاب وأصل الفتور الضعف وهم فيه مبلسون يقول وهم فى عذاب جهنم مبلسون والهاء فى فيه من ذكر العذاب ويذكر أن ذلك فى قراءة عبد الله وهم فيها مبلسون والمعنى وهم فى جهنم مبلسون والمبلس فى هذا الموضع هو الآيس من النجاة الذى قد قنط فاستسلم لعذاب والبلاء وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وهم فيه مبلسون أى مستسلمون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قوله وهم فيه مبلسون قال آيسون * وقال آخرون بما حدثنا محمد قال ثنا أحمد

قال ثنا أسباط عن السدى وهم فيه مبلسون متغير حالهم وقد بينا فيما مضى معنى الابلاس بشواهده وذكر المختلفين فيه بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين يقول تعالى ذكره وما ظلمنا هؤلاء المجرمين بفعلنا بهم ما أخبرناكم أيها الناس أنا فعلنا بهم من التعذيب بعذاب جهنم ولكن كانوا هم الظالمين بعبادتهم فى الدنيا غير من كان عليهم عبادته وكفرهم بالله وجحودهم توحيده ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون﴾ يقول تعالى ذكره ونادى هؤلاء المجرمون بعدما أدخلهم الله جهنم فنالهم فيها من البلاء ما نالهم مالكا خازن جهنم يا مالك ليقض علينا ربك قال ليمتنا ربك فيفرغ من إماتتنا فذكر أن مالكا لا يجيبهم فى وقت قيل لهم له ذلك ويدعهم ألف عام بعد ذلك ثم يجيبهم فيقول لهم انكم ماكثون ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عطاء بن السائب عن أبى الحسن عن ابن عباس ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك فأجابهم بعد ألف سنة انكم ماكثون حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عطاء ابن السائب عن رجل من جيرانه يقال له الحسن عن نوف فى قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال يتركهم مائة سنة مما تعدون ثم يناديهم فيقول يا أهل النار انكم ماكثون حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن سعيد عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال نخلى عنهم أربعين عاما لا يجيبهم ثم أجابهم انكم ماكثون قالوا ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون نخلى عنهم مثلى الدنيا ثم أجابهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فوالله ما نبس القوم بعد الكلمة ان كان الا الزفير والشهيق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى أيوب الازدى عن عبد الله بن عمرو قال ان أهل جهنم يدعون مالكا أربعين عاما فلا يجيبهم ثم يقول انكم ماكثون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم أو يخلى عنهم مثل الدنيا ثم يرد عليهم اخسؤا فيها ولا تكلمون قال فما نبس القوم بعد ذلك بكلمة ان كان الا الزفير والشهيق فى نار جهنم حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن الحسن عن نوف ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال يتركهم مائة سنة مما تعدون ثم ناداهم فاستجابوا له فقال انكم ماكثون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى فى قوله ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال مالك خازن النار قال فمكثوا ألف سنة مما تعدون قال فأجابهم بعد ألف عام انكم ماكثون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قول الله تعالى ذكره ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال يميتنا القضاء ههنا الموت فأجابهم انكم ماكثون وقوله لقد جئناكم بالحق يقول لقد أرسلنا اليكم يا معشر قريش رسولنا محمدا بالحق كما حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى لقد جئناكم بالحق قال الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولكن أكثركم للحق كارهون يقول تعالى ذكره ولكن أكثركم لما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من الحق كارهون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون﴾ يقول تعالى ذكره أم أبرم هؤلاء المشركون من قريش أمرا فأحكموه يكيدون به الحق الذى جئناهم به فانا محكمون لهم ما يخزيهم ويذلهم من النكال وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أم أبرموا أمرا فانا مبرمون قال مجمعون ان كادوا شرا كدنا مثله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله

ثم بين بقصة ابراهيم عليه السلام أن القول بالتقليد يوجب المنع من التقليد وذلك أن ابراهيم عليه السلام كان أشرف آباء العرب وأنه ترك دين الآباء لأجل الدليل فلو كانوا مقلدين لآبائهم وجب أن يتبعوه فى الاعتماد على الدليل لا على مجرد التقليد والبراء بالفتح مصدر أى ذو براء وقوله (الا الذى فطرنى) قيل منفصل وكان فيهم من يعبد الله مع الاصنام وقيل منقطع بمعنى لكن ويحتمل أن يكون مجرورا بدلا من ما أى الا من الذى وجوز فى الكشاف أن تكون الا صفة بمعنى غير وما موصوفة تقديره انني براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى (فانه سيهدين) أى يثبتنى على الهداية أو يرشدنى الى طريق الجنة ولا ريب أن قوله انني براء مما تعبدون بمنزلة لا اله وقوله الا الذى فطرنى بمثابة الا الله وهى كلمة التوحيد فلذلك أنث الضمير فى قوله (وجعلها) أى وجعل ابراهيم أو الله (كلمة) التوحيد (باقية فى عقبه) فلا يزال فى ذريته من يوحد الله عز وجل ويدعو الى توحيده نظيره ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب (لعلهم) أى لعل من أشرك منهم يرجع الى التوحيد أو عن الشرك بدعاء الموحدين منهم ثم أضرب عن رجاء الرجوع منهم الى أن تمتيعهم بالعمر وسعة الرزق صار سببا لعظم كفرهم وشدة عنادهم قال جار الله أراد بل اشتغلوا عن التوحيد (حتى جاءهم الحق) وهو القرآن (ورسول مبين) الرسالة واضحها فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها من غفلتهم لاقتضائها التنبيه ثم ابتدأ قصتهم عند مجىء الحق قائلا

(ولما جاءهم الحق) جاؤا بما هو شر من غفلتهم وهو أن ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول وانكار القرآن والله أعلم ﴿وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذي أوحي اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا هي أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيه الساحر

أم أبرموا أمرا فانا مبرمون قال أم أجمعوا أمرا فانا مجمعون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أم أبرموا أمرا فانا مبرمون قال أم أحكموا أمرا فانا محكمون لأمرنا وقوله أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم يقول أم يظن هؤلاء المشركون بالله أنا لا نسمع ما أخفوا عن الناس من منطقهم وتشاوروا بينهم وتناجوا به دون غيرهم فلا نعاقبهم عليه لخفائه علينا وقوله بلى ورسلنا لديهم يكتبون يقول تعالى ذكره بل نحن نعلم ما تناجوا به بينهم وأخفوه عن الناس من سر كلامهم وحفظتنا لديهم يعني عندهم يكتبون ما نطقوا به من منطق وتكلموا به من كلامهم وذكر أن هذه الآية نزلت في نفر ثلاثة تدارؤا في سماع الله تبارك وتعالى كلام عباده ذكر من قال ذلك حدثني عمرو بن سعيد بن يسار القرشي قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا عاصم بن محمد العمري عن محمد بن كعب القرظي قال بينا ثلاثة بين الكعبة وأستارها قرشيان وثقفي أو ثقفيان وقرشي فقال واحد من الثلاثة أترون الله يسمع كلامنا فقال الاول اذا جهرتم سمع واذا أسررتم لم يسمع قال الثاني ان كان يسمع اذا أعلنتم فانه يسمع اذا أسررتم قال فنزلت أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون ونحو الذي قلنا في معنى قوله بلى ورسلنا لديهم يكتبون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي بلى ورسلنا لديهم يكتبون قال الحفظة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بلى ورسلنا لديهم يكتبون أي عندهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى ﴿قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين فقال بعضهم معنى ذلك قل يا محمد ان كان للرحمن ولد في قولكم وزعمكم أيها المشركون فأنا أول المؤمنين بالله في تكذيبكم والجاحدين ما قلتم من أن له ولدا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قل ان كان للرحمن ولد كما تقولون فأنا أول العابدين المؤمنين بالله فقولوا ما شئتم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فأنا أول العابدين قال قل ان كان لله ولد في قولكم فأنا أول من عبد الله ووحده وكذبكم * وقال آخرون بل معنى ذلك قل ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين له بذلك ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين يقول لم يكن للرحمن ولد فأنا أول الشاهدين * وقال آخرون بل معنى ذلك نفي ومعنى الجحد وتأويل ذلك ما كان ذلك ولا ينبغي أن يكون ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين قال قتادة وهذه كلمة من كلام العرب ان كان للرحمن ولد أي ان ذلك لم يكن ولا ينبغي حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين قال هذا الانكاف ما كان للرحمن ولد تكف الله أن يكون له ولد وان مثل ما انما هي ما كان للرحمن ولد ليس للرحمن ولد مثل قوله وان كان مكرهم لتزول منه الجبال انما هي ما كان مكرهم لتزول منه الجبال فالذي أنزل الله من كتابه وقضاه من قضائه أثبت من الجبال وان هي ما ان كان ما كان تقول العرب ان كان وما كان الذي تقول وفي قوله فأنا أول العابدين أول من يعبد الله بالايمان والتصديق أنه ليس للرحمن ولد على هذا أعبد الله حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا عمرو بن أبي سلمة قال سألت ابن محمد عن قول الله ان كان للرحمن ولد قال ما كان

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي قال ثنا عمرو قال سألت زيد بن أسلم عن قول الله قل ان كان للرحمن ولد قال هذا قول العرب معروف ان كان ما كان ان كان هذا الأمر قط ثم قال وقوله وان كان ما كان * وقال آخرون معنى ان في هذا الموضع معنى المجازاة قالوا وتأويل الكلام لو كان للرحمن ولد كنت أول من عبده بذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين قال لو كان له ولد كنت أول من عبده بأن له ولدا ولكن لا ولد له * وقال آخرون معنى ذلك قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول الآنفين ذلك ووجهوا معنى العابدين الى المنكرين الآبين من قول العرب قد عبد فلان من هذا الأمر اذا أنف منه وغضب وأباه فهو يعبد عبدا كما قال الشاعر

ألا هويت أم الوليد وأصبحت * لما أبصرت في الرأس مني تعبد

وكما قال الآخر

متى ما يشأ ذو الود يصرم خليله * ويعبد عليه لا محالة ظالما

وقد حدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثني ابن أبي ذئب عن أبي قسيط عن بعجة بن زيد الجهني أن امرأة منهم دخلت على زوجها وهو رجل منهم ايضا فولدت له في ستة أشهر فذكر ذلك لعثمان بن عفان رضي الله عنه فأمر بها أن ترجم فدخل عليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ان الله تبارك وتعالى يقول في كتابه وحمله وفصاله ثلاثون شهرا وقال وفصاله في عامين قال فوالله ما عبد عثمان أن بعث اليها ترد قال يونس قال ابن وهب عبد استنكف * وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال معنى ان الشرط الذي يقتضي الجزاء على ما ذكرناه عن السدي وذلك أن ان لا تعدو في هذا الموضع أحد معنيين اما أن تكون الحرف الذي هو بمعنى الشرط الذي يطلب الجزاء أو تكون بمعنى الجحد وهي اذا وجهت الى الجحد لم يكن للكلام كبير معنى لانه يصير بمعنى قل ما كان للرحمن ولد واذا صار بذلك المعنى أو هم أهل الجهل من أهل الشرك بالله أنه انما نفى بذلك عن الله عز وجل أن يكون له ولد قبل بعض الأوقات ثم أحدث له الولد بعد أن لم يكن مع أنه لو كان ذلك معناه لقد رد الذين أمر الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين أن يقولوا له صدقت وهو كما قلت ونحن لم نزعم أنه لم يزل له ولد وانما قلنا لم يكن له ولد ثم خلق الجن فصاهرهم فحدث له منهم ولد كما أخبر الله عنهم أنهم كانوا يقولونه ولم يكن الله تعالى ذكره ليحتج لنبيه صلى الله عليه وسلم وعلى مكذبيه من الحجة بما يقدرون على الطعن فيه واذ كان في توجيهنا ان الى معنى الجحد ما ذكرنا فالذي هو أشبه المعنيين بها الشرط واذ كان ذلك كذلك فبينة صحة ما نقول من أن معنى الكلام قل يا محمد لمشركي قومك الزاعمين أن الملائكة بنات الله ان كان للرحمن ولد فأنا أول عابد يه بذلك منكم ولكنه لا ولد له فأنا أعبده بأنه لا ولد له ولا ينبغي أن يكون له واذا وجه الكلام الى ما قلنا من هذا الوجه لم يكن على وجه الشك ولكن على وجه الالطاف في الكلام وحسن الخطاب كما قال جل ثناؤه قل الله وانا أو اياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين وقد علم أن الحق معه وأن مخالفيه في الضلال المبين وقوله سبحان رب السموات والأرض يقول تعالى ذكره تبرئة وتنزيها لمالك السموات والأرض ومالك العرش المحيط بذلك كله وما في ذلك من خلق مما يصفه به هؤلاء المشركون من الكذب ويضيفون اليه من الولد وغير ذلك من الأشياء التي لا ينبغي أن تضاف اليه * وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة

ادع لنا ربك بما عهد عندك انا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي أفلا تبصرون أم أنا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين ﴿ القراآت ﴾ سلفا بالفتح فالسكون ابن كثير وأبو عمرو ويزيد والباقون بضمتين على الجمع كرهن ورهن قال أبو عبيدة لا ثالث لهما الا بالتشديد عاصم وحمزة بمعنى الا فان نافية الآخرون بالتخفيف فان مخففة واللام فارقة كما مر في آخر هود يقيض على الغيبة والضمير للرحمن يعقوب وحماد الآخرون بالنون جاءنا على الوحدة والضمير للعاشي حمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبي بكر وحماد ويعقوب الباقون بألف التثنية والضمير للعاشي والقرين انكم في العذاب بالكسر ابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان أيه الساحر بضم الهاء مثل أيه المؤمنون وقد مر في النور تحتي بفتح الياء أبو عمرو وابن كثير ونافع وأبو جعفر أسورة كأجربة حفص وسهل ويعقوب الآخرون أساورة كأشاعرة وهو جمع اسوار بمعنى السوار وأصله أساوير الا أنه عوض من الياء هاء في آخره سلفا بضمتين حمزة وعلى وهو جمع سليف الباقون بفتحتين جمع سالف كخادم وخدم ﴿ الوقوف

قوله رب العرش عما يصفون أى يكذبون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله وهو الحكيم العليم﴾ يقول تعالى ذكره فذر يا محمد هؤلاء المفترين على الله الواصفيه بأن له ولدا يخوضوا فى باطلهم ويلعبوا فى دنياهم حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وذلك يوم يصليهم الله بفريتهم عليه جهنم وهو يوم القيامة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون قال يوم القيامة وقوله وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله يقول تعالى ذكره والله الذى له الالوهة فى السماء معبود وفى الأرض معبود كما هو فى السماء معبود لا شئ سواه تصلح عبادته يقول تعالى ذكره فأفردوا لى أيها الناس هذه صفته العبادة ولا تشركوا به شيأ غيره * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله قال يعبد فى السماء ويعبد فى الأرض حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله أى يعبد فى السماء وفى الأرض وقوله وهو الحكيم العليم يقول وهو الحكيم فى تدبير خلقه وتسخيرهم لما يشاء العليم بمصالحهم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون﴾ يقول تعالى ذكره وتبارك الذى له سلطان السموات السبع والأرضين وما بينهما من الأشياء كلها جار على جميع ذلك حكمه ماض فيهم قضاؤه يقول فكيف يكون له شريكا من كان فى سلطانه وحكمه فيه نافذ وعنده علم الساعة يقول وعنده علم الساعة التى تقوم فيها القيامة ويحشر فيها الخلق من قبورهم لموقف الحساب قوله واليه ترجعون يقول واليه أيها الناس ترجعون من بعد مماتكم فتصيرون اليه فيجازى المحسن باحسانه والمسىء باساءته ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ولا يملك عيسى وعزير والملائكة الذين يعبدهم هؤلاء المشركون بالساعة الشفاعة عند الله لأحد الا من شهد بالحق فوحد الله وأطاعه علم منه بتوحيد وصحة بما جاءت به رسله ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة قال عيسى وعزير والملائكة قوله الا من شهد بالحق قال كلمة الاخلاص وهم يعلمون أن الله حق وعيسى وعزير والملائكة يقول لا يشفع عيسى وعزير والملائكة إلا من شهد بالحق وهو يعلم الحق * وقال آخرون عنى بذلك ولا تملك الآلهة التى يدعوها المشركون ويعبدونها من دون الله الشفاعة الا عيسى وعزير وذووهما والملائكة الذين شهدوا بالحق فأقروا به وهم يعلمون حقيقة ما شهدوا به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون الملائكة وعيسى وعزير قد عبدوا من دون الله ولهم شفاعة عند الله ومنزلة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة الا من شهد بالحق قال الملائكة وعيسى بن مريم وعزير فان لهم عند الله شهادة * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره أخبر أنه لا يملك الذين يعبدهم المشركون من دون الله الشفاعة عنده لأحد الا من شهد بالحق وشهادته بالحق هو اقراره بتوحيد الله يعنى بذلك الا من آمن بالله وهم يعلمون حقيقة توحيده ولم يخصص بأن الذى لا يملك ملك الشفاعة منهم بعض من كان يعبد من دون الله فذلك على جميع من كان تعبد قريش من دون الله



عظيم ٥ رحمت ربك ط سخريا ط يجمعون ٥ يظهرون ٥ لا يتكئون ٥ لا وزخرفا ط الدنيا ط للمتقين ٥ قرين ٥ مهتدون ٥ القرين ٥ مشتركون ٥ مبين ٥ متقمون ٥ لا مقتدرون ٥ اليك ط لاحتمال التعليل مستقيم ٥ وقومك ج للتعليق مع سين التسديد تسئلون ٥ يعبدون ٥ العالمين ٥ يضحكون ٥ من أختها ز لنوع عدول يرجعون ٥ لمهتدون ٥ ينكثون ٥ تحتى ج للاستفهام مع اتحاد الكلام تبصرون ٥ لان أم منقطعة مقترنين ٥ فأطاعوه ط فاسقين ٥ أجمعين ٥ للآخرين ٥ ﴿التفسير هذه حكاية شبهة لكفار قريش وذلك أنهم ظنوا أن الفضيلة فى المال والجاه الدنيوى فقالوا (لولا نزل هذا القرآن) وفى الاشارة ههنا نوع استخفاف منهم لكتاب الله (على رجل من القريتين) اى من احداهما يعنون مكة أو الطائف قال المفسرون الذى بمكة هو الوليد ابن المغيرة والذى بالطائف هو عروة بن مسعود الثقفى ومنهم من قال غير ذلك وأرادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه فى الدنيا فألزمهم الله تعالى بأجوبة أولها قوله على سبيل الانكار (أهم يقسمون رحمة ربك) أى النبوة فيضعوها حيث شاؤا (نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا) أى خدما وتابعا ومملوكا واللام لام العاقبة فان الانسان خلق مدنيا بالطبع وقالت المعتزلة للغرض واذا كانت المعايش

يوم نزلت هذه الآية وغيرهم وقد كان فيهم من يعبد من دون الله الآلهة وكان فيهم من يعبد من دونه الملائكة وغيرهم فجميع أولئك داخلون فى قوله ولا يملك الذين يدعو قريش وسائر العرب من دون الله الشفاعة عند الله ثم استثنى جل ثناؤه بقوله الا من شهد بالحق وهم يعلمون وهم الذين يشهدون شهادة الحق فيوحدون الله ويخلصون له الوحدانية على علم منهم ويقين بذلك أنهم يملكون الشفاعة عنده باذنه لهم بها كما قال جل ثناؤه ولا يشفعون الا لمن ارتضى فأثبت جل ثناؤه للملائكة وعيسى وعزير ملكهم من الشفاعة ما نفاه عن الآلهة والاوثان باستثنائه الذى استثناه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴾ يقول تعالى ذكره ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من خلقهم ليقولن الله خلقنا فأنى يؤفكون فأنى وجه يصرفون عن عبادة الذى خلقهم ويحرمون اصابة الحق فى عبادته وقوله وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون اختلفت القراء فى قراءة قوله وقيله فقرأته عامة قراء المدينة ومكة والبصرة وقيله بالنصب واذا قرئ ذلك كذلك كان له وجهان فى التأويل أحدهما العطف على قوله أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ونسمع قيله يارب والثانى أن يضمر له ناصب فيكون معناه حينئذ وقال قوله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون وشكى محمد شكواه الى ربه وقرأته عامة قراء الكوفة وقيله بالخفض على معنى وعنده علم الساعة وعلم قيله * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مشهورتان فى قرأة الامصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فتأويل الكلام اذا وقال محمد قيله شاكيا الى ربه تبارك وتعالى قومه الذين كذبوه وما يلقى منهم يارب ان هؤلاء الذين أمرتنى بانذارهم وأرسلتنى اليهم لدعائهم اليك قوم لا يؤمنون كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال فأبرأ الله عز وجل قول محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون قال هذا قول نبيكم عليه السلام يشكو قومه الى ربه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وقيله يارب قال هو قول النبى صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء قوم لا يؤمنون ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم جوابا له عن دعائه اياه اذ قال يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم يا محمد وأعرض عن أذاهم وقل لهم سلام عليكم ورفع سلام بضمير عليكم أو لكم واختلفت القراء فى قراءة قوله فسوف يعلمون فقرأ ذلك عامة قراء المدينة فسوف تعلمون بالتاء على وجه الخطاب بمعنى أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك للمشركين مع قوله سلام وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض قراء مكة فسوف يعلمون بالياء على وجه الخبر وانه وعيد من الله للمشركين فتأويله على هذه القراءة فاصفح عنهم يا محمد وقل سلام ثم ابتدأ تعالى ذكره الوعيد لهم فقال فسوف يعلمون ما يلقون من البلاء والنكال والعذاب على كفرهم ثم نسخ الله جل ثناؤه هذه الآية وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم بقتالهم كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فاصفح عنهم وقل سلام قال اصفح عنهم ثم أمره بقتالهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال الله تبارك وتعالى يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون

آخر تفسير سورة الزخرف

الدنيوية مع حقارتها وخساستها مفوضة الى تدبير الله وتسخيره وتقديره دون أحد من خلقه فالأمور الدينية والمناصب الحقيقية الأخروية اولى بذلك وقيل الرحمة الرزق ومعنى الآية انكار أن الرزق منهم فكيف تكون النبوة منهم واستدلال السنى بالآية ظاهر فى أن كل الأرزاق من الله حلالا كانت أو حراما وقالت المعتزلة الله تعالى قاسم ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء نياتهم والجواب أنه كما قسم الرزق عين الجهة التى بها يصل الرزق اليه فكل بقدره وثانيها قوله (ورحمة ربك خير مما يجمعون) لأن الدنيا منقضية فانية ودين الله وما يتبعه من السعادات باق لا يزول فكيف يجعل العاقل ما هو الأخس أفضل مما هو الأشرف وثالثها قوله (ولولا كراهة (أن يكون الناس أمة واحدة) مجتمعين على الكفر (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم) هو بدل اشتمال وقيل هما كقولك وهبت له ثوبا لقميصه فى أن اللام للغرض والمعارج المصاعد أو المراقى جمع معرج كمخلب (عليها) أى على المعارج (يظهرون) يعلون السطوح والزخرف الزينة أى جعلنا لهم زينة عظيمة فى كل باب وقيل الذهب أى جعلنا لهم مع ذلك ذهبا كثيرا أو وجه آخر على هذا التفسير وهو أن يكون معطوفا على قوله من فضة الا أنه نصب بنزع الخافض أى بعضها من فضة وبعضها من ذهب والحاصل أنه سبحانه ان وسع على الكافرين كل التوسعة أطبق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم

عليها مع حقارة الدنيا عند الله تعالى وفى معناه قول نبينا صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وانما لم يوسع على المسلمين كلهم لتكون رغبة الناس فى الاسلام لمحض الاخلاص لا لأجل الدنيا ثم بشر المؤمنين بقوله (وان كل ذلك) الى آخره قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن اللطف من الله تعالى واجب وفيه أنه تعالى لما لم يفعل بالناس التوسعة لئلا يجتمعوا على الكفر فلأن لا يخلق فيهم الكفر أولى والجواب أن وقوع كل الناس فى طريق القهر محذور وأما وقوع البعض فضرورى كما مر فى أول البقرة فشتان بين الممتنع الوجود والضرورى الوجود فكيف يقاس أحدهما على الآخر ثم بين أن مادة كل الآفات وأصل جميع البليات هو السكون الى الدنيا والركون الى أهلها فان ذلك بمنزلة الرمد للبصر ويصير بالتدريج كالعشى ثم كالعمى فقال (ومن يعش عن ذكر الرحمن) أى عن القرآن أى يعرف أنه الحق ولكنه يتجاهل قال جار الله قرئ بفتح الشين أيضا والفرق أنه اذا حصلت آفة فى بصره يقال عشى بالكسر أى عمى يعشى بالفتح واذا نظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا اى تعامى وفيه معنى الاعراض فلهذا عدى بعن ومعنى (نقيض) نقدر كما مر فى حم السجدة (وانهم) أى الشياطين (ليصدونهم) أى العشى عن دين الله (ويحسبون) أى الكفار أن الشياطين والكافرين (مهتدون) وانما جمع الضميرين لان من عام وشيطانا تابع له ولا شك أن

(١) لعله على الأشياء والأنباء غرر

## ﴿ تفسير سورة الدخان ﴾

### ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم﴾ قد تقدم بيانا فى معنى قوله حم والكتاب المبين وقوله انا أنزلناه فى ليلة مباركة أقسم جل ثناؤه بهذا الكتاب أنه أنزله فى ليلة مباركة واختلف أهل التأويل فى تلك الليلة أى ليلة من ليالى السنة هى فقال بعضهم هى ليلة القدر ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا أنزلناه فى ليلة مباركة ليلة القدر ونزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان ونزلت التوارة لست ليال مضت من رمضان ونزل الزبور لست عشرة مضت من رمضان ونزل الانجيل لثمان عشرة مضت من رمضان ونزل الفرقان لاربع وعشرين مضت من رمضان حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله فى ليلة مباركة قال هى ليلة القدر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله عز وجل انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين قال تلك الليلة ليلة القدر أنزل الله هذا القرآن من أم الكتاب فى ليلة القدر ثم أنزله (١) على الانبياء فى الليالى والايام وفى غير ليلة القدر * وقال آخرون بل هى ليلة النصف من شعبان * والصواب من القول فى ذلك قول من قال عنى بها ليلة القدر لان الله جل ثناؤه أخبر أن ذلك كذلك لقوله تعالى انا كنا منذرين خلقنا بهذا الكتاب الذى أنزلناه فى الليلة المباركة عقوبتنا أن نحل بمن كفر منهم فلم ينب الى توحيدنا وافراد الالوهة لنا وقوله فيها يفرق كل أمر حكيم اختلف أهل التأويل فى هذه الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم نحوا اختلافهم فى الليلة المباركة وذلك أن الهاء التى فى قوله فيها عائدة على الليلة المباركة فقال بعضهم هى ليلة القدر يقضى فيها أمر السنة كلها من يموت ومن يولد ومن يعز ومن يذل وسائر أمور السنة ذكر من قال ذلك حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا ربيعة بن كلثوم قال كنت عند الحسن فقال له رجل يا أبا سعيد ليلة القدر فى كل رمضان هى قال إى والله انها لفى كل رمضان وانها الليلة التى يفرق فيها كل أمر حكيم فيها يقضى الله كل أجل وأمل ورزق الى مثلها حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا ربيعة بن كلثوم قال قال رجل للحسن وأنا أسمع أرأيت ليلة القدر أفى كل رمضان هى قال نعم والله الذى لا اله الا هو إنها لفى كل رمضان وانها الليلة يفرق فيها كل أمر حكيم يقضى الله كل أجل وخلق ورزق الى مثلها حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال عبد الحميد بن سالم عن عمر مولى غفرة قال يقال ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر الى مثلها وذلك لأن الله عز وجل يقول انا أنزلناه فى ليلة مباركة وقال فيها يفرق كل أمر حكيم قال فتجد الرجل ينكح النساء ويغرس الغرس واسمه فى الاموات حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن سلمة عن أبى مالك فى قوله فيها يفرق كل أمر حكيم قال أمر السنة الى السنة ما كان من خلق أو رزق أو أجل أو مصيبة أو نحو هذا * قال ثنا سفيان عن حبيب عن هلال بن يساف قال كان يقال انتظروا القضاء فى شهر رمضان حدثنا الفضل بن الصباح قال ثنا محمد بن فضيل عن حصين عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن فى قوله فيها يفرق كل أمر حكيم قال يدبر أمر

السنة فى ليلة القدر حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله فيها يفرق كل أمر حكيم قال فى ليلة القدر كل أمر يكون فى السنة الى السنة الحياة والموت يقدر فيها المعايش والمصائب كلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا أنزلناه فى ليلة مباركة ليلة القدر فيها يفرق كل أمر حكيم كما تحدث أنه يفرق فيها أمر السنة الى السنة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال هى ليلة القدر فيها يقضى ما يكون من السنة الى السنة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور قال سألت مجاهدا فقلت أرأيت دعاء أحدنا يقول اللهم ان كان اسمى فى السعداء فأثبته فيهم وان كان فى الأشقياء فامحه منهم واجعله بالسعداء فقال حسن ثم لقيته بعد ذلك بحول أو أكثر من ذلك فسألته عن هذا الدعاء قال انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم قال يقضى فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من رزق أو مصيبة ثم يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء فأما كتاب السعادة والشقاء فهو ثابت لا يغير * وقال آخرون بل هى ليلة النصف من شعبان ذكر من قال ذلك حدثنا الفضل بن الصباح والحسن بن عرفة قالا ثنا الحسن بن اسمعيل البجلى عن محمد بن سوقة عن عكرمة فى قول الله تبارك وتعالى فيها يفرق كل أمر حكيم قال فى ليلة النصف من شعبان يبرم فيه أمر السنة وتنسخ الأحياء من الاموات ويكتب الحاج فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد حدثنى عبيد بن آدم بن أبى اياس قال ثنا أبى قال ثنا الليث عن عقيل بن خالد عن ابن شهاب عن عثمان بن محمد بن المغيرة بن الاخنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له وقد خرج اسمه فى الموتى حدثنى محمد ابن معمر قال ثنا أبو هشام قال ثنا عبد الواحد قال ثنا عثمان بن حكيم قال ثنا سعيد ابن جبير قال قال ابن عباس ان الرجل ليمشى فى الناس وقد رفع فى الاموات قال ثم قرأ هذه الآية انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم قال ثم قال يفرق فيها أمر الدنيا من السنة الى السنة * وأولى القولين فى ذلك بالصواب قول من قال ذلك ليلة القدر لما قد تقدم من بياننا عن أن المعنى بقوله انا أنزلناه فى ليلة مباركة ليلة القدر والهاء فى قوله فيها من ذكر الليلة المباركة وعنى بقوله فيها يفرق كل أمر حكيم فى هذه الليلة المباركة يقضى ويفصل كل أمر أحكمه الله تعالى فى تلك السنة الى مثلها من السنة الأخرى ووضع حكيم موضع محكم كما قال الم تلك آيات الكتاب الحكيم يعنى المحكم وقوله أمرا من عندنا انا كنا مرسلين يقول تعالى ذكره فى هذه الليلة المباركة يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا واختلف أهل العربية فى وجه نصب قوله أمرا فقال بعض نحويى الكوفة نصب على انا أنزلناه أمرا ورحمة على الحال وقال بعض نحويى البصرة نصب على معنى يفرق كل أمر فرقا وأمرا قال وكذلك قوله رحمة من ربك قال ويجوز أن تنصب الرحمة بوقوع مرسلين عليها لجعل الرحمة للنبى صلى الله عليه وسلم وقوله انا كنا مرسلين يقول تعالى ذكره انا كنا مرسلى رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الى عبادنا رحمة من ربك يا محمد انه هو السميع العليم يقول ان الله تبارك وتعالى هو السميع لما يقول هؤلاء المشركون فيما أنزلنا من كتابنا وأرسلنا من رسلنا اليهم وغير ذلك من منطقهم ومنطق غيرهم العليم بما تنطوى عليه ضمائرهم وغير ذلك من أمورهم وأمور غيرهم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى (رب السموات والأرض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم فى شك

هذا القرين ملازم له فى الآخرة لقوله حتى اذا جاءنا الآية وأما فى الدنيا فمحتمل بل لازم لقوله صلى الله عليه وسلم كما تعيشون تموتون وكما تموتون تبعثون ويروى أن الكافر اذا بعث يوم القيامة من قبره أخذ شيطان بيده ولم يفارقه حتى يصيرهما الله الى النار فذلك حيث يقول (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) أى بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب كالقمرين وقيل المغرب أيضا مشرق بالنسبة الى الحركة الثانية وهذا قول أهل السنة وقيل مشرق الصيف ومشرق الشتاء وفيه ضعف لأنه لا يفيد مبالغة فبين الله تعالى أن ذلك التمنى لا ينفعهم وعلله بقوله (انكم) من قرأ بالكسر فظاهر ومن قرأ بالفتح فعلى حذف اللام أى لن ينفعكم تمنيكم لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه وهو الكفر ويحتمل أن يكون أن فى قراءة الفتح فاعل ينفع أى لن ينفعكم كونكم مشتركين فى العذاب وان قيل المصيبة اذا عمت طابت وذلك أن كل أحد مشغول فى ذلك اليوم عن حال غيره بحال نفسه و(اذ) بدل من اليوم ومعناه اذ ظلمكم تبين ووضح لكل أحد ثم انه صلى الله عليه وسلم كان يتحزن على فقد الايمان منهم فسلاه بقوله (أفأنت) الى آخره وقوله (فاما نذهبن بك) أراد به قبض روحه كقوله فى يونس وفى المؤمن فاما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك والانتقام اما فى الآخرة وهو قول الجمهور أو فى الدنيا عن جابر أنه قال لما نزلت فانا منهم منتقمون قال النبى صلى الله عليه

وسلم يعنى بن أبى طالب رضى الله عنه أورده فى تفسير اللباب وقيل فاما نذهبن بك من مكة فانا منهم منتقمون يوم بدر والحاصل أنه تعالى توعد الكفار بعذاب الدنيا والآخرة جميعا ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم سواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرناه الى الآخرة فكن متمسكا بما أوحينا اليك فانه الدين الذى لا عوج له وانه لشرف لك ولقومك أى لجميع أمتك أو لقريش وسوف تسئلون هل أديتم شكر هذه النعمة أم لا قال أهل التحقيق فى الآية دلالة على أن الذكر الجميل أمر مرغوب فيه لعموم أثره وشموله كل مكان وكل زمان خلاف الحياة المستعارة فان أثرها لا يجاوز مسكن الحى قلت الذكر الجميل جميل ولكن الذكر الحاصل من القرآن أجل رزقنا الله طرفا من ذلك بعميم فضله ثم ان السبب الأقوى فى بغض الكفار وعداوتهم للنبى صلى الله عليه وسلم انكاره لاصنامهم فبين تعالى انه غير مخصوص بهذه الدعوة وهذا الانكار ولكنه دين أطبق كل الانبياء على الدعاء اليه وفى الآية أقوال أحدها أن المضاف محذوف تقديره واسأل يا محمد أمم من أرسلنا وقال القفال المحذوف صلة التقدير واسأل من أرسلنا اليهم من قبلك رسولا من رسلنا والمراد أهل الكتابين لأنهم كانوا يرجعون اليهم فى كثير من أمورهم نظيره فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك ثانيها أن حقيقة السؤال ههنا ممتنعة ولكنه مجاز عن النظر فى أديانهم والفحص عن مللهم

يلعبون ۞ اختلفت القراء فى قراءة قوله رب السموات والارض فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة رب السموات بالرفع على إتباع اعراب الرب اعراب السميع العليم وقرأته عامة قراء الكوفة وبعض المكيين رب السموات خفضا ردّا على الرب فى قوله جلّ جلاله رحمة من ربك ۞ والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ويعنى بقوله رب السموات والارض وما بينهما يقول تعالى ذكره الذى أنزل هذا الكتاب يا محمد عليك وأرسلك الى هؤلاء المشركين رحمة من ربك مالك السموات السبع والارض وما بينهما من الاشياء كلها وقوله ان كنتم موقنين يقول ان كنتم توقنون بحقيقة ما أخبرتكم من أن ربكم رب السموات والارض فان الذى أخبرتكم أن الله هو الذى هذه الصفات صفاته وأن هذا القرآن تنزيله ومحمدا صلى الله عليه وسلم رسوله حق يقين فأيقنوا به كما أيقنتم بما توقنون من حقائق الاشياء غيره وقوله لا اله الا هو يقول لا معبود لكم أيها الناس غير رب السموات والارض وما بينهما فلا تعبدوا غيره فانه لا تصلح العبادة لغيره ولا تنبغى لشئ سواه يحيى ويميت يقول هو الذى يحيى ما يشاء ويميت ما يشاء مما كان حيا وقوله ربكم ورب آبائكم الاولين يقول هو مالككم ومالك من مضى قبلكم من آبائكم الأولين يقول فهذا الذى هذه صفته هو الرب فاعبدوه دون آلهتكم التى لا تقدر على ضر ولا نفع وقوله بل هم فى شك يلعبون يقول تعالى ذكره ما هم بموقنين بحقيقة ما يقال لهم ويخبرون من هذه الاخبار يعنى بذلك مشركى قريش ولكنهم فى شك منه فهم يلهون بشكهم فى الذى يخبرون به من ذلك ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله فارتقب فانتظر يا محمد بهؤلاء المشركين من قومك الذين هم فى شك يلعبون وانما هو افتعل من رقيته اذا انتظرته وحرسته ۞ وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فارتقب أى فانتظر وقوله يوم تأتى السماء بدخان مبين اختلف أهل التأويل فى هذا الذى أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه وأخبره أن السماء تأتى فيه بدخان مبين أىّ يوم هو ومتى هو وفى معنى الدخان الذى ذكر فى هذا الموضع فقال بعضهم ذلك حين دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش ربه تبارك وتعالى أن يأخذهم بسنين كسنى يوسف فأخذوا بالمجاعة قالوا وعنى بالدخان ما كان يصيبهم حينئذ فى أبصارهم من شدّة الجوع من الظلمة كهيئة الدخان ذكر من قال ذلك حدثنى عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى قال ثنا يحيى بن عيسى عن الاعمش عن مسلم عن مسروق قال دخلنا المسجد فاذا رجل يقص على أصحابه ويقول يوم تأتى السماء بدخان مبين تدرون ما ذلك الدخان ذلك دخان يأتى يوم القيامة فيأخذ أسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمنين منه شبه الزكام قال فأتينا ابن مسعود فذكرنا ذلك له وكان مضطجعا فغضب فقعد فقال ان الله عز وجل قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم سأحدثكم عن ذلك ان قريشا لما أبطأت عن الاسلام واستعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم بسنين كسنى يوسف فأصابهم من الجهد والجوع حتى أكلوا العظام والميتة وجعلوا يرفعون أبصارهم الى السماء فلا يرون الا الدخان قال الله تبارك وتعالى يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم فقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون قال الله جل ثناؤه انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون

قال فعادوا يوم بدر فانتقم الله منهم **حدثني** عبد الله بن محمد الزهري قال ثنا مالك بن سعير قال ثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق قال كان في المسجد رجل يذكر الناس فذكر نحو حديث عيسى عن يحيى بن عيسى الا أنه قال فانتقم يوم بدر فهي البطشة الكبرى **حدثنا** ابن حميد وعمرو ابن عبد الحميد قالا ثنا جرير عن منصور عن أبي الضحى مسلم بن صبيح عن مسروق قال كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسا وهو مضطجع بيننا فأتاه رجل فقال يا أبا عبد الرحمن ان قاصا عند ابواب كندة يقص ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار ويأخذ المؤمنين منه كهيئة الزكام فقام عبد الله وجلس وهو غضبان فقال يا أيها الناس اتقوا الله فمن علم شيأ فليقل بما يعلم ومن لا يعلم فليقل الله أعلم وقال عمرو فانه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم وما على أحدكم أن يقول لما لا يعلم لا أعلم فان الله عز وجل يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس ادبارا قال اللهم سبعا كسبع يوسف فأخذتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة والجيف ينظر أحدهم الى السماء فيرى دخانا من الجوع فأتاه أبو سفيان بن حرب فقال يا محمد انك جئت تأمر بالطاعة وبصلة الرحم وان قومك قد هلكوا فادع الله لهم قال الله عز وجل فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين الى قوله انكم عائدون قال فكشف عنهم يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون فالبطشة يوم بدر وقد مضت آية الروم وآية الدخان والبطشة واللزام **حدثني** أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال عبد الله خمس قد مضين الدخان واللزام والبطشة والقمر والروم **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو بكر بن عياش عن عاصم قال شهدت جنازة فيها زيد بن علي فأنشأ يحدث يومئذ فقال ان الدخان يجيء قبل يوم القيامة فيأخذ بأنف المؤمن الزكام ويأخذ بسماع الكافر قال قلت رحمك الله ان صاحبنا عبد الله قد قال غير هذا قال ان الدخان قد مضى وقرأ هذه الآية فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم قال أصاب الناس جهد حتى جعل الرجل يرى ما بينه وبين السماء دخانا فذلك قوله فارتقب وكذا قرأ عبد الله الى قوله مؤمنون قال انا كاشفو العذاب قليلا قلت لزيد فعادوا فأعاد الله عليهم بدرا فذلك قوله وان عدتم عدنا فذلك يوم بدر قال فقبل والله قال عاصم فقال رجل يرد عليه فقال زيد رحمة الله عليه أما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال انكم سيجيئكم رواة فما وافق القرآن فخذوا به وما كان غير ذلك فدعوه **حدثنا** ابن المثنى قال ثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود أنه قال البطشة الكبرى يوم بدر وقد مضى الدخان **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف قال سمعت أبا العالية يقول ان الدخان قد مضى **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن عمرو عن مغيرة عن ابراهيم قال مضى الدخان لسنين أصابتهم **حدثني** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد قال نبئت أن ابن مسعود كان يقول قد مضى الدخان كان سنين كسني يوسف **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثني** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يوم تأتي السماء بدخان مبين قال الجدب وامساك المطر عن كفار قريش الى قوله انا مؤمنون **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يوم تأتي السماء بدخان مبين قال كان ابن مسعود يقول قد مضى الدخان وكان سنين كسني يوسف يغشى الناس هذا عذاب أليم **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ

وثالثها أن التقدير واسأل جبرائيل عمن أرسلنا ورابعها أن النبي صلى الله عليه وسلم جمع له الانبياء ليلة المعراج في السماء أو في بيت المقدس فأمهم وقيل له صلى الله عليه وسلم سلهم فلم يسأل وقد قال صلى الله عليه وسلم اني لا أشك في ذلك قاله ابن عباس وعن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتاني ملك فقال يا محمد سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا علام بعثوا قال قلت علام بعثوا قال على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب رضي الله عنه رواه الثعلبي ولكنه لا يطابق قوله سبحانه أجعلنا الآية وجوز بعضهم أن يكون من مبتدأ والاستفهامية خبره والعائد محذوف أي على ألسنتهم ومعنى الجعل التسمية والحكم واعلم أن كفار قريش انما طعنوا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من جهة كونه فقيرا خاملا وكان فرعون اللعين قد طعن في موسى بمثل ذلك حيث قال أليس لي ملك مصر الى قوله مهين فلا جرم أورد قصة موسى ههنا تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم قوله (فلما جاءهم) معطوف على محذوف تقديره فقال اني رسول رب العالمين فطالبوه اقامة البينة على دعواه فلما جاءهم الى آخره قال جار الله فعل المفاجأة مع اذا مقدر وهو عامل النصب في محلها كانه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجأوقت ضحكهم استهزاء أو سخرية قوله (وما نريهم) حكاية حال ماضية وفي قوله (هي أكبر من أختها) وجهان أحدهما أن كلا منها مثل شبيهتها التي تقدمت وكل من رأى واحدة منها حكم بأنها

يقول. أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم تأتى السماء بدخان مبين قد مضى شأن الدخان حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم عن عبد الله يوم نبطش البطشة الكبرى قال يوم بدر * وقال آخرون الدخان آية من آيات الله مرسلة على عباده قبل مجىء الساعة فيدخل فى أسماع أهل الكفر به ويعترى أهل الايمان به كهيئة الزكام قالوا ولم يأت بعد وهو آت ذكر من قال ذلك حدثنى واصل بن عبد الأعلى قال ثنا ابن فضيل عن الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن البيلمانى عن ابن عمر قال يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكمة ويدخل فى مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبد الله بن أبى مليكة قال غدوت على ابن عباس ذات يوم فقال ما نمت الليلة حتى أصبحت قلت لم قال قالوا طلع الكوكب ذو الذنب فخشيت أن يكون الدخان قد طرق فما نمت حتى أصبحت حدثنا محمد بن بزيع قال ثنا بشر بن المفضل عن عوف قال قال الحسن ان الدخان قد بقى من الآيات فاذا جاء الدخان نفخ الكافر حتى يخرج من كل سمع من مسامعه ويأخذ المؤمن كزكمة حدثنا ابن بشار قال ثنا عثمان يعنى ابن الهيثم قال ثنا عوف عن الحسن بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن أبى سعيد قال يهيج الدخان بالناس فأما المؤمن فيأخذه منه كهيئة الزكمة وأما الكافر فيهيجه حتى يخرج من كل مسمع منه قال وكان بعض أهل العلم يقول فما مثل الارض يومئذ إلا كمثل بيت أوقد فيه ليس فيه خصاصة حدثنى عصام بن رواد بن الجراح قال ثنى أبى قال ثنا سفيان بن سعيد الثورى قال ثنا منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش قال سمعت حذيفة بن اليمان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدجال ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر تقيل معهم اذا قالوا والدخان قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره حدثنى محمد بن عوف قال ثنا محمد بن اسمعيل بن عياش قال ثنى أبى قال ثنى ضمضم بن زرعة عن شريح ابن عبيد عن أبى مالك الاشعرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ربكم أنذركم ثلاثا الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه والثانية الدابة والثالثة الدجال * وأولى القولين بالصواب فى ذلك ما روى عن ابن مسعود من أن الدخان الذى أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرتقبه هو ما أصاب قومه من الجهد بدعائه عليهم على ما وصفه ابن مسعود من ذلك ان لم يكن خبر حذيفة الذى ذكرناه عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحا وان كان صحيحا فرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بما أنزل الله عليه وليس لأحد مع قوله الذى يصح عنه قول وانما لم أشهد له بالصحة لان محمد بن خلف العسقلانى حدثنى أنه سأل رواد اعن هذا الحديث هل سمعه من سفيان فقال له لا فقلت له فقرأته عليه فقال لا فقلت له فقرئ عليه وأنت حاضر فأقر به فقال لا فقلت له فمن أين جئت به قال جاءنى به قوم فعرضوه على فقالوا لى اسمعه منا فقرؤه على ثم ذهبوا فحدثوا به عنى أو كما قال فلما ذكرت من ذلك لم أشهد له بالصحة وانما قلت القول الذى قاله عبد الله بن مسعود هو أولى بتأويل الآية لأن الله جل ثناؤه توعد بالدخان مشركى قريش وأن قوله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين

حكم كبراها لتكافؤ كل منها فى الكبر واذا كان هذا الحكم صادقا على كل منها فكلها كبار كما قال الخماسى من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى وثانيها أن يقال ان الآية الاولى كبيرة والتى تليها أكبر من الأولى والثالثة أكبر من الثانية وكذلك ما بعدها هذا القدر مستفاد من الآية وأما تفصيل هذا التفضيل فلعله لا يطلع عليه الا خالقها ومظهرها (وأخذناهم بالعذاب) السنين ونقص من الثمرات الى سائر ما ابتلوا به قالت المعتزلة (لعلهم يرجعون) أى ارادة أن يرجعوا فورد عليهم أنه لو أراد رجوعهم لكان وأجابوا بأنه لو أراد قسرا لكان ولكنه أراد مختارا وزيف بأنه لو أراد أن يقع طريق الاختيار لزم أن يقع أيضا مختارا أما الفرق فالصواب أن يقال لعل للترجى ونكتة بالنسبة الى المكلف كما مر مرارا (وقالوا يا أيه الساحر) أى العالم الماهر ولم يكن السحر عندهم ذما بل كانوا يستعظمونه ولهذا قالوا اننا لمهتدون وقيل كانوا بعد على كفرهم فلهذا سموه ساحرا وقولهم (انا لمهتدون) وعد منوى اخلافه وقولهم (ادع لنا ربك بما عهد عندك) أى بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة وقدم فى الأعراف (ونادى فرعون) أى أمر بالنداء (فى) مجامع (قومه) أو رفع صوته بذلك فيما بين خواصه فانتشر فى غيرهم والأنهار أنهار النيل قال المفسرون كانت ثلثمائة وستين نهرا ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طالوت ونهر دمياط ونهر منفيس

في سياق خطاب الله كفار قريش وتقريعه اياهم بشركهم بقوله لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم في شك يلعبون ثم أتبع ذلك قوله لنبيه عليه السلام فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين أمر امنه له بالصبر الى أن يأتيهم بأسه وتهديدا للمشركين فهو بأن يكون اذ كان وعيدا لهم قد أحله بهم أشبه من أن يكون أخر عنهم لغيرهم وبعد فانه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم ويكون محلا فيما يستأنف بعد آخرين دخانا على ما جاءت به الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا كذلك لان الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تظاهرت بان ذلك كائن فانه قد كان ما روى عنه عبد الله ابن مسعود فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيح وان كان تأويل الآية في هذا الموضع ما قلنا فاذ كان الذي قلنا في ذلك أولى التأويلين فبين أن معناه فانتظر يا محمد لمشركي قومك يوم تأتيهم السماء من البلاء الذي يحل بهم على كفرهم بمثل الدخان المبين لمن تأمله أنه دخان يغشى الناس يقول يغشى أبصارهم من الجهد الذي يصيبهم هذا عذاب أليم يعني أنهم يقولون مما نالهم من ذلك الكرب والجهد هذا عذاب أليم وهو الموجع وترك من الكلام يقولون استغناء بمعرفة السامعين معناه من ذكرها وقوله ربنا اكشف عنا العذاب يعني أن الكافرين الذين يصيبهم ذلك الجهد يضرعون الى ربهم بمسئلتهم اياه كشف ذلك الجهد عنهم ويقولون انك ان كشفته عنا آمنا بك وعبدناك من دون كل معبود سواك كما أخبر عنهم جل ثناؤه ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون﴾ يقول تعالى ذكره من أي وجه لهؤلاء المشركين التذكر من بعد نزول البلاء بهم وقد تولوا عن رسولنا حين جاءهم مدبرين عنه لا يتذكرون بما يتلى عليهم من كتابنا ولا يتعظون بما يعظهم به من حججنا ويقولون انما هو مجنون (١) على هذا الكلام * وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله أنى لهم الذكرى قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني علي قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس في قوله أنى لهم الذكرى يقول كيف لهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أنى لهم الذكرى بعد وقوع هذا البلاء * وبنحو الذي قلنا أيضا في قوله ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون قال تولوا عن محمد عليه السلام وقالوا معلم مجنون وقوله انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنهم يستغيثون به من الدخان النازل والعذاب الحال بهم من الجهد وأخبر عنهم أنهم يعاهدونه أنه ان كشف العذاب عنهم آمنوا انا كاشفو العذاب يعني الضر النازل بهم بالخصب الذي نحدثه لهم قليلا انكم عائدون يقول انكم أيها المشركون اذا كشفت عنكم ما بكم من ضر لم تفوا بما تعدون وتعاهدون عليه ربكم من الايمان ولكنكم تعودون في ضلالتكم وغيكم وما كنتم قبل أن يكشف عنكم وكان قتادة يقول معناه انكم عائدون في عذاب الله حدثنا بذلك ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عنه وأما الذين قالوا عني بقوله يوم تأتي السماء

كانت تجري تحت قصره وقيل تحت سريره لارتفاعه وقيل بين يدي في جناتي وبساتيني وعن عبد الله ابن المبارك الدينوري في تفسيره أنه أراد بالانهار الجياد من الخيل وهو موافق لما جاء في الحديث في فرس أبي طلحة وان وجدناه لبحرا وقال الضحاك معناه وهذه القواد والجبابرة تحت لوائي قال النحويون اما أن تكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجري نصب على الحال أو الواو للحال وما بعده جملة محلها نصب وفي أم أقوال منها قول سيبويه انها متصلة تقديره أفلا تبصرون أم تبصرون الا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لانهم اذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء فهذا من انزال السبب منزلة المسبب لان الابصار سبب لهذا القول بزعمه ومنها أنها منقطعة لأنه عدد عليهم أسباب الفضل ثم أضرب عن ذلك ثانيا أثبت عندكم أني خير ومنها أن التقدير أفلا تبصرون أني خير أم أبصرتم ثم استأنف فقال أنا خير والمهين من المهانة أي الحقارة والضعف أراد أنه فقير ولا عدد معه ولا عدد (ولا يكادبيين) الكلام لان عقدته لم تزل بالكلية كما شرحنا في طه والقاء الاسورة عليه عبارة عن تفويض مقاليد الملك اليه كانوا اذا أرادوا تشريف الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب وغيره أي ليس معه آلات الملك والسياسة أو ليس معه حلية وزي حسن كما أن الملوك يشهرون رسلهم بالخلع والمكرمات وبأشخاص يتبعونهم فلذلك قالوا (أو جاء معه الملائكة مقترنين) به أو يقترن

(١) لعله علم هذا تأمل

بعضهم ببعض (فاستخف قومه) أى حملهم على أن يخفوا له فى الطاعة أو استخف عقولهم واستجهلهم (فأطاعوه) وهذه من عادة اللئام كما قيل العبد لا يردعه الا العصا * وان أنت أكرمت اللئيم تمردا * ومعنى (آسفونا) أغضبونا أو أغضبوا رسلنا (فجعلناهم سلفا) أى متقدمين وعبرة للتأخرين ليعتبروا من حالهم فلا يقدموا على مثل أفعالهم واليه المآب ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبنى اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة فى الأرض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم ولا يصدنكم الشيطان انه لكم عدو مبين ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون ان الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الاحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون الا الساعة ان تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ياعباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة

بدخان مبين الدخان نفسه فانهم قالوا فى هذا الموضع عنى بالعذاب الذى قال انا كاشفو العذاب الدخان ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة انا كاشفو العذاب قليلا يعنى الدخان **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله انا كاشفو العذاب قليلا قال قد فعل كشف الدخان حين كان قوله انكم عائدون قال كشف عنهم فعادوا **حدثنا** ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة انكم عائدون الى عذاب الله ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا الى عباد الله انى لكم رسول أمين ﴾ يقول تعالى ذكره انكم أيها المشركون ان كشفت عنكم العذاب النازل بكم والضر الحال بكم ثم عدتم فى كفركم ونقضتم عهدكم الذى عاهدتم ربكم انتقمت منكم يوم أبطش بكم بطشتى الكبرى فى عاجل الدنيا فأهلككم وكشف الله عنهم فعادوا فبطش بهم جل ثناؤه بطشته الكبرى فى الدنيا فأهلكهم قتلا بالسيف وقد اختلف أهل التأويل فى البطشة الكبرى فقال بعضهم هى بطشة الله بمشركى قريش يوم بدر ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن المثنى قال ثنى ابن عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر عن ابن مسعود أنه قال البطشة الكبرى يوم بدر **حدثنى** عبد الله بن محمد الزهرى قال ثنا مالك بن سعير قال ثنا الأعمش عن مسلم عن مسروق قال قال يوم بدر البطشة الكبرى **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أيوب عن محمد قال نبئت أن ابن مسعود كان يقول يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر **حدثنى** يعقوب قال ثنا ابن علية عن ليث عن مجاهد يوم نبطش البطشة الكبرى قال يوم بدر **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى **وحدثنى** الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله يوم نبطش البطشة الكبرى قال يوم بدر **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبى عدى عن عوف قال سمعت أبا العالية فى هذه الآية يوم نبطش البطشة الكبرى قال يوم بدر **حدثنى** محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون قال يعنى يوم بدر **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عثام بن على عن الأعمش عن ابراهيم قال قلت ما البطشة الكبرى فقال يوم القيامة فقلت ان عبد الله كان يقول يوم بدر قال فبلغنى أنه سئل بعد ذلك فقال يوم بدر **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس عن الأعمش عن ابراهيم بنحوه **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى الخليل عن مجاهد عن أبى بن كعب قال يوم بدر **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى قال هذا يوم بدر * وقال آخرون بل هى بطشة الله بأعدائه يوم القيامة ذكر من قال ذلك **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال قال ابن عباس قال ابن مسعود البطشة الكبرى يوم بدر وأنا أقول هى يوم القيامة **حدثنا** أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا الأعمش عن ابراهيم قال مر بى عكرمة فسألته عن البطشة الكبرى فقال يوم القيامة قال قلت ان عبد الله بن مسعود كان يقول يوم بدر وأخبرنى من سأله بعد ذلك فقال

يوم بدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله يوم نبطش البطشة الكبرى قال قتادة عن الحسن انه يوم القيامة * وقد بينا الصواب فى ذلك فيما مضى والعلة التى من أجلها اخترنا ما اخترنا من القول فيه وقوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون يعنى تعالى ذكره ولقد اختبرنا وابتلينا يا محمد قبل مشركى قومك مثال هؤلاء قوم فرعون من القبط وجاءهم رسول كريم يقول وجاءهم رسول من عندنا أرسلناه اليهم وهو موسى بن عمران صلوات الله عليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم يعنى موسى حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله رسول كريم قال موسى عليه السلام ووصفه جل ثناؤه بالكرم لانه كان كريما عليه رفيعا عنده مكانه وقد يجوز أن يكون وصفه بذلك لأنه كان فى قومه شريفا وسيطا وقوله أن أدّوا الىّ عباد الله يقول تعالى ذكره وجاء قوم فرعون رسول من الله كريم عليه بأن ادفعوا الىّ ومعنى أدّوا ادفعوا الىّ فأرسلوا معى واتبعون وهو نحو قوله أن أرسل معى بنى اسرائيل فأن فى قوله أن أدّوا الىّ نصب وعباد الله نصب بقوله أدّوا وقد تأوّله قوم أن أدّوا الىّ يا عباد الله فعلى هذا التأويل عباد الله نصب على النداء * وبنحو الذى قلنا فى تأويل أن أدّوا الىّ قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدّوا الىّ عباد الله انى لكم رسول أمين قال يقول اتبعونى الى ما أدعوكم اليه من الحق حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله أن أدّوا الىّ عباد الله قال أرسلوا معى بنى اسرائيل حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن أدّوا الىّ عباد الله قال بنى اسرائيل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أن أدّوا الىّ عباد الله يعنى به بنى اسرائيل قال لفرعون علام تحبس هؤلاء القوم قوما أحرارا اتخذتهم عبيدا خل سبيلهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أن أدّوا الىّ عباد الله قال يقول أرسل عباد الله معى يعنى بنى اسرائيل وقرأ أرسل معنا بنى اسرائيل ولا تعذبهم قال ذلك قوله أن أدّوا الىّ عباد الله قال ردّهم الينا وقوله انى لكم رسول أمين يقول انى لكم أيها القوم رسول من الله أرسلنى اليكم لايدرككم بأسه على كفركم به أمين يقول أمين على وحيه ورسالته التى أوعدنيها اليكم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وأن لا تعلوا على الله انى آتيكم بسلطان مبين وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون﴾ يقول تعالى ذكره وجاءهم رسول كريم أن أدّوا الىّ عباد الله و بأن لا تعلوا على الله وعنى بقوله أن لا تعلوا على الله أن لا تطغوا وتبغوا على ربكم فتكفروا به وتعصوه فتخالفوا أمره انى آتيكم بسلطان مبين يقول انى آتيكم بحجة على حقيقة ما أدعوكم اليه و برهان على صحته مبين لمن تأملها وتدبرها أنها حجة لى على صحة ما أقول لكم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأن لا تعلوا على الله أى لا تبغوا على الله انى آتيكم بسلطان مبين أى بعذر مبين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة بنحوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وأن لا تعلوا على الله يقول لا تفتروا على الله وقوله وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون يقول وانى اعتصمت بربى

منها أكلون ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل ان كان للرحمن ولد فأنا أوّل العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يا رب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون ﴿القراآت يا عبادى بالياء فى الحالين أبو جعفر ونافع وابن عامر وأبو عمرو وقرأ حماد وأبو بكر بفتح الياء الباقون بغير ياء فى الحالين تشبيها بهاء الضمير نافع وأبو جعفر وابن عامر وحفص الآخرون بحذفها واليه يرجعون بياء الغيبة ابن كثير وحمزة وعلى وخلف الباقون بتاء الخطاب وقيله بالكسرة حمزة وعاصم غير المفضل الآخرون بالنصب تعلمون على الخطاب أبو جعفر ونافع وابن عامر ﴿الوقوف يصدّون ه أم هو ط جدلا ط خصمون ه اسرائيل ه ط يخلفون ه

واتبعون ط مستقيم ٥ الشيطان ج للابتداء بان مع اتصال المعنى مبين ٥ فيه ج لعطف الجملتين مع الفاء وأطيعون ٥ فاعبدوه ط مستقيم ٥ من بينهم ج للابتداء مع الفاء أليم ٥ لايشعرون ٥ المتقين ٥ تحزنون ٥ ج لاحتمال كون مابعده وصفا مسلمين ٥ ج لاحتمال أن يكون الذين الى آخر الآية مبتدأ وقوله ادخلوا الى آخره خبرا والقول محذوف لامحالة تحبرون ٥ وأكواب ج الأعين ج للعدول مع العطف خالدون ٥ تعملون ٥ تأكلون ٥ خالدون ٥ ج لاحتمال مابعده صفة أوحالا له لامستأنفا مبلسون ٥ ج لاحتمال أن يكون مابعده مستأنفا أوحالا الظالمين ٥ ربك ط ماكثون ٥ ج كارهون ٥ مبرمون ٥ ج لأن أم يصلح جواب الاولى ويصلح استفهاما آخر ونجواهم ط يكتبون ٥ العابدين ٥ يصفون ٥ يوعدون ٥ وفى الارض اله ط العليم ٥ بينهما ج الساعة ج ترجعون ٥ يعلمون ٥ يؤفكون ٥ ج فالوقف بناء على قراءة النصب والوصل بناء على قراءة الجر وسيأتى تمام البحث عن اعرابها لايؤمنون ٥ لئلا يوهم أن مابعده من قيل الرسول سلام ط للابتداء بالتهديد قال السجاوندى من قرأ تعلمون على الخطاب فوقفه لازم لئلا يصير التهديد داخلا فى الامر بقوله قل قلت لامحذور فيه لان السلام سلام توديع لاتعظيم ۞ التفسير هذا نوع آخر من قبائح أقوال كفرة قريش وفى تفسير المثل وجوه للمفسرين أحدها أن الكفار

وربكم واستجرت به منكم أن ترجمون واختلف أهل التأويل فى معنى الرجم الذى استعاذ موسى نبى الله عليه السلام بربه منه فقال بعضهم هو الشتم باللسان ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون قال يعنى رجم القول حدثنى ابن المثنى قال ثنا عثمان بن عمر بن فارس قال ثنا شعبة عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى صالح فى قوله وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون قال الرجم بالقول حدثنا أبو هشام الرفاعى قال ثنا يحيى بن يمان قال ثنا سفيان عن اسمعيل عن أبى صالح وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون قال أن تقولوا هو ساحر * وقال آخرون بل هو الرجم بالحجارة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون أى أن ترجمون بالحجارة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة أن ترجمون قال أن ترجمون بالحجارة * وقال آخرون بل عنى بقوله أن ترجمون أن تقتلونى * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب مادل عليه ظاهر الكلام وهو أن موسى عليه السلام استعاذ بالله من أن يرجمه فرعون وقومه والرجم قد يكون قولا باللسان وفعلا باليد والصواب أن يقال استعاذ موسى بربه من كل معانى رجمهم الذى يصل منه الى المرجوم أذى ومكروه شتما كان ذلك باللسان أو رجما بالحجارة باليد وقوله وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل نبيه موسى عليه السلام لفرعون وقومه وان أنتم أيها القوم لم تصدقونى على ماجئتكم به من عند ربى فاعتزلون يقول فخلوا سبيلى غير مرجوم باللسان ولا باليد كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون أى فخلوا سبيلى ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادى ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون﴾ يقول تعالى ذكره فدعا موسى ربه اذ كذبوه ولم يؤمنوا به ولم يؤدوا اليه عباد الله وهموا بقتله بأن هؤلاء يعنى فرعون وقومه قوم مجرمون يعنى أنهم مشركون بالله كافرون وقوله فأسر بعبادى وفى الكلام محذوف استغنى بدلالة ماذكر عليه منه وهو فأجابه ربه بأن قال له فأسر اذ كان الأمر كذلك بعبادى وهم بنو اسرائيل وانما معنى الكلام فأسر بعبادى الذين صدقوك وآمنوا بك واتبعوك دون الذين كذبوك منهم وأبوا قبول ماجئتهم به من النصيحة منك وكان الذين كانوا بهذه الصفة يومئذ بنى اسرائيل وقال فأسر بعبادى ليلا لأن معنى ذلك سر بهم بليل قبل الصباح وقوله انكم متبعون يقول ان فرعون وقومه من القبط متبعوكم اذا شخصتم عن بلدهم وأرضهم فى آثاركم وقوله واترك البحر رهوا يقول واذا قطعت البحر أنت وأصحابك فاتركه ساكنا على حاله التى كان عليها حين دخلته وقيل ان الله تعالى ذكره قال لموسى هذا القول بعد ما قطع البحر ببنى اسرائيل فاذ كان ذلك كذلك ففى الكلام محذوف وهو فسرى موسى بعبادى ليلا وقطع بهم البحر فقلنا له بعد ماقطعه وأراد رد البحر الى هيئته التى كان عليها قبل انفلاقه اتركه رهوا ذكر من قال ماذكرنا من أن الله عز وجل قال لموسى صلى الله عليه وسلم هذا القول بعد ما قطع البحر بقومه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون حتى بلغ انهم جند مغرقون قال لما خرج آخر بنى اسرائيل أراد نبى الله صلى الله عليه وسلم أن يضرب البحر بعصاه حتى يعود كما كان مخافة آل فرعون أن يدركوهم فقيل له اترك البحر رهوا انهم جند مغرقون حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال لما قطع البحر

عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون وجنوده فقيل له اترك البحر رهوا كما هو انهم جند مغرقون واختلف أهل التأويل فى معنى الرهو فقال بعضهم معناه اتركه على هيئته وحاله التى كان عليها ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله واترك البحر رهوا يقول سمتا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون قال الرهو أن يترك كما كان فانهم لن يخلصوا من ورائه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا حميد عن اسحق عن عبد الله بن الحرث عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قول الله واترك البحر رهوا قال طريقا * وقال آخرون بل معناه اتركه سهلا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن أبى جعفر عن الربيع قوله واترك البحر رهوا قال سهلا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واترك البحر رهوا قال يقال الرهو السهل حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمى بن عمارة قال ثنا شعبة قال أخبرنى عمارة عن الضحاك بن مزاحم فى قول الله عز وجل واترك البحر رهوا قال دمثا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله واترك البحر رهوا قال سهلا دمثا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واترك البحر رهوا قال هو السهل * وقال آخرون بل معناه واتركه يبسا جددا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى عبيد الله بن معاذ قال ثنى أبى عن شعبة عن سماك عن عكرمة فى قوله واترك البحر رهوا قال جددا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى عبيد الله بن معاذ قال ثنا أبى عن شعبة عن سماك عن عكرمة فى قوله واترك البحر رهوا قال يابسا كهيئته بعد أن ضربه يقول لا تأمره يرجع اتركه حتى يدخل آخرهم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله رهوا قال طريقا يبسا حدثنا ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة واترك البحر رهوا كما هو طريقا يابسا * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب قول من قال معناه اتركه على هيئته كما هو على الحال التى كان عليها حين سلكته وذلك أن الرهو فى كلام العرب السكون كما قال الشاعر

كأنما أهل حجر ينظرون متى * يرونى خارجا طيرا بأيديهم
طيرا رأت بازيا ينضح الدماء به * وأمه خرجت رهوا الى عيد

يعنى على سكون واذا كان ذلك معناه كان لا شك أنه مترو ك سهلا دمثا وطريقا يبسا لأن بنى اسرائيل قطعوه حين قطعوه وهو كذلك فاذا ترك البحر رهوا كما كان حين قطعه موسى ساكنا لم يهج كان لا شك أنه بالصفة التى وصفت وقوله انهم جند مغرقون يقول ان فرعون وقومه جند الله مغرقهم فى البحر ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين ﴾ يقول تعالى ذكره كم ترك فرعون وقومه من الخلق بعد مهلكهم وتغريق الله اياهم من بساتين أشجار وهى الجنات وعيون يعنى ومنابع ما كان ينفجر فى جنانهم وزروع قائمة فى مزارعهم ومقام كريم يقول وموضع كانوا يقومونه شريف كريم ثم اختلف أهل التأويل فى معنى وصف الله ذلك المقام بالكرم فقال بعضهم وصفه بذلك لشرفه وذلك أنه مقام الملوك والامراء قالوا وانما أريد به المنابر ذكر من قال ذلك حدثنى جعفر بن ابنة اسحق الازرق قال ثنا سعيد بن محمد الثقفى قال ثنا اسمعيل

لما سمعوا أن النصارى يعبدون عيسى قالوا اذا جاز أن يكون عيسى ابن الله جاز أن تكون الملائكة بنات الله وانتصب مثلا على أنه مفعول ثان لضرب أى جعل مثلا فالضارب للمثل كافرو (اذا قومك) أى المؤمنون (منه) أى من المثل أو من ضربه (يصدون) أى يجزعون ويضجون (وقالوا) أى الكفار أهذا خير أم هو يعنون الملائكة خير من عيسى وقد نبأنا ما مر فى آخر الانبياء أنه حين نزل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعرى للنبى صلى الله عليه وسلم قد علمت أن النصارى يعبدون عيسى وأمه وعزيرا فان كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم فسكت النبى صلى الله عليه وسلم وضحك القوم وضحكوا وصيحوا فأنزل الله تعالى قوله ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية أيضا والمعنى ولما ضرب ابن الزبعرى عيسى ابن مريم مثلا اذا قومك قريش من هذا المثل يصدون بالكسر والضم أى يرتفع لهم جلبة وصياح فرحا وسرورا بما رأوا من سكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فان العادة قد جرت بأن أحد الخصمين اذا انقطع أظهر الخصم الآخر الفرح (وقالوا أآلهتنا) وهى الاصنام (خير أم) عيسى فاذا كان عيسى من حصب النار كان أمر آلهتنا أهون وقيل من قرأ بالضم فمن الصدود أى من أجل هذا المثل يمنعون عن الحق وثالثها أنه صلى الله عليه وسلم لما حكى أن النصارى عبدوا المسيح الها وأن مثله عند الله كمثل آدم قال كفار مكة ان محمدا يريد أن نتخذه الها كما اتخذ

النصارى المسيح الها ونجروا ونجوا وقالوا أآلهتنا خير أم هو يعنون محمدا وغرضهم أن آلهتهم خير لانها مما عبدها آباؤهم وأطبقوا عليها فأبطل الله تعالى كلامهم بقوله (ماضربوه لك الا جدلا) أى لم يضربوا هذا المثل لاجلك الا للجدال والغلبة دون البحث عن الحق (بل هم قوم) من عادتهم الخصومة واللدد ثم قرر أمر عيسى عليه السلام بقوله (ان هو الا عبد أنعمنا عليه) بأن خلقناه من غير أب وصيرناه عبرة وحاله عجيبة (ولو نشاء لجعلنا منكم) أى بدلا منكم (ملائكة فى الارض يخلفون) يقومون مقامكم وقيل أراد لولدنا منكم يا رجال ملائكة يخلفونكم فى الارض كما يخلفكم أولادكم والغرض بيان كمال القدرة وأن كون الملائكة فى السموات لا يوجب لهم الالهية ولا نسبا من الله ثم بين مآل حال عيسى عليه السلام بقوله (وانه) يعنى عيسى (لعلم للساعة) لعلامة من علامات القيامة كما جاء فى الحديث أنا أولى الناس بعيسى ليس بينى و بينه نبى وانه أول نازل يكسر الصليب و يقتل الخنزير و يقاتل الناس على الاسلام وقيل اذا نزل عيسى رفع التكليف وقيل ان عيسى كان يحيى الموتى فعلم بالساعة والبعث وقيل الضمير فى وانه للقرآن أى القرآن يعلم منه وفيه ثبوت الساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فيها (واتبعونى) هذه حكاية قول النبى صلى الله عليه وسلم أو المراد واتبعوا رسولى وشرعى والباقى واضح الى قوله هل ينظرون وقدم فى آل عمران وفى مريم وقوله (أن تأتيهم) بدل من الساعة و(الاخلاء)

ابن ابراهيم بن مهاجر عن أبيه عن مجاهد فى قوله ومقام كريم قال المنابر حدثنى زكريا بن يحيى ابن أبى زائدة قال ثنا عبد الله بن داود الواسطى قال ثنا شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير فى قوله ومقام كريم قال المنابر * وقال آخرون وصف ذلك المقام بالكرم لحسنه وبهجته ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومقام كريم أى حسن وقوله ونعمة كانوا فيها فاكهين يقول تعالى ذكره وأخرجوا من نعمة كانوا فيها فاكهين متفكهين ناعمين واختلفت القراء فى قراءة قوله فاكهين فقرأته عامة قراء الأمصار خلا أبى جعفر القارى فاكهين على المعنى الذى وصفت وقرأه أبو رجاء العطاردى والحسن وأبو جعفر المدنى فكهين بمعنى أشرين بطرين والصواب من القراءة عندى فى ذلك القراءة التى عليها قراء الامصار وهى فاكهين بالألف بمعنى ناعمين و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ونعمة كانوا فيها فاكهين ناعمين قال إى والله أخرجه الله من جناته وعيونه وزروعه حتى وزرطه فى البحر وقوله كذلك وأورثناها قوما آخرين يقول تعالى ذكره هكذا كما وصفت لكم أيها الناس فعلنا بهؤلاء الذين ذكرت لكم أمرهم الذين كذبوا رسولنا موسى صلى الله عليه وسلم وقوله وأورثناها قوما آخرين يقول تعالى ذكره وأورثنا جناتهم وعيونهم وزروعهم ومقاماتهم وما كانوا فيه من النعمة قوما آخرين بعد مهلكهم وقيل عنى بالقوم الآخرين بنو اسرائيل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذلك وأورثناها قوما آخرين يعنى بنى اسرائيل ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من فرعون انه كان عاليا من المسرفين﴾ يقول تعالى ذكره فما بكت على هؤلاء الذين غرقهم الله فى البحر وهم فرعون وقومه السماء والأرض وقيل ان بكاء السماء حمرة أطرافها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن اسمعيل الاحمسى قال ثنا عبد الرحمن بن أبى حماد عن الحكم بن ظهير عن السدى قال لما قتل الحسين بن على رضوان الله عليه ما بكت السماء عليه و بكاؤها حمرتها حدثنى على بن سهل قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء فى قوله فما بكت عليهم السماء والارض قال بكاؤها حمرة أطرافها وقيل انما قيل فما بكت عليهم السماء والارض لان المؤمن اذا مات بكت عليه السماء والارض أربعين صباحا ولم تبكيا على فرعون وقومه لأنه لم يكن لهم عمل يصعد الى الله صالح فتبكى عليهم السماء ولا مسجد فى الارض فتبكى عليهم الارض و بنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن منصور عن المنهال عن سعيد بن جبير قال أتى ابن عباس رجل فقال يا أبا عباس أرأيت قول الله تبارك وتعالى فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين فهل تبكى السماء والارض على أحد قال نعم انه ليس أحد من الخلائق الا له باب فى السماء منه ينزل رزقه وفيه يصعد عمله فاذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذى كان يصعد عمله وينزل منه رزقه بكى عليه واذا فقده مصلاه من الارض التى كان يصلى فيها ويذكر الله فيها بكت عليه وان قوم فرعون لم يكن لهم فى الارض آثار صالحة ولم يكن يصعد الى السماء منهم خير قال فلم تبك عليهم السماء والارض حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن و يحيى قالا ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال كان يقال تبكى الارض على المؤمن أربعين صباحا حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبى يحيى القتات عن مجاهد

عن ابن عباس بمثله **حدثني** يحيى بن طلحة قال ثنا فضيل بن عياض عن منصور عن مجاهد قال حدثت أن المؤمن اذا مات بكت عليه الارض أربعين صباحا **حدثنا** ابن بشار قال ثنا يعقوب بن اسحق الحضرمي قال ثنا بكير بن أبي السميط قال ثنا قتادة عن سعيد ابن جبير أنه كان يقول ان بقاع الارض التي كان يصعد عمله منها الى السماء تبكي عليه بعد موته يعني المؤمن **حدثنا** ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس فما بكت عليهم السماء والارض قال انه ليس أحد الا له باب في السماء ينزل فيه رزقه و يصعد فيه عمله فاذا فقد بكت عليه مواضعه التي كان يسجد عليها وان قوم فرعون لم يكن لهم في الارض عمل صالح يقبل منهم فيصعد الى الله عز وجل فقال مجاهد تبكي الارض على المؤمن أربعين صباحا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال كان يقال ان المؤمن اذا مات بكت عليه الارض أربعين صباحا **حدثنا** يحيى بن طلحة قال ثنا عيسى بن يونس عن صفوان بن عمرو عن شريح بن عبيد الحضرمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا ألا لا غربة على المؤمن ما مات مؤمن في غربة غابت عنه فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فما بكت عليهم السماء والارض ثم قال انهما لا يبكيان على الكافر **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فما بكت عليهم السماء والارض الآية قال ذلك أنه ليس على الارض مؤمن يموت الا يبكي عليه ما كان يصلي فيه من المساجد حين يفقده والا يبكي عليه من السماء الموضع الذي كان يرفع منه كلامه فذلك قوله لأهل معصيته فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين لانهما يبكيان على أولياء الله **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فما بكت عليهم السماء والارض (١) **حدثت** عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله فما بكت عليهم السماء والارض يقول لا تبكي السماء والارض على الكافر وتبكي على المؤمن الصالح معالمه من الارض ومقر عمله من السماء **حدثنا** ابن عبد الاعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة في قوله فما بكت عليهم السماء والارض قال بقاع المؤمن التي كان يصلي عليها من الارض تبكي عليه اذا مات وبقاعه من السماء التي كان يرفع فيها عمله **وحدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن المنهال عن سعيد بن جبير قال سئل ابن عباس هل تبكي السماء والارض على أحد فقال نعم انه ليس أحد من الخلق الا له باب في السماء يصعد فيه عمله و ينزل منه رزقه فاذا مات بكى عليه مكانه من الارض الذي كان يذكر الله فيه يصلي فيه و يبكي عليه بابه الذي كان يصعد فيه عمله و ينزل منه رزقه وأما قوم فرعون فلم يكن لهم آثار صالحة ولم يصعد الى السماء منهم خير فلم تبك عليهم السماء والارض وقوله وما كانوا منظرين يقول وما كانوا مؤخرين بالعقوبة التي حلت بهم ولكنهم عوجلوا بها اذ أسخطوا ربهم عز وجل عليهم ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين يقول تعالى ذكره ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب الذي كان فرعون وقومه يعذبونهم به المهين يعني المذل لهم * و بنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين بقتل أبنائهم واستحياء نسائهم وقوله من فرعون انه كان عاليا من المسرفين يقول تعالى ذكره ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب من فرعون فقوله من فرعون مكررة على قوله من العذاب المهين مبدلة

(١) لم يذكر لهذا السند تفسيرا عن قتادة والذي في الدر المنثور عنه قال هم كانوا أهون على الله من ذلك قال وكذا تحدث أن المؤمن تبكي عليه بقاعه التي كان يصلي فيها من الأرض ومصعد عمله من السماء اه مصححه

جمع خليل و (يومئذ) ظرف (عدو) وهو كقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ولكن خلة المتقين ثابتة لأن المحبة في الله لا تزول ومعنى (تحبرون) تسرون والحبور السرور والصحاف جمع صحفة وهي القصعة فيها طعام والأكواب جمع كوب وهو الابريق لا عروة له وقديدور في الخلد أن العروة للكوز أمر زائد على مصلحة الشرب وانما هو لدفع حاجة كتعليق وتعلق وأهل الجنة فيها براء من أمثال ذلك فلهذا كانت أكوازها أكوابا والله أعلم بأسراره (وفيها) أي في الجنة قال التفتازاني جمع بين اللفظتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على تفصيله لم يخرجوا عنه ثم يقال لهم (وأنتم فيها خالدون) الى آخره ثم وصف حال أهل الجرائم من الكفار أو منهم ومن الفساق على اختلاف بين السني والمعتزلي ومعنى (لا يفتر) لا يخفف من الفتور ومبلسون آيسون ساكتون تحيرا ودهشا ولما أيسوا من فتور العذاب (نادوا يا مالك) وهو اسم خازن النار (ليقض علينا ربك) أي ليمتنا كقوله فقضى عليه قال مالك بعد أربعين عاما أو بعد مائة أو ألف أو قال الله بدليل قوله ولقد جئناكم فانه ظاهر من كلام الله وان كان يحتمل أن يكون قول الملائكة قال أهل التحقيق سمي خازن النار مالكا لان الملك علقة والتعلق من أسباب دخول النار كما سمي خازن الجنة رضوانا لان الرضا بحكم الله سبب كل راحة وسعادة وصلاح وفلاح ثم عاد الى توبيخ قريش وتجهيلهم والتعجيب من حالهم فقال (أم أبرموا أمرا) والابرام الاحكام والمعنى انهم كلما

من من الأولى و يعنى بقوله انه كان عاليا من المسرفين انه كان جبارا مستعليا مستكبرا على ربه من المسرفين يعنى من المتجاوزين ما ليس لهم تجاوزه وانما يعنى جل ثناؤه أنه كان ذا اعتداء فى كفره واستكبار على ربه جل ثناؤه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ﴾ يقول تعالى ذكره ولقد اخترنا بنى اسرائيل على علم منا بهم على عالمى أهل زمانهم يومئذ وذلك زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولقد اخترناهم على علم على العالمين أى اختيروا على أهل زمانهم ذلك ولكل زمان عالم حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين قال عالم ذلك الزمان حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين قال على من هم بين ظهرانيه قوله وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين يقول تعالى ذكره وأعطيناهم من العبر والعظات ما فيه اختبار يبين لمن تأمله أنه اختبار اختبرهم الله به واختلف أهل التأويل فى ذلك البلاء فقال بعضهم ابتلاهم بنعمه عندهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين أنجاهم الله من عدوهم ثم أقطعهم البحر وظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى * وقال آخرون بل ابتلاهم بالرخاء والشدة ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين وقرأ ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون وقال بلاء مبين لمن آمن بها وكفر بها بلوى نبتليهم بها نمحصهم بلوى اختبار نختبرهم بالخير والشر نختبرهم لننظر فيما أتاهم من الآيات من يؤمن بها وينتفع بها ويضيعها * وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر أنه آتى بنى اسرائيل من الآيات ما فيه ابتلاؤهم واختبارهم وقد يكون الابتلاء والاختبار بالرخاء ويكون بالشدة ولم يضع لنا دليلا من خبر ولا عقل أنه عنى بعض ذلك دون بعض وقد كان الله اختبرهم بالمعنيين كليهما جميعا وجائز أن يكون عنى اختباره اياهم بهما فاذا كان الامر على ما وصفنا فالصواب من القول فيه أن نقول كما قال جل ثناؤه انه اختبرهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ﴾ يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل مشركى قريش لنبى الله صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء المشركين من قومك يا محمد ليقولون ان هى الا موتتنا الأولى التى نموتها وهى الموتة الاولى وما نحن بمنشرين بعد مماتنا ولا بمبعوثين تكذيبا منهم بالبعث والثواب والعقاب * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين قال قد قال مشركو العرب وما نحن بمنشرين أى بمبعوثين وقوله فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين يقول تعالى ذكره قالوا لمحمد عليه السلام فأتوا بآبائنا الذين قد ماتوا ان كنتم صادقين أن الله باعثنا من بعد بلائنا فى قبورنا ومحيينا من بعد مماتنا وخوطب صلى الله عليه وسلم هو وحده خطاب الجميع كما قيل يا أيها النبى اذا طلقتم النساء وكما قال رب ارجعون وقد بينت ذلك فى غير موضع من كتابنا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أهم خير

أحكموا أمرا فى المكر بمحمد صلى الله عليه وسلم فانا نحكم أمرا فى مجازاتهم وقال قتادة أجمعوا على التكذيب وأجمعنا على التعذيب وذلك أنهم اجتمعوا فى دار الندوة وأطبقوا على الاغتيال بمحمد صلى الله عليه وسلم وتناجوا فى ذلك فكف عنه شرهم وأوعدهم عليه بأنه يعلم سرهم وهو ما حدث به الرجل نفسه أو غيره فى مكان خال ونجواهم وهى ما تكلموا به فيما بينهم على سبيل الخفية أيضا ثم أكد علمه بأن حفظة الأعمال يكتبونه ثم برهن على نفى الولد عن نفسه فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) وهذه قضية شرطية جزآها ممتنعان الا أن الملازمة صادقة نظيره قولك ان كانت الخمسة زوجا فهى منقسمة بمتساويين وهذا على سبيل الفرض والتقدير و بيان الملازمة أن الولد يجب محبته وخدمته لرضا الوالد وتعظيمه فلو كان المقدم حاصلا فى الواقع لزم وقوع التالى عادة وانما ادعى أولية فى العبادة لأن النبى متقدم فى كل حكم على أمته خصوصا فيما يتعلق بالاصول كتعظيم المعبود وتنزيهه لكن التالى غير واقع فكذا المقدم وهذا الكلام ظاهر الالزام واضح الانتظام قريب من الأفهام لا حاجة فيه الى تقريب المرام وأما المفسرون الظاهريون لا دراية لهم بالمعقول فقد ذكروا فيه وجوها متكلفة منها ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول الموحدين لله ومنها ان كان له ولد فى زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد يقال عبد بالكسر يعبد بالفتح اذا اشتد أنفه ومنها جعل

أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أهؤلاء المشركون يا محمد من قومك خير أم قوم تبع يعني تبعا الحميري كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل أهم خير أم قوم تبع قال الحميري حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أهم خير أم قوم تبع ذكر لنا أن تبعا كان رجلا من حمير سار بالجيوش حتى حيرا الحيرة ثم أتى سمرقند فهدمها وذكر لنا أنه كان اذا كتب كتب باسم الذي تسمى وملك براو بحرا وصحاو ريحا وذكر لنا أن كعبا كان يقول نعت نعت الرجل الصالح ذم الله قومه ولم يذمه وكانت عائشة تقول لا تسبوا تبعا فانه كان رجلا صالحا حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال قالت عائشة كان تبع رجلا صالحا وقال كعب ذم الله قومه ولم يذمه حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن تميم بن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير أن تبعا كسا البيت ونهى سعيد عن سبه وقوله والذين من قبلهم يقول تعالى ذكره أهؤلاء المشركون من قريش خير أم قوم تبع والذين من قبلهم من الامم الكافرة بربها يقول فليس هؤلاء بخير من أولئك فنصفح عنهم ولا نهلكهم وهم بالله كافرون كما كان الذين أهلكناهم من الامم قبلهم كفارا وقوله انهم كانوا مجرمين يقول ان قوم تبع والذين من قبلهم من الامم الذين أهلكناهم انما أهلكناهم لاجرامهم وكفرهم بربهم وقيل انهم كانوا مجرمين فكسرت ألف ان على وجه الابتداء وفيها معنى الشرط استغناء بدلالة الكلام على معناها ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره وما خلقنا السموات السبع والارضين وما بينهما من الخلق لعبا وقوله ما خلقناهما الا بالحق يقول ما خلقنا السموات والارض الا بالحق الذي لا يصلح التدبير الا به وانما يعني بذلك تعالى ذكره التنبيه على صحة البعث والمجازاة يقول تعالى ذكره لم نخلق الخلق عبثا بأن نحدثهم فنحييهم ما أردنا ثم نفنيهم من غير الامتحان بالطاعة والامر والنهي وغير مجازاة المطيع على طاعته والعاصي على المعصية ولكنا خلقنا ذلك لنبتلي من أردنا امتحانه من خلقنا بما شئنا من امتحانه من الامر والنهي ولنجزي الذين أساؤا بما عملوا ولنجزي الذين أحسنوا بالحسنى ولكن أكثرهم لا يعلمون يقول تعالى ذكره ولكن أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعلمون أن الله خالق ذلك لهم فهم لا يخافون على ما يأتون من سخط الله عقوبته ولا يرجون على خير ان فعلوه ثوابا بالتكذيب بهم بالمعاد ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون إلا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ﴾ يقول تعالى ذكره ان يوم فصل الله القضاء بين خلقه بما أسلفوا في دنياهم من خير أو شر يجزي به المحسن بالاحسان والمسيء بالاساءة ميقاتهم أجمعين يقول ميقات اجتماعهم أجمعين كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم وقوله يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا يقول لا يدفع ابن عم عن ابن عم ولا صاحب عن صاحبه شيئا من عقوبة الله التي حلت بهم من الله ولا هم ينصرون يقول ولا ينصر بعضهم بعضا فيستعيذوا ممن نالهم بعقوبة كما كانوا يفعلونه في الدنيا كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا الآية انقطعت الاسباب يومئذ يا ابن آدم وصار الناس الى أعمالهم فمن أصاب يومئذ خيرا سعد به آخرا ما عليه ومن أصاب يومئذ شرا شقي به آخرا ما عليه وقوله إلا

ان نافية أي ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك ووحد ثم نزه نفسه عما لا يليق بذاته ثم أمر نبيه أن يتركهم في باطلهم واللعب بدنياهم حتى يلاقوا القيامة ثم مدح ذاته بقوله (وهو الذي في السماء اله) أي معبود كما مر في قوله وهو الله في السموات وفي الارض والتقدير وهو الذي هو في السماء اله الا أنه حذف الراجع لطول الكلام ثم أبطل قول الكفرة ان الاصنام تنفعهم وقوله (الا من شهد) استثناء منقطع أي لكن من شهد بالتوحيد عن علم وبصيرة هو الذي يملك الشفاعة ويجوز أن يكون متصلا لأن من جملة من يدعونهم الملائكة وعيسى وعزيرا وجوز أن تكون اللام محذوفة لان الشفاعة تقتضي مشفوعا له أي لمن شهد بالحق وهم المؤمنون قال بعض العلماء (وهم يعلمون) دلالة على أن ايمان المقلد وشهادته غير معتبر ثم كرر ما ذكر في أول السورة قائلا (ولئن سألتهم) والغرض التعجيب من حالهم انهم يعترفون بالصانع ثم يجعلون له أندادا وقيل الضمير في سألتهم للمعبودين من قرأ (وقيله) بالنصب فعن الاخفش أنه معطوف على سرهم ونجواهم أو المراد وقال قيله أي قوله والضمير للنبي صلى الله عليه وسلم لتقدم ذكره بالكناية في قوله قل ان كان وعن أبي علي أنه يعود الى عيسى وفيه تسلية لمحمد صلى الله عليه وسلم ويحتمل أن يكون النصب بالعطف على محل الساعة أي وعنده علم الساعة وعلم قيله كقراءة من قرأ بالجر ثم سلى نبيه صلى الله عليه وسلم باعمال الخلق الحسن

من رحم الله اختلف أهل العربية فى موضع من فى قوله إلا من رحم الله فقال بعض نحويى البصرة إلا من رحم الله فجعله بدلا من الاسم المضمر فى ينصرون وان شئت جعلته مبتدأ وأضمرت خبره يريد به الا من رحم الله فيغنى عنه وقال بعض نحويى الكوفة قوله الا من رحم الله قال المؤمنون يشفع بعضهم فى بعض فان شئت فاجعل من فى موضع رفع كأنك قلت لا يقوم أحد إلا فلان وان شئت جعلته نصبا على الاستثناء والانقطاع عن أول الكلام يريد اللهم إلا من رحم الله * وقال آخرون منهم معناه لا يغنى مولى عن مولى شيأ الا من أذن الله له أن يشفع قال لا يكون بدلا مما فى ينصرون لأن إلا محقق والاول منفى والبدل لا يكون إلا بمعنى الاول قال وكذلك لا يجوز أن يكون مستأنفا لأنه لا يستأنف بالاستثناء * وأولى الأقوال فى ذلك بالصواب أن يكون فى موضع رفع بمعنى يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ إلا من رحم الله منهم فانه يغنى عنه بأن يشفع له عند ربه وقوله انه هو العزيز الرحيم يقول جل ثناؤه واصفا نفسه ان الله هو العزيز فى انتقامه من أعدائه الرحيم بأوليائه وأهل طاعته ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ان شجرت الزقوم طعام الأثيم كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم﴾ يقول تعالى ذكره ان شجرة الزقوم التى أخبر أنها تنبت فى أصل الجحيم التى جعلها طعاما لأهل الجحيم ثمرها فى الجحيم طعام الآثم فى الدنيا بربه والاثيم ذو الاثم والاثم من أثم يأثم فهو أثيم وعنى به فى هذا الموضع الذى أثمه الكفر بربه دون غيره من الآثام وقد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الأعمش عن ابراهيم عن همام بن الحرث أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلا ان شجرة الزقوم طعام الاثيم فقال طعام اليتيم فقال أبو الدرداء قل ان شجرة الزقوم طعام الفاجر حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش عن أبى يحيى عن مجاهد عن ابن عباس قال لو أن قطرة من زقوم جهنم أنزلت الى الدنيا لأفسدت على الناس معايشهم حدثنى أبو السائب قال ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن ابراهيم عن همام قال كان أبو الدرداء يقرئ رجلا ان شجرة الزقوم طعام الأثيم قال فجعل الرجل يقول ان شجرة الزقوم طعام اليتيم قال فلما أكثر عليه أبو الدرداء فرآه لا يفهم قال ان شجرة الزقوم طعام الفاجر حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم قال أبو جهل وقوله كالمهل يغلى فى البطون يقول تعالى ذكره ان شجرة الزقوم التى جعل ثمرتها طعام الكافر فى جهنم كالرصاص أو الفضة أو مايذاب فى النار اذا أذيب بها فتناهت حرارته وشدت حميته فى شدة السواد وقد بينا معنى المهل فيما مضى بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع من الشواهد وذكر اختلاف أهل التأويل فيه غير أنا نذكر من أقوال أهل العلم فى هذا الموضع ما لم نذكره هنالك حدثنا سليمن بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن قابوس عن أبيه قال سألت ابن عباس عن قول الله جل ثناؤه كالمهل قال كدردى الزيت حدثنى على بن سهل قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله كالمهل يغلى فى البطون يقول أسود كمهل الزيت حدثنا أبو كريب وأبو السائب ويعقوب بن ابراهيم قالوا ثنا ابن ادريس قال سمعت مطرفا عن عطية بن سعد عن ابن عباس فى قوله كالمهل ماء غليظ كدردى الزيت حدثنى يحيى بن طلحة قال ثنا شريك عن مطرف عن رجل عن ابن عباس فى قوله كالمهل قال كدردى الزيت حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا خليد عن الحسن عن ابن عباس أنه رأى فضة قد أذيبت فقال هذا المهل حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو معاوية قال ثنا عمرو بن ميمون عن أبيه عن عبد الله فى قوله كالمهل يشوى الوجوه قال دخل

معهم الى أوان النصر وهو ظاهر والله أعلم بالتوفيق

* (سورة الدخان مكية حروفها ألف وأربعمائة وأربعون كلماتها ثلثمائة وأربعون آياتها تسع وخمسون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

(حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا إله الا هو يحيي ويميت ربكم ورب آبائكم الأولين بل هم فى شك يلعبون فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى انا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا الى عباد الله انى لكم رسول أمين وأن لا تعلوا على الله انى آتيكم بسلطان مبين وانى عذت بربى وربكم أن ترجمون وان لم تؤمنوا لى فاعتزلون فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادى ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا انهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بنى اسرائيل من العذاب المهين من

عبدالله بيت المال فأخرج بقايا كانت فيه فأوقد عليها النار حتى تلألأت قال أين السائل عن المهل هذا المهل حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وحدثنا محمد بن المثنى قال ثنا خالد ابن الحرث عن عوف عن الحسن قال بلغني أن ابن مسعود سئل عن المهل الذي يقولون يوم القيامة شراب أهل النار وهو على بيت المال قال فدعا بذهب وفضة فأذابهما فقال هذا أشبه شيء في الدنيا بالمهل الذي هو لون السماء يوم القيامة وشراب أهل النار غير أن ذلك هو أشد حرا من هذا لفظ الحديث لابن بشار وحديث ابن المثنى نحوه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الحسن قال كان من كلامه ان عبدالله بن مسعود رجل أكرمه الله بصحبة محمد صلى الله عليه وسلم فان عمر رضي الله عنه استعمله على بيت المال قال فعمد الى فضة كثيرة مكسرة فخدها أخدودا ثم أمر بحطب جزل فأوقد عليها حتى اذا التماعت وتربدت وعادت ألوانا قال انظروا من بالباب فأدخل القوم فقال لهم هذا أشبه ما رأينا في الدنيا بالمهل حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم الآية ذكر لنا أن ابن مسعود أهديت له سقاية من ذهب وفضة فأمر بأخدود فخدت في الارض ثم قذف فيها من جزل الحطب ثم قذفت فيها تلك السقاية حتى اذا أزبدت وانماعت قال لغلامه ادع من بحضرتنا من أهل الكوفة فدعا رهطا فلما دخلوا قال أترون هذا قالوا نعم قال ما رأينا في الدنيا شبيها للمهل أدنى من هذا الذهب والفضة حين أزبدوا انماع حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا ابن يمان قال ثنا سفيان عن الأعمش عن عبدالله بن سفيان الأسدي قال أذاب عبدالله ابن مسعود فضة ثم قال من أراد أن ينظر الى المهل فلينظر الى هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس في قوله يوم تكون السماء كالمهل قال كدردي الزيت حدثني يحيى ابن طلحة قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد كالمهل قال كدردي الزيت حدثنا ابن المثنى قال ثنا يعمر بن بشر قال ثنا ابن المبارك قال ثنا أبو الصباح قال سمعت يزيد بن أبي سمية يقول سمعت ابن عمر يقول هل تدرون ما المهل المهل مهل الزيت يعني آخره * قال ثنا ابراهيم أبو اسحق الطالقاني قال ثنا ابن المبارك قال أخبرنا أبو الصباح الايلي عن يزيد بن أبي سمية عن ابن عمر بمثله حدثنا أبو كريب قال ثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحرث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله بماء كالمهل كعكر الزيت فاذا قرب به الى وجهه سقطت فروة وجهه فيه * قال ثنا محمد بن المثنى قال ثنا يعمر بن بشر قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا رشدين بن سعد قال ثني عمرو بن الحرث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله وقوله في البطون اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة والكوفة تغلى بالتاء بمعنى أن شجرة الزقوم تغلى في بطونهم فأنثوا تغلى لتأنيث الشجرة وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة يغلى بالياء بمعنى طعام الاثيم يغلى أو المهل يغلى فذكره بعضهم لتذكير الطعام ووجه معناه الى أن الطعام هو الذي يغلى في بطونهم وبعضهم لتذكير المهل ووجهه الى أنه صفة للمهل الذي يغلى * والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب كغلي الحميم يقول يغلي ذلك في بطون هؤلاء الاشقياء كغلي الماء المحموم وهو المسخن الذي قد أوقد عليه حتى تناهت شدة حره وقيل حميم وهو محموم لانه مصروف من مفعول الى فعيل كما يقال قتيل من مقتول

القول في تأويل قوله تعالى ﴿خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب

فرعون انه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين ان هؤلاء ليقولون ان هي الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرت الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون ان المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون ﴿ القراآت رب السموات بالجر على البدل من ربك عاصم وحمزة وعلي وخلف الباقون بالرفع انى آتيكم بفتح الياء أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ترجمون فاعتزلون بالياء في الحالين يعقوب وافق ورش وسهل وعباس في الوصل لي بالفتح ورش فكهين بغير الألف يزيد يغلي على التذكير والضمير للطعام ابن كثير وحفص

الحميم﴾ يقول تعالى ذكره خذوه يعني هذا الاثيم بربه الذي أخبر جل ثناؤه أن له شجرة الزقوم طعام فاعتلوه يقول تعالى ذكره فادفعوه وسوقوه يقال منه عتله يعتله عتلا اذا ساقه بالدفع والجذب ومنه قول الفرزدق

ليس الكرام بناحليك أبا هم * حتى ترد الى عطية تعتل

أي تساق دفعا وسحبا وقوله الى سواء الجحيم الى وسط الجحيم ومعنى الكلام يقال يوم القيامة خذوا هذا الاثيم فسوقوه دفعا في ظهره وسحبا الى وسط النار * وبنحو الذي قلنا في معنى قوله فاعتلوه قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثني الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم قال خذوه فادفعوه وفي قوله فاعتلوه لغتان كسر التاء وهي قراءة بعض قراء أهل المدينة وبعض أهل مكة (١) * والصواب من القراءة في ذلك عندنا أنهما لغتان معروفتان في العرب يقال منه عتل يعتل ويعتل فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الى سواء الجحيم الى وسط النار وقوله ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم يقول تعالى ذكره ثم صبوا على رأس هذا الاثيم من عذاب الحميم يعني من الماء المستخن الذي وصفنا صفته وهو الماء الذي قال الله يصهر به ما في بطونهم والجلود وقد بينت صفته هنالك ﴿ القول في تأويل قوله تعالى ﴿ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهذا الاثيم الشقي ذق هذا العذاب الذي تعذب به اليوم انك أنت العزيز في قومك الكريم عليهم وذكر أن هذه الآيات نزلت في أبي جهل بن هشام ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم نزلت في عدو الله أبي جهل لقي النبي صلى الله عليه وسلم فأخذه فهزه ثم قال أولى لك يا أبا جهل فأولى ثم أولى لك فأولى ذق انك أنت العزيز الكريم وذلك أنه قال أيوعدني محمد والله لأنا أعز من مشى بين جبليها وفيه نزلت ولا تطع منهم آثما أو كفورا وفيه نزلت كلا لا تطعه واسجد واقترب وقال قتادة نزلت في أبي جهل وأصحابه الذين قتل الله تبارك وتعالى يوم بدر ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة قال نزلت في أبي جهل خذوه فاعتلوه قال قتادة قال أبو جهل ما بين جبليها رجل أعز ولا أكرم مني فقال الله عز وجل ذق انك أنت العزيز الكريم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم قال هذا لابي جهل فان قال قائل وكيف قيل وهو يهان بالعذاب الذي ذكره الله ويذل بالعتل الى سواء الجحيم انك انت العزيز الكريم قيل ان قوله انك أنت العزيز الكريم غير موصف من قائل ذلك له بالعزة والكرم ولكنه تقريع منه له بما كان يصف به نفسه في الدنيا وتوبيخ له بذلك على وجه الحكاية لأنه كان في الدنيا يقول انك أنت العزيز الكريم فقيل له في الآخرة اذ عذب بما عذب به في النار ذق هذا الهوان اليوم فانك كنت تزعم أنك أنت العزيز الكريم وانك أنت الذليل المهين فأين الذي كنت تقول وتدعي من العز والكرم هلا تمتنع من العذاب بعزتك حدثنا ابن بشار قال ثنا صفوان بن عيسى قال ثنا ابن عجلان عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال قال كعب لله ثلاثة أثواب اتزر بالعز وتسربل الرحمة وارتدى الكبرياء تعالى ذكره فمن تعزز بغير ما أعزه الله فذاك الذي يقال ذق انك أنت العزيز الكريم ومن رحم الناس فذاك الذي سربل الله سرباله الذي ينبغي له ومن تكبر فذاك الذي نازع الله رداءه

(١) لم يذكر الثانية وهي ضم التاء وبها قرئ ولعلها سقطت من قلم الناسخ وحرر كتبه مصححه

والمفضل وروبس وابن مجاهد عن ابن ذكوان الباقون بتاء التأنيث والضمير للشجرة فاعتلوه بضم التاء ابن كثير ونافع وابن عامر وسهل ويعقوب الآخرون بالكسر ذق أنك بفتح الهمزة على حذف لام التعليل في مقام بضم الميم من الاقامة أبو جعفر ونافع وابن عامر ﴿ الوقوف حم كوفي ○ المبين ○لا ومن لم يقف على حم وقف على المبين منذرين ○ حكيم ○ ط بناء على أن التقدير أمرنا أمرا من عندنا ط مرسلين ○ ج لاحتمال أن رحمة مفعول له أو به أو التقدير رحمنا رحمة من ربك ط العليم ○ لا لمن خفض رب بينهما ط موقنين ○ ويميت ط الاولين ○ يلعبون ○ مبين ○ ط الناس ط أليم ○ مؤمنون ○ مبين ○لا للعطف مجنون ○ م لئلا يوهم أن ما بعده من قول الكفار عائدون ○ م لئلا يظن أن ما بعده ظرف للعود الكبرى ج لاحتمال التعليل منتقمون ○ كريم ○لا عباد الله ط أمين ○ على الله ج مبين ○ ج ترجمون ○ فاعتزلون ○ مجرمون ○ متبعون ○لا رهوا ط مغرقون ○ وعيون ○لا كريم ○لا فاكهين ○لا لان المعنى تركوها مهيأة كما كانت آخرين ○ منظرين ○ المهين ○ لا من فرعون ط المسرفين ○ العالمين ○ ج مبين ○ ليقولون ○ لا بمنشرين ○ صادقين ○ تبع لا للعطف من قبلهم ط لتناهي الاستفهام الى ابتداء الاخبار أهلكناهم ج لأن التعليل أوضح مجرمين ○ لاعبين ○ لا يعلمون ○ أجمعين ○لا لأن ما بعده بدل

ولاهم ينصرون ٥ لا رحم الله ط الرحيم ٥ الأثيم ٥ ج لاحتمال أن يكون كالمهل خبرا بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف فى البطون ل
الحميم ٥ الجحيم ٥ الحميم ٥ ط لأن التقدير قولوا أو يقال له ذق الكريم ٥ (٨١) تمترون ٥ أمين ٥ لا وعيون ٥ ج

ان الله تعالى ذكره يقول لا ينبغى لمن نازعنى رداى أن أدخله الجنة جل وعز وأجمعت قراء الامصار جميعا على كسر الالف من قوله ذق انك على وجه الابتداء وحكاية قول هذا القائل انى أنا العزيز الكريم وقرأ ذلك بعض المتأخرين ذق أنك بفتح الالف على إعمال قوله ذق فى قوله أنك كأن معنى الكلام عنده ذق هذا القول الذى قلته فى الدنيا * والصواب من القراءة فى ذلك عندنا كسر الألف من انك على المعنى الذى ذكرت لقارئه لاجماع الحجة من القراء عليه وشذوذ ما خالفه وكفى دليلا على خطا قراءة خلافها ما مضت عليه الائمة من المتقدمين والمتأخرين مع بعدها من الصحة فى المعنى وفراقها تأويل أهل التأويل وقوله ان هذا ما كنتم به تمترون يقول تعالى ذكره يقال له ان هذا العذاب الذى تعذب به اليوم هو العذاب الذى كنتم فى الدنيا تشكون فتختصمون فيه ولا توقنون به فقد لقيتموه فذوقوه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿إن المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين﴾ يقول تعالى ذكره ان الذين اتقوا الله بأداء طاعته واجتناب معاصيه فى موضع اقامة آمنين فى ذلك الموضع مما كان يخاف منه فى مقامات الدنيا من الأوصاب والعلل والأنصاب والأحزان واختلفت القراء فى قراءة قوله فى مقام أمين فقرأته عامة قراء المدينة فى مقام أمين بضم الميم بمعنى فى اقامة أمين من الظعن وقرأته عامة قراء المصرين الكوفة والبصرة فى مقام بفتح الميم على المعنى الذى وصفنا وتوجيها الى أنهم فى مكان وموضع أمين * والصواب من القول فى ذلك أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ونحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان المتقين فى مقام أمين إى والله أمين من الشيطان والأنصاب والأحزان وقوله فى جنات وعيون فالجنات والعيون ترجمة عن المقام الأمين والمقام الأمين هو الجنات والعيون والجنات البساتين والعيون عيون الماء المطردة فى أصول أشجار الجنات وقوله يلبسون من سندس يقول يلبس هؤلاء المتقون فى هذه الجنات من سندس وهو ما رق من الديباج وإستبرق وهو ما غلظ من الديباج كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن عكرمة فى قوله من سندس وإستبرق قال الاستبرق الديباج الغليظ وقيل يلبسون من سندس وإستبرق ولم يقل لباسا استغناء بدلالة الكلام على معناه وقوله متقابلين يعنى أنهم فى الجنة يقابل بعضهم بعضا بالوجوه ولا ينظر بعضهم فى قفا بعض وقد ذكرنا الرواية بذلك فيما مضى فأغنى ذلك عن اعادته ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم﴾ يقول تعالى ذكره كما أعطينا هؤلاء المتقين فى الآخرة من الكرامة بادخالناهم الجنات والباسناهم فيها السندس والاستبرق كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم أيضا فيها حورا من النساء وهن النقيات البياض واحدتهن حوراء وكان مجاهد يقول فى معنى الحور ما حدثنى به محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله وزوجناهم بحور عين قال أنكحناهم حورا قال والحور اللاتى يحار فيهن الطرف بادمخ سوقهن من وراء

لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال متقابلين ٥ ج لاحتمال أن يراد كما ذكرنا من حالهم قبل أو يكون التقدير الأمر كذلك عين ٥ ج لئلا يوهم ان ما بعده صفة للحور آمنين ٥ لا لأن ما بعده صفة فان الأمن لا يتم الا به الاولى ج لأن ما بعده يصلح استئنافا وحالا باضمار قد الجحيم ٥ لا لان فضلا مفعول له من ربك ط العظيم ٥ يتذكرون ٥ مرتقبون ٥ ﴿ التفسير أقسم بالقرآن انا أنزلناه فى ليلة مباركة لأن من شأننا الانذار والتخويف من العقاب وانما أنزل فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن أشرف الامور الحكمية وهذه الليلة يفرق فيها كل أمر ذى حكمة فالجملتان أعنى قوله انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم كالتفسير لجواب القسم قال صاحب النظم ليس من عادتهم أن يقسموا بنفس الشئ اذا أخبروا عنه بجواب القسم انا كنا منذرين وقوله انا أنزلناه اعتراض والجمهور على الاول ولا بأس لان المعنى انا أنزلنا القرآن على محمد ولم يتقوله ويحتمل أن القسم وقع على انزاله فى ليلة مباركة وأكثر المفسرين على أنها ليلة القدر لقوله انا أنزلناه فى ليلة القدر وليلة القدر عند الاكثرين من رمضان ونقل محمد بن جرير الطبرى فى تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من رمضان والتوراة لست ليال منه والزبور لاثنتى عشرة مضت والانجيل لثمان عشرة منه

(١١ - (ابن جرير) - الخامس والعشرون) والفرقان لأربع وعشرين مضت والليلة المباركة هى ليلة القدر وزعم بعضهم كعكرمة وغيره أنها ليلة النصف من شعبان وما رأيت لهم دليلا يعول عليه قالوا وتسمى ليلة البراءة أيضا وليلة الصك لان الله تعالى يكتب لعباده

المؤمنين البراءة من النار فى هذه الليلة وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صلى فى هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله تعالى اليه مائة ملك


الشيطان وقال ان الله يرحم أمتى فى هذه الليلة بعدد شعر أغنام بنى كلب وقال ان الله يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة الا لكاهن أو ساحر أو ساحر أو مدمن خمر أو عاق للوالدين او مصر على الزنا ومما أعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان فى أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر منها فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله عز وجل فى هذه الليلة أن يزيد فيها ما عز مزم زيادة ظاهرة و بعضهم أراد أن يجمع بين القولين فقال ابتدئ بانتساخ القرآن من اللوح المحفوظ ليلة البراءة ووقع الفراغ فى ليلة القدر والمباركة الكثيرة الخير ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن لكفى به بركة ومعنى (يفرق) يفصل ويكتب (كل أمر) هو ضد النهى او كل أمر له شان من ارزاق العباد وآجالهم و جميع أمورهم الى العام القابل فيدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسوف الى جبرائيل ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا ونسخة المصائب الى ملك الموت وقيل يعطى كل عامل بركات أعماله قيل على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وفى انتصاب (امرا) وجوه اما أن يكون حالا من أمر حكيم لأنه قريب من المعرفة أو من الهاء فى أنزلناه أو من الفاعل أى آمرين أو على المصدر لأمر أو على

ثيابهن و يرى الناظر وجهه فى كبد احداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون وهذا الذى قاله مجاهد من أن الحور انما معناها أنه يحار فيها الطرف قول لا معنى له فى كلام العرب لأن الحور انما هو جمع حوراء كالحمر جمع حمراء والسود جمع سوداء والحوراء انما هى فعلاء من الحور وهو نقاء البياض كما قيل للنقى البياض من الطعام الحوارى وقد بينا معنى ذلك بشواهده فيما مضى قبل * و بنحو الذى قلنا فى معنى ذلك قال سائر أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كذلك وزوجناهم بحور عين قال بيض عيناء قال وفى قراءة ابن مسعود بعيس عين حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله بحور عين قال بيض عين قال وفى حرف ابن مسعود بعيس عين وقرأ ابن مسعود هذه يعنى أن معنى الحور غير الذى ذهب اليه مجاهد لأن العيس عند العرب جمع عيساء وهى البيضاء من الابل كما قال الأعشى

ومهمه نازح تعوى الذئاب به * كلفت أعيس تحت الرحل نعابا

يعنى بالأعيس جملا أبيض فأما العين فانها جمع عيناء وهى العظيمة العينين من النساء وقوله يدعون فيها الآية يقول يدعو هؤلاء المتقون فى الجنة بكل نوع من فواكه الجنة اشتهوه آمنين فيها من انقطاع ذلك عنهم ونفاده وفنائه ومن غائلة أذاه ومكروهه يقول ليست تلك الفاكهة هنالك كفاكهة الدنيا التى نأكلها وهم يخافون مكروه عاقبتها وغب أذاها مع نفادها من عندهم وعدمها فى بعض الأزمنة والأوقات وكان قتادة يوجه تأويل قوله آمنين الى ما حدثنا به بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يدعون فيها بكل فاكهة آمنين أمنوا من الموت والاوصاب والشيطان وقوله لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى يقول تعالى ذكره لا يذوق هؤلاء المتقون فى الجنة الموت بعد الموتة الأولى التى ذاقوها فى الدنيا وكان بعض أهل العربية يوجه الا فى هذا الموضع الى أنها فى معنى سوى و يقول معنى الكلام لا يذوقون فيها الموت سوى الموتة الأولى و يمثله بقوله تعالى ذكره ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف بمعنى سوى ما قد فعل آباؤكم وليس للذى قال من ذلك عندى وجه مفهوم لأن الأغلب من قول القائل لا أذوق اليوم الطعام الا الطعام الذى ذقته قبل اليوم أنه يريد الخبر عن قائله ان عنده طعاما فى ذلك اليوم ذائقه وطاعمه دون سائر الأطعمة غيره واذا كان ذلك الأغلب من معناه وجب أن يكون قد أثبت بقوله الا الموتة الأولى موتة من نوع الأولى هم ذائقوها ومعلوم أن ذلك ليس كذلك لأن الله عز وجل قد أمن أهل الجنة فى الجنة اذا هم دخلوها من الموت ولكن ذلك كما وصفت من معناه وانما جاز ان توضع الا فى موضع بعد لتقارب معنييهما فى هذا الموضع وذلك أن القائل اذا قال لا أكلم اليوم رجلا إلا رجلا عند عمرو قد أوجب على نفسه أن لا يكلم ذلك اليوم رجلا بعد كلام الرجل الذى عند عمرو وكذلك اذا قال لا أكلم اليوم رجلا بعد رجل عند عمرو قد أوجب على نفسه أن لا يكلم ذلك اليوم رجلا إلا رجلا عند عمرو فبعد والاستقرار بتا المعنى فى هذا الموضع ومن شأن العرب أن تضع الكلمة مكان غيرها اذا تقارب معنياهما وذلك كوضعهم الرجاء مكان الخوف لما فى معنى الرجاء من الخوف لأن الرجاء ليس بيقين وانما هو طمع وقد يصدق و يكذب كما الخوف يصدق أحيانا و يكذب فقال فى ذلك أبو ذؤيب

اذا

الاختصاص لان كونه من عند الله يوجبه مزيد شرف وفخامة أو يكون مصدرا من غير لفظ الفعل وهو يفرق لانه اذا حكم بالشئ وفصله

وكتبه فقد اوجبه وأمر به قوله (انا كنا مرسلين) يجوز أن يكون بدلا من قوله تعالى انا كنا منذرين أى انزلنا القرآن لان من شأننا ارسال الرسل وانزال الكتب الى عبادنا لاجل الرحمة ويحتمل كونه تعليلا ليفرق أو لقوله أمرا من عندنا وقوله (من ربك) وضع للظاهر موضع الضمير ايذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة ثم حقق ربوبيته بقوله (انه هو السميع العليم) الى قوله الاولين ومعنى الشرط فى قوله (ان كنتم موقنين) نظير ما هو فى أول الشعراء وذلك أنهم كانوا مقرين بأنه رب السموات والارض قيل لهم ان كنتم على بصيرة وايقان من ذلك فلا تشكوا فيه أو ان كنتم موقنين بشئ فأيقنوا بما أخبرتكم أو ان كنتم تريدون اليقين فاعلموا ذلك وقيل ان نافية ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك يلعبون) فى الدنيا أو يستهزؤن بنا فلا جرم أوعدهم بقوله (فارتقب) ويوم مفعول به أى انتظره والاكثرون على أن هذا الدخان من أمارات القيامة فان الدنيا ستصير كبيت لا خصاص له مملوء دخانا يدخل فى أنوف الكفار وآذانهم فيكونون كالسكارى ويصيب المؤمن فيه كالزكام فيبقى ذلك أربعين وعن حذيفة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر أبين بكسر الهمزة وفتحها اسم رجل بنى هذه البلدة ونزل بها وقيل الدخان يكون فى القيامة اذا خرجوا من قبورهم يحيط بالخلائق ويغشاهم وقيل الدخان الشر والفتنة وعن ابن مسعود خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام وذلك أن قريشا لما استصعبت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم اللزام وهو القحط حتى أكلوا الجيف وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان فيسمع كلام صاحبه ولا يراه من الدخان فمشى اليه صلى الله عليه وسلم أبو سفيان

---

اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها * وخالفها فى بيت نوب عوامل

فقال لم يرج لسعها ومعناه فى ذلك لم يخف لسعها وكوضعهم الظن موضع العلم الذى لم يدرك من قبل العيان وانما أدرك استدلالا أو خبرا كما قال الشاعر

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج * سراتهم فى الفارسى المسرد

بمعنى أيقنوا بألفى مدجج واعلموا فوضع الظن موضع اليقين اذ لم يكن المقول لهم ذلك عاينوا ألفى مدجج ولا رأوهم وان ما أخبرهم به هذا المخبر فقال لهم ظنوا العلم بما لم يعاين من فعل القلب فوضع أحدهما موضع الآخر لتقارب معنييهما فى نظائر لما ذكرت يكثر احصاؤها كما يتقارب معنى الكلمتين فى بعض المعانى وهما مختلفتا المعنى فى أشياء أخر فتضع العرب احداهما مكان صاحبتها فى الموضع الذى يتقارب معنياهما فيه فكذلك قوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى وضعت الا فى موضع بعد لما نصف من تقارب معنى إلا و بعد فى هذا الموضع وكذلك ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف انما معناه بعد الذى سلف منكم فى الجاهلية فأما اذا وجهت الا فى هذا الموضع الى معنى سوى فانما هو ترجمة عن المكان و بيان عنها بما هو أشد التباسا على من أراد علم معناها منها وقوله ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك يقول تعالى ذكره ووقى هؤلاء المتقين ربهم يومئذ عذاب النار تفضلا يا محمد من ربك عليهم واحسانا منه اليهم بذلك ولم يعاقبهم بجرم سلف منهم فى الدنيا ولولا تفضله عليهم بصفحه لهم عن العقوبة لهم على ما سلف منهم من ذلك لم يقهم عذاب الجحيم ولكن كان ينالهم و يصيبهم ألمه ومكروهه وقوله ذلك هو الفوز العظيم يقول تعالى ذكره هذا الذى أعطيناه هؤلاء المتقين فى الآخرة من الكرامة التى وصفت فى هذه الآيات هو الفوز العظيم يقول هو الظفر العظيم بما كانوا يطلبون من ادراكه فى الدنيا بأعمالهم وطاعتهم لربهم واتقائهم اياه فيما امتحنهم به من الطاعات والفرائض واجتناب المحارم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب انهم مرتقبون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانما سهلنا لقراءة هذا القرآن الذى أنزلناه اليك يا محمد بلسانك ليتذكر هؤلاء المشركون الذين أرسلناك اليهم بعبره وحججه و يتعظوا بعظاته و يتفكروا فى آياته اذا أنت تلوته عليهم فينيبوا الى طاعة ربهم و يذعنوا للحق عند تبينهموه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فانما يسرناه بلسانك أى هذا القرآن لعلهم يتذكرون حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فانما يسرناه بلسانك قال القرآن و يسرناه أطلق به لسانه وقوله فارتقب إنهم مرتقبون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانتظر أنت يا محمد الفتح من ربك والنصر على هؤلاء المشركين بالله من قومك من قريش انهم منتظرون عند أنفسهم قهرك وغلبتك بصدهم عما أتيتهم به من الحق من أراد قبوله واتباعك عليه * وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله فارتقب انهم مرتقبون قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فارتقب انهم مرتقبون أى فانتظر انهم منتظرون

آخر تفسير سورة الدخان

ونفرمعه وناشدوه الله والرحم وواعدوه ان دعالهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم من الدخان رجعوا الى شركهم وذلك قوله (هذا عذاب) أى قائلين هذا الى آخره ثم استبعد  منهم الاتعاظ بقوله (أنى لهم الذكرى وقد جاءهم) ماهو أعظم من كشف الدخان وهو القرآن المعجز وغيره فلم يتذكروا (وتولوا عنه) واتهموه صلى الله عليه وسلم بأنه انما يعلمه بشر ونسبوه الى الجنون ومعنى ثم تبعيد الحالتين ثم بين أنهم يعودون الى الكفر عقيب كشف العذاب عنهم زمانا قليلا واعلم أن ارتدادهم الى الكفر أمر ممكن سواء يجعل الدخان من أمارات القيامة أو يقال انه قد مضى والبطشة الكبرى القيامة أو يوم بدر على التفسيرين ويوم ظرف لما دل عليه منتقمون فان ما بعد ان لا يعمل فيما قبله وقيل بدل من يوم تأتى السماء ثم سلى رسوله صلى الله عليه وسلم بقصة موسى ومعنى فتنا امتحنا وقد وصفه بالكرم لانه كان حبيبا فى قومه أو بكرم خلقه أو المراد أنه لم يخاشنهم فى التبليغ كما قال فقولا له قولا لينا وأن مفسرة لان مجىء الرسول يتضمن القول أو مخففة من الثقيلة او مصدرية والياء محذوف وعباد الله مفعول به لقوله أرسل معنا بنى اسرائيل أو منادى والمعنى أدوا الىّ يا عباد الله ماهو واجب عليكم من الايمان والطاعة والقصة مذكورة فى الشعراء وغيرها وأن ترجمون أن تقتلون أو تشتمون بالنسبة الى الكذب والسحر (وان لم تؤمنوا لى) اى لم تصدقونى فقارقونى وكونوا بمعزل عنى لا على ولا لى (فدعا ربه) شاكيا (أن هؤلاء قوم مجرمون) مصرون على الكفر (فأسر) أى فأجبنا دعاءه وقلنا له أسر وكان من دعائه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم ويحتمل أن يكون الدعاء هو ما فى يونس ربنا اطمس على أموالهم وفى رهو اوجهان أحدهما ساكنا أى لا تضربه ثانيا واتركه تصريفها على هيئته من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا وذلك أن موسى أراد أن يضربه ثانيا حتى ينطبق ويزول الانفلاق خوفا من أن يدركهم

## ﴿تفسير سورة الجاثية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين﴾ قد تقدم بيانا فى معنى قوله حم وأما قوله تنزيل الكتاب من الله فان معناه هذا تنزيل القرآن من عند الله العزيز فى انتقامه من أعدائه الحكيم فى تدبيره أمر خلقه وقوله ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين يقول تعالى ذكره ان فى السموات السبع اللاتى منهن نزول الغيث والارض التى منها خروج الخلق أيها الناس لآيات للمؤمنين يقول لأدلة وحججا للمصدقين بالحجج اذا تبينوها ورأوها ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون﴾ يقول تعالى ذكره وفى خلق الله اياكم أيها الناس وخلقه ما تفرق فى الارض من دابة تدب عليها من غير جنسكم آيات لقوم يوقنون يعنى حججا وأدلة لقوم يوقنون بحقائق الأشياء فيقرون بها ويعلمون صحتها واختلفت القراء فى قراءة قوله آيات لقوم يوقنون وفى التى بعد ذلك فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة آيات رفعا على الابتداء وترك ردّها على قوله لآيات للمؤمنين وقرأته عامة قراء الكوفة آيات خفضا بتأويل النصب ردّا على قوله لآيات للمؤمنين وزعم قارئو ذلك كذلك من المتأخرين أنهم اختاروا قراءته كذلك لأنه فى قراءة أبىّ فى الآيات الثلاث لآيات باللام فجعلوا دخول اللام فى ذلك فى قراءته دليلا لهم على صحة قراءة جميعه بالخفض وليس الذى اعتمدوا عليه من الحجة فى ذلك بحجة لأنه لا رواية بذلك عن أبىّ صحيحة وأبىّ لو صحت به عنه رواية ثم لم يعلم كيف كانت قراءته بالخفض أو بالرفع لم يكن الحكم عليه بأنه كان يقرؤه خفضا بأولى من الحكم عليه بأنه كان يقرؤه رفعا اذ كانت العرب قد تدخل اللام فى خبر المعطوف على جملة كلام تام قد عملت فى ابتدائها ان مع ابتدائهم اياه كما قال حميد بن ثور الهلالى

ان الخلافة بعدهم لذميمة * وخلائف طرف لما أحقر

فأدخل اللام فى خبر مبتدإ بعد جملة خبر قد عملت فيه ان اذ كان الكلام وان ابتدئ منويا فيه ان والصواب من القول فى ذلك ان كان الامر على ما وصفنا أن يقال ان الخفض فى هذه الأحرف والرفع قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار قد قرأ بهما علماء من القراء صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون﴾ يقول تبارك وتعالى وفى اختلاف الليل والنهار أيها الناس وتعاقبهما عليكم هذا بظلمته وسواده وهذا بنوره وضيائه وما أنزل الله من السماء من رزق وهو الغيث الذى به تخرج الأرض أرزاق العباد وأقواتهم واحيائه الأرض بعد موتها يقول فأنبت ما أنزل من السماء من الغيث ميت الأرض حتى اهتزت بالنبات والزرع من بعد موتها يعنى من بعد جدوبها وخلوها ومصيرها داثرة لا نبت فيها ولا زرع وقوله وتصريف الرياح يقول وفى تصريفه الرياح لكم شمالا مرة وجنوبا أخرى وصبا أحيانا ودبورا أخرى لمنافعكم وقد قيل عنى بتصريفها بالرحمة مرة وبالعذاب أخرى ذكر من قال ذلك

حدثنى ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله وتصريف الرياح قال

قوم فرعون والله تعالى أراد أن يدخل القبط البحر ثم يطبقه عليهم وثانيهما أن الرهو الفجوة الواسعة اى اتركه مفتوحا منفرجا على حاله والنعمة بفتح النون التنعم والباقى مذكور فى الشعراء وقوله (فما بكت) كان اذا (٨٥) مات الرجل الخطير قالوا فى تعظيم مصيبته بكت عليه السماء والارض وأظلمت الدنيا ومنه الحديث وما من مؤمن مات فى غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء وفيه تمثيل وتخييل وتهكم بهم أنهم كانوا يستعظمون أنفسهم ويعتقدون أنهم لو ماتوا لقال الناس فيهم ذلك فأخبر أنهم ما كانوا فى هذا الحد بل كانوا دون ذلك وجوز كثير من المفسرين أن يكون البكاء حقيقة وجعلوا الخسوف والكسوف والحمرة التى تحدث فى السماء وهبوب الرياح العاصفة من ذلك قال الواحدى فى البسيط روى أنس ابن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد الا له فى السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل فيه عمله فاذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا هذه الآية ثم ان هؤلاء الكفار لم يكن لهم عمل صالح يصعد الى السماء فلا جرم لم تبك عليهم وعن الحسن أراد أهل السماء والارض أى ما بكت عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين (وما كانوا اذا منظرين) أى لما جاء وقت هلاكهم لم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم فى الدنيا قوله (من فرعون) بدل من العذاب بل جعل فى نفسه عذابا مهينا لشدة شكيمته وفرط عتوه وقيل المضاف محذوف أى من عذابه وقيل تقديره المهين الصادر من فرعون وفى قراءة ابن عباس من فرعون على الاستفهام أى ما ظنكم بعذاب من تعرفونه انه عال قاهر عات مجاوز حد الاعتدال ثم ثنى على بنى اسرائيل بقوله (ولقد اخترناهم) بايتاء الملك والنبوة (على علم) منا باستحقاقهم ذلك وقيامهم بالشكر عليه على عالمى زمانهم ولا ريب أن هذا قبل التحريف وقيل اى على علم منا بأنه يبدو منهم بوادر وتفريطات والبلاء النعمة أو المحنة والآيات هى التسع وغيرها

تصريفها ان شاء جعلها رحمة وان شاء جعلها عذابا وقوله آيات لقوم يعقلون يقول تعالى ذكره فى ذلك أدلة وحجج لله على خلقه لقوم يعقلون عن الله حججه ويفهمون عنه ما وعظهم به من الآيات والعبر ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ يقول تعالى ذكره هذه الآيات والحجج يا محمد من ربك على خلقه نتلوها عليك بالحق يقول نخبرك عنها بالحق لا بالباطل كما يخبر مشركو قومك عن آلهتهم بالباطل أنها تقربهم الى الله زلفى فبأى حديث بعد الله وآياته تؤمنون يقول تعالى ذكره للمشركين به فبأى حديث أيها القوم بعد حديث الله هذا الذى يتلوه عليكم وبعد حججه عليكم وأدلته التى دلكم بها على وحدانيته من أنه لا رب لكم سواه تصدقون ان أنتم كذبتم لحديثه وآياته وهذا التأويل على مذهب قراءة من قرأ تؤمنون على وجه الخطاب من الله بهذا الكلام للمشركين وذلك قراءة عامة قراء الكوفيين وأما على قراءة من قرأه يؤمنون بالياء فان معناه فبأى حديث يا محمد بعد حديث الله الذى يتلوه عليك وآياته هذه التى نبه هؤلاء المشركين عليها وذكرهم بها يؤمن هؤلاء المشركون وهى قراءة عامة قراء أهل المدينة والبصرة ولكلتا القراءتين وجه صحيح وتأويل مفهوم فبأية القراءتين قرأ ذلك القارئ فمصيب عندنا وان كنت أميل الى قراءته بالياء اذ كانت فى سياق آيات قد مضين قبلها على وجه الخبر وذلك قوله لقوم يوقنون ولقوم يعقلون ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم﴾ يقول تعالى ذكره الوادى السائل من صديد أهل جهنم لكل كذاب ذى اثم بربه مفتر عليه يسمع آيات الله تتلى عليه يقول يسمع آيات كتاب الله تقرأ عليه ثم يصر على كفره وائمه فيقيم عليه غير تائب منه ولا راجع عنه مستكبرا على ربه أن يذعن لأمره ونهيه كأن لم يسمعها يقول كأن لم يسمع ما تتلى عليه من آيات الله باصراره على كفره فبشره بعذاب أليم يقول فبشر يا محمد هذا الأفاك الأثيم الذى هذه صفته بعذاب من الله له أليم يعنى موجع فى نار جهنم يوم القيامة ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين﴾ يقول تعالى ذكره واذا علم هذا الأفاك الأثيم من آيات الله شيأ اتخذها هزوا يقول اتخذ تلك الآيات التى علمها هزوا يسخر منها وذلك كفعل أبى جهل حين نزلت ان شجرة الزقوم طعام الآثيم اذ دعا بتمر وزبد فقال تزقموا من هذا ما يعدكم محمد الا شهدا وما أشبه ذلك من أفعالهم وقوله أولئك لهم عذاب مهين يقول تعالى ذكره هؤلاء الذين يفعلون هذا الفعل وهم الذين يسمعون آيات الله تتلى عليهم ثم يصرون على كفرهم استكبارا ويتخذون آيات الله التى علموها هزوا لهم يوم القيامة من الله عذاب مهين يهينهم ويذلهم فى نار جهنم بما كانوا فى الدنيا يستكبرون عن طاعة الله واتباع آياته وانما قال تعالى ذكره أولئك لجمع (١) وقد جرى الكلام قبل ذلك رد الكلام الى معنى الكل فى قوله ويل لكل أفاك أثيم ﴿القول فى تأويل قوله تعالى﴿من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم﴾ يقول تعالى ذكره ومن وراء هؤلاء المستهزئين بآيات الله يعنى من بين أيديهم وقد بينا العلة التى من أجلها قيل لما أمامك هو وراءك فيما مضى بما أغنى عن اعادته

(١) لعله وقد جرى الكلام قبل ذلك على الافراد ردا الخ تأمل اه مصححه

يقول من بين أيديهم نار جهنم هم واردوها ولا يغنيهم ما كسبوا شيأ يقول ولا يغنى عنهم من عذاب جهنم اذا هم عذبوا به ما كسبوا فى الدنيا من مال وولد شيأ وقوله ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء يقول ولا آلهتهم التى عبدوها من دون الله ورؤساؤهم وهم الذين أطاعوهم فى الكفر بالله واتخذوهم نصراء فى الدنيا تغنى عنهم يومئذ من عذاب جهنم شيأ ولهم عذاب عظيم يقول ولهم من الله يومئذ عذاب فى جهنم عظيم ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم﴾ يقول تعالى ذكره هذا القرآن الذى أنزلناه على محمد هدى يقول بيان ودليل على الحق يهدى الى صراط مستقيم من اتبعه وعمل بما فيه والذين كفروا بآيات ربهم يقول والذين جحدوا ما فى القرآن من الآيات الدالات على الحق ولم يصدقوا بها ويعملوا بها لهم عذاب أليم يوم القيامة موجع ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون﴾ يقول تعالى ذكره الله أيها القوم الذى لا تنبغى الالوهة الا له الذى أنعم عليكم هذه النعم التى بينها لكم فى هذه الآيات وهو أنه سخر لكم البحر لتجرى السفن فيه بأمره لما يشكم وتصرفكم فى البلاد لطلب فضله فيها ولتشكروا ربكم على تسخيره ذلك لكم فتعبدوه وتطيعوه فيما يأمركم به وينهاكم عنه ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ يقول تعالى ذكره وسخر لكم ما فى السموات من شمس وقمر ونجوم وما فى الارض من دابة وشجر وجبل وجماد وسفن لمنافعكم ومصالحكم جميعا منه يقول تعالى ذكره جميع ما ذكرت لكم أيها الناس من هذه النعم نعم عليكم من الله أنعم بها عليكم وفضل منه تفضل به عليكم فإياه فاحمدوا لا غيره لأنه لم يشركه فى أنعام هذه النعم عليكم شريك بل تفرد بانعامها عليكم وجميعها منه ومن نعمه فلا تجعلوا له فى شكركم له شريكا بل أفردوه بالشكر والعبادة وأخلصوا له الالوهة فانه لا اله لكم سواه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وسخر لكم ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه يقول كل شئ هو من الله وذلك الاسم فيه اسم من أسمائه فذلك جميعا منه ولا ينازعه فيه المنازعون واستيقن أنه كذلك وقوله ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون يقول تعالى ذكره ان فى تسخير الله لكم ما أنبأكم أيها الناس أنه سخره لكم فى هاتين الآيتين لآيات يقول لعلامات ودلالات على أنه لا اله لكم غيره الذى أنعم عليكم هذه النعم وسخر لكم هذه الاشياء التى لا يقدر على تسخيرها غيره لقوم يتفكرون فى آيات الله وحججه وأدلته فيعتبرون بها ويتعظون اذا تدبروها وفكروا فيها ۞ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد للذين صدقوا الله واتبعوك يغفروا للذين لا يخافون بأس الله ووقائعه ونقمه اذا هم نالوهم بالأذى والمكروه ليجزى قوما بما كانوا يكسبون يقول ليجزى الله هؤلاء الذين يؤذونهم من المشركين فى الآخرة فيصيبهم عذابه بما كانوا فى الدنيا يكسبون من الاثم ثم بأذاهم أهل الايمان بالله وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس

ثم عاد الى ما انجر الكلام فيه وهو قوله بل هم فى شك يلعبون فقال (ان هؤلاء) يعنى كفار قريش (ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى) قال المفسرون يؤل الى ما حكى عنهم فى موضع آخر (ان هى الا حياتنا الدنيا وذلك أن النزاع انما وقع فى موتة تعقبها حياة فأنكروا أن تكون موتة بهذا الوصف الا الموتة الاولى وهو حال كونهم نطفا ويحتمل أن يراد ان هى أى الصفة أو النهاية أو الحالة أو العاقبة الا الموتة الاولى وليست اثباتا للموتة ثانية انما هو كقولك جح فلان انجحة الاولى ومات (وما نحن بمنشرين) انشر الله الموتى أحياهم (فأتوا) أيها النبى والذين آمنوا معه (بآبائنا ان كنتم صادقين) يروى أنهم طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يعجل الله لهم احياء الموتى فينشر كبيرهم قصى ابن كلاب ليشاوروه فى صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة البعث فلم يجبهم الله تعالى الى ذلك ولكنه أوعدهم بقوله (أهم خير أم قوم تبع) أى ليسوا بخير منهم فى العدد والعز والمنعة ابن عباس تبع نبى أبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم لا أدرى تبع نبيا كان أم غير نبى رواه الثعلبى عن عائشة كان رجلا صالحا ذم الله قومه ولم يذمه وانما خصهم بالذكر لقربهم من العرب زمانا ومكانا وعن سعيد بن جبير أنه كسا البيت وقال قتادة كان من حمير سار فبنى الحيرة وسمرقند وقال أبو عبيدة هم ملوك اليمن يسمى كل واحد منهم تبعا لكثرة تبعه أولأنه يتبع صاحبه وهو بمنزلة الخليفة للمسلمين وكسرى للفرس وقيصر للروم وجمعه تبابعة وكان يكتب اذا كتب بسم الذى ملك برا وبحرا ثم برهن على صحة البعث بقوله (وما خلقنا) الى آخره وقدمر فى الانبياء وفى ص نظيره وانما جمع السموات ههنا لموافقة قوله فى أول السورة رب السموات وسمى يوم القيامة يوم الفصل لأنه يفصل بين عباده فى الحكم والقضاء أو يفصل بين أهل الجنة وأهل النار أو يفصل بين المؤمنين وبين ما يكرهون وللكافرين بينهم وبين ما يشتهونه فيفصل بين الوالد وولده والرجل وزوجته

قوله

والمرء وخليله والمولى فى الآية يحتمل الولى والناصر والمعين وابن العم والمراد أن أحدا منهم بأى معنى فرض لا يتوقع منه النصرة والضمير فى لا ينصرون للمولى الثانى لأنه جمع فى المعنى لعمومه وشياعه وقوله  (الا من رحم الله) فى محل الرفع على البدل أو فى محل النصب على الاستثناء (انه هو العزيز) الغالب على من عصى (الرحيم) لمن أطاع ثم أراد أن يختم السورة بوعيد الفجار ووعد الأبرار فقال (ان شجرت الزقوم) وقدمر تفسيرها فى الصافات و(الأثيم) مبالغة الآثم ولهذا يمكن أن يقال انه مخصوص بالكافر والمهل دردى الزيت وقدمر فى الكهف ولعل وجه التشبيه هو بشاعة الطعم كما أن الوجه فى قوله طلعها كأنه رؤس الشياطين هو كراهة المنظر ثم وصفه بشدة الحرارة قائلا (يغلى) الى آخره ثم أخبر أنه سبحانه يقول للزبانية (خذوه) أى خذوا الأثيم (فاعتلوه) جروه بعنف وغلظة كأن يؤخذ بتلبيبه فيجر الى وسط النار والتركيب يدل على الشدة والغلظة ومنه العتل للجافى الغليظ وقوله (من عذاب الحميم) دون أن يقول من الحميم تهويل وسلوك لطريق الاستعارة لأنه اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته يروى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أمنع منى فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيأ فنزلت الآية أى يقال له ذق لأنك أنت العزيز الكريم عند نفسك وفيه من التهكم ما فيه (ان هذا) العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون ثم شرع فى وعد الأبرار والمقام الأمين ذو الأمن أو أصله من الأمانة لأن المكان المخيف كأنما يخوف صاحبه بما يلقى فيه من المكاره وقوله (وزوجناهم) اختلفوا فى أن هذا اللفظ هل يدل على حصول عقد التزوج أم لا والأكثرون على نفيه وأن المراد قرناهم بهن وقيل زوجته امرأة وزوجته بامرأتين وهكذا اختلفوا فى الحور فعن الحسن هن عجائزكم ينشئهن الله خلقا آخر وقال أبو هريرة لسن من نساء الدنيا (يدعون) أى يحكمون ويأمرون فى الجنة

قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون قال كان نبى الله صلى الله عليه وسلم يعرض عن المشركين اذا آذوه وكانوا يستهزؤن به ويكذبونه فأمره الله عز وجل أن يقاتل المشركين كافة فكان هذا من المنسوخ حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله للذين لا يرجون أيام الله قال لا يبالون نعم الله أو نقمه الله حدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد لا يرجون أيام الله قال لا يبالون نعم الله وهذه الآية منسوخة بأمر الله بقتال المشركين وانما قلنا هى منسوخة لاجماع أهل التأويل على أن ذلك كذلك ذكر من قال ذلك قد ذكرنا الرواية فى ذلك عن ابن أبى عباس حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال نسختها ما فى الأنفال فما استثقفتهم فى الحرب فشردبهم من خلفهم لعلهم يذكرون وفى براءة قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال نسختها اقتلوا المشركين حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال هذا منسوخ أمر الله بقتالهم فى سورة براءة حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عمن ذكره عن أبى صالح قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال نسختها التى فى الحج أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله قال هؤلاء المشركون قال وقد نسخ هذا وفرض جهادهم والغلظة عليهم وجزم قوله يغفروا تشبيها له بالجزاء والشرط وليس به ولكن لظهوره فى الكلام على مثاله فعرب تعريبه وقد مضى البيان عنه قبل * واختلفت القراء فى قراءة قوله ليجزى قوما فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة ليجزى بالياء على وجه الخبر عن الله أنه يجزيهم ويثيبهم وقرأ ذلك بعض عامة قراء الكوفيين لنجزى بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه وذكر عن أبى جعفر القارى أنه كان يقرؤه ليجزى قوما على مذهب ما لم يسم فاعله وهو على مذهب كلام العرب لحن الا أن يكون أراد ليجزى الجزاء قوما باضمار الجزاء وجعله مرفوعا ليجزى فيكون وجها من القراءة وان كان بعيدا * والصواب من القول فى ذلك عندنا أن قراءته بالياء والنون على ما ذكرت من قراءة الامصار جائزة بأى تينك القراءتين قرأ القارئ فأما قراءته على ما ذكرت عن أبى جعفر فغير جائزة عندى لمعنيين أحدهما أنه خلاف لما عليه الحجة من القراء وغير جائز عندى خلاف ما جاءت به مستفيضا فيهم والثانى بعدهما من الصحة فى العربية الا على استكراه الكلام على غير المعروف من وجهه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴾ من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ﴿ يقول تعالى ذكره من عمل من عباد الله بطاعته فانتهى الى أمره وانزجر لنهيه فلنفسه عمل ذلك الصالح من العمل وطلب خلاصها من عذاب الله أطاع ربه لا لغير ذلك لأنه لا ينفع ذلك غيره والله عن عمل كل عامل غنى ومن أساء فعليها يقول ومن

باحضار ما يشتهون من الفواكه في أي وقت ومكان (آمنين) من التخم والتبعات ثم أخبر عن خلودهم بقوله (لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) قال جار الله هو من باب التعليق بالمحال  كأنه قيل ان كانت الموتة الأولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها وقيل الاستثناء منقطع أي لكن الموتة الأولى قد ذاقوها وقال اهل التحقيق ان الجنة حقيقتها ابتهاج النفس وفرحها بمعرفة الله ومحبته فالانسان الكامل هو في الدنيا في الجنة وفي الآخرة أيضا في الجنة فقد صح أنه لم يذق في الجنة الا الموتة الأولى ثم ختم الكلام بقوله لكنه والمعنى ذكرناهم بالكتاب المبين فأسهلناه حيث أنزلناه بلغتك ارادة تذكرهم فانتظر ما يحل بهم فانهم يتربصون بك الدوائر

* (سورة الجاثية مكية حروفها الفان ومائة وأحد وستون كلمها اربعمائة وثمان وثمانون آياتها سبع وثلاثون) *

* (بسم الله الرحمن الرحيم) *

﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان في السموات والارض لآيات للمؤمنين وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون بعضهم وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله

أساء عمله في الدنيا بمعصيته فيها ربه وخلافه فيما أمره ونهيه فعلى نفسه جنى لأنه أوبقها بذلك وأكسبها به سخطه ولم يضر أحدا سوى نفسه ثم الى ربكم ترجعون يقول ثم أنتم أيها الناس أجمعون الى ربكم تصيرون من بعد مماتكم فيجازي المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته فمن ورد عليه منكم بعمل صالح جوزي من الثواب صالحا ومن ورد عليه منكم بعمل سيئ جوزي من الثواب سيأ ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين﴾ يقول تعالى ذكره ولقد آتينا يا محمد بني اسرائيل الكتاب يعني التوراة والانجيل والحكم يعني الفهم بالكتاب والعلم بالسنن التي لم تنزل في الكتاب والنبوة يقول وجعلنا منهم أنبياء ورسلا الى الخلق ورزقناهم من الطيبات يقول وأطعمناهم من طيبات أرزاقنا وذلك ما أطعمهم من المن والسلوى وفضلناهم على العالمين يقول وفضلنا هم على عالمي أهل زمانهم في أيام فرعون وعهده في ناحيتهم بمصر والشأم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ يقول تعالى ذكره وأعطينا بني اسرائيل واضحات من أمرنا بتنزيلنا اليهم التوراة فيها تفصيل كل شئ فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم طلبا للرياسات وتركا منهم لبيان الله تبارك وتعالى في تنزيله وقوله ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ان ربك يا محمد يقضي بين المختلفين من بني اسرائيل بغيا بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون بعد العلم الذي أتاهم والبيان الذي جاءهم منه فيفلج المحق حينئذ على المبطل بفصل الحكم بينهم ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ثم جعلناك يا محمد من بعد الذي آتينا بني اسرائيل الذين وصفت لك صفتهم على شريعة من الأمر يقول على طريقة وسنة ومنهاج من أمرنا الذي أمرنا به من قبلك من رسلنا فاتبعها يقول فاتبع تلك الشريعة التي جعلناها لك ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون يقول ولا تتبع ما دعاك اليه الجاهلون بالله الذين لا يعرفون الحق من الباطل فتعمل به فتهلك ان عملت به وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها قال يقول على هدى من الامر وبينة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها والشريعة الفرائض والحدود والامر والنهي فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ثم جعلناك على شريعة من الامر قال الشريعة الدين وقرأ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك قال فنوح أولهم وأنت آخرهم وقوله انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ يقول تعالى ذكره ان هؤلاء الجاهلين بربهم الذين يدعونك يا محمد الى اتباع أهوائهم لن يغنوا عنك ان أنت اتبعت أهواءهم وخالفت شريعة ربك التي شرعها لك من عقاب الله شيأ فيدفعوه عنك ان هو عاقبك وينقذوك منه وقوله وان الظالمين

ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم

بعضهم أولياء بعض يقول وان الظالمين بعضهم أنصار بعض وأعوانهم على الايمان بالله وأهل طاعته والله ولى المتقين يقول تعالى ذكره والله يلى من اتقاه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه بكفايته ودفاع من أراده بسوء يقول جل ثناؤه لنبيه عليه السلام فكن من المتقين يكفك الله ما بغاك وكادك به هؤلاء المشركون فانه ولى من اتقاه ولا يعظم عليك خلاف من خالف أمره وان كثر عددهم لأنهم لن يضروك ما كان الله وليك وناصرك ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون﴾ يقول تعالى ذكره هذا الكتاب الذى أنزلناه اليك يا محمد بصائر للناس يبصرون به الحق من الباطل ويعرفون به سبيل الرشاد والبصائر جمع بصيرة وبنحو الذى قلنا فى ذلك كان ابن زيد يقول ذكر ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله هذا بصائر للناس وهدى ورحمة قال القرآن قال هذا كله انما هو فى القلب قال والسمع والبصر فى القلب وقرأ فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور وليس ببصر الدنيا ولا بسمعها وقوله وهدى يقول ورشاد ورحمة لقوم يوقنون بحقيقة صحة هذا القرآن وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم وخص جل ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائر وهدى ورحمة لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذب به من أهل الكفر فكان عليه عمى وله حزنا وقوله أم حسب الذين اجترحوا السيئات يقول تعالى ذكره أم ظن الذين اجترحوا السيئات من الاعمال فى الدنيا وكذبوا رسل الله وخالفوا أمر ربهم وعبدوا غيره أن نجعلهم فى الآخرة كالذين آمنوا بالله وصدقوا رسله وعملوا الصالحات فأطاعوا الله وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة كلا ما كان الله ليفعل ذلك لقد ميز بين الفريقين فجعل حزب الايمان فى الجنة وحزب الكفر فى السعير كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية لعمرى لقد تفرق القوم فى الدنيا وتفرقوا عند الموت فتباينوا فى المصير وقوله سواء محياهم ومماتهم اختلف القراء فى قراءة قوله سواء فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة سواء بالرفع على أن الخبر متناه عندهم عند قوله كالذين آمنوا وجعلوا خبر قوله أن نجعلهم قوله كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم ابتدؤا الخبر عن استواء حال محيا المؤمن ومماته ومحيا الكافر ومماته فرفعوا قوله سواء على وجه الابتداء بهذا المعنى والى هذا المعنى وجه تأويل ذلك جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله سواء محياهم ومماتهم قال المؤمن فى الدنيا والآخرة مؤمن والكافر فى الدنيا والآخرة كافر حدثنا أبو كريب قال ثنا حسين عن شيبان عن ليث فى قوله سواء محياهم ومماتهم قال بعث المؤمن مؤمنا حيا وميتا والكافر كافرا حيا وميتا وقد يحتمل الكلام اذا قرئ سواء رفعا وجها آخر غير هذا المعنى الذى ذكرناه عن مجاهد وليث وهو أن يوجه الى أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم والمؤمنين سواء فى الحياة والموت بمعنى أنهم لا يستوون ثم يرفع سواء على هذا المعنى اذ كان لا ينصرف كما يقال مررت برجل خير منك أبوه وحسبك أخوه فرفع حسبك وخيرا ذ كانا فى مذهب الاسماء ولو وقع

ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا

(١٢ - (ابن جرير) - الخامس والعشرون) أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن

وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا
فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون (٩٠) فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين وله الكبرياء في السموات
والأرض وهو العزيز الحكيم ﴿القراآت وفي خلقكم مد غما عباس
آيات بالنصب في الموضعين حمزة وعلي ويعقوب الريح على التوحيد
حمزة وعلي وخلف يؤمنون على الغيبة أبو جعفر ونافع وابن كثير
وأبو عمرو وسهل وحفص أليم مذكور في سبا لنجزي بالنون
ابن عامر وحمزة وعلي وخلف ليجزي بالياء مبنيا للمفعول قوم
بالرفع يزيد الباقون مبنيا للفاعل قوما سواء بالنصب حمزة وعلي وخلف
وحفص وروح وزيد غشوة بفتح الغين وسكون الشين من غير ألف
حمزة وعلي وخلف ٣ كل أمة تدعى بالنصب على الابدال من الأول
يعقوب الساعة بالنصب حمزة لا يخرجون من الخروج حمزة وعلي
وخلف ﴿الوقوف حم كوفى ٥ الحكيم ٥ للمؤمنين ٥ ط ومن نصب
آيات لم يقف لانه عطف المفردين على المفردين وهما الخبر واسم ان
يوقنون ٥ لا للعطف على عاملين كما يجيء يعقلون ٥ بالحق ج
للاستفهام مع الفاء يؤمنون ٥ أثيم ٥ يسمعها ج لانقطاع النظم مع
فاء التعقيب أليم ٥ هزوا ط مهين ٥ ط لأنه لو وصل اشتبه بأنها
وصف عذاب جهنم ج لعطف المختلفين أولياء ج لذلك عظيم ٥
هدى ط لأن ما بعده مبتدأ مع العاطف أليم ٥ تشكرون ٥ ج
للآية مع العطف منه ط يتفكرون ج يكسبون ٥ فلنفسه ج فعليها
ز لأن ثم لترتيب الاخبار مع اتحاد القصة ترجعون ٥ العالمين ٥ ج للآية والعطف من الامر ج لعطف المختلفتين بينهم ط يختلفون ٥ لا يعلمون ٥ فنكرمه
شيأ ج بعض ج للتمييز بين الحالين المختلفين مع اتفاق الجملتين المتقين ٥ يوقنون ٥ الصالحات قف ومن نصب سواء لم يقف

موقعهما فعل في لفظ اسم لم يكن الا نصبا فكذلك قوله سواء وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة سواء
نصبا بمعنى أحسبوا أن نجعلهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء * والصواب من القول
في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان في قرأة الامصار قد قرأ بكل واحدة منهما أهل العلم
بالقرآن صحيحتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله
سواء ورفعه فقال بعض نحويي البصرة سواء محياهم ومماتهم رفع وقال بعضهم ان المحيا والممات
للكفار كله قال أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
ثم قال سواء محيا الكفار ومماتهم أي محياهم محيا سوء ومماتهم ممات سوء فرفع السواء على
الابتداء قال ومن فسر المحيا والممات للكفار والمؤمنين فقد يجوز في هذا المعنى نصب السواء ورفعه
لأن من جعل السواء مستويا فينبغي له في القياس أن يجريه على ما قبله لأنه صفة ومن جعله
الاستواء فينبغي له أن يرفعه لأنه اسم الا أن ينصب المحيا والممات على البدل وينصب السواء على
الاستواء وان شاء رفع السواء اذا كان في معنى مستو كما تقول مررت برجل خير منك أبوه لأنه
صفة لا يصرف والرفع أجود وقال بعض نحويي الكوفة قوله سواء محياهم بنصب سواء وبرفعه
والمحيا والممات في موضع رفع بمنزلة قوله رأيت القوم سواء صغارهم وكبارهم بنصب سواء لأنه يجعله
فعلا لما عاد على الناس من ذكرهم قال وربما جعلت العرب سواء في مذهب اسم بمنزلة حسبك
فيقولون رأيت قومك سواء صغارهم وكبارهم فيكون كقولك مررت برجل حسبك أبوه قال ولو
جعلت مكان سواء مستو لم يرفع ولكن نجعله متبعا لما قبله مخالفا السواء لأن مستوى من صفة
القوم ولأن سواء كالمصدر والمصدر اسم قال ولو نصبت المحيا والممات كان وجها يريد أن نجعلهم
سواء في محياهم ومماتهم * وقال آخرون منهم المعنى أنه لا يساوي من اجترح السيئات المؤمن
في الحياة ولا الممات على أنه وقع موقع الخبر فكان خبرا لجعلنا قال والنصب للاخبار كما تقول جعلت
اخوتك سواء صغيرهم وكبيرهم ويجوز أن يرفع لأن سواء لا ينصرف وقال من قال أم حسب
الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات فجعل كالذين الخبر استأنف
بسواء ورفع ما بعدها وان نصب المحيا والممات نصب سواء لا غير وقد تقدم بياننا الصواب من
القول في ذلك وقوله ساء ما يحكمون يقول تعالى ذكره بئس الحكم الذي حسبوا أنا نجعل الذين
اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ﴿القول في تأويل قوله
تعالى ﴿وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون﴾
يقول تعالى ذكره وخلق الله السموات والارض بالحق للعدل والحق لا لما حسب هؤلاء الجاهلون
بالله من أنه يجعل من اجترح السيئات فعصاه وخالف أمره كالذين آمنوا وعملوا الصالحات
في المحيا والممات اذ كان ذلك من فعل غير أهل العدل والانصاف يقول جل ثناؤه فلم يخلق الله
السموات والارض للظلم والجور ولكنا خلقناهما للحق والعدل ومن الحق أن نخالف بين حكم
المسيء والمحسن في العاجل والآجل وقوله ولتجزى كل نفس بما كسبت يقول تعالى ذكره وليثيب
الله كل عامل بما عمل من عمل خلق السموات والارض المحسن بالاحسان والمسيء بما هو أهله
لا لنبخس المحسن ثواب احسانه ونحمل عليه جرم غيره فنعاقبه أو نجعل للمسيء ثواب احسان غيره

وممانهم ط يحكمون ٥ لايظلمون ٥ غشاوة ط من بعدالله ط تذكرون ٥ الدهر ج لاحتمال الواو الحال من علم ج لانقطاع النظم مع اتصال المعنى يظنون ٥ صادقين ٥ لايعلمون ٥ والارض ط المبطلون ٥ جاثية قف لمن قرأ كل بالرفع كتابه ط تعملون ٥ باطل ٥ط تعملون ٥ فى رحمته ط المبين ٥ مجرمين . ما الساعة لا تحترز عن الابتداء بقول الكفار بمستيقنين ٥ يستهزؤن ٥ ناصرين ٥ الدنيا ج للعدول عن الخطاب الى الغيبة يستعتبون ٥ العالمين ٥ والارض ص لعطف الجملتين المتفقتين الحكيم ٥

فنكرمه ولكن لنجزى كلا بما كسبت يداه وهم لا يظلمون جزاء أعمالهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون ﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه فقال بعضهم معنى ذلك أفرأيت من اتخذ دينه بهواه فلا يهوى شيأ الا ركبه لانه لا يؤمن بالله ولا يحرم ما حرم ولا يحلل ما حلل انما دينه ما هويته نفسه يعمل به ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس فى قوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه قال ذلك الكافر اتخذ دينه بغير هدى من الله ولا برهان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله أفرأيت من اتخذ الهه هواه قال لا يهوى شيأ الا ركبه لا يخاف الله * وقال آخرون بل معنى ذلك أفرأيت من اتخذ معبوده ما هويت عبادته نفسه من شئ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب عن جعفر عن سعيد قال كانت قريش تعبد العزى وهو حجر أبيض حينا من الدهر فاذا وجدوا ما هو أحسن منه طرحوا الاول وعبدوا الآخر فأنزل الله أفرأيت من اتخذ الهه هواه * وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب قول من قال معنى ذلك أفرأيت يا محمد من اتخذ معبوده هواه فيعبد ما هوى من شئ دون الله الحق الذى له الألوهة من كل شئ لأن ذلك هو الظاهر من معناه دون غيره وقوله وأضله الله على علم يقول تعالى ذكره وخذله عن محجة الطريق وسبيل الرشاد فى سابق علمه على علم منه بأنه لا يهتدى ولو جاءته كل آية وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس وأضله الله على علم يقول أضله الله فى سابق علمه وقوله وختم على سمعه وقلبه يقول تعالى ذكره وطبع على سمعه أن يسمع مواعظ الله وآى كتابه فيعتبر بها ويتدبرها ويتفكر فيها فيعقل ما فيها من النور والبيان والهدى وقوله وقلبه يقول وطبع أيضا على قلبه فلا يعقل به شيأ ولا يعى به حقا وقوله وجعل على بصره غشاوة يقول وجعل على بصره غشاوة أن يبصر به حجج الله فيستدل بها على وحدانيته ويعلم بها أن لا اله غيره واختلفت القراء فى قراءة قوله وجعل على بصره غشاوة فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة غشاوة بكسر الغين واثبات ألف فيها على أنها اسم وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة غشوة بمعنى أنه غشاه شيأ فى دفعة واحدة ومرة واحدة بفتح الغين بغير ألف وهما عندى قراءتان صحيحتان فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب وقوله فمن يهديه من بعد الله يقول تعالى ذكره فمن يوفقه لاصابة الحق وابصار محجة الرشد بعد اضلال الله اياه أفلا تذكرون أيها الناس فتعلموا أن من فعل الله به ما وصفنا فلن يهتدى أبدا ولن يجد لنفسه وليا مرشدا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون ﴾ يقول تعالى ذكره وقال هؤلاء المشركون الذين تقدم خبره عنهم ما حياة الا حياتنا الدنيا التى نحن فيها لا حياة سواها تكذيبا منهم بالبعث بعد الممات كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا اى لعمرى هذا قول مشركى العرب وقوله نموت ونحيا نموت نحن ونحيا أبناؤنا بعدنا فجعلوا حياة أبنائهم بعدهم حياة لهم لأنهم منهم وبعضهم فكأنهم بحياتهم أحياء وذلك نظير قول الناس

قدمر فى نظائرها مرارا ولا سيما فى أواسط البقرة ومما يختص بالمقام أنه خص المؤمنين بالذكر أولا ثم قال لقوم يوقنون ثم يعقلون فما سبب هذا الترتيب قال الامام فخر الدين الرازى رحمه الله أراد ان كنتم مؤمنين فافهموا هذه الدلائل والا فان كنتم طلاب الحق واليقين

فافهموا هذه الدلائل وان كنتم لستم من المؤمنين ولا من الموقنين فلا أقل من أن تكونوا من زمرة العاقلين فاجتهدوا فى معرفة هذه الدلائل وقال جار الله معناه ان المنصفين من العباد اذا نظروا فى السموات والارض النظر الصحيح علموا أنها لا بد لها من صانع فآمنوا به وأقروا فاذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلها من حال الى حال وفى خلق مابث من الدواب على ظهر الارض ازدادوا ايمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس واذا نظروا فى سائر الحوادث كاختلاف الليل والنهار ونزول الأمطار التى هى سبب الارزاق وحياة الارض بعد موتها وتصريف الرياح جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم عقلهم وخلص يقينهم وأقول الدلائل المذكورة فى هذه الآيات قسمان نفسية وخارجية فالنفسية أولى بالايقان لانه لاشئ أقرب الى الانسان من نفسه والخارجية بعضها فلكية وبعضها آثار علوية فالفلكية لبعدها عن الانسان اكتفى فيها بمجرد التصديق وأما الآثار العلوية فكانت أولى بالنظر والاستدلال لقربها وللاحساس بها فلا جرم خصت بالتعقل والتدبر وأما تقديم السموات على الارض فلشمولها ولتقدمها فى الوجود (تلك) مبتدأ والتبعيد للتعظيم والمشار اليها الآيات المتقدمة و (نتلوها) فى محل الحال وقوله (بعد الله وآياته) كقولهم أعجبنى زيد وكرمه وأصله بعد آيات الله والمعنى أن من لم يؤمن بكلام الله فلن يؤمن بحديث سواه وقيل معناه القرآن آخر كتب الله ومحمد آخر رسله فان لم يؤمنوا به فبأى كتاب بعده يؤمنون ولا كتاب بعده ولا نبى ثم أوعد الناس المبالغين فى الاثم وقدر ما فى الآية فى سورة لقمان قوله (واذا علم) أى شعر وأحس بأنه من جملة القرآن المنزل خاض فى الاستهزاء واذا وقف على آية لها محل فى باب الطعن والقدح افترضه وحمله على الوجه الموجب للطعن كافتراض ابن الزبعرى فى قوله انكم وما تعبدون من دون الله وانما أنث الضمير فى قوله (اتخذها) بغير

ماهات من خلف ابنا مثل فلان لأنه بحياة ذكره به كأنه حى غير ميت وقد يحتمل وجها آخر وهو أن يكون معناه نحيا ونموت على وجه تقديم الحياة قبل الممات كما يقال قمت وقعدت بمعنى قعدت وقمت والعرب تفعل ذلك فى الواو خاصة اذا أرادوا الخبر عن شيئين أنهما كانا أو يكونان ولم تقصد الخبر عن كون احدهما قبل الآخر تقدم المتأخر حدوثا على المتقدم حدوثه منهما أحيانا فهذا من ذلك لأنه لم يقصد فيه الى الخبر عن كون الحياة قبل الممات فقدم ذكر الممات قبل ذكر الحياة اذ كان القصد الى الخبر عن أنهم يكونون مرة أحياء وأخرى أمواتا وقوله ومايهلكنا الا الدهر يقول تعالى ذكره مخبرا عن هؤلاء المشركين أنهم قالوا ومايهلكنا فيفنينا الا مر الليالى والايام وطول العمر انكارا منهم أن يكون لهم رب يفنيهم ويهلكهم وقد ذكر أنها فى قراءة عبد الله ومايهلكنا الا الدهر يمر * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومايهلكنا الا الدهر قال الزمان حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة فى قوله ومايهلكنا الا الدهر قال ذلك مشركو قريش مايهلكنا الا الدهر الا العمر وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الشرك كانوا يقولون الذى يهلكنا ويفنينا الدهر والزمان ثم يسبون مايفنيهم ويهلكهم وهم يرون أنهم يسبون بذلك الدهر والزمان فقال الله عز وجل لهم أنا الذى أفنيكم وأهلككم لا الدهر والزمان ولا علم لكم بذلك ذكر الرواية بذلك عمن قاله حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان أهل الجاهلية يقولون انما يهلكنا الليل والنهار وهو الذى يهلكنا ويميتنا ويحيينا فقال الله فى كتابه وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر قال فيسبون الدهر فقال الله تبارك وتعالى يؤذينى ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدى الامر أقلب الليل والنهار حدثنا عمران بن بكار الكلاعى قال ثنا أبو روح قال ثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنى يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن قال قال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى يسب ابن آدم الدهر وأنا الدهر بيدى الليل والنهار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال يقول الله استقرضت عبدى فلم يعطنى وسبنى عبدى يقول وادهراه وأنا الدهر حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن الزهرى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الله قال لا يقولن أحدكم ياخيبة الدهر فانى أنا الدهر أقلب ليله ونهاره واذا شئت قبضتهما حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام عن أبى هريرة قال لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر ومالهم بذلك من علم ان هم الا يظنون يقول تعالى ذكره ومالهؤلاء المشركين القائلين ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا الا الدهر بما يقولون من ذلك من علم يعنى من يقين علم لأنهم يقولون ذلك تخرصا

لأن الشئ فى معنى الآية أولانه أراد أنه يتخذ جميع الايات هزوا ولا يقتصر على الاستهزاء بما بلغه قوله (من ورائهم جهنم) كل ما توارى عنك فهو وراء تقدم أو تأخر وقدم فى سورة ابراهيم عليه السلام (هذا هدى) أى هذا  القرآن كامل فى باب الهداية والارشاد

بغير خبر أتاهم من الله ولا برهان عندهم بحقيقته انهم الا يظنون يقول جل ثناؤه ما هم الا فى ظن من ذلك وشك يخبر عنهم أنهم فى حيرة من اعتقادهم حقيقة ما ينطقون من ذلك بألسنتهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين ﴾ يقول تعالى ذكره واذا تتلى على هؤلاء المشركين المكذبين بالبعث آياتنا بأن الله باعث خلقه من بعد مماتهم فجامعهم يوم القيامة عنده للثواب والعقاب بينات يعنى واضحات جليات تنفى الشك عن قلب أهل التصديق بالله فى ذلك ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين يقول جل ثناؤه لم يكن لهم حجة على رسولنا الذى يتلو ذلك عليهم الا قولهم له ائتنا بآبائنا الذين قد هلكوا أحياء وانشرهم لنا ان كنت صادقا فيما تتلو علينا وتخبرنا حتى نصدق بحقيقة ما تقول بأن الله باعثنا من بعد مماتنا ومحيينا من بعد فنائنا ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين المكذبين بالبعث القائلين لك ائتنا بآبائنا ان كنت صادقا الله أيها المشركون يحييكم ما شاء أن يحييكم فى الدنيا ثم يميتكم فيها اذا شاء ثم يجمعكم الى يوم القيامة يعنى أنه يجمعكم جميعا أولكم وآخركم وصغيركم وكبيركم الى يوم القيامة يقول ليوم القيامة يعنى أنه يجمعكم جميعا أحياء ليوم القيامة لا ريب فيه يقول لا شك فيه يقول فلا تشكوا فى ذلك فان الامر كما وصفت لكم ولكن أكثر الناس لا يعلمون يقول ولكن أكثر الناس الذين هم أهل تكذيب بالبعث لا يعلمون حقيقة ذلك وأن الله محييهم من بعد مماتهم ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون ﴾ يقول تعالى ذكره ولله سلطان السموات السبع والارض دون ما تدعونه له شريكا وتعبدونه من دونه والذى تدعونه من دونه من الآلهة والأنداد فى ملكه وسلطانه جار عليه حكمه فكيف يكون ما كان كذلك له شريكا أم كيف تعبدونه وتتركون عبادة مالككم ومالك ما تعبدونه من دونه ويوم تقوم الساعة يقول تعالى ذكره ويوم تجىء الساعة التى ينشر الله فيها الموتى من قبورهم ويجمعهم لموقف العرض يخسر المبطلون يقول يغبن فيها الذين أبطلوا فى الدنيا فى أقوالهم ودعواهم لله شريكا وعبادتهم آلهة دونه بأن يفوز بمنازلهم من الجنة المحقون ويبدلوا بها منازل من النار كانت للمحقين فجعلت لهم بمنازلهم من الجنة ذلك هو الخسران المبين ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون ﴾ يقول تعالى ذكره وترى يا محمد يوم تقوم الساعة أهل كل ملة ودين جاثية يقول مجتمعة مستوفزة على ركبها من هول ذلك اليوم كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى وحدثنى الحرث قال ثنا الحسن قال ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وترى كل أمة جاثية قال على الركب مستوفزين حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وترى كل أمة جاثية قال هذا يوم القيامة جاثية على ركبهم حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول ثنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وترى كل أمة جاثية يقول على الركب عند الحساب

ثم ذكر دليلا آخر على الوحدانية وهو تسخير البحر لبنى آدم وقد سبق وجه الدلالة مرارا وقوله (ولتبتغوا) أى بسبب التجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان أو باستخراج اللحم الطرى ثم عمم بعد التخصيص وقوله (منه) فى موضع الحال أى سخر جميع ما فى السموات والارض كائنة منه يريد أنه أوجدها بقدرته وحكمته ثم سخرها لخلقه ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف أى هذه النعم كلها منه عن ابن عباس برواية عطاء أن الصحابة نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فأرسل عبدالله بن أبى غلامه ليستقى الماء فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قعد على رأس البئر فما ترك أحدا يستقى حتى ملا قرب النبى وقرب أبى بكر وملأ لمولاه فقال عبدالله ما مثلنا ومثل هؤلاء الا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ قوله عمر فاشتمل بسيفه يريد التوجه اليه فأنزل الله تعالى (قل للذين آمنوا) يعنى عمر (يغفروا للذين لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائعه بأعداء الله أو لا يأملون قوة المؤمنين فى أيام الله الموعودة لهم والمراد الصفح والاعراض عن عبدالله بن أبى وفى رواية ميمون بن مهران عن ابن عباس لما نزلت من ذا الذى يقرض الله قال اليهودى فنحاص بن عازوراء احتاج رب محمد فبلغ ذلك عمر فأخذ سيفه فخرج فى طلبه فجاء جبرائيل وأنزل الآية هذه وليس المقصود أن لا تقتلوا ولا تقاتلوا حتى يلزم نسخها بآية القتال كما ذهب اليه كثير من المفسرين ولكن الاولى أن يحمل على ترك المنازعة فى المحقرات وفى أفعالهم الموحشة المؤذية وانما نكر قوما مع أنه أراد بقوم الذين آمنوا وهم معارف ليدل على مدحهم والثناء عليهم كأنه قيل لنجزى قوما

كاملين فى الصبر والاغضاء على اذى الاعداء (بما كانوا يكسبون) من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه وقيل القوم هم الكاملون الكاملون فى النفاق ثم فصل الجزاء  وعمم الحكم بقوله (من عمل صالحا) الآية ثم بين أن المتأخرين من الكفار

أسوة بالمتقدمين منهم والكتاب التوراة والحكم بيان الشرائع والبينات من الامر أدلة أمور الدين وقال ابن عباس يريد أنه تبين لهم من أمر النبى صلى الله عليه وسلم أنه مهاجر من تهامة الى يثرب وقيل هى المعجزات القاهرة على صحة نبوة موسى (فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم) فيه احتمالان أحدهما علموا ثم عاندوا والثانى جاءهم أسباب المعرفة التى لو تأملوا فيها لعرفوا الحق ولكنهم أظهروا النزاع حسدا (ثم جعلناك على شريعة) أى منهاج وطريقة (من الامر) أمر الدين وقيل من الامر الذى أمرنا به من قبلك من رسلنا قال الكلبى ان رؤساء قريش قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ارجع الى ملة آبائك وهم كانوا أفضل منك وأسن فزجره الله تعالى عن ذلك بقوله (ولا تتبع) الى آخره أى لو ملت الى أديانهم الباطلة لصرت مستحقا للعذاب وهم لا يقدرون على دفعه عنك ثم أشار بعد النهى عن اتباع أهوائهم بقوله ولا تتبع أنباعهم الى الفرق بين ولاة الظالمين وهم أشكالهم من الظلمة وبين ولى المتقين وهو الله سبحانه ومن جملة آثار ولايته وبركة عنايته (هذا) القرآن وقيل ما تقدم من اتباع الشريعة وترك طاعة الظالم وجعل القرآن مشارا اليه أولى لقوله (بصائر من ربكم) الى آخره وقدمر فى آخر الاعراف مثله ثم بين الفرق بين الظالمين والمتقين من وجه آخر قائلا (أم حسب) قال جار الله أم منقطعة والآية نظيرة ما سلف فى ص أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين والاجتراح ما الاكتساب من قرأ سواء بالنصب فمعناه مستويا والظاهر بعده فاعله ويكون انتصابه على البدل من ثانى مفعولى نجعل وهو الكاف

---

وقوله كل أمة تدعى الى كتابها يقول كل أهل ملة ودين تدعى الى كتابها الذى أملت على حفظتها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كل أمة تدعى الى كتابها يعلمون أنه ستدعى أمة قبل أمة وقوم قبل قوم ورجل قبل رجل ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم كان يقول يمثل لكل أمة يوم القيامة ما كانت تعبد من حجر أو وثن أو خشبة أو دابة ثم يقال من كان يعبد شيأ فليتبعه فتكون أو تجعل تلك الاوثان قادة الى النار حتى تقذفهم فيها فتبقى أمة محمد صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب فيقول لليهود ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله وعزيرا الا قليلا منهم فيقال لها أما عزير فليس منكم ولستم منه فيؤخذ بهم ذات الشمال فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا ثم يدعى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله والمسيح الا قليلا منهم فيقال أما عيسى فليس منكم ولستم منه فيؤخذ بهم ذات الشمال فينطلقون ولا يستطيعون مكوثا وتبقى أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيقال لهم ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبد الله وحده وانما فارقناهؤلاء فى الدنيا مخافة يومنا هذا فيؤذن للمؤمنين فى السجود فيسجد المؤمنون وبين كل مؤمن (٣) منافق فيقسو ظهر المنافق عن السجود ويجعل الله سجود المؤمنين عليه توبيخا وصغارا وحسرة وندامة حدثنا ابن عبد الأعلى قال ثنا ابن ثور عن معمر عن قتادة عن الزهرى عن عطاء بن يزيد الليثى عن أبى هريرة قال قال الناس يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضامون فى الشمس ليس دونها سحاب قالوا لا يا رسول الله قال هل تضارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه يوم القيامة كذلك يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيأ فليتبعه فيتبع من كان يعبد القمر القمر ومن كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الامة فيها منافقوها فيأتيهم ربهم فى صورة ويضرب جسر على جهنم قال النبى صلى الله عليه وسلم فأكون أول من يجيز ودعوة الرسل يومئذ اللهم سلم اللهم سلم وبها كلاليب كشوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فانها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم أحد قدر عظمها الا الله ويخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المخردل ثم ينجو ثم ذكر الحديث بطوله وقوله اليوم تجزون ما كنتم تعملون يقول تعالى ذكره كل أمة تدعى الى كتابها يقال لها اليوم تجزون أى تثابون وتعطون أجور ما كنتم فى الدنيا من جزاء الاعمال تعملون بالاحسان الاحسان وبالاساءة جزاءها ﴿القول فى تأويل قوله تعالى ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين﴾ يقول تعالى ذكره لكل أمة دعيت فى القيامة الى كتابها الذى أملت على حفظتها فى الدنيا اليوم تجزون ما كنتم تعملون فلا تجزعوا من ثوابنا كم على ذلك فانكم ينطق عليكم ان أنكرتموه بالحق فاقرؤه انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون يقول انا كنا نستكتب حفظتنا أعمالكم فنثبتها فى الكتب وتكتبها * وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا طلق بن غنام عن زائدة عن عطاء بن مقسم عن ابن عباس هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق قال هو أم الكتاب فيه أعمال بنى آدم انا كنا نستنسخ

ومن قرأ بالرفع فخبر ومحياهم مبتدأ والجملة بدل أو الجملة تقع مفعولا ثانيا والمعنى انكار أن يستوى الفريقان حياة وموتا لان المحسنين عاشوا على الطاعة وانهم عاشوا على المعصية ومات أولئك على البشرى والرحمة  ومات هؤلاء على الضد وقيل معناه انكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة من حيث الصحة والترزق بل قد يكون الكافر أرجح حالا من المؤمن فالفرق المقتضى لسعادة المؤمن وشقاوة الكافر انما يظهر بعد الوفاة وقيل انه كلام مستأنف والمراد أن كلا من الفريقين يموت على حسب ما عاش عليه لقوله صلى الله عليه وسلم كما تعيشون تموتون وحين أفتى بان المؤمن لا يساويه الكافر في درجات السعادات استدل على صحة هذه الدعوى بقوله (وخلق الله) الآية قال جار الله (ولتجزى) معطوف على بالحق لانه في معنى التعليل أى للعدل أو ليدل بها على قدرته وللجزاء ويجوز أن يكون المعلل محذوفا وهو فعلنا ونحوه والحاصل أن الغاية من خلق السماء والارض كان هو الانسان الكامل فكيف يترك الله جزاءه وجزاء من هو ضده والتمييز بينهما بموجب العدالة ثم قرر أسباب ضلال المضلين قائلا (أفرأيت من اتخذ الهه هواه) أى يتبع ما تدعو اليه نفسه الأمارة وقدم في الفرقان (وأضله الله على علم) بحاله أنه من أهل الخذلان والقهر أو على علم الضلال في سابق القضاء أو على علم بوجوه الهداية واحاطته بالألطاف المحصلة لها وقيل أراد به المعاند لان ضلاله عن علم (فمن يهديه من بعد) اضلال (الله) قال بعض العلماء قدم السمع على القلب في هذه الآية وبالعكس في البقرة لان كفار مكة كانوا يغضون بقلوبهم وما كانوا يستمعون اليه وكفار المدينة كانوا يلقون الى الناس أن النبي صلى الله عليه وسلم شاعر وكاهن وأنه يطلب الملك والرياسة فالسامعون اذا سمعوا ذلك أنصتوه ونفرت قلوبهم عنه ففي هذه الصورة على هذا التقدير كان الاثر يصعد من البدن الى جوهر النفس وفي الصورة الاولى

ما كنتم تعملون قال نعم الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم حدثنا ابن حميد قال ثنا يعقوب القمي قال ثني أخي عيسى بن عبد الله عن ثابت الثمالي عن ابن عباس قال ان الله خلق النون وهي الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال ما أكتب قال اكتب ما هو كائن الى يوم القيامة من عمل معمول بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام ثم ألزم كل شئ من ذلك شأنه دخوله في الدنيا ومقامه فيها كم وخروجه منها كيف ثم جعل على العباد حفظة وعلى الكتاب خزانا فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم فاذا فنى الرزق وانقطع الأثر وانقضى الاجل أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الخزنة ما نجد لصاحبكم عندنا شيأ فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا قال فقال ابن عباس ألستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون وهل يكون الاستنساخ الا من أصل حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق قال الكتاب الذكر انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون قال نستنسخ الاعمال * وقال آخرون في ذلك ما حدثنا الحسن بن عرفة قال ثنا النضر بن اسمعيل عن أبي سنان الشيباني عن عطاء بن أبي رباح عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال ان لله ملائكة يتزلون في كل يوم بشئ يكتبون فيه أعمال بني آدم وقوله فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم في رحمته يقول تعالى ذكره فأما الذين آمنوا بالله في الدنيا فوحدوه ولم يشركوا به شيأ وعملوا الصالحات يقول وعملوا بما أمرهم الله به وانتهوا عما نهاهم الله عنه فيدخلهم ربهم في رحمته يعني في جنته برحمته وقوله ذلك هو الفوز المبين يقول دخولهم في رحمة الله يومئذ هو الظفر بما كانوا يطلبونه وادراك ما كانوا يسعون في الدنيا له المبين غايتهم فيها أنه هو الفوز ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين﴾ يقول تعالى ذكره وأما الذين جحدوا وحدانية الله وأبوا افراده في الدنيا بالالوهة فيقال لهم ألم تكن آياتي في الدنيا تتلى عليكم فان قال قائل أوليست أما تجاب بالفاء فأين هي فان الجواب أن يقال هي الفاء التي في قوله أفلم وانما وجه الكلام في العربية لو نطق به على بيانه وأصله أن يقال وأما الذين كفروا فلم تكن آياتي تتلى عليكم لان معنى الكلام وأما الذين كفروا فيقال لهم ألم فوضع الفاء في ابتداء المحذوف الذي هو مطلوب في الكلام فلما حذفت يقال وجاءت ألف استفهام حكمها أن تكون مبتدأة بها ابتدئ بها وجعلت الفاء بعدها وقد تسقط العرب الفاء التي هي جواب أما في مثل هذا الموضع أحيانا اذا أسقطوا الفعل الذي هو في محل جواب أما كما قال جل ثناؤه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فحذفت الفاء اذ كان الفعل الذي هو في جواب أما محذوفا وهو فيقال وذلك أن معنى الكلام فأما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم أكفرتم فلما أسقطت يقال الذي به تتصل الفاء سقطت الفاء التي هي جواب أما وقوله فاستكبرتم يقول فاستكبرتم عن استماعها والايمان بها وكنتم قوما مجرمين يقول وكنتم قوما تكسبون الآثام والكفر بالله لا تصدقون بمعاد ولا تؤمنون بثواب ولا عقاب ﴿القول في تأويل قوله تعالى﴾ ﴿واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين﴾

يقول تعالى منكرا ويقال لهم حينئذ واذا قيل لكم ان وعد الله الذى وعد عباده أنه محييهم من بعد مماتهم وباعثهم من قبورهم حق والساعة التى أخبرهم أنه يقيمها لحشرهم وجمعهم للحساب والثواب على الطاعة والعقاب على المعصية آتية لا ريب فيها يقول لا شك فيها يعنى فى الساعة والهاء فى قوله فيها من ذكر الساعة ومعنى الكلام والساعة لا ريب فى قيامها فاتقوا الله وآمنوا بالله ورسوله واعملوا لما ينجيكم من عقاب الله فيها قلتم ما ندرى ما الساعة تكذيبا منكم بوعد الله جل ثناؤه وردا لخبره وانكارا لقدرته على احيائكم من بعد مماتكم وقوله ان نظن الا ظنا يقول وقلتم ما نظن أن الساعة آتية الا ظنا وما نحن بمستيقنين أنها جائية ولا أنها كائنة * واختلفت القراء فى قراءة قوله والساعة لا ريب فيها فقرأت ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض قراء الكوفة والساعة رفعا على الابتداء وقرأته عامة قراء الكوفة والساعة نصبا عطفا بها على قوله ان وعد الله حق والصواب من القول فى ذلك عندنا أنهما قراءتان مستفيضتان فى قرأة الامصار صحيحتا المخرج فى العربية متقاربتا المعنى فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ﴾ يقول تعالى ذكره وبدا لهؤلاء الذين كانوا فى الدنيا يكفرون بآيات الله سيئات ما عملوا فى الدنيا من الاعمال يقول ظهر لهم هنالك قبائحها وشرارها لما قرؤا كتب أعمالهم التى كانت الحفظة تنسخها فى الدنيا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن يقول وحاق بهم من عذاب الله حينئذ ما كانوا به يستهزؤن اذ قيل لهم ان الله محله بمن كذب به على سيئات ما فى الدنيا عملوا من الاعمال ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ﴾ يقول تعالى ذكره وقيل لهؤلاء الكفرة الذين وصف صفتهم اليوم نترككم فى عذاب جهنم كما تركتم العمل للقاء ربكم يومكم هذا كما حدثنى على قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس قوله وقيل اليوم ننساكم نتركم وقوله ومأواكم النار يقول ومأواكم التى تأوون اليها نار جهنم وما لكم من ناصرين يقول وما لكم من مستنقذين ينقذكم اليوم من عذاب الله ولا منتصر ينتصر لكم ممن يعذبكم فيستنقذكم منه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون ﴾ يقول تعالى ذكره يقال لهم هذا الذى حل بكم من عذاب الله اليوم بأنكم فى الدنيا اتخذتم آيات الله هزوا وهى حججه وأدلته وآى كتابه التى أنزلها على رسوله صلى الله عليه وسلم هزوا يعنى سخرية تسخرون منها وغرتكم الحياة الدنيا يقول وخدعتكم زينة الحياة الدنيا فآثرتموها على العمل لما ينجيكم اليوم من عذاب الله يقول تعالى ذكره فاليوم لا يخرجون منها من النار ولا هم يستعتبون يقول ولا هم يردون الى الدنيا ليتوبوا ويراجعوا الانابة مما عوقبوا عليه ﴿ القول فى تأويل قوله تعالى ﴿ فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم ﴾ يقول تعالى ذكره فلله الحمد على نعمه وأياديه عند خلقه فاياه فاحمدوا أيها الناس فان كل ما بكم من نعمة فمنه دون ما تعبدون من دونه من آلهة وثن ودون ما تتخذونه من دونه ربا وتشركون به معه رب السموات ورب الارض يقول مالك السموات السبع ومالك الارضين السبع ورب العالمين يقول مالك جميع ما فيهن

كان الاثر ينزل من جوهر النفس الى قرار البدن فوردما فى كل سورة على ترتيبه ثم ذكر من أسباب الضلال سببا آخر وهو انكارهم البعث معتقدين أن لا حياة الا هذه وليس قولهم الدنيا نسلم الثانية وانما هو قول منهم على لسان المقرين و بزعمهم (نموت ونحيى) فيه تقديم وتأخير على أحد الاوجه لا توجب الترتيب وقيل يموت الآباء ويحيا الابناء وحياة الابناء حياة الاباء أو يموت بعض ويحيا بعض أو أرادوا بكونهم أمواتا حال كونهم نطفا أو هو على مذهب أهل التناسخ اى يموت الرجل ثم تجعل روحه فى بدن آخر ثم انهم لم يقنعوا بانكار المعاد حتى ضموا اليه انكار المبدا قائلين (وما يهلكنا الا الدهر) اعتقدوا أن تولد الاشخاص وكون الممتزجات وفسادها ليس الا بسبب مزاوجات الكواكب ولا حاجة فى هذا الباب الى مبدئ المبادئ فأجاب الله عن شبهتهم بقوله (وما لهم بذلك من علم) أى ليس لهم على ما قالوه دليل وانما ذكروا ذلك ظنا تخمينا واستبعادا فلا ينبغى للعاقل أن يلتفت الى قولهم لأن الحجة قامت على نقيض ذلك وهى دليل المبدا والمعاد المذكور مرارا وأطوارا وليس قولهم (ائتوا بآبائنا) من الحجة فى شئ لانه ليس كل ما لا يحصل فى الحال فانه يمتنع حصوله فى الاستقبال بدليل الحادث اليومى الممتنع حصوله فى الامس فوجه الاستثناء أنه فى أسلوب قوله

* تحية بينهم ضرب وجيع *

وحين بكتهم وسكتهم صرح بما هو الحق وقال (قل الله يحييكم) الى آخره ثم أراد أن يختم السورة بوصف يوم القيامة وما سيجرى على الكفار فيه فقال (ويوم تقوم الساعة) العامل فيه يخسر وقوله (يومئذ) بدل من يوم وفيه تأكيد للحصر المستفاد من تقديم الظرف قال ابن عباس الجاثية المجتمعة للحساب المترقبة لما يعمل بها من وقيل باركة جلسة المدعى عند الحاكم وقيل مستوفزا لا يصيب الارض الا ركبتاه وأطراف أنامله والجثو للكفار خاصة وقيل عام

من اصناف الخلق وله الكبرياء فى السموات والارض يقول وله العظمة والسلطان فى السموات
والارض دون ماسواه من الآلهة والأنداد وهو العزيز فى نقمته من
أعدائه القاهر كل ما دونه ولا يقهره شئ الحكيم فى تدبيره
خلقه وتصريفه اياهم فيما شاء كيف
شاء والله أعلم

آخر تفسير سورة الجاثية

﴿ تم الجزء الخامس والعشرون من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ويليه
الجزء السادس والعشرون أوله ( تفسير سورة الأحقاف ) ﴾

بدليل قوله بعد ذلك فأما الذين
آمنوا وأما الذين كفروا (تدعى الى
كتابها) يريد كتاب الحفظة ليقرؤه
وقال الجاحظ الى كتاب نبيها
فينظر هل عملوا به أم لا ويقال
يا أهل التوراة يا أهل القرآن
(اليوم تجزون) بتقدير القول ومما يؤيد
القول الاول قوله (هذا كتابنا) الى
قوله (انا كنا نستنسخ) أى نأمر
بالنسخ واضافة الكتاب تارة اليهم
وأخرى الى الله عز وجل صحيحة
لأن الاضافة يكفى فيها أدنى
ملابسة فأضيف اليهم لأن أعمالهم
مثبتة فيه وأضيف الى الله سبحانه
لانه أمر ملائكته بكتبه قوله
(أفلم تكن) القول فيه مقدر أى
فيقال لهم ذلك قوله (ان نظن الا ظنا)
قال أبو على والاخفش هذا الكلام
جار على غير الظاهر لان كل من
يظن فانه لا يظن الا الظن فتأويله
أن ينوى به التقديم أى ما نحن
الا نظن ظنا وقال المازنى تقديره
ان نظن نحن الا ظنا منكم أى أنتم
شاكون فيما تزعمون ومانحن
بمستيقنين أنكم لا تظنون وقال
جار الله أصله نظن ظنا ومعناه
اثبات الظن فحسب فأدخل أداة
الحصر ليفيد اثبات الظن مع نفى
ماسواه وأقول الظن قد يطلق على
ما يقرب من العلم ولا ريب أن لهذا
الرجحان مراتب وكأنهم نفوا
كل الظنون الا الذى لاثبوت علم
فيه وأكدوا هذا المعنى بقوله
(ومانحن بمستيقنين) وباقى
السورة واضح مما سلف
والله أعلم

﴿ فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير الامام ابن جرير الطبرى ﴾


| صحيفة | |
|---|---|
| ٢ | تأويل قوله اليه يرد علم الساعة وبيان معنى الأكمام |
| ٣ | بيان أن طلب الخير مع القنوط من الفرج عند الشدة من أخلاق الكفار |
| ٤ | تأويل قوله سنريهم آياتنا الآية وبيان أن المراد منها نصر الرسول انجازا لوعده أنه يظهر دينه |
| ٥ | ﴿تفسير سورة حم عسق﴾ وبيان ما ورد فى معناها |
| ٧ | تأويل قوله وكذلك أوحينا وبيان ما ورد من أن الله كتب كتابا فيه أسماء أهل الجنة والنار |
| ١٠ | بيان أن دين الأنبياء فى الاصول واحد |
| ١٢ | بيان أن العدل أحد ثلاث خصال من كن فيه أفلح ومن تلبس بضدهن هلك |
| ١٣ | تأويل قوله الله لطيف بعباده الآية |
| ١٥ | تأويل قوله ذلك الذى يبشر الله الآية وبيان معنى قوله الا المودة فى القربى وذكر الخلاف فيها |
| ١٨ | بيان أن توبة الشخص مكفرة لذنوبه |
| ١٩ | بيان أن الله يشفع المؤمنين فى اخوان اخوانهم |
| ٢٠ | تأويل قوله وما أصابكم من مصيبة الآية وبيان أن كافة المصائب تكون بذنوب العباد |
| ٢٣ | تأويل قوله والذين اذا أصابهم البغى الآية وبيان أنها محكمة وبيان ما يجوز الانتصار به من الظالم |
| ٢٦ | بيان ما يحصل من الظالمين عند دخولهم النار من النظر اليها بذلة |
| ٢٧ | تأويل قوله لله ملك السموات والارض الآية وبيان معنى تزويجهم ذكرانا وإناثا |
| ٢٩ | ﴿تفسير سورة الزخرف﴾ |
| ٣٠ | تأويل قوله أفنضرب عنكم الذكر الآية وبيان اختلاف وذكر الصواب فى ذلك |
| ٣٣ | بيان ما ينبغى أن يقوله الراكب بعد ركوبه |
| ٣٥ | تأويل قوله أومن ينشأ فى الحلية وبيان أن المراد منهم الحوارى لا الاصنام |
| ٣٦ | بيان أن المشيئة غير الرضا |
| ٣٨ | بيان أن الكلمة الباقية فى عقب ابراهيم لا اله الا الله |

| صحيفة | |
|---|---|
| ٣٩ | تأويل قوله وقالوا لولا نزل هذا القرآن وبيان المراد بالرجل العظيم وأن الفضل عند الله ليس بالدنيا |
| ٤٣ | تأويل قوله ومن يعش عن ذكر الرحمن وبيان الفرق بين العشو والعشا والشواهد عليه |
| ٤٦ | تأويل قوله فاستمسك بالذى أوحى اليك وبيان أن القرآن شرف لقريش |
| ٤٨ | ذكر ما افتخر به فرعون من ملك مصر |
| ٥٠ | ذكر ما استخف به فرعون القبط |
| ٥٣ | بيان أن عيسى حجة من الله على بنى اسرائيل |
| ٥٤ | بيان أن عيسى عليه السلام تعلم بمجيئه الساعة |
| ٥٥ | تأويل قوله ولما جاء عيسى بالبينات |
| ٥٩ | بيان المدة التى يدعو فيها أهل جهنم مالكا خازن النار ولا يجيبهم ثم يجيبهم |
| ٦٠ | تأويل قوله قل ان كان للرحمن ولد الآية وذكر الاختلاف فيها |
| ٦٤ | ﴿تفسير سورة الدخان﴾ وبيان الخلاف فى الليلة المباركة وما يفعل فيها |
| ٦٦ | تأويل قوله فارتقب يوم تأتى السماء الآية وبيان الدخان ومتى حصوله |
| ٧٠ | بيان المراد بالبطشة الكبرى |
| ٧٢ | بيان ما هم به موسى عليه السلام أن يفعله بالبحر بعد أن سلكه هو وقومه |
| ٧٤ | بيان أن المؤمن اذا مات بكت عليه السماء والارض |
| ٧٧ | ذكر خبر تبع — ٧٨ بيان معنى الزقوم والمهل |
| ٨٢ | تأويل قوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى وبيان الصواب فى معنى الا |
| ٨٤ | ﴿تفسير سورة الجاثية﴾ |
| ٨٦ | تأويل قوله قل للذين آمنوا يغفروا الآية وبيان أنها منسوخة |
| ٩٢ | ذكر ما كانت العرب تقوله فى سب الدهر |
| ٩٦ | ذكر ما يفعل بالأمم يوم القيامة ودعائهم الى كتبهم |


﴿ تم فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير الامام ابن جرير ﴾

﴿ فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش تفسير ابن جرير ﴾


| صحيفة | |
|---|---|
| ٣ | تفسير قوله تعالى اليه يرد علم الساعة الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها |
| ٨ | بيان أن للملائكة تأثيرات في الأرواح بالالهامات كما للشياطين تأثيرات فيها بالهواجس |
| ١١ | بيان أن دفع السيئة بالحسنة لا يقدر عليه إلا ذو حظ من قوة جوهر النفس الناطقة |
| ١٥ | بيان أن معلومه تعالى لا مانع من ظهوره وبه يفسر قوله آذناك بمعنى أعلمناك |
| ١٩ | ﴿تفسير سورة حم عسق﴾ |
| ٢٢ | بيان ما تشير اليه حم عسق |
| ٢٣ | بيان أن الملائكة بما لهم من عالم الأرواح يسبحون وبما لهم من عالم الأجسام يستغفرون |
| ٢٦ | بيان أن ما يختلف فيه من الأحكام يمكن فصله بالقياس والاجتهاد |
| ٢٩ | بيان أنه اذا قامت حجة بينة على الخصم ولم تؤثر فيه لا يفيده الاحتجاج اللساني |
| ٣١ | بيان فضل حرث الآخرة على حرث الدنيا |
| ٣٤ | بيان الاقوال الاربعة في تفسير مودة القربى |
| ٣٥ | بيان فضيلة حب آل البيت والصحابة |
| ٣٦ | تفسير قوله تعالى أم يقولون افترى الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها |
| ٤١ | بيان أسباب عدم الاستجابة في الدعاء |
| ٤٢ | بيان أن كون الجزاء الاوفى يوم القيامة لا ينافي حصول جانب منه في الدنيا |
| ٤٤ | بيان الفرق بين الكبائر والفواحش والعفو عند الغضب |
| ٤٧ | بيان أسباب الاصرار على العقائد الفاسدة |
| ٤٩ | بيان أن التكليف للعبد لا يتم الا بثلاث مراتب |
| ٥٠ | ﴿تفسير سورة الزخرف﴾ |
| ٥٥ | بيان ما ورد فيما يقال عند الركوب |
| ٥٧ | بيان أن المرأة قلما تكلمت بحجة لها الا جاءت بحجة عليها |
| ٦٠ | تفسير قوله وقالوا لولا نزل هذا القرآن الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها |
| ٦٢ | بيان المراد بالرجل الذي وصفه المشركون بالعظم |
| ٦٤ | بيان أن مادة كل الآفات هو السكون الى الدنيا |
| ٦٧ | بيان أن قريشا ما طعنوا في نبوة النبي إلا من جهة الفقر وكذلك طعن فرعون بموسى |
| ٦٨ | بيان الانهار التي كانت تجري لفرعون في مصر |
| ٧٠ | تفسير قوله ولما ضرب ابن مريم مثلا الآيات وبيان القراآت والوقوف فيها |
| ٧٦ | بيان الملازمة بين جزأي الشرطية في قوله ان كان للرحمن ولد |
| ٧٨ | ﴿تفسير سورة الدخان﴾ |
| ٨١ | بيان ما أنزل في رمضان من الكتب |
| ٨٣ | ذكر الخلاف في أن آية الدخان مضت أولا |
| ٨٥ | بيان ما كانت الجاهلية تقوله عند موت العظماء |
| ٨٦ | بيان ما طلبه قريش من نشر قصي معجزة |
| ٨٨ | ﴿تفسير سورة الجاثية﴾ |
| ٩٣ | بيان ما قاله عبد الله بن أبي وما أراد أن يفعله معه عمر رضي الله عنه |
| ٩٥ | بيان أن المرء يموت على حسب ما عاش عليه |
| ٩٦ | بيان معتقد الدهريين |


﴿ تم فهرست الجزء الخامس والعشرين من تفسير النيسابوري ﴾